

العدد ١٧٥
٢٥ ربيع الأول ١٤٣٢ هـ
الطبعة ١٠٠٠
شعبان ١٤٣٢ هـ / ربيع الأول ١٩٧٨ م

العرب

مجلة شهرية تعنى بتاريخ العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها، حمد الجاسر

العنوان
دار إمامة للبحث والدراسة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف ٤٤١٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ١ و ٢ س ١٣ رجب وشعبان ١٤٣٢ هـ - تموز / آب (يوليو / أغسطس) ١٩٧٨ م

العرب في عامها الثالث عشر

وبهذا الجزء نستقبل مجلة « العرب » سنتها الثالثة عشرة ، بعد
أن قلّمت لقرائنها من الغذاء الفكري في سنواتها الماضية ما شغل فراغ
(١٤١٦) من الصفحات ، أي إنها قدّمت للقاري عن كل سنة من
سنيها كتاباً تتجاوز صفحاته ١١٧٨ .

ولئن كانت العبرة بالكيف لا بالكم - كما يقال - فإن القائمين على
إصدارها لم يدخروا وسعاً بأن يقدموا خير ما يستطيعون تقديمه ، وهو
غذاء قد يكون من بين القراء من لا يستطيع هضمه ، أو من لا يستطيع
تناوله ، ولكن ليس الذنب ذنب من قدم لك ما يملك تقديمه ،
أو من رأى فيما قدم لك خير ما يقدم لمثلك ، فتخالفه الرأي ،
وتختار لنفسك ما يحلو لها .

وكما قيل في المثل الدارج على ألسنة أهل العصر : (كل يعقله
راضى) وعلى أساس هذا الرضا منسبب المجلة على نهجها ، ما استطاعت

السَّيْرُ ، ولها من حُسْنِ الثَّقَةِ بِقَرَّائِهَا ، والحِرْصِ على تَقْوِيَةِ نِلْكَ الثَّقَةِ ،
مَا يُمَهِّدُ لها الطَّرِيقَ ، وَيُعِينُهَا على تَحْقِيقِ الغَايَةِ الكَرِيمَةِ .

وَلَنْ يَنْسَى القَائِمُونَ على إِصْدَارِهَا ما لِلدَّوْلَةِ الكَرِيمَةِ من يدِ بِيضَاءِ
لا على هَذِهِ المَجَلَّةِ وعلى القَائِمِينَ بِشُؤْنِهَا - بل على كَلِّ أبنَاءِ هَذِهِ البِلَادِ
عَامَّةً ، في مُخْتَلَفِ مَجَالَاتِهِمْ .

وَمَنْ ذَا الَّذِي يُنْكِرُ ما لِلرَّجُلِ الشُّهُمَ - وللرَّجُولَةِ والشَّهَامَةَ مَعْنَاهُمَا -
معالي الدكتور محمد عبده يمانى وزير الاعلام ، وما للرجالِ وَزَارَتِهِ
الأَكْرَمِينَ من فَضْلٍ فى اسْتِمْرَارِ صُلُوبِ هَذِهِ المَجَلَّةِ ، وهو فَضْلٌ يَتَجَدَّدُ
بِصُورِ كُلِّ جُزْءٍ من أَجْزَائِهَا ؟ (من لا يَشْكُرُ النَّاسَ لا يَشْكُرُ اللهُ) .

وبعد : فَلِئِنْ صَدَقَ أَبُو الطَّيِّبِ - وما إِخْالَهُ كاذِبًا - بقوله :
مَا كَلَّ ما يَتَمَيَّءُ المَرْتَهُ يُنْذِرُكَهُ تَجْرِي الرِّياحُ بما لا تَشْتَهِي السُّفُنُ ؟
فإنَّ الحَيَاةَ - أَيَّ حَيَاةٍ - بلا أمانِ عذابٍ ، وآمالِ رِغابٍ ، لا طعم
لها ولا خَيْرَ فيها .

وما أَجْهَلُ من لَمْ يَتَّخِذْ مِنْ آمالِهِ حِوَاظِرَ قَويَةً لاجْتِيَازِ ما يَعْتَرِضُ
طَرِيقَ سَبيرِهِ فى حَيَاتِهِ من صِغَابٍ . وكما قَبيل :

مَنْ إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ المُنَى وَإِلَّا فَقَدْ عَشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغْدًا

حمد الجاسر

ليس الحجر مدائن صالح

يُطلق الناس الآن اسم مدائن صالح على الوادي الواقع شمال مدينة العُلا ،
المعروف باسم الحجر - بكسر الحاء المهملة وإسكان الجيم وبالراء - ذي
الاثار التي تناولها الباحثون بالدراسات الوافية .

والواقع أن إطلاق ذلك الاسم على هذا الوادي خطأ ، وقع فيه الناس منذ
عهد قديم . وتوضيح هذا :

(أ) أن الحجر هو الوادي الذي ورد ذكره في القرآن الكريم ، وورد النهي عن
الشرب من مائه سوى بئر الناقة التي كانت معروفة إلى عهد قريب ، لأن هذا الوادي
كان منازل قوم غضب الله عليهم فأهلكهم قبل ظهور الإسلام بعصور مجهولة .
وهذا الوادي لا يزال معروفاً باسم (الحجر) عند سكان جهاته ، وعند
غيرهم ، لاختلاف في ذلك .

(ب) وفي جنوب مدينة العُلا بنحو ٥٥ كيلا آثار عمران قديم ،
من أسس بناء ، ومجاري مياه وآثار زراعة ، يطلق على موضعها الآن اسم
غريب هو (المايبات) جمع (مائية) بالميم المفتوحة بعدها ألف فباءً موحدة
مكسورة فهاء - وهذا الاسم حادث ، فقد كان الموضع في القرن السابع
المجري وماقرب منه يعرف باسم مدينة صالح ، ثم مدائن صالح .

وله قبل ذلك اسم آخر أرجح أنه (الرّحبة) الوارد في كثير من كتب
الرحلات ومعجمات الأمكنة . فنسب اسم الرحبة ، واسم مدينة صالح -
أو مدائن صالح - وعرف باسم وادي (العطاس) على ما جاء في « رحلة ابن
بطوطة » الذي مرّ بهذا الموضع في عشر الثلاثين من القرن الثامن ، مع أن

الوادي كان معروفاً باسم وادي الدَّيدان ، الذي نجدله في الكتب الأعجمية وما حُرب عنها صوراً غريبة (ددان) و (دادان) و (ديدان) .

(ج) وادي الدَّيدان ، الذي تقع فيه مدينة صالح التي عرفت باسم مدائن صالح - ليس مُتصلاً من حيث الجوار بوادي الحجْر الذي قرَّر العلماء أخيراً عدم سكناه ، بل يفصل بينهما مسافة من الأرض تقارب خمسين كيلاً . بل تزيد (١) .

(د) أما كيف نشأ الخطأ فهو أن الحجْر كان من منازل قوم النبي صالح عليه السلام فكذبوه ، فأهلكهم الله ، ونَجَّا صالحاً والذين آمنوا معه ، وقد ذكر الله خبرهم في سُور من القرآن الكريم ، ومنها (سورة الحجْر) في الآية الحادية والثمانين منها : (وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بيوتاً آمِنِينَ * فَأَخَلَّتْهُمْ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ) .

وقد بقيت آثار القوم ، في البيوت المنحوتة في الجبال ، وفي الآبار المحفورة في الوادي ، وفي غيرها . فكان المسافرون الذين يذهبون من الحجاز إلى الشام أو من يَمرون هذه الجهات يشاهدون تلك الآثار ، ويتناقلون أخبارها ، من الكتب أو من الرواة ، وكثير من رواة الأخبار ومدونيها لا يلتزمون الدقَّة وتَحَرِّي الصواب فيما ينقلون أو يكتبون ، فوقع الخلط بين الآثار الواقعة شمال مدينة العُلا في وادي الحجْر ، وهي آثار سابقة وبين الآثار الواقعة جنوب مدينة العُلا ، وهي مما حدث في صدر الإسلام ، وساعد على وقوع الخلط أن الموضع الأخير الواقع جنوب العُلا كان يُعرَف بمدينة صالح ، وهو رجل مسلم من بني العباس ومدينته هذه كانت قائمة إلى القرن الرابع الهجري كما سيأتي - وأن الموضع الأول الذي هو الحجْر ، الواقع شمال العُلا عُرِف

(١) انظر تفصيل هذا في عمدة العرب ، ص ١٢ ص ١٦١ وما بعدها .

سكانه بقوم صالح ، وعرفت لإحلي آباره ببئر ناقة صالح ، وعرف موضع
في أحد جباله بمسجد صالح - أي المكان الذي كان يتعبد فيه .

ومن هُنَا أُطْلِقَ عَلَى الْحِجْرِ خَطاً اسْم (مدائن صالح) .

وأقدم من رأيتَه فعل ذلك ما عَرَّبَ لي من مؤلف تركي اسمه « بهجة المنازل »
أو « نهجة المنازل » مؤلفه يدعى محمد أديب الموقع الروحي - على ما جاء في
كتاب « إيضاح المكنون »^(١) فقد نُقِلَ عن كتابه أن الحجر يعرف بمدائن
صالح أو قرى صالح ، أو عدالي ، والمساكن في مدائن صالح منحوتة في
الصخر ، ولا يسكنها أحد ، ويقول : إن هناك جبلا يعرف باسم (أنان)
في مرتفع منه يوجد مسجد صالح (ع . ص . م) وهو منقور في الصخر .

أما أوَّل من وقع منه الخلط بين الموضعين فوصف الموضع الواقع جنوب
العُلا بِصفاتِ الْحِجْرِ فَأَقْدَم نَصُّ اطَّلَعْتُ عَلَيْهِ هُوَ مَا جَاءَ فِي رِحْلَةِ الْبُلُوِي
الْأَنْدَلِسِي وَيَحْسَنُ إِبْرَادَهُ كَامِلًا . قَالَ خَالِدُ بْنُ عَيْسَى الْبُلُوِي الْأَنْدَلِسِي فِي
رِحْلَتِهِ « تَاجُ الْمَفْرُوقِ فِي تَحْلِيَةِ أَهْلِ الْمَشْرِقِ » وَقَدْ حَجَّ سَنَةَ ٧٣٨ - قَادِمًا مِنْ
الشَّامِ مَعَ حِجَاجِ الْكُرُوكِ ، فِي وَصْفِ الطَّرِيقِ إِلَى الْمَدِينَةِ : (ثُمَّ سَرْنَا مِنْ تَبُوكَ
فِي مَهَامِهِ .. إِلَى أَنْ وَصَلْنَا الْعُلاَ بَعْدَ مَدَى بَعِيدٍ ، وَعِنَاءٍ شَدِيدٍ ، وَهِيَ بُلَيْدَةٌ
ذَاتُ مَنْظَرٍ جَمِيلٍ ، كَثِيرَةُ الْمِيَاهِ وَالنَّخِيلِ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ تَبُوكَ مَسِيرَةٌ ثَمَانِيَةٌ
أَيَّامًا نَهَارًا وَلَيْلًا ، وَهِيَ مَسَافَةٌ لَهَا مَهَابَةٌ وَمَخَافَةٌ ، تَتَعَبُ فِيهَا الرِّكَابُ ،
وَتَفْقَدُ الرِّفْقَاءَ وَالصَّحَابَ ، وَقَدِيمًا ضَرَبَتْ الْعَامَّةُ بِهَا مِثْلًا فَقَالَتْ : تُرِكَ أَبُوكَ
بَيْنَ الْعُلاَ وَتَبُوكَ .

ثم رحلنا من العُلا صباحاً ، وسرنا غلوا ورواحا إلى أن وردنا بئرا يقال

(١) : ١-٦٦٦

(٢) نشرت في الغرب (ملخص كلامه عن الحجاز وطريق الحج س ١١ ص ٨٢٨-٧٥٢)

لها بشر الناقة ويعنون بالناقة هنا ناقة النبي صالح عليه السلام - فوافينا البئر
 بجهد عظيم ، وعطش عيم ، وهجير كأننا أرسل من نار الجحيم ، فبتنا بها .
 ثم أدلجنا منها وتبَلَّجَ الفجر ونحن نسير في مدن النبي صالح - عليه
 السلام ، فعاينت منها عجباً عظيماً ، بيوتاً منحوتة من الصخر ، ومجالس
 مكونة من الجبال لانضى إلى آخر الدهر ، وغرفاً معلقة في الهواء ملوَّي
 للنسر ، وقصوراً مقصورة على الوحوش والطيور ، كما قال وهو أصدق القائلين:
 (وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ) فأدرك الناس العبر ، وعابثوا منظرًا
 لا تشرحه عبارة الخبر ، لا يخبر عنه إلا منظره ، ولا يشفي من حديثه إلا محضره
 وما عدا ذلك فنجم سماء ، ونقطة ماء .

كما قَابَلَ الزُّنْدُ بَرَكَانَ نَارٍ وَحِيًّا الشَّمَادُ الْقَلِيلُ بِحَارًا
 ولم نزل نسير ، وقد جدَّ المَسِير ، وحسى الهَجِير ، وعُدِمَ الماء ، وتحكم
 العناء ، وعمَّ العطش والإعياء ، وكاد أن يَسْتَوِي علينا الفناء .
 ولذَّةُ الجسمِ بِذَاكَ الضَّنَا وَرَاحَةُ قَلْبِي ذَاكَ الْإِكْمِ
 ولم تزل الحال كذلك حتى وردنا ماء هدية ، فأغثنا به غلل الأكباد ،
 وعادت الأرواح للأجساد .

ولمَّا شارفنا أرض هدية ، تفاءلنا بأن تكون لنا هدية ، وقصد عربان
 العلاء أن يتخذونا كاسمها ، ويجعلونا في الدروس كرسما ، فضربوا على
 فنب الركب في رأس المضييق ، وأذاقوه دون برِّد الماء بأطراف الأسنَّة
 عذاب الحريق ، فانبرى من صرفهم عن تلك النية ، وصافحهم بيد المنية) .
 فالرحالة - وهو قادم من الشام متوجه جنوباً إلى المدينة يقول : (ثم
 رحلنا من العلاء صباحاً ، وسرنا غُدُوًّا ورواحاً) ثم ذكر أوصافاً تنطبق على
 الحجر ، وسمى الموضع (مدن صالح) فخلط بين الموضعين ، ونقل أوصاف
 أحدهما إلى الآخر .

ويحسن أن نورد من نصوص علماء الشام ممن وصف الطريق ما يوضح

ماتقدم .

١ - قال إبراهيم بن شجاع الحنفي في كتاب ألفه سنة ٦٢٣ - فيما نقل عنه ابن العطار^(١) في وصف منازل طريق الحج من دمشق إلى مكة المكرمة - بعد ذكر الأخيضر والحاكة والأقارع - : (الثانية والعشرون : الحجر ، أرض ثمود ، نصف طريق مكة ، بينها وبين دمشق ثلاث مئة ميل ، ومئة فرسخ ، أرض رمل ، وتلال وجبال ، ووادي به ماء معتمد ، يُسمى عند الروم ، حفائر مطر أسود روي ، يسلكون بمضيقي وارتفاع وانحطاط موضع شبيه باب عالي واسع ، اسمه باب ناقة صالح عليه السلام ، ثم مدائن ثمود ، أرض دائرة ، يحيط بها جبال ، وباب مقابل إلى فرجة أرض دائرة أخرى بها آثار عمارة ، ومغاير منحوتة ، على باب كل مغارة صورة لوح ، منحوت عليه أسطر كثيرة غير عربية وبالقبائر رمم بالية ، وآبار كثيرة ونبع طيب ، وروي النهي عن شربها ، وأن لا يتطهر منه ، بل يسقى منها الدواب الثالثة والعشرون : العلاء : أرض رمل أبيض بين جبلين عالين ، ثم مضيقي ، ثم وادي ، ونبات كثير ، ثم عيون ، ثم مدينة العلاء وسط الوادي ، نخل كثير وثمر ، والمدينة صغيرة ، وبها قلعة صغيرة على رأس جبل صغير ، وعيون عذبة يُزرع عليها ، ولها أمير ، ويودعون بها أمتعتهم الرابع والعشرون : الحفائر : أرض رمل وتلال وجبال ، ووادي متسع يسمى الليدان ، ومدينة صالح ، بها بقايا بنيان وبيوت ، وقلعة خراب برأس تل عال ، وآبار نبع طيبة ، وعين ماء ، وفضاء ، وحفائر مطر .

٢ - وقال الحسن بن عمر بن حبيب الدمشقي ثم الحلبي الشافعي

(١) : العريب ، ص ١٠ ص ٨٧٠

(٧١٠ - ٧٧٩ هـ) (١) في أرجوزته « دليل المجتاز بأرض الحجاز (٢) » في وصف طريق الحج من دمشق إلى مكة المكرمة - بعد ذكر بركة المعظم والمنصف وتمد الروم :

بِمَسْبُوكِ النَّاقَةِ يَا مَآ نَظَرُوا من العجائب التي لا تُحصَرُ
 جَالُوا سُحْبِرًا نَحْوَ بَشْرِ الْحَجْرِ وأوردوا المَطْيَّ عِنْدَ الْفَجْرِ
 وَشَكَرُوا رَبَّ الْبَرَايَا وَالْعَلَا وأذَلَّجُوا حَتَّى دَنَوْا مِنَ الْعَلَا
 ذَاتِ النَّخِيلِ وَالْعَيْونِ الدَافِقَةِ والشمرات والجبال الشاهقة
 بِهَا أَرَاخُوا الْإِبِلَ الْمُجَدَّةَ وأودَعُوا الزَّادَ لِأَجْلِ الرَّدَّةِ
 ثُمَّ يَسِيرُونَ لِمَدَنٍ صَالِحٍ وَكُلَّ قَلْبٍ لِلْمَسِيرِ جَانِحٍ
 وَنَظَرُوا آثَارَ قَوْمٍ بَادُوا وَخَلَقُوا وَرَاءَهُمْ مَا شَادُوا
 جَلَّ الَّذِي أَهْلَكَهُمْ إِذْ كَفَرُوا بِرُسُلِهِ ، وَكَذَّبُوا وَفَجَرُوا
 وَأَفْوَا إِلَى حَفَائِرِ الزَّمْرِدِ والله خَيْرُ خَافِظٍ وَمُسْعِدِ

٣ - وقال محمد بن علي بن طولون (٣) الدمشقي المتوفى سنة ٩٥٣ في كتاب « البرق السامي في تعداد منازل الحج الشامي » ما نصه : (ثم دَخَلْنَا أَرْضَ مَبَارِكِ النَّاقَةِ بَعْدَ الْعِشَاءِ ، وَاسْتَمَرَّ بِنَا السَّيْرِ إِلَى أَنْ عَشِينَا قَبْلِي الْمَبْرَكِ الْكَبِيرِ بِنَتْلِكَ الرَّبَا ، بِالْوَادِي ، وَقَدْ حَصَلَ عَلَى النَّاسِ مَشَقَّةٌ .

ثم رحلنا عند طلوع الشمس من الغد ، فمررنا على الجبل اليتيم ، وهو قطعة جبل كبير منفرد ، شمالي الوادي المذكور ، ثم على أبيبار الحجر .

(١) انظر ترجمته في « الدرر الكامنة » ومن مؤلفات المطبوعة « نسيم الصبا » .
 (٢) نشرتها مجلة « العرب » س ١٢ من ص ٤٠٦ إلى ص ٤١٤ عن مخطوطة (دار الكتب الفخارية) بدمشق رقم ٦٩٢٧ .
 (٣) نشرته مجلة « العرب » س ١٠ من ص ٨٦٩ إلى ص ٩٠٥ وهو يصف مسيرة إلى الحج سنة ٩٢٦ .

وأوائل مدائن صالح ، قال ابن ناصر الدين في مسودة « توضيح
المشبه » له :

ومدائن صالح التي بالقرب من العلا من طريق الحاج من الشام بلد
إسلامي ، وصالح المنسوبة إليه من بني العباس بن عبد المطلب ، وفيها قبور
عليها نصاب تاريخها بعد الثلاث مئة ^(١) ذكره الحافظ أبو محمد القاسم
ابن البرزالي فيما وجده بخطه انتهى كلام ابن ناصر الدين ورأيت بها عجائب
من رمل أصفر كالورس ، ومنها جبال منحوت فيها بيوت بأبواب صفار
منحوتة بإتقان ، ومنها جبال صفار ليس فيها شيء منحوت . ثم رأيت
جبالاً يميناً وجبالاً يساراً كالسور ، من بينهما خندق إلى أوائل أرض العلا
العتيقة .

ثم دخلنا المحطة تحت الجبل الغربي العالي غربي العين الجوانية بعد
العصر ، فرأينا بالعلا الخير الكثير : حتى أبيع رطل العجوة والرطل التمر
بثلاثة .

ثم شاهدت تحت هذا الجبل قبراً فقيل لي : إنه قبر أمير الحاج الشامي
شاذ بك الأشرفي ، توفي في العقبة السوداء عند هدية ، سنة ٨٧٢ ، فصبرته
زوجته ، ثم ماتت هي أيضاً فلدفنا جميعاً تحت الجبل الذي بمحطة العلا
غربي العين .

ثم رحلنا بعد يومين بعد الفجر ، فمررنا على العلا العتيقة ، ثم على
طويل دغيم ، وهو الذي يقال له فرس النبي ، ثم على معرج البغلة

(١) هذا الكلام في مخطوطة « توضيح المشبه » التي في المكتبة الظاهرية بدمشق .

ثم على مطران الكبير فعمشينا به) . انتهى ولكن كلام ابن طولون هذا
فيه خلط أيضاً فقد ذكر أنه مرّ بآبار الحجر ، وأوائل مدائن صالح ،
ثم ذكر دخوله المحطة التي وصفها وصفاً ينطبق على مدينة العُلا . ثم
ذكر أنه بعد ارتحاله من العُلا مرّ على العُلا القديمة ، فهو أدخل (مدائن
صالح) بين الحجر وبين العُلا وهذا خطأ ، ثم ذكر العُلا القديمة ،
والعُلا القديمة هذه هي مدائن صالح أو مدينة صالح التي أورد النص عن
ابن ناصر الدين والبرزالي أنها بلد إسلامي . والظاهر أنه نقل النصّ ولكنه
لم يعرف الموضع المقصود به ، فوقع فيما وقع فيه .

وقد أشرت فيما تقدم إلى ما جاء في رحلة ابن بطوطة ، وبحسن إيراد
ذلك كاملاً ، وإن لم يُصِفْ جليداً سوى تسمية الوادي ، وإن كنت لست
واثقاً من صحة الكلمة للتحريف السبيء الواقع في كثير من أسماء الموضع في
النسخ المطبوعة من تلك الرحلة .

وقال ابن بطوطة^(١) : (وفي اليوم الخامس من أيام رحيلهم من تبوك
يصلون إلى بئر الحجر ، حجر ثمود ، وهي كثيرة الماء ، ولكن لا يردها أحد
من الناس ، مع شدة عطشهم ، اقتداءً بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
مرّ بها في غزوة تبوك ، فأسرع براحلته وأمر أن لا يستقي منها أحد ، ومن
عجن به أطعمه الجمال ، وهناك ديار ثمود في جبال من الصخر الأحمر
منحوتة ، لها عتب منقوشة ، يظن رائيها أنها حديثة الصنعة ، وعظامهم
نخرة في داخل تلك البيوت إن في ذلك لَعِبْرَةٌ .

(١) ص ١١٢ طبع بيروت دار صادر سنة ١٣٨٤ (١٩٦٤ م) .

ومبرك ناقة صالح عليه السلام بين جبلين هناك، وبينهما أثر مسجد
يصلى الناس فيه .

وبين الحجر والعلّا نصف يوم أو دونه .

والعلّا قرية كبيرة حسنة ، لها بساتين النخل والمياه المعينة ، يقيم بها
الحجاج أربعة ، يتزودون ويغسلون ثيابهم ، ويدعون بها ما يكون عندهم من
فضل زاد ، ويستصحبون قدر الكفاية .

وأهل هذه القرية أصحاب أمانة ، وإليها ينتهي تجار نصارى الشام ،
لايتعلّونها ، ويبايعون الحجاج بها الزاد وسواه .

ثم يرحل الراكب من العلا فينزلون في غد الوادي المعروف بالعطاس ،
وهو شديد الحرّ ، تهب فيه السموم المهلكة ، هبّت بهض السنين على الراكب
فلم يخلص منهم إلا اليسير ، وتعرف تلك السنة سنة الأمير الجالقي .

ومنه ينزلون هدية ، وهي حسيان ماء بواد يحفرون به فيخرج الماء
وهو زعاق) . انتهى .

بقيت كلمة حول إطلاق اسم (المايبات) على ما كان يعرف قديماً
باسم وادي الديدان والرحبة ، ومدينة صالح ، ومدن صالح ومدائن صالح .
لقد سألت كثيراً ممن اجتمعت به أثناء رحلتي إلى العلا^(١) عن معنى
هذا الاسم ومتى أطلق على هذا الموضع ، فلم أجد جواباً وكل ما علمته ممن
سألته أن المايبات بلدة قديمة ، انتقل بعض سكانها في عهد مجهولة إلى
بلدة العلا ، ومن أولئك الزحوف .

وقد لاحظت أن اسم المايبية في شمال غرب الجزيرة يطلق على موضع

(١) انظر « العرب » ص ١٢ من ص ١٦١ إلى ص ١٨٥ .

آخر هو اسم وادمن الروافد الشرقية لوادي السرحان ، ينحدر من حرة
وآكام وحزون تُدعى المِسْمَى ، شمال وادي السرحان ، وفي أسفل وادي المابية
ماء يدعى المابية أيضاً يقع شرق الأمغر ، في الشمال الغربي من نقرة حَضَوْضًا
ومن هذا الماء طريق يخترق سَبِيخَةَ حَضَوْضًا .

ويطلق على وادي المابية وما حوله اسم المايبات . وهو الاسم الذي يطلق
على الموضع الذي نتحدث عنه .

وفي شرق الجزيرة ووسطها موضعان يطلق عليهما اسم : (جومايبات به)
أحدهما في القصيم وكان يعرف قديماً باسم جومر على ما يرى بعض
الباحثين المتأخرين والآخر يقع شرق الحزول ، فهل هناك صلة بين كلمة
(مايبات) و (مايبات به) يقصد بالكلمة الأخيرة الموضع المخوف الذي
لا ينبغي للمرء أن يبني فيه ، والغالب أن الأمكنة التي يفنى سكانها فتخرب
تصبح موحشة ، مأوى للأشباح ، ومبعثاً للأوهام التي تحول دون المبيت فيها .
فهل كلمة (مايبات) تؤدي معنى (لا) (مبيت) في هذا المكان الموحش ؟
مثل كلمة (مايبات به) أي ليس صالحاً للمبيت لوحشته ولأشباحه المرعبة ؟ !
أو أنه لاصلة بين كلمتي (مايبات) و (مايبات به) .

وأن كلمة (مايبات) هي (موبيات) وأبناء البادية كثيراً ما يبدلون
الواو ألفاً . وأن الكلمة من (الوباء) أي أن تلك المواضع (موبوعات) وأن
أهلها هلكوا من وباء أصابهم ، ومهما يكن فتعليل هذا الاسم مجرد رأي ،
لست منه على يقين .

وما هو رسم يوضح كيف طغى اسم (مدائن صالح) على (الحجر)
الاسم الصحيح لهذا الموضع ، وهو منقول عن كتاب أصدرته (إدارة الآثار)
في (وزارة المعارف) .

وَأُذِي الْكَلَّابِ

الْكَلَّابُ^(١) : بضم الكاف ثم لام بعدها ألف ، وآخره باءٌ موحدة : قال ياقوت : علم مرتجل غير منقول ، وقال عن أبي زياد : الكلاب واد يسلك بين ظهري هُلالان ، وهُلالان جبل في ديار بني نمير ، وقيل : ماء بين جبلة وشَمَام على سبع ليالٍ من اليمامة وفيه كان الكلاب الأول والكلاب الثاني من أيامهم المشهورة ، واسم الماء قِدَّةٌ وقيل : قِدَّةٌ بالتخفيف والتشديد ، وإنما سُمِّي الكلاب لما لقوا فيه من الشر . قال أبو عبيدة : والكلاب عن يمين شَمَام وجبلة ، وبين أذناه وأقصاه مسيرة يوم .

وقال البكري^٢ : الكلاب بضم أوله وبالباء المعجمة بواحدة في آخره ، الكلاب : هو قدة يعينها ، وبين أذناه وأقصاه مسيرة يوم أعلاه مما يلي اليمن وأسفله مما يلي العراق .

وقال ياقوت في تحديد قِدَّة ، قِدَّةٌ بالكسر ثم التشديد ، بلفظ واحدة القِدَّة من اللحم اسم مائة بالكلاب ، وقيل : قِدَّةٌ بوزن عدَّة اسم للماء الذي يُسَمَّى بالكلاب ومنه ماءٌ في يمين جبلة وشَمَام ، قالوا : إنما سُمِّي الكلاب لما لقوا فيه من الشر .

وقال أبو علي الهجري^٣ : تَيْمَنٌ : هضبة برأس الذُرُودِ ذُرُودِ الشَّرِيفِ . مغرب الشمس من حصن ابن عصام بيوم . وسيل تيمن يصبُّ على الكلاب .

(١) من أبحاث «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» - قسم عالية نجد - تحت الطبع .

والكلاب واد به نخل وسدر وطلح ، وبجانب الكلاب ثلثان جبل
عظيم ، علم أسود به الوحوش ، عرضه يوم ، به فَلَجِي (١) ، وَذُوَيْقَنَ وَالرِّيَّانَ
وَالْأَطْيَا وَالْبِرِيضَ خسف به ماء وكل ما أسمينا الشريف .

وَحُدُنَّةٌ : هضبة عن الكلاب بميلين تدفع في الكلاب .

وفي شعر مالك بن الرِّيب المازني :

عليّ دِماءِ البُدْنِ إن لم تُفارقِ أبا حَرَدَبٍ يوماً وأصحابَ حَرَدَبِ
سَرتَ في دُجى لَيْلٍ فأصبحَ دونها مفاوز جُمرانَ الشَّريفِ فغَرَبِ
تَطَّالعَ من وادي الكُلابِ كأنها وقد أنجَدتُ منه فَريدةَ رَبِّربِ
مما تقدم يتبيّن لنا بوضوح موقع وادي الكلاب وتحديدده وكذلك
صفته الجغرافية ، وليس فيما ذكره المؤرخون اختلاف في موقع وادي
الكلاب أو وصفه ، بل إنما ذكروه يؤيد ويكمل بعضه بعضاً في توافق في
الوصف والتحديد .

وكلهم يتفقون أنه واد بين ظهري ثلثان وأنه بين جيلة وشام ، وأن بين
أدناه وأقصاه مسيرة يوم ، وأن أعلاه مما يلي اليمن وأسفله مما يلي العراق .
وفيما ذكره الهجري دليل على قربه من حُدُنَّة ، وأن هضبة تَيْمَن (تَيْمًا)
واقعة في أعلاه ، وفي شعر مالك بن الريب دليل على قربه من جُمران
وغَرَبَ وأنه في بلاد الشريف .

ومما يدل على قربه من جمران والنشاش ووقوعه في الشريف ما ذكره
الهمداني حيث قال :

ومن مياه هـلان ذويقن وقلحا والريان والكلاب والشعرا ، وأسفل من ذلك
ذَرُوُ الشريف وغلانته ومياهه ، ومن أيسرها البرقة ونائع والنشاش ماءان

(١) كلاً وساق (قلحا) .

مقابلان لجمران ، وهو جبيل مطروح من دونه السمّات .
وهذه المواضع التي ذكرها الهمداني قريب بعضها من بعض ومعروفة
بأسمائها إلى هذا العهد .

وهذه الصفات التي ذكرها المؤرخون لوادي الكلاب تنطبق تمام
الانطباق على وادي الشعراء ، غير أنه تغلب عليه اسم الشعراء - التي هي
أحد موارد مياهه القديمة بعد أن أصبحت بلدة عامرة مأهولة بالسكان .

ولم يبق من اسمه القديم إلا اسم دخل عليه تحريف يسير وأصبح
اسماً لأحد روافده الشرقية الجنوبية الذي يسمّى وادي الكلبة .

ومما يزيد الأمر وضوحاً ولا يدع مجالاً للشك في أن وادي الشعراء هو
وادي الكلاب ، وأنه الموضع الذي وقع فيه اليومان الشهيران من أيام العرب
ما جاء في شعر مخرز ابن المكعب الضبيّ في يوم الكلاب الثاني حيث قال :

فَدَى لِقَوْمِي مَا جَمَعْتُ مِنْ تَشَبُّبٍ	إِذ لَقِيتُ الْحَرْبُ أَقْوَامًا بِأَقْوَامٍ .
إِذْ خَبَّرْتِ مَدْحِجَ عَنَّا ، وَقَدْ كُذِّبَتْ	أَنْ لَنْ يُرَوِّعَ عَنْ أَحْسَابِنَا حَامِي
دَارَتْ رَحَانًا قَلِيلًا ثُمَّ صَبَّحَهُمْ	ضَرْبُ تَصِيحٍ مِنْهُ حَلْقَةُ الْهَامِ .
ظَلَّتْ ضِبَاعُ مُجِيرَاتٍ يَلْدُنَّ بِهِمْ	وَالْحَدُوهُنَّ مِنْهُمْ أَيُّ الْإِحْسَامِ .
حَتَّى حُدْنَةَ لَمْ يَتْرِكْ بِهَا ضِبْعًا ،	إِلَّا لَهُ جِزْرٌ مِنْ شِلْوٍ مِقْدَامِ .
ظَلَّتْ تَدُوْسُ بَنِي كَعْبٍ بِكَلْكَلِهَا	وَهُمْ يَوْمَ بَنِي نَهْدٍ بِإِظْلَامِ .

حُدْنَةُ : هَضْبَةٌ سوداء لا تنزال معروفة بهذا الاسم ، تقع صوب مطلع
الشمس من بلدة الشعراء ، ويأتي من ناحيتها واد يدفع في وادي الشعراء
(الكلاب) يلتقي به عند البلدة ، وهي ترى منها بالبصر ، وقد حددها
المعجري وذكر أنها تبعد عن وادي الشعراء ميلين وأن سيلها يدفع فيه ، أي
في الكلاب .

مُجَبَّرَات : هضاب حمر لاتزال معروفة بهذا الاسم ، تقع شرق حُدْنَة ،
ترى من بلدة الشعراء بالبصر ، وقسم من سيولها يدفع في وادي الشعراء
(الكلاب) .

وقد ذكر محرز في شعره أن ضياع هذه الهضاب ظلت تلوذ بجثث
قتلى هذا اليوم وتعيش على لحومهم ، وهذا يدل على قرب موقع المعارك
من هذه الهضاب .

وجاء في قصيدة وعلة الجرمي - وكان أول من هزم انهزم يوم الكلاب -
قوله يذكر هزيمته وفراره من المعركة :

ومنَّ علي الله منَّا شكرته غَدَاة الكُّلَابِ إذ تجزَّ الدَّوَابُّ
ولما سمعت الخيل تدعو مُقَاعَسًا علمتُ بأنَّ اليومَ أحمرُ فاجرُ
نجوتُ نجاتٍ ليس فيه وتيرة كَأَنِّي عَقَابٌ عند تيمَن كاسر^(١)
كأنا وقد حَالَتْ جَدِيهِ دوننا نعام تلاه فارس متواتر^(٢)

تَيْمَن : يقال تيماء وتيمن : هضبة حمراء كبيرة تقع في أعلا وادي
الشعراء جنوباً من البلدة ترى منها بالبصر ، وقد ذكر وعلة في شعره أنه
كان عندها حين فر منهزماً من ساحة الحرب .

وقد ذكر المهجري تيماء (تيمن) وقال إن سيلها يصب على الكلاب ،
ولا تزال مُعْرِفَة بهذا الاسم .

وجاء فيما ذكره في «الأغاني» في سياق خبر يوم الكلاب الثاني : وأقبل
أهل اليمن من بني الحارث من أشرفهم يزيد بن عبد المدان ويزيد بن
مخرم ويزيد بن الطيسم بن المأمور ويزيد بن هوبر حتى إذا كانوا بتيمن
نزلوا قريباً من الكلاب . ورجل من بني يزيد بن رباح بن يربوع يقال له

(١) في العقد الفريد : عند تيماء كاسر . (٢) جدية : يبدو أن صحته (حذنة) .

مشمت بن زنباع في إبل له عند خاله من بني سعد يقال له زهير بن بو
فلما أبصرهم المشمت قال لزهير : دونك الإبل وتنج عن طريقهم حتى
أتى الحي فأنذرهم قال : فركب المشمت ناقة ثم سار حتى أتى سعداً والرَّبَاب
وهم على الكلاب ، فأنذرهم فأعدوا للقوم وصبحوهم فأغاروا على النعم
نظردوها وجعل يرتجز ويقول :

في كل عام نعم تنتابه على الكلاب غيباً أربابه
فأجابه غلام من بني سعد في النعم على فرس له فقال :
عماً قليل ستري أربابه صلب القناة حازماً شبابه

وفي هذا الخبر ما يثبت أن وادي الكلاب الذي وقع فيه اليومان
الشهيران من أيام العرب هو الكلاب الواقع بين ظهري هملان ، وهو الذي
نقع هضبة تيمن في أعلاه ، وهو وادي الشعراء . وقد قال ذو الرمة شعراً
يذكر فيه يوم الكلاب يؤكد هذا القول ويزيده وضوحاً ، قال :

فما شهدت خيل امرئ القيس غارةً بشهلان تحمي عن ثغور الحقائق
أثرنا به نقع الكلاب ، وأنتم ثيرون نقع الملتقى بالفارق
أدزنا على جرّم وأفناء مذحج رحي الموت فوق العائلات الخوافق
صلمنامهم كور الأمانى صدمة عماسا بأطواد طوال شواقي
إذا نطحت شهباء شهباء بينها شعاع القنا والمشرقي البوارق

فذكر أن خيلهم أغارت بشهلان فأنارت نقع الكلاب .

والمعروف أن جبل هملان حاف بالوادي من الغرب على طول امتداده
من الجنوب إلى الشمال .

وقد جاء في خبر يوم الكلاب أن شرحبيل ومسلمة تواعدا في الكلاب
بمن معهما من الأقوم فالتقيا فيه .

وفي خبير يوم الكلاب الثاني : قام النعمان بن الحسحاس فقال :
يا قوم انظروا ماء يجمعكم ولا أعلم ماء يجمعكم إلا قدة ، فارتحلوا
وانزلوا قدة ، وهو موضع يقال له الكلاب .

فلما سمع أكنم بن صيني كلام النعمان قال : هذا هو الرأي فارتحلوا
حتى نزلوا الكلاب ، وبين أدناه وأقصاه مسيرة يوم .

ويتضح من هذه العبارات أنهم اختاروا وادي الكلاب وقصلوه لوفرة
مياهه وسعة مراعيه لينتفع لهم جميعاً ، وكذلك وادي الشعراء بوفرة مياهه
وجودة مراعيه وكثرتها ، فموارد مياهه ممتدة فيه على طول امتداده ، متعددة
الآبار وفيرة المياه ، وأسفله كله أحساء قريبة المنزح ، ولهذا السبب نفسه
اختاره الإمام فيصل بن تركي رحمه الله ، ففي عام ١٢٥٠ هـ سار بجنود
المسلمين فأغار على فريق من الدواسر في أرض العرمة ثم نزل قرب بلد تُمَيْر
حتى اجتمع إليه باقي غزوانه فرحل بهم ونزل بهم الشعراء وأقام فيها نحو
أربعين يوماً . ووفد عليه رؤساء العريان محمد بن فيصل اللويش رئيس
مطير ومحمد بن قرملة رئيس قحطان وغيرهما (١) .

وكذلك فإن المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود
اختار الشعراء لهذا السبب نفسه فعقد فيها مؤتمراً عام ١٣٤٨ هـ سُمِّيَ مؤتمر
الشعراء ، وأقام فيها ثلاثة أسابيع ، استقبل فيها قادة الجيوش ورؤساء القبائل
وزعماء العشائر ، وكبار الجماعات في القرى والبلدان ، ووفد عليه
الكثيرون (٢) .

وبلغني أن محمد بن هندي بن حُميد شيخ قبيلة عُنَيْبَة كان يقطن
في وادي الشعراء ومعه قبيلته خلال فصل الصيف كل عام لوفرة المياه فيه

(٢) أمدق البنود ٢٩٣ - ٢٩٤

(١) حوران المجد ٧٢٠٢ .

وجودة المراعي ، واجلبت أرضه سنة فانتحى صوب الشمال ونذر أن ينبع
 بدنة إذا بلغه الخبر أن هذا الوادي قد سال ، فوصل إليه الخبر أن الشعراء
 قد مطرت وأن وادها قد سال ، فوفى بننره وذبح بدنة ، وعاد إليها وقطن
 فيها كما دته .

ولوادي الكلاب ذكر كثير في الشعر العربي ، ومنه ما يفيد في تحليده
 وفي وصفه الجمراني

ويقول لبيد بن ربيعة العامري :

يا هـل ترى البرق بتُّ أرقبُهُ يزجي حُجيبًا إذا خَبَا ثَقْبًا ؟
 فعدتُ وخدي له وقال أبو ليلى : متى يغتمن فقد دأبا
 كأن فيه لما ارتفعتُ له ريطا ومرباع غاتم لجبا
 فجداد رهوا إلى مداخل فالصخرة أمست نعاجه عصبًا (١)
 نحلر الغضم من عماية للسهل وقضى بصاحة الأربا
 فالماء يجلو متونهن كما يجلو التلاميذ لؤلؤا قشبا
 لآق البدي الكلاب فاعتلجا موج أتبيهما لمن غلبا
 فدعدعا سرة الركاء كما ددع ساق الأعاجم الغربا
 فكلُّ واد هدت حوالبه يقذف خضر الدباء فالخشبا
 مالت به نحوها الجنوب معا ثم ازدهت الشمال فانقلبا
 فقلت صاب الأعراض ريقه يسقى بلادا قد أمحلت حوبا
 لترع من نبتة أسيم إذا أنبت حر البقول والعشبا
 وليرع قومها فإنهم من خير حي علمتهم حسبا
 قومي بنو عامر وإن نطق ال أعداء فيهم مناطقا كذبا

(١) في رواية : فجداد رهوا إلى مناجل فالصخرة ، وهذه الرواية أصح .

ذكر لبيد في هذه القصيدة أنه اتكأ على مرفقه وبات يرقب سحاباً متقدماً جاد بصوبه مناجل والصخرة ثم حذر سيله العُصم من عماية وقضى في صاحة الأربا ، وهذه المواضع لا تزال معروفة بلمناتها ، وكلها واقعة في وسط بلاد قومه بني عامر ، وكلها متقاربة .

وهي في بلاد بني قشير والحريش والعجلان .

ثم ذكر أن ريح الجنوب مالت بالغيث معها صوب الشمال ، فقال :

لَأَقِ الْبَلَدِيَّ الْكَلَابَ فَاغْتَلَجَا مَوْجُ أَتَيْتَهُمَا لَمَنْ غَلَبَا
فَدَعَدَا سُرَةَ الرَّكَّاءِ كَمَا دَعَدَعَ سَاقِي الْأَعَاجِمِ الْغَرَبَا (١)
فَكَلُّ وَادٍ هَدَّتْ حَوَالِبُهُ يَقْنِفُ خُضْرَ الدَّبَاءِ وَالْخَشْبَا
مَالَتْ بِهِ نَحْوَهَا الْجُنُوبُ مَعَا ثُمَّ أزدَهتُ الشَّمَالُ فَاثْقَلَبَا

وفي هذه الأبيات ذكر أن الغيث حين مالت به الجنوب أصاب مواضع في شمال بلاد قومه ، أصاب البلدي في بلاد الضباب وأصاب الكلاب في بلاد بني نير ، وبلاد هذين الحيين من بني عامر هي شمال بلاد قومه ، وبعد أن جاد هذين الواديين ودعدعا بسيلهما سرّة الرشاء ، أزدَهت هذا السحاب الممطر ريحاً شمالية فانقلب صوب الجنوب ليجود ناحية أخرى من بلاد قومه ، فجاد الأعراض ريقه ، فشمل بقية بلاد بني عامر ، ثم قال : لثرع من نبتة أسيم ولبرعه قومها ، قومي بنو عامر .

فبين في شعره أن هذه المواضع التي ذكرها في شعره ومنها البلدي والكلاب هي بلاد قومه بني عامر ، وفيها يرعون ماينبته هذا المطر .

وتقدم ما ذكره المؤرخون في تحديد الكلاب ، وذكروا أنه بجانب نهران وأن أعلاه صوب الجنوب وأسفله صوب الشمال ، وهذا التحديد

(١) يدل ل أن صحته : فدعدعا سرّة الرشاء .

بلائم الوضع الطبيعي لوادي الشعراء ، وهو واد بميد ما بين اعلاه واسفله
وتدفع فيه روافد كثيرة ويدفع في بطن الرشاء من جانبه الجنوبي ويقابله من
الشمال وادي جهام ، واد عظيم يدفع في بطن الرشا من جانبه الشمالي ،
فيدعدعان سرّة الرشاء ، وقد اتضح لي من البحث والتحقيق أن وادي جهام
هو وادي البديّ ، وقد استوفيت كل ماورد فيه في رسم جهام فانظره .

وينبغي أن أشير إلى أنني قلت فيما تقدم في التعليق على قول لبيد :
فدعدعا سرّة الركاء . فدعدعا سرّة الرشاء ، وذلك لأدلة منها : أن بطن الرشاء
واقع بين هذين الواديين ، ومدافهما تلتقي في سرّته ، وقد ذكرت من الأدلة
مايفيد أن البديّ هو وادي جهام والكلاب هو وادي الشعراء ، ومنها أنه
لايعرف في روالد الركاء واديان ينطبق عليهما تحديد البديّ أو الكلاب
أو وصفهما . ومنها أن البديّ معروف في بلاد الضباب والكلاب معروف في
بلاد بني نمير ، والركاء مرتفع في الجنوب عن هذه البلاد . ومنها أن التحريف
في أسماء المواضع في الشعر العربي معروف وشائع في مثل هذه الأسماء المتقاربة
في النطق ، المتشابهة في الكتابة وغير ذلك من الأدلة .

وفي القصيدة الآتية من شعر لبيد أيضا مايزيد الأمر وضوحا . قال :

تَخَيَّرْنَ مِنْ غَوْلِ عِدَابَا رَوِيَسَةَ	ومن مَنِيحَ بَيْضِ الْجِمَامِ ، عَدَايِلَا
وَقَدْ زَوَدَتْ مِنَّا عَلَى النَّأَى حَاجَةَ	وَشَوْقًا لَوْ أَنَّ الشَّوْقَ أَصْبَحَ عَادِلَا
كَمَحَاجَةِ يَوْمِ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ	عَشِيَّةً رَدُّوْا بِالْكُلَابِ الْجَمَائِلَا
فَرَحْنُ كَانَ النَّادِيَاتِ مِنَ الصَّفَا	مَذَارِعَهَا وَالسَّكَارِعَاتِ الْحَوَامِلَا
بَدَى شَطَبٌ أَحْدَاجُهَا إِذْ تَحَمَّلُوا	وَحَثَّ الحُدَاةُ النَّاعِجَاتِ النَّوَامِلَا
بَدَى الرَّمْثُ وَالطَّرْفَاءُ لَمَّا تَحَمَّلُوا	أَصِيْلًا وَعَالِيْنَ الحُمُولِ الْجَوَافِلَا
كَأَنَّ نِعَاجًا مِنْ هَجَائِنِ عَازِفِ	عَلَيْهَا وَأَرَامُ السُّلَيْمِ الخَوَازِلَا
جَعَلْنَ حَرَاجَ القُرْنَتَيْنِ وَنَاعَتَا	يَمِينَا وَنَكْبِنَ البَدِيِّ شَمَائِلَا

ومن دراسة هذه القطعة الشعرية نتبين صورة جغرافية لهذه المواضع التي احتوتها ، حيث رُدوا جملهم وحيث تحملوا والنهج الذي سلكوه والأعلام التي جعلوها ميمنا منهم والتي جعلوها ونكبوها شيئا .

ففيها الكلاب ، وفيها شطب وفيها ذو الرمث والطفاء ومن هذه المواضع تحملوا وحثَّ الحداة الناجيات وقد جعلوا حراج القرننتين وناعتا ميمنا منهم ونكبوا البدي شيئا .

والواقع أنه من إطار هذه الصورة الجغرافية الناصعة وتطبيقها موضعيا ، في هذه البلاد ومشاهدة أعلامها ، يتضح لنا أن الكلاب وذا شطب وذا الرمث والطفاء إنما تعني موصفا واحدا ، فيه رُدوا الجمال وفيه أحداجها إذ تحملوا ، وفيه عالين الحمول ، وهذا الموضع أسفل وادي الكلاب (وادي الشعراء) وهو ذو شطب لأنه حاف بخشوم جبل شطب الشرقي وهو ذو الرمث والطفاء لأنه مزدحم بغابات كثيفة من الرمث والطفاء ، فهذه الصفاة كلها يجمعها أسفل وادي الشعراء مما يلي جبل شطب ، وشطب جبل أسود كبير منقطع من شعلان شمالا معروف بهذا الاسم قديما وحديثا . أما اتجاه سيرهم فإنه صوب الشمال لأن القرننتين وناعتا واقعتان شمالا شرقيا من الموضع الذي تحملوا منه والبدي واقع شمالا غربيا منه .

وقد استوفيت ماورد في تحديد القرننتين في رسم القرنة وفي رسم جهام ، واستوفيت ماورد في وصف ناعت وفي تحديده في رسم الحلة وفي رسم جهام ، وكذلك ماورد في وصف البدي وفي تحديده في رسم جهام فانظره ، وسيتضح لك بجلاء أن وادي الشعراء هو وادي الكلاب وأن وادي جهام هو وادي البدي . أما ما ذكره محمد بن بليهد رحمه الله في تحديده ، فمن الملاحظ أنه قال في بداية حديثه ، قد اختلف أهل المعاجم وأهل التاريخ في موضع وادي الكلاب ثم أورد بعضها من أقوال المؤرخين في تحديده وأورد شواهد من الشعر

الذي قيل في يوم الكلاب مقرراً بذلك كله أنه هو وادي الشعراء ، وبعد أن قرر ذلك قال : والذي نعتقده أن اسمه الذي كان قبل ذلك « وادي قُحْحُح » ووادي قححح باق إلى اليوم بهذا الاسم . ويؤيد هذا القول أنهم ذكروا في أخبار أيام العرب في اليوم الأخير من أيام الكلاب أن مسعود بن القريم فارس بكر بن وائل قُتِلَ في وادي الكلاب الذي كانت به الواقعة قتله حُشيش بن نمران : وعلى هذا يكون كل ما ذكر من الشعر في وادي الكلاب إنما حقيقته أنه في وادي قححح .

ثم قال : ويدل لذلك أيضا أنهم قالوا إنه يبعد عن طرف ثهلان الجنوبي مسافة يوم أو أقل . ووجه ثالث : ذكروا أن وادي الكلاب تقاتل العرب فيه وهم يشربون ماء العُوبِنْد ، والعُوبِنْد ماء باق إلى اليوم بهذا الاسم ، وأهل قححح اليوم قاطنون على ماء العُوبِنْد وهم يرعون لإبلهم في وادي قححح .

قلت : الواقع أن هذه الأوجه الثلاثة التي استدل بها على رأيه أن الكلاب هو وادي قححح ماهي إلا أدلة اجتهادية أتى بها ليوفق رأيه مع بيت لبيد :
 لاقِ البَيْدِيَّ الكُّلابَ فاعْتَلِجَا سَيْلَ أَتْيَيْهِمَا لِمَنْ غَلَبَا
 فَدَعَدَعَا سُرَّةَ الرِّكَّاءِ كَمَا دَعَدَعَا سَاقِي الأَعَاجِمِ العَرَبَا
 وقد استوفيت ما يخص شعر لبيد في رسم (البدي) جهام .

والواقع أن ما أورده في تحديد الكلاب من النقول والشواهد الدالة على أنه هو الواقع بجانب ثهلان (وادي الشعراء) أقوى بكثير من آرائه الاجتهادية التي استدل بها على أنه وادي قححح ، وسأجيب على أدلته الثلاثة عما يناسب مقام كل منها بحول الله وقوته .

أولاً أن أهل المعاجم والمؤرخين لم يختلفوا في موضع وادي الكلاب ، بل كل أقوالهم يؤيد بعضها بعضاً في وصفه وفي تحديده ، وما قيل في

يوم الكلاب من الشعر يؤيد مقاله المؤرخون في تحديده ، فذكروا أن
المعارك في يومي الكلاب حول تَيْمَنَ وَحُدْنَةَ وَمُجِيرَاتِ :

ظَلَّتْ ضِبَاغُ مُجِيرَاتٍ يَلْدُنَ بِهِمْ وَأَلْحَمُوهُنَّ مِنْهُمُ أَيُّ الْحَامِ
حَتَّى حُدْنَةُ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا ضِبْعاً إِلَّا لَهُ جَزْرٌ شَلْوٍ مِقْدَامِ
هذه المواضع في أعلى وادي الكلاب (وادي الشعراء) شرق نَهْلَانَ .
ويقول ذُو الرُّمَّةِ :

فما شهدت خيل امرئ القيس غارةً بِشَهْلَانَ تَحْمِيَّ عَنْ ثُغُورِ الْحَقَائِقِ
أَثَرْنَا بِهِ نَقَعَ الْكَلَابِ : وَأَنْتَسَمُ تَشِيرُونَ نَقَعَ الْمُلتَقَى بِالْمَقَارِقِ
فأين هذه المواضع من وادي قحطح ؟ .

أما فيما يخص الوصف الجغرافي فإنَّ وادي قحطح يبدأ سيّله قريباً من
غَشِيرًا دَمَخٌ ثم يتجه جنوباً بين دَمَخٍ وبين الْعَلَمِ ماراً بين هَضْبَةٍ وَتِدَةٍ
وبين مَذَارِيبِ الْمِعْزَا ، ويدفع في مشائخِ مِجْدَلٍ في أعلا وادي السَّرَّةِ ، فهو
يَتَّجِه من الشمال إلى الجنوب وهو واد ضيق قليل المياه ، وليس أعلاه من
أسفله ببعيد ، وهذا الوصف يخالف ما وصف به المؤرخون وادي الكلاب
فقد ذكروا أن أعلاه مما يلي اليمن وأسفله مما يلي العراق وبين أدناه وأقصاه
مسيرة يوم ، وقالوا : انه واقع بين جَبَلَةٍ وَشَمَامٍ على سبع ليالٍ من اليمامة
وقالوا : أقبِلْ أَهْلَ الْيَمَنِ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِتَيْمَنَ نَزَلُوا قَرِيباً
مِنَ الْكَلَابِ - وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْكَلَابِ الثَّانِي - :

وفي وصف مياهه بالوفرة - قال النعمان بن الحسحاس لقومه في يوم
الكلاب الثاني : لا أعلم ماءً يجتمعهم الأَقْدَةُ : فارتحلوا وانزلوا قدة ،
وهو موضع يقال له الكلاب فارتحلوا حتى نزلوا الكلاب ، فهذه الصفات
تنطبق على وادي الشعراء الوفير المياه والمراعي ولا تنطبق بحال على وادي
قحطح ، ومن الملاحظ أنه قال : ووادي قحطح باق بهذا الاسم إلى هذا اليوم ،
والواقع أن وادي قحطح معروف بهذا الاسم قديماً وحديثاً ولا يزال يعرف به ،

وقد وقع فيه يوم من أيام العرب في الجاهلية يُسَمَّى يوم قحقح ويوم المألَّة ، والمألَّة فيما يبندو لي وادِ يُوَازِي وادي قحقح من الغرب يخرج من شرقي العَلَم ، قريب من قحقح وهذا اليوم له ذكر في كتب المعاجم وكتب المؤرخين ، ولم يقل أحد من المؤرخين أن وادي قحقح سُمِّي الكلاب ، أو أن يوم قحقح كان يُسَمَّى يوم الكلاب ، فيوم الكلاب الأول ويوم الكلاب الثاني ذكرهما المؤرخون بتفاصيلهما ، وهما يختلفان عن يوم قحقح وفي يوم قحقح قتل مسعود بن القريم فارس بكر بن وائل ، قتله حُشيش ابن نمران ، قال :

ونحن تركنا ابنَ القريم بِقُحُقُح صرِيحًا ومولاه المُجَبَّةَ لِلْفَمِ
هذا ما ذكره ياقوت .

وقال البكري : في رسم قحقح : وفيه أدركت بنو يربوع المُجَبَّةَ أحد بني أبي ربيعة ابن ذهل ، وكان أغار على سرح لهم فقتلوه وقتلوا عمرو بن القريم ، أحد بني شيان وقال سُحيم بن وَثِيل الرِّيَاحِي :
"ونحنُ تركنا ابنَ القريم بِقُحُقُح صرِيحًا ومولاه المُجَبَّةَ لِلْفَمِ
فهو يوم القحقح ، ويوم بطن المألَّة .

ويبدو لي أن وادي المألَّة هو الوادي المعروف هذا العهد باسم وادي الجلَّة ، وأن الجلَّة ، تحريف المألَّة لقربه من قحقح ، ولم أر أحدًا ممن كتبوا عن يومي الكلاب ذكر أن مسعود بن القريم قتل في يوم الكلاب أو ذكر أنه شهد يوم الكلاب ، ويوم قحقح لاصلة له بيومي الكلاب .

أما قوله إن المؤرخين قالوا : إنه يبعد عن طرف نهلان الجنوبي مسافة يوم أو أقل فأننا لم أر فيما اطلعت عليه من كتب المؤرخين من قال بذلك . ولا أعرف مصدره فيه . أما قوله : أنهم تقاتلوا في الكلاب وهم يشربون العويند ، والعويند ماء باق إلى اليوم بهذا الاسم ، فأننا قد اطلعت على كثير

من كتب المؤرخين ولم أرَ مَنْ ذكر ذلك ، وعلى افتراض أن أحداً منهم قال بذلك فإنه لا يعني ماء العويند الذي أشار إليه محمد بن بليهد الواقع في بلاد عمرو بن كلاب فإنه إنما يعني ماء العويند الواقع في بلاد بني نمير ، في بطن الكلاب ، و كلا المائين محدّدان في كتب المعاجم الجغرافية . قال ياقوت في كتابه « المشترك وضعاً والمفترق صقلاً » العويند : بضم العين وفتح الواو وباء ساكنة ونون مكسورة ودال مهملة :

العويند من مياه بني عمرو بن كلاب ، عن أبي زياد . والعويند من مياه بني نمير ببطن الكلاب ، عن أبي زياد أيضا . وذكر المهجري أن لباهلة ماء خارج عن سهلان في بطن الرشا ، يقال له العويند .

وقد رأينا أنه - رحمه الله - بذل جهداً ومحاولات اجتهادية لتقريب وادي الكلاب من وادي السرة وتقريب وادي السرة من الركاء ليوفق بين هذه المواضع وبين ما فهمه من شعر ليبيد :

لاقى البدي الكلاب فاعتلجا موج أتيتهما لمن غلبا
قد عدعنا سرة الركاء كما دعدع ساق الأعاجم الغريا
مع أن المفهوم من الشعر أن سرة الركاء وسطه ، وسرة الوادي معظمه .
أما ما ذكره بعض المؤرخين أن الكلاب بين البصرة والكوفة فإن هذا التحديد مقيّد بقولهم على سبع ليال أو نحوها من اليمامة .

أما تسمية هذا الوادي بهذا الاسم ، فقد ذكر بعض المؤرخين انه سمي به لما لَقُوا فيه من الشر . أي أنه إنما سُمي بهذا الاسم بعد وقوع المعارك الحربية فيه ، ولكن الذي يفهم من سياق خبر أيام الحرب أنه كان يسمّى وادي الكلاب قبل وقوع الحرب فيه ، وأن قلة موضع من مواضعه .

قال صاحب « العقد الفريد » فيما نقله عن أبي عبيدة : اختلف شرح جليل

ومسلمة في المَلِكِ فتواعدا الكلاب ، فاقبل شرحبيل في ضَبَّة والرَّباب كلها وبَنِي يربوع وبكر بن وائل . وأقبل مسلمة في تغلب والنمر وبهراء ومن تبعه من بني مالك بن حَنْظَلَة وعليهم سفیان بن مجاشع وعلى تغلب السَّفاح .

وانما قيل له السَّفاح لأنه سفح أوعبة قومه . وقال لهم : ابدروا إلى ماء الكلاب . فسبقوا ونزلوا عليه ، وإنما خرجت بكر بن وائل مع شرحبيل لعداوتها لبني تغلب ، فالتقوا على الكلاب واستحَرَّ القتل في بني يربوع وشدَّ أبو حنشل على شَرْحِبِيلَ فقتله . وكان شرحبيلُ قد قتل حَنْشًا فأراد أبو حنشل أن يأتي برأسه إلى مسلمة فخافه فبعثه مع عَسِيفٍ له . فلما رآه **المسلمة دمعت عيناه فقال له : أنت قتلته ؟ قال : لا ولكنه قتله أبو حنشل .** فقال : إنما أَدْفَعُ الثواب إلى قاتله وهرب أبو حنشل عنه فقال مسلمة :

ألا أبلغُ أبا حنشلِ رَسُولاً فما لك لا تَجِيءُ إلى الثوابِ ؟
تَعَلَّمُ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيْتًا قَتِيلٌ بَيْنَ أَحْجَارِ الْكُلابِ
نَدَاعَتْ حَوْلَهُ جُشْمُ بَنُ بَكْرِ وَأَسْلَمَهُ حَمَامِيْسُ الرَّبابِ

هذا ما ذكر في سياق خبر يوم الكلاب الأول ، وهو يفيد أنهم تواعدوا ماء الكلاب وأنهم التقوا فيه ، وأن مسلمة قال شعره حين بلغه قتل شرحبيل وقد ذكر الكلاب باسمه ، وهذا يدلُّ دلالة واضحة على أنه كان معروفاً بهذا الاسم قبل وقوع الأيام الحربية فيه .

وقال في خبر يوم الكلاب الثاني : قام النعمان بن الحسحاس فقال :
يا قوم انظروا ماء يجمعكم ، ولا أعلم ماء يجمعكم إلا قدة فارتحلوا وانزلوا قدة ، وهو موضع يقال له الكلاب . فلما سمع أكثم ابن صَيْفِي كلام النعمان قال : هذا هو الرأي ، فارتحلوا حتى نزلوا الكلاب . وبين أدناه وأقصاه

مسيرة يوم . وأعله مما يلي اليمن وأسفله مما يلي العراق ، فنزلت سعد
والرَّبابُ في أعلا الوادي ونزلت حنظلة بأسفله .

وقال ياقوت في تحديد قدة : قدة بالكسر ثم التشديد بلفظ واحدة
ألفيد من اللحم : اسم مائة بالكلاب ، وقيل قدة بوزن عده اسم الماء الذي
يسمى بالكلاب ، ومنه ماء في يمين جبلة وشام .

قلت : يتضح من سياق الأخبار الواردة في ذكر الكلاب أنه اسم للوادي
وأن قدة اسم ماء فيه ، وأنه معروف بهذا الاسم قبل وقوع اليومين الحربيين
فيه

تقدم قول ياقوت : إنه علم مرتجل غير منقول .

وقد وقع في هذا الوادي أيام شهيرة للعرب المتأخرين ، من أشهرها
يوم سَناف الطراد وقع في أعلاه بجانب هضبة نيمًا بين قبيلة الدواسر ومعهم
اخلاط من قحطان (وبين عتيبة) استمرت معاركه أياماً وقتل فيه خلق
كثير ، وانتصرت فيه قبيلة عتيبة . ومنها المعارك الأولى ليوم مناخ
عرجة الشهير ، بعضهم يسميه مناخ الشعراء لأن معارك الأيام الأولى
دارت فيها ، ولأن قبائل عتيبة المحاربة كانت قاطنة في هذا الوادي ،
وبعضهم يسميه مناخ الدوامي لان المعارك أزاحتها قبائل عتيبة إلى
الدوامي وبعضهم يسميه مناخ عرجة لأن المعارك الأخيرة الحاسمة دارت
بقرب عرجة .

وهذه الحرب دارت بين قبائل عتيبة من ناحية وكانوا قاطنين في وادي
الشعراء ، وبين حربٍ ومطيرٍ وقحطان من ناحية ، وحرب كانوا في عرجة
ومطير في الدوامي وقحطان في الحسرج .

سعد بن عبد المطلب بن هاشم

كيف كان ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب

هذا العنوان ليس في حقيقة الأمر عنواناً لهذا المقال أو التقرير وإنما هو عنوان لمخطوطة موجودة في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٦٠٦١ . والمخطوطة المذكورة مكونة من أربع وخمسين صفحة ، في كل صفحة منها اثنا عشر سطراً . وهي مكتوبة بخط رقعة صغير الحجم جميل الشكل لكنه كثير الأخطاء من الناحيتين الإملائية والنحوية بدرجة لا تحتاج إلى الإشارة إلى أماكنها .

واسم مؤلف هذه المخطوطة غير مذكور . وليس في داخلها ما يدل الباحث إلى معرفته أو معرفة البلدة التي ينتمي إليها . بل ليس من الواضح ما إذا كانت هذه النسخة الوحيدة - حسب المعلومات المتوفرة الآن - قد كتبت بخط مؤلفها نفسه أم بخط أحد النساخ . وإذا كان ما فيها كلام مؤلفها فإنه يدل بوضوح على أن ذلك المؤلف ليس نجدياً ولا مطلعاً على كتب جغرافية بلدان الجزيرة العربية وتاريخها ؛ لأنه يخطئ كثيراً في أسماء بعض المدن النجدية المشهورة . ومن أخطائه فيها حذف آل من أوائل أسماء بلدان اشتهرت بها مثل العيينة والدرعية والرياض ؛ وإن كان ذكر أسماء هذه البلدان صحيحة في حالة واحدة [ص ٥٠] .

وقد استعمل بعض التعبيرات التي كثيراً ما استعملها أهل نجد مثل كلمة « طارش » بمعنى رسول أو مندوب [ص ٢١] . ولكن هذه التعبيرات قد تكون مستعملة في مناطق أخرى غير نجد . كما أنه يستعمل تعبيرات لا يستعملها النجديون ، وإنما يستعملها سكان بلاد الشام وما

حوها مثل كلمة عُمان في قوله : (وَجَدَ أَنْ أَبِيهِ - هَكَذَا - عَمَّالٌ بِرَنْشِي) [ص ١] . وسن استعماله لهذه التعبيرات وأخطائه في أسماء المدن النجدية يحتمل جداً أن يكون من سكان سوريا أو ما جاورها .

ومن الواضح أن هذا المؤلف مؤيدٌ كلُّ التأييد للشيخ محمد بن عبد الوهاب وأنصار . فهو بالنسبة إليه شيخ الإسلام ، كما يدل على ذلك عنوان كتابه . وبعونه التي نادى بها هي الإسلام ذاته ؛ فهو حين يتكلم عن قفار يقول إن أهلها كانوا يتحاربون قبل الإسلام ، ومن بعد الإسلام حكم عليهم ابن سعود فصاروا إخوانا [ص ٤٣ - ٤٤] . وهو يصف الشيخ بأنه كان عظيم الجهاد ، ولا ينام الليل من أجله ، وأنه كان يؤثر الضغاء على نفسه [ص ١٣ - ١٤] . وحينما يذكر أنصار الشيخ يصفهم بالمسلمين ويصف خصومهم بالمشركين [ص ٣ و ٢١] . وإذا ذكر قتلى أتباعه في المعارك مع أعدائهم قال : نسأل الله أن يسكنهم الجنة برحمته [ص ١٢] . ويدعو للحج من زعماء أنصار محمد بن عبد الوهاب بالنصر وطول البقاء [ص ١٩ و ٥١] . كما يدعو للمبیت منهم بالرحمة [ص ٧] .

ورغم أنه واضح التأييد لدعوة الشيخ محمد التي يصفها بأنها مذهب نبينا صلى الله عليه وسلم [ص ٢٠] إلا أنه استعمل من التعبيرات ما هو غير سائغ لدى أنصارها مثل دعائه بجاه النبي صلى الله عليه وسلم [ص ٥١] .

ويبدو أن الكتاب لم يلبس في نثره واحدة لأن مؤلفه قال مرة عن عبد العزيز بن سعود : أطال الله لنا بقاءه [ص ٥١] مما يشير إلى أن عبد العزيز كان لا زال حياً آنذاك . وقال مرة أخرى عنه : رحمة الله عليه [ص ٥٢] مما يوحي بأنه كان قد توي .

وقد تعرض مؤلف هذا الكتاب للأحداث التي وقعت منذ ظهور الشيخ

محمد بن عبد الوهاب حتى استيلاء آل سعود على الحجاز . ولم يشير إلى الحملة المصرية العثمانية التي قضت على دولتهم الأولى .

وطريقة تسجيله للحوادث ليست قائمة على ذكر حوادث كل سنة بذاتها ، كما فعل ابن غنام وابن بشر والفاخري وأمثالهم ، بل إنه لم يربط أية حادثة بسنة معينة ، وإنما تكلم في بداية الكتاب عن الشيخ محمد وتحركاته الأولى بصفة عامة . ثم بدأ يتكلم عن غزوات أنصاره ، مبتدئاً بعبد العزيز بن محمد آل سعود ، ضمن فصول يبلغ عددها تسعة وثلاثين فصلاً . وأكثر هذه الفصول قصير جداً ولا يحتوي إلا على ملخص غزوة واحدة . ويتكلم في نهاية الكتاب عن بعض البارزين من أمراء المناطق الخاضعة للدرعية ، محدداً البلدان التابعة لهم من الناحية الإدارية وما يمكن أن يجنّده كل واحد منهم من رجال وقت الحرب .

وعدم ذكر المؤلف للسنوات حين كلامه عن الحوادث المختلفة يجعل الفائدة التي يمكن أن تجني من الكتاب أقل بكثير مما لو ذكرها . ولهذا فإنه لا يمكن أن يستفاد مما فيه دون مقارنته بالمصادر المشهورة لتاريخ هذه المنطقة . والكتاب رغم ما فيه من أخطاء كثيرة واضحة فإنه لا يخلو من بعض الأمور التي تضيف إلى ما في المصادر الأخرى شيئاً من التفسير والتعليل أحياناً . وهذان الأمران قابلان مع ذلك للرفض أو القبول ، شأنهما شأن كثير مما ذكره المؤرخون الآخرون .

فمن النقاط التي يشير إليها هذا الكتاب سبب الخلاف بين الشيخ محمد عبد الوهاب وأبيه . فابن بشر يذكر فقط أن الشيخ حين جهربدهوته وقع بينه وبين أبيه كلام لكنه لا يذكر سببه ^(١) أما مؤلف هذه المخطوطة فيقول : إن عبد الوهاب كان يرثي فأنكر عليه ابنه فطرده من

(١) انظر عنوان المجلد في تاريخ نجد ، الطبعة الثانية لوزارة المعارف السعودية ، ١٣٩١ ج ١ ص ٢١ .

بيته [ص ١] ومن المعروف أن الشيخ محمد عبد الوهاب اعتبر ما كان يأخذ به بعض القضاة النجلية من المتخصصين مقابل الفصل بينهم رشوة . وكانت هذه المسألة من المسائل التي دار نقاش بينه وبين خصومه حولها ^(١) ومع ترجيح نزاهة عبد الوهاب فإن هذه المسألة تبقى محتملة لأن تكون من بين أسباب الخلاف بين الأب وابنه على الأقل من الناحية النظرية .

ومن بين ما ذكره هذا المؤلف أن الشيخ ذهب من البصرة إلى المدينة المنورة ، ثم عاد منها إلى حرملاء [ص ٥٢] . وهو في هذا يتفق مع ظاهر ما رواه حفيد الشيخ عبد الرحمن بن حسن عن خط أسفار جده ^(٢) ، خلافاً للمشهور عن تلك الرحلات من أنه لم يذهب من البصرة إلى المدينة وإنما خرج منها إلى نجد ، ماراً بالأحساء . ^(٣)

ومن محاولاته لتعليل الحوادث - مثلاً - قوله : إن دعوة الشيخ لم تنجح في العراق لأن سكانها مفتونون في حب الدنيا ، ولم تنجح في المدينة لأن أهلها مفتونون في عبادة الأوثان ^(٤) ، ولم تنجح في حرملاء لأن أهلها مختلفون وعلمهم لا يتجاوز ثلاثمائة رجل ، وكل واحد منهم يقول : أنا الرئيس . ولكنها نجحت في العيينة لأنها بلد حكم وكبيرها شيخ وادي حنيفة [ص ٥] . ويعلل موقف عثمان بن معمر غير الحاسم من أهل ثرمداء بأنهم أخواله ^(٥) [ص ٦] ، كما يعلل انتصار دعوة الشيخ بالجهاد الذي جعلته أساساً لها [ص ١٣ - ١٤] .

وحين يتكلم هذا المؤلف عن حادثة الزانية التي رجمها الشيخ محمد في العيينة يقول : إنه قد حضر رجمها أحد أولاد حاكم الأحساء الذي كان صاحب معصية فغضب وكتب إلى عثمان بن معمر ليقتله أو يرسله إليه ،

(١) انظر حسين بن قنم : « روضة الأفكار والأفهام » . . القاهرة ١٣٦٨ ج ١ ص ١٨٦ و ١٢٣ - ١٢٦ .

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ط ٢ ، ١٣٨٨ ، ج ٩ ص ٢١٦ .

(٣) ابن بشر المصدر السابق ج ١ ص ٢٠ - ٢١ .

(٤) واضح أنه لا يمكن قبول كلامه هنا . ومن المعلوم أن الشيخ لم يكن له نشاط في المدينة مثل

نشاطه في البصرة . (٥) ابن بشر ، المصدر السابق ج ١ ص ٢٦ .

لكن ابن معمر بعثه إلى ابن سعود في الدرعية [ص ٦٦] . وهو في هذا يتفق مع بعض ما ذكره مؤلفون آخرون عن هذه الحادثة^(١) .

ومع افتراض صدق ما ذكره هؤلاء المؤلفون من عدم استقامة سليمان ابن محمد زعيم بني خالد وحاكم الأحساء فإنه من المستبعد أن يكون رجم الزانية السبب الوحيد في حد ذاته لغضبه ؛ لأنه من الممكن أن يكون الحاكم غير مستقيم ومع ذلك لا يغضب من تنفيذ الأحكام الشرعية ، بل ربما نفذ هو نفسه تلك الأحكام مع عدم استقامته .

والمعروف أن إقدام الشيخ على رجم المرأة المذكورة كان من بين المسائل التي أدخلها عليه خصومه بحجة أن مثل ذلك الحد لا ينفذه إلا الامام أو نائبه ، والشيخ ليس إماماً ولا نائباً له . وكان رده عليهم واضحاً وهو أن لكل متغلب على قطر تنفيذ أحكام الشريعة وإلا تعطلت^(٢) . ومن هنا فإن موضوع الزانية قد يكون من الأمور التي أثارها خصوم الشيخ من العلماء أمام حاكم الأحساء . وكان نجاحهم في إقناعه بوجوب الحد من حركة ابن عبد الوهاب سبباً في كتابته إلى عثمان بن معمر ليتخلص منه .

وعند كلام هذا المؤلف عن هروب دهام بن دواس من الرياض يؤيد ما ذكره كل من ابن غنام^(٣) وابن بشر^(٤) من اتجاهه نحو الدلم ، ويضيف إلى ذلك قوله بأن دهاماً سار من عند زيد بن زامل إلى الأحساء مقر زعيم بني خالد [ص ١٦٦] . وروايته هذه تؤيد الرواية الشعبية التي تقول إن حاكم الأحساء لام أمير الرياض على هروبه أمام هجمات آل سعود وأتباعهم فاستشاره بقوله : إنني صبرت على مجابهة الدرعية

(١) ابن غنام ، المصدر السابق ج ١ ص ٢-٣ ، مع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق أحمد أبي حاكمة ، بيروت ١٩٦٧ ، ص ١٦٠ .

(٢) ابن غنام ، المصدر السابق ج ١ ص ٢٠٣ و ٢٠٧ .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٨٥ . (٤) المصدر السابق ج ١ ص ٧٧ .

٢٨ سنة فقاتلها ٢٨ يوماً ١ . وربما كانت تلك الاستشارة عاملاً نفسياً
أضيف إلى عوامل أخرى جعلت الحاكم الأحصائي يقوم بغزو المناطق التابعة
للدرعية بعد بضعة شهور ، كما هو معروف ^(١) .

وبلاحظ أن تركيز المؤلف على المناطق الشمالية والشمالية الغربية من
جزيرة العرب أكثر من تركيزه على المناطق الأخرى ، مقارنة بالمصادر
المشهورة عن تلك الفترة ؛ فهو يذكر معلومات عن جبل شمر ورئيسه
من محمد بن علي أكثر مما فعل غيره ، من ذلك ما قام به حُجَيْلَان بن حمد حين
استسلام حائل له : فقد انفرد هذا المؤلف بذكر بعض الإجراءات التي قام
بها حُجَيْلَان هناك مثل قتله لساحر كان في تلك البلدة [ص ٢٢] .

ومما ذكره عن نشاط محمد بن علي أمير الجبل غزوه لِتَيْمَاء
وإدخالها تحت نفوذ الدرعية [ص ٢٢] ، وغزوه لجهات العراق حيث أخذ
قوماً يسمون البَيْعِج [ص ٣١] وإغارته على قبائل حول خيبر حيث غنم
منها ٢٥٠٠ بعير ، كما ذكر غزوه للشرارات في منطقة الجوف وفشله في
محاولته الأولى ، ثم مشاركته مع محمد بن مُعَيْقِل في غزوة ناجحة بعد
ذلك [ص ٤٦] . كما يذكر أن جَبَّة وتَيْمَاء كانتا من بين المناطق
التابعة لإداريا لأمير الجبل [ص ٤٧] .

ومهما يكن من أمر فإن الكتاب - كما ذكر سابقاً - يحتوي على
كثير من الأخطاء ، بما في ذلك الأخطاء التاريخية وأسماء بعض القادة
والمدن ، ولكنه مع ذلك كله لا يخلو من فائدة . واستعانة الباحث في تاريخ
هذه البلاد بكل ماتقع عليه يده - مهما كان نفعه ضئيلاً - أمر ضروري .

الدكتور عبد الله القشيم

(١) انظر ابن خنم ، المصدر السابق ج ٢ ص ٨٩ .

من جبال القصيم :

جَبَل خَزَاز

خَزَازُ - بفتح الخاء أوله ثم زاي مفتوحة فألف فزاي ثانية : جبل أحمر واقع إلى الجنوب من الرُّس على بعد ٤٩ كيلا ويبعد عن بلبه دخنة نحو خمسة أكيال قال البكري : جَبَلٌ لِنَيْي^(١) وهو جبل أحمر ، وله هضبات حمر . وقد ذكره عمرو بن كلثوم بقوله :

ونحن غداة أو قد في خزازٍ رَفَدْنَا فوق رَفَدِ الرافدينَا
وفي أصل خزار : ماءٌ لِنَيْي . يقال له : خزازه . وخزار في ناحية مَنعج^(٢)
دون إمرة^(٣) وفوق عاقل^(٤) على يسار طريق البصرة إلى المدينة^(٥)
ينظر إليه كل من سلك الطريق هذا قول السكوني . أقول هذا صحيح
وحدّد أبو عمرو خزازاً فقال : هو جبل مستقبلك^(٦) ، قريب من إمرة عن
يسار الطريق ، خلف صحراء منعج أقول : صحراء منعج إلى الشمال من
دخنة تسمى الآن السهب سهب الظاهرية وعلى هذا فهي خلف خزاز لمن
يكون في الحجاز . قال : ولولا عمرو بن كلثوم ما عرف يوم خزاز .
وهو أول يوم امتنعت فيه معد ، من ملوك جَمِير ، أي أول يوم
انتصر فيه النجديون على اليانبة - أوقدوا ناراً على خزاز ثلاث ليالٍ ،
ودخنوا ثلاثة أيام .

(١) غي من قبيلة باهلة .
(٢) راجع رسم ملج .
(٣) راجع رسم أمره .
(٤) راجع رسم العاقل .
(٥) كذا وهو غلط بلا شك سخته (إلى مكة) إذ طريق البصرة إلى المدينة يمر بشمال القصيم
يمر على أمثال والفواراة (بالفاء) وقطن .

ثم قال : وقد ذكر خزاز وعرفه مهلهل ولبيد وزهير بن جناب وغيرهم ، قال زهير :

شهدتُ الواقدين على خزاز وبالسلان جمعا ذا هواء ^(١)

أقول :

ملخص يوم خزاز كما ذكره ابن الأثير أن ملكا من ملوك اليمن كان في يديه أسارى من مضر وربيعة وقضاة ، فوفد إليه وفد من وجوه بني معد فاحتبس الملك عنده بعض الوفدرهينة ، وقال للباقيين : ائتوني برؤساء قومكم لأخذ عليهم المواثيق بالطاعة لي ، وإلا قتل أصحابكم ، فرجعوا إلى قومهم ، فأخبروهم الخبر ، فبعث كليب وائل إلى ربيعة فجمعهم ، واجتمعت عليه معد ، فسار بهم ، وأمرهم أن يوقلوا على خزاز نارا ليتهتلوا بها وخزاز : جبل بطخفة ما بين البصرة إلى مكة ^(٢) وهو قريب من متالع ^(٣) جبل أيضا . وقال : إن غشيتكم العدو فاقلدوا نارين .

فبلغ مذحجا اجتمع ربيعة ومسيرها ، فأقبلوا بجموعهم ، واستنصروا من يليهم من قبائل اليمن فساروا إليهم ، فلما سمع أهل تهامة بمسير مذحج انضموا إلى ربيعة .

ووصلت مذحج إلى خزاز ليلا ، فرفع السفاح التغليبي وكان على مقدمة جيش ربيعة نارين ، فلما رأى كليب النارين أقبل إليهم بالجموع فصببهم ، فالتقوا بخزاز ، فاقتتلوا قتالا شديدا أكثروا فيه القتل ، فانهزمت مذحج ، وانفضت جموعها ، فقال السفاح في ذلك :

(١) كذا فيه وفي البعض النسخ (ذا زهاء) ولعله الصحيح .

(٢) في العبارة اضطراب لعل صحتها (وخزاز جبل قبل طخفة من البصرة إلى مكة أو السائر من البصرة إلى مكة .

(٣) في الأصل « متالع » والصحيح ما أثبتناه وبسمى هذا الجبل الآن (أم سنون) وكان قديما يسمى متالع راجع رسم (أم سنون) .

وليلة بيت أوقد في خزاز هديت كتابها منحيرات
خللن من السهاد، وكن لولا سهاد القوم أحسب هاديات
ثم قال ابن الأثير : قيل إنه لم يعلم من كان الرئيس يوم خزاز لأن
عمرو بن كلثوم ، وهو ابن ابنة كليب يقول :

ونحن غداة أوقد في خزاز : قدنا فوق رقد الرافديننا
فلو كان جدّه الرئيس لذكره ، ولم يفتخر بيّته رقد ، ثم جعل من
شهد خزازا متساندين فقال :

فكنا الأيمنين إذ التقينا وكان الأيسرين بنو أئينا
فصالوا صولة فيمن يليهم وصلنا صولة فيمن يلينا
فقالوا له : استأثرت على إخوتك - يعني مضر - ولما ذكر جدّه في
القصيدة قال :

ومنا قبله الساعي كليب فأيّ المجد إلا قد ولينا
فلم يدع له الرياسة يوم خزاز وهي أشرف ما كان يفتخر له به^(١)
أقول : قد صرح ياقوت رحمه الله بذكر الرجل الذي أبهم ابن الأثير
اسمه فذكر أنه أبو زياد الكلابي كما تكفل ياقوت بالردّ عليه قال
وقال أبو زياد الكلابي : أخبرنا من أدركناه من مضر وربيعه أن
الأحوص بن جعفر بن كلاب كان على نزار كلها يوم خزاز ، قال :
وهو الذي أوقد النار على خزاز ، قال وأخبرنا أهل العلم من الذين أدركنا
أنه على نزار الأحوص بن جعفر . ثم ذكرت ربيعة ههنا أخيراً من الدهر
أن كليبا كان على نزار ، وقال بعضهم : كان كليب على ربيعة والأحوص
على مضر ، قال : ولم أسمع في يوم خزاز شعراً إلا قول عمرو بن كلثوم :
ونحن غداة أوقد في خزازي رقدنا فوق رقد الرافديننا

(١) الكامل ج ١ ص ٥٢٠ - ٥٢٢ .

برأس من بني جشم بن بكر ندى به السهولة والحزونا
تهلدا وتوعدا ، رويداً متى كنا لأمك مقتويننا
قال : وما سمعناه سمي رئيسا كان على الناس .

قال ياقوت ، قلت : هذه غفلة عجيبة من أبي زياد بعد إنشاده : برأس
من بني جشم بن بكر

وكليب اسمه وائل بن ربيعة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب
ابن غنم بن تغلب بن وائل . . وهل شيء أوضح من هذا ؟ ! .

أقول : ربما كان الدافع لأبي زياد على قول ما قاله حبه لمجد قومه بني
كلاب وليس الغفلة كما ظنها ياقوت رحمه الله ، وإلا فقد قيل من الشعر
في خزاز ما لا نظن أنه يخفي على مثل أبي زياد وسنورد بعضه إن شاء الله
ولعل أبا زياد الكلابي اطلع على هذا الخبر المنسوب إلى أبي عمرو بن
العلاء والذي أرى عليه علامات الوضع لاسيما وهو قد روى في سياق المفاخرة
والمنازعة على الرئاسة وهي كثيراً ما تبني على ذلك في معرض اسكات الخصم
وهذا نصه : تنازع عامر ومسمع ابنا عبد الملك ، وخالد بن جبلة ، وابراهيم
ابن محمد بن نوح العطاردي وغسان بن عبد الحميد ، وعبد الله بن سلم
الباهلي ، ونفر من وجوه أهل البصرة كانوا يتجالسون يوم الجمعة
ويتفاخرون ، ويتنازعون في الرياسة يوم خزاز فقال خالد بن جبلة : كان
الأحوص بن جعفر الرئيس ، وقال عامر ومسمع : كان الرئيس كليب
ابن وائل . وقال ابن نوح : كان الرئيس زُرارة بن علس . وهذا في مجلس
أبي عمرو بن العلاء . فتحاكوا إلى أبي عمرو ، فقال : ماشهلهما عامر بن
صعصعة ، ولا دارم بن مالك ، ولا جشم بن بكر ، اليوم أقدم من ذلك :
ولقد سألت عنه منذ ستين سنة فما وجدت أحداً من القوم يعلم من رئيسهم

ومن الملك غير أن أهل اليمن كان الرجل منهم يأتي ومعه كاتب وطنفسة^(١) يقعد عليها ، فيأخذ من أموال تزار ماشاء ، كعمال صدقاتهم اليوم ، وكان أول يوم امتنعت معد عن الملوك ملوك حَمِيرَ ، وكانت نزار لم تكثر بعد ، فأوقدوا ناراً على خزاز ثلاث ليالي ، ودخنوا ثلاثة أيام . . فقبل له : وما خزاز ؟ قال : هو جبل قريب من إمرة على يسار الطريق ، خلفه صحراء منعج يتأوحه كور^(٢) وكوير إذا قطعت بطن عاقل ، ففي ذلك اليوم امتنعت نزار من أهل اليمن أن يأكلوهم ، ولولا قول عمرو بن كلثوم ما عرف ذلك اليوم حيث يقول :

ونحن غداة أوقد في خزاز رقدنا فوق رقد الرافديننا
فكننا الأيمنين إذا التقينا وكان الأيسرين بنو أبينا
فصالوا صولة فيمن يليهم وصلنا صولة فيمن يلينا
فأبوا بالنهب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصفديننا

قال أبو عمرو بن العلاء : ولو كان جدّه كليب بن وائل قائدهم ورئيسهم مادعى الرقادة ، وترك الرياسة ، وما رأيت أحداً عرف هذا اليوم ولا ذكره في شعره قبله ولا بعده (١) .

وهذا إخباري مشهور يعول الاخباريون على قوله ، ويتتبعون كلامه ينكلم على نتائج يوم خزاز ورياسة كليب فيه وهو ابن الكلبي .

قال هشام بن محمد الكلبي : لم تجتمع معد كلها إلا على ثلاثة رهط من رؤساء العرب وهم عامر ، وربيعة ، وكليب . إلى أن قال : والثالث : كليب بن ربيعة ، وهو الذي يقال فيه (أعز من كليب وائل) وقاد معداً كلها يوم (خزاز) ففصّ جمع اليمن وهزمهم ، فاجتمعت عليه معد كلها

(١) لعل صواب الأصل : كير وهو جبل إلى الشمال من خزاز ميثاق ذكره في حرف الكاف

(٢) المقد الفريد ج ٦ ص ٨٤ .

وجعلوا له قَسَمَ الملك وتاجه ونجيسته وطاعته ، فَغَبَّرَ^(١) بذلك حيناً من
دهره ، ثم دخله زَهْوٌ شديد ، وبغى على قومه ، لما هو فيه من جِرْه ، وانقياد
مَعْدٌ له ، حتى بلغ من بغيه أنه كان يحمى مواقع السحاب فلا يُرعى حماه ،
ويجبر على الدهر فلا تُخْفَر ذمته ، ويقول . وحشُ أرضِ كذا في جواري
فلا يُهاج ، ولا تورِد إبل أحد مع إبله ، ولا توقد نارٌ مع ناره ، حتى
قالت العرب : أعز من كليب وائل^(٢)

وماء خزازة الذي ذكر البكري أنه في جبل خزاز يوجد أثره الآن في
غربي جبل خزاز ولكنه ماء رسٌ أي قليل ينقطع إذا احتبس المطر ، وربما
كانت خزازة تلك كان فيها آبار محضرة قلعة قد درست . .

وقال لغدة : بجنب منبع خزاز وهو جبل^(٣) .

أقول : وهذا صحيح لأن منبعها هو وادي دُخْنَة الذي كان يعرف في
العصور الوسطى في جزيرة العرب باسم ملعج ثم أصبح الآن يشتهر في نجد
باسم دخنة يقع إلى الشمال من هجرة دخنة وقال في موضع آخر : وتنظر إذا
أشرفت رامة إلى خزاز والأنعميين ، ومتالع^(٤) ، أقول : هذا صحيح فأنت
تري خزارا وأم سنون التي هي متالع قديما والأنعميين وقال ياقوت : خزاز
وخزازي : هما لغتان . كلاهما بفتح أوله ، وزايعين معجمتين . قال
أبو منصور وخزازي مشكل في النحو ، وأحسنه أن يقال : هو جمع سُمي به
كَعْرَاعر ، ولا واحد له من لفظه ، وقال الحارث بن حِلْزَة

فَتَنَوَّرْتُ نَارَهَا مِنْ بَعِيدِ بِخَزَازِي ، هِيَهَاتَ مِنْكَ الصَّلَاةِ

ثم قال ياقوت : واختلفت العبارات في موضعه ، فقال بعضهم : هو
جبل بين منبع وعائل^(٥) بإزاء حمى ضريبة .

(١) غبر : مضى وفات . (٢) المقدم الفريديج ٦ ص ٥٩ - ٦٠ . (٣) بلاد العرب
ص ٢٨٥ . (٤) ص ٢٨٦ وعن متالع انظر رسم (أم سنون) . (٥) هو العائل الآن

أقول : جميع الأقوال التي ذكرها ياقوت تصدق على خزاز ، هذا الجبل
الباقى على اسمه قرب بلدة دخنة مع اختلاف عباراتها ماعدا عبارة مختصرة
نقلها عن ابن الحائك - وهو الهمداني صاحب « صفة جزيرة العرب » قال :
وكثير من الناس يذكر أن خزاز هي المهجم من أسفل وادى سُردد .
أقول : ومثل ذلك ذكره البكري عن الهمداني فقال : قال الهمداني :
خزازى هي المهجم .

وقد رجعت إلى « صفة جزيرة العرب » للهمداني فوجدته يورد هذا
القول على سبيل الرد عليه ، وليس على سبيل تقريره . قال : وقد يرى قوم
من الجهال أن ديار ربيعة بن نزار كانت من تهامة ، بسردد^(١) وبلد لعسان من
عك ، وأن تبعاً أقطعهم هذه البلاد لما خالفوه ، وهذا من الأخبار المصنوعة
لأن الملوك أجل من أن يحالفوا الرعايا ، وإنما بنوا هذا الخير على وهم وهوى
فقالوا : في المهجم وهي خزة خزازى ، وفي الأنعم الأعممين ، وفي الذنابت
الذنائب وفي العارض ، عويرض^(٢)

ويدل على ذلك قوله في مكان آخر بعد أن أنشديت الجارث بن حنزة .
قال : خزازى جبل في نجد

فتنورت نارها من بعيد بخزازى هيهات منك الصلاة

هذا هو نص كلامه كما وجدته في النسخة المطبوعة من « صفة جزيرة
العرب » وهي نسخة كثيرة التحريف إلى درجة أنه لا يمكن الاطمئنان إلى
ما فيها اطمئنانا كاملا .

ويجوز أن يكون قول الهمداني هذا في كتاب آخر من كتبه غير « صفة
جزيرة العرب » والله أعلم .

قال ياقوت : قال أبو عبيدة : كان يوم خزاز يعقب السلان ، وخزاز

(١) صفة جزيرة العرب ص ١٧٣ (٢) صفة جزيرة العرب ص ٢٣٠ .

وكبير ومتالع أجيال ثلاثة بطمخفة ، ما بين البصرة إلى مكة . فمتالع عن
يمين الطريق للذاهب إلى مكة ، وكبير عن شماله وخزاز بنحور الطريق ، إلا
أنه لا يمر الناس عليها ثلاثتها . أقول هذا صحيح . وقيل : خزاز^(١) : جبل
لغاضرة خاصة .

أقول : غاضرة هم من بني أسد وهناك غاضرة من بني صعصعة من
هوازن فهذا مشكل وإنما خزاز واقع في بلاد غني مما يؤيد أن هذا القول وهم .
ثم قال ياقوت : وغلط الجوهري فيه غلطا عجيبا فإنه قال : خزاز جبل
كانت العرب توقد عليه غداة الغارة ، فجعل الإيقاد وصفاً لازماً له ، وهو
غلط . إنما كان ذلك مرة في وقعة لهم .

ثم نقل كلاماً لأبي زياد الكلبي عن قصة يوم خزاز ومنه قوله : يوم
خزاز أعظم يوم التفتته العرب في الجاهلية .

وقال أبو زياد الكلبي : حدثنا من أدر كناه من كنا نشق به بالبادية
أن نزاراً لم تكن تستنصف من اليمن ، ولم تزل اليمن قاهرة لها في كل
شيء حتى كان يوم خزاز فلم تزل نزار ممتنعة قاهرة لليمن في يوم يلتقونه
بعد خزاز حتى جاء الإسلام^(٢) .
أشعار قديمة في خزاز :

قال ليبيد بن ربيعة رضي الله عنه^(٣) :

ومصعلمهم كمي يقطعوا بطن منعج فضاق بهم ذرعا خزاز وعافل
وقال آخر^(٤) :

تذكر متى خطوبيا مصت ريوم الإباء ، ويوم الكئيب
ويوم خزاز وقسد أجموا وأشرطت نفسي بأن لأثوب^(٥)

(١) أي جهة الشمال . (٢) « معجم البلدان » : خزاز .

(٣) البكري : رسم « خزاز » . (٤) الحيوان ج ٦ ص ٤١٧ .

(٥) الاشرط : أن يجعل لنفسه علامة يعرف بها ، وأثوب من ثاب يشوب إذا رجع .

وقال أوس بن حجر^(١)

وبالأُنَيْعِمَ يوماً قد تحلُّ به
لدى خزاز ، ومنها مَنْظَرٌ كبير
أي أنت في الموضع الذي ترى منه كثيراً ، والأُنَيْعِمَ : واحد الأُنَيْعِمِينَ
وهما جبيلان صغيران واقعان بقرب مدينة الرُّسِّ ، يسميان (القيشيعين) فمن
يكون بقرب خزاز يرى كثيراً ومن يكون بقرب القشيعين يرى خزازاً وكثيراً.
وقال القتال الكلابي^(٢) :

وما إن تُبَيَّنَ الدَّارُ شيئاً لسائل
على آلة ما ينبري لي مساعد
تجوب على ورق لمن حمامة
وسُفْعٌ كذود الهاجري بجمع
مواثيل سادمت خزاز مكانها
تمشى بها ربدُ النعام كأنها
وقال مالك بن عامر^(٣) :

عمرتُ حتى ملكتُ الحياة
وأصبحتُ من أمةٍ واحداً
شهدتُ خزازي وسلانها
على هيكل أيد الأُنسِرِ^(٤)
ومات لِدائِي من الأشمر^(٥)
أَجُولُ كالجمل الأضور^(٦)
على هيكل أيد الأُنسِرِ^(٧)

(١) ديوانه ص ٣٩ وسيأتي في رسم النعام « ذكر وهم وقع في التعليق على هذا البيت من ديوان أوس بن حجر .

(٢) ديوانه ص ٦٥ - ٦٦ .

(٣) حل آلة وقفت على آلة ، وهي عود الخيمة أو خشبة منها ، والأماس التي لا علاقات فيها .

(٤) سفْع « جمع سففاء » وهي أثنان القدر والذود : القطيع ، والهاجري . المنسوب إلى

حجر الجميع : المناخ الفديق الخشن ، واقفار : جمع عقر وهو مؤنثرة الخوض والهاجرس : الثعالب .

(٥) الجبانة : كل صحراء وقيل ما استوى من الأرض في ارتفاع .

(٦) ربد النعام جمع ربدا . والطيالس : ملابس مفتوحة الأمام .

(٧) مجالس ثعلب ج ١ ص ١٨١ والشرح من حاشيته .

(٨) الأشمر : يريد الأشمرين رهطه .

(٩) السلان : موضع كان فيه يوم بين حمير ومذحج ومهدان وبين ربيعة ومضر .

وقال من شهد الوقعة في خزاز من حولان من اليمن^(١) :

كانت لنا (بخزاز) وقعة عَجَبٌ لما التقينا وحادي الموت يحلونها

وقال النميري^٢ : وهو رجل من بني ظالم يقال له الدعقان^(٣) :

أشد الدار يعطفي منعج وخزاز نشدة الباغي المُفصل

قد مضى حولان ملعهدني بها واستهلت نصف حول مقتبل

فهي خرساء إذا كلمتها ويشوق العين عرفان الطلل

وقال المهلهل^(٤) بن ربيعة :

إلى رئيس الناس والمرتجى لعقدة الشد ورتق الفتوق^(٥)

من عرفت يوما خزاز له عليا معد عند أخذ الحقوق

إذا أقبلت حمير في جمعها ومدحج كالعارض المستحيق^(٦)

وجمع همدان له لجابة وراية تهوي هوي الأنوق^(٧)

وأشد ياقوت عن الهمداني لعمر بن زيد^(٨) :

كانت لنا (بخزازی) وقعة عَجَبٌ لما التقينا وحادي الموت يحديها

ملنا على وائل في وسط بلنتها وذو الفخار كليب العز يحميها

قد فوضوه وساروا تحت رايته سارت إليه معد من أفاصيها

وحمير قومنا صارت مقاولها ومدحج الغرصات في تعانيها

وقال القند الزماني أحد شعراء الجاهلية يذكر وقعة (خزاز) وما فعلته

(١) صفة جزيرة العرب ص ١٧٢ : وقد أورد القصيدة كاملة وسى قائلها في « الاكليل » .

(٢) ياقوت (خزاز) البيت الأول في البكري (خزاز) وفيه (خزازی) .

(٣) جبهة أثمار العرب ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٤) لعقدة الشد : أى لخلها ورتق النفوق : سدها .

(٥) المستحيق : المحيط . (٦) الأنوق : العقاب .

(٧) رسم « خزاز » وقال عمرو بن زيد لا أعرفه لكن ابن الحانك كذا قال في يوم خزاز

وفيه دليل على أن كليب كان رئيس معد . البيت الأول في صفة جزيرة العرب ص ١٧٢ وفيه

خزاز بدون ألف مقصورة .

معد بخصومها فيها من قصيدة طويلة^(١) :

واسألوا عنا بقايا حَمِيرٍ وبقاياكم إذا النقع مُطَارَ
أي قوم ناجدوا إذ ناجدوا وعلا بالنقع في الدار القُورِ
لم تلومونا على ريث القُوى (بخزاز) يوم ضَمَّتْنَا الدِّيارِ
كس قتلنا (بخزازی) مِنْكُمْ واسرنا بعدما حلَّ الحرارِ
من ملوك أشرفت أعناقها بوجوه نجبت فهي نصارِ
وظلت وقعة (خزاز) وما فعلته ربعة هناك مذكوراً مشهوراً موضع

فخر ربعة بين الأدياء حتى القرون الوسيطة فممن ذكره ونوه به الشاعر الأحسائي ابن مقرب فقال من قصيدة^(٢) :

ألا إنما فعل الأمير محمد لإحياء ما سنُّ الجدود الأوائِلِ
هم (بخزازی) دافعوا عنكم العدى وذلك يوم مُمَقِرُ الطَّعمِ بِاسِلِ
فشكراً بلا كُفْرٍ لسعي ربعةٍ فما يكفر النعماء في النَّاسِ عَاقِلِ

وقال المستر لوريمر : جبل خزاز : هي سلسلة صغيرة من التلال^(٣)

تتجه موازية الطريق عنيزة - مكة قريباً من دخنة ، على بعد أربعة أميال
أو خمسة تجاه الشمال الغربي ، ويقال : انه في هذا المكان قد دارت معركة
حاسمة قبل أيام الاسلام بين تُبَّعٍ من اليمن وكليب وهو شيخ ربعة^(٤)
وحدثني الأخ بلربن مفضي البهيمه من أهالي دخنة ، التي كانت تسمى
في القديم منعج وأبوه كان أمير دخنة حتى توفي أن راعية غنم من أهالي
دخنة ، كانت ترعى غنمها في سفح جبل خزاز بعد وقعة السبلة التي كانت
عام ١٣٤٧ هـ . وجدت خبيثة في أسفل جبل خزاز فظننت أنها كنز وعالجتها

(١) مجلة العرب ٩٢ ج ١١ و ١٢ وقالت إنها مستخرجة من منتهى الطلب .

(٢) ديوانه ص ٣٥٨ . كذا عربت والصحيح من المصناب .

(٤) دليل الخليج ج ٥ ص ٢٣٤٧ .

مع رفيق لها فوجد ما يشبه التنور من الفخار نازل إلى الأرض بحوالي المترين فحفراه ووجد في داخله جثة رجل بقي منه جمجمته وبعض فمقار ظهره ويعتقد أنه كان في الثابوت متخذاً جلسة القاعد فتركاه وأنجبر أهالي دخنة بذلك .

ومن الطريف أن أحدهم ويدعى جميعان بن ميزر قال لهم : لا بد أن هذا هو رأس أبو زيد اللطلي لأنه على ما وصف مصندق - أي على هيئة صندوق . ان هذه الواقعة المؤكدة تدل على أن منطقة خزاز كانت قد شهدت عمرانا قديما أو أن هذا الرجل الذي دفن على طريقة غير الطريقة الإسلامية كان أحد الكبار من جنود اليمن الذين ذكر المؤرخون أنه كانت لهم السيادة على القبائل العدنانية في تلك المنطقة قبل الإسلام كما سيأتي ذلك في رسم العاقل (عاقل قديما) وذلك حتى انتصر العدنانيون في موقعة خزاز التي سبق ذكرها شعر عامي : قال : سرور بن عودة الأطرش من شعراء الرّس^(١) :

جَنَّبُ (خَزَاز) وَمَا زَمَا لِكَ مِنَ الْقُورِ وَنُوخٌ قُعُودِكَ فِي (نَبِي) وَقَتِ الْإِفْطَارِ^(٢)
نُوخٌ قُعُودِكَ ، وَأَنْتَ لَا تَجْعَفُ الْكُورُ وَأَعْرِفُ تَرَى صَيُورِكَ الْعَصْرَ سَيَّارِ^(٣)

خَزَّة : بفتح الخاء والزاي المشددة المفتوحة فهاء . إحدى هضاب جبل خزاز المذكور قبله ، واقعة في جهته الشمالية الشرقية ، وفيها مائة قديمة تسمى الآن باسم الهضبة (خَزَّة) وهي التي ذكرها البكري فيا قدمنا من كلامه في أول رسم خزاز إذ قال : وفي أصل خزاز ماء لغني يقال له خزازة وخزازة في ناحية منمع .

محمد بن ناصر العبودي

(١) شعراء الرّس النبطيون ص ٢٣ .

(٢) زما : زم وارتفع والقدر : جمع قارة : نوخ : أخ قعودك فو : بلدة سيأتى ذكرها في حرف النون .

(٣) تصيف الكور : تميل الرحل ، والمراد تصفه . صيورك : صبرك . سيار : مسافر

فِي رِحَابِ الْحَرَمِينَ

مِنْ خِلَالِ كِتَابِ الرَّحَلَاتِ إِلَى السَّجْحِ

- ١٧ -

اطلعت في الخزانة العامة^(١) في الرباط على رحلة لعالم مغربي من أهل القرن الحادي عشر . ولما استوضحت من الصديق الأستاذ محمد بن ابراهيم الكتاني قال : إن مؤلفها أحمد بن محمد المشتكي ، المتوفي سنة ١٠٩٦ هـ . ولكنني رأيت في أحد المواضع منها : (عام ٩٩ وألف) . ومؤلفها معاصر للسلطان اسماعيل لأنه يدعو له بالنصر و كما سيأتي في كلامه على سرفند واسماعيل هذا عاش من سنة ١٠٥٦ إلى ١١٣٩ هـ وتولى سنة ١٠٨٢ .

قد اجتمع مؤلفها بالشيخ عبد الله بن سالم البصري (١٠٤٨ - ١١٣٤ هـ) ورحلة المشتوكي ذكرها الأستاذ ابن سودة وما قال عنها :
« هداية الملك العلام ، إلى بيت الله الحرام » لأبي العباس أحمد بن محمد ابن داود بن يعزي بن يوسف المعروف أحوزي الجزولي نسبا المشتوكي شهرة (١٠٠٠ - ١٠٩٦ هـ)

وقال : وقف عليها الأخ الأستاذ محمد ابراهيم الكتاني الحسني بخزانة (تمكروت) ويظن أنها بخط المؤلف^(٢) .

ومهما كان مؤلف هذه الرحلة ، فهو عالم مغربي من أهل القرن الحادي عشر ، ومع قلة ماتضيفه من معلومات جديدة إلا أن الباحث قد يستفيد

(١) انظر « العرب » ص ٧ ص ٧٢١ .

(٢) « دليل مؤرخي المغرب » ص ٣٧٠ .

منها . وهاهو مايتعلق بأماكن طريق الحج من العقبة إلى مكة ، ثم ماتحدث به عمن شاهده من علماء مكة وصما شاهده فيها .

ويلاحظ أن كاتب الرحلة كان مرافقا لشيخ ، فهو يدون رحلته ، وكثير من أسماء المواضع أوردتها محرقة مما يدل على قصوره في المعرفة ، مثل (المليح) و (الازلام) و (الاكراه) يقصد المويح والأزلم وأكراه - وهكذا .

العقبة - ظهر الحمار - عش الغراب :

من العقبة يوم السبت فبلغنا ظهر الحمار بعد أداء الظهر ، فوجدنا الركب المصري فوقفنا حتى سار كله ، ثم صلينا العصر ، فسرنا فنزلنا بعيد المغرب . ثم منه يوم الأربعاء ١٤ أنبير ١١ من ذي قعدة فبلغنا عش الغراب قبل العشاء .

شرف بني عطية :

فبلغنا شرف بني عطية ^(١) بعد العصر ، فنزلنا قبل مغيب الشمس .

المغاير - عيون الأقباص :

ثم منه - شرف بني عطية - يوم الإثنين فصلينا العصر بالمغاير (٢) فسرنا فنزلنا بين المغرب والعشاء .

ثم منه يوم الثلاثاء ، فنزلنا عيون الأقباص بعد العصر ،

المليح :

ثم يوم الأربعاء ١٣ من ذي القعدة . . ^(١) من ينير فنزلنا المليح قبل الغروب ، ونزل أول الركب المصري ، فضربنا الأخبية بازاء القمر ^(٢) والحمد لله كثر فيه المطر جدا ، وقل ما يمضي يوم إلا ونجد فيه غلرا ببركة شيخنا هذا واخلاص النية مع الله خالقه وما شربنا منه . . وشيخنا .

(١) بياض (٢) بياض ولعل كلمة (القمر) سواها : (البحر) .

فحمد الله بعد فراغ ماء النيل لإمامه المطر .^(١) فقمنا به الخميس والجمعة فرحل المصري سحر ليلة الجمعة لأجل السبيخة التي كانت أمامه ، فأراد أن يجاوزها نهاراً فمطرنا ليلة الجمعة ويومها إلى أن تعالى النهار مطراً غزيراً ، ثم خزننا بالمليح من الزاد ما يبلغنا - إن شاء الله تعالى - إلى العقبة ، ومن العقبة كذلك إلى مصر ، فوجدنا هناك رجلاً من سكان زاوية الفتح ، طلع معنا عام ٩٩ وألف^(٢) ، انقطع هنا وتزوج فولد له ولد اسمه الحاج أحمد المغربي ، وله وجه ومعرفة بالناس وعنده أودع الشيخ ما أودع ، وكذلك نحن أودعنا عنده مزودين شعيراً ودقيقاً ، كما فعلنا بالعقبة .

وذكر للشيخ أنه غرس هناك مائة نخلة ، وأنها أدركت كلها .

دار أم السلطان :

ثم منه - صلاة الصبح يوم الأحد ١٦ من ذي القعدة ٦ من يناير فنزلنا ليلاً دار أم السلطان قبل المغرب ، وهي ثلاثة آبار محكمة الصنعة والبناء ، وماؤها كلها عذب فرات ، غير أنه ليس بارداً ، وهو أحلى مياه الحجاز سوى ماء الحرمين الشريفين وأحلى من النبط .

تنبيه : وهذه الآبار الثلاثة محدثة ، لم يذكرها شيخنا أبو سالم العياشي في رحلته ، بل قال لما ذكرها : ولا ماء بها ، وسند ذكر سبب بنائها وحضرها ومن وصي بذلك إن شاء الله تعالى . وقد سرق فيها ليلة بتنا بها لبعض نساء العرب إبلها ، وكانت تبكي وتنوح إلى الصباح ، ولغيرها . فمن لم يأخذ الحذر من السراق وحرص على متاعه أخذته الحراميون .

الازلام :

ثم منها قبيل الفجر يوم الأحد ، وبقيتنا نحن وشيخنا أيده الله - إلى

(١) بيان (٢) كتب بالرقم (و و ألف) .

أن صلينا الصبح ، فمشينا ، ولما طلعت الشمس كثر حرها جداً فنزلنا
الأزلام قبيل الإصفرار ، فألقينا فيها الأعراب بكثرة الغنم والحشيش واللبن
واللحم ، وماؤه كله مر وفيه بشر مهدومة ماؤها طيب ، وهذا البندر أقبح
البنادر كلها

اصطبل عنتر :

ثم منه يوم الإثنين ، فنزلنا اصطبل عنتر بعيد المغرب ، وفيه آبار
لابأس بها ، فسقى واستقى من شاء ، ونزل بنا الحاج عبد الكريم ابن
أبي القاسم الفلالي منزلاً نحسا ، وذكر لي الشيخ أنه وجد بجالسته (؟) علة
قرب فراشه .

الوجه :

ثم منه يوم الثلاثاء سحرًا فنزلنا الوجه عصرًا وماؤه كما تقدم (١)
فيه الطيب والوسط والخبيث .

الأكراه :

ثم منه يوم الأربعاء ٢١ ذي القعدة ١١ من الليالي (؟) فنزلنا غربي الأكراه
بين العشائين ، ثم منه ببلغنا الأكراه ضحى فسقينا واستقينا ، فسرنا قبل
الظهر ، فنزلنا غربي بين الدركين .

بين الدركين :

ثم منه وبلغنا بين الدركين طلوع الشمس ، والقينا هناك الأعراب
يبيعون المياه العذبة واللبن والحشيش ، فملت أنا والمتفقه أحمد بن طاع الله
القصرى فاشترى أولاً قدح لبن وأخذه وشربه كله ، والله ما التفت إليّ ،
ولا عرض عليّ ، ثم اشتريت قدحاً آخر ، فناولته ليشرب فأبى ، فشربت

(١) كذا ولم أر للوجه ذكراً فيما تقدم في النسخة التي اطّلت عليها .

بعضه وتركت بعضه لصعلوك كان معنا وهو صاحب الفقيه المذكور ، وتعجبت منه كيف لم يتعرض لنا ولا ترك فقلت لصاحبه الصعلوك : وهذا الدرب الصعب (...)^(١) هذا العام خصب به اللبن ، وبعضنا (؟) كنا نشتره ونصنع العصيدة بالسمن واللبن ، وليس عندي في هذا الدرب ألد منها توافق طبيعته ، وآكل منها حتى الشبع ، فحمله وغيرها من خبز وكسكرتة بصماطه (؟) والبسيطة فلا أستلذ ذلك كله كالعصيدة .

العقبة السوداء - الحوراء :

وسرنا ولما تعالي الضحى وارتفع ، بدا لنا نجح من أعراب تلك البلاد قرب البحر ، راحلين بإبلهم وغنمهم وبقرهم ، ولما وصلنا للعقبة السوداء تلقوا الحجيج بكثرة اللبن والسمن والاملاش (؟) والخرفان للبيع على عادتهم وأما الصلقة عندهم على الحاج فحرام معلومة عندهم ، لا يوجد ذلك ، بل ولا يعرفون صلاة ولا زكاة ولا صياماً ولا نكاحاً صحيحاً ، (إنهم إلا كالأنعام بل هم أضل) فاشترى الناس منهم ما اشتروا سوى الشيخ فإنه لم يشتر منهم وقتئذ شيئاً ، فبلغنا الحوراء بعد المغرب في مشقة عظيمة ، وزحام جسيم واختلطت الأخبية (؟) ونزا بعض الناس على بعض في ليلة مظلمة ، وماؤها كله مرُّ جداً

النبط :

ولما صلينا الصبح ظعننا منها - الحورا - فنزلنا غرب النبط ، بعيد المغرب ، ثم من النبط يوم الأحد ٢٤ من ذي القعدة ١٤ من الليالي (؟) فبلغنا النبط بعيد طلوع الشمس ، وألفينا فيه الماء الكثير ، والله على كل شيء قدير .
تنبيه : من الاكراه إلى هنا وقع فيه وصب المطر الغزير ، حيث نبت الربيع الكثير ، فسقيننا واستقيننا .

(٢) له (من غرب النبط) .

(١) ياض في الأصل .

وادي النار :

فمشنا - من النبط - فصلينا الظهر بوادي النار ، ثم سرنا فوقفنا على غدِير من ماء المطر في شعبته بسفح جبل هناك فأوردنا دوابنا وملأنا مامعنا من الركاوي ، فحمدنا الله وشكرناه الذي سقانا ماء المطر في مكان يتشوى فيه الناس ويموتون فيه عطشا . . ونزلنا مغيب الشفق .

الخضيرة - ينبوع النخل :

وظعنا قبل الفجر فصلينا الصبح بالخضيرة ، وبلغنا ينبوع النخيل الذي بلغه النبي (ص) في غزوة العشيرة ، غروب الشمس ولما بلغنا - بل قربنا - مضيق ينبوع تأخر وراء الركب كثير من الصعاليك ، فخرج عليهم الحراميون ، فجردوا منهم واحداً ، فصاحوا على البغالين من الفاسية وغيرهم فرجعوا إليهم ، وعطفوا عليهم فهربوا ، وجلسوا في الجبل تحت الأحجار ، فكانوا يرمون بالرصاص والبارود ، ووماهم الحجاج كذلك سويعات فكفى الله ببركة النبي (ع . م) شرهم .

تنبيه : ينبوع هذا البلد كثير النخل ، وماؤها طيب عذب ، وبه قرى كثيرة ، وكان يسكنه الشرفاء اخوان ساداتنا شرفاء ، سجلماسة على مزاعم (٢) أهل ينبوع ، وفيه مسجد كان شيخنا سيدي أحمد بن (١) ينزله (٢) العمام خربا .

وعين ماء هناك يذهب إلى العشيرة ، موضع الغزوة . وذلك الموضع الذي وصل إليه النبي صلى الله عليه وسلم من هذه النواحي على ما قال أهل السير . تنبيه : كان الحجيج إذا وصلوا إلى الينبوع يرون قبل بَدْرِ ضياء ، ويزعمون أنه الأنوار النبوية ، وما ذلك والله بغريب ، ذلك قليل في جانب

(١) غير واضحة .

(٢) يسانس .

المصطفى صلى الله عليه وسلم . . وقد شاهدنا ذلك غير مامرة ، وقد قالوا : إن ذلك يشاهد في كل عام ، وصحح ذلك عند العوام ، والعلم عند الله الملك العلام ، وزعم شيخنا أبو سالم العياشي في رحلته أن ذلك برق الغور ، واستدل على ذلك بأدلة واهية وكيف يكون البرق في ذلك المكان في هذا الوقت من الزمان الآن والله ربنا المستعان .

دار الشعلة - دار الغرباء :

ثم من الينبوع قرب عصر الثلاثاء ٢٦ من ذى القعدة ، ١ من يناير فنزلنا بعد المغرب قرب دار الشعلة ، ثم منه يوم الأربعاء فنزلنا دار الغرباء ، وألفينا الركب المصري حينئذ ، وظعنا نحن بعد صلاة الظهر .

بلد :

وظعنا - بعد صلاة الظهر .

تنبيه : كثر على لسان الحجيج أنهم يسمعون . . . (١) بلد الطبل ، وقد سمعنا نحن في الحجة الأولى سماعاً ظاهراً صحيحاً من غير شك ولا ريب وقد ذكر الشيخ ابن مرزوق أنه سمعه وأنه هو بلا شك ولا ريب في شرح البردة ، فانظره . وهناك قبور الشهداء والعريش الذي صنع للنبي صلى الله عليه وسلم وموقع القلب الذي طرح فيه أولئك الكفرة أبو جهل وأصحابه . . وألفينا هناك الرجل الصالح محرماً مع بعض أصحابه الفقيه الأجل الشيخ محمد ابن أحمد الأخصاصي وسار معنا للحج ، وحمله الشيخ على جمل ، وأنزله مع أصحابه .

تنبيه : إعلم أن قبور الشهداء أسفل الوادي من جهة البزوة . وليسوا الذي تزعمه العوام تحت الكتيب على طريق القادم من مصر ، بل مازعموا إفك من القول وزور ، وكلام أهل الخرافات والكذب والفجور .

(١) يانص .

سبيل البزوة :

وسرنا قَبِتْنَا بعيد المغرب ، ومشينا فبلغنا السبيل الذي بالبزوة ،
ولا ماله فيه في الوقت لفساده ، فصلينا تحته حتى بلغنا الركب فسرنا ،
وبعنا غربي مستورة حيث نراها ، وهناك رأينا هلال بده القعدة^(١) ليلة
السبت

رابغ :

ثم منه يوم السبت الأول من ذي القعدة ١٢ من ينير فبلغنا رابغ -
بكسر الباء الموحدة ، كما في « النهاية » لابن الأثير - ظهراً ، فنزلنا وألقينا
به الركب المصري ، وأما الركب الشامي فقد رحل^(٢) في هذا العام على
الركب المصري ، حتى خاف منه ، إذ منعه من ... المغربي قدر خمسمائة^(٣)
ومعه خيل كثير ، وقد خرج إليه (٤) .

الجحفة :

ثم منه ضحى بعد أن اشترينا محارمنا ونعالنا ، ضحى الأحد ثاني
الشهر ، بعد الاغتسال وإزالة الشعث ، ولم نُحرم نحن وأصحابنا وقتئذ ،
بل مشينا حتى وصلنا جبال الجحفة وقُدَّامها ، فنزلنا ، وقلد من معه المهدي
كشيخنا العالم وزوجتيه السيدة صفية والسيدة فاطمة ...

تنبيه : إعلم أن الموضع الذي أحرمنا فيه قُدَّام الجحفة به رجم من
الحجارة كبير ، وكان^(٤) صاحب المحب في الله الشيخ محمد بن أحمد
الخصاصي هو العارف بذلك ، ومشى معنا إلى أن أوقفنا عليه ، وبينه وبين
رابغ مسافة طويلة جداً ، وأرانا الجحفة ، وبناء خربا . ويدكر أن بها موضع

(٢) بياض ومفهومه (وتقدم) .

(٤) بيسان .

(١) كذا ولعله الجحفة فقد تقدم القعدة .

(٣) بياض وهي (الركب) .

حرب ، وأن الأعراب تحرثها بعض السنين ، ولا تدخلها في الوقت ، ولا أشجار ،^(١) وأحجار سود عليها إمارات العذاب^(٢) وقل أن يسلم من سلكها من الحمى لأنه صلى الله عليه وسلم دعا بنقل حمى طيبة إليها فنقلت إليها لأن أبا^(٣) من اليهود المؤذنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فسرنا حين أحرمنا ولم نبت إلا شرقي السبيا (؟) بعد المغرب .

الكديد :

ثم منه لم يزل وكان الشيخ (؟) حتى بلغوا الكديد قبل الزوال فنزلوا تحت قبة هندية (؟) بازاء الصهرج ، فناموا هنية وتوضؤوا وصلوا الظهر ، فبلغناهم هناك ، فتوضأنا وصلينا ، فسقى الناس واستقوا واشتروا الدلاح^(٤) الكثير .

تنبيه : هناك مسجد خرب ، قيل إنه مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وإن صح أنه للنبي صلى الله عليه وسلم فيجب على امراء الحج رمه وإصلاحه ، وعلى جيرانه أهل البلد وسكانه من الأعراب . وهناك عين جاءت من الجبل ، ماؤها غزير عذب فرات كثير : وقد سأل الشيخ رجلا من سكان الموضع من أي موضع جاءت هذه العين ؟ فقال له : من ذلك الجبل ، فنعت له موضعاً بعيداً ، وقد أكد الشيخ على أمير حجاج مصر أن يبنيه فقيل ، وأما الآن فقد هدم^(٥) ويتغوط فيه البدو من الأعراب وغيرهم ولا يعظمونه . فيجب على من له قلعة بناؤه وإصلاحه ورمه لمكانه صلى الله عليه وسلم وصلاته فيه ، فمن حقه أن يذهب ويُفَضَّض .

(١) يناصر .

(٢) كذا لم وبعضهم يسميه الدلاع وهو الملح والحجب البطح الأحمر .

(٣) يناصر .

وفي هذه البلاد دلاح كثير غير أنه غالٍ . وحرثهم أقل وكانوا يكثرون منه ، وعندهم العنب الكثير يبيعونه للحجاج ، ولا يسمعون ولو بورقه .
وياسبحان الله ما أبغضهم وأفصحهم (؟) وأبغضهم للحجيج لاسيما المغاربة
المشلل - عسفان :

ثم سرنا منه قبل صلاة الظهر قبيل العصر فنزلنا بين العشاءين .
تنبيه : إعلم أن بالمشلل مسجداً على تل مرتفع ، يقال أنه مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم أيضا على يسار الذهاب إلى عسفان ، ذكر ذلك
السهودي .

ثم منه قبل الفجر فبلغنا عسفان ضحى ، فسقينا واستقينا ، من بئر
واسعة هناك كثيرة المياه ، وهي التي قيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم ،
تفل منها ^(١) وبصق فصارت عذبة ببركته صلى الله عليه وسلم هكذا
شاع ، وأستبعد . . . ^(٢) من عند العوام ولم تر من عرض لذلك من أهل
السير والتواريخ . والله أعلم بما هنا لك ، وليس يبغيد ماشاع عند الناس إذ
بركته صلى الله عليه وسلم لاتعد ولا تنحصى .

تنبيه : هناك مسجد لانعرف من بناء ، ولا أصله ، ولم نطلع على من
ذكره ، ولكن البلاد قديمة ، وبها سجن الفرزدق حين مدح زين العابدين
حيث يقول :

وَلَيْسَ قَوْلِكَ : مِنْ هَذَا ؟ بِضَائِرِهِ الْعَرَبُ تَعْرِفُ مِنْ أَنْكَرَتِ وَالْعَجَمُ
- القصيدة - وعسفان قد ذكر في أشعار العرب كثيرا فالمسجد لأبد له
من أصل والله أعلم .

(١) كذا . وكلمة (قيل) تدل على أن الخبر غير صحيح . والواقع أنه حديث خرافة .

(٢) يافس ولعل السالم (ذلك ، وأنه) .

مر الظهران :

ومنه فنزلنا مرَّ الظهران العشاء (. . .)^(١) الركب الشامي والركب
المصري معاً ورحل الشامي وقت نزولنا ، وتبعه المصري آخر الليل .
سرف :

ثم رحلنا قبيل الفجر فبلغنا سرف حيث قبة أم المؤمنين ميمونة رضي
الله عنها . . . والذي بنى قبتها أخونا في الله محمد بن سليمان الردائي - رحمه
الله ، بإشارة شيخنا أبي مروان العالم المحدث المسند الأديب المحقق المؤرخ مات
رحمه الله ببغداد مجموعة سجلماسة ، وقد ناف على تسعين سنة ، وقد أخذ
السلطان مولانا اسماعيل أمواله وكتبه وحلَّ بناته وأزواجه ، بعد أن كان^(٢)
ماينيف على ثلاثين سنة ، ولعل ذلك ليزول عن رقبة سيدي عبد الملك
الذكور ، لكونه جمعه بجاهه من أهل الزاوية ، ومولانا الرشيد رحمه الله ،
ومولانا اسماعيل نصره الله على الحق ؟ فيكون في بيت مال المسلمين ، أما
الكتب فكلها من كتب أحباس مراکش إلا ما اشراه تمام محنته من القاهرة
فقد أخذه منه رحمة له لثلا يجد سبباً . . .^(٣) حيث (...) في بيت مال
المسلمين ، فمولانا اسماعيل - نصره الله على الحق والشريعة . لم يفعل معه
إلا نفعه والله أعلم بما كان هناك وكثير ما يقول رحمه الله (. . .) قيل له :
أين زكاتك ؟ ! فيقول : ليس لي مال أزرَّه ، إنما هو للناس ، وليس
عندي أجلُّ من نُحَيِّلات ورثها أبي بغير (٤) وقد رضيت أن أكفَّن منها
إذا متُّ - رحمه الله (. . .)^(٥) بذلك فامثل أمره ، وبني عليها بناءً وثيقاً^(٥)
العلوم إلى مكة : ثم ذكر قلوبه إلى مكة المكرمة . وقال :

(١) يئاض . . . (٢) يئاض . (٣) كلمات غير واضحة .

(٤) كلمة غير واضحة ولعلها (أرصى) .

(٥) البناء على القبور محرم بنص الحديث الشريف .

دار محمد بن سليمان :

فنزل الشيخ بدار محمد بن سليمان الرواتي وهي (^(١)) المسجد ينظر من كان بها إلى البيت الشريف ، أكرها بتسعين ديناراً ذهباً ، فنزل مع حرمة بالبيت الأعلى ، ووضع دَبَشُهُ وأثائه بالوسطى ، وأولاد إخوانه بالبيت المساوي لأرض المسجد الحرام بحيث ينظرون إليه ، ونزلت أنا مع أصحابي بدار بباب سيدنا ابراهيم .

من اجتمع بهم من علماء مكة : وقال عن اجتماع بهم علماء مكة :

١ - عبد الله بن سالم البصري : وفرح بالشيخ ، وأعانه على كراه الدار ، وزرناه أنا والشيخ بداره بناحية باب إبراهيم ، فألفيناه في غرفة له هو وابنه وجماعة من أصحابه ، والكتب يمينه وشماله ، وأمامه وورائه ، فوجدنا عنده مسند الإمام أحمد في ثلاث مجلدات كبار ، وأخبرنا أنه كتب نسخة من اليونانية ^(٢) بيده ، وشرح في شرح البخاري ، وناولنا منه جزءاً لابأس به ، بلغ فيه الحج غاية ما فيه أنه يصحح النسخة المعتمد فيها ، وكثرة اعتماده في النقل على ابن حجر والقسطلاني والبرماوي والشرواني بعبارة لابأس بها ، وقد مددنا شرحه بقصيدة لابأس بها ضاعت عني الآن ، وقد ناولتها إياه ، وسرّها غاية ، ودعا بالبركة والخير .

تنبيه : زعم طلبة مكة أن الشيخ عبد الله بن سالم المذكور فاق أهل الحرمين في الحديث ، بل وكل النواحي ، وقد سأله الشيخ عن شيوخه في الحديث وغيره فقال : الشيخ محمد بن سليمان الرداني والسيد عبد الملك السجلداسي والسيد عيسى العلبي والمغربي .

(١) كلمة ساقطة ولعلها (جوار) .

(٢) كذا والمقصود (النسخة اليونانية) من صحيح البخاري .

٢ - الشيخ محمد أكرم بن الشيخ عبد الرحمن الهندي ، له تأليف على رجال البخاري ، واختصر البخاري في مجلد واحد حذف منه الأسانيد والمكررة، ذكر أنه اجتمع به في منى وشرح نخبة ابن حجر، وله رد على الروافض وسأله الشيخ عن المسافة التي بيننا وبين الهند فقال : أربعون يوماً في البحر وأربعة أشهر أو سنة في البر ، وأخبره أن بلده السند ، وأن بينه وبين الهند ثلاثون يوماً .

٣ - خطيب اليوم السابع من ذي الحجة ولد الشيخ محمد تاج الدين مفتي الحنفية (عبد القادر بن أبي بكر تلميذ الشيخ اليوسي) .
٤ - أحمد النخيلي ^(١) وجده عند الشيخ عبد الله بن سالم .
الوقوف بعرفة : قال :

ولما صليت العصر بمنى جلسنا هنية وأرسلنا أصحابنا لسقي الماء والدراب فلم يرعنا إلى أن جاءنا محمد بن المصطفى التونسي الذي أجلاه صاحب تونس - خائفاً من أن يقوم عليه ، إلى القاهرة وحبس أولاده هناك بتونس ، وهو رجل عز وجمال وخير ، مع حسن أدب مع الناس كلهم ، فأخبرنا أن أهل تونس زعموا أنهم رأوا هلال ذي الحجة ليلة الشك ، ومن زعم أنه رآه منهم سبعة ، وأحدهم قيل : إنه من طلبة العلم ، وأوقعوا الناس في الشك ، فسألنا عنهم ليخبرونا بما زعموا فأخبرنا أنهم توجهوا قبيل عرفة للوقوف ، وتبعهم الناس كلهم ، على أن الأركاب هذه الأزمنة يتوجهون من غير بيئاتهم بمنى ، وهو سنة ، وأماتها أهل هذه الأوقات والأزمنة قبلها .

ثم جمع الشيخ وجوه ركبتنا ورؤساءه كيف يفعلون ؟ فاتفق رأيهم على التوجه إلى الجبل احتياطاً ، فتوكلنا على الله .

(١) لعله (النخل) فهو من معاصري الشيخ ابن سالم وهو محدث .

العودة من الحج :

وقال في الكلام على العودة : ثم أكرينا على سلعنا التي أعنا على شرائها المحب الحاج أحمد المنجور وابن عمه الحاج عبد الوهاب ، والحاج مسعود الأبار ، من عند أهل الهند ، وعلى زادنا ومائنا وعلف دوابنا وخيامنا وأثاثنا والبطاطيف (؟) والقدرة والقصعة . وحوائج الجميع ، لمحمود العجمي ، واشترط علينا مؤنته بستة وعشرين ديناراً ذهباً ، وكان معنا عبئنا الحاج بركة رحمه الله والحاج السيد عبد الله بن ... وكان رجلاً حازماً ، غير أنه كان أكولاً لايشبع ، ولا يفارق الأكل ليلاً ولا نهاراً ، ولا يكفيه ما أكل مع الناس ، بل جعل مزوداً يحمله معه يملأه طعاماً خبزاً وبشاطناً (١) ، ويأكل كل ما وجد من الطعام على أي حالة كان حسناً كان أو قبيحاً مسخوناً أو بارداً ، ولا يملك نفسه متى رأى طعاماً أو شراباً ، وكنت أنبيه (؟) عن ذلك وأقول له : في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : « المؤمن يأكل في مِعَى واحد ، والكافر في سبعة أمعاء » وكان مسرفاً في الزاد من دقيق وسمن وخليج ، ويأكل ما يأكل سبعة رجال متوسطي الأكل ، إلا أنه كثير الصبر والتواضع والدين ، ولا عيب فيه إلا كثرة (...) والتقدير مع من يعرف ومن لا يعرف وراء قول في الفضول وما لا يعنيه .

وصبرت لعشرته من مكة المشرفة إلى القاهرة ، وكان معي حين المصاحبة عبدي بركة كان يخاصمه كثيراً ، وكنت أنهاه عنه ... فيأبى إلا خصامه . ولما بلغنا المليح مرض العبد ، ضرب من الشمس في جانبه فجلس أياماً فمات بين سطح العقبة والقاهرة .

فطلب مني السيد عبد الله المذكور برنوم العبد وصباطه وعمامته ، فأعطيته ذلك .

(١) هو (البساط) .

عُتَيْبَةُ، فروعها ومنازلها

(أقوم بتأليف معجم لقبائل المملكة ، مستعينا بمن أعرفه من أبنائها ، وقد طلبت من الأخ العقيد حمود بن ضاوي القنامي - أحد كبار موظفي الأن العام - ومن قبيلة القشمة (النجشمة) من عتيبة أن يمُلِّني ببيان فروع قبيلته وأفخاذها فتنفضل - مشكوراً - بكتابة هذا البحث (١) .

عُتَيْبَةُ : (النسبة عُتَيْبِي) تنقسم إلى قسمين كبيرين - الروقة وبرقاء
أولاً : برقاء (برقاوي) تنقسم إلى : أولاد منصور ، وطفيح ، وأولاد منصور هم :

القشمة (والنسبة قنّامي) والأصل جشم ، قوم الشاعر الجاهلي المشهور .
كريد بن الصمة ، ومن هذه القبيلة :

الدّهسة (النسبة دهاسي) وهم من أهل نجد : ولهم الدهاسية بشرم شرق عفيف وجبال النير شرق عفيف حيث نجد الصفيان من النفعة في شمال النير والدّهسة في جنوبه ، ويمتدّون إلى الخاصرة جنوب شرق عفيف الخاصرة للشيبابين من عتيبة ، وفي جنوب الدهاسية تقع منازلهم بقرب القاعية والبجادية وذريع والخوار ، ولهم الحسرج شمال الخاصرة عارضهم فيه الشيبابين وهو وادٍ فيه عدد من الآبار ، انتهت المشكلة إلى نزاع ملكية هذا الوادي بحيث لم تعد ملكيته للدّهسة ومن معهم من بقية القشمة ولم يعد

(١) انظر مجلة « العرب » ص ٢ ص ١٦ ففيها بحث راف عن قبيلة عتيبة للأخ الأستاذ الشيخ محمد سيد كمال .

أيضاً للشيايين - وللشاعر ضاوي بن حمود الدهاسي القشامي قصيدة طويلة تذكر مشكلة هذا الوادي ^(١)

وأقسام الدهسة :

١ - ذوي درويش - ومنهم الطوالع ، والطوالع منهم ذوي سليمان وذوي سالم وذوي نُوار وذوي ثلاب .

ومن ذوي درويش - ذوي مبارك وذوي وهق .

٢ - ذوي بُنيَّة (البُنِّيَّات) .

٣ - الجنادبة (الجنادب) .

٤ - المَرَاهِيَّة .

(ب) : الجبرة - وفيهم المشيخة والنسب (جباري) وهم :

١ - الحضانية ومنهم شيخ شمل قشام عائض بن سُنيَّد العُبود .

٢ - ذوي مَهَلِي .

٣ - ذوي قُبَيْل .

٤ - ذوي سَوَيْد .

٥ - ذوي هُدَيَّان .

٦ - العَقَايِلَة .

ومنازل الجُبْرَة في نجد مع الدهسة وفي الحجاز بضواحي الطائف وعُشيرة .

(ج) : الزوران - النسب زَوَارِي وهم :

١ - السراجات .

٢ - الضُّعِيف .

(١) حلفنا كلاماً يمتلئ بيمض مشاهير القبيلة ، مما عمله كتب التراجم .

٣ - ذوي غنيم .

٤ - المحاميد .

٥ - المشان .

٦ - البراعصة .

٧ - الجراوين .

٨ - الحواشين .

والزوران في الحجاز ومنازلهم السيل الصغير وعُشيرة وفي نجد منهم عدد قليل .

(د) : الغشاشمة النسب (غَشَّامِي) وهم :

١ - الصقرة والنسب (صقيرى) ولهم وادي قُرَّان قرب عشيرة .

٢ - العمامرة والنسب (عَمَّارِي) وعددهم كبير وفخوذهم متعددة

ويدعون أنهم أكبر من جميع فخوذ الغشاشمة وبالتالي هم الأصل فهم لا ينسبون أنفسهم من الغشاشمة وكبيرهم مذعور .

٣ - ذوي حجبي

٤ - الصوائين .

٥ - البداحين .

٦ - الضياغمة .

٧ - الخَضَارِيَّة .

٨ - الخضاعمة .

ومنازل الغشاشمة في الحجاز غالباً ضواحي الطائف شمالاً .

(هـ) : اللوانية : النسب (تُونِي) وهم :

١ - القواضل .

- ٢ - القحرة قوم ابن ندحان (أهل الحوية) .
 ٣ - القحمان قوم ابن حامد .
 ٤ - الحبالصة قوم ابن جميل .
 والدوانية عموماً هم سكان السَّيْل الصغير والحوية والمِضْبَاع بقرب
 الحوية .

(و) : الخماش ^(١) حليف للقشامي وبلادهم شرق الحوية وجنوبها .
 (ز) قریش القشمة - حليف أيضاً ولهم القُرَشِيَّة في طريق الطائف إلى
 الرياض بجانب المبعوث ولا تتعدى منازلهم أقصى رُكْبَة . أي إنهم مع قشمة
 الحجاز ، ولا ينجلون .

ثانياً : العَصَمَة النسب (عَصَيْمِي) :

ومنهم عدد كبير في نجد وآخرون في الحجاز وهم :

- ١ - التباعين (نبعاني) .
 ٢ - الحمارين (حمالي) .
 ٣ - العلوات منهم أبا العلاء .
 ٤ - الشفعان (شفعاوي)
 ٥ - العمرية .
 ٦ - العلجة (عَلِيَّجِي) قريرتهم أم سراحة ^(٢) .
 ٧ - ركيبات (ركيبي) .
 ٨ - حلاخلة (حَلْحَلِي) .
 ٩ - حسنات (حُسَيْنِي) .

(١) انظر من التماميش « العرب » ص ٢ ص ٩٧٥

(٢) هي (سريحة) ولكن أهل البادية قد يبدلون الياء اللامثلة (فاصل) و (سلمان) في
 (فصيل) و (سليمان) .

١٠ - نَفَارِين (نَفْرَانِي) .

١١ - جَعَادِين (جَعْدَانِي) .

١٢ - غَزُول .

ومن منازلهم في الحجاز سامودة وجَلِيل شرق الطائف ، وفي نجد قريتهم
سنام جنوب غرب الرياض وفيها (أبا العلاء) شيخ العصمة كافة - ولم
أيضاً طَحِيٌّ - وأم سراحه وهي (للعقيلي) .

ثالثاً : الدعاجين (النسب دعجاني) .

وهم بنجد لهم مسائل بضواحي الدوادمي ومنهم :

١ - الملابس .

٢ - ذوي خيوط وهم أهل الحُفَيْرَة ومُعَيَّرَاء ، ومنهم قوم ابن عقيل .

رابعاً : الدغالبية والنسب (دُعَيْبِي) وهم في شرق قبائل برقاء بقرب

الرياض والقويمية وشرق الدوادمي وخف والخُفَيْفِيَّة وعددهم قليل من
أهل نجد ، ومن مشائخهم المهري ومنهم العُوَيْدَات ولم لبعثة شرق
مغیراء .

خامساً : الشيبابين والنسب (شيباني) ومنازلهم في نجد ولهم - حَلْبَان

جنوب الدوادمي والرواضة^(١) ولم الخاصرة جنوب شرق عفيف وهم :

١ - ذوي مَرَشْد (مرشدي) .

٢ - اللموخ .

٣ - ذوي نجم .

٤ - القرافين (قرافي) .

٥ - قوم ابن مسيفر (ذوي مسيفر) .

٦ - ذوي عواد .

(١) هي الروضة بإبدال الباء ألفا كما تقدم .

٧ - الزبالجة - (الزبالقة) .

٨ - ذوي عمرو (العمور) منهم ابن عُدَيْس دليلة المرحوم الملك فيصل بن عبد العزيز وله قرية بين عشيرة والمهد على الطريق .

٩ - ذوي خليفة قوم ابن سحمان .

١٠ - الفوارين .

١١ - الفهيدات منهم الشيخ ابن فهيد ومسكنه حَلْبَان .

والفرع الثاني من براقا (طفيح) :

(ب) طفيح ويقال لهم (أبرق عباة) وهم قبائل عُتَيْبِيَّة برفاوية متعددة هناك اختلاف في أنسابهم ويقال : إن جميعهم يرجعون للنفعة يقول الشاعر :

(نفاعية) إذا جات من قبالة وطفيحية إذا جاء خرزها من جنوبها
أى إذا حصل اعتداء خارجي فالقبيلة كلها (نفاعية) وإذا كان
الاعتداء داخليا فهناك تفرقة بين طُفَيْح وشمله .

وأهم قبائل طفيح .

(أ) النفعة والنسب (نفيعي) وهم في نجد وفي الحجاز ، في الحجاز

ضواحي الطائف في كالاخ وسديرة وفي نجد في النير وهم :

١ - ذوي زياد (النسب زيادي) في نجد قوم ابن عائذ .

٢ - الزود والنسب (زائد) في الحجاز .

٣ - النخشة (نخيش) قوم ابن هذلول .

٤ - ذوي سنان .

٥ - ذوي مفرج (مفرجي) قوم ابن درعان وابن حجينة .

٦ - قوم ابن عور .

- ٧ - المحايا (مُحَيَّاي) .
- ٨ - المساعيد (مسعودي) قوم الدهينة ومنهم الصفيان أهل النير شرق عفيف وجنوب القاعية .
- ٩ - البسايس قوم البكرناف .
- ١٠ - الودانين (وُدَّانِي) وهم من أهل سُدَيْرَة ضواحي الطائف من أهل الحجاز .

- ١١ - الجُعَلَّة قوم ابن عنبير ومنازلهم في أوقح والنير نير الحجاز .
- ١٢ - السوطة (سَوَّاط) .
- ١٣ - الحُلْفَه (حَلِيف) .
- ١٤ - الحُلْسَة (حُلَيْس) .
- ١٥ - الحميان (حَمِيَّانِي) .

(ب) المَقَطَّة (مُقَاطِي) وفيهم مشيخة عَتِيْبَة قاطبة برقاء والروقة الشيخ ابن حَمِيد شيخ شمل عتيبة وأهل نجد قاعدتهم عرَوا جنوب اللودامي وهم :

- ١ - خنافرة (الخنفري) .
- ٢ - الكرزان (كَرِيزِي) ويقال لهم من كرزان البقوم .
- ٣ - شلطة (شلاطي) .
- ٤ - غَزَلَه (غَزِيلِي)
- ٥ - روسان (رويس) وهم غير روسان المراوحة .
- ٦ - العلابية (عَلِيْبِي) .
- ٧ - الخَمَجَان (خَمِيْجِي) .

- ٨ - قُمَزَّة (قُمَيْرِي) .
- ٩ - حَوَابِيَّة (حَوْبِيِي) .
- ١٠ - خَضَارِيَّة وهم من سكان الحجاز .
- ١١ - أَغْرَه .
- ١٢ - سُلْفَةَ (سَلِيْنِي) .
- ١٣ - عُقْفَةَ .
- ١٤ - هُدْبَةَ (هُدْبِيِي) .
- ١٥ - هَوَارِنَةَ .
- ١٦ - هَمَارِقَةَ (هَمْرَق) .

(ج) الرُّوسَان (المِراوِحَة) وشيخهم إِبْنُ جَامِعٍ وَقَرِيْبَتُهُمْ مُصِلَّةٌ فِي نَجْدٍ وَأَفْقِرَةٌ وَمِنْهُمْ :

- ١ - المِقَاحِصَةُ قَوْمُ ابْنِ حَوْنٍ .
- ٢ - الشُّهْبَةُ (شُهْبِيِي) .
- ٣ - المِرَابِضَةُ وَمِنْهُمْ (المِرْبِضُ) .
- ٤ - العُوْنَةُ .
- ٥ - السَّرَاحِيْن - وَهُمْ فِي نَجْدٍ وَفِي الْحِجَازِ .
- ٦ - ذُوِي مَنْصُورٍ .

(د) الثُّبَيْتَةُ وَالنَّسَبُ ثُبَيْتِي وَهُمْ أَهْلُ السَّيْلِ الْكَبِيْرِ وَهَنَّاكَ اِخْتِلَافٌ بَيْنَ نَسَابِ عَصْرِنَا الْحَاضِرِ فِي نَسَبِهِمْ هَلْ هُمْ مِنْ بَرَقَاءٍ أَوْ مِنَ الرُّوْقَةِ وَالرَّاجِحُ أَنَّهُمْ مِنْ بَرَقَاءٍ وَمِنْهُمْ النَّوْبِيَاتُ وَالْمَنَاصِيْرُ .

(هـ) وقدان (وقدانى) هناك اختلاف أيضاً حول نسب وقدان وهل هم من عتيبة أم من خلفهم ولكن شاعرهم الكبير الملقب بشاعر الطائف بديوى الوقداني يقول :

أَيَّامَنَا وَاللَّيَالَى كَمْ نَعَاتِبُهَا شِبْنًا وَشَابِتٌ وَعِفْنَا بَعْضَ الْأَحْوَالِ
أَيَّامٌ فِي غُلْبَتِهَا وَأَيَّامٌ نَغْلِبُهَا وَأَيَّامٌ فِيهَا سُورَى وَالذَّهْرُ مَيَّالٌ
إلى أن يقول :

أَنَا عُتَيْبِيُّ عَرِيبِ الْجَدِّ وَالخَالِ

وهو الراجح إذًا ماقلنا المؤكد بأنهم من عتيبة (طفيح)

القسم الثاني من عتيبة الروقة (واحدهم روتي) وهم طلحة ومزحم

ومنهم :

- ١ - السُمرة - ومنازلهم ضواحي دُعَيْبِجَةَ وشيوخهم ابن زيد - وشيخ الروقة هو ابن ربيعان من ذوي ثُبَيْت وهو صاحب نِجْمِي .
- ٢ - العُضَيَّان - قوم الضَّبِط - منهم الثُعَالِيَّة قوم ابن ثعلبي ، والدماسين والجمانية (عُضَيَّانِي) .

٣ - العُجَيَّات - (غبيوى) وهم قوم ابن نجم .

٤ - المراشدة - (مرشدي) قوم - أبو نخشم - ولهم كَبْشَانُ والمَرْدَمَةُ ،

في ضواحي عَفِيف .

٥ - النُّبَيْة (ذيابي) منهم الاديب مطلق مغلذ الذيابي وأخوه المذيع في

الكويت ياسر مغلذ الروقي . وهم قوم عارف بن سويلم ولهم أم اللؤم - وغالبيتهم جنوب غرب عفيف .

٦ - ذوي عَطِيَّة ومنهم الخرايص (خراصي) ولهم ماحول الدفينه

والمؤيه والمحازة .

- ٧ - المغيرة ، قوم ابن حمد وابن عماره (مغيرى) .
- ٨ - الغنّام (غنّامى) وهم قوم ابن شليويلح وهو ابن ماعز من المهادلة
وهم حول اللّغينة ووادي الرّشاء وغرب اللّوادمى .
- ٩ - القساسة وهم قوم السّلات .
- ١٠ - الفراهدة .
- ١١ - اللّلابحة (دَلْبَحِي) وهم قوم ابن شريم وهم أهل القرين .
- ١٢ - الحزّمان وهم قوم ابن زريفة ولهم شبارمة ^(١) .
- ١٣ - ذوي عالي .
- ١٤ - اللّماسين ولهم أبو جلال شمال نفي .
- ١٥ - ذوي مُحَبّا - أهل ساجر .
- ١٦ - الزرقان .
- ١٧ - العوازم قوم ابن تويلي والقبيح ولهم وادي جهام غرب شبارمة .
- ١٨ - ذوي زراق .
- ١٩ - الحُفّاة - وهم أهل القاعيّة وسجا وعَسيلة قوم النّوم .
- ٢٠ - الأّساعة - في الداهنة والزلفي والناط .
- ٢١ - البرّاقين (برّاق) .
- ٢٢ - الكراشمة - أكثرهم في المحجاز ومنهم أهل نَجْد في ساجر .
- ٢٣ - الجِدعان قوم ابن زُرَيْبَة .
- ٢٤ - الحمّران .
- ٢٥ - الحَبَرْدِيّة .

مُؤدّبين حَسَاوِي القَسَايِي

جدة : ص ب (١١٧٠)
الطائف : ص ب (١٦٩)

(١) هي (شبرمة) تصغير شبرمة .

ديوان حاتم الطائي

- ١ -

في كتاب « الموفقيات » للزبير بن بكار ، ثم في كتاب « الأغاني » للأصبهاني طائفة كثيرة من أشعار حاتم وأخباره . وطبع ديوانه الذي رواه ابن الكلبي عن أبي صالح يحيى بن مدرك الطائي ، مراراً ، غير أن أجود طبعة وأوسعها هي التي حققها الدكتور عادل سليمان جمال ، وصدرت في القاهرة قبل عام - غير مؤرخة - .

فقد قدمها بدراسة وافية عن حاتم . وعن شعره في نحو ١٤٤ صفحة ثم أورد الشعر على ما جاء في رواية الكلبي عن أبي صالح ، تتخلله أخبار وشروح لأبي صالح . وفي هوامشه إضافات شروح وإحالات للمحقق الفاضل (من ص ١٤٥ إلى ٣٠٤) .

ثم ألحق بذلك مانسب لحاتم وليس له (من ص ٣٠٥ إلى ص ٣١٤) . ثم تعليقات المحقق عن المصادر التي ورد فيها الشعر ، وعن بعض الأخبار المتعلقة به في تلك المصادر (من ص ٣١٧ إلى ٣٧٨) .

ثم مصادر التحقيق التي بلغت أكثر من ثمانين ومئة كتاب بين مطبوع ومخطوط (من ص ٣٨١ إلى ص ٣٩٨) .

ثم الفهارس (من ٣٩٩ إلى ٤٢٠ آخر صفحات الديوان) .

وبلغت النظر اهتمام محققي كتب التراث بسرد أسماء كثير من المؤلفات باعتبارها من مصادرهم التي رجعوا إليها ، وهذا لا مأخذ عليه ، غير أن القارئ عندما يرى اسم كتاب بين مصادر أحد المحققين يثق بأن هذا

المحقق كفاء مؤونة الاطلاع على ذلك الكتاب ، وأورد كل ما فيه مما يتعلق
بالكتاب المحقق ، ولكن هذا لا ينطبق في حق كل من نشر كتاباً مخطوطاً ،
أو حققه ، وأنا لا أصمُّ الدكتور عادل سليمان جمال بهذه الوصمة
ولكنني كنت أود لو اقتصد فذكر من تلك المؤلفات ماله صلة قوية
بموضوع الديوان . ومهما يكن فإن ما أبرز المحقق الفاضل من جهد لتحقيق
شعر حاتم ، وما قدم من دراسة عميقة عن حياة ذلك الشاعر الجواد ، من
مختلف جوانبها مما يشهد له بالفضل ، وجودة العمل .

ولقد كرم أستاذنا الأستاذ الجليل محمود محمد شاكر فقدّم لي نسخة
من ذلك الديوان ، طالعتها فرأيت أن من تمام شكر عمل المهدي والمحقق
الفاضلين أن أتحدث عنها حديثاً موجزاً ، أحصره في ناحيتين : إحداهما
تتعلق بتحديد المواضع . وهو أمر يذل المحقق الكريم فيه ما استطاع ،
ورجع إلى كتب الأئمة في هذا الشأن كمعجم البكري « معجم ما استعجم »
و « معجم البلدان » ولهذا ستكون الملاحظات حول تحديد المواضع منصبّة على
مانقله من نصوص ، وصلته بها لاتعدو صلة الناقل ، لا القائل . .

والناحية الثانية تتعلق بالمحقق وتتصل بعمله ، ولا يضيره أمرها ، فأنا
لست مما ذكرت على يقين ، ولكنني أوردته من قبيل المذاكرة . وسأبدأ بهذه
الناحية :

١ - ص ٣٨ - ورد خبر أسر حاتم . ولكن مثلاً شائعاً منسوباً إلى
حاتم في بعض كتب اللغة هو : (لو ذات سوارٍ لطمتني) مع قصته ، لم
أر إشارة إليه ، ولعل صاحبي « مجمع الأمثال » و « المستقصى » وقد ذكرا
المثل لم ينسباه إلى حاتم ، مع أنني لم أطلع على ما جاء فيهما ، ولكنهما
من مصادر المحقق الفاضل .

٢ - ص ٤٦ : (قائد جديلة أسيع بن عمرو بن لأم) .

(أَسْبَح) هنا تصحيف (أشنع) بالشين المعجمة بعد الألف ، وبالباء الموحدة ، والعين مهملة وهو في كتاب « النسب الكبير »^(١) وفي القاموس، وشرحه^(٢) : أشنع بن عمرو بن طريف وهو أخو لأم ، على ما في كتاب « النسب الكبير » .

٣ - حَبَّذَا لو تحدث المحقق الفاضل عن السلاسة والوضوح في شعر حاتم ، مما لا يجده القارىء في أشعار الجاهليين . بحيث يساوره الشك في ذلك الشعر من أساسه .

ويظهر لي أن خُلُوَّ شِعْرِ حَاتِمٍ - في مُجْمَلِهِ - من الكلمات العويصة ، من التعقيد أو التداخل في العُجْمَل ، يمكن إرجاعه إلى سببين : أحدهما أن حَاتِمًا حَضْرِيًّا ، يسكن قرية ويستثمر نخلا ، ويخالط قوما متحضرين تخالف لهجتهم لهجات أهل البادية ونحشوتتها .

والثاني : أن قبيلة - حاتم - وهي طيء - كانت قوية الصلة بالحواضر ، في الشام والعراق ، حيث تلتقي بأناس من مختلف القبائل ذوي لهجات مختلفة فتحاول أن تكون لغتها واضحة مفهومة ، فتختار السلاسة والوضوح كما أن الطريق إلى الشام من بلاد نجد ، ومن الحجاز عند مبدأ ظهور الإسلام كان يَمُرُّ بِأَعْلَى بلادها ، وهو الطريق المعروف قديماً باسم الجوشية . وهذا يقوي صلة قبيلة طيء بمختلف قبائل الجزيرة .

٤ - ص ٢٠١ قال حاتم :

لَيْتَ الْبَيْخِيلَ يَرَاهُ النَّاسُ كُلَّهُمْ كَمَا يَرَاهُ ، فَلَا يُقْرَى إِذَا نَزَلَا

وعلق المحقق الفاضل : كذا في الأصل : يراه كما يراه وفي (م)

يراه كما يراه . ولا أدري ما الصواب انتهى . وهذا عمل حسن فليت

(٢) رسم شنع .

(١) المخطوطة ص ١٥٠

كل من يتصدى لتحقيق كتب التراث يقف هذا الموقف في كلِّ مالم يتضح له مناه ، ولا يتعرض للنصوص القليلة فيغيرها حسب هواه (١) .
وأرى أن لاضير لو قرأنا كلمة (بزاه) : (نراه) ليستقيم المعنى .

٥ - وأورد في الديوان - ص ٢٢٠ - عن ابن الكلبي قال :
ذكروا أن عامر بن جُوَيْنٍ حالف محاربًا ، فأدخلهم الجبل ، فقاتلوا
بني بولان ، وبولان غُصَّين بن عمرو ، وأخوه تغلب بن عمرو .
وعلق محقق الديوان بقوله : لم أجد بين إخوة بولان - واسمه
غُصَّين - من يسمى تغلب ، ولعل الصواب ثعلبة - وهو جرّم - وهما
ابنا عمرو بن الغوث بن طي ، وأشهر إخوتهم ثعل بن عمرو وفيهم البيت
والهند ، واسودان بن عمرو وهو نبهان ، وهنّي بن عمرو . الخ .
ولما لا يكون الصواب (ثعل) فالاسم إلى أن يصحف بـ (تغلب) أقرب
من أن يصحف (ثعلبة) به .

ولأن بني ثعل هؤلاء كانت مساكنهم في جبل أجا ، وهم قوم حاتم
الأدنون ، أهل القرية . قرية حاتم : التي وردت في شعر امرئ القيس :
تَبَيْتُ لَبُونِي بِالْقُرْيَةِ أُمْنًا وَأَسْرَحَهَا غِبًّا بِأَكْتافِ حَائِلِ
وقال :

أَيَا ثُعَلًا وَأَيْنَ مِنِّي بَنُو ثُعَلٍ ؟ أَلَا حَبْدًا قَوْمٌ يَحِلُّونَ بِالْجَبَلِ
نَزَلْتُ عَلَى عَمْرٍو بْنِ دِرْمَاءَ بُلْطَةَ فَيَا كَرَمَ مَا جَارٍ ، وَيَا حُسْنَ مَا مَحَلِّ
وأما بنو ثعلبة - جرّم - فمنازلهم خارج الجبل ، جبل أجا غربه ،
إلى فردة وما دونها وما حولها .

(١) انظر أمثلة لذلك في مقال « تاريخ الإسلام وموقف مركز إحياء التراث » ، في مجلة

« العرب » جزء حمادى سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

قال المحقق - تعليقا على قول حاتم :

وَحَنَّتْ إِلَى قَتِّ بِجَنَّبِيَّ بَسِيطَةً

قَتُّ : لم أجد موضعا بهذا الاسم . وهو بالثاء المثلثة - وَقَتُّ هنا ليس اسم موضع ، بل اسم نبات يجمع حَبَهُ وَيُؤْكَلُ ، وهو يوجد وقت الخصب . ويكثر في شمال الجزيرة في أرض بَسِيطَةَ ، وفي بلاد الجوف . وقد شاهدته هناك ، وتحدثت عنه في كتابي « في شمال غرب الجزيرة »^(١) وتحدثت عنه المستشرق الويس موزل في كتابه « شمال نجد Northern Negd وهو يُسَمَّى السَّمْح .

وجاء في كتاب « النبات » صنعة الدكتور محمد حميد الله ، مما نقل عن أبي حنيفة^(٢) : والدعاع والقَتُّ بقلتان ، يخرج منهما حب أسود ، كالشِينِيز ، يُخْتَبَرُ وَيُعْتَصَدُ ، ورقه قريب من ورق الهندباء ، وتظهر البرعومة من وسطها في أول نباتها . انتهى المقصود منه .

وورد الاسم مصحفاً في بعض المطبوعات العربية : (القَتُّ الذي يأكله الناس) . والقَتُّ ليس من أطعمة الناس .

٧ - ص ٢٩٢ - أورد المحقق عن كتاب « الجبال والأمكنة والمياه

للزمخشري » : قوله : قرص : تَلُّ بِأَرْضِ غَسَّانَ ، واستدل بقول حاتم : نَحْوَ قُرْصٍ ثُمَّ جَالَتْ جَوْلَةَ .

ولكن جاء في « اللسان » وفي « القاموس » وشرحه « تاج العروس » : وَقُرْصٌ بِالضَّمِّ - تَلُّ بِأَرْضِ غَسَّانَ ، كَأَنَّهُ سُمِّيَ لِاسْتِدَارَتِهِ كَهَيْئَةِ الْقُرْصِ . قال عبيد بن الأبرص :

ثُمَّ عَجَبْنَا مِنْ خَوْصَا كَالْقَطَا الْقَا رِبَاتِ الْمَاءِ مِنْ أَيْنٍ وَكِلَالِ

نَحَوَ قُرْصٍ ثُمَّ جَمَّالَتْ جَوْلَةَ الْجَيْ سَلِ ، قَبَاً عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالِ
 أَضَافَ الْأَيْنَ إِلَى الْكَلَالِ وَإِنْ تَقَارَبَ مَعْنَاهَا لِأَنَّهُ أَرَادَ بِالْأَيْنِ الْفَتُورَ ،
 وَالْكَلَالَ الْأَعْيَاءَ وَقِيلَ : قُرْصٌ هُوَ ابْنُ أُخْتِ الْحَارِثِ بْنِ شَمْرِ الْغَسَّالِيِّ ،
 وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِ ابْنِ الْأَبْرَصِ .

الناحية الثانية : الملاحظات المتعلقة بالمواضع

وسأحاول أن أتناول بالكلام المواضع الواردة في شعر حاتم ، سواء كان
 صحيحاً أو منسوباً إليه باستثناء ما هو خارج منها عن جزيرة العرب ، بل
 قد أذكر أسماء يسيرة وردت عرضاً في الكلام على ذلك الشعر وما ينبغي
 إدراكه حول تحديد المواضع أن الخطأ في ذلك ينشأ عن أسباب منها .
 الأول - وقوع التحريف أو التصحيف في الأسماء ، في كثير من
 الكتب ومن أمثلة ذلك من المواضع الواردة في هذا الديوان .

١ - الحلبط - حالة .

٢ - الرداة - الرِّدَاةُ - جمع ردهة .

٣ - زخة - رِخَّةٌ - بالراء .

٤ - سثار - مشار .

٥ - سيرا - سَمِيرَاءُ .

٦ - مصاخر - مضاخر .

الثاني - أن الاسم الواحد قد يطلق على عدد من المواضع ، وإذا لم يكن
 لدى الباحث إلمام بالنازل التي يتحدث عنها ، قد يذكر من بينها ما ليس
 منها ومن أمثلة هذا في الديوان .

١ - الفرية - تصغير قَرِيَّةٍ .

٢ - متالع .

الثالث - أن معجمات الأمكنة التي بين أيدي الباحثين ليست شاملة لكل المواضع الواردة في الأشعار القديمة والأخبار . ولذلك أمثلة كثيرة يمكن الرجوع إلى بعضها في كتاب « أبو علي الهجري ، وأبحاثه في تحديد المواضع » .

ومن الأمثلة في شعر حاتم : مَضاخِر - بالضاد والخاء المعجمتين - فهذا لم يذكره البكري ولا الحموي في موضعه من معجميهما ، وإنما ذكره نصر بن عبد الرحمن الاسكندري في كتابه الذي لا يزال مخطوطاً ، وقرنه بموضع لا يزال معروفاً في جهة الجبلين .

الرابع - أن أصحاب المعجمات الذين تصدوا لتحديد المواضع كانوا ينقلون عن كتب مختلفة في مناهجها وعن دواوين لشعراء من مختلف القبائل . ومن هاؤلاء من يورد اسم موضع ورد في شعر شاعر باعتباره من بلاده ، وما كل موضع يذكره الشاعر في شعره يكون في بلاد قومه .

ويورد صاحب المعجم لتحديد الموضع أقوالاً مختلفة ، اعتماداً على ما نقل عنه من كتب ، فقد يعرف الموضع بالنسبة لسكانه كان يقول : متالع في بلاد طيء وقد يعرفه بصفته كان يقول : جبل أبيض . أو يعرفه بما يقع بقربه من المواضع المشهورة كان يقول : متالع غرب أجا .

وقد يظن من ليس لديه إلمام تام بطريقة أصحاب المعجمات هذه أن تلك الأقوال تقع على مواضع متعددة وما هي في الحقيقة سوى موضع واحد في كثير من الأحوال ، بخلاف ما إذا نسب الموضع لقبيلتين - أو أكثر - من القبائل المتباعدة في المنازل ، كما في متالع - عند ياقوت - فالاسم يطلق على جبال متعددة ولكنه لم يذكر من بينها متالع الواقع في بلاد طيء وقد ذكره نصر ، وهو من مصادره .

بعد هذا الاستطراد يحسن أن ندخل في الموضوع ، وليسمح لي المحقق

الفاضل في إطالة النفس في الكلام على تحديد المواضع ، فأنا أكتب هذا لِقْرَاءِ بِحْتاجُونِ إِلَى تَفْصِيلِ الْقَوْلِ عَنْ مَوَاضِعِ يَعِيشُونَ فِيهَا وَحَوْلَهَا ، وَيُوَدُّونَ الْاِسْتِزَادَةَ مِنْ مَعْرِفَةِ مَاضِيهَا .

وهذا يبعدها عن الديوان ، ولكنه بُعِدَ ذُو فَائِدَةٍ .

١ - أَبَايِرُ : ص ٢٧٥ - قَالَ حَاتِمٌ :

بَانَ بَنِيهِ قَدْ تَنَاعَوْا بَدَارِهِمْ فَحَوْرَانُ أَدْنَى دَارِهِمْ فَبَابِئِرُ
وقال المحقق الفاضل : أبائر لم أجد موضعاً بهذا الاسم : فقراقر .

البكري وقال : وَيُدَلُّ أَنَّ قَرَاقِرَ بِشَقِ الشَّامِ بَيْتَ حَاتِمِ هَذَا ، لِأَنَّ حَوْرَانَ مِنْ عَمَلِ دِمَشْقَ . انْتَهَى .

وأضيف : سِيَّاتِي الْكَلَامِ عَنْ قَرَاقِرَ ، أَمَا أَبَايِرُ فَقَدْ وَرَدَ مُصَحَّفًا فِي « مَعْجَمِ الْبِلْدَانِ » وَفِي كِتَابِ أُخْرَى ، مَعَ أَنَّهُ لَا يَزَالُ مِنْ أَشْهُرِ الْمَوَاضِعِ فِي شَمَالِ الْجَزِيرَةِ ، وَهَاهُو مَاقَلْتُ عَنْهُ فِي « الْمَعْجَمِ الْجُغْرَافِيِّ » ^(١) .

أَبَايِرُ : وَرَدَ اسْمُ هَذَا الْوَادِي مُصَحَّفًا فِي شَعْرِ الرَّمَّاحِ بْنِ اِبْرَدٍ - ابْنِ مِيَادَةَ - الَّذِي أَوْرَدَهُ صَاحِبُ « مَعْجَمِ الْبِلْدَانِ » ^(٢) وَمِنْهُ - :

وَبِالْغَمْرِ قَدْ جَازَتْ وَجَازَ مَطْيِهَا فَتَسْقَى الْغَوَادِي بَطْنَ بَيْسَانَ وَالْعَمْرَا
فَلَمَّا رَأَتْ أَنْ قَدْ قَرَبْنَ أَثَابِرَا عَوَاسِفَ سَهَبٍ تَارَكَاتِ بِنَا نَجْرَا
(أَثَابِرَ) صَوَابِهِ : أَبَايِرَ . وَ (بَيْسَانَ) صَوَابِهِ : نَيْسَانَ . وَالْغَمْرَ وَنَيْسَانَ
وَأَبَايِرَ كُلِّهَا مَوَاضِعٌ مَعْرُوفَةٌ مُتَقَارِبَةٌ .

وأورده ياقوت أيضاً في « معجم البلدان » قائلاً : أَبَايِرُ بِالضَّمِّ وَالْيَاءِ
الثانية مكسورة - منهل بلأرض الشام في جهة الشمال من أرض حوران .
قال الرَّمَّاحُ بْنُ مِيَادَةَ وَهُوَ عِنْدَ الْوَلِيدِ هَذَا الْمَوْضِعَ ، وَكَانَ يُخْرِجُ إِلَيْهِ فِي
أَيَّامِ الرَّبِيعِ لِلنَّزْهَةِ :

(٢) نجر .

(١) : (قسم شمال المملكة) ٢٧٠-٢٧٠ .

لعمرك إني نازل بأباير وضوء ومشتاق وإن كنت مكرماً
أبيت كأنني أرمد العين ساهراً إذا بات أصحابي من الليل نوماً
وأقول : والصواب أباير - بالباء الموحدة بعدها ألف فياء مشناة تحتية
وآخره راء - ويعرف الآن باسم (ياير . أنظر هذا الاسم) وهو واد من
روافد وادي السرحان ، يقع في الجنوب الغربي من النبك قاعدة الوادي .
ويفيض فيه بين قريتي غطى شمالاً والعين البيضاء (الجفيرات) جنوباً ،
وفي أعلى أباير منهل من أشهر المناهل في ملتقى طرق ويدعى باير (ويقع
الوادي بين خطي الطول ٣٠ و ٣٦ و ٣٠ و ٣٧ تقريباً وخطي العرض
٤٥ و ٣٠ و ١٥ - ٣١ تقريباً) أما ضوء - الوارد في شعر الرماح - فقد
يكون محرفاً وأن الصواب ضراء - بالراء بدل الواو - وهو واد أيضاً يقع
بقرب وادي أباير شماله ، ويدعى الآن الضروة يفيض بعد أن يجتمع بوادي
الغدف (الأغدف) شمال قرية الحديثة ، في الرشرشية في أعلى وادي السرحان
وبقرب وادي أباير واد يدعى وادي الضواين ، وقد يكون هو المقصود في
قول الشاعر ، وهو يقع شرق جنوب وادي أباير ، ويفيض في وادي
السرحان شمال العيساوية بعد أن يجتمع بوادي الحصاة . على أن البيتين
وردا في « الأغاني » ^(١) هكذا :

لعمرك إني نازل بأباين لصوارة مشتاق . الخ
- وأراه تصحيفاً في الموضعين ، وللخبر بقية طريقة يحسن إيرادها .
فقال الوليد : كأنك عزفت من قربنا ؟ فقال : ما مثلك يا أمير المؤمنين
يُعزَف من قربه ولكن :

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلة
بحرة ليلي حيث ربتني أهلي

(١) طبعة الساسي ٢ - ١٠٤

وهل أسمعنُ الدهرَ أصواتَ هجمة تطالع من هَجَلٍ خصيب إلى هَجَلٍ
بلاد بها نيطت عليّ تلامي وقُطِعتْ عني حين أدركني عقلي
فإن كنت عن تلك المواطن حابسي فأيسرُ عليّ الرزق واجمع إذْ نُ شَملي

فقال : كم الهجمة ؟ قال : مئة ناقة . فقال : قد صدرتَ بها كلها
عُشْرَاءُ ! قال ابن ميادة : فذكرت ولداناً لي بنجد إذا استطعموا الله عز وجل
أطعمهم وأنا ، وإذا استسقوه سقاهم وأنا ، وإذا استكسوه كساهم وأنا .
فقال : يا ابن ميادة ! كم ولدانك ؟ فقلت : سبعة عشر منهم عشرة نفر
وسبع نسوة . فذكرتُ ذلك بقلبي . فقال : يا ابن ميادة قد أطعمهم الله
وسقاهم وكساهم . أما النساء فأربع حلل مختلفات الألوان ، وأما الرجال
فثلاث حلل مختلفات الألوان ، وأما السقي فلا أرى مائة لقحة إلا أستروهم ،
فإن لم تروهم رزقتهم عَيْنَيْنِ مِنَ الحجاز . قلت : يا أمير المؤمنين لسنا
بأصحاب عيون ، يأكلنا بها البعوض ، وتأخذنا بها الحميات . قال : قد
أخلفها الله عليك كل عام لك فيه مثل ما أعطيتك العام مئة لقحة وفحلها ،
وجارية بكرٌ ، وفرس عتيق .

أَبْنَةُ - ص ٣١٣ - أورد محقق الديوان هذا الشطر :

عَفَّتْ أَبْنَةُ من أهلها فالأجاولُ .

وقال : نسبة البكري لحاتمٍ في مادة أَبْنَةُ وهي مائة لطيء ، والصواب
أنه لزيد الخيل ، من قصيدة في ديوانه . انتهى . هنا إشكال ، فالبكري
أورده في كلامه على حمى قيد ، والبكري نقل كلامه على الأحماء كلها -
حمى ضرية وحمى قيد وحمى النقيع - نقلها نقلاً ، ولم يصرح بمصدره .
ولكن مؤرخ المدينة السهمودي أورد ما ذكره البكري ، ونسبه إلى الهجري ،
ونص على أنه نقله عن كتابه ، والهجري من علماء الجزيرة ، بل من كبار

علماء اللغة القدماء ، عاش في القرن الثالث ، وكونه ينسب الشعر لحاتم ، ثم يأتي إنسان متأخر عن زمنه وينسبه لزيد الخيل ، ثم يعمد أحد المعاصرين فيجمع الشعر المنسوب لزيد في ديوان فإن من الصعب الجزم بأن كل ماورد في هذا الديوان من شعر زيد ، لا من شعر غيره .

ولكن ينبغي البحث عن وسائل أخرى تحمل على ترجيح أن الشعر لزيد ، وإن لم تبلغ حدّ الجزم ، ومن تلك الوسائل أن أبضة والأجاول بقرب جبل سلمى التي هي بلاد بني نبهان قوم زيد ، كما أنه ذكر مواضع كثيرة بقرب أبضة ، منها طابة والقفيل وإرام ، وكلها بقرب فيد الذي أقطعه إياه الرسول صلى الله عليه وسلم حين وفد إليه ولكنه مات في الطريق على ماء فردة قبل أن يصل إلى بلده ، وقال قبل موته أبياته المشهورة :

أَمْطَلْعُ صَحْبِي الْمَشَارِقَ غُدْوَةً وَأَتْرَكُ فِي بَيْتِ بِفَرْدَةٍ مُفْرَدِ
سَقَى اللَّهُ مَا بَيْنَ الْقُفَيْلِ وَطَابَةِ فَمَا فَوْقَ إِرَامَ فَمَا دُونَ مُنْشَدِ
أَمَّا أَبْضَةٌ فَالْقَوْلُ بِأَنَّهَا مَاءٌ لَطِيءٌ صَحِيحٌ ، ولكنه لا يني بتحديد موقعها . ولأن بعض من سيقراً ملاحظاتي هذه قد يتطلع إلى مزيد إيضاح عنها فسأورد ما ذكرته في كتابي « معجم البلاد العربية السعودية » قسم شمال المملكة ^(١) :

أَبْضَةٌ : بضم الهززة وكسرها قال الهجري ^(٢) في تحديد حمى فيد :
الأجول جبل أسود لبني ملقط من طيء وأقرب مياههم إليه مائة يقال لها أبضة وهي في حرة سوداء غليظة ، وقد ذكرها حاتم فقال :
عَفَّتْ أَبْضَةٌ مِنْ أَهْلِهَا فَالْأَجُولُ

ثم يلي الأجول جبل يقال له دخنان لبني نبهان من طيء وبينه وبين

(٢) ص ٢٨٢ .

(١) ص ٢٠ .

فيد اثني عشر ميلاً . وقال البكري : أَبْضَةٌ . قال زيد الخيل :

عَفَّتْ أَبْضَةٌ مِنْ أَهْلِهَا فَالْأَجَاوِلُ فَوَادِي نَضِيفُ فَالصَّعِيدُ الْمَقَابِلُ
وَذَكَرْنِيهَا بَعْدَمَا قَدْ نَسِيْتَهَا رَمَادٌ وَرَثْمٌ بِالشَّبَابَةِ مَائِلُ
فَبِرْقَةٌ أَفْمَى قَدْ تَقَادَمَ رَسْمُهَا فَمَا إِنْ بِهَا إِلَّا النَّعَاجُ الْمَطَافِلُ
وقال البيهقي أَبْضَةٌ مَاءٌ لِبَنِي مَلْقَطٍ مِنْ طِيٍّ ، عَلَيْهِ نَخْلٌ ، وَهُوَ عَلَى
عَشْرَةِ أَمْيَالٍ مِنْ فَيْدٍ ، عَلَى طَرِيقِ الْمَدِينَةِ ^(١) . وقال ياقوت ^(٢) : -
أَبْضَةٌ : مَاءٌ لِبَنِي الْعَنْبَرِ ، وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْخَوَارِزْمِيُّ : أَبْضَةٌ مَاءٌ لَطِيٍّ ، ثُمَّ
لِبَنِي مَلْقَطٍ مِنْهُمْ عَلَيْهِ نَخْلٌ ، وَهُوَ عَلَى عَشْرَةِ أَمْيَالٍ مِنْ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ ،
قَالَ مَسَاوِرُ بْنُ هَنْدٍ يَصِفُ هَذَا الْمَكَانَ :

سَائِلُ تَمِيمًا هَلْ وَفَيْتُ فَإِنِّي أَعَدَدْتُ مَكْرَمَتِي لِيَوْمِ سَبَابِ
وَأَخَذْتُ جَارَ بَنِي سَلَامَةَ عَنُودًا فَدَقَعْتُ رِبْقَتَهُ إِلَى عَتَابِ
وَجَلَبْتَهُ مِنْ أَهْلِ أَبْضَةَ طَائِعًا حَتَّى تَحْكُمَ فِيهِ أَهْلُ إِرَابِ
وفي كتاب «المناسك» ^(٣) : وعلى أربعة عشر ميلاً من فيد منازل
للأعراب فيها نخل وآبار ماؤها غليظ ، يقال للموضع أَبْضَةٌ ، وخلف أَبْضَةَ
بثلاثة أميال ونصف عن يسار الطريق هضبات يقال لها هضبات أَبْضَةَ ،
على بعضهن صخرتان منفردتان ليس يمسكهما شيءٌ لم يزالا على ذلك تسمى
أحدهما جَمَلٌ والأخرى جَمِيلَةٌ . وفي «معجم ما استعجم» أن أَبْضَةَ عَلَى
عَشْرَةِ أَمْيَالٍ مِنْ فَيْدٍ ، وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ بِأَنَّ قَوْلَ صَاحِبِ
«معجم ما استعجم» بِالْأَمْيَالِ الطَّوِيلَةِ .

ويوم أَبْضَةَ مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ الْمَعْرُوفَةِ ، أَغَارَتْ فِيهِ ضَبَّةٌ عَلَى بَنِي فَرِيرٍ
وَيَحْتَرُ مِنْ طِيٍّ .

(١) «معجم ما استعجم» . (٢) معجم البلدان . (٣) ص ٥١٥ .

وأبضة الآن قرية ، ويضاف إليها خرة تدعى خرة أبضة (عبضة في
المصور الجغرافي خطأ) تقع في الطرف الشرقي الجنوبي من جبل سلمى ،
غرب بلدة فيد ، كما يضاف إليها جبل يدعى جبل أبضة يفصل بينه وبين
سلمى من الجنوب حرة تقع بلدة طابة في طرفها الغربي الشمالي .
وقد عدّها الأستاذ سليمان الدخيل من ديار الأسلم من شمر ومنهم سكانها
الآن وهي تبعد عن مدينة حائل قاعدة الجبلين مئة وعشرة أكبال ، في
الجنوب الشرقي .

٣ - أجأ - ص ٢١٨ - قال حاتم :
أرى أجأ من وراء الشقيتي والصهو زوجهَا عامر
- في خبر سيأتي ذكره في الكلام على الصهو :
وقد بسطت القول عن جبل أجأ هذا في كتاب « المعجم الجغرافي »
المتقدم ذكره ^(١) بما لا يتسع له المجال هنا .
٤ - أظايف : - ص ٢٤٥ : قال حاتم :

إِذَا الرِّيحُ جَاءَتْ مِنْ أَمَامِ أَظَايِفٍ وَأَلَوْتُ بِأَطْنَابِ الْبَيْوتِ صُدُّورُهَا
أُظَايِفٌ : جبل في ناحية طيء .

وأورد المحقق في الحاشية قول ياقوت : أظايف بالمهملة والمعجمة ،
ولا أدري أحدهما تصحيف أم هما موضعان ، وبالطاء المعجمة ذكره نصر
وقال : جبل فارد لطيء ، أنطق أحمر ، على مغرب الشمس من تنغة وكانت
تنغة منزل حاتم الطائي . انتهى .

وأضيف إلى هذا : (١) : هذا الوصف لجبل أظايف في كتاب نصر
الاسكندري ولم يشر إلى هذا ياقوت - والله يغفر له (٢) : كان مما أوردت في
كتاب « المعجم الجغرافي » عن أظايف هذا بعد كلام نصر

(١) ص : ٩٦ .

(١) ٥١-٤٧

وقال المجرى : وظايف جبل شرقي أجا ، مطلع الشمس ، به قبر حاتم ،
ليس قربه جبل . انتهى .

وكثيراً ما تبدل الألف واواً مثل أضاخ ووضاخ . فوظايف هنا هو
أظايف من قبيل تسهيل الهزمة واواً .

وقال المرقش في قصيدة في « المفضليات » (١) :

يُودِكِ مَاقُومِي عَلَى أَنْ هَجَرْتُهُمْ إِذَا أَشْحَدَ الْأَقْوَامَ رِيحَ أَظَايِفِ
وأورد ياقوت هذا البيت بالطاء المهملة ، ثم لا ذكر (أظائف)
قال : (تقدم في الهزمة والطاء المهملة ، ولا أدري أحدهما تصحيف أم هما
موضعان) .

وأقول : الصواب بالطاء المعجمة كما ينطق الآن (٢) ، ولا يزال
معروفاً ، هو جَبِيل صغير ، من سلسلة الجبال التي تقع شمال أجا ، بينه
وبين النفود ، وعن يمين ذلك الجبيل جبل أكبر منه يُدعى القاعد ، ويبعد
أظايف عن مدينة حايل ما يقارب الـ ٤٠ كيلاً في الشمال الغربي منها (بقرب
خط الطول ٤٥ - ٤١ وخط العرض ٥٥ - ٢٧) .

أما لماذا خصت الريح التي تأتي من جهة أظايف بالبرودة فلأن الجبل
يقع بالنسبة لقرى أجا في الشمال الغربي وريح تلك الجهة هي أشد الرياح
برداً في الشتاء ، ثم إن جهته مكشوفة لهبوب الريح ، بخلاف الجهات الأخرى .
٥ - بسِيطة - ص ٢٧٦ - قال حاتم :

وَحَنُوا إِلَى فَتْ بَجَنِّي بِسِيطة كَمَا حَنَ لِلْإِكْلَاءِ نَيْبُ صَوَادِرِ
وشرحه محقق الديوان فقال : فَتٌ : لم أجد موضعاً بهذا الاسم ،
وبسِيطة فلاة على طريق طيء إلى الشام .

(١) « شرح المفضليات » للأبارى ٤٧٦ .

(٢) غير أن العامة يملكون الهزمة فيقولون (ظايف) .

والإكلاء : مُصَدَّرُ أَكَلَاتِ الْأَرْضِ أَي كَثُرَ كَلَامُهَا .
فَتْ - بِالنَّاءِ الْمُثَكَّةِ وَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ .

أما بسيطة هذه فهي فلاة واسعة وتخرقها طرق إلى الشام من بلاد
طية ، ومن جهات خيبر ومن شمال الحجاز .

وهناك بُسَيْطَةٌ أُخْرَى عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ سَوَادِ الْعِرَاقِ .

وقد ورد ذكر البسيطتين اللتين لانزالان معروفتين في شعر المتنبي .
وأكتفي بإيراد ما يتعلق ببسيطة التي يغلب على الظنُّ أَنَّ حَاتِمًا قَصَدَهَا .
في « معجم البلدان » أيضاً : (بسيطة بلفظ تصغير بسطة - أرض
في البادية بين الشام والعراق ، حدُّها من جهة الشام ماء يقال له أمر ،
ومن جهة القبلة موضع يقال قعبة العلم ، وهي أرض مستوية ، فيها حصي
منقوش ، أحسن ما يكون ، وليس بها ماء ولا مرعى ، أبعد أرض الله من
السكان ، سلكها أبو الطيب المتنبي لما هرب من مصر إلى العراق ، فلما
توسطها قال بعض عبيده - وقد رأى ثوراً وحشياً - : هذه منارة الجامع
وقال آخر منهم وقد رأى نعامة : وهذه نخلة . فضحكوا فقال المتنبي :

بُسَيْطَةٌ - مَهْلًا - سُقِبَتِ الْقِطَارَا تَرَكْتُ عِيُونَ عَيْدِي حَيَارَى
فَظَنُّوا النَّعَامَ عَلَيْكَ النَّخِيل وَظَنُّوا الصُّوَارَ عَلَيْكَ الْمَنَارَا
فَأَمْسَكَ صَحْبِي بِأَكْوَارِهِمْ وَقَدْ قَصَدَ الضُّحُكُ مِنْهُمْ وَجَارَا

وقال نصر : (بسيطة فلاة بين أرض كلب وبلقين ، بقفا عفر ،

أو أعفر ، وقيل : على طريق طية إلى الشام . وأقول :

١ - بُسَيْطَةٌ هَذِهِ - وَتُعْرَفُ (الْبُسَيْطَةُ) : مَوْضِعٌ لَا يُزَالُ مَعْرُوفًا ، وَقَدْ

يسمى : (بُسَيْطًا) بِالْأَلْفِ كَمَا فِي شِعْرِ شَاعِرِ عَامِيٍّ يُدْعَى الْهَرَبِيدِ : (أَلِيْ لَهُمْ

بِأَقْصَى بُسَيْطًا مَدَالِي) .

والبسيطة هذه تقع بقرب غربي وادي السرحان ، وتمتد بامتداد الوادي من وادي حدرج إلى قرب نهاية الوادي من الناحية الجنوبية (أي من الدرجة ٣٠ - ١٩ إلى الدرجة ٣٠ - ٢٠ عرضاً شمالياً وغرباً ومن الدرجة ٠٠ - ٣٨ إلى الدرجة ٣٥ - ٣٨ طولاً شرقياً) .

وتمتد بسيطة هذه غرباً بحيث يمرُّ بها الطريق من الشام إلى تبوك ، وفيها هناك منزلة لحجاج الشام ، قبل ذات الحجاج ، للمتجه إلى تبوك تدعى العرائد ، والقاع أيضاً ، وهي واقعة شرقيّ حالة عمار ، بينها وبين المُدورة . وفي البسيطة هذه يقول صلاح الدين الصفدي ، في رحلته « حقبقة المجاز إلى الحجاز » .

سَرْنَا بِرُكْبٍ كَبِيرٍ لَمْ يَقْطَعْ السَّيْرُ حَيْطَهُ
كُنَّا بِقَاعَاتٍ بَسْطٍ نَلْهُو بِقَاعِ بُسَيْطَةٍ

٦ - بُلْطَةُ : ص ٢٩٧ - من الشعر المنسوب لحاتم وغيره :

فَهَلْ أَنَا مَاشَ بَيْنَ شَوَاطِئِ وَحِيَّةٍ وَهَلْ أَنَا لَاقِي حَيِّ قَيْسِ بْنِ شَمْرَاءِ
وَكَنْتُ إِذَا مَا حَضْتُ يَوْمًا ظِلَامَةً غَانُ لَهَا شَعْبًا بِبُلْطَةِ زَيْمَرَاءِ
نِيَافًا تَزِلُّ الطَّيْرُ عَنْ قَدْفَاتِهِ يَظَلُّ الضَّبَابُ فَوْقَهُ قَدْ تَعَصَّرَاءِ

وفي الحاشية ما يشير إلى أن الأبيات نسبتها ابن النحاس لامرئ القيس . وذكر أنها تروى لحاتم . شوط : في ديار بني ثعل ، من أحد جبال طيء .

وحية : موضع في ديار بني ثعل :

بلطة زعر : موضع بجبلي طيء .

وأكنفي بإيراد ما قلته عن بلطة في « المعجم الجغرافي » .

بُلْطَةُ : - بضم الباء وإسكان اللام بعدها طاء مهملة وآخره هاء -

قال الهجري: قال الرزني: بُلْطَةُ وشُوط - مضمومة الشين - ومسطح
 فرعان من أجَلٍ كانا لجرم ، فهما اليوم للدرماء) وقال : (ومن شعاب
 أَجَلٍ : تُوَارِنُ - غير معجمة الراء - وحقل ، وبلطة - بفتح الباء وضمها
 وحضن ، ورُمِيضُ ، معجمة الضاد ، وثرمداء : مثل الذي في الهامة)^(١)
 وقال نصر^(٢) : (بلطة : عين بها نخل ، ببطن جَوْ ، من مناهل
 أَجَلٍ) .

وفي «معجم ما استعجم» بلطة : موضع بجبل طي» قال امرؤ القيس :
 نزلتُ على عمرو بنِ دَرَمَاءَ بُلْطَةَ فَيَا خَيْرَ مَا جَارِ ، وَيَا حُسْنَ مَا مَحَلَّ
 ويشهد لك أنه أرض أنه أتى به في موضع آخر مضافاً إلى زَيْمَرَ -
 قال :

وكنْتُ إذا ما خِفْتُ يوماً ظلامَةً فإن لها شِعْباً بِبُلْطَةِ زَيْمَرَ
 جعلهما اسماً واحداً) .

وفي «معجم البلدان» : (بلطة : موضع معروف بجبل طي » ، وهو
 كان منزل عمرو بن درماء الذي نزل به امرؤ القيس .. وقال :
 نزلت على عمرو بنِ دَرَمَاءَ بُلْطَةَ فَيَا حُسْنَ مَا جَارِ ، وَيَا كُرْمَ مَا مَحَلَّ
 وقال أيضاً :

وكنْتُ إذا ما خِفْتُ يوماً ظلامَةً فإن لها شِعْباً بِبُلْطَةِ زَيْمَرَ
 قال أبو عبيد السكوني : بلطة : عين ونخل وواد من طلع ، لبني
 درماء في أَجَلٍ ، وقد ذكرها امرؤ القيس لما نزل بها على عمرو بن درماء
 فقال :

أَلَا إِنَّ فِي الشَّعْبَيْنِ شِعْبَ بِيَسْطَاحِ وَشِعْبَ لَنَا فِي بَطْنِ بُلْطَةِ زَيْمَرَ

(٢) كتاب نصر .

(١) « أبو عل الهجري » ص ٢٠٧-١٨٢

(٢) « معجم ما استعجم » .

وقال سلام بن عمرو بن درماء الطائي :

إِذَا مَا غَضِبْتُ أَوْ تَقَلَّدْتُ مَنْصِلِي فَلَأَيًّا لَكُمْ فِي بَطْنِ بُلْطَةَ مَشْرَبٍ
فَإِنَّكُمْ وَالْحَقُّ لَوْ تَدْعُونِهِ كَمَا انْتَحَلْتَ عَرْضَ السَّمَاءِ أَهْيَبِ
كَسْنِبِنَا الْمَدْلِينَ فِي جَوْ بِلْطَةَ أَلَا بَشْسَ مَا أَدْلُوا بِهِ وَتَقَرَّبُوا
وحدث نَفْطَوَيْهِ قَالَ : قدمت امرأة من الأعراب إلى مصر ، فمرضت ،

فأتاها النساء يعلننها بالكعك والرمان وأنواع العلاجات فأنشأت تقول :

لَأَهْلُ بُلْطَةَ إِذْ حَلُّوا أَجَارِعَهَا أَشْهَى إِلَى الْقَلْبِ مِنْ أَبْوَابِ سُودَانِ
جَاؤَا بِكَعْكِ وَرُمَانِ لِيَشْفِينِي يَا وَيْحَ نَفْسِي مِنْ كَعْكِ وَرُمَانِ

وفي كتاب « التكملة » للصغاني ^(١) بعد إيراد قول امرئ القيس : -

وكنت إذا ما خفت يوماً ظلامه فإن لها شعباً ببُلْطَةَ زَيْمِراً
منيفٌ تزلُّ الطيرُ عن قُدغاته يظلُّ الضبابُ فوقه قد تعصراً

بلطة : اسم واد . وزيمر موضع أضاف الأول إليه .

وأقول بلطة : شعبة في جوف أجبا ، فيها عين تسقي نخيلات

قليلة ^(٢) ، وسيل هذه الشعبة يفضي إلى وادي الرصف ، فوادي حايل

وتبعد عن مدينة حايل بـ ٣٢ كيلاً ، وتعتبر من متنزهات حايل :

قال عبد العزيز بن عبدالله الجريفاني شاعر شعبي يعدد متنزهات

حايل :

وَبُلْطَةَ وَمَعَهَا جَوَّ قَالُوا : عَلَيْهَا نَوَّ

السَّيْلُ جَاهِهَا نَوَّ وَالْكُلُّ مَلْيَانُ

ونلما زرت مدينة حايل في شهر المحرم سنة ١٣٨٤ (انظر العرب

ص ٢ ص ١٠٥٧) دعاني الأستاذ محمد بن عبدالله آل مبارك مدير

(٢) وقدّر اللخيل نخلها بـ ٤٠٠٠ .

(١) ٤ - ٥٤٧ .

التعليم إلى العشاء ، فطلبت أن يكون في ذلك الموضع ، فأنعم وأفضل ،
ودعا جماعة من رجال العلم والفضل منهم الأستاذ عبد الرحمن الملق ،
والشيخ على الصالح .

وقد أمضيناها سويحات لا تُنسى مع أولئك الإخوة ، وفي ذلك الموضع
الذي يضفي عليه جلال الذكريات القديمة جمالاً وروعة .

ثم زرت المكان في شهر ربيع الأول سنة ١٣٩٥ - ولكنني وجدت
ماء العيين ضعيفاً ، والنخيلات مهملة ، وكان الوقت عصراً ، فأحسست
بالوحشة لخلو المكان وتغيره .

٧ - بُوَاعَةٌ : ص ٢٧٥ قال حاتم :

وَأَرْسَلَتِ الْأَشْوَالُ حَوْلَ بُوَاعَةٍ عَرِينٍ وَتَرَعَى بِالرِّزَادِ الْعَشَائِرُ
نقل محقق الديوان قول ياقوت : بُوَاعَةٌ صحراء ، عندها رَدْمَةٌ
القرينين ، لبني جرم . انتهى .

وهذا القول من كتاب نصر الاسكندري ، ولم يزد عليه ياقوت
بشيء .

وقال المجرى : بُوَاعَةٌ جبال لجرم من طيء ، ثم دفعت عنها اليوم ،
وهي لدرماء وزُرَيْقٍ وَمَعْنٍ - والكل من طيء - وفي كتاب نصر : (بُوَاعَةٌ
صحراء عندها ردمة القرينين لجرم) . وبُوَاعَةٌ لا تزال معروفة . قال
موزل ^(١) : (وفيما بين وادي الشعبة وجوى رشيد ^(٢) تقع تلال أم
لحم والبويب وصعنب وصراف وبشر الأطرم والقرانين وبشر البواعة) .

(١) د الرباه ص ٥٦٦ ص ٩ .

(٢) لم أجد أحداً يعرف جوى رشيد هذا ، ولكن موقعه مرسوم على الخريطة بخرقة
وادي سقف .

وأضيف : يظهر أن اسم بواعة كان يطلق على صحراء واسعة ذات جبال ، أما الآن فيطلق الاسم على جبل يقع غربى جبال الصهو المتصلة بأجا من الناحية الغربية بميل نحو الشمال ، غرب بلدة موقق بما يقارب خمسين كيلاً ، وهو بقرب قرية فيضة ابن سويلم في الجنوب الشرقى منها بما يقارب عشرة أكيال ، ويشاهد منها رأى العين ، ويبعد عن حابل بما يقرب من ١٣٠ كيلاً في الجنوب .
وبقرب الجبل بئر تسمى بواعة أيضاً .

٨- تَنْغَةٌ - ص ١١٢ : (ودفن حاتم بتنفة ، وهي منهل في بطن وادي حاتل) والمصدر « معجم البلدان » مع ذكر عوارض بأنه جبل عليه قبر حاتم على ماقى الهامش نقلاً عن ياقوت .

وجاء في الديوان (ص ١٧٤ :) أن الخبيرى مرّ بقبر حاتم بمكان يقال له تنفة ، وحوله أنصاب من حجارة ، كأنهن نساء نوائح .
وهنا إشكالان أحدهما يتعلق بتحديد موقع تنفة قرية حاتم . والثانى :
موقع قبره حيث لدينا عنه ثلاثة أقوال ، ثالثهما ماتقدم عن الهجري بأنه فى أظايف .

أما عن تَنْغَةٌ فجهل ضبط الاسم مع غرابته من الأسباب التى ساعدت فى خفائه ، ولستعرض ماورد عن المتقدمين مما وصل إلينا عنه ، مما أوردته فى « المعجم الجغرافى » :

تَنْغَةٌ : قال نصر : (باب تَلَعَةٌ وَتُنْغَةٌ وَنَبْعَةٌ وَبَتَّةٌ : أما بفتح التاء ويليهام لام : ناحية قريبة من اليمامة .

وما بعد التاء نون ثم غين معجمة : قرية من حضرموت عند وادي برهوت .

وأيضاً في ديار طيء حيث قبر حاتم ، وقيل : بضم التاء وصحف فقيل
بالتاء . ويخط أبي الفضل : تنعة منهل في بطن وادي حائل لبني عدي
ابن أخزم وكان حاتم نزله .

وأما بفتح النون وسكون الباء الموحدة وعين مهملة : بلد بعمان ، وأيضاً :
بن جبال عرفات .

وما أوله باء موحدة مفتوحة يليها تاء ساكنة عليها نة طئتان : جبل لبني
نصر بن معاوية ، فيه قبور لقوم عاد) . انتهى وأورد ياقوت في « معجم
البلدان » ما يتعلق بالموضع الذي في حائل وضبطه بضم أوله والغين المعجمة .
وفي « ديوان حاتم » : (قبر حاتم بمكان يقال له تنعة ، وحوله أنصاب
نوائح من حجارة كنهن نساء) . انتهى ومطبوعة الديوان الأولى
كثيرة الأخطاء فلا يوثق بها .

ويورد موزل^(١) : ما ذكره ياقوت من أن حاتمًا دفن في المكان الذي
عاش فيه في تنعة في وادي حائل ، ويستسخف ما ذكر ياقوت من أنه
ولد في قرية بيست في برقة في شمال افريقية قائلًا : من السخف أن رجلاً
من قبيلة طيء التي تسكن وسط الجزيرة العربية التي لا تعرف قرية بيست
قد ولد هناك في نهاية القرن السادس .

وكنت كتبت^(٢) حينما زرت مدينة حائل أول مرة في محرم سنة
١٣٨٨ كلمة بعنوان (في مرابع حاتم الطائي) حاولت فيها تحديد القرية
ورجحت أن يكون موقعها السويقلة أسفل مدينة حائل على مقربة منها ، وكان
هذا قبل مشاهدة وادي توارن حيث يعتقد السكان هناك أن قرية حاتم كانت

(١) ه شمال نجد ه حاشية ص ٨٣ الأصل الإنجليزي .

(٢) ه العرب ه الثانية ص ١٠٦٤ .

فيه . فلما شاهدته وشاهدت المكان الذي ذكرت أن تنفخ قرية حاتم تقع فيه اتضح لي :

١- أن المكان الواقع شرقي حاييل كان موضع بلدة معمورة قديماً ، ولكنه غير حصين ، فالوصول إليه لا تحول دونه جبال ، وخاصة من أعلى الوادي ومن أسفل حيث الأرض متسعة ، ومن الميسور تطويقه من الجهتين والانحدار إليه من جبلي السمراوين إذ من السهل صعودهما .

٢- أن وادي ثوارن - وهو أحد شعاب أجا - داخل في الجبل ، وهو ذواتساع عند مدخل الجبل ، ولكنه بعد مسافة قصيرة ، يتقارب أنفان بارزان من الجبل فيضيق ما بينهما حتى يصعب اجتيازه للجيش الغازي ، وخاصة إذا وجد عنده من يحميه من الرجال الذين يتخلون من طرفي الجبل موقعا للحماية .

٣- أن حاتم ذكر قرب قريته من مواسل^(١) فقد ذكر صاحب « الأغاني »^(٢) أن ملك الشام المحرق من آل جفنة أراد من حاتم أن يبايعه فقال حاتم : إن لي أخوين وراثي فإن أذنا بابعنك ، ولأفلا . قال : فاذهب إليهما فإن أطاعاك فائتني ، وإن أبيا فائذن بحرب . فلما خرج حاتم من عند الملك قال أبياتاً منها :

أتاني من الديان أمس رسالة وغدرا بحي ما يقول (مواسل)

ومواسل هذا هو ما يعرف بالرعيلة من أعلى قمم أجا . وهو مشرف على شعب ثوارن ، ويبعد عن الموقع الذي أسفل مدينة حاييل .

(١) هو غير مواسل .

(٢) « الأغاني » ج ١٦ - ١٠٥ ط : السيامي .

ولهذا فإن تنغة قرية حاتم هي إلى أن تكون في شعب توران أقرب من أن تكون في غيره من المواضع ، لتكون هذا الشعب من أحسن المواقع وفي داخله متسع من الأرض ، فيه آثار عمران قديم ، وفيه آبار وبساتين ، كما أن فيه من الشعاب والأمكنة ما يصلح ليكون مرعى للإبل فيها لو حوصر أهله :

وقد تكون القرية غير تنغة التي هي قرية حاتم إذ القرية كانت معروفة في صدر الإسلام كما ورد في خبر أورده ابن جرير ^(١) في الكلام على خروج الحسين رضي الله عنه على يزيد .

ويرى موزل أنها السويقلة التي قامت مدينة حاييل مقامها ، فبعد أن كانت تُدعى قرية حاييل ، نسبة للوادي حُلُفت كلمة (قرية) وبني اسم (حاييل) .

ويتناقل السكان في مدينة حاييل منذ زمن أن حاتمًا كان يسكن في توارن ، ويرون أن قبره هناك ، وهذا يستلزم تحليده .

توارن : في « معجم البلدان » - بضم التاء والراء - قرية في أجا أحد جبلي طيه ، لبني شمر من بني زهير . وقال الهجري ^(٢) : (ومن شعابه أجا توارن ، غير معجمة الراء) .

وفي « معجم ما استعجم » : توازن - بضم أوله وكسر الزاي المعجمة ، وبالنون بعدها - جبل باليمن قال الطرمّاح :

(١) تاريخ ابن جرير ق ٢ ط ٢٠٤ طبع أوربا .

(٢) ص ١٨٢ .

إلى أصل أرطاة يشيم صحابة على الهضبة من حيران أو من توازن
وحيران : جبل هناك أيضاً .

وأقول : في هذا الكلام ثلاثة أخطاء :

١- توارن بالراء لا بالزاي ، ولا يزال الموضع معروفاً .

٢- ليس توارن باليمن بل في غربي جبل أجبا من بلاد طي متصل
بالجبل .

٣- حيران بالياء الموحدة لا بالياء وهو جبل معروف الآن .

وقد عول صديقنا الدكتور عزة حسن على ما جاء في « معجم ما استعجم »
في تحقيقه « ديوان الطرماح » فقال - بعد أن أشار إلى ورود البيت في
« معجم ما استعجم » واعتماد نصه : ^(١) (الأصل المخطوط : حيران وتوارن
ونراهما تصحيفاً) انتهى ، والواقع أن التصحيف هو ما في « معجم
ما استعجم » .

وقال ابن دحيل - عن شمر الذي عرفت به القبيلة ^(٢) : (ولما
مات دفن في توارن ، بجبل فيه قبر حاتم الطائي المشهور في الكرم ،
وإنما دفن هناك لأنه في وقته أتى بمآثر كَمَا ثَر حاتم الطائي في العرب ^(٣) .

وتوارن الآن اسم واد يبعد عن مدينة حايل ٤٩ كيلاً ، أسفل الوادي -
إذ الاسم يطلق على واد من أشهر أودية أجبا الشمالية ، ويمتد الوادي في
الجبل ثمانية أكيال ، ومدخله ضيق ثم تتسع جنباته ، وتكثر روافده ،

(١) ص ٣٢٢

(٢) القول السديد ، ص ٨١ نسخة المتحف العراقي .

(٣) انظر عن قبر حاتم مجلة « العرب » ص ٢ س ١٠٦٢ .

وتقع قرية توارن في وسط الوادي ، وهي قرية قليلة المنازل والبساتين .
وقرب مدخل الوادي آثار حصن لا تزال بعض جدرانها قائمة ، يقارب
طول ما بقي منها خمسة أمتار ، أساسها وأسفلها مبني بالحجر وأعلىها
بالطين ، وهو مربع تقريباً عرضه ٣٧ خطوة ، وعرض الأساس يقرب
من المترين وله باب في الجهة الشمالية .

و كأنه بني للحيلولة دون دخول الوادي .

ويحوك السكان حوله حكايات ، ويزعمون أن القصر لجدهم زميل ،
وآخرون ينسبون له حاتم الطائي . وبعد هذا القصر بما يقرب من أربعة
أكيال في أعلى الوادي تقع القرية . وفيها قصر خرب مبني بالطين
تجاوره من الغرب مقبرة إسلامية ، وفيها قبران طولهما مفرط يقاب
عشرة أمتار ، يزعمون أن أحدهما قبر حاتم الطائي ، وليس من المستبعد
أن تكون قرية بني عدى بن أخزم - قوم حاتم - وأنها سكنت في وادي
توارن ، فالمكان فيه آثار عمران قديم من أبنية وآبار .

وجبل عوارض الذي قيل : إن قبر حاتم فيه ليس بعيداً عنه ويقع شماله .

ومدخل الوادي ضيق . بحيث لو وقف عنده عدد قليل من الرجال
لمنعوا من يحاول الدخول ، ثم إن الوصول إلى مدخل الوادي يمر بمنعطفات
أسفله ، وهي على اتساعها تيسر حمايتها . والوصول إلى قرية حاتم
وقومه كان صعباً ، كما يفهم من كلمة : (لقد جهل مداخل سبلات)
وقد يكون المقصود الوصول إلى جبل أجا كُّله ، كما أشرت إلى ذلك
في الكلام على جبل (سابل) . (فليبحث صلة) .

عالية نجد

(سيمندر عن « دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر » كتاب « عالية نجد » وهو قسم من المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية . تأليف الأستاذ سعد بن جويدل ، وقد رأيت مجلة « العرب » أن تحتف قراها بمقدمة هذا الكتاب ، لطرافتها .)

نجد : النُّجْد ما أشرف من الأرض وارتفع واستوى وصلَّب وغلظ ، جمعه أنجُدٌ ، جمع قَلَّة ، وأنجاد ، ونِجاد بالكسر ، ونُجود ونُجْدُ يفضُّهُما ، ولا يكون النُّجاد الأَقْفاً أو صلابة من الأرض في ارتفاع ، مثل الجبلي معترضاً بين يديك ، يردُّ طرفك عمَّا وراه ، يقال : أهل هاتيك النجاد ، وهناك النجاد يُوحَّد ، وليس بالشديد الارتفاع .

وجمع النُّجود بالضم أنجدة ، جَمَعُ جَمَعٍ ، والنُّجد ماخالف الغور^(١) . ونَجْدٌ فيما تعارف عليه سكانه يعني البلاد الممتدة من نفود الدهناء غرباً إلى أطراف جبال الحجاز الشرقية ، ومن ناحية الشمال تبدأ من النفود الكبرى وتمتدُّ صوب الجنوب إلى أطراف الربع الخالي ، وقد اعتادوا على تقسيمه إلى قسمين جغرافيين وفقاً لجغرافيته الطبيعية ، قسم غربي : ويقولون له : الدَّيرة العُلُوَّة ، من العلوِّ والارتفاع ، ويقولون لمن يذهب إليه : سَنَدٌ فهو مُسَنَدٌ ، أي مُصعد ، ويقصدون به أنه يسير في أرض سَنَدٍ ، ويقولون للأرض المرتفعة سَنَدِي ، يقول الشاعر الشعبي عهد الله بن سبيل :

سَيْلُ النُّحَا ما يَتَّبَعُ إِلَّا مَجَارِيَهُ والى عَطَى السَّنَدِي يَكُوذُ عَلَيَّانَهُ

(١) « نَج العروس » .

ويقولون لها أيضاً : سند ، ويجمعونه على سَنَادِي ، يقول أحدهم :
 لَا تَعْتَرِضْنِي بِالْجَحْشِ يَا دَغِيمَانَ وَاللَّهِ لَأَعْرُضَكَ الْوَعْرَ وَالسَّنَادِي
 وَالْمُسْنَدُ هُوَ مَنْ يَذْهَبُ بِاتِّجَاهِ غَرْبِي فِي هَذِهِ الْبِلَادِ ، يقول محمد
 ابن بُلَيْهَدٍ فِي قَصِيدَةٍ شَعْبِيَّةٍ قَالَهَا فِي جَلَالَةِ الْمَغْفُورِ لَهُ الْمَلِكِ فِيصَلُ بْنُ
 عَبْدِ الْعَزِيزِ حِينَ بَنَفَهُ أَنَّهُ عَزَمَ عَلَى السَّفَرِ إِلَى الْوَلَايَاتِ الْمَتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ
 لِأَوَّلِ مَرَّةٍ ، وَكَانَ فِيصَلُ عِنْدَ وَالِدِهِ فِي الرِّيَاضِ ^(١)

يَبِي بَسْنَدُ سَيْدُ كُلِّ الْأَعْرَابِ لَهُ يَمَّ بَيْتَ اللَّهِ مَنَادِي وَجَدَابُ
 لَوَاهِنِي (دَاوَرِدِ) وَ (أُمُّ الْمَشَاعِبِ) إِنْ مَرَّهَا مِعْطِي طَوِيلَاتِ الْأَرْقَابِ
 جَانَا الْخَبَرَ يَامِرْدِي الْفِطْرَ الشَّيْبُ إِنْ السَّفَرَ قَد تَمَّ لِذِيَارِ الْأَجْنَابِ
 قَدَرْتَبَهُ حَامِي الْوَنِيَّاتِ تَرْتِيبُ أَبُوكَ فَكَأَنَّكَ الْمَشَاكِلُ وَالْأَنْشَابُ

ويقول سعد مُطَوِّعُ نَبِي :

يَا حُسَيْنَ دَاوَيْتِكَ وَأَنَابَا تِدَاوَى مَالِي عَلَى نَابِي الرُّدَايِفِ بَرُوهُ
 لَوَا عَشِيرِي يَمَّ دَارَ الشَّلَاوَى يَمَّةً (حَضَنَ) وَاهْلَ الدِّيَارِ الْعُلُوهُ

وقسم شرقي : ويقولون له : الدَّيْرَةُ الْحَدْرِيَّةُ وَالدَّيْرَةُ السُّفْلَى ، ويقولون
 لمن يسير باتجاه شرقي أو شرقي شمالي : مُحَدَّرٌ ، لِأَنَّهُ يَسِيرُ فِي سَهُولٍ مُنْحَدَرَةٍ .

والعرب الذين في نجد من الحضر والبدو يدركون ببديتهم
 ويعرفون أن هذه البلاد تنحدر تدريجياً من الغرب إلى الشرق الشمالي ،
 ويدركون ببديتهم مدى ارتفاع قسمها الغربي وانخفاض قسمها الشرقي ،
 وهذا مادعاهم إلى أن يقولوا للذاهب غرباً (مُسْنَدٌ) ولمن يذهب صوب
 الشرق : حَادِرٌ وَمُحَدَّرٌ . يقول الشاعر الشعبي عبد الله بن سُبَيْلٍ يصف
 رحيل البدو من منزلهم في بني وقد انقسمت رحالهم إلى قسمين ، قسم

(١) شرح الأبيات موضح في رسم (أم المشاعيب) .

أتجه صوب الشرق إلى البلدان ليتزود منها ، وكان ذلك في وقت صرام
النخيل ، وقسم اتجه صوب الغرب ، لترك جبل النير يسارا منه
بعثا عن المراعي الوفيرة التي حدهم عنها الركبان :

عَهْدِي بِهِمْ بَاقٍ مِنَ السَّبْعِ ثِنْتَيْنِ قَبْلَ الشُّنَا ، وَالْقَيْظِ زَلَّ مَحْسُوبُهُ
كَلَّمْتُ جِهَامَتَهُمْ مِنَ الْجَوِّ قَسْمِينَ الزَّيْلُ حَلَزَ وَالظَّنُّ سَنَدُوا بِهِ
يَبُونُ مِصْفَارٍ مِنَ النَّيْرِ وَيَمِينُ اللَّهُ لَا يَجْزِي طُرُوشٍ حَكَّوْا بِهِ

ويقول عور المقرن :

فِي الْقَيْظِ مِقْيَاظُهُ طُورِافِ خِمْرَةٌ وَعَنْ خَشْمِ هَكَرَانَ الْحَحْرَ مَا يَرُوحُ
وَالْبَا حَدَرَ خَشْمَ الْيُنُوفِي بِمِرَّةٍ إِلْبَاقَامَ بَرَّاقِ الشَّرِيَّا يَلُوحُ

ويقول آخر :

يَا مَنْ لَعِينٍ وَذَهَابَا بِالْمَسَانِيدِ وَلَا تِرْزَقُ إِلَّا فِي عِلَاوِي دِيرَهَا
مِيرَ الْبِلَاءِ ذُرُوتَ قَطَاعَةِ الْبَيْدِ أَزْرَيْتَ لَا أَصِلُ دِيرَتِي مَنْ خَطَرَهَا

ونلاحظ مما تعارفوا عليه أن الديرة الحدرية هي مادفعه امتداد
نفود السر ونفود الخبرا وما صاقبهما جنوبا صوب الشرق ، وأن الديرة
العلوة (العالية) هي البلاد الممتدة من هذه النقطة وما صاقبها جنوبا
وشمالا صوب الغرب إلى حدود الحجاز ، ويمكن أن نتبين ماتعارفوا عليه
في ذلك من شعرهم ، يقول الشاعر الشعبي عبد الله اللوح :

أَنَا تَحَدَّرْتُ لِبِلَادِ الرِّيَاضِ وَصَاحِبِي فَوْقَ
مَتَى عَلَى خَيْرِ تِلْتَمُّ الرُّعْيَةَ بِالرُّعْيَةِ

وقال أيضا وهو في مدينة الرياض وهو يريد السفر إلى بلدة الشعراء
للموقعة غرب مدينة الدوادمي ، في العالية :

حُوكَ الْمُؤَاتِرُ كُلُّهَا سَنَدَتْ فَوْقَ وَاللُّسُوحَ قَاذِرٍ مِنْ مَنَامِهِ لِحَالِهِ

وقال الشاعر الشعبي هُوَيْشَل بن عبد الله من أهل بلدة مزعل الواقعة
 غرب بلدة القويعية وقد أشار عليه بعضهم بأن يحذر إلى الرياض لطلب المعيشة :
 يَا لِي تَشِيرُونَ بِالْمَحْدَارِ مَالِي بِهِ إِلَّا أَنْ وَمَرَّنِي عَلَيْهِ اللَّهُ وَمَشَانِي
 مِنْ شَانِ أَنَا يَا مُحَمَّدًا مَا أَقْدَرُ الْغَيْبَةَ رَزَقَنِي عَلَى اللَّيِّ خَلَقَنِي يَا بَنَ سَجْدَانَ
 مِنْ يَوْمِ زَلَّ الشَّبَابُ وَوَلَّحَتْ الشُّبَيْبَةَ

والعزم معاد يا صلّ خلّ دلقان
 وخلّ دلقان واقع في الطريق بين القويعية وبين الرياض .

وقال آخر :

عَلَّ الْحَيَا يَزِي الْأَوْطَانَ يَزِي الرِّفَاعِ وَحَمْرُورَةَ
 وَالْيَا تَحَدَّرَ وَطَا دَلْقَانَ وَأَمَطَّرَ عَلَى جَوْ وَقُصُورَةَ
 قوله يَزِي أي يسوي .

الرفايح : قرية زراعية تقع جنوب بلدة الشعرا .

حمرورة : قرية زراعية تقع جنوب مدينة الدوامي ، غرب الرفايح .

دلقان : ماء يقع شرق بلدة القويعية .

جو : مزارع تقع غرب بلدة المزاحمية .

فالرفايح وحمرورة يقعان في العالية ، ودلقان وجو من أدنى الديرة
 الحدرية إلى العالية .

نجد في كتب المتقدمين : قالت ياقوت : النَّجْدُ بالفتح والتحريك
 وهو البأس والشهرة ، يقال : رجل نجد ، بين النجدة ، وهو صقع
 واسع من وراء عمان عن ابن موسى .

نجد : بفتح أوله وسكون ثانيه ، قال النضر : النَّجْدُ قِفاف
 الأرض وصلاتها وما غلظ منها وأشرف ، والجماعة النَّجَاد ، ولا يكون

إلّا قفأً أو صلابة من الأرض في ارتفاع من الجبل ، معترضاً بين
يديك يرد طرفك عما وراءه ، يقال : اعلُّ هاتيك النُّجاد وهذاك النُّجاد
بوجه ، وقال : ليس بالشديد الارتفاع .

وقال الأصمعيُّ : هي نَجُودٌ عدَّةٌ منها : نَجْدُ بَرْقِ وادٍ باليَمامة
ونَجْدِ خَالٍ ونَجْدِ عَفْرِ ونَجْدِ كَبْكَبٍ ونَجْدِ مَرِيحٍ ، ويقال : فلان من
أهل نجد ، وفي لغة هذيل والحجاز من أهل النُّجدِ ، قال أبو ذؤيب :
في عانة بجنوب السِّيِّ مشربُها غورٌ ومَصْدَرُها عن مائها نُجْدُ

قال : وكل ما ارتفع عن تهامة فهو نجد ، فهي ترعى بنجد وتشرب
بتهامه ، وقال الأصمعيُّ : سمعت الأعراب تقول : إذا خَلَفْتَ عَجَلَزًا
مصعداً فقد أنجدت ، وعَجَلَزٌ فوق القريتين ، قال : وما ارتفع عن
بطن الرِّمَّةِ ، والرِّمَّةُ وادٍ معلوم فهو في نجد ، إلى أن تميل إلى الحرَّةِ ،
فإذا وصلت إليها فأنت بالحجاز .

وقيل : نجد إذا -أوزت عُنْبِيًّا إلى أن تجاوز فيد وما يليها .

وقيل : نجد هو اسم للأرض العريضة التي أعلاها تهامة واليمن
وأسفلها الشام والعراق ، وقال السكريُّ : حدُّ نجدٍ ذات عَرَقٍ من
ناحية الحجاز كما تدور الجبال معها إلى جبال المدينة ، وما وراء ذات
عرق من الجبال إلى تهامة فهو حجاز كله .

فإذا انقطعت الجبال من نحو تهامة فما وراءها إلى البحر فهو
الغور . والعور وتهامة واحد .

ويقال : إنَّ نجداً كلها من عمل اليمامة .

وقال عمارةُ بن عَقِيلٍ : ما سال من ذات عرق مقبلاً فهو نجد ، إلى

أن يقطعه العراق.. وحدّ نجد أسافل الحجاز وهودج^(١) وغيره ،
وما سال من ذات عرق مُوكِّباً إلى المغرب فهو الحجاز إلى أن يقطعه
تهامة . وحجاز يحجز أي يقطع بين تهامة ونجد .

وقال العُتَيْبِيُّ : حدّثنا الرِّياشي عن الأصمعي قال : العرب تقول
إِذَا خَلَفْتَ عَجَلزاً مصعداً حتى تنحدر إلى ثنايا ذات عرق فإذا فعلت
ذلك فقد أتهمت إلى البحر ، وإذا عرضت لك الحرار وأنت تنجد فتلك
الحجاز . تقول : احتجزنا الحجاز ، فإذا تصوّبت من ثنايا العرج
فقد استقبلت الأراك والمرخ وشجر تهامة ، فإذا تجاوزت بلاد فزارة
فأنت بالجناب إلى أرض كلب ، ولم يذكر الشعراء موضعاً أكثر
مما ذكروا نجداً وتشوّقوا إليها .

وفيما تقدم نجد الأصمعيّ قال : هي نُجُودٌ عَدَّةٌ ، وذكرها بأسمائها .
وهذه النجود التي ذكرها مواضع معينة ، منها ماهو في نجد ومنها
ماهو في الحجاز ومنها هو في اليمن ، ، ويتضح مما ذكر من أقوالهم
أنهم يوسّعون في حدود نجد مما يلي الحجاز إلى ذات عرق ، وذات
عرق هو المكان الذي يحرم منه حاج شمال نجد وأهل المشرق كأهل
العراق ومن أتى على طريقهم ، ويتوسّعون في تحديده مما يلي الشرق إلى
حدود العراق ، وشمالاً إلى حدود الشام .

وقد أورد ياقوت قولاً : ان نجداً كلّها من عمل اليمامة ، والصّحيح أنها
مقسمة إلى قسمين ، القسم الغربي تابع للمدينة المنورة والقسم الشرقي تابع
لليمامة . وقد ذكر المؤرخون أن عامل المدينة يصدق على مدّعا والمصلوق ،
وهذان الماءان تابعان لإمارة الدوادمي في هذا العهد واقعان فيما بينها وبين عفيف .

(١) كذا في « المعجم » وله تحريف (وهو العرج) .

قال ياقوت عن أبي زياد : إذا خرج عامل بني كلاب مصدقا من
المدينة فأول منزل ينزله يصدق عليه أربكة ثم العناق ثم يرد مدعا
لبني جعفر ثم يرد المصلوق ، وعلى مدعا عظم بني جعفر وكعب بن مالك
وغاضرة بن صعصعة .

ومن هذه العبارة يتضح أن بني كلاب لهم عامل خاص يخرج من
المدينة ، وبلادهم واقعة في عالية نجد ، تابعة في هذا العهد لإمارة
عفيف وإمارة الدوامي .

وقال الاصفهاني : معدن الأحسن معدن ذهب ، معدن لبني كلاب ،
بيته وبين العيصان مسيرة ليلتين أو ثلاث ، وبينه وبين ضرية ليلتان ،
وهي من عمل المدينة ، أذن عمل المدينة إلى الهامة تخالط لعهد الهامة .

وهذا المعدن قد تغير اسمه ، وهو في بلاد كلاب ، واقع على طريق
أهل ضرية إلى حجر ، غرب الدوامي (العيصان) فنبين بذلك مدى
توغل عامل المدينة في نجد . وقال سعيد بن عمرو الزبيري وكان ساعيا
على بني عدو بن كلاب وذكر بعض أعلام بلادهم :

إن يك ليلى طال بالنَّيرِ أو سَجَاً فقد كان بالجماء غيرَ طويل
ألا لبتني بدلتُ سلماً وأهله بدمخٍ وأصراماً بهضبٍ دخول

والنَّيرُ من الأعلام الشهيرة ولا يزال يعرف باسمه ، واقع بين الدوامي
وعفيف ، ودمخُ جبل شهير مازال معروفاً باسمه ، واقع جنوب النير .
أما سَجَاً فإنه ماء له شهرة ، ويقع غرب مدينة عفيف على بعد أربعة
وأربعين كيلا . والدخول هضب وفيه ماء مازال معروفاً باسمه ، يقع
جنوب بلدة عفيف على بعد مائتي كيل تقريبا تابع لإمارتها ، وهو من
بلاد بني كلاب قديما .

وقال لغدة الأصفهاني : قال الأصمعي : إذا جرت ذات عرق إلى البحر فأنت في تهامة ، وإذا جرت وجرة وعمرة فأنت في نجد إلى أن تبلغ العذيب ، وعمرة في طريق الكوفة ، ووجرة في طريق البصرة .
 وقال : ويقول بعض الناس : إذا بلغت العذيب من ناحية الكوفة ، وهي من الكوفة على مرحلة - فأنت في نجد إلى أن تبلغ حد تهامة .
 وقال الأصمعي : إذا جاوزت عجلز من ناحية البصرة فقد أنجدت ، وإذا بلغت من ناحية الكوفة سميراء أو دونها فقد أنجدت إلى أن تبلغ ذات عرق ، فإذا تصوّبت في ثنايا ذات عرق فقد أتهمت .
 ففي ما ذكره لغدة الأصفهاني مزيد من الإيضاح والتفصيل ، ولا خلاف بينه وبين ما ذكره ياقوت في الحدود .

وقال الأصفهاني أيضاً : فإذا ارتفعت فخرجت من فلج فأنت في الرمل فإذا جاوزت النّباج والقريتين فقد أنجدت . وقال بعضهم : إذا جاوزت الحفر ، حفر أبي موسى الأشعري ، وهو حفر بني العنبر كان أبو موسى احتفر فيه ركيّة ، فأنت في نجد .

وهذه المواضع التي حدّد بها بداية حدود نجد من الناحية الشرقية قد تغيّرت أسماؤها ، ففلج هو الوادي الذي يخترق شرقيّ نجد من الدهناء إلى قرب البصرة ، ويعرف في هذا العهد باسم (الباطن) وفيه الحفر ماء يضاف إليه ، يقال له حفر الباطن ، وأصبح الآن بلدة أما النّباج فإنه يعرف في هذا العهد باسم (الأسياح) واقع شرق شمال القصيم .
 وقال البكري : نجد ما بين جرش إلى سواد الكوفة ، وآخر حدوده مما يلي المغرب الحجازان : حجاز الأسود وحجاز المدينة ، والحجاز الأسود سراة شنوءة ، ومن قبل المشرق بحر فارس ، ما بين عمان إلى بطيحة

البصرة ، ومن قبل يمين القبلة الشامي : الحزن ، حَزْنُ الكوفة ، ومن العُذيب إلى الثعلبية إلى قُلَّةِ بني يربوع بن مالك ، عن يسار طريق المُصعب إلى مكة ، ومن يسار القبلة اليُمنى مابين عمل اليمن إلى بطيحة البصرة .
 وقال عُمارة بن عَقِيل : ما سال من الحرّة : حرّة بني سليم وحرّة ليل فهو الغور ، وما سال من ذات عِرْق مقبلا فهو نجد ، وحذاء نجد أسافل الحجاز ، وهي وَجْرَة والغَمرة ، وما سال من ذات عرق مؤلّيا إلى المغرب فهو الحجاز .

قال عُمارة : وسمعت البَاهِلِيّ يقول : كلُّ ما وراء الخَنْدَقِ خَنْدَقِ كِسْرَى الذي خَنْدَقَه على سواد العراق هو نجد إلى أن تميل إلى الحرّة ، فإذا بِلْتَ إلى الحرّة فَأَنْتَ في الحجاز ، حتى تغور ، والغور : كلُّ ما انحدر سيله مُغْرَبًا فبذلك سُمِّي الغور ، وكلُّ ما أسهل مشرقا فهو نجد .
 والشَّرْفُ : كَيْدُ نجد ، وكانت منازل الملوك من بني آكل المرار

وفيه اليوم حِمَى ضَرْبَةٍ ، وضَرْبَةٌ اسم بشر ، قال الشاعر :
 فَاسْتَقَانِي ضَرْبَةٌ خَيْرَ بَشَرٍ تَمُجُّ الْمَسَاءَ وَالْحَبَّ التُّؤَامَسَا
 وفي الشَّرْفِ الرُّبْدَة ، وهي الحمى الأيمن ، والشَّرْفِ إلى جنبه ، يفرق بين الشَّرْفِ والشَّرِيفِ واد يقال له التَّسْرِير ، فما كان مُشْرِقًا فهو الشَّرِيفِ وما كان مُغْرَبًا فهو الشَّرْفِ ، والطُّودُ الجبل المشرف على عِرْقَة ، يَنْقَادُ إلى صنعاء ويقال له السَّرَاةُ ، أوله سراة ثقيف ، وسراة فَهْمٍ وَعَدْوَانٍ ، ثم سراة الأزْد ، ثم الجرّ آخر ذلك كله ، وما كان منه إلى الشرق فهو نجد .

وقال أبو الفداء : قال المدائني : جزيرة العرب خمسة أقسام ، تهامة ونجد وحجاز وعروض ويمن ، فأما تهامة فهي الناحية الجنوبية من

الحجاز ، وأما نجد فهي الناحية التي بين الحجاز والعراق، وأما الحجاز فهو جبل يقبل من اليمن حتى يتصل بالشام وفيه المدينة وعمان، وأما العروض فهي اليمامة إلى البحرين، وإنما سمي الحجاز حجازاً لأنه يحجز بين نجد وتهامة .

وقال ابن الأعرابي : ما كان بين العراق وبين وجرة وغمرة والطائف فهو نجد ، وما كان وراء وجرة إلى البحر فهو تهامة ، وما كان بين تهامة ونجد فهو حجاز .

وقال الواقدي^١ : الحجاز من المدينة إلى تبوك وأيضاً من المدينة إلى طريق الكوفة ، وما وراء ذلك إلى أن يشارف أرض البصرة فهو نجد، ومن المدينة إلى طريق مكة إلى أن يبلغ مهبط العرج حجاز أيضاً، وما وراء ذلك إلى مكة وجدة فهو تهامة ، قال : والعذيب - بضم العين المهملة وفتح الدال المعجمة - ماء لبني تميم هو أول ماء يلقاه الإنسان بالبادية إذا سار من قادية الكوفة يريد مكة ، والعذيب اسم لعدة مواضع بالبرية ، والعرج^٢ : - بفتح العين وسكون الراء المهملتين وفي آخرها جيم - قرية جامعة من نواحي الطائف ، وإليها ينسب العرجي الشاعر^(١) ، وفي نجد المشهورة خلاف ، والأكثر على أنها اسم للأرض المرتفعة الفاصلة بين اليمن وتهامة وبين العراق والشام ، فاليمن وتهامة أعلاهما والعراق والشام أسفلهما وأولها من ناحية الحجاز ذات عرق .

قلت : لا خلاف بين ما ذكره المتقدمون في تحديد نجد مما يلي الحجاز واليمن ، أما مما يلي المشرق فإن ما يراه الاكثرون يفيد أن حدوده تمتد شرقاً إلى ماء العذيب القريب من الكوفة ، وما ذكره أبو الفداء فيه

(١) الظاهر أن المقصود في عبارات الذين حددوا نجداً - عرج المدينة لاعرج للطائف هذا .

مزيد من الإيضاح والتفصيل ، وذلك بالنسبة لحدود نجد، وكذلك في تحديد المواضع التي حدّد لها .

نجد في كتب المتأخرين : في كتب الجغرافيين المتأخرين نجد أنهم حدّدوا بلاد نجد، وما كانوا يرونه لا نجد فيه خلافاً ظاهراً فيما بينهم ولكنهم يختلفون عن المتقدمين في الحدود الشرقية والشمالية يوافقونهم وفي الحدود الغربية والجنوبية، فهم يرون أن حدود نجد تنتهي شرقاً بنفود الدهناء ، وشمالاً بالنفود الكبرى ، ومن ناحية الغرب بالحجاز ومن ناحية الجنوب بصحراء الربع الخالي ، وسأورد هنا ما تيسّر لي من أقوالهم .

قال مصطفي الدباغ^(١) : هضبة نجد تشمل المنطقة الوسطى من جزيرة العرب ، وتنحدر انحداراً تدريجياً نحو الشرق والشمال وتمتد من صحراء النفود في الشمال إلى الربع الخالي في الجنوب ومن حدود الأحساء شرقاً إلى حدود الحجاز وعسير غرباً .

ويقول فؤاد حمزة^(٢) : تطلق كلمة نجد على الأرض المرتفعة وتستعمل اصطلاحاً لتدلّ على المنطقة الوسطى من جزيرة العرب ، وهي المنطقة الواقعة شرقي الحجاز إلى الدهناء في الشرق . وقد اختلف الجغرافيون العرب في تحديد المكان الذي تبدأ نجد فيه من جهة الحجاز إلا أن المعترفَ به أنها تبدأ من ذات عرق (نخلة) وهو مكان يبعد عن وادي السيل المشهور في الحجاز ببضعة أميال، ويقال : إن من رأى حصناً فقد أنجد .

غير أننا نطلقها على المنطقة الواقعة بين الدرجة ٢٧ من العرض

(١) جغرافية « جزيرة العرب » ١ - ٢٠ . (٢) « قلب جزيرة العرب » ص ١٤ .

الشمالي وبين الدرجتين ، ٤٣ و ٤٧ من الطول الشرقي ، وهذا التحديد يشمل الأرض التي يحدها جبل شمر من الشمال ومنطقة الهضاب الحجازية شرق سلسلة جبال الحجاز وعسير من الغرب والصحراء الكبيرة (الرُّبْع الخالي) من الجنوب والدهناء الفاصلة نجداً والحسا من الشرق .

وفي كتاب «جغرافية الوطن العربي»^(١) : وإلى الشرق من مرتفعات الحجاز توجد هضبة نجد ومعناها الأرض المرتفعة ، ويحدها من الشمال صحراء النفود ومن الجنوب الربع الخالي ، وإلى الشمال منها جبال شمر ويفصلها وادي الرمة عن بقية أراضي نجد ، وتنحدر هضبة نجد تدريجياً نحو سهول الأحساء ، وفي شمال نجد توجد الكثبان الرملية التي تعرف باسم النفود ، وهي تمتد إلى الجنوب حتى الرُّبْع الخالي وتتصل بصحراء الدهناء .

ويقول عمر رضا كحالة في كتابه^(٢) : أما القسم الواقع في شرقي جبال السّراة فيُسمى نجداً ، ويتألف من مناطق مترامية الأطراف مختلفة الأشكال والصفات ، تمتد من سفوح جبال السّراة إلى الدهناء ، التي تفصل بينها وبين ساحل الخليج الفارسي ، والأقسام الجبلية التي ترتفع عن المستوى العمومي للمنطقة التي أطلق عليها اسم نجد والتي تبتدئ من شرقي جبال السّراة تكاد تكون منحصرة في جبلي طي (أجيا وسلمى) . وتقسم نجد سلسلة من الجبال تسمى العارض تتجه من الشمال إلى الجنوب بشكل مقوس تقريباً .

أما السهول والرمال والصحاري المحيطة بها فهي السهول النجدية والنفود الكبير والدهناء والربع الخالي ، وهي صحاري مترامية الأطراف . انتهى .

(٢) « جغرافية جزيرة العرب » ص ١٤ .

(١) ص ٣٥٠ .

هذه الأقوال أهم ماطلعت عليه مما كتبه المتأخرون في تحديد بلاد نجد ، وهذه الأقوال متفقة في مدلولها الجغرافي وفي نواحي الحدود إلا ما قاله فؤاد حمزة في الحد الشمالي لنجد فإنه يختلف مع الآخرين ، فهو يرى أن جبلي طي أجأ وسلمى خارجان من حدود نجد ، بينما الآخرون يرون أنها تحد بالنفود الكبرى الواقعة شمال جبلي طي ويعتبرون الجبلين من نجد .

ولا مرجح لما قاله فؤاد حمزة في الحد الشمالي لنجد ، إذ المعروف قديماً والمتعارف عليه في هذا العهد أن بلاد الجبلين - أجأ وسلمى - داخلة ومعدودة من بلاد نجد .

عالية نجد : العالية تأنث العالمى من العلو ، قال ياقوت : النسب إلى العالية علوي ، فمن ضم فهو إلى العلو ، ومن فتح فهو إلى العلو مصدر علا يعلو علواً ، يقال عالى الرجل إذا أتى عالية نجد ، ورجل مُعال أيضاً قال بشر بن أبي خازم :

مُعَالِيَّةٌ لَا هَمَّ إِلَّا مُحَجَّرٌ وَحَرَّةٌ لَيْلَى السَّهْلِ مِنْهَا وَلُوبِهَا
وإياه أراد الشاعر بقوله :

إِذَا هَبَّ عُلُويُّ الرِّيحِ وَجَسَدَنِي يَهْشُ لِعُلُويِّ الرِّيحِ فُؤَادِيَا
وَإِنْ هَبَّتِ الرِّيحُ الصَّبَا هَيَّجَتْ لَنَا عَقَابِيلُ حُزْنٍ لَا يَجِدُنْ مَدَاوِيَا

وقال الأصفهاني : قال ابن الأعرابي : نجد اسمان : السافلة والعالية ، فالسافلة ما ولي العراق ، والعالية ما ولي الحجاز وتهامة .

وقال ياقوت : العالية ما جاوز الرمة إلى مكة ، وهم عكَلٌ وتيمم وطائفة من بني ضبة وعامر كلها وعثني وباهلة ، وطوائف من بني أسد ،

وعبد الله بن غطفان ومن شقه الشرقي أبان بن درام وهم علويون .
وأهل إمرة من بني أسد وأمامهم ، وطائفة من عوف بن كعب بن سعد بن
سليم وعجز هوازن ومحارب كلها وغطفان كلها علويون نجديون .

ويتضح مما ذكره ياقوت أنه حدد عالية نجد بمنازل القبائل التي
تسكنها ، وقد أدخل بلاد ضبة وعامر كلها وغني وباهلة في عالية نجد ،
وبلاد ضبة وغني داخلة في حسي ضرية ، وتمتد صوب الشرق منه ، أما بلاد
بني عامر فانها تشمل بلاداً واسعة ، فبنو نمير منهم وتمتد بلادهم إلى
أضاح وجنح ماسل ، ولهم مياه شرق بلدة القويعة ومنهم بنو قشير
وبلادهم فيها الريب (الرين) وتمتد شرقاً إلى نفود الخبراء وجنوب
المروث وتمتد جنوباً إلى نفود الدحي ، ومنهم الحريش والعجلان ولهم
عمائتان (حصاناً قحطان) ولهم بطن الركا ، وبلاد السوادة ، ومنهم
جعدة وعقيل : وهؤلاء لهم بلاد الدواسر ، الأفلاج والوادي والهضب
والحزم ، أما قبيلة باهلة فإن لهم عرض شام وتمتد بلادهم غرباً إلى
غربي نهلان وإلى عرواً وإلى صبحاً (يلبل) .

ويفهم من تحديد ياقوت لعالية نجد أنها تشمل كل ما دفعه جبل
طويق غرباً إلى حدود جبال السروات الشرقية ، وقد توسع في التحديد
مما يلي جنوب العالية صوب الشرق فأدخل بلاد بني عامر كلها ، ويتضمن
ذلك دخول وادي الدواسر وبلاد الأفلاج ، ومما يلي شمال العالية أدخل
بلاد غطفان كلها ، وهؤلاء بلادهم واقعة غرب القصيم ، وتمتد غرباً
شمالاً إلى بلاد فزارة وحدود الحجاز .

موضوع هذا الكتاب

وعالية نجد التي تحدثت عنها في هذا المعجم هي مادفعه نمود قَنَيْفَذَة ونفود المخبرا وصحراء الساقية غربا إلى شرقي حَصْنٍ وصحراء رُكْبَة وحره كُشْب وماء السَّلِيلَة والرَّبْدَة والقوز غرباً ، ويدخل فيما تحدثت عنه أيضا هضب الدواسر ووادي الدواسر في الجنوب ، ومايقع شمال بلدة رَثِيَّة وبلدة الخُرْمَة من بلاد قبيلة سُبَيْع . أما من الناحية الشمالية فلإنني أقف عند حدود منطقة القصيم الإدارية التي تلى البلاد التي تحدثت عنها ، لأن بلاد القصيم وعاليتها قد تحدثت عنها الشيخ محمد العبودي في معجمه (بلاد القصيم) .

وتتوسط هذه البلاد بلاد قبيلة عُتَيْبَة ممتدة من الحجاز إلى جبل طويق ، وتحفُّ بها من الشمال بلاد مُطَيْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وبلاد قبيلة حَرْبٍ ومن ناحية الجنوب تحفُّ بها بلاد قبيلة البُقُوم وسُبَيْع والأواسر وقحطان ، وتلبهم في الشرق بلاد سُبَيْع وبلاد السُّهُول .

وتشمل هذه البلاد عدة إمارات تابعة لإمارة الرياض هي : إمارة اللوادمي ، وإمارة القويبيَّة وإمارة عفيف وإمارة الخاضرة وإمارة وادي الدواسر ، وكل مايتبع هذه الإمارات من البلدان والقرى ومياه البادية وبلادها ، وتشتمل أيضا على جانب من البلاد التابعة لإمارة مكة المكرمة وجانب من البلاد التابعة لإمارة المدينة المنورة : وهي البلاد الواقعة في غربي العالية مما يلي أطراف الحجاز التابعة لهاتين الإمارتين . وتشتمل أيضا على البلدان والقرى الواقعة في عَرْضِ شَمَام وفي منطقة السَّرِّ التي يسكنها أَسْرُ حَضْرِيَّة تُنْتَمِي إلى قبائل مختلفة .

ولهذه الصحراء المترامية الأطراف في بحبوحة نجد أهمية تاريخية لأنها كانت موطن كثير من القبائل العربية قديماً وحديثاً ، وعلى تراها جرى كثير من أيامهم القديمة ، وأشهر أيامهم المتأخرة .

وفيها كثير من الأعلام ذات الشهرة في أشعار العرب وأخبارهم .
كعمابتين وصاحتين والدخول وحومل وماسل ، والريان ودمخ وئهلان ،
والنير وئهمد وجبله ويذبل ونملى وظلم وأجلى والذنائب وغيرها .

وفيها أشهر داراتهم : كدارة خنزير ، ودارة ماسل ودارة المرذمة
ودارة الجثوم ، ودارة عكبية ودارت وسط ، ودارة منية وغيرها ، ومعظم
داراتهم واقعة في هذه البلاد ، والكثير منها لا يزال معروفاً باسمه .

وسكان هذه البلاد في هذا العهد قبائل عربية تنتمي إلى الأصليين
العدناني والقحطاني ، وليس بينهم اختلاف في عاداتهم وتقاليدهم ، فالطابع
العربي الأصيل هو الغالب على هذه القبائل في هذا العهد ، كما هو معروف
لأسلافهم ، سواء منهم البدو الرحل أو سكان البلدان والهجر المقيمون .

أما من ناحية اللغة واللهجة فإن لغتهم هي لغة عامة القبائل العربية
في نجد ، وهي لغة عامية ذات أصل عربي أصيل في مفرداتها ، غير أنهم
لا يلتزمون بشيء من قواعد اللغة العربية الفصيحة وتصاريفها .

أما اللهجة فإن بين كل قبيلة وأخرى ، وبين كل بلدة وأخرى
اختلافاً يسير في لهجتهم بحيث يمكنك معرفة القبيلة أو البلدة التي
ينتمي إليها أحدهم إذا تكلم ، غير أن هذا الاختلاف لا يؤثر بأي حال
على معرفة مقاصد الكلام ومعانيه فيما بينهم ، لقرب لهجاتهم من بعضها ،
وضعف الفوارق بينها ، ولرجوعها في معانيها إلى أصل عربي واحد .

منهج البحث

تبدأ دراسة الموضوع باسمه الذي يعرف به في هذا العهد دراسة ميدانية تعتمد على وصفه الجغرافي وتحليله ، ومعرفة القبيلة التي يقع في بلادها في هذا العهد ، ثم تُثبت هذه الحقائق بشواهد من الشعر الشعبي إن وجدت له شواهد ، ثم بحثه في كتب المعاجم القديمة والشعر العربي القديم وتاريخ القبيلة التي يقع في بلادها قديماً .

ومن الملاحظ أن كثيراً من المواضع أصبح معروفاً بأسماء غير الأسماء الواردة في كتب المعاجم القديمة ، وبعض منها دخل عليه تحريف ، وهناك كثير من البلدان والقرى التي نشأت في وقت متأخر وسميت بأسماء غير معروفة في كتب المعاجم القديمة ، ومثلها كثير من القصور الزراعية ومياه البادية وهجرهم ، وفي محتويات هذا المعجم كثير منها ، وكل موضع أذكره باسمه المعروف به في هذا العهد ، ثم أذكر اسمه القديم سواء كان متغيراً أو غير متغير ، أو دخل عليه شيء من التحريف أو بقي كما هو لم يدخل عليه تغيير ، ويكون تحديد كل موضع بالأعلام الواقعة حوله ، ونسبته للقبيلة التي يقع في بلادها .

المصطلحات الجغرافية

في هذا المعجم سيطلع القارئ على أسماء لتكوينات جغرافية مختلفة تعارف عامة الناس على تسميتها بهذه الأسماء في هذا العهد مثل : رِجْم ، سَنَاف ، قَهَب ، زَرَبِيَّة ، هَضْبَة ، قَوَيْد ، سَمَار ، حِشَّة ، جِمَش ، عَيْل ، جَلِيْب ، صَفْرَاء ، وهذه كلها تكوينات جبلية .

وهناك مستمبات أخرى : مثل : دعب ، تلعة ، وهما خاصان
بمجازي السيول وكذلك دحلة .

وهناك نوع آخر مثل : حاجر ، مقر ، محامة ، هجلة ، خفق ،
وهذه تختص بالأمكنة التي تستقر فيها مياه الأمطار .

وهناك نوع آخر خاص بالآبار والأوشال والينابيع مثل : رس ،
وطل ، مشاش ، سرف ، حفنة ، نباع .

وسأتحدث عن هذه التعبيرات واحدا واحدا ، لتوضيح شكل
مدلولها وخصائصه الطبيعية .

أولا - التكوينات الجبلية :

رجم : برء مهملة مكسورة وجم معجمة مكسورة ثم ميم : قمة
تكون بارزة في الجبل ، أو على حذب من الأرض ، وهو قسمان ، رجم
طبيعي من أصل تكوين الجبل مثل رجم مغيرا ، الواقع شرق جنوب
اللوادمي ، والقسم الثاني رجم مبني بالحجارة على مرتفع من الجبل ، مثل
الرجمين اللذين على قمة جبل نهلان المطلين على بلدة الشعراء ، وهما
رجمان متجاوران ، تراهما من الأرض صغيرين لارتفاع مكانهما وإذا
صعدت اليهما وجدت بنايتين كبيرتين من الحجارة المرصوة ولهما
سنون طويلة منذ بنيا ، ولأهل الشعراء فيهما شعر كثير ، كقول أحدهم
حيثما بداله جبل نهلان وهما يتسلمان قمته :

يَا حَيِّ ذَاكَ السَّمَارُ الَّذِي بَدَأَ كُلَّهُ

وَرَجُومَهُ الَّتِي بَرَأَهُ كُنْهَازُوا

ويجمع الرجم على رجوم وتصغيره : رجم ، قال الشاعر :
أنا أمس الضحى عديت في عالي أم رجوم
واخيّل العذارى يوم للزميل ينحنه
ولتسمية الرجم أصل في اللغة العربية الفصحى .

سَنَافٌ : بسين مهيمة ونون موحدة ثم ألف بعدها فاء موحدة ، ويجمع على سَنَفَان ، وتصغيره سُنَيْفٌ ، وجمع التصغير سُنَيْفَات - : تكوين جبلي يكون له ظهر محدب ، ومنها ماله متن مرتفع وعر المرتقى ، ومنها ماهو سهل منطرح على الأرض ، ومن أمثلة الوعرة منها : سناف الطراد ، الواقع جنوب بلدة الشعراء ، بجانب هضبة تيمًا من الجنوب .
وفي القاموس : المسنفة كمحسنة الأرض المحدبة . والواقع أن متون السَنَفَان من أفقر الصحارى نباتا .

قُهَبٌ : بقاف مشناة مفتوحة وهاء مفتوحة ثم باء موحدة : تكوين جبلي يشبه السَنَافَ ذا المتن المرتفع ، وقد يكون صغيرا ، غير أنه لا يكون منفردا في الأرض ولا يكون القهب إلا أغبر ، أو أحمر عليه غُبرة ، وجمعه قُهَبَان وتصغيره قُهَيْبٌ ، وجمع التصغير قُهَيْبَات .

قال في القاموس : القهب الأبيض علته كدرة ، قلت وأكثر القهبان المعروفة من هذا النوع ، بيض تعلوها كدرة أو حمر تعلوها كدرة .

زُرَيْبَةٌ : بزاء معجمة وراء مهيمة وياء مشناة وباء موحدة ثم هاء : جمعها زرائب ، وتصغيرها زُرَيْبَةٌ - بضم أوله وتشديد الياء وفتح الباء الموحدة - وجمع التصغير زُرَيْبَات ، وهي نوعان كنوعي الرجم ، وقد تكون مرادفة لكلمة رجم . إلا أنها للرجوم الصغيرة الطبيعية وغير الطبيعية أكثر من غيرها ، ويقول سعد بن محمد بن يحيى ، من أهل الشعراء :

أَمْسُ الضَّحَى فِي نَائِفَاتِ الزَّرَائِبِ هَيْضَتْ شِنْ مِنْ خَاطِرِي مَا هَقَى بِهِ

النائفات : العاليات ،

هَضْبَةٌ : - بهاء ثم ضاد معجمة وباء موحدة مفتوحة ثم هاء - : قمة جبلية منفردة ، وقد تكون ذات رؤوس متعددة ومناكب عالية ، وتطلق هذه التسمية بصفة أكثر على التكوينات الجبلية ذات اللون الأحمر أو اللون البني ، وتجمع على هضاب ، وتصغيره هَضْبِيَّةٌ وجمع التصغير هَضْبِيَّاتٌ ، وهذا النوع كثير في عالية نجد ، وبعضها عال تمتنع الجوانب .

قال في القاموس : الهضبة : جبل خُلِقَ من صخرة واحدة ، أو الطويل الممتنع المنفرد ، ولا يكون إلا في حمر الجبال .

قَوِيدٌ : - بقاف وواو بعدها ياء مثناة تحتية ثم دال مهملة - تكوين جبلي طبيعي يشكل امتداداً جبلياً ، لجبل يمتد على اتجاه واحد أو عدة هضاب تشكل صفا منظما في اتجاه واحد .
وتصغيره : قَوِيدٌ ، وأصله من القود .

قال في القاموس : القائد من الجبل أنفه ، وكلُّ مستطيل من أرض أو جبل على وجه الأرض ، ويلاحظ في الأسماء في اللغة الشعبية أن اشتقاقها يأتي على غير قياس فصحيح .

سَمَارٌ : - بسين مهملة وميم بعدها ألف ثم راء مهملة - من السمره وهي السواد ، وهي صحراء تغطيها حجارة سوداء صغيرة ، مثل سمار الراهضية ، وسَمَارُ الخضارة ، وقد يرد مؤنثا فيقال سَمَارَةٌ والمصغَر لا يذكر غالبا إلا مؤنثا ، فيقال : سُمِيرَةٌ .

حِشَّةٌ : - بحاء مهملة مكسورة وشين مشددة مفتوحة ثم هاء - ؛
جبل غير مرتفع سهل المرتقى ، ويكون تارة على شكل جيبيلات متلاصقة
وقد تكون واسعة يتخللها طرق ومسالك ، مثل حِشَّة رَنْمَة في غربي عَرْض
الْقَوَيْبَةِ .

وإذا كانت الحِشَّة معقدة وكبيرة خفية المسالك قالوا لها : حِشَّة
مَتَدَاخِلَةٌ .

وجمع الحِشَّة حِشَّاشٌ وتصغيرها حُشَيْشَةٌ ، وجمع التصغير حُشَيْشَاتٌ ،
ولا تكون الحِشَّة غالباً إلا سوداء .

جِمْشٌ : - بجيم موحدة مكسورة وميم ساكنة ثم شين معجمة - :
أرض تكون ترتبها رملية خشنة ، وتكثر فيها النتوءات الصخرية ،
مثل بلاد الجِمْش الواقعة شمال الدوادمي غرب هضبة جَبَلَة ، ولا يكون
الجِمْشُ إلا في نطاق الهضاب الحمر ، وبتنوعاته الصخرية حمراء .

وجمع الجِمْش جُمْوشٌ ، وتصغيره جُمَيْشٌ ، وجمع التصغير
جُمَيْشَاتٌ .

عَبَلٌ : - بعين مهملة مفتوحة وباء موحدة مفتوحة ثم لام : جبل
يتكون جميعه من المَرَوِ الأبيض ، ويكون غالباً على هيئة قمة صغيرة
منفردة ، أو جبل مدور ذو قمة وعرة المرتقى كعبل مَعْيَلِ الواقع جنوباً
من بلدة الشعراء ، وهذا النوع كثير في عاليه نجد ، وتصغيره عُبَيْلٌ
قال عبد الرحمن بن محمد العُصَيَّانِي في عبل مَقْدَلِ الواقع غرب جنوب
حَفِيف :

فَأَطْرَبِي مَرْبَاكَ فِي زَيْنِ الْمَشَاحِي مِنْ عَبَلٍ مَقْدَلٍ إِلَى ضِلَعِ اللَّفَيْتَةِ
وفي القاموس : الأعبل الجبل الأبيض الحجارة .

جَذِيبٌ - بجيم معجمة وذال معجمة مكسورة ثم ياء مثناة بعدها باء
 موحدة - : حذب مستطيل من الأرض له ظهر ضيق تكسوه حجارة
 صغيرة ، وغالباً تكون حجارتها سوداء - وتصغيره جَذِيبٌ بضم أوله
 وفتح ثانيه ، ويذكر مذكراً ومؤنثاً ، يقال جَذِيبٌ وجَذِيبَةٌ ، وتصغير
 المؤنث جَذِيبَةٌ - بضم أوله وفتح ثانيه - وهو من المد والالتجاذب ،
 وفي القاموس : جذبه يجذبه مده كاجتذبه .

ويقول الشاعر الشعبي علي الطويل :

يَقُولُ مِنْ عَدَا بَرَأْسِ الْجَذِيبَةِ عَدَا عَلَى عَالِي طَوِيلِ الْمَرَايِبِ

صَفْرًا : - بصاد مهملة مفتوحة ثم فاء موحدة ثم راء مهملة بعدها
 ألف - : يقصد بها القِفَافُ والقُورُ ذاتُ الارتفاعات القليلة ، ذات اللون
 الأصفر والأصفر الداكن ، كصفراء السَّرِّ وصفراء الوشم ، أو ذات اللون
 البني كصفراء مُغَيَّرَاءَ ، وهذا اللون أكثر انتشاراً في البلاد الواقعة في
 النطاق الواقع غرب جبل طُوَيْقٍ ، غير بعيد منه .

ثانياً مجازى السيول :

دَعْبٌ - بدال مهملة مكسورة ثم عين مهملة ساكنة ثم باء موحدة :
 وهو مجرى قصير وضيق يدفع في الوادي أو في روافده الكبيرة - قال في
 القاموس : ماء داعب : يَسْتَنُّ في سيله . انتهى .

وجمعه دَعَوْبٌ ، ودَعْبَانٌ ودَعَابَةٌ ، وتصغيره دَعِيبٌ ، ويبدو أن
 اسمه مأخوذ من دَعَبَ الماء فيه .

تَلَعَةٌ : - بناء مثناة ولام ساكنة وعين مهملة ثم هاء - : مجرى
 السَّيْلِ في صدر الجبل وفي متون المرتفعات حتى تنحدر إلى الأودية ،

والتلعة أكبر من الدَّعْب ، وتجمع على تِلَاع وتَلَعَات ، وتصغيره تَلِيعة ،
وجمع التصغير تَلِيَعَات .

وفي القاموس : التلعة مسيل الماء ، جمعه تلعات وتلاع ، أو التَّلَاع
مسائل الماء من الأسناد والجبال حتى ينصب في الوادي .

دحَلَة - بدال مهملة وحاء مهملة مفتوحة ثم لام بعدها هاء - :
واد رَغِيبٌ يكثر فيه النبات الطويل كالنَّامِ والمَصِيدِ والرَّمْثِ ، ومجره
أقصر من الوادي وأقل انحدارا، مثل دحلة جزا - وانظر رسمها في موضعه
في هذا المعجم - وجمعه دَحَال .

ثالثاً : مواضع تجمع مياه السيول :

حَاجِرٌ : بحاء مهملة ثم ألف بعدها جيم معجمة مكسورة ثم راء
مهملة : موضع يكون له شفة تحجر ماء المطر ، ويكون في الصحراء ذات
الانحدار اليسير ، وتكون شفته غالباً على شكل هَالِيٍّ ، ويكون الحاجر
خلف الآخر فإذا زاد فيه الماء فاض منه إلى الذي يليه وهكذا ، وبطن
الحاجر غير عميق . وجمعه حُجْرٌ على وَزْنِ فَعْلٍ ، وتصغيره حَوِيَجْرٌ .

وفي القاموس : الحاجر الأرض المرتفعة ووسطها منخفض وماء يسك
الماء من شفة الوادي كالحاجور ، ومنبت الرَّمْثِ

مَقَرٌّ : - بيم مفتوحة وقاف مفتوحة ثم راء مهملة مشددة - :
منخفض صغير ليس له شفة بارزة ، ولا يكون عميقاً ، ويكون في
الصحراء غير منحدرية يَسْتَقِرُّ فيه ماء المطر ، وهو أصغر من الخبراء
وأقل عمقا ، وجمعه مَقَارٌ ، وتصغيره مَقِيرٌ ، وجمع المصغَرِ مَقِيرَاتٌ ،
ويذكر مؤنثا وبصيغة أخرى ، فيقال له قرارة ، ويجمع على قرار
وفي القاموس : القرار والقرارة مَقَرٌّ فيه والمطمئن من الأرض .

وفي شعر عنتره بن شداد :

جَادَتْ عَلَيْهِ كُلُّ بَكْرِ حُرَّةٍ فَتَرَكَنَ كُلُّ قَرَارَةٍ كَاللرَّهْمِ

قال التبريزي : القرارة الموضع المطمئن من الأرض يجتمع فيه السيل ، فكان القرارة مستقر السيل .

مَحَامَةٌ : - بيم مفتوحة ثم حاء مهملة بعدها ألف ثم ميم ، ثانية مفتوحة ثم هاء - : جُوبَةٌ مستوية محاطة بتلال أو حزم ، تدفع فيها شعاب ، وتستقر فيها مياهها ، وبعضها يكون واسعاً ، ويكثر فيها الثمام والجشجات والهضيد غالباً وجمعها مَحَامٍ ، وكثيراً ما تكون في أسافل الأودية التي تتلاشى مجاريها تدريجياً وتنتهي بجانب نفود أو في بطون الصحارى .

ويبدو لي أنه مأخوذ من الحوم ، ويراد به تحرك السيول في بطونها وإلى حافاتها .

هَجَلَةٌ - هاء مفتوحة وجم معجمة ساكنة ولام مفتوحة ثم هاء - : خَبْرَاءٌ واسعة بطنها عميق ، وتدفع فيها أودية ويلبث ماء السيول فيها مدة طويلة ، مثل الهجلة الواقعة شرق جبل ذِئْقَان وإياها يعني الشاعر الشعبي إبراهيم بن جَعِيثَن بقوله :

وانزل من الهجلة إلى النير وبخار ووادي سدير وكل حلاوي ثماره

وفي القاموس : الهجل المطمئن من الأرض . وجمع الهجلة هجال .

خَفَقٌ : - بِخَاءٍ معجمة مفتوحة وفاو موحدة مفتوحة ثم قاف مثناة - : خَبْرَاءٌ عظيمة ويكون بطنها عميقاً ، تجتمع فيها السيول مثل خَفَقِ الشَّلَوِيِّ الواقع غرب النير ، وجمعه خفقان ، قال شاعر من عَتَيْبَةَ :

بِأَذْيَبِ أَبَا الْفُؤْسِ وَالْخَفْقَانَ وَالنَّيْرَ عَانَ الْعَشَا فِي جَرَادِيحِ الصَّوْدِ

ويبدو لي أنهم اشتقوه من الخفوق ، بمعنى أنه يَغِيْبُ من يقع فيه لعمقه وسعته .

رابعا - الخالص بالمياه :

رِس : - براء مهملة مكسورة ، ثم سين مهملة : هو مورد ماء يكون ماءه قليلاً ، لا يكفي لإرواء كثير من الناس ، وكلما نزع ماءه عاد ، ويُطلق غالباً على المياه التي تكون في داخل الهضاب مثل رسّ أبو حيشة ، وانظر رسمه في موضعه في المعجم .

وَطَل : - بواو مفتوحة وطاء مهملة مكسورة ثم لام : - ماء ينطف بقطرات قليلة ودائمة ، ويكون له حوض يستقر فيه ، ويزيد ماءه مع كثرة الأمطار . ولا يكون إلا في صدور الجبال والهضاب ، وهذا النوع كثير في جبل تهلان .

مُشَاش : - بيم ثم شين معجمة بعدها ألف ثم شين ثانية - : أحساء تكون في بطون الأودية ، وكذلك تحضر في بطون الخباري الكبيرة بعد نشوف المياه منها ، ويكون ماء الرُّسّ وفيراً تبعاً لكثرة السيول وانظر رسمه في موضعه في المعجم .

ومثل المشاش التَّمِيْلَة ، وتجمع على تَمَائِل ، وتصغيره تَمِيْلَة ، إلا أنها لا تستمر طويلاً ، ولا تكون إلا في بطحاء الأودية ، وللتميلة ذكر كثير في الشعر الشعبي .

قال عبد الهادي بن جُوَيْعِد العُضَيَّانِي :

عَسَاهُ يَزِي لِي شَعِيْبَ التَّمِيْلَةِ لَيْنَ اِنْ شَعِيْبَ عَنَاهُ يَشْبِكُ زَهْرَهَا

سَرَفٌ : - بفتح السين المهملة وسكون الراء المهملة ثم فاء موحدة -
 ماء يتسرب من الجبل ، في مجرى منحدر بصفة دائمة ، ولا يبلغ
 حدَّ الجريان لضحاوته ، وهذا النوع موجود في هُلالان وفي هضب اللواسر .
 وقال في القاموس : ذَهَبَ ماءُ الحوضِ سَرَفًا محرَّكةً فاض من نواحيه .
 حَفْنَةٌ - : بحاء مهملة مكسورة وفاء موحدة ساكنة ونون مفتوحة
 ثم هاء - : قَلْنَةٌ تكون في بطون أودية الجبال الداخلية ، وغالبا
 تكون ذات عمق ، وتدفع فيها السيول ، ويلبث الماء فيها طويلاً يردّها
 الناس . وفي القاموس : الحَفْنَةُ الحفرة والنقرة .

والواقع أن الحَفْنَةُ حفرة أو نقرة في الوادي تتسرب اليها المياه ،
 وجمعها حَفْنٌ

نَبَّاعٌ : - بنون مفتوحة وياء موحدة مشددة بعدها ألف ثم عين
 مهملة - : ماء ينبع من بين الصخور ، ويكون على قطرات قليلة ،
 ودائرة ، وجمعه ينابيع ، وتصغيره قُبَيْبِيعٌ ، وهو مشتقٌّ من النبع ، وهذا
 النوع كثير في جبل هُلالان .

البلدان وهجر البادية والقصور الزراعية :

البلدة أو البلد : يراد به القرية التي شملها شيء من التطور العمراني
 والاجتماعي ولم تبلغ درجة المدينة في نموها وتطورها .

القرية : ويراد بها قرى الحضر القديمة التي لم تنمُ نمواً واضحاً في
 عمرانها وعدد سكانها .

الهجرة القديمة : هي الهجرة التي أُسِّسَتْ في عهد المغفور له الملك
 عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود ، واستقرت فيها قبيلة من القبائل ،
 في الوقت الذي أفلحت فيه سياسته الاصلاحية في تحويل البادية من

حياة البداوة والترحال إلى حياة الاستقرار والتحضر مثل هجره عرواً
التي تأسست عام ١٣٣٦ هـ وهجرة الغطف قبلها عام ١٣٣١ هـ

الهجرة الحديثة أو المحدثنة : الهجرة التي تأسست في آخر حياة
الملك عبد العزيز أو بعد وفاته مثل هُجْر الجُمَش : العبل ، عصبا ،
عصام ، العقلة ، أو هجر النير : الجمانية ، أو أبو عشرة ، وغيرها .

القربة الزراعية : هي القربة التي يعمل أهلها في الزراعة وليس
لهم فيها سوق تجاري .

القصر الزراعي : هو قرية صغيرة يسكنه أسرة أو أسرتان ، ويعمل
أهله في الزراعة ، ويسكنون بجانب زراعتهم .

وقد تحدثت أثناء حديثي عن هذه البلدان والمواضع عن أثر النهضة
الاجتماعية والعمرائية والزراعية التي شملت هذه البلاد ، ضمن النهضة
الشاملة التي شملت بلدان المملكة العربية السعودية ، والتطور السريع
الذي أخذ يبلوغي كل جانب من حياة الناس ، في مختلف شؤون
الحياة ، وقد دونت عن كل بلد وموضع لمحة تاريخية موجزة ، وضمنتها
التعريف بالسكان وأعمالهم في كل منها .

وقد رتبت هذا المعجم ترتيباً هجائياً ، ودونت أسماء المواضع حسب
سماها في هذا العهد ، وما هي معروفة به بين أهلها وسكانها ، وما وردت
به في أشعارهم وأخبارهم ليسهل التعرف عليها في هذا المعجم .

الرياض شهر ربيع الأول سنة ١٣٩٨ هـ

سعد بن عبد السمير بن جُنَيْد

كتابة التاريخ

(كانت مجلة « العرب » نشرت للأستاذ الدكتور عبد الله الشيبين بحثاً من أبحاث الندوة الأولى لتاريخ الجزيرة) في الجزء الخاص بتلك الندوة حول اعتبار الشعر العاصي مصدراً من مصادر التاريخ ، وقد ورد للمجلة هذا التعليق للأستاذ ناصر العمري ، جاء فيه مانصه : (قرأت البحث المعلق عليه في مجلة « اللبصل » ثم قرأته في مجلة « العرب » وموضوع مجلة « العرب » يختلف اختلافاً غير جوهري عما نشر في مجلة « الفيصل » وفي البحث أعطاه في نصوص الشعر لم أترض لها ، وفيه أشياء أخرى بحاجة للتحقيق ، وكتابتني هنا عابرة ، كتبها دون رجوع إلى مرجع أو نص) .

و « العرب » ترى من حق كل قارئ أن يعبر عن رأيه صريحاً ، حول كل ما نشره ، ولهذا فهي تنشر ما كتبه الأخ ناصر العمري ، وإن كان فيه ما هو خارج عن الموضوع ، وفيه ما هو بحاجة إلى مزيد من الدراسة وعمق البحث ، ولا داعي للاسترسال في الموضوع ، لفيق المجال في هذه المجلة) .

الاطلاع على الحوادث التاريخية التي تستحق التسجيل للتاريخ والتجرد عند تسجيلها من أية نزعة أو غرض يؤثر على تصويرها كما وقعت ، من الأمور المهم توفرها في المؤرخ . ولكن أين هذا المؤرخ المتجرد الخالص من الهوى ؟ ! المؤرخ الجبرتي أنصف الدعوة التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأنصف آل سعود بعيداً عن النزعة المؤثرة متجرداً من الهوى ! . والدكتور عبدالله العثيمين يريد اتخاذ الشعر النبطي مصدراً من مصادر تاريخ نجد ؛ والحقيقة أن الشعر الشعبي سجل حافل بحوادث الدهر ، لكن الشعر كمصدر للتاريخ يحتاج إلى انصاف الشاعر لخصمه والمحافظة على نص قول الشاعر ، وبعض الشعراء ينصفون خصومهم وآخرون منهم يحطون من قدر خصمائهم ! وفي التاريخ أشياء

لا يقبلها العرف ولا العقل، ونجد في الشعر النبطي ما هو أصدق من التاريخ حتى وإن كان الشاعر خصصاً في التاريخ لابن بشر رحمه الله عن وقعة بقعا أن أهل بقعا مسكوا أهل القصيم حتى جاء إليهم أهل حائل فهل يصدق هذا القول؟ ابن بشر رحمه الله لا شك أنه نقل ما وصل إليه إن لم يكن قد عثرت بتاريخه وأن هذا القول ليس قوله أما رواية الشعر لوجود أهل القصيم في بقعا فتقول :

جِينَا صَبَاحَ وَهْمٍ لَنَا مِسْتَكِينِينَ وَثَارَ الدُّخَانِ مِنْ حَرِّ صَلَوِ الْفَتَايِلِ
والرواية التاريخية لا تذكر أنه عنزة مع أهل القصيم في بقعا ، لكن شعر عبّيد بن علي يذكر أنها (صارت على القصمان وأولاد وإيل) وعنزة حلفاء لأهل بُريدة من قديم الزمن وقصيدة عبد الله العلي بن رشيد التي قالها بعد التجائه إلى جبة ووجه فيها اللوم إلى عيسى بن علي فيها بيت عجزه هكذا : (وَدُوَّةَ يَمِّ الْعَرْفَجِيَّةِ تَرْوِيهِ) وهو يردُّ بعد البيت الأول المنشور في رأس الصفحة ٨٥٩ من مجلة العرب - فهل أسقط هذا البيت من قبل مقبل الكبير أم من قبل الدكتور ابن عثيمين؟ وهذا البيت له قصة تاريخية : امرأة من أهل بُريدة من تميم من بيت إمارة أخذت ثأرها فقتلت قاتل ولدها ولهذا مدحها عبد الله العلي بن رشيد بقوله :

إِنْ كَانَ مَا نَرُوهُ مِنْ دَمِّ الْأَضْدَادِ وَدُوَّةَ يَمِّ الْعَرْفَجِيَّةِ تَرْوِيهِ

أما وقعة بقعا بين أهل القصيم وأمير حائل وأتباعه فسببها أن صالح ابن عبد المحسن آل علي أمير حائل المعزول والمعين بذلك عبد الله العلي ابن رشيد تحول إلى بريدة ، وبقى في جوار أميرها عبد العزيز بن محمد آل حليان فحاول عبد الله العلي بن رشيد وأتباعه خطفه من بيته في بريدة

فانتبه بهم أهل بَرَيْدَة ، وأدركوهم وأنقلوا منهم صالح بن عبد المحسن آل علي ، فغضب عبد العزيز بن محمد آل عَلِيَّان أمير بَرَيْدَة ، وعزم على غزو حائل وانضم إليه وساعده أمير عُنَيْزَة ، وأهل عُنَيْزَة ، فحصلت وقعة قما ، لكن هل رُوِيَتْ لنا أخبارها كما هي لا أظن ذلك ! ؟ وقف الدكتور عبد الله العثيمين عند قصيدة الشاعر الكبير الوفي محمد العبدالله العوفي المسماة (الخلوج) فقال بأن فتح الشاعر العوفي للهاء في ضمير الغائبة على خلاف عادة أهل القصيم لا ينبغي كون القصيدة للعوفي وهو من أهل القصيم ! ياسبحان الله قصيدة العوفي الخلوج قالها بعد معركة الصُريف ، التي خسرها أهل بَرَيْدَة وأعوانهم مبارك الصُّباح ومُضَيَّر وآل سعدون وكسب المعركة ابن رشيد ، فقال العوفي هذه القصيدة يشير فيها حماسة أهل بريدة الموجودين بالشَّام ومصر والعراق والكويت ، ويشير فيها نخوة المنتفق ومبارك الصباح ، وهذا القصيدة كانت أعظم قصيدة شعبية ندعو للثورة على حكم عبد العزيز بن رشيد ، وقد وضع أهل بَرَيْدَة آلاف الجنيهات لحرب ابن رشيد بين يدي أميرهم صالح الحسن وتجمَّعوا حموله فجاؤوا من الشام والعراق ومصر والكويت يقودهم صالح الحسن لاستعادة بَرَيْدَة وعموم القصيم من حكم ابن رشيد ، وتمَّ لهم النَّصر فلم تقمَّ لابن رشيد قائمة بعد حركة أهل بريدة . وهذه القصيدة لا يوقف عندها مثل وقفة الاستدلال على اللَّهْجَة فالشعراء عموماً في نجد ، لهم لغة شائعة بينهم معروفة يعرفها الشعراء والمهتمون بالشعر ، وهذا القصيدة (الخلوج) كانت جديرة بالوقوف عندها وقفة تاريخية ولكن كما قلت : من يكتب التاريخ ! ؟ التاريخ يُسَبِّتُ أَنْ عَبْدًا لِأَمِيرِ عُنَيْزَة كَانَ يَغِيرُ عَلَى أَطْرَافِ حَائِلٍ ، وَرَوَايَةِ الدُّكْتُورِ عَبْدِ اللَّهِ الْعُثَيْمِينَ تَقُولُ بِأَنَّ أَمِيرَ عُنَيْزَة فِي عَامِ ١٢٦١ قَامَ بِإِغَارَةِ

على أطراف حائل مردٌ عليها عبيد بن علي بغزوة انتقامية قتل فيها أمير
عنيزة ، ومن المعروف أن غزوة أهل القصيم حيث كمنوا لابن رشيد وأتباعه
في بقعا كانت اعتداءً على أطراف حائل ، ونجد في شعر عبد الله العلي بن
رشيد المنشور في ص ٨٦٠ من مجلة « العرب » ذكر محاولة اغتيال عبد الله
ابن علي بن رشيد ويذكر الدكتور الشيخ عبد الله العثيمين في أول الصفحة
المذكورة أن أهل عنيزة حاولوا اغتياله ولكن هناك قصة وشعر أوردهما
الشيخ فهد المارق^(١) في كتابه « من شيم العرب » يوضح أن عبد العزيز بن
محمد أمير بريدة أرسل رجلاً لاغتيال ابن رشيد وألقى القبض على الرجل
وعنى عنه ابن رشيد ، ونقول له مرة ثانية : من يكتب التاريخ للحقيقة
والتاريخ ؟ ! وما دمت ذكرتُ وقعة بقعا ووقعة الصَّريف فإنَّ إمام جامع
بريدة وخطيبه وهو قاضي بريدة الشيخ سليمان العلي بن مُقبل لما علم أن أمير
بريدة عبد العزيز بن محمد بن عليَّان يَخْتزم الكرة مرة ثانية على حائل
بعد وقعة بقعا قام وخطب في جامع بُرَيْدة خطبة الجمعة بحضور الأمير
عبد العزيز بن محمد العليان ، ونهى عن إثارة الفِتْنَةِ ، وبعد الصلاة قام
الأمير وتكلم في المسجد وتهدّد وتوعّد . وأظهر عزمه على الحرب ونهى الناس
عن الإلتفات لقول الخطيب^(٢) ولكن يظهر أن دعوة القاضي الشيخ
سليمان العلي المقبل وجدت تأييداً من أهل البلدة فلم يَغزُ أمير بريدة حائل
بعد وقعة بقعا وهناك رواية تقول بأن ركباً من أهل حائل عادوا من الرياض
نهبت إبلهم في مكان في القصيم ، وهذا سبب الحرب بين أهل عُنَيْزَةَ
وأمير حائل ، ومع ذلك أكرر قولِي : من يكتب التاريخ ؟ ! أما وقعة

(١) توفي رحمه الله في جمادى سنة ١٣٩٨

(٢) أورد الشيخ عبد الله البسام في ترجمة ابن مقبل من كتاب « علماء نجد خلال ستة قرون »

ماحرى بين الخطيب والأمير من الكلام ، وفيه إقذاع من الأمير « العرب » .

الصريف التي انتصر فيها عبد العزيز بن رشيد على أهل بُرَيْدَة وأعوانهم
 فإنَّ ابن رشيد كان قد علم بحركة مبارك الصَّبَّاح وصالح الحسن في الكويت
 ضده فسبقهم إلى بُرَيْدَة ، وأخذ من شباب بُرَيْدَة ورجالها الأشداء خمسمائة
 مُقاتل ، وأبعد بهم عن بُرَيْدَة ، ولما وصل مبارك الصَّبَّاح وصالح الحسن
 المهنا إلى بُرَيْدَة ، ومعهم أعوانهم وبعد مضي شهرين زحف إليهم عبد العزيز
 ابن رشيد ومعهم أعوانه ، ومعهم خمسة مئة رجل من أهل بُرَيْدَة وكان يحاذر
 من اتِّصَالهم بِبُرَيْدَة أو بِأحدٍ من أهلها . وقبل تحرُّك ابن رشيد إلى أرض
 معركة الصريف أرسل أهل بُرَيْدَة صَبِيًّا اسمه فائز القليش ومعهم كلمة
 تحذير لأهل بُرَيْدَة الذين مع ابن رشيد فأمسكه ابن رشيد وهم
 بِقَتله ، ولم يعرف كلمة السَّرِّ التي يحملها الصبيُّ وقد فُتِّش فلم توجد معه
 رسالة ، وقد خلصه من القتل الشاعر الصغير حيث كان أحد الرجال الذين
 مع ابن رشيد ، وعند دخول ابن رشيد للمعركة ركب حصانه وجاء إلى
 أهل بُرَيْدَة الذين معه وقال لهم : أمامكم مبارك الصَّبَّاح جاء يُريد بلادكم
 بُرَيْدَة ، وهذا خطُّ من أهل بُرَيْدَة يقولون (أنتَ في نَحْرِهِ وحنًا في
 ظهره) فوقعت الحرب وانتصر ابن رشيد ، وبعد انتهاء المعركة شاهد
 أهل بُرَيْدَة الذين مع ابن رشيد جُثث جماعتهم في المعركة فعرفوهم ،
 وأدركوا أنَّ ابن رشيد خلدَهم ، فأنصرفوا عنه ، ومن الذين انصرفوا
 الشاعر الصغير فقد اتَّجَهَ من مكان المعركة إلى العراق ومعهم لِبِلٌ أعطاه إياها
 عبد العزيز بن رشيد ، وكان قد أعجب عبد العزيز بن رشيد ، فضمه
 إلى صدره وقبَّله والشاعر الصغير من ألدِّ أعداء ابن رشيد ، وشاركه في
 حربه البُكَيْرِيَّة وغيرها ولكنه قد انضم إلى ابن رشيد قبل وقعة الصريف
 غير عالم بغاياته ، ولم يكن يعرف من هو خصم ابن رشيد إلا أنه دعي للغزو

مع ابن رشيد قلبى ، ولايستطيع الفكاك من إجابة أمر أمير بريدة قبل وقعة
الصريف ، وبعد الوقعة فعل عبد العزيز بن رشيد بأهل بريدة وبأهل
الكويت أفعالاً قاسية لا يعرف التاريخ في نجد لها مثيلاً فقد قتل أهل
بريدة وأهل الكويت صبراً بعد المعركة ، ثم صادر أموال أهل بريدة وهدم
بيوتاً كثيرة في بريدة ، وهي البيوت القريبة من قصر الحكم مع أنها لم
تكن ملاصقة للقصر ، وبينها وبين القصر شوارع واسعة وساحات ، ولكنه
أراد الانتقام من أهل بريدة ولم يفعل في بلدان القصيم الأخرى مثل فعله
في بريدة ولكن أیظن القاريه أن ابن رشيد لم يخسر رجالاً في معركة
الصريف ؟ لقد خسر عدداً كبيراً من رجاله ومن أهل بيته وأي بعيد عن
معركة الصريف لا يعرف عنها إلا أن ابن رشيد انتصر على صالح الحسن
ومبارك الصباح ، والمنتفق ومطير في المعركة ، ولكن الحقيقة غير
ما يعرفه البعيد من الناس عن المعركة لقد اعترف حمود العبيد بن رشيد
بشجاعة أهل بريدة وثباتهم حتى وصفهم بأنهم أشجع من عيسى وموسى
وداود (١) استمع إليه أو اقرأ قوله في المعركة يرثي ولده سالماً الحمود
المقتول في وقعة الصريف :

يأبو حمذ تبكيك بيض الدلاك	وتبكيك حمر عيقر (٢) بينض الخلود
وتبكيك شقراً كنهاأم الغزال	اللي تغز الرأس واللبل مكلود
عرضتها لمهذبين العيال	اللي يعضون النواجذ على الكود
اللي مواقفهم نهار القتال	ماياقفة عيسى وموسى وداود
تحسبهم (٢) مقطعين الشيال	اللي تجارتهم يخلتبت وجلود

(١) وقد أعطاني قوله ، فالأنبياء أجل وأرفع قدراً عما توهمه « العرب » .

ويقول حين رأى ماجدا (صويبا) على الفرس :

هَلَا هَلَا فَيْكَ يَا الْوَجْعَانَ يَا اللَّيْ صَوَابِكَ جَرَحَ كَبْدِي
يَا اخُو الطَّرِيحِينَ بِالْمَيْدَانِ اللَّيِّ سَبَابِهِمْ (الرَّبْدِي)

وهو هنا حين قال : (يا اخو الطريحين بالميدان) يقصد ولديته سالماً ومُهَنَّا حيث قُتِلَا في المعركة معركة الصريف ، فإذا كان حمود العبيد قُتِلَ له ولدان وجرح ولده الثالث فكيف بالآخرين من أتباع ابن رشيد ١٩ وأنت أيها القاريء تدرك من قول حمود العبيد إنصافه أهل بريدة ، واعترافه بشجاعتهم وتلدرك السبب الذي جعل عبد العزيز بن رشيد يقتل عبد الرحمن الربدي ، وهو أكبر أو من أكابر أهل بريدة قتله صَبْرًا وقتل معه ولده سليمان العبد الرحمن الربدي ، وصادر أموال بيت الربدي ، الذي كان أغنى بيت تجاري في القصيم ، وقد أخذ منهم عبد العزيز ابن رشيد سبعين ألف ريال فرانسي وهم تُجَار نَخِيل وإبل وغنم وعقار في بريدة ، ولكنه لم يُصادر أملاكهم الزراعيّة ولا بيوتهم ، ولم يَعتد على حرمان بيوتهم إلا لطلب المال ، لقد قتل ابن رشيد خَصُومَهُ صَبْرًا بعد وقعة الصريف في مكان المعركة ، ثم نصب مخيما بين بريدة والصريف وجعل من هذا المخيم مجزرة لأهل بريدة ، ولأهل الكويت وبعض أهل بريدة اتجهوا بعد المعركة إلى المدينة وإلى العراق وإلى الكويت ومن الشام والعراق ومصر والكويت تحرك أهل بريدة مرة ثانية بقيادة زعيمهم وأميرهم الرجل الصالح الأمير صالح الحسن المهنا ، وهو أمير وابن أمير وحفيد أمير أما والدته فهي مزنة الجار الله العُقَيْلي من أمراء المذنب ، وللحقيقة والتاريخ أقول بأن آل مُهَنَّا ساعدوا محمد العبد الله بن رشيد على حكم نجد ، فبهم استطاع الوصول إلى حكم نجد وبآل مُهَنَّا قُوِّصَت

إمارة آل رشيد في حائل وغيرها ، ولقد نصح أصدقاء عبد العزيز بن رشيد له بأقوالهم : إنه لن يحكم بُرَيْدَةَ إلا إذا رضي أهلها وأذن، لن يتمَّ له حكم نَجْدٍ إلا بمصالحة أهل بُرَيْدَةَ ورضاهم ، ولكن الرجل كان شجاعاً إلى حَدِّ التَّهَوُّرِ ، وظالماً ، ولقد قال ^(١) أحد آل رشيد لأهل حائل بعد وقعة الصَّرِيفِ وهم في بُرَيْدَةَ : خُذُوا تَرَاباً من أرض بُرَيْدَةَ فلا أظن أنكم تدخلون مدينة بريدة مرة أخرى ! إن قتل الرجال ومصادرة الأموال ، وهدم البيوت لا يبني عليها قاعدة حكم ! إن العرب لا تنقاد عن كراهية ، العرب لا تنقاد إلا عن رغبة ، ولقد أثبتني أهل بريدة بما لم يُصَبِّ به أحد غيرهم بكوارث الحروب وأهل بريدة رجال تجارة واقتصاد ، لا يلتفتون إلى الحكم ، ولا يرغبون في الحكم لأنه يشغلهم عن تجارتهم وأعمالهم الاقتصادية وأهل بُرَيْدَةَ تبعوا آل سعود في عهد اللُّرْعِيَّةِ برغبتهم دون حرب وحينما قام عبد العزيز بن محمد آل عُلَيْسَانَ أمير بريدة بحرب آل سعود تخلص أهل بُرَيْدَةَ منه ، وطلبوا تعيين مُهَنَّأ الصَّالِحِ أبا الخَيْلِ أميراً لبلاذيم وحين قام محمد العبد الله أبا الخَيْلِ بحرب ابن سعود تخلص منه أهل بريدة ، ولكنهم حفظوا له دَمَهُ وماله وكرامته هو وأتباعه ، ودخل ابن سعود مدينة بريدة صُلْحاً برغبة أهلها وخرج منها محمد العبد الله المُهَنَّأ ومع كل ذلك أقول من يكتب التاريخ ١٩ ، ، ،

ناصر سليمان العسيري

الرياض

(١) حلقتنا اسم القائل ، إذ لا داعي للذكره والعرب .

بلدة الوجه

(صدر حديثاً القسم المتعلق بشمال المملكة من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » ونشر فيما يلي نماذج منه ، لإطلاع بعض القراء ممن كثر استيضاحهم عن الطريقة التي اتبعت في تأليفه ، ومنهم الأخ أحمد شحاتة ، من بلدة الوجه) .

الوجهُ : - على الاسم المعروف - كان هذا الاسم يطلق على وادٍ من أودية تهامة ، ينزله الحجاج القادمون بطريق الساحل من مصر أو الشام ، ولهذا كثر ذكره في رحلات الحج . كما كان يطلق على ميناء تقع في مصب ذلك الوادي في البحر .

ففي كتاب « منازل الحجاز »^(١) : بعد ذكر الحوراء - ثم تسلك بين جزيرتين تسمى الحلق ، ثم إلى جزيرة أم الملك ، إلى جزيرة شيبرة ، وتضيق الشباب والجزائر إلى مضيق رتقة الزريعا (٢) إلى جزيرة ريعا (٣) إلى مرسى الوجه ، وعليه في البحر جزيرة (.....) بها حجر عظيم ، طريق القلزم ، يأخضون هناك ن الركاب البشارة ، ثم إلى مرسى الرمس (٤) في بلد جهينة ، ثم إلى مرسى زاعم . انتهى . على عدم وضوح كثير من الأسماء التي أوردها ، ولعل الجزيرة القريبة من مرسى الوجه كان اسمها ريقا ، وهي تعرف الآن باسم (رايجة) في الجنوب من ميناء الوجه ، تشاهد رأى اليمين . وكلمة (الرس) ليس بعيداً أن تكون تصحيف (زبيرة) وهي مرسى بين رأس الأبيض ورأس الأزلم ، ولكنها تقع بعد مرسى زاعم بمسافة بعيدة ، ومرسى زاعم هو الذي يلي مرسى الوجه بجواره .

(١) ينقل عن كتاب « نظام المرجان في مسالك البلدان » مؤلف في أول الخامس (سنة ٤١٤ هـ) وهو لأحمد بن أنس الطبري كما أوضحت ذلك في بحث نشر في « العرب » من ١٢ جزء القعدة والحجة سنة ١٩٩٧ .

وقال العبدري في رحلته - وقد حج سنة ٦٨٩ : ومن كفاة إلى الوجه ثلاثة أيام ، وهو ماء عذب طيب ، في أصل الجبل مثل الأول ، ولكنه ليس في الغزارة والإمكان مثله ، ووقعت فيه في بعض الأعوام في الحجاج مقتلة عظيمة ، قتلهم العرب ، وانتهبهم - وأشار إلى رسالة ابن المنير - وكان الحجاج مغاربة ، والركب المصري قد تخلف ذلك العام فتجاسر المغاربة على النفوذ ، فاتفق لهم ما اتفق ، والوجه هو منتصف الطريق ، على التحقيق . انتهى .

ونص ماجاء في رسالة ابن المنير : وحياً الله الوجه وإن كانت عليه تلك الواقعة ، فما أحسنه إذ ألمحه الفكر وإن كانت عليه السيوف لامة انتهى . وقال ابن فضل الله العمري في كتاب « مسالك الأبصار »^(١) - في وصف الوجه - : هو جفار في وادٍ يسيح ماؤه ليلاً ويشع نهاراً ، يبرد^(٢) مائه كأنه ماء النيل والفرات ، وكثيراً ما يحصل للحجاج على منزله العذب زحام ، ويقع بينهم بسببه مشاجرات وخصام . انتهى .

وقال في « درر الفوائد المنظمة »^(٣) : (وحصل في بعض السنين عطش شديد بالوجه ، وبينه وبين الأزلم ، سببه قلة الماء الذي كان صحبة أهل الركب ، وعدم وجوده في الوجه ، أدى ذلك إلى موت جماعات كثيرة بالطرق^(٤) وعادة هذا المورد المسمى بالوجه إذا كان مطر يحصل به عامة النفع والإنعاش والرّي التام للوقد ، وماؤه أطيب مناهل الحجاز ، فإذا نزلت آبارُه لقللة المطر أو لعدمه - كما في زماننا هذا فإن له إلى آخر سنة ٩٦٠ نحو الثمان سنوات لم يقع في تلك الأرض .

(١) « درر الفوائد المنظمة » : ٤٥٠ -

(٢) لعل التفسير في (يبرد) يعود لركب الحج ، إن لم تكن الكلمة معرفة مع غيره ماله

لم يبرد ماله . (٣) ص ٢٨١ .

وما حوّلها مطراً مطلقاً ، وكان الأمير جانم الحمزاوي لما حصل في سنة ثلاثين تلك العطشة المشهورة في زمنه ^(١) جهز معماريةً صحبة أمين العمازة لإصلاح الآبار التي هناك ونزحها ، وتوسيعها ، فإن المهود بها قديماً هي البشر المألحة التي في الرحبة ، وهذه المستحجات المنسوبة إلى إبراهيم باشا هي التي أصلحت بمعرفة جانم الحمزاوي ، من مال إبراهيم باشا الوزير الأعظم ، ثم بعد العمارة رتب لها مبلغاً قدره من الفضة الكبار أربعة آلاف لمشايخ الدرك بالوجه ، عن خدمة هذا الماء والآبار ، وتنظيفها خوفاً من مشاق العطش الواقعة في هذا المحل وما واولاه ، فأقام بعد ذلك سنوات والخجاج تروي منه وترده وترحل عنه ، وهم في دعة من الرواء وأمن من مقاساة ألم الشكوى ، إلى أن أخذت الآبار في النقص ، وقل المطر الوارد إلى ذلك الوادي ، فصار الحجاج تارة يستثمون دون جمالهم ، وتارة يبيتون ويراعون أحوال الماء ، قليلاً قليلاً طول الليل ، إلى أن يحصل لهم الري أو دونه . فلما لم يحصل في ذلك الوادي مطراً مدةً هذه السنين العديدة إلى تاريخه ، وكذلك ما حوله وما قرب منه وادي الأزل وإلى بعد الينبع بمراحل ، فصار لسلوك تلك المحجة مشقات : منها - وهو الأهم - عدم الماء بالوجه مطلقاً ، إلا البشر المألحة جداً التي بالرحبة ، ومنها شدة ملوحة الماء الذي في غير هذا المنزل ، لقلّة المطر أو عدمه ، كما ذكره ، والأزل ، والحوراء ، فإنه عند وجود السيول والأمطار ، ومخالطتها لتلك المياه يسوغ شربها . ويطيب رجبها ، ومنها عدم نيت الحشيش لمرعى الجمال بتلك الأودية ، وإن وجد فهو كالمحرق من شدة الجفاف وعدم النفع . ومنها عدم وجود الأغنام ، أو وجودها في أشدّ حالة

^(١) في سنة ٩٣٠ وكالت تسمى سنة العطشة بالوجه ، وكانت في عهد إمرة جانم بن قصروه دوادار ابن السلطان قانصوه النوري وتولى إمرة الحج سنين آخرها سنة ٩٥٦ هـ .

المزال ، لعلم ما تقفنا به ، وعلم وجود السمن ، وقلة ما تجلبه العربان من تلك الأودية والمنازل ، أو عدمه مطلقاً لمشقة سلوكها هناك والحالة هذه . ولقد نعطل نقل حبّ اللبنة . ولي من أبيات في هذا المعنى ، مُضْمَنًا :

مَرَرْنَا بِوَادِي (الْوَجْهِ) وَهُوَ مِنَ الْحَيَا	عَلَيْمٌ وَقَدْ خَابَتْ ظُنُونٌ وَأَمَالُ
وَقَدْ كَانَ لِلْعَافِسِ أَطْيَبَ بُغْيَةٍ	يَسُوعٌ بِهِ لِلْوَفْدِ وَرَدٌ وَتَرْحَانُ
إِذَا أَمَّهُ الصَّادِي أَيْ تَكُلُّ صَالِح	وَقَدْ عَمَّهُ أَنَسُ وِرِيٌّ وَإِقْبَالُ
فَمَا بَالُهُ - لِأَغْيَرِ اللَّهُ حَالَهُ -	وَعَادَتُهُ بِالْفَخْرِ يَزْهُو وَيَحْتَالُ
تَبَدَّلَ بَعْدَ الْأَنْسِ خَيْبَةً آمِلٍ	وَجَفَّ لَدَيْهِ مَاصِفًا وَهُوَ سِيَالُ
وَأَوْحَشَ هَذَا (الْوَجْهَ) بَعْدَ نَدَائِهِ	وَمَا ذَلِكَ إِلَّا أَنْ أَهْلَ النَّهْيِ قَالُوا:
(إِذَا قَلَّ مَاءُ الْوَجْهِ قَلَّ حَيَاؤُهُ)	وَعَنْ حَبِهِ أَهْلُ الْمَوَارِدِ قَدْ حَالُوا

وقال النابلسي^(١) : الوجه هو المنزل الثامن عشر من منازل الحاج ،

وهي قلعة عامرة بين جبال ، بها أربعة أبراج . وفيها منارة ، وفيها أناس يسكنونها ، وعندها آبار من المياه التي تغلب عليها الملوحة ، ولها بركة كبيرة تمتلئ أيام الحاج ، وما أحسن قول الشيخ برهان الدين القيرواني (إبراهيم بن عبدالله المصري ٧٢٦ - ٧٨١ هـ) :

أَتَيْتُ إِلَى الْحَجَّازِ فَقُلْتُ لِمَا	تَبَدَّى وَجْهُهُ لِي ، وَارْتَوَيْتُ
وَكَمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَجْهِ مَلِيحٍ	وَلَكِنْ مِثْلُ وَجْهِكَ مَا رَأَيْتُ

وله أيضاً :

أَقُولُ وَقَدْ جِئْنَا إِلَى الْوَجْهِ جَمْعًا	عِطَانًا وَكُلُّ خَابٍ فِيهِ رَجَاؤُ
إِذَا قَلَّ مَاءُ الْوَجْهِ قَلَّ حَيَاؤُهُ	وَلَا خَيْرَ فِي وَجْهِ إِذَا قَلَّ مَأْوُ

(١) الرحلة الكبرى ، الورقة ١٧ مخطوطة فينا .

أخذ المصراع الثالث الشيخ محمد بن نور الدين الدرا فتقال :

شَكَأ أَهْلُ وَجْهِ قَلْعَةِ الْمَا بِأَرْضِهِمْ وَأَنْ الْحَيَا شَحَّتْ عَلَيْهِمْ سَمَاؤُ
فَقُلْتُ لَهُمْ قَوْلًا لَهُمْ فِيهِ سَلْوَةٌ (إِذَا قَلَّ مَاءُ الْوَجْهِ قَلَّ حَيَاؤُهُ)
وما أطف قول القطب المكي^(١) في منزل الوجه :

أَقُولُ وَوَادِي الْوَجْهِ سَالَ مِنَ الْحَيَا وَقَدْ طَابَ بِهِ لِلْجَمِيعِ مُقَامُ
عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ الْمَلِيحِ تَحِيَّةٌ مُبَارَكَةٌ مِنْ رَبِّنَا وَسَلَامُ
وقلنا :

طَابَ لَنَا الطَّرِيقُ مِنْ مِضْرَ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ وَالْهَوَى يَنْفِي الْوَسْنَ
وَالْوَجْهُ قَدْ قَابَلْنَا بِطَلْعَةِ بَهِيَّةٍ ، فَيَالَهُ وَجْهُ حَسَنٌ أ
وقلنا :

قَدْ سِرْتُ مِنْ مِضْرَ إِلَى الْحِجَازِ فِي أَمْنٍ مِنَ اللَّهِ يَزِيدُ شُكْرَهُ
وَالْوَجْهُ قَدْ قَابَلَنِي بِإِلَاحِيَا لَكِنِّي لَمْ أَلْقَ شَيْئًا أَكْرَهُ
- والتورية في لفظة (أكره) فإنها اسم المنزل الذي بعده .

- ثم ذكر خبير مركب فيه اناس من الهنود ، أتوا من السويس إلى
الحجاز ، فانكسر مركبهم بقرب قلعة الوجه وغرق بعضهم ، وخرج
بعضهم إلى الساحل ، فجاؤا إلى قلعة الوجه ينتظرون من يَدُلُّهُمْ الطريق
مما يفهم منه أن ميناء الوجه لم تكن عامرة في عهده - وكان مر سنة
١١٠٥ هـ - أول القرن الثاني عشر .

وقد وجد الشعراء في كلمة (الوجه) وقلعة مائه في بعض السنين ،
وغزارته في بعضها مجالا واسعا لنظم الشعر فيه يحسن لإيراد طرف منه^(٢)
ففي إيراده دفع للملل ، وإن لم يتجاوز شعر العلماء .

(١) هو قطب الدين النهروالي مؤرخ مكة في زمانه ، انظر ترجمته مفصلة في مقلمة البرقي
اليمان في الفتح الثماني « من منشورات دار (الجماعة للبحث والترجمة والنشر) .

(٢) للتوسع في ذلك انظر مجلة « العرب » ص ٣ ص ٢٢١-٢٢٥ .

قال ابن أبي حجلة (١)

أَبَا سَادَةَ فِي (الْوَجْهِ) فَزَتْ بِقُرْبِكُمْ
وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْقُرْبَ يُؤْذَنُ بِالْبَعْدِ
سَرِيحٌ لِي (أَكْرَأ) فَشَرُّدْتُمْ الْكَرَى

وقال الفيومي المكي (٢) :

وَلَمَّا وَجَدْنَا (الْوَجْهَ) عِنْدَ وُرُودِهِ
زَمَمْتُ مَطِيئِي ثُمَّ قُلْتُ : تَرَحَّلُوا
خَلِيًّا مِنَ الْمَاءِ الْفُرَاتِ قِنَاؤُهُ
فَلَا خَيْرَ فِي وَجْهِ إِذَا قَلَّ مَأْوُهُ

وللحافظ ابن حجر السقلائي - وقد مر به فوجده مُسْتِنَا :

أَتَيْنَا إِلَى الْوَجْهِ الْمُرْجِي نَوَالُهُ
وَأَسْتَرَعَنْ وَجْهَهُ ، وَمَا فِيهِ مِنْ حَيَاةٍ
وَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِ وَجْده مَمْطُورًا قَدْ صَفَتْ مَشَارِبُهُ ، وَاخْضُرَّتْ جَوَانِبُهُ ،
فَقُلْتُ : دَعُوهُ ، مَا أَقَلَّ حَيَاةُ !

فقال :

أَرَأِنَا الْجَمِيلَ (الْوَجْهَ) مُعْتَدِرًا لَنَا
وَأَطْرَقَتْ نَحْوَ الْأَرْضِ رَأْسِي خَجَلَةٌ
فَأَوْلَيْتُهُ شُكْرًا وَمَا زِلْتُ مُنْبِيَا
وَمَا اسْتَطَعْتُ رَفْعَ الرَّأْسِ مِنْ كَثْرَةِ الْحَيَاةِ

وللمنصوري في الوجه وقد مر به سنة ٨٨٧ (٣) :

أَقُولُ وَقَدْ جِئْنَا إِلَى الْوَجْهِ نَرْتَوِي
أَلَا إِنَّ هَذَا الْوَجْهَ قَلَّ حَيَاؤُهُ
وَنَضْطَبِحُ الْمُحْجَاجَ مِنْهُ بِمَاءٍ
وَلَا خَيْرَ فِي وَجْهِ بِغَيْرِ حَيَاةٍ

وقال الخياري المدني في الوجه :

وَرَدْنَا لِمَاءِ الْوَجْهِ حَقًّا عَلَى ظَلَمًا
وَقَدْ كَانَ حَلَّ السَّمْعِ عَذْبُ صِفَاتِهِ
فَلَلَهُ مَا أَهْنَاهُ شَرِبًا وَمَا أَمْرِي
وَأَنَّ بِهِ لِلنَّيْلِ يُسْتَحْسَنُ الدُّكْرَى
وَلَا تَذْكُرُ (الْحَوْزَا) لَدَيْ وَلَا (أَكْرَأ)

(١) « درر الفوائد » ٥٢٤ . (٢) رحلة كبريت : ١٦ .

(٣) « أوراق مخطوطة في خزانة الزركلي ، وانظر ترجمة المنصوري في « نظم قلائد العيان » .

وقال الخياري^(١) : ولم أذِرْ لتسميته الوجه وجهها ، لأنه - كما علمَ - مُعْجَرَفَ الأَوْضَاعِ ، ليس به انبساط واتساع ، ومن غريب أمره أنه ضَبِيقُ المدخلِ والمُخْرَجِ ، بحيث يقع من الزحمة عند دخوله والمُخْرُوحِ منه الأمرُ العظيمُ ، فكاد يدرك الهلاك - لولا لطف الله - العميمُ ، ولقد قلت : إن تسميته بالبطن أنسب ، لما حواه من التلؤلؤ وضيق المدخل والمخرج ، إلا أنهم كأنهم راعوا علوية مائه ، ولا أعذب من المياه التي وقعت في كلام العرب^(٢) من ماء الوجه انتهى .

وقال الزبيدي المتوفى سنة ١١٦٣ ، عن الوجه : وفيه حصن حصين ، في جوف واد كبير ، يخرج من بين جبلين ، والناس يهابون النزول في أصل الوادي ، إذا كان وقت السيول ، فيرتفعون إلى أعاليه ، وفي الوادي عدة آبار بعضها حسن ، وبعضها ذو أسنٍ ، والتي فوق البندر أحسن من التي تحته ، وداخل البندر بشر تُسَمَّى بالبقر ، وتصب في ثلاث برك خارج البندر ، لصق حائطه ، والناس يحملون من هذا المحل ماء كثيراً لما استقبلهم من المسافات العريضة ، ذات المياه البشعة والبعد عن العمارة ، وفي هذا البندر - كغيره - عسكر وأمير ، وهو آخر البنادر التي في طريق الدرب (٢) وليس بعده عمارة إلى ينبع الذي هو أول عمارة ببلاد الحجاز ، على طريق الحاج ، ويخزن في هذا البندر ما يحتاجون في الإياب من طعام وعلف دواب ، وهو آكد موضع للخزن ، لأن الركب في الرجوع قد يصل إلى هذا المحل قبل وصول المتسافرين للطعام من مصر إليه ، فيخلو الفول والطعام ، غاية تعجز عنه الأتمان في بعض الأوقات ، هذا ما كان عليه الحال قبل هذا الزمان بأعوام ،

(١) رحلته القمم المخطوط - (٢) كذا وامله تحريف : (وقعت في الدرب) .

أما اليوم فمند سنين صار عملة الحاج على بندر العقبة والمويلح وعلى
ينبع ، وأما ما بين المويلح وينبع فلا عملة لهم عليه في طعام ولا علف ،
سوى الماء عند الحاجة إليه ، وجُلُّه قبيح ، فلا ينزلون في هذه المفازة
كلها إلا النزول المعتاد ، الذي لا يحصل بدلونه المراد ، ويسمونها اليوم
العشارية لأنها عشر مراحل متوالية لا إقامة فيها . انتهى .

وقد مرَّ المزارويُّ التامراويُّ المغربيُّ سنة ١٢٤٢ حين حج فكتب ما هذا
نصه : (فوصلنا الوشى (؟) وفيه دار للمخزن وآبار . وأصعب مراحل
الدرب بين الحورا الوشى إذ لا ماء بينهما ، فيموت الناس والبهائم
فيه من العطش ، ويتركون فيه الضغفاء والبهائم كثيراً ، ولتحمّل
الماء من نظفه (؟) قبل الحورا بيوم ، إذ ماؤه طيب حلو ، وماء حورا
خبث رديء يضر بالناس ولتحمّل في نظفة (؟) ما يكفيك من الماء
خمسة أيام) انتهى . وبلاحظ أن هذا الرحالة حاكي العامة بكتابة اسم
(الوجه) كما تنطق العامة هناك فهم يدغمون الجيم في الماء فيقبلون
الحرفين شينا مشددة (الوش) لا (الوشى) كما وقع هنا .
أما (نظفه) فصوابها (نبط) ولعل التحريف خطأ مطبعي في كتاب
«المسول» الذي نقلنا عنه ^(١) .

تَنْبِيهُ : كل ما تقدم بتعلق بالمكان الذي كان من منازل الحجاج ،
وهو يقع شرق الميناء على مسافة غير بعيدة ، أما بلدة الوجه التي تقع
على ساحل البحر فقد نشأت حديثاً . ولهذا فلم يرد لها ذكر في رحلات
الحج فيما قبل القرن الثالث عشر . وقد ذكرها رحالة متأخرون .

وليس معنى هذا أن ميناء الوجه جديدة . وإنما المقصود البلدة ،

(١) أورد رحلته صاحب كتاب «المسول» ج ٨ ص ١٩٧ .

إذ قد تقدم ن النصوص ما يفهم منه قَدَّمَ المَرْتَبَى ، ولعله درس ، ثم جدد في عصور متأخرة ، أو أنه ن المراسي التي لم تُبْنِ فيها منازل ولم تُنشَأ قُرَى . ويحسن إيراد بعض ما ذكر الرحالون عن بلدة الوجه .

قال محمد صادق باشا - يصف الوجه سنة ١٢٩٧^(١) - : مينا متوسطة من مَيِّنِ القُلُومِ ، مُعَدَّةٌ للسفن ، وبها برج مشيدٌ على جبل شاهق ، مشرف على البحر في ارتفاع ٥١ مترا ، به مدفعان وثلاثون عسكرياً و(صاغ قول أغاسي) محافظ ، وبيوت صغيرة ، وسوق وثلاثة جوامع وتجار ، وأهاليها نحو الخمس مئة تقريباً ماعدا العربان المقيمين هناك ، والخضار معدوم بها ، وبها بئر ماؤها عذب تحمل منها المياه إلى القلعة . انتهى .

وقال المخزومي^(٢) في رحلته - وقد مر بالوجه في شهر شوال سنة ١٣٠٦ بعد أن مر بينبع البحر في سفينة شراعية : (وعلى سبعة أيام وصلنا الوجه ، بلدة حقيرة متوسطة البناء ، فقابلنا تجارها وأعيان أهلها ، وعزومنا ، وكان الوقت ضيقاً ، ومرادنا نتوجه فاعتلرنا ورجعنا إلى السفينة ، وإذا هم مرسلون لنا ثمانية رؤوس أكباش من الغنم وقائلون : هذه ضيافتكم فأعطيناها أهل السفينة التي نحن فيها وشكرنا فضلهم ... وفي وقت الفجر قامت بنا السفينة وقطعنا البحر ، وفي يوم وليلة وصلنا بندر القصير ، والوجه آخر الحجاز . انتهى .

وأقول : بلدة يُقَدَّمُ أهلها ثمانية كباش لضيفهم لا يليق أن توصف بالحقارة ، ولكن الكاتب يقصد ضعف تلك البلدة وقلة مبانيها . وقد أوردنا كلامه لأنه يدل على حالة البلدة في أول هذا القرن .

(٢) « الرحلة الحجازية » ص ٢٨ .

(١) « دليل الحج » ١٩٠ .

ووصفت البتنولي بلدة الوجه - سنة ١٣٢٧ هـ بأنها قرية فيها نحو أربعين بيتاً صغيراً ، وعدد أهلها لا يزيد عن ٥٠٠ نفس ، كلهم تقريباً عائلة واحدة تدعى (عائلة بُدَيَّوِي) وفيها ثلاثة مساجد ، يقصدها في أيام الجمعة كثير من العريان الي في ضواحيها ن قبيلة بَلِي . وكان لقرية الوجه أهمية عندما كان يمر بها ركب المحمل ، فقد كانت تنصب فيها الأسواق ، وتفرق فيها العوائد على العُريَان ، أما الآن فحياة أهلها من صيد الأسماك ، وتجارة السمن والأصواف والفحم الخشبي الذي يُؤْتِي به من داخل البلاد ، وأغلب تجارتها مع السويس ، ومنها تقوم في كل ١٥ يوماً لإحدى مراكب (الشركة الخديوية) .

وزار فِلَيْبِي الوجه سنة ١٩٥١ - فقال عنها : يقدر العارفون سكان الوجه بـ ١٥٠٠ نسمة ، وبلدة الوجه اليوم أقل ثراء ورفاهية مما كانت عليه قبل الحرب العالمية الثانية ، عندما كانت ميناء للفحم الذي تزود به البواخر الخديوية ، وغيرها من السفن التجارية ، وقد حُظِرَ تصدير البضائع وخاصة السمن التي كانت أسواق مصر تطلبه بكثرة ، والشيء الوحيد الذي تصدره الوجه هو فحم الخشب ، يشحن على (السنابيك) في أكياس وزن الواحد منها قنطار ، ويباع في السويس بـ ١٢٥ قرشاً مصرية ، وكانت ميناء الوجه نشيطة في تصدير الأغنام - قبل حظر التصدير - إلى السويس .

ومدينة الوجه قسمان : أعلى وأسفل ، وفي كل قسم عدد من البيوت والأعلى بيوته أحسن ، وإن كانت أقل ، ويشرف على القسم الأسفل قلعة كبيرة ، فوق هضبة عالية فتبدو رائعة وإن لم أرها من الداخل ، ويحلها

(١) « أرض الأنبياء » : ٣٢٩ .

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم

« تاج العروس من جواهر القاموس »

.. رأيت لدى أحد الإخوان جزءاً من مجلة «العرب» وفيه مقال لكم عن «تاج العروس» أعجبت به .
أرجو أن تتفضلوا ببعث نسخة من ذلك الجزء ، مع إخباري بشمونه وأجرة إرساله ...

سعيد مرصفي

كلية الآداب جامعة الكويت

العرب : لقد تحدث رئيس التحرير عن كل الأجزاء التي اطلع عليها من مطبوعة الكويت ، وليس من اليسير إرسال جميع الأجزاء التي نُشر فيها ما يتعلق بذلك الكتاب ، ويستطيع الأخ الاطلاع عليها في مكتبة الجامعة .

وما هو بيان تلك الأجزاء :

الجزء الأول من الكتاب - في المجلة (ج ٥ س ٥)	
» الثاني » » » (ج ٧ س ٥)	
» الثالث » » » (ج ١ س ٦)	
» الرابع » » » (ج ٢ س ٦)	(١)
» الخامس » (٢)	
» السادس » (ج ٣-٤-٥-٦-٧-٨ س ٦)	
» السابع » (ج ٦ س ٦)	

(١) وفي ج ١١ س ٥ رد الأستاذ عبد الستار أحمد فراج على .

(٢) لم يطلع عليه رئيس التحرير ، ولهذا لم ينشر منه شيئاً .

(ج ١٠ س ٦)	الجزء الثامن
(ج ١ س ٧)	» التاسع
(ج ٦ س ٧)	» العاشر
(ج ٢ س ٨)	» الحادي عشر
(ج ٧-٨-٩-١٠ س ٨)	» الثاني عشر
.....	» الثالث عشر ^(١)
(ج ١-٢-١٠ س ١٠)	» الرابع عشر
(ج ٣-٤-٥-٦ س ١١)	» الخامس عشر
(ج ٩-١٠ س ١١)	» السادس عشر

الفقع أم الكماة ؟

.. في وسط نجد يقولون : الفقع - بالقاء والقاف والعين المهملة - وفي شمالها يسمونه الكما - بالكاف بعدها مم فألف فأفهما أصح ؟ !
 هرعر - سعيد بن عناد

العرب : دما اسمان اسمى واحد ، غير أن « الكما » حذفت منه الهمزة ، كمادة العامة فهم يحذفونها أو يسهلونها ألفاً أو واواً أو ياء .
 وفي « النقائص »^(٢) في شرح قول جرير يهجو الفرزدق :
 وفي أي يوم لم تكونوا غنيمةً وجاركم فقعٌ يحالفُ قرقرًا ؟ !
 الفقع : أردأ الكماة . والقرقر : القاع المستوي من الأرض .
 يقول : إذ توطؤون فلا تمتنعون ، كما لا تمتنع الكماة ممن أخذها .
 وفيه أيضاً في شرح قول جرير^(٣) :

أهلب استهها فقعا بشر قرارة بمدرجة بين الحزونة والسهل

(١) لم يطلع رئيس التحرير على هذا الجزء ، ولهذا لم يتحدث عنه .

(٢) (٣) ص ١٦٢

(٢) : ١٠٠٠

الهلل : الشعر . والفقع : الكمة البيضاء ، فقع وفقعة ، وحبء وحبءة .
والحبءة الأحمرة والأسود جميعاً .
ويقال للأحمر من الكمة وللأسود جميعاً حبءة^(١) . ومنها بنات أوبر ،
وهي كمنات صغار زغب .

ومنها الذعاليق والبرانيق ، وهي إلى الطول .

ومنها المغاريد : وهي صغار مستديرة ، واحدها مغرود .

ومن جنس الكمة : الذآنين ، واحدها ذنون وهي نبت في أصول الأرتطى .
سألت أبا جعفر عن الذآنين . فقال : نبت كأنه البصل ، ثم يجف ،
فيخرج منه شبيه بالخنافس ، وقد رأيتة ، وأطعمته جملي .

ومن جنس الكمة وليس بها الطرائث ، واحدها طرثوث ، وهي تنبت
في أصول الرمث .

والكمة تنبت في أصول الأجرد والقصيص ، وهما ضربان من الشجر .
والعساقل والقعايل : صغار شبيه ببنات أوبر ، إلا أنها أكبر منها .
وأنشدها محمد بن القاسم الباهلي :

ولقد جنيتك أكمؤاً وعساقلاً ولقد نهيتك عن بنات الأوبر
وأنشدها التمرى : وعساقلاً - مكان قعايل انتهى .

والقول بأن الفقع أردأ الكمة ، يظهر أن سبب ذلك أن الفقع هو
ما تنفقى (تنفق) عنه الأرض ، أي تنشق ، فيصير معرضاً لما يأكل
منه أو يطأه ، وهذا النوع هو المعروف باسم (الزبيدي) - بضم الزاي - وهو

(١) وفي كتب اللغة العجاء : الكمة الأحمر . والكمة الأسود والسود خيار الكمة .
جاء أجبو وحباء وحباءة . قال الراجز :

إن أحيامات من غير مرض ووجه في مرضه حيث ارتفض
عساقلاً وحباً فيها قفض العساقل : جمع عسقول وهو ضرب من الكمة أبيض اللون .
والقفض : بضم التراب والحصا .

أبيض اللون يققُ ، وكثيراً ما كان مُصلَّعاً - أي واضحاً على ظهر الأرض .
 ويقول أبناء البادية في اسجاعهم : الخَلَّاسِي حَقَّ رَاسِي ، والزُّبَيْدِي
 للوَلِيدِ ، والجُبِّيَّة ، اللَّبْنِيَّة . فهم يعتبرون الخَلَّاسِي من أجود أنواع الكمأة .
 وهم يستدلون لي الفقع بنوعين من النبات ، أحدهما الرِّقَّة
 (الأرقَّة) والثاني الرقروق ، ويقولون : الفَّقَع حول الأرقَّة ، والارقَّة
 منفردة . ويقولون : إذا شفت الرقروق ، ترى الفقع نازٍ فوق .

وبنات الأوبر يسمونها الآن (الهوبر) أبدلوا الهمزة هاء ، من قبيل
 التسهيل أما الدائنين فهو نبت لاصلة له بالكمأة ، إنه يخرج من أصول
 الشجر ، في الأرض الرملية قصباناً حمراً ممتدة ، مغطاة بوريقات قصيرة
 جداً ، ورأس القضيبي فيه زهرة صفراء كبيرة ، وتمتد جنور الغصن في
 الأرض ، وهو غصن واحد ، ويكون رياناً بالماء ، وطعمه سمج . وهو
 يسمى بأسماء مستهجنة ، مثل (...) الكلب أو (...) الرَّاعِي ، لأنه
 مستطيل أحمر يشبه الذكر .

وهو لا يؤكل ^(١) .

أما الطرائيث فهي قريبة الشبه بالفَّقَع ، ولكن الطرثوث يخرج من
 الأرض ، وله ساق مُرتفع ، قدر الشير ، وله رأس مَدَوْر ، وهو يؤكل
 نيئاً ومَشْوِيّاً ومنه نوع أبيض ، يدعى العراجين ، واحدها عرجون
 وفي «النقائض» ^(٢) في شرح قول جرير :

ولقد تركت مُجاشعاً وكانهم فَّقَعُ بِمَنْرَجَةِ الخميس الجحفل

(١) ورد في الأثر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لراشد بن عبد رب السلمى ألا تسكن
 الأخراب قال : ضيقت لابد لي منها .

قال : لكأن أنظر إليك تراء أمثال الدائنين ، حتى تموت . فكان كذلك . والأخراب
 هنا الثغور . فكان عمر رضى الله عنه أراد منه أن يذهب إلى ثغور المسلمين ليجاهد هناك لحمايتهم .

(٢) ص ٢٢٤ .

فَقَعٌ : كَمَاةٌ بيضاءٌ كبار ، يضرب بها المثل في الذل ، يقال :
أذلُّ من فقَع بقاع ، لأنه يوطأ ويأكله الطير وغيره . انتهى .
وقد ورد المثل (فَقَعُ بقاع) و (فُقَعَةُ القاع) في كثير من كتب الأدب .
ويحسن التنبيه إلى تحريف وقع في هذا المثل من أديبين جليلين هما
الأمير شكيب أرسلان والأستاذ خير الدين الزركلي - رحمهما الله - فقد
أورد الأستاذ الزركلي في كتابه « مارأيت وما سمعت » في الكلام على
الطائف وتراجم بعض مشاهيرها أورد المثل : (امتنع زياد وهو قفعة
القساع ثم أورده الأمير شكيب في كلامه على الطائف أيضًا
محرّفًا ومفسّرًا تفسيرًا غريبًا ، وبعيدًا عن المقصود ، قال الأمير شكيب ^(١)
(ونقل الخير الزركلي عن ابن حزم ما يلي : امتنع زياد وهو قفعةُ
القاع : القفعة بفتح أوله القفّة من خوص وقد يكون أعلاها ضيقًا
وأسفلها واسعًا ، وفي لبنان يصنونها ويقولون قفوعة ، وأما القساع فالأرض
المطمئنة والمقصود بذلك أنه ليس بشيء في نسبه وحسبه ، لا عشيرة له
ولانسب ولا سابقة ولا قدم ، فما أطلقه معاوية إلا بالمدارة حتى أرضاه
وولاه . انتهى .

وأى صلة بين القفعة التي هي القفّة ، وبين القاع ؟ ثم أي معنى
في القفّة من الضعة حتى يمثل به زياد ؟

بنو تميم بمنطقة حايبل

رئيس تحرير مجلة العرب .

وبعد فلدي بعض الملاحظات على التعليق المنشور في ص ٧٨٩ ج
٩ ، ١٠ ، ١٠ من مجلة « العرب » على ما جاء في بحث الرحالة (موزل)

(١) « الارتسامات الطائف » ص ٢١٧ الطبعة الثانية .

أرجو نشرها في مجلتنا العلية .

زعم صاحب التعليق (أبو عبد العزيز) أن قول موزل : « ينتمي أكثر سكان جميع القرى في جبال أجا وسلمى وما حولهما إلى بني تميم » لا يستند إلى شيء من الحقيقة .

وأقول : إن كلام موزل لاغبار عليه فهو حينما قال ذلك لم يكن هناك سوى قرى بني تميم ، أما سكان منطقة جبل شمر من غيرهم فكانوا بادية لم يتحضر منهم إلا القليل آنذاك ، وقد درج المؤرخون على تسمية بني تميم في منطقة الجبل بـ (حاضرة جبل شمر)

وزعم (أبو عبد العزيز) هلاك بني تميم وأنه لم يبق منهم إلا بعض الأفراد في قفار وقصر العشروات بسفح أجا من الشرق وبعض الأسر المحلودة في قرى رمان - جنوب غرب حائل .

ويفند هذا الزعم أدلة منها :

أولاً : أن هناك الآن مايربو على خمس عشرة قرية لا يسكنها سوى بني تميم .

ثانياً : أن الحمى (الملاريا) لم تُصب بني تميم في قفار إلا بعد خروج جماعات كبيرة منهم انتشرت في مواطن في منطقة جبل شمر .

ثالثاً : - ورد ذكر بعض قرى بني تميم في القصيدة التي استشهد

أو علق (أبو عبد العزيز) على شرحها . تقول القصيدة : -

سِفْنَا تَمِيمٍ عَنِ دِيَارِ الْخَشِيمَاتِ سَوْقَ الظَّوَامِيِّ عَنِ زَلَالِي نَهْرِهَا
سَقْنَاهُمْ لِلرَّوْضَةِ وَالْمِسْتَجِدَاتِ وَفَرَاةَ لَهْ مِنْ يُقْلَعُ شَجْرَهَا
وَيَغْرِبِي سَلَمَى لِلْمَفِيدَاتِ مَشَاهِتِ كَلُّ يَحْلُرُ مَرْزِقِهِ مِنْ وَعْرَهَا
والقرى التي ورد ذكرها من أكبر قرى حائل الآن - وهي الروضة

والمستجَلَّة - والسليمي التي وردت في القصيدة باسم (فرافرة) اسمها القديم ثم السَّبَّان - أشار إليها الشاعر بقوله : وبغربى سلمي للمفيدات - حيث أنها تقع في سفح جبل سَلَمَى من الغرب وهي موطن آل مُفيد من ذلك التاريخ إلى اليوم ، وآل مفيد مشهور عنهم الخشونة والقسوة وشدة البأس ، وكان دُوَّاس بن عَفنان هو أمير السَّبَّان ، أثناء حروب الملك عبد العزيز رحمه الله ، وكان موضع ثقة آل رشيد ، وعندما سار جلالة الملك عبد العزيز لفتح حائل كانت قوة من الجيش تسير بقيادة ابنه الملك فيصل رحمه الله الذي ضرب الحصار على السَّبَّان ^(١) فحاول ابن عَفنان الاستنجاد بحكومة حائل في حين كان حكم آل رشيد يلفظ أنفاسه الأخيرة ، مما اضطر ابن عَفنان للتسليم بعد أن أمَّنه الملك فيصل رحمه الله وأهل قريته على أرواحهم .

إضافة إلى ما ذكر في القصيدة هناك - قرية الغزالة - جنوب غرب حائل - وقصر العُشْرَوَات الأنفة الذكر - والمهاش - والوسيطا - وشعيب الحِصْن وبدائع المستجَلَّة - وبدائع السَّبَّان - وسَمِيرَاء . الخ كلها لبني تميم مع من بقى في قفار والأسر المتفرقة في قرى شَمْر وكذلك منها الأسر المقيمة في مدينة حائل .

هذه بعض المعلومات أردت توضيحها وإلا فهناك المزيد ، فسبب خلاف أهل قفار مع ابن رشيد وكيف أشعل نار الفتنة بينهم - ثم كونهم دعامة لجيش ابن رشيد وحروبهم مع البوادي يحتاج إلى وقت طويل .
عبد اللطيف بن صالح التميمي

(١) « صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار » لابن بليهد .

الجماعة وصلتهم بالفقراء

يسرني أن أبعث هذه الرسالة وأن أعرفكم بنفسي أولاً : أنا شايح ابن محمد الفقير العنزي من قبيلة الفقراء ومن فخذ المغاصيب الساكنين في مدائن صالح (الحجر) والعذيب والذين ورد ذكرهم في مجلة العرب بعددها ج ٤٥٢ ص - ١٢ - رمضان وشوال ١٣٩٧ هـ الموافق أيلول وت ١ سبتمبر - اكتوبر ١٩٧٧م رحلة إلى العلا ، ولإني أشكركم جزيل الشكر وأقدر انقومون به من جهد للمحافظة على تاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري ، وأرجو الله أن يمدكم بعونه وتوفيقه

فضيلة الشيخ: أحب أن أوضح بهذه الرسالة الأخطاء التي وقعت في ذكر قبيلة الفقراء سواء كانت هذه الأخطاء بقصد أو بغير قصد من المصدر .

ورد في مجلتكم بالعدد المشار إليه أن قبيلة الفقراء ينقسمون إلى أقسام هي (١ - آل مبارك - ٢ - الشفقة - ٣ - الجمعات ٤ - الحجور ٥ - الصقرة - ٦ - الخماعلة . بينما الصحيح أنهم ينقسمون إلى خمسة أقسام رئيسية هي : ١ - الشفقة ٢ - الجمعات ٣ - المغاصيب ٤ - الزوارة ٥ - الحجور فقط .

ويلتحق بقبيلة الفقراء فخذ الصقره .

أما بالنسبة لقبيلة الخماعلة فهي قبيلة مستقلة عن الفقراء ورئيسها الشيخ صباح بن نابت الخملي ولا ينطبق عليهم اسم الفقراء غير أنهم بالسابق كانوا ينضمون تحت لواء الفقير .

ولإني أقترح إذا رغبت الحصول على معلومات أوسع عن قبيلة الفقراء الرجوع إلى الشخصيات الآتية ، الشيخ صباح بن رحيل الفقير من آل مبارك والشيخ هجر بن سلطان بن دوشان رئيس فخذ المغاصيب ، والشيخ كريم بن جبل رئيس فخذ الجمعات والشيخ دالش بن حمدان أبو قرينات من الحجور والشيخ حامد بن حمير من فخذ الشفقة وغيرهم من كبار الفقراء وعندهم الخبر اليقين .

أما بالنسبة للجماعة فإن أخبارهم وأقسامهم ستجدونها عند رئيسهم
الشيخ صباح بن نابت الخملي وليس الفقير .

أرجو التكرم بتلخيص هذه الرسالة بالطريقة التي ترونها مناسبة
ونشرها بالعدد القادم لمجلة العرب ليطلع عليها القراء الكرام وأنا مستعد
لأي استفسار عما ذكرته وعنواني (المراسم الملكية الرياض) مع قبول
فائق احتراماتي وتقديري .
شايح بن محمد الفقير العتري

أبو دلف الينبي

... نقلت في مجلة « العرب » س ١٠ ص ٥٧ كلاماً يتعلق بآبي دلف ،
الينبي ، فيه نقص جعله غير واضح ، ألا يوجد ذلك الكلام تاماً في
مصدر آخر فتفضلون بذكره ؟ ١ .
المدينة - عيسى عوين

العرب : كان الاصل الذي نقلنا عنه ذلك الكلام هو نسخة من
« الرحلة الكبرى » لابن عبد السلام الدعي ، والكلمات الناقصة غير واضحة
في المخطوطة ، ويظهر أن مصدره كتاب « الروض المطار » فقد قال مؤلفه .
في كلامه على ينبع ^(١) ، ومنها أبو دلف الخزرجي الينبي ، ذكره
الثعالبي في « اليتيمة » وكان شاعراً متشعباً وهو القائل :

دَارَ السَّلَامِ هَنِيشاً بدعوة ابن الرسول
جَاءَ النَّهَارُ وَوَلَّى ظلام تلك الدحول
مَا إِنْ رَأَيْتَ حَصَانَا حماله في النصول
نُورٌ مِنْ اللَّهِ سَامٍ هاد لكل خنول

قال هذا لما ثار أرسلان التركي البساسيري سنة ٤٥٠ في بغداد على
الخليفة القائم بأمر الله داعياً لصاحب مصر ، معدّ المستنصر بن الظاهر
العبيدي . والبساسيري مملوك تركي سما بنفسه إلى أن صار قائداً . . ولما

(١) ص ٦٢٠ و ص ٤٠٦ .

استولى على بغداد ركب يوم عيد النحر إلى المصلى ، وعلى رأسه الألوثة
المستنصرية فصلّى : وأنشده الشعراء ، وكان فيهم أبو دلف الخزرجي
الينبوعي التشيع ، فوقف تحت البُنود البيض وأنشد :

دار السلام هنيئاً - الأبيات -
فلمّر له بإحسان جزيل . انتهى .

وتجدد الإشارة إلى أن لصاحب هذه المجلة بحثاً عن أبي دُلف هذا
نشر قبل سنين ، في مجلة « المنهل » وقد رجع إليه أحد الكتاب فألف
كتاباً صغيراً عن أبي دُلف ، زعم فيه أنه مجهول بين أدباء هذه البلاد !!
أو ما هذا معناه - وقد انكشف أمر هذا الكاتب أخيراً وأقيمت عليه
قضية تتعلق باختلاس بعض ما جاء في مؤلفات ، أصحابها معروفون .

بنو صخر وصلة نسبهم بطيء

... ذكرتم أن بني صخر من طيء .

- في « العرب » ج ٥ و ٦ ص ٤١٥ السنة الثانية عشرة ولكنكم لم
توصلوا نسب صخر إلى طيء ، فمن أي فروع طيء ..

الرياض - سائل

العرب : حياً وكرامة - هو صخر بن جرّم - وجرّم لقب ثعلبة -
ابن عمرو بن القوث بن طيء .

على ما في كتب النسب مثل كتاب « النجمرة » لابن الكلبي ولابن حزم .
وعلى مانصّ عليه نصر بن عبد الرحمن الفزاري الاسكندي ، في
كتابه الذي لا يزال مخطوطاً^(١) . فقد قال : متالع : جبل في بلاد
بني جرّم لبني صخر بن جرّم ، بينه وبين أجاليلة . انتهى .

ومتالع لا يزال معروفًا .

(١) في « المتصف البريطاني » نسخة منه .

مكتبة العرب

• عن هذا وذلك :

مقالات لمعالي الدكتور غازي بن عبد الرحمن القصيبي ، نشرت في الصحف ، ثم جمعت في كتاب بلغت صفحاته ١٦٨ مطبوعا ، وهو من منشورات (دار الوطن) في الرياض وطباعة (مطابع البادية) فيها . وقد صدر هذا العام .

ومن عناوين بعض تلك المقالات يتضح موضوعها : - عن الوحدة العربية - عن الشعر والشعراء - رأي في التعلم - نحن والحضارة الغربية - عن (الرشوقراطية)^(١) - الانسان الصغير والكرسي الكبير - هل للشعر مكان في القرن العشرين ؟ - حكاية (بيروقراطية) خيالية - استهوائي من تلك العناوين اغربهما ، ولكن الاستغراب انشغل إلى إعجاب ، فليس كبيراً ولا كثيراً من أحد رجال الدولة الكبار إدراكه لأشد الأذى استشراف وفتكا بين من يتولون مقاليد أمور الأمة في جميع مرافقها وفي كل قطر من أقطارها ، لا في بلادنا وحدها . وتبقى إذن وسائل العلاج ، وهذا ما يجعل الأمر بالنسبة للواعي المدرك القادر على معالجة ذلك الداء - كمعالي الوزير القصيبي - محتماً ، والتبعة عظيمة .

• حطب الليل :

عنوان مؤلف جديد لمعالي الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الخويطر

أى المرتشون .

- وزير المعارف - مقسم إلى ثلاثة أقسام - ١ - مقالات نشرت في جريدة « الجزيرة » عام ١٣٨٨ بعنوان (من حطب الليل) بتوقيع (حاطب ليل) من أول الكتاب إلى ص ١١٨ - ٢٩ مقالة

٢ - مقالات نشرت في جريدة « الرياض » عام ١٣٩٠ بعنوان (دلوماء) وبتوقيع (مانح) من ص ١٢٢ إلى ١٧٢ - ١٦ - مقالة

٣ - مقالات كتبت للاذاعة عام ١٣٨٦ بعنوان (فكرة اليوم) من ص ١٧٥ إلى آخر الكتاب ص : ٢٤٣-١٧ مقالة - فالفهرس في خمس صفحات من تلك المقالات ما يبلغ سبع صفحات ، ومنها مالا يكمل صفحتين ، والموضوعات متنوعة ومن عناوينها : الخط وتحسينه ، الاستعداد الفطري ، الاطفال والمدارس ، الطفل بين اللين والشدّة - رداءة خط الأطباء ، الطفل بين الدلال والحرمان ، مراحل الطفولة ، الشهادة والخبرة - النسيان نعمة في الهمّ سواء ، مشالحننا في يوم عاصف - مجنون عاقل ، (عيدكم مبارك) أخطاء الاعلانات ، بساط الريح ، (المظنون) من أدوار الصحافة ، الأمثال عند الأمم ، لمحة في تاريخ الأدب ، الشعر النبطي ، العلوم والآداب - الوساطة قد تكون أثرية ، لنفاق الإجتماعي ، زرع الوطنية ، الداء العضال ، شيء من الأمانة ، أمور تعكر صفو الحياة . .

والطريف في هذا الكتاب - مع طرافة كثير من موضوعاته - هو أن مشاغل العمل وإن عظمت لانتحول دون الإنتاج الفكري ومعالجة بعض القضايا الفكرية . كما فعل الدكتور الخويطر الذي كان عد الإذاعة والصحف بآرائه وأفكاره مع كثرة أعماله .

والكتاب في طبعته الثانية من مطبوعات مطابع الهامة سنة ١٣٩٨

و ١٩٧٨ .

• من احاديث السمر :

مؤلف جديد للأستاذ الجليل الشيخ عبد الله بن محمد بن خميس ،
يحتوي (قصصاً واقعية من قلب جزيرة العرب) كان الأستاذ نشر بعضها
في مجلة « الجزيرة » ثم اصطفى مما نشر وحفظ (ما يمكن أن يكون فيه
أسوة أو قدوة) فكان الجزء الأول من « أحاديث السمر » في أقسام هي :

- (١) مثل وقصة وفيه اثنتا عشرة قصة من ص ١١ إلى ص ٤٣
- (٢) وفاء ، في ثمان قصص - إلى ص ٦٣
- (٣) نخوة ، وقصصها تسع إلى ص ٨٩
- (٤) شمم ، في سبع قصص إلى ص ١٠٨
- (٥) كرم وكرماء ، في أربع قصص إلى ص ١٢٢ .
- (٦) فخر وشجاعة ، سبع قصص - إلى ص ١٤٣ .
- (٧) حب ، في سبع قصص - إلى ص ١٦٥ .
- (٨) شرف ومراقبة لله ، ست قصص - إلى ص ١٨١ .
- (٩) الجوار وإكرام الضيف ، في سبع قصص إلى ص ١٩٩ .
- (١٠) عادات كريمة . أربع قصص - إلى ص ٢١١ .
- (١١) متفرقات ، وفيه سبع عشرة قصة ها ينتهي الكتاب الواقع في
١٦٦ صفحة .

وقد صدر في هذا العام (١٣٩٨) مطبوعاً مطابع شركة حنيفة في الرياض .

• علماء نجد خلال ستة قرون :

هذا عنوان كتاب ألفه حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله بن
عبد الرحمن البسام - القاضي في محكمة التمييز بمكة المكرمة . يحتوي
٣٣٨ ترجمة لعلماء من أهل نجد من القرن العاشر الهجري إلى عصرنا

(١) مقدمة الكتاب .

الحاضر باستثناء الأحياء من أهل هذا العصر ، وهذا الكتاب هو بحق (أشمل كتاب ظهر عن علماء نجد ، حيث لم يقتصر على طائفة خاصة ، بل ترجم علماء الدعوة السلفية وخصومهم ، ولكنه أنصف المحق وسجل خطأ المخطيء)

وهو كما يفهم من المقدمة أيضا - قسم من كتاب شامل لتاريخ نجد ، مقسم إلى ثلاثة أقسام : التراجم عامة والأخبار العامة وأنساب القبائل ، وذكر الأستاذ المؤلف أنه قطع كثيراً من مراحل تأليفه ، فاختزل منه قسم تراجم العلماء خاصة وهي الواقعة في هذا الكتاب .

وقد رتب الكتاب على حروف المعجم باستثناء سبعة من أعلام العلماء (لهم فضل كبير ، وأثر جليل في الدعوة إلى الله تعالى ، ونشر الإسلام والزعامة العلمية) فصدر بتراجمهم الكتاب .

وقد تحدث الأستاذ الجليل في المقدمة عن نجد وتاريخه وحالته العلمية ، ولماذا خص علماءه بالتراجم ، ثم أوضح الطريقة التي سار عليها في كتابه ، وقسمه إلى ثلاثة أجزاء ، فبدأ بترجمة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب واتبعها بتراجم ستة من آلہ الأجلاء آخرهم الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن ابن حسن بن الشيخ محمد رحمهم الله .

ثم بدأ بترتيب التراجم على حروف الهجاء فانتهى الجزء الأول بترجمة الشيخ سيف بن عزاز (حرف السين) .

وبلغت صفحات الجزء ٣٣٦ .

وسار على هذا المنوال حتى بلغت الأجزاء الثلاثة ٩٨٤ صفحة ثم الفهارس والأعلام فالقبائل والعشائر فالمواضع .

والواقع أن هذا المؤلف القيم يحوي اللُّبَّاب في موضوعه ويعتبر أوفى مرجع للباحثين .

وقد قامت بنشره (مكتبة النهضة الحديثة ومطبعتها في مكة المكرمة) وقام بالاشراف على طبعه مؤسسة حبيب درغام في بيروت ، والطباعة من حيث الورق والحروف حسنة ، إلا أن التطبيع (الخطأ المطبعي) كثير ، لكون مؤلفه لم يشرف على التصحيح ، وهذا ما يمكن تداركه عند إعادة الطبع .

وقد نعود للحديث عن هذا الكتاب الجليل مرّة أخرى .

• المكتبة الصغيرة :

ويواصل صديقنا الأستاذ الجليل عبد العزيز الرفاعي إصدار المؤلفات الحديثة المختصرة متتابعة الحلقات في السلسلة التي دعاها (المكتبة الصغيرة) ولكن تلك المؤلفات مع إيجازها واختصارها تعتبر ثروة أدبية لاخفى عنها لمن يدرس أدبنا الحديث .

وقد صدر منها منذ عام ١٣٩٧ (١٩٧٧) إلى مطلع هذا العام أربع حلقات هي :

• قاطع الطريق :

قصيدة للشاعر السعودي المشهور أحمد قنديل تقع في أكثر من مئة بيت وقاطع الطريق هذا :

مَنْ رَمَوْهُ بِالْإِفْكِ حِينَ أَشَاعُوا أَنَّهُ يَصْنَعُ الْحُرُوفَ حَرَابًا

والتي رثته إحدى الجنيات :

قَدْ عَرَفْنَاهُ عَابِرًا مُسْتَجِيبًا وَدَفَّنَاهُ شَاعِرًا مُسْتَجَابًا

وتقع في نحو ٨٠ صفحة ، فيها ١٥ صورة رمزية بطباعة حسنة بطابع الياقة في الرياض وهي الحلقة العشرون من سلسلة (المكتبة الصغيرة)

• حمزه شحاته :

وتأتي الحلقة الحادية والعشرون « حمزة شحاته قمة عرفت ولم تكشف » للأستاذ عزيز ضياء . يحوي مقدمة عن الحياة الأدبية في مكة قبل أربعين سنة ، ثم التعارف بين الأستاذين حمزة وعزيز ، فمعركة حمزة مع العواد ، فمسيرته الثقافية ، فمولده وتعليمه ، فحمزة الكاتب والخطيب والفنان ، ثم فارس الحوار والرسائل ، فمحاضراته الشهيرة فشعره ، فشوارد من حكمه . فكلمة الختام فمقتطفات من المحاضرة .
والصفحات ١٠٤ والطباعة كالحلقة التي قبلها .

• غناء وشجن :

نماذج من شعر الشاعر محمد سراج خراز (تدل على ماوراءها كما تدل على شاعرية شاعرنا ، وقد روعي فيها التنوع لتكون الدلالة كافية من حيث كونها دلالة في ذاتها ، أي أنها لن تغني عن التطلع إلى شعر الشاعر كاملا) . كما جاء في المقدمة التي كتبها الأستاذ الرفاعي .
قصائد تقارب الثلاثين في المدح والثناء وغيرهما من أغراض الشعر المتنوعة ، بلغة جزلة واضحة ، في ١٣٤ صفحة . طباعة مماثلة لما قبلها
• ذكريات لا تنسى :

مجموعة من القصص القصيرة للأستاذ القاصّ غالب حمزة أبو الفرج ندمها الأستاذ عبد العزيز الرفاعي بما ملخصه : (والمكتبة الصغيرة التي قلمت ألوانا من الأدب السعودي وعرفت العالم العربي - بقدر المستطاع - على عدد من الأدباء السعوديين حرصت على أن يكون للقصة فيها مكانتها .
حقاً إن هذه المجموعة من حيث الكمية لا تعدُّ كبيرة ولا كثيرة ولكنها من حيث القيمة والمضمون كافية للدلالة على المستوى القصصي عندنا).

أربع قصص عناوينها :

١- ذكريات لا تُنسى

٢- الأيدي التي تبني .

٣- يا صديقي العزيز .

٤- وتُطِلُّ الذكريات .

وتقع في ٨٨ صفحة مطبوعة بمطابع الروضة في جدة . وهي الحلقة

الثالثة والعشرون من السلسلة .

• بلاد رجال الحجر :

وصدر كتاب « بلاد رجال الحجر » للأستاذ عمر غرامة العمري ^(١) ،

وهو أحد أجزاء « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » وهو - عدا

مقدمته الثلاث - ثلاثة أقسام : الأول عن طبيعة بلاد الحجر ومناخها

وأشهر أوديتها وجبالها وغاباتها .

والثاني : عن أقسامها الإدارية ، وعن العمران والزراعة والتعليم والصحة

والمواصلات .

والثالث : أقسامها من حيث السكان وهي :

(١) بلاد بني الأحمر - (بَلْحَمَر) كما تنطق .

(٢) بلاد بني الأسمر (بَلْسَمَر) .

(٣) بلاد بني شهر .

(٤) بلاد بني عمرو .

وببلاد رجال الحجر ^(٢) ، في السّراة وفي تهامة ، في منطقة بلاد عسير .

وللكتاب فهارس مفصلة ، ويقع في ٢١٨ صفحة بطباعة جيدة ،

وفيه خرائط وصور ، وقد طبع سنة ١٣٩٨ (١٩٧٨ م) ، بالمطابع الأهلية

في الرياض .

(١) نسبة لبني عمرو - بفتح العين وإسكان الميم بضم الهمزة والواو تصاف إلى هلا

الإسم لتتميز بينه وبين عمرو . (٢) بفتح الحاء وإسكان الجيم ، من أزد السراة .

• السراج المنير في سيرة أمراء عسير :

هذا مؤلف جديد ، يحوي معلومات مفيدة عن هذا الجزء الحبيب من بلادنا ألقه الأستاذ عبد الله بن علي بن مُسْفِر ، تحدث فيه عن طبيعة بلاد عسير ، وعن تاريخها ، وعن أمرائها - آل المتحمي وآل عايض ، وعن الحكم العثماني وإمارة الادريسي ثم حكم آل سعود في تلك البلاد . ويقع في ١٥٢ من الصفحات ، بطباعة حسنة ، من مطبوعات مؤسسة الرسالة في بيروت سنة ١٣٩٨ (١٩٧٨ م) .

• المعجم الجغرافي عن شمال المملكة :

وصلر القسم المتعلق بشمال المملكة من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » عن إمارات حائل والجوف وتبوك وعرعر والقريات - من تأليف صاحب هذه المجلة - ويقع في ثلاثة أقسام ، صفحاتها ١٤٨٠ ويحوي من أسماء المدن والقرى والمواضع والمناهل ما يقارب ٢٨٠٠ اسم . وقد طبع بمطبعة نهضة مصر ، والمطبعة العربية الحديثة في مصر في سنة ١٣٩٨ (١٩٧٨ م) .

• المعجم الجغرافي المختصر :

وصلر كتاب « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » وهو معجم مختصر يحوي جميع من أسماء مدن المملكة وقراها وهجرها ، وأشهر موارد البادية فيها - نحو ١٥٤٥٥ إسما - مع مقدمة تتضمن بيان الأقسام الإدارية ومراكزها .

وهذا المعجم يقتصر على ذكر اسم البلدة أو المورد مع ضبطه ، وذكر القسم الإداري (الإمارة) وتبلغ صفحاته ١٣٦٨ .

والأسماء فيه مشكّلة ، وهو من تأليف صاحب هذه المجلة .

وقد طبع في (مطبعة نهضة مصر) في عام ١٣٩٨ (١٩٧٨ م) .

الإصدار السنوي
٢٥ ريالاً للزفراء و٧٥ ريالاً للغير الأصدقاء
الرمضان: يتشقق عليها مع الإدارة
شعبان المحرم: ٦ ريالاً

العرب

مجلة شهرية تعنى بآراء العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: محمد الجاسر

المسؤول
دار الإمامة للبحث والدراسة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف ٢٢٩١٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٣ و ٤ س ١٣ - رمضان وشوال ١٣٩٨ هـ - أيلول / تشرين (سبتمبر / أكتوبر ١٩٧٨ م)

بلاد القصيم

- ١ -

(أكل الأستاذ الشيخ محمد بن ناصر العبودي: تأليف كتاب « بلاد القصيم » أحد أجزاء
« المعجم الجغرافي لبلاد العربية السعودية » مستقوم (دار الإمامة للبحث والترجمة والنشر)
بالإشراف على نشره .

وترى مجلة « العرب » إتخاف قرائها بأحد مباحث هذا الكتاب، وهو البحث المتعلق بتعريف
(بلاد القصيم) من مختلف النواحي .

القصيم من المقاطعات النجدية التي تتصفُ بنقاء الهواء ، ووفرة
الماء ، مع طيب المرعى ، وصفاء التربة ، وشهد كثير من المؤرخين لأهله
بأنهم كانوا من أنشط النجديين في التجارة والصناعة والإتصال بالعالم
الخارجي^(١) بل كانت كلمة (نجديين) أو (عَقِيل) إذا اطلقت في
بعض البلاد المجاورة كالعراق والشام لم تنصرف في أذهان الناس إلا إليهم ،
ولم تنطبق في عرف المتكلمين من أهل تلك البلاد إلا عليهم ، وذلك
لأسفارهم إلى تلك البلاد أكثر من غيرهم .

وفي القصيم المواضع التاريخية ، والمواطن الأثرية ، والأماكن التي
استثارت خيال الشعراء ، وأوحى بروائع أدبية خالدة للادباء ، فَحَبَّرُوا

(١) سَأَى شواهد ذلك تحت عنوان : أهوال في القصيم :

فيها القصائد وتغنوا بتلك المعاهد ، حتى أصبحت بعد ذلك مثلاً يحتذى
المحتذون ولو لم يروا القصيم ، وشعاراً يُزِينُ به الشعراء أشعارهم ممن هم
على آثارهم مقتدون ، وناهيك بما ورد في « رامة » و « عاقل » ومنعج -
« والحمى » في الجبال التي تطل على حدوده كالعلم وأبانين وقطن .
وبالرمال التي توشح حواشيه كاللوى وزرود .

وفيه وادي الرمة الذي هو أكبر وادٍ في نجد ، وهو المُستَحَقُّ
الأكبر لأودية كثيرة تنساب من مساحات شاسعة تمتد من الأعالي الغربية
للجزيرة العربية قرب « خيبر » حتى أسافل القصيم بل أسافل الجزيرة
العربية فيما يقال .

والقصيم مشهور بخصوبة أرضه ، وطيب فاكهته ، وثماره من الخوخ
والرمان والتين ، وصفه بذلك الأقدمون من أهل البلاد الخصيبة المجاورة
وقالوا ، إنها من أجود الفاكهة ، ومنهم الإمام الحربي ، ولُقِّدَةُ الأصبهاني
وأبو عبيد الله السكوني .

وفي القصيم العيون الجارية ، والمياه السارحة ، مما ذكره القدماء
كالنَّبَاحِ والقريتين وعيون الجواد .

فأطنبوا في ذكره ، وقالوا وأعادوا القول فيه . ثم نبع فيه ، وساح
في أراضيه في الوقت الحاضر من العيون والينابيع ، ما لم تذكره الكتب ،
ولم ينوّه به المؤلفون من نهيرات دائمة الجريان وعيون تسيل مياهها
ليلاً نهاراً إلى آبار فاض ماؤها حتى سال على الأرض وآبار أخرى تفجرت
في باطنها المياه حتى طمّت على الآبار . مما لو حدث في القديم لكان أعجوبة
العجائب وغريبة الغرائب . وفيه من أشجار الظل ، والحقول النضرة ما يجعله
أر يجعل بعض الأماكن فيه جذيرةً يلقب السواد .

وفي القصيم من الأعشاب والنباتات البرية ما طاب عرفه وفاح مسكه
واشتهر اسمه في قديم الزمان وحديثه كالشيخ والقيصوم والعرار
والجعد ، والنقل .

وفي القصيم من طبائع الأرض المختلفة ، ما لا يكاد يجتمع في المناطق
الأخرى من جزيرة العرب . ففيه الكثبان الذهبية والرياض الوردية ،
والجبال المنيعة والسهول المستوية والجرد المطردة . والانتقاء الشامخة والحزون
الجيدة المرعى ، والسباخ التي تدل على وفرة الماء وقربه من وجه الأرض .
وفي القصيم الأشجار الصحراوية المشهورة بأن أوراقها حمض ،
وأفنانها ظل وأخشابها صلاء ، وبناء ، وفروعها حطائر ووقاء كالغضا
والارطا والطرفاء .

وفي القصيم المراعي المشهورة ذات الاعشاب المعروفة بوجودها عند
العرب القدماء والمذكورة عند المتأخرين كالسعدان والربلة والقفعا .
وفي القصيم من أشجار الحطب ما هو مشهور بطيب رائحته ، وذكاه
دخانها كالرمث والعجرم والعراد .

وفي القصيم تكثر النباتات البرية المأكولة عند العرب كالحواء
والبسباسة والدعلوق والحمصيص .

وفي القصيم وعلى حواشيه وأطرافه وحول ما قرب منه أغنى المواقع
بالصيد فالطباء والارانب البرية الجميلة فيه كثيرة ومتوفرة . فضلاً عن
الطيور العابرة والمهاجرة كالجبارى والقطا والحجل .

وكان مرتعاً للآرام والعين ، والنعام . مذكوراً بذلك الأشعار والأخبار

وفي القصيم من المعادن ملح ضاري والعوشزية . والذهب في قطن .
ومعدن بني بريمة القديم .

وفي القصيم من البلدان ذات الطابع النجدي الخالص والمدن الكبيرة المعروفة ، والقُرى الكثيرة المتقاربة ومن ذا الذي من أهل الجزيرة لا يعرف «بريدة» و «عنيزة» ومن ذا الذي من أهل الجزيرة - لم يكن له صديق أو رفيقٌ أو قريبٌ من أهل القصيم .

ومن أرض القصيم خرج الشعراء العظام ، في قديم الزمان وحديثه كزهير بن أبي سُلمى وابنه كعب بن زهير ، وبشر بن أبي خازم وشاعر الجزيرة الفحل محمد بن عبد الله العوني . . ومحمد بن عبد الله القاضي . ومحمد بن علي العرفج .

والقصيم - بعد - بالنسبة للجزيرة العربية نشابة القلب فهو في وسطها وقريب من قمتها فشمالها وجنوبها وشرقها وغربها منه غير بعيد .

والقصيم كان يخرقه طريق الحج العظيم من جنوب العراق وفارس الذي هو طريق البصرة مما جعله يكاد يكون البلاد الوحيدة من نجد التي استمر ذكرها منشوراً ، ونَجَبَها شهوراً بعد أن نُسِيت معالمها الأخرى أو كادت في عصور اظلام واسوداد الأيام ، كما يلامس حدوده الشمالية . أو يكاد - طريق الحاج الكوفي الذي هو طريق بغداد .

والاحمَاء المشهورة في صدر الإسلام كانت في القصيم كحِمى ضريبة أو على حدوده كحِمى الرَبْدَة وحِمى فَيْد .

وعلى أرض القصيم أو حواشيتها دارت أيام العرب الكبرى الفاصلة كيوم خَزَاز ويوم جَبَلَة .

وشهدت ساحتها وما قرب من ساحتها جزءاً هاماً من حروب الردة التي كان لها الأثر الحاسم في تاريخ الإسلام .

وفي أجزاء من القصيم أو على أطرافه دارت معارك العرب التاريخية التي كانت وماتزال تُغني الأدب العربي بأشعار البطولة ، ومعاني الفخر والفروسية ، مثل حَرْب البَسُوس وحَرْب داحِس والغَبْرَاء .

وفي القصيم المُدُن التي كانت - قبل الإزدهار الاقتصادي الأخير - أرقى مدن نجد على الاطلاق ، وناهيك بمدينة عنيزة التي قال عنها أمين الريحاني أنها باريس نجد . .

ومدينة بريدة التي قال عنها الكاتبون الأجانب أن فيها أعظم سوق لتجارة الإبل في العالم .

ومن البلدان الموغلة في القدم في القصيم : القريةتان اللتان ذكر المتقدمون أنهما كانتا لطسم وجديس من العرب البائدة ، وضرية التي زعم زاعمون أن آدم أبا البشر - عليه السلام - خلق من ترابها .

ومن القصيم كان من فرسان العرب وشجعانها الذين تربوا في ربوعه ، وتَنَسَّوْا أجواءَهُ ، واستلموها أمجاد العرب فيه ، عَنَترة بن شداد العبسي وزيد الفوارس الضبي .

وفي أهل القصيم الأُسُرُ العَرَبِيَّةُ ، والفصائل الكبيرة والشخصيات المقيمة من جميع القبائل العربية المعروفة التي تنمى لقحطان وَعَدنان ، إلى جانب الأُسُر المشهورة والشخصيات البارزة ممن لا ينتمون إلى قبيلة يصلون نسبهم بعدنان أو قحطان ولكن بعصاميتهم وقوة شخصياتهم تَسَنَّمُوا ذرى المجد ، وحصلوا على المكان الرفيع في عالم الشهرة مثل الشيخ عبد الله السلیمان وزير مالية المملكة العربية السعودية في زمانه .

ومن القصيم عرف عدد عديد من علماء الجزيرة وأبنائها ممن تولوا مناصب القضاء ، أو أصبحوا مراجع في الفتيا بطول سرد أسمائهم

وتفصيل أحوالهم ويكني أن نذكر منهم أسرة آل سليم وأسرة آل مانع .
وفي القصيم كانت منازل عدد من القبائل العربية العريقة في الجاهلية
مثل بني أسد وبني عيس ، وفصائل من قبائل أخرى مشهورة كبني
تميم : حتى نساء أهل القصيم اشتهر منهن من اشتهر في أنحاء الجزيرة ،
وما قرب من الجزيرة مثل العرفجية^(١) التي أخذت الثأر من قتلة ابنها
والمطرودية^(٢) التي حمت بلدها في غياب أهلها .
لذلك كله ، ولغير ذلك ، مما لا يقل عنه أهمية كانت منطقة -
القصيم جديرة بأن يكتب عنها الكاتبون ، وأن يبحث في آثارها
الباحثون ، وينقب في تاريخها المنقبون .
وهذا بالإضافة إلى كونها جزءا غالبا من جزيرة العرب ومنطقة هامة
من مناطق المملكة العربية السعودية .

أقوال للمتقدمين عن القصيم

اشتقاق كلمة القصيم :

قال صاحب اللسان : القصيمة ما سهل من الأرض ، وكثر شجره
أقول وهذه هي صفة بلاد القصيم .
قال : والقصيمة منبت الغضا والأرطى والسلم وهي رملة . قال لبيد^(٣)
وكتيبة الأحلاف قد لاقيتهم حيث استفاض دكادك وقصيم
وقال الليث : القصيمة من الرمل ما أنبت الغضا ، وهي القصائم ،
قال أبو عبيد : القصائم من الرمال ما أنبت الغضا ، قال أبو منصور

(١) المرفجية ستاق قصتها في تاريخ بريدة .
(٢) المطرودية ستذكر أمرها في رسم العوشية .
(٣) حيان شرح هذيل البيت فيما بعد إن شاء الله .

الأزهري : وقول الليث في القصيمة : ما ينبت العضاة هو الصواب
أقول : قول الأزهري هو الصواب لأن العضاة من الشجر هو كباره
الذي له شوك وليس الغضا كذلك . :

وقال الشاعر يصف صياداً :

وَأَشَعَتْ أَعْلَى مَالَهُ كَيْفَ لَهُ بِفَرْشِ قَلَاةٍ بَيْنَهُنَّ قَصِيمٍ

والفرش : منابت العرفط ، (١) . .

قال ابن الاعرابي : فرشٌ من عرفط ، وقصيمة من غضا ، وأيكة من

أثل .

فأنت ترى مدى علاقة كلمة القصيم بشجر الغضا حتى قالوا لجماعة

الشجر منه : قصيمة من غضا .

وقال أبو حنيفة الدينوري : القصيم بغير هاء : أجمة الغضا ، جمعها

قصائم ، وقصم ، والقصيمة : الغيضة .

ومعروف أن الغيضة هي الشجر الملتف وغالباً ما يكون في مغيض

ماء يجتمع فينبت فيه الشجر .

فاشتقاق كلمة القصيم إذا من الشجر الملتف الناشيء عن الخصب .

وكثرة المياه ، وذلك - ما امتاز به القصيم في القديم والحديث بالنسبة

إلى الاصقاع الأخرى في الجزيرة العربية .

ولكثرة شجر القصيم وأجمانه وغياضه من الغضا والارطى وغيرها

كانت بعض أجزائه في القديم موطناً للذئاب التي تختفي في تلك

(١) العرفط : ضرب من شجر العضاة قال أبو حنيفة الدينوري : هو مفترش على الأرض .

لا يذهب في السماء وله ورقة عريضة وشوكة حديدية حبياء ، وهو ما يلتحق لمازه ، وتصنع منه
الأرشية وانظر بقية الكلام عليه في اللسان (عرفط) .

الأجمعات والفياض والأشجار الملتفة . وهي تكن للناس والدواب ثم
تهاجمهم منها لذلك ضربت العرب القدماء أمثالهم بسرحان القصيم أي :
ذئب القصيم بالشدة والقوة بل بالخبيث والدهاء

قال بشر بن أبي خازم الأسدي ^(١) :

وياكره عند الشروق مُكَلَّبٌ . أزلُّ ، كسرحان القصيمة أغبر ^(٢)

وقال أنيف بن جبلة الضبي من بني ضبة الذين كان لهم منازل في

القصيم ^(٣)

ولقد شهدت الخيل يحمل شِكِّي عتد ، كسرحان القصيمة منهيب ^(٤)
ألوى إذا استعرضته فكسأنه في العين جذع من أوام مُشَدَّبَ
وإذا اعترضت له استوت أفناؤه وكأنه مُستدبراً مُتصوَّبُ

وقال كعب بن زهير ^(٥) :

مُرٌّ كسرحان القصيمة مُنَعَلٌ مساحي لايدمي دوابرها الوجي ^(٦)
شديد الشظي ، عبل الشوى ، شنج النساء

كان مكان الردف من ظهره وعي ^(٧)

(١) ديوانه ص ٨٤ .

(٢) المكلب الذي يصيد بالكلاب والأزل السريع الخفيف .

(٣) كتاب الخيل ١٦٩ واماك الزجاجي ص ٤ والأنواء ص ٣٠٤ .

(٤) قال في اللسان : فرس عتد وعتد يفتح أثناء وكسرها : شديد تام الخلق ، سريع

الوثبة ، معد للجري ، ليس فيه اضطراب ولا رخاوة .

(٥) شرح ديوانه لابن السكيت ص ١٣٠ والشرح منه .

(٦) المساحي هائنا : الحوافر . وأحدها صحاة . ودوابرها : ماخيرها ، والوجي : الخفا .

يريد أن حوافره ابظنت مساحي من حديد في صلابتها .

(٧) الشظي : عظم صغير ملتصق بعصب الذراع ، وعبل الشوى : ضخم القوائم ، والنسا :

عرق يستحب قصره ، فإذا طال ضعف الرجل . وقوله : وعي : أي : جبر بعد كسر وذلك
لأنه له :

ومعلوم أن كعب بن زهير من أهل القصيم فقد نشأ في المنطقة ، التي تقع في الشمال الغربي منه ، ما بين وادي مبهل (المحلاني في الوقت الحاضر) والحاجر أي في المنطقة الشمالية الغربية منه .

وقال سحيم عبد بني الحسحاس ^(١) :

وَوَيْلٌ دُرَيْدٌ فِي الْغُبَارِ ، وَقَدْ رَأَى مَنِيبَتَهُ مِمَّا تُثِيرُ الْحَوَافِرُ ^(٢)
يُفْرَجُ عِنَّا كُلُّ ثَغْرِ نَخَافَهُ مِسْحٌ كَسِرْحَانَ الْقَصِيْمَةِ ضَامِرٌ ^(٣)

ومن المعروف أن سحيمًا من أهل القصيم ، إذ بنو الحسحاس هم من بني أسد ، وبنوا أسد كانوا يسكنون شمال القصيم وغربيه .

وقال المعقر بن أوس بن حمار اليارقي من قصيدة قبلت في يوم جيلة الشهر ^(٤) :

يُفْرَجُ عِنَّا كُلُّ ثَغْرِ نَخَافَهُ مِسْحٌ كَسِرْحَانَ الْقَصِيْمَةِ ضَامِرٌ ^(٥)
وَكُلُّ طَمُوحٍ فِي الْعِيَانِ كَانَهَا إِذَا اغْتَمَسَتْ فِي الْمَاءِ فَتَحَاكَ كَاسِرٌ ^(٦)

وورد ذكر القصيمة في يوم من أيام العرب في الجاهلية هو يوم (الجفار) ^(٧) وهو يوم لبني تغلب على بني تميم أي : فازت فيه تغلب . وقال فيه النعمان بن عقفان أحد بني تغلب ^(٨) :

سَائِلٌ قُصِيْمَا (بِالْجِفَارِ) وَنَهْشَلَا وَمَجَاشِعَا وَبَنِي أَبَانَ تُخْبِرُ

(١) ديوانه ص ٣٩ .

(٢) دريد ، هو دريد بن الصمة .

(٣) المسح : السريع الجري سحا ، والسرحان : الذئب .

(٤) الأغاني ج ١١ ص ١٦٤ . وقد نقلها من النقائض لأبي عبيدة

(٥) المسح : الفرس الجواد السريع كأنه يصب الجري صبا .

(٦) الفتحاء : الكاسر : المقاب . شبه بها الفرس .

(٧) هو غير يوم الجفار المشهور الذي كان يمد يوم النصار بعام ، وقال فيهما بشر بن أبي خازم :

ويوم النصار ويوم الجفار كانا عذابا وكانا خرابا

(٨) الأنوار ، ومحاسن الأشعار ص ١٨٣ - ١٨٦ .

عَنَا ، غداة رأوا وارمى تَغْلِبِ دون القصيمة في العجاج الأكلد
 متسرعين إلى الميساج كأنهم أسدُ الغريفِ على سواهم ضمُرُ
 وربما يصح الاستدلال على أنه يريد القصيمة هذه التي هي في القصيم
 كونه ذكر الجفار ، والجفار : جمع جفر والجفر في الفصحى البئر
 ونحوها إذا لم تكن مطوية تماماً كمنى الجفرة في العامية ^(١) وغالباً
 ماتكون في أرض سهلة مما يقرب القول بأن الجفار قد تكون في القصيم
 كما أن بعض بني تميم المذكورين في الشعر كانت لهم منازل في القصيم
 مثل بني أبان . الذين هم بنو أبان بن دارم .

وذكر الميداني من الأمثال العربية الشائعة قولهم : (سرحان القصيم)
 وقال : هذا مثل قولك ذئب الغضا ، والقصيم : رملة تبيت
 الغضا ^(٢) .

نظمه الأحدب بقوله :

حِمَاهُ (سرحان القصيم) فيه فيا عناء طالب يحويه ^(٣)

والقصيمة ليست مشهورة بالذئاب الفتاكة فحسب بل إن روضات
 القصيمة مشهورة بشيران الوحش ، أي ذكور البقر الوحشية - وتلك
 الثيران شرسة القيادة شديدة العدو ، لا يلحق بها من الخيل إلا السابقات
 الجياد .

قال سُهَيْم ^(٤) :

ولم تَرَ الخَيْلَ المُغِيرَةَ بالضحي على هَيْكَلِ نَهْدِ الجُزَارَةِ أَجْرَدًا ^(٥)

(١) سيأتى رسم « الجفر » في حرف الجيم .
 (٢) فرالد اللال ص ١ ج ١ ص ٢٨١ .
 (٣) ديوان سحيم عبد بنى المسحاس ص ٤٢ .
 (٤) قزع : تدفع . والهيكَل : الحصان الطويل ، ونهد الجزيرة : النهْد المشرف الضخم ،
 والجزارة : القوائم والأجرد : القصير الشعر .

طويل القرا ، غمر البديهة لاحة طراد هوادي الوحش حتى تحلدا^(١)
يرد علينا العير من دون إلفه وثيران روضات (القصيمة) عندا

وقال الزبيدي : القصيمة : - كسفينة - : رملة تنبت الغضا

كما في الصحاح ، زاد غيره : والارطى والسلم .

أقول : المعروف أن الرملة التي تنبت الغضا غير التي تنبت الارطى ،
ولذلك يفرق أهل القصيم بين الرمال الواقعة إلى غرب مدينة عنيزة
فما كان منها ينبت الغضا وهو الذي يليها اسموه (الغميس) - وما كان
ينبت الارطى فهو (الشقيقة) في اصطلاحهم كما سيأتي في هذين
الرسمين إن شاء الله .

أما السلم فليس هومن نباتات رمال القصيم المعروفة .

ولذلك فان الصواب في - رأبي - مع الجوهرى صاحب الصحاح .
ثم قال الزبيدي : والقصيمة : أجمة الغضا ، أو جماعة الغضا المتقارب ،
يقال : قصيمة من غضا ، وأبكة من أثل ، وغال من سلم . وسليل من
سمر ، وفرش من عرقط .

أقول : لا تنافي بين أن تكون القصيمة الرملة التي تنبت الغضا ،
وتكون أجمة الغضا ، إذ الغضا لا ينبت إلا في الرمال ، والتسمية للرملة
التي ينبت فيها ، وله إذا وجد فيها .

ثم قال : جمع القصيمة : قصيم ، وأنشد الجوهرى :

حيث استفاض دكادك وقصيم .

(١) القرا : الظهر . وغمر البديهة : كثير الجرى . ولاحة : غيره . والهوادي : المتلذذات .
وتحلدا : هزل ، ويروى : غمر البداة .

أقول : هذا الشطر سيأتي فيما بعد مع بيتين وهما للبيد ربعة
رضي الله عنه .

ثم قال الزبيدي : وجمع الجمع قُصْم ، وقصائم ، وفي التهذيب :
القصيمة من الرمل ما أنبت الغضا وهي القصائم ، وقيل : قصائم
الرمال ما أنبت الغضا :

ثم قال الزبيدي : قال - يعني الأزهري - والصواب الأول .

أقول : لله در الأزهري فما رجح شيئاً إلا كان هو الصواب فيما
رأيت من ترجيحاته .

قال الزبيدي : والقصيمة موضع بعينه سمي بذلك ، والقصيم ،
كأمير : موضع بين اليمامة والبصرة لبني ضبة .

أقول : هذا خطأ واضح فليس القصيم بين اليمامة والبصرة لبني ضبة
إضافة إلى أن هذا التحديد واسع لا يمكن ضبطه . وكون القصيم
لبني ضبة ليس دقيقاً إلا أنه كانت توجد لبني ضبة أماكن في القصيم
سيأتي الكلام عليها .

قال الزبيدي : وقيل القصيم بين رامة ومطلع الشمس وهما من
بلاد تميم .

أقول : هذا وهم واضح ، وقد حمل الزبيدي على ذلك أن المتكلم
الذي نقل عنه أن القصيم لبني ضبة وهو يريد أماكن فيه ، قال : إنها
بين رامة ومطلع الشمس ، وهو يريد موضعين من المواضع التي لقبية في
القصيم ، وأغلب الظن أن المراد بذلك : عجلز ، ورحب ، اللذان يسميان
الآن الزريب والمدوية على التوالي كما سيأتي .

وذلك صحيح بالنسبة لهذين الموضعين ولكن الزبيدي فهم أن

القصيم الذي هو على وزن أمير واقع بين رامة ومطلع الشمس وهذا غلط ظاهر .

ثم قال : وقيل : القصيم موضع يشقه طريق بطن فلج كما في التهذيب^(١)

أقول : وهذا صحيح ، إذا أريد ببطن فلج ما يسميه أهالي القصيم بالباطن ، وهو جزء من مجرى وادي الرمة بعد أن يتجاوز الوادي محاذة لمدينتي بريدة وعنيزة مشرقاً . وسيأتي في حرف الباء إن شاء الله .

وورد ذكر القصيم في رجز لبيد بن ربيعة رضي الله عنه بذكر فرسا له يدعى أبانا - ويوجه كلامه إلى ابنته بسرة ، ويخاطبها بصيغة الترخيم^(٢)
بسر .

إن أبانا كان حطوا بسرا
ملي عمرا وأرب عمرا^(٣)
ورد إذا كان النواصي غربا^(٤)
وعقت الخيل عججا كدرا^(٥)
أقام من بعد الثلاث عشرا
وإن (بالقصيم) منه ذكرا

وذكر القصيم الذي هو الرمال التي تثبت الغضا في الأمثال العربية

(١) فاج المروم ج ٩ ص ٢٩ .

(٢) ديوانه ص ٨١ والشرح منه .

(٣) بروي : بني عمرا ، أي : جعل له ابن ، مله عمرا : عاين طويلا وأرب : جعل له

ويبى .

(٤) ورد : أحمر : وربما كان وردا لأنه مطلق بالدم .

(٥) عقت : شقت .

القديمة فذكر الميداني المثل : على ما خيَّلت وَعَثُ القصيم . وفسره بقوله ،
أي : لأركبن الأمر على ما فيه من الهول . والقصيم : الرمل . والوعث :
المكان السهل ، الكثير الرمل ، تغيب فيه الأقدام ، ويشق المشي فيه ^(١)
نظمه الأحذب بقوله :

لاركبن الأمر إن هند قلَّتْ على الذي وَعَثُ القصيم خيَّلت ^(٢)
فهذا بعيد إلى ذاكرتنا قصة مالك ابن الربيب المازني وزميليه أبي حردبة
وغويث .. اللذين كانوا يترصدون للحاج في الطريق ^(٣) ثم يفرون
إلى القصيم يلجؤون إليه متخفين برماله ومختبئين في آجابه الكثيرة ،
وغاباته الملتفة .

قال لبيد رضي الله عنه ^(٤) :

وترى المسوم في القياد كأنه صعلٌ إذا فقد السياق يصوم ^(٥)
وكتيبة الأحلاف قد لاقيتهم حيث استفاض دكادك وقصيم ^(٦)

والدكادك في اللغة : جمع دكادك وهو من الرمل ما التبذ بعضه
على بعض في الأرض ولم يرتفع كثيراً ^(٧) .
وورد ذكر الدكادك التي في القصيم وهي الواقعة في شماله في شعر

(١) مجمع الأمثال ج ١ ص ٤٧٦ .

(٢) فرائد اللال ج ٢ ص ١٢ .

(٣) سياق في رسم (القاع الابيض) في حرف القات أن ذلك الوضع هو قاع بولان .

(٤) ديوانه ص ١٥٧ .

(٥) المسوم : الفرس المعلم أي الذي عليه علامة ، والصل : الظلم أي : ذكر الغنام .

والسياق : الاعياء ، ويصوم ، أي يقوم .

(٦) الاحلاف : أسد وغطفان وبعض طيء وبعض نيهان من طيء ومن تبهم تحالفوا على

حرب بني عامر قوم الشاعر واستفاض : اتسع .

(٧) اللسان : مادة . ذلك .

آخر وان لم يصرح بلفظ القصيم ولكنه قرن ذكره بذكر مواضع
كانت معروفة بأنها هنا قال سلامة بن جندل ^(١) .

يا دار أسماء بالعلياء من إضم بين الدكادك من قو فمعصوب

وإضم جوف في النجاج (الأسياح حالياً) كما قال لغدة : ولبني
المهجم على طريق مكة السمنية مائة ، وجوف يقال له ذي إضم ،
وأما كن يقال لها الحناظل الخ ^(٢) فالسمنية هي البيصية أول طريق الحاج
من النجاج إلى العراق وطريق الحاج هو طريق حاج البصرة إلى مكة
الذي يمر بالنجاج (الأسياح) والحناظل هي حنيظل وأبا الدود وماء
آخر معهما كما سيأتي ذلك في حرف الحاء . وأما قو فهو (قصيبا)
كما سنيسط القول فيه في حرف القاف إن شاء الله .

وكما ذكر لبيد رضى الله عنه القصيم اللغوى كذلك ذكره النابغة
الذبياني في قوله ^(٣) :

ألا أبلغ لديك أبا حُرَيْثٍ وعاقبة الملامة للمليم
فكيف ترى مُعاقِبِي وسعبي بأذواد القصيمة والقصيم ^(٤)
غنمت الليل ، إذ أوقعت فيكم قبائل عامر وبني تميم
وساخ لي الشراب وكنت قبلا أكاد أغص بالماء الحميم

وقال ياقوت : القصيم : بالفتح ثم الكسر وهو من الرمال ما أنبت
الفضا وهي القصائم ، والوحدة قصيمة قال أبو منصور - يعني الأزهري

(١) ياقوت : رسم معصوب .

(٢) بلاد العرب ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٣) دهرانه ص ١٢٢ .

(٤) أفراد : جمع ذرد وهو القطعة من الإبل .

التهذيب - : القصيم موضع معروف يشقه بطن فلج . وأنشد ابن
السكيت :

بارئها اليوم على ميين على ميين جرد القصيم
أقول : ميين سيأتي الكلام عليه فيما بعد وقوله : يارئها من الرئي
والهاء فيه للناقة أو الماشية يعنى ناقته أو ماشيته سيحصل له الارتواء
الكافي من الماء في القصيم . وجرده القصيم جمع جردة وهي عند العامة
الأرض الرملية المطردة المستوية التي تنبت العشب .

ولا تزال هذه الكلمة مستعملة في عامة أهل القصيم كما سيأتي
شرح ذلك عند رسم « الجردة » في حرف الجيم .

ثم قال ياقوت : ويوم القصيم من أيام العرب ، قال زيد الخيل
الطائي :

ونحن الجالبون سباء عيس إلى الجبلين من أهل القصيم
فكان رواحها للحمي كعب وكان غلوما لبني تميم
ونقل عن أبي عبيد السكوني قوله : القصيم بلد قريب من النجاج
يسرة في أقوازه واجارعه فيه أودية ، وفيه شجر الفاكهة من التين
والخوخ والعنب والرمان .

أقوله : قوله : يسرة صحيح لمن يكون قاصداً البصرة من مكة
إذ يكون معظم القصيم على يده اليسرى . وليس كله .

والأقواز جمع قوز وهو كثيب الرمل الواقف شبه الجبل .
والأجارع : هي الرمال العنيفة الطيبة المنبت التي لا وعوثة فيها

ثم قال : وهو بلد وبيي ، وفيه يقول الشاعر :

إن القصيم بلدٌ مَحْمَةٌ أنكد أفضى أُمَّة فأمّة

أقول : الزعم بأن القصيم بلد وبيي أي : مكانٍ للحمى هو من لقاء القول على عواهنه إذ المعروف في القديم والحديث أن القصيم طيب الهواء ، نبي التربة . هذا على وجه العموم . ولكن كثرة المياه ، والعيون السارحة في بعض المواضع فيه جعلتها مأوى للبعوض وبالتالي كانت موطناً لحمى الملاريا مثل (قصيبا) و (العوشزية) ووادي الرمة وعيون الاسباح ، هذا كان في الزمن القديم الذي انتهى في حوالي عام ١٣٨٠ هـ ولعل ذلك هو الذي حمل هذا الراجز على أن يصدر حكماً عاماً على القصيم بأنه بلد محمة وهو يريد أن يقول قولاً خاصاً بتلك المواضع . على أن تلك المواضع التي كانت وبيئة بحمي الملاريا إنما هي أماكن محدودة العدد ضيقة الرقعة ، بالنسبة إلى بقية مناطق القصيم الواسعة ، وهي متفرقة في أنحاء القصيم .

ولعل للراجز عنراً في إطلاقه ذلك القول ، في كونه اضطر من أجل الوزن ، أو من باب إطلاق الحكم على الكل وإرادة جزئه ، أو لكونه يجهل القصيم فنمى إليه الخبر عن الأماكن التي تصاب بالحمى فيه . فأطلق القول على جمع القصيم .

ثم قال ياقوت : قال الأصمعي بعد ذكره الرمة : وادٍ ، وأسافل الرمة تنتهي إلى القصيم . وهو رمل لبني عبس .

أقول : سيأتي في رسم : وادي الرمة : في حرف الواو أين تقع نهاية الوادي من القصيم .

ونقل أيضاً عن أبي عبيد الله السكوني في موضع آخر قوله : ومن وراء النباج رمال أقواز صغار ممتة ويسرة على الطريق ، والمحجة فيها أحياناً لمن يصعد إلى مكة رمل وقيعان منها قاع بولان والقصيم ^(١) .

أقول : قوله من وراء النباج - وهو الأسياح - يريد بذلك لمن كان في العراق ، وقد أوضح ذلك بقوله فيما بعد : لمن يصعد إلى مكة أي لمن يذهب إلى مكة من البصرة .

وقاع بولان : سياحي تحليده ^(٢) والقصيم معروف أنه وراء الأسياح لمن يكون في العراق ، ويريد بتلك الأقواز الصغار رمال (العابلة) الواقعة إلى الشمال والغرب من الربيعية والركية ، ولذلك ذكر معها بعض القيعان ومنها قاع (بولان) الذي يقع إلى الغرب من الربيعية وأحدثت في جزئه الغربي عين للأمير متعب بن عبدالعزيز آل سعود .

وقال ابن منظور : القصيم : موضع معروف يشقه طريق بطن فلج ثم أنشد بيتين من الرجز .. وهما :

أفرغ لشول وعشار كُوم ^(٣)
باتت تعشى الليل بالقصيم

وهذان البيتان من الرجز يدلان أيضاً على أن القصيم كان مذكوراً بالخصب ، ووفرة الرعي ، إذا الراجز يقول : إن العشار والنوق المذكورة دهي تعشي في القصيم ينبغي أن تفرغ لها الماء من البئر بكثرة لكونها

(١) رسم « النباج » .

(٢) رسم « القاع الأبيض » .

(٣) الشول : الناقة التي قد شالت بذلها أي : رفضته .

ترعى الحمض وغيره من الشجر الجيد في القصيم ، مما يجعلها تحتاج إلى الإكثار من شرب الماء .

ويحسن أن نورد هنا نص كلام أبي منصور الأزهري الذي هو مرجع لعدم من جاء قبله . وعلقت على عباراتهم فيما سبق قال في « تهذيب اللغة » :
قال الليث . . والقصيصة من الرمل ما نبت الغضا وهي القصائم ...
وقال أبو عبيد : القصائم من الرمال ما نبت الغضاه .

قال أبو منصور : وقول الليث في القصيصة ما نبت الغضا هو الصواب . . كذلك حفظته عن العرب ، والقصيم موضع معروف ، يشقه طريق بطن فلج وأنشد ابن السكيت :

ياربها اليوم على مبين

على مبين جرد القصيم

ولياه عنى الراجز :

أفرغ لشول وعِشَار كُوم

باتت تُعشَى الليلَ بالقصيم

وقال آخر يصف صبيًا :
وأشعثَ أعلى ماله كفف له

بفرش فلاة بنهن قصيم

والفرش : منابت العرْفُط .

قال شمر عن ابن الأعرابي : فرش من عرْفُط وقصيصة من غضا ،
وأبيكة من أثل ، و غال من سلم ، وسليل من سمر^(١)

ولشهرة القصيم بأنقاء الرمل واحدهما نقا وهو الكثيب المرتفع من

الرمل يقول صويد المبيسي :

(١) تهذيب اللغة ج ٨ ص ٢٨٦ .

قد علمت خُود^(١) تحل الأبرقا^(٢) و(النَّقْرَتَيْنِ)^(٣) و(القصيم) ذا النقا
أنا ندادى بالسيوف الاحمقا^(٤)

وجَزَّدَ القصيم كان معروفاً مشهوراً في القديم ، حتى جعل له الإمام
نصر الاسكندري رسماً خاصاً به ، وعرفه بما يدل على أنه في الجنوب
الغربي منه قال : جَرَّد ، بفتح الجيم والراء وآخره دال - جرد القصيم من
القريتين على مرحلة ، وهما - يريد القريتين - دون رامة بمرحلة ، ثم
إمرة الحمى ، ثم طخفة . ثم ضرية^(٥) .

ولا شك في أنه يريد أن جرد القصيم على مرحلتين من القريتين لمن
يسير منهما مصعداً أي : ذاهباً مع طريق حاج البصرة إلى مكة المكرمة .
ولذلك قال : وهما - أي القريتان - دون رامة بمرحلة ، فكان يحكي
قوله ذلك وهو في العراق في البصرة أو جهاتها .

وقد تكفل أبو علي الهجري رحمه الله بإيضاح موقع جرد القصيم
المذكور إيضاحاً لم أجده عند غيره فقال : سألته - يعني رجلاً باهلياً
ذكره - عن رجب بفتح الراء فقال : هو بجرد القصيم ، وعزلج ماء
آخره ، ومبين ، واليباه (؟) ثم قال الهجري : رجب بثآر في حساء
قرب عزلج^(٥)

أقول : رجب رجحت بأنه هو الذي يسمى الآن (المدوية) وسباني

(١) الخود : الفتاة الحسنه الخلق الشابة الناعمة .

(٢) القرتين : تشية « نفرة » وقد أوردتها الحربى عند ذكر النفرة وربما كانت في مكان

قريب من القصيم فذكرها بجانبه لاسيما إذا عرفنا أن كلمة « نفرة » لاتزال كثيرة الامتثال عند
أهل القصيم ، كما في رسم « النفرة » ولأن الشاعر من أهل القصيم أي بنى عيسى .

(٣) كتاب المناسك للحربى ص ٢٢٢ . (٤) الامكنة ق ٤٠/ب

(٥) مجلة العرب م ٥ ص ١٠٩٢ .

ذكره في حرف الميم إن شاء الله ، أما عزلج فهو الذي يسمى عجلزاً وهو في طريق حاج البصرة إلى مكة وهو فوق القريتين وهما معروفتان سبائياً تحديدهما في رسم (القرية) و (العيارية) ومن عجلز أو عزلج إلى رامة وهذه معروفة أيضاً فصحَّ أن جرد القصيم يقع في جهة الغميس على الضفتين الشمالية والجنوبية لوادي الرمة . والله أعلم .

وقال أبو اسحق الحرابي - رحمه الله - وهو يتكلم على طريق حاج البصرة إلى مكة المكرمة : ثم من وراء جبل الحاضر من الرمل ^(١) أقواز صفار ، بمنة ويسرة عن الطريق ، والمحجة فيها أحياناً رمل دعس ، وأحياناً قيعان منها قاع بولان الذي يقول فيه الراجز :

بقاع بولان دعوت ربي دعوة عبد مُحَرَّم مُلبي

ولما سمي بذلك لأنهم إذا صاروا إليه ، زلقت فيه الإبل ووحلت وتلك الأقواز والأجارع بمنة الطريق ويسرته يقال لها القصائم ، كان بها لص يقطع الطريق في الإسلام يقال له أبو حَرْدَبَةَ . قال الراجز :
الله نَجَاكَ من (القصيم) ومن أبي حَرْدَبَةَ اللثيم
وبهذه القصائم أودية فيها شجر الفاكهة من التين والبخوخ والرمان وفاكهته أطيب فاكهة وأعذبها وأرقها ^(٢) .

ونقل من أرجوزة في وصف الطريق المذكور لوهب بن جرير ابن حازم الجهضمي قوله :

حتى إذا أوفت على القصيم وَخَلَّقَتْ أرض بني تميم

قلت لها : جدي ولا تقيمي

(١) جبل الحاضر : بالحاء هو الكثيب الممتد شمالاً وجنوباً والذي يسمى الآن حرق الاسياح . وهو آخر حروق الاسياح من جهة الغرب أي اقربها إليها . والاسياح هي النباج قديماً كما سيأتى .

(٢) كتاب المتناك ص ٥٨٥ - ٥٨٦ .

فاختلفت تَنَحَّطُ في رماله مثل انحطاط الوعل في أجباله

تحذو إذا انحطت على مثاله

حتى إذا مرت بقاع بولان مزهوءة : تُحْدَى أمام الرُكبان

حَرْفُ أُمُونُ ذات لوث مذعنان

ثم مضت قِدَمًا تَوَمُّ النَّحْلًا^(١) تُقَدِّمُ أَطْلَاحًا عِنَاقًا بُزْلًا

تكاد تذرِّي حملها والرَّحْلًا

عَامِدَةٌ للقريتين^(٢) . مسانني لو عطفت لِمَرْتَعٍ لم تنثن

متى تحركها لسير تُمَعِنُ^(٣)

وهذا يوضح لنا أن الطريق المذكور يمر بشرقي القصيم من النباج

(الاسباح) حتى الصريف ثم يمضي من الصريف متجهاً إلى الجنوب

الغربي فيمر بقاع بولان (القاع الأبيض) ومن ثم إلى القريتين قرب

عُنيزة ومن القريتين إلى رامة وسيأتي ذكر هذه المواضع جميعها في أماكنها

من هذا المعجم إن شاء الله

وقال نصر الاسكندي : القصيم من أرض ضبة ، وقيل : بين رامة

ومطلع الشمس ، بين بلاد تميم . ورامة وراء القريتين في حق أبان بن

دارم^(٤) .

أقول سبق التعليق على ما في هذا القول من ملاحظة .

(١) يقصد نخل القريتين ، لأنها كانت في ذلك الوقت فيها عيون ونخل إلا أن ماها فيه

فلفظ . أي هو ملح ، وأهلها يستعملون الماء من عنيزة .

(٢) راجع رسم « القرية » .

(٣) المناياك ص ٦٣١ .

(٤) الأمانة في ١٢٧ رب .

وقال لغدة الاصبهاني : وأسفل الرمة تنتهي إلى القصيم ، رمل لبني

عبس^(١)

أقول : ليس هذا القول على اطلاقه فالقصيم أوسع من أن يكون لبني عبس وحدهم بل يشترك معهم غيرهم كما ذكر ذلك لغدة نفسه وقال أيضاً : وبين أسفل الرمة وأعلاها سبع ليالٍ من الحرة حرة فلك إلى (القصيم) وحرة النار^(٢) .

أقول : جملة (وحرة النار) معطوفة على حرة فلك . وليس على القصيم وهذا هو الواقع بالنسبة لمبدأ سيول وادي الرمة ومنتهاه كما سيأتي تفصيل ذلك في رسم (وادي الرمة) في حرف الواو ان شاء الله تعالى . وفلك هو الذي يسمى الآن الحايط ، ويقع إلى الشمال من خيبر .

وكان لبني السيد من ضبة ماء يقال له (ميين) قريب من القصيم مشهور مع ما حوله من الأماكن من القصيم بالري ، وطيب المرعى ، وأثره المحمود على الإبل التي تشرب ماءه وترعى في جرد القصيم .

قال لغدة : ثم ميين وهو من عظام مياه ضبة ، وهي لبني السيد . له يقول الراجز :

ياربها اليوم على ميين على ميين جرد (القصيم)
التارك المخاض كالأروم وفحلها أسود كالعظيم

قال : وميين قريب من القصيم . والجرد بينه وبين القصيم ، وهو مرعاه ، ومرعى القصيم^(٣) .

(١) بلاد العرب ص ٦٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٧٦ وفلك : تسمى الآن : الحايط ، ويديع تسمى الحويط وحرة فلك تسمى حرة فلك كما يقول استاذنا حمد الجاسر .

(٣) بلاد العرب ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

هذا هو كلام لغدة ولكنني أعتقد أن جرد القصيم بل ومبين نفسه داخل في القصيم . وأن الموضوع هو موضوع اصطلاح .

يدل على ذلك قول الاسكندري في تعريف جرد القصيم :
جرد القصيم : من القرينتين على مرحلة ، وهما دون رامة بمرحلة ، ثم لإمرة الحمى ، ثم طنخنة . ثم ضرية .

ومعلوم أن القرينتين تقعان قريباً من مدينة عنيزة ، وأنها اللتان يسميان الآن (القرية) - بالتصغير - والعيارية) كما نشبت ذلك بالأدلة في الرسمين المذكورين .

وإن رامة معروفة بل مشهورة وتقع إلى الجنوب من البدائع ويدل على كون الموضوع موضوع اصطلاح فقط قول لغدة نفسه بعد ذلك :
(ومن ناحية (القصيم) خارجاً منه (النبوان) وهو ماء) .

والنبوان هو الذي يسمى الآن (الصَّوَال) في شرقي قصيها كما سيأتي في حرف الصاد إن شاء الله .

وقصيباً : من القصيم الآن ، وإن كانت ليست من المواضع التي يصدق عليها وصف القصيم جغرافياً إذ ليست بالقصائم التي تنبت الغضا . ويدل على ذلك أن أبا حنيفة الدينوري قال في تفسير قول متمم ابن نويرة :

قاظت أثال إلى الملا وتربعتُ بالحزن: عازبة تُسنُّ وتودع
قال أثال : بالقصيم من بلاد بني أسد . والملا : لبني أسد (١)

(١) البكري : أثال ، وكرر البكري هذا القول في رسم : حزن بني يربوع . غير منسوب .

وأثال معروف مشهور ولا يقع في قصائم تنبت الغضا ولكنه عرفه
بأنه في القصيم - إلا أنه نسبه لبني أسد ، والصحيح أنه كان لعبس
كما سيأتي في رسم أثال . في حرف الألف إن شاء الله .
أما الملا الذي قرن بأثال فهو الذي يسمى الآن السعيرة ، وهو
مراعع للإبل يقع بين منطقة القصيم ، ومنطقة حائل .

وقريب من ذلك في الإيهام ما ذكره باقوت قال : المشرق . بالفتح
ثم السكون وكسر الراء ، وآخره قاف ، بلفظ ضد المغرب : جبل من
جبال الأعراف بين الصريف والقصيم من أرض ضبة . وهذا فيه وهمان :
أولهما : قوله : جبل من جبال الذي كتب بجيم معجمة والصحيح ،
جبل من جبال بالحاء المهملة إذ المراد به رمل وهو الرمل المستطيل فهو
الذي يسمى جبلاً بالحاء المهملة بدليل قوله الأعراف ولا يزال معروفاً
باسمه المفرد فيقال فيه « العرف » بفتح العين والراء ثم فاء كما سيأتي
ذكره في حرف العين من هذا المعجم وسنورد شاهداً من الشعر العامي على
ذلك . وهو الذي يقع إلى جهة الغرب من الصريف فيما بينه وبين بقية
القصيم وهذا صحيح .

ثانيهما : قوله : إن القصيم من أرض ضبة ، لأن القصيم لم يكن
لضبة وإنما كان لضبة مياه في جنوب القصيم الغربي
أما شرقي القصيم أي جهة الصريف وما قرب منه فلم يذكر المتقدمون
فيه مياهاً أو مواضع لضبة ، وإنما ذكروا أن تلك الجهة كانت لبني أسيد
ولبني الهجيم ، ولطهية وكلهم من بني تميم ، هذا إلى جانب ما في قوله
المشرق بالقاف . والمعروف في الرمل : المشرف أو مشرف كما سيأتي
في هذا الرسم في حرف الميم من هذا المعجم .

يضاف إلى ذلك أيضاً أنه ورد ذكر (مبین) الذي هو من مياه ضبة مقروناً بذكر رمادان الذي له علاقة بالرمادة التي تسمى الآن (رمادة) وسيأتي ذكرها في حرف الراء وهو واقعة إلى جهة القبلة من العيارية التي هي إحدى القريتين في القديم . مما يدل على أن مبینا كما قلنا في غربي الغميس . وأنه ليس في شرقي القصيم وذلك في شعر لعبد بن الطيب في قوله :
تَأْوِبَ مِنْ هِنْدٍ خَيْالٌ مُؤَرَّقٌ إِذَا اسْتَبَاسَتْ مِنْ ذِكْرِهَا النَّفْسُ تَطْرُقُ
إِلَى أَنْ قَالَ :

وَحَلَّتْ (مُبِينًا) أَوْ رَمَادَانَ ، دُونَهَا

إِكْسَامٌ وَقِيَمَانٌ مِنَ السَّرِّ سَمَلَقٌ ^(١)

أورده البكري وعقب على إيرادہ بقوله مبین : بئر معروفة وهي من مياههم المشهورة قال راجزهم ،

يَارِبِهَا الْيَوْمَ عَلَى (مَبِين)

واعتبر بعض البلدانيين القصيم حداً للأماكن المرتفعة التي أسموها (نجداً) بالنسبة لمن يأتي من العراق قاصداً الحجاز فقال بعضهم : حد نجد من النجاج ^(٢) وهو لبني عبد الله بن عامر بن كريب ^(٣) .

وقال آخر : إِذَا جُزَّتْ (الْقَصِيم) فَأَنْتَ فِي نَجْدٍ ، إِلَى أَنْ تَبْلُغَ ذَاتَ عَرَقٍ ^(٤) . فَتَنْتَهُم ^(٥) . وقال الإمام لغدة الاصبهاني : وللبصرة إلى

(١) ص ٤٠٢ : رسم « جواذة » .

(٢) النجاج : الاسياح ، راجع رسم .. الاسياح ...

(٣) بلاد العرب ص ٣٣٩ .

(٤) ذات عرق : محل احرام الحجاج القادمين إلى الحجاز من شمال نجد وما بجذاته شرقاً من

البلدان ، وتقع بقرب موضع يدعى الآن الضريبة .

(٥) تنهم : تلغل في تمامة .

مكة طريقان : أما أحدهما فالصحراء عن يسارك وأنت مصعد إلى مكة ليال ، فإذا ارتفعت فخرجت من فليج ، فأنت في الرمل ، فإذا جاوزت النجاج والقريتين فقد أنجدت^(١) .

أما حد القصيم نفسه من جهة الشرق فهو عند من نقل عنه لغدة : قاع بولان .

ولكن قاع بولان هو الذي يسمى الآن (القاع الأبيض) وهو ليس حد القصيم الشرقي ، وإنما هو قريب من حده الشرقي إذا أريد بالقصيم جمع قصبمة وهي الرمال التي تنبت الغضا .

والقاع الأبيض . الذي كان يسمى قديماً - قاع بولان - واقع على ضفتي مجرى وادي الرمة الشمالية الشرقية ، إلى الغرب من بلدة الربيعة في شرق القصيم وسبأئي الكلام عليه بالتفصيل في حرف القاف إن شاء الله تعالى .

وقال لغدة : القصيم ، موضع ذوغضا ، فيه مياه كثيرة ، وقرى - منها قرينا ابن عامر^(٢) .

ثم قال : وأهل القصيم يسكنون في خيام الخوص ، وهي^(٣) منازل بني عبس وغيرهم ، وفيه نخيل كثيرة^(٤) .

أقول : لعله يشير بخيام الخوص إلى مايتخذ في القصيم من عشب النخل وخصوصها ويسمونه الآن : الحظار . من كلمة حظر .. التي أخذت منها الحظيرة في الأصل ، وهي مايصنع من الشجر مأوى للماشية

(١) بلاد العرب ص ٢٢٨ .

(٢) راجع رسم « القرية » في حرف القاف . والعمارة في حرف العين .

(٣) كذا في كتاب لغدة ولعل الصواب . وهو .. أي القصيم ، وليس خيام الخوص .

(٤) بلاد العرب ص ٢٢٩ - ٢٤٠ .

وهذا الحظار : يتخذ من خوص النخل على شكل خيمة ، وغالباً يكون مربعاً أو مستطيلاً ، يترك ضلعه الشمالي فارغاً ليدخل منه هواء الشمال البارد .

ويستعملونه في فصل الصيف فقط فيكون أبرد من بيوت الطين أو الحجارة لأن الهواء يتخلله ، ولا تخترقه حرارة الشمس .

وكثير من أصحاب الثراء والنعمة الذين يملكون بيوتاً من الطين يفضلون البقاء فيه في الصيف على البقاء في البيوت الأخرى ولعل صاحب هذا القول مرحاجاً بهم في فصل الصيف

وإذاً ليس معنى ذلك أن سكناهم في خيام من الخوص على حد التعبير المذكور مرده إلى عدم وجود بيوت من الطين أو الحجارة لديهم . إلى جانب وفرة النخيل ، وكثرة جريدها وخصوصها في القصيم .

على أننا لو افترضنا الأخير بأنه في الوقت الذي صدر فيه ذلك القول كان في القصيم بيوت من الخوص فلا شك ان ذلك يعتبر تطوراً أو بداية للتطور في استقرار البادية في البلدان للزراعة أو للتمدين بالنسبة إلى البيوت التي كانوا يسكنون فيها وهي بيوت الشعر ، طابع الحياة البدوية القائمة على الانتقال والترحل .

ويدل على هذا المعنى ما ذكره لغدة نفسه بعد ذلك ، إذا قال : وبالقصيم ماء لبني أسد في الرمل . عليه خيام من الخوص كثيرة ، يقال له الحويرثة ، قال الشاعر :

على الربع الذي بحويرثات من الله التحية والسلام^(١)
وكان القصيم يعتبر منتصف الطريق بين البصرة ومكة .

(١) بلاد العرب ص ٣٤٠ - ٣٤١ . والحويرثية أو الحويرثات غير معروفة لنا الآن .

قال لغدة : وبالقصيم عَجَلَز ، وهي مائة لبني مازن ، وهي المَنَصِف
ابن مكة والبصرة ^(١)

وأشُد لغدة قول الشاعر :

الله نجاك من العجالز ومن جبال طخفة النواشز
وقال العجالز : رَحْبٌ ، وعجلز وما حولهما من المياه ، ورَحْبُ ماء لبني
مازن بالقصيم .

أقول : رحب هي التي تسمى الآن : المدوية . وعجلز هو الذي
يسمى الآن الزريب - كما سيأتي في هذين الرسمين من المعجم وهما
من القصيم ، وكانا لضبة في قديم الدهر . كما قال لغدة .

وسبب الرجز أن قائله أحد الحجاج الفين يأتون مع حاج البصرة ،
والعجالز في رمال صعبة المرتقى ، يشق السير فيها على الإبل وعلى المشاة
بطبيعة الحال . كما أن طخفة جبال صعبة ولكن الشكوى ليست من
صعوبتها ، وإنما لكونها منازل قوم من البدو الجفأة الذين قد يُسيئون
إلى الحجاج كما أنها خالية من أسباب الرفاه ، وحاجات العيش التي
يمكن أن يبتاعها الحاج .

وورد ذكر عجلز مقرونا بالقصيم في شعر جاهلي لزهير بن أبي سلمى ^(٢)

لِمَنْ طَلَلْ بِرَامَةِ لَأَيْرِيمِ عفا وخلا له عهد قديم
يلوح كأنه كفا فتاة تُرَجِّعُ فِي مِصْمِهَا الْوَشُومِ
عفا من آل ليلي بطن ساق فَأَكْثِبَةُ الْعِجَالِزِ (فالقصيم)
تطالعنا خيالات لسلمي كما يتطلع اللين الفريم

(١) بلاد العرب ص ٣٤١ وعجلز اسظهرنا أنه الزريب (راجع رسم الزريب) .

(٢) شرح ديوان زهير ص ٢٠٦ - ٢٠٩ .

فقرن ذكره بمواضع لانزال معروفة في القصيم مثل رامة ، وبطن ساق . . الذي يحيط بساق الجواء .

والعجائز هي الأماكن التي فيها الزريب والمدوية وما حولهما من مياه وهي رمال صعبة .

قال الإمام ثعلب في شرحه لهذه الابيات : ساق : هضبة والعجائز : فيل : رمال عظام الواحد عجلز . والقصيم : منابت الغضا في الرمل مثل أجمة الشعر .

وثعلب يريد بذلك المعنى الملقب للفظ، وإلا فإن زهيراً يريد تلك المواضع المعروفة الآن في القصيم بعينها .

وكذلك ورد اسم القصيم مقروناً بذكر مواضع فيه كلها معروفة الآن إلا موضعاً منها واحداً وذلك في شعر جاهلي لشاعر أقدم عهداً ، وأبعد زمناً في الجاهلية من زهير بن أبي سلمى وهو أبو دواد الأبيادي قال أبو داود (١) :

أقفر الخبُّ من منازل أسما ء فجنبا مُقلّص فظلم
وترى بالجواء منها حلّولاً وبيذات (القصيم)، منها رسوم

والمنازل المعروفة الآن من هذا الشعر هي : الخب . أحد خيوط القصيم الكثيرة المتعددة والتي تحيط بمدينة بريدة من جهاتها الثلاث الغربية والشرقية والجنوبية .

وظلم هو الوادي الذي يسمى الآن - الظلم - بالتصغير ويقع إلى ناحية الشرق من مدينة عنيزة . وإلى الغرب من الشماسية ، والجواء الذي هو ناحية هامة مشهورة من نواحي القصيم . تشمل على عدة قرى ومزارع وجبال مذكورة بل بعضها مشهورة في القديم والحديث .

(١) ياقوت : رسم « مقلص » .

وذكر الهمداني القصيم ووصفه بما يرى الآن في جنوب بريد شمال
عنيزة من وجود النخيل والأشجار بين كتيبان الرمل قال :

ثم أبانان : أبان الأسود ، وأبان الأبيض : جبلان يمر بينهما بطن
الرمة . . . ثم وراء ذلك القصيم . وهو بلد واسع ، كثير النخل والرمل .
والنخل في حواء الرمل ، وهو كثير الماء ، كثير الحصون (١) .

فوصفه كما ترى بكثرة المياه والرمال . وهذا معروف في القصيم ،
ولكنه وصفه أيضاً بأنه كثير النخل ، كثير الحصون ، مما يدل على أن
العمارة والزراعة كانت منتشرة مزدهرة في القصيم زمن الهمداني أو قبله
بقليل أي منذ حوالي ألف سنة من الوقت الحاضر .

وإذا أضيف هذا القول إلى قول لغدة السابق ذكره ، من أن القصيم
فيه مياه كثيرة وقرى منها قريتا ابن عامر . عرف أن القصيم كان قديم
العمارة ، كثير السكان في القرون التي تلت ظهور الإسلام .

هذا بالإضافة إلى وجود أماكن فيه كانت معمورة قبل الإسلام ومنها
القريتان اللتان ذكر العلماء أنهما كانتا لطسم وجديس من العرب البائدة
كما سيأتي في رسم القرية ، وزبيدة .

وقال ياقوت : رمادان : تشنية رماد ، ثم عرب : جَفْرُ في الطريق -
أي طريق الحج - لبني المرقع من بني عبد الله بن غطفان عند القصيم .
قال جرير :

أخو اللؤم مادام الغضا حول عَجَلز
ومما دام يستقي في رمادان أَحَقَفُ

(١) صفة جزيرة العرب ص ١٤٤ .

وعجلز : من المواضع المعروفة قديماً في القصيم لأن حاج البصرة
يمرون بكثيبيها بعد القرينتين وقبل رامة . ويترجح لنا أنه هو الزريب
المعروف لنا، وسنذكر أدلتنا على ذلك في رسم (الزريب) فراجع إن
شئت . والظاهر أن رمادان هذا لاسمه علاقة بالرمادة التي يمر طريق حاج
البصرة إلى مكة بها وذكر الأقدمون مايفهم منه أن موقعها إلى الشمال
الغربي من مدينة (عنيزة) كما قال أبو اسحاق الحربي :

ومن ورائها - يعني القرينتين - بلد يقال له الرمادة وهو منصف
طريق مكة من البصرة . قال : يقول الكري : إذا صار بالرمادة :
ما أبالي أضعدتُ ، أم انحدرت ، أي : إني في المنصف ^(١)

ولا تزال الرمادة معروفة باسمها القديم ولكن دون تعريف (رمادة)
كما سيأتي في حرف الراء .

والقصيم بما فيه من جو أفيعج وهواء طلق ، ومناظر خلابة وطبيعة
متنوعة المظاهر يلهب خيال الشعراء ، ويهيج شاعرينهم كما قال عبد الله
ابن قيس الرقيبات وقد حلَّ القصيم وأخذ يسائل الجهلنين ولعلهما جلها
وادي الرمة ^(٢) ويذكر محبوبته (سلمة) التي عهدا قد حلت ..سرف..
و : غدير الأشطاط . . حيث بلاده في الحجاز :

لَمْ تَكَلِّمْ بِالْجَلْهَتَيْنِ الرَّسُومُ حَادِثٌ أَهْلُهَا أُمٌ قَدِيمٌ
سَرِفٌ مَنْزِلٌ لِسَلْمَةَ فَالظَّهْرَانُ ^(٣) مَنْسَا مَنْزِلٌ (فالقصيم)
فغدير الأشطاط منها محلٌّ فيعسفان منزل معلوم

(١) كتاب المناسك ص ٥٩٠ .

(٢) قال ياقوت : جلها الوادي : ناحيته وحرقاء .

(٣) المراد : جبل الظهران القريب من الفوارة راجع رسم « الفوارة » . (العرب : لعل

المقصود الظهران القريب من سرف ، وأن القصيم هنا تصحيف القصيم بقرب الظهران) .

صدروا ليلة انقضى الحج فيهم حُرَّةٌ زانها أَعْرُ وسيم
 يتقي أهلها النفوس عليها فَعَلِي نحرها الرُّقَى والتميم^(١)
 ويزيدنا دليلا على أنه يريد القصيم ، وأنه قد نزله أبيات ذكرناها
 في رسم أبان . يقول فيها :

أنا من أجلكم هجرت بنى بد ر ، ومن أجلكم أحب أبانا
 إضافة إلى أنه ذكر الظهران إلى جانب ذكره القصيم هو يريد
 جبل الظهران الواقع بجانب الفوارة . التي كانت في صدر الإسلام بلدة
 عامرة ذات عيون ونخيل كثيرة كما سيأتي في رسمها .
 ومن أعجبهم القصيم فوصفه بالزهاء في شعره هذا الرجل من جند
 المسلمين في حروب الردة :

روي أن خالد بن الوليد رضي الله عنه خرج من أكناف جبل سلمى ،
 حتى نزل الغمر ، وهو ماء من مياه بني أسد بعد أن حسن اسلام طيء ،
 وأدوا زكاتهم فقال رجل من المسلمين :

جزى الله عنا طيئاً في بلادها ومُعْتَرَك الأبطال ، خير جزاء
 هُمُ أهل رايات السباحة والندى إذا ما الصَّبَا ألَوْتُ بكل خِباء^(٢)
 هُمُ ضَرَبُوا بَعَثاً على الدين بعدما أجاابوا منادى فِتْنَةٍ وَعَمَاء
 ونخال أبونا الغمَّرَ لا يُسَلِّمُونَهُ وَكَلَّجْتُ عليهم بالرماح دماء
 مراراً ، فمناها يوم أعلى بزاحة ومنها (القصيم) فوزهي ودعاء^(٣)

(١) التميم : التمام : جميع تميمية ، والأبيات في ديوانه من ١٩٥ . ذكرها ياقوت في رسم
 « أشطاط » والبيتان الأولان في رسم « سرف » .

(٢) ألوت : أمى : احتلت وألقت .

(٣) ياقوت : رسم « النسر » ج ٤ ، ص ٢١٢ . وهي أيضا في تهذيب تاريخ ابن عساکر

والقصيم ، لكثرة أنقائه ، ووجود الغابات والأشجار الكثيفة في
 وديانه قد كان في وقت من الأوقات مأوى لبعض اللصوص من الأعراب
 الذين كانوا يترصدون الحجاج فيخطفون منهم ما استطاعوا ثم يلجئون
 إلى تلك المخابي الطبيعية في القصيم يستترونها من المطاردين ويحتمون
 بظلمتها من الطالبين .

وكان بعض الحجاج يلقون عنتاً من أولئك اللصوص وبخاصة منهم
 مالك بن الربيع وأبا حردبة المازنيين ولصاً آخر يكنى غويثاً . فكان
 راجز الحجيج إذا نجا من أولئك اللصوص يرتجز ويقول :

اللَّهُ نَجَّاكَ مِنْ (الْقَصِيمِ)

وَبَطَّنَ فَلَجٍ وَبَنِي تَمِيمٍ

وَمِنْ غُوَيْثٍ فَاتِحِ الْعُكُومِ ^(١)

وَمِنْ أَبِي حَرْدَبَةَ اللَّكِيمِ

وَمَالِكِ وَسَيْفِهِ الْمَسُومِ ^(٢)

وقال أوس بن حجر ^(٣) :

ولو شهد الفؤارسُ من نُمَيْرٍ بِرَامَةَ ^(٤) أو بنعف لوى القصيم

فذكر لوى القصيم وهو منقطع الرمل ، أو ما انحى من الكثبان الرملية .

وقرنه بذكر رامة التي لا تزال معروفة ، باسمها القديم

وغويث ورد بالمهملة في « فرحة الأديب » ^(٥) .

وهذا شاعر جاهلي من بني ضبة الذين تقع بلادهم في الجنوب

(١) العكوم :

(٢) البكري ص ١٠٢٧ : رسم « فلج » والهجر ص ٢٢٩ وفرحة الأديب ق ١٣٢ .

(٣) ديوانه ص ١٢٧ وله بيت مفرد فيه ، .

(٤) راجع رسم « رامة » .

(٥) فرحة الأديب المشوم .

الغربي من القصيم يقال له يزيد بن عبد الله بن سفيان ويلقب بالمنصف
يذكر القصيم (١)

حلفت لتركبن وأنت عَجَلِيَّ على ماخَيْلَتُ وَعَثَ (القصيم)
ويقول أيضاً (٢) :

كَأَنِّي وَالْكَمَيْتُ أَجْرُ رَمَحِي بَأَكْتَبَةِ (القصيم) على دوار
كَأَنَّ جَمَاجِمَ الْأَبْطَالِ مَنَا ومنهم ، بيننا خلق المحار
وهذا شاعر ضَبِّيٌّ أيضاً ، وهوربيعة بن مقروم الضبي يقول (٣) :
وقومي فإن أنت كَدَّبْتَنِي بما قلت فاسأل بقومي عليها
فدى ببزاخته (٤) أَهْلِي لَهُمْ وإذ ملؤا بالجموع (القصيما)
وإذ لقيت عامر بالنار منهم وطخفة يوماً غشوماً (٥)
به شاطروا الحيَّ أموالَهُمْ هَوَازِنَ ذَا وَفَرِهَا والعديما

قال بشر بن أبي خازم الأسدي يصف فتاة لعوباً منازلها القصيمة ،
وذلك في معرض حديثه عن رحلتها عن القصيم (٦) حيث كان حداة الإبل
يؤمنون بها مياه تخل (٧) ويزورون بها عن أبانين أي : يميلون بها عنهما (٨)
ألا بان الخليط ولم يزاروا وقلبك في الظمائن مستطار

(١) معجم الشعراء ص ٤٩٥ . (٢) المصدر نفسه .

(٣) التفاضل ص ١٠٦٧ .

(٤) بزاخته : حقق الأستاذ حمد الجاسر موقعها بما لا يدعي نجالا للشك فيه وهو أنه في
المنطقة ، التابعة لحائل إلى الجنوب الغربي منه راجع « المعجم الجغرافي » شمال المملكة ص ١٩٠ - ٢٠٤
ولا تزال معروفة باسمها هذا وقد زرتها .

(٥) أنظر رسم طخفة .

(٦) راجع أول هذه القصيدة في رسم « أبان » .

(٧) نخل : هي الحناكية : وهي قريبة من النخيل .. بصيغة الصغير المشهورة .

(٨) المغضليات ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

يُوم بها الحداة مياه نخل وفيها عن أبانين ازورار
وفي الأظعان آنسة لعوب تيم أهلها بلداً فساروا
من اللائي غُذِين بغير بُوس منازلها (القصيمة) فالأوار
نبيلة موضع الحجلين ، خَوْد وفي الكشجين والبطن اضطمار
والأوار الذي ذكره يسمى الآن . (الطوير) . وهو جال صغير يقع ،
إلى الشرق من مطار القصيم المركزي فما بينه وبين قرية الشقة السفلى -
والجال في لغتهم العامية هو ما أشرف من الجبل الذي يكون الجانب
الآخر منه مستوياً مع السطح

وذكر لغدة ما يفيد بأن القصيم كان تابعاً إدارياً لعامل اليمامة
حيث ذكر أن القبائل التي كانت تسكن القصيم جبايتهم إلى اليمامة ^(١) .
كما ذكر في موضع آخر أن القصيم من عمل المدينة . وعلّق الأستاذ العلامة
حمد الجاسر على قوله هذا بأنه قد يكون ذلك في العهد الأموي حينما
كان القصيم - لكونه واقعاً في طريق الحج - يضاف إلى والي المدينة . ثم
أُفرد للطريق والخاص في العهد العباسي ، كما يفهم من ترجمة محمد
ابن حبيب الفقعسي ^(٢) وهذا طبيعي أن يكون القصيم تابعاً لوالي المدينة
حينما كانت المدينة مركزاً مهماً من مراكز الحكم . ثم عندما انتقلت
الخلافة إلى بغداد وقلَّ شأن المدينة المنورة إدارياً في نفوس حكامها أصبح
القصيم تابعاً لليمامة . .

ويدل على ذلك نص أورده الهمداني وسيأتي في رسم الاسياح كما
ستأتي تنمة للكلام على الجهة التي كان يتبعها القصيم في القديم فيما بعد
إن شاء الله تعالى .

(٢) بلاد العرب ص ٣٤٠ وحاشيتها .

(١) بلاد العرب ص ٣٢٧ .

ونعتقد أن القصيمة هي الرمال المنبسطة ذات المراتع التي تبتدىء من جنوب الميلداء وتنتهي عند خبواب (جمع خب) بريدة الشمالية .

وهذا من أدلتنا على ذلك .

قال الأسود بن يعفر يصف مرعى خصباً^(١) .

ولقد غدوت لعازب متناذر أحوى المذاتب ، مونق الرواد^(٢)

جادت سواريه ، فآزر نبتته نفاً من الصفراء والزباد^(٣)

بالجو ، فالامراج حول مرامر^(٤) فبضارج ، فقصيمة الطراد^(٥)

فقرن ذكر القصيمة بذكر الجو الذي لا نشك أنه أحد الجواء الواقعة في ناحية الجواء التي تقع إلى الشمال من المليدا ، في المنطقة الواقعة شمال مدينة بريدة . وبذكر مرامر الذي يسمى الآن القرعاء كما سيأتي في حرف القاف إن شاء الله . وبضارج الذي يسمى الآن . . ضاري بالباء ، في منطقة الشقة . وسيأتي ايضاح لهذا الموضوع في رسمي الضلعة و المليدا .

بل كان القصيم مقصداً لطلاب الاستفادة من علم اللغة ، والأدب ، والاستزادة من الفصاحة من أهله الفصحاء فكان أهله في صدر الإسلام رغم ما كان يعترى باديتهم من شظف العيش ، الذي تخلفه سنوات الحرب في بعض الأحيان ومثلاً علياً للفصاحة والبلاغة يرحل إليهم العلماء من

(١) ياقوت رسم : « مرامر » .

(٢) العازب : البعيد : والمراد به العشب والمتناذر الذي لا يقرب منه الرعاة لأن دورته من عنقه لنفاسه والاحوى : الأخضر الضارب إلى السواد ثم ذكر أن ذلك العشب مونق المنظر للرواد .

(٣) سواريه : السحب الساربه بالمطر ونفاً : قطع متفرقة . والصفراء : عشب تبت

بالقصيم تسميها العامة الآن الصفارى والزباد : نوع من العشب .

(٤) الامراج : جمع مرج وهو النبت المتلف .

البلاد البعيدة كالعراق ويأتون إلى بلادهم (القصيم) يستمعون إلى مايقولون ، ويسجلون ما به ينطقون . ويعتبر الواحد من أولئك العلماء نفسه صاحب حظ عظيم إذا ظفر بشيء من كلامهم : أو استمتع بنظم من نظامهم .

ويكفي للتدليل على ذلك هذه القصة التي سجلها الإمام القالي في «الأمالي» وكان مسرحها منطقة تقع إلى الشمال من مدينة بريدة إذ كان بطلها المنصوص عليه رجلاً من بني الصيذاء . وبنو الصيذاء هم من بني أسد الذين كانوا يسكنون في ضارج (ضاري حالياً) أو الشُّقَّة في الوقت الحاضر كما كان من أبطالها شيخ من أهل الناحية الواقعة إلى مطلع الشمس من بلاد بني الصيذاء وذلك يشير إلى جهة المتينات . أو الوطاة في المنطقة ، الشمالية الشرقية من مدينة بريدة . .

وهذا هو نص القصة كما رواها القالي محدثاً بها عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي الإمام الراوية المشهورة وهو أن الاصمعي قال : إن أبا العباس ابن عمه - وكان من أهل العلم - قال سهرت ليلة من ليالي البادية ، وكنت نازلاً عند رجل من بني الصيذاء من أهل (القصيم) وكان - والله - واسع الرِّحْل ، كريم المَحَلِّ ، فأصبحت وقد عزمت على الرجوع إلى العراق ، فأتيت أبا مشوى^(١) فقلت : إني قد هَلَعْتُ من الغربية ، واشتقت أهلي ، ولم أجِدْ في قدمي هذه^(٢) اليكم كبير علم ، وإنمسا كنت أغتفر وحشة الغربية ، وجفاء البادية للفائدة ، فأظهر توجعاً ، ثم أبرز غداء له ، فتغديت معه ، وأمر بناقة له مَهْرِيَّة كأنها سبيكة لُجَيْن

(١) أبا مشوى : بني مضيئ .

(٢) يرید وقت إضافته إياه .

فارتحلها واكتفلها ، ثم ركب وأردفني ، وأقبلها مطلع الشمس ، فما سرنا
كبير مسير حتى لقينا شيخاً على حمار له جُمَّةٌ قد ثَمَّها ^(١) كالورس
فكانها قُنْبِيظَةً ، وهو يترنم ، فسلم عليه صاحبي ، وسأله عن نسبه ،
فاعتزى أسدياً من بني ثعلبة ، فقال : أئنشدُ أم تقول ؟ فقال : كُلاً ،
فقال : أين تؤمُّ ؟ فأشار إلى ماء قريب من الموضع الذي نحن فيه ،
فأناخ الشيخ وقال لي : خذ بيد عمك فأنزله عن حمارة :

ف فعلت ، فالتى له كساء كان قد اكتفل به ، ثم قال : أنشدنا -
رحمك الله - وتصدق على هذا الغريب بأبيات يعين عنك ، ويذكرك
بهن فقال : أي ها الله إذا : ثم أنشدني :

لقد طال ياسوداء - منك المواعد ودون الجدا المأمول منك الفراقد
إذا أنت أعطيت الغني ، ثم لم تجد

بفضل الغني ألفت مالك حامد
تُمِينِنَا غداً وغيَمِكُمْ غداً ضبابٌ فلا صحو ولا الغيم جائد ^(٢)
وقل غناه عنك مال جمعته إذا صار مبرأثاً ووآراك لا حد
إذا أنت لم تترك بجانبك بعض ما يرب من الأدنى رماك الإبعاد.
إذا الحلم لم يغلب لك الجهل لم تنزل

عليك بروق جمة ورواعد
إذا العزم لم يفرج لك الشك لم تنزل جنياً كما استتلى الجنية قائد
إذا أنت لم تترك طعاماً تحبه ولا مَقْعَدًا ندعى إليه الولائد
تجلت عاراً لا يزال يشبهه سباب الرجال نثرهم والقصاصد

(١) ثَمَّها :

(٢) جائد : من الجود .

وأنشدني أيضاً :

تَعَزَّ قَانَ الصَّبِرَ بِالْحَرِّ أَجْمَلُ وليس على ريب الزمان مَعُولُ
فَلَوْ كَانَ يُغْنِي أَنْ يُرَى الْمَرْءُ جَازِعاً لنازلة ، أو كان يُغْنِي التَّدَلُّ
لَكَانَ التَّعَزِّيَ عِنْدَ كُلِّ مَصِيبَةٍ ونازلة بالحر أولى وَأَجْمَلُ
فَكَيْفَ وَكُلُّ لَيْسَ يَعْدُو حِمَامَهُ وما لأمريء عما قضى الله مَزْحَلُ
فَإِنْ تَكُنَ الْأَيَّامُ فِينَا تَبَدَّلَتْ بيؤس ونعمى والحوادث تفعل
فَمَا لَيْبَتْ مِنَّا قِنَاءَ صَلِيبَةٍ ولا ذللتنا للذي ليس يَجْمَلُ
وَلَكِنْ رَحَلْنَاهَا نُفُوساً كَرِيمَةً تُحْمَلُ مالا يستطاع فتحمل
وَقِينًا بِعِزِّ الصَّبْرِ مِنَّا نَفُوسَنَا فَصَحَّتْ لَنَا الْأَعْرَاضُ وَالنَّاسُ هَزَلُ

قال ابن أخي الأصمعي : قال عمي : ففقت - والله - وقد أنسيت
أهلي ، وهان علي طول الغربة ، وشظف العيش سروراً بما سمعت ، ثم
قال لي : يا بني ، من لم تكن استفادة الأدب أحب إليه من الأهل والمال
لم ينجب^(١) .

أقوال للمتأخرين في منطقة القصيم

قال السيد محمود شكري الأوسى :

من نواحي نجد ناحية القصيم وهي من أحسن نواحيه ، وأهلها من
أشجع أهالي نجد .

وفي القصيم بلدتان مشهورتان وهما عنيزة وبريدة وهما ببلدتان
واسعتان، فيهما نحو خمسة آلاف دار ، وفيها مساجد كثيرة ومدارس
متعددة لطلبة علوم الدين . وفيها نخيل وأشجار متنوعة ومياهها من

(١) الامال ج ١ ص ١٦٧ - ١٦٩ .

الابار . وكان الأمير قبل ابن رشيد رجلا من آل سليم يولي من قبل ابن سعود وهو من أهل بيت قديم من عنيزة من عشيرة سبيع ، وكان أمير بريدة من السديريين^(١) مولى من قبل ابن سعود آمراً على كافة قرى القصيم . وقال :

قرى القصيم :

وقرى القصيم : الأسياح . وعين ابن فهيد وحنيزل ، وأبو الدود^(٢) وقصيبا وغير ذلك . وهذه القرى كلها خصبة كثيرة النخل والبساتين والحدائق والثمار المتنوعة والمياه العذبة . ثم قال :

قرى بريدة :

وقرى بريدة : الشقة والعيون ، والبصة^(٣) والقرعاء ، ووادي عنيزة ، وغير ذلك : وهذه القرى أيضاً كثيرة النخيل والأشجار والثمار والعيون والآبار .

قرى الوادي :

وقرى الوادي^(٤) : الشحيحات ، والهلالية ، واليكبرية^(٥) والخبراء ، والرس وقراه : صبيح والنهبانية . والمذنب^(٦) وقراه ثلاث . هذا هو المشهور من محال القصيم^(٧) .

(١) السديريين : أسرة السديري : وطيمي أنه يتكلم عن زمت قبل حكم الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله .

(٢) الصحيح : (أبا الدود) لأن الكلمة علم لا كنية والاعلام لا تغير بالاعراب .

(٣) في حاشيته : الصواب البصر . وهو صحيح .

(٤) يريد بذلك القرى القريبة من وادي الرمة لآلتي في وسطه أو تابعة له ، ولكن الشحيحات

والهلالية واليكبرية ليست على ضعفه بل هي بميدة عنها .

(٥) صحح هذا اللفظ في الحاشية فقال : الصواب : البكيرية .

(٦) المذنب : ليس قريبا من الوادي بل هو في جنوبي القصيم .

(٧) تاريخ نجد ص ٢٢ - ٢٣ .

وقال الشيخ محمد بن بليهد : القصيم هو بلد عظيم مشهور بهذا الاسم إلى هذا العهد واقع في القطعة الشمالية من نجد ، عامر ، كثير القرى والنخيل والمزارع تبلغ قراه وحجوبه ، والمواقع العامرة منه من حدوده الجنوبية إلى حدوده الشمالية ومن حدوده الغربية إلى حدوده الشرقية ما يبلغ قدره مائتي قرية ، ومدنه : بريدة ، وعنيزة ، وبلد الرس (١) .

وقال أيضاً : أما القصيم فهو مواضع جاهلية لها ذكر في أشعار العرب قبل الإسلام وبعده ، كالنباج الذي يسمى اليوم الاسياح ، وقرى الجواء والقريتين موضع روضة الزغبة اليوم (٢) ، والرس والرسيس والعاقلي ، وأكثر قرى القصيم المذكورة في أشعار العرب وتاريخهم (٣) .

وقال الشريف شرف بن عبد الحسن البركاني أحد أشرف مكة كتابه « الرحلة اليمانية » (٤) : وفي الجهة الشرقية من جهة شمر بميل إلى الجنوب بلاد القصيم وأرضها وأوديتها خصبة ، تنزرع فيها الحبوب على اختلاف أنواعها . وكثير من أصناف الفواكه كالعنب والمان والخوخ والمشمش والتين وخلافه ، والنخيل بكثرة ، ومن الخضر : البطيخ والشمام وغيرها وبوسطها غابات واسعة .

ويقدر عدد أهل القصيم بنحو أربعمئة ألف نفس ، ومن القبائل المشهورة بها . عقيل (٥) بن كلب بن عامر بن صعصعة ، وينتمي نسبها إلى عدنان .

(١) صحيح الأخبار ج ١ ص ١٥١ .

(٢) سيأتي ذكر القريتين في رسمى القرية والعبارة من منجمنا هذا .

(٣) ص ١٥٤ .

(٤) الطبعة الثانية ص ١٥٦ .

(٥) اشتبه عليه اسم «عقيل» الذين يتجرون في المواشي والذين هم من قبائل شتى بقبيلة عقيل بن عامر الذين هم من أقل القبائل في منطقة القصيم .

وأغلب القبائل بهذه الجهة عدنانية : وأهل القصيم بعضهم بدو يسكنون بيوت الشعر ، والبعض يسكن القرى : وعددها يزيد عن خمسين قرية وأشهرها بلدنا بريدة ، وعنيزة . .

ثم قال : ومن رجال القصيم المشهورين بالتجارة الواسعة والغنى الهائل والجاه بين قبائلهم وهم من أعيانها وعليهم المدار : بيت الربادة (الصحيح : الربادي) وكبيرهم : ابراهيم بن محمد الربيدى (الصحيح : الريدي) وأخوه عبده (الصحيح : عبدالله) ثم بيت الرشودي ، وكبيره : فهد و ابراهيم أولاد علي^(١) ثم بيت ابن شريدة ، وكبيرهم : محمد وفهد^(٢) وأخوانهم ، ثم بيت عبد العزيز بن حمود المشيطة^(٣) (الصحيح : المشيخ) وهو وكيل ابن سعود في مدينة بريدة ، والشيخ راشد بن سليمان الرقيبه من أعيان أهل القصيم ، ثم بيت آل بسام من الاعيان أيضاً . وهؤلاء أهل تجارة واسعة في أغلب جزيرة العرب . انتهى كلامه وقد كتبه في حدود ١٣٣٠ هـ .
وقال الشيخ حافظ وهبة :

القصيم : وتقع الوشم في جنوبها الشرقي ، ومنحدرات عتيبة في الجنوب الغربي^(٤) ويحفظها جبل شمر من الغرب والشمال والصحراء الشمالية ،

(١) فهد بن حل الرشودي زعيم بريدة في وقته توفى عام ١٣٦٧ ترجمته في تاريخ ابن عياد ج ٤ ص ٢٧٦ - ٢٨١ .

وتوفى اخوه ابراهيم بن حل الرشودي - رحمه الله - في جمادى الأولى عام ١٣٦٤ هـ .

(٢) هو محمد بن عبدالرحمن بن شريدة مقدم أهال بريدة في زمانه توفى قتيلاً في وقعة جراب

عام ١٣٣٣ هـ .

(٣) عبد العزيز بن حمود بن مشيخ من زعماء بريدة والمقدمين فيها وكان أكثر أهل بريدة

ثروة ومالاً لمدة طويلة توفى عام ١٣٧٢ هـ انظر ترجمته في تاريخ ابن عياد ج ٤ ص ٣٢٥

وما بعدها .

(٤) يريد بذلك أسفل البلاد التي فيها هجر عتيبة وهذا غير دقيق ، لأن الذي يقع في الجنوب

الغربي من القصيم إنما هو بعض البلاد التي فيها هجرته - جمع هجرة - لعتيبة مثل نقي وغربي السر

وما قرب من الصحراء والودادى .

وتبلغ أبعادها نحو تسعين ميلا من الشمال إلى الجنوب . وستين ميلا من الشرق إلى الغرب ^(١) ويطلق على القسم الواقع في الشمال الشرقي القصيم العليا ، وتسرّب المياه إلى آبارها من المرتفعات المحيطة بها ، وبخاصة من جبل شمر . والقصيم ملأى بالقرى الآهلة بالسكان .

ومزارعها كثيرة جدا حتى أنها تشبه حديقة تحيط بها صحراء وتوجد في هذه الواحة المزروعات على اختلاف أصنافها . ويقدر عدد المقيمين فيها بصفة دائمة بمائة وخمسين الف نسمة .

وتقع القصيم في طريق القوافل من مكة إلى بلاد ما بين النهرين ، وسوقها التجارية نافعة ، وتعتبر بلاد القصيم أكثر بلاد العرب الداخلية اتصالا بالعالم الخارجى ، وأهلها من أذكى أهل نجد . وأرقهم طباعا ، وأكرمهم خلقاً ، وأسخاهم يداً ، وأكثرهم أسفاراً للخارج . وأكثر التجار النجديين المعروفين في مصر وسوريا والهند والعراق من أهل القصيم ، وقد شملت النهضة العلمية والصحية القصيم فشيّدت الحكومة المدارس والمستشفيات . كما قامت بها نهضة زراعية واسعة نرجو أن تزدهر وأن تُشجع من الحكومة لتقوم بقسط وفير من حاجة البلاد .

ويبلغ عدد قرى القصيم نحو ٥٠ قرية ، والمدينتان الرئيسيتان للقصيم هما بريدة وعنيزة . وأغلب القرى تعتمد على بريدة ولذا تسمى بأُم القصيم ^(٢) .

وقال في موضع آخر : القصيم واقعة إلى ما بعد المنحدرات في جنوبي جبل شمر ، فالقسم المنخفض ترجع خصوبته إلى المياه الموجودة في باطن

(١) هذا غير صحيح إذ القصيم أوسع من ذلك بكثير كما هو موضع في هذا المعجم .

(٢) جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٦٠ - ٦١ .

الأرض باستمرار . وإلى المياه التي تفيض عليه أحياناً من وسط مجرى وادي الرمة . وتمتد منطقة القصيم في خط يبلغ طوله أكبر من مائة ميل تتخلله بعض السنة النفود فتفصله عن بعضه . وفي هذا الخط تقع أكبر مدينتين تجاريتين في قلب الجزيرة وهما عنيزة وبريدة ، وعدا هاتين للمدينتين يوجد أكثر من خمسين بلدة كبيرة وصغيرة .

والقسم المرتفع غني بمراعيه الواسعة ، ويعتمد على الآبار التي توجد في أكثر من أربعين بلدة . وقد حفرت آبار كثيرة ارتوازية في القصيم سيكون لها أكبر الأثر في مستقبل القصيم الزراعي ^(١) .

وقال الأستاذ : عمر رضا كحالة :

يحد القصيم من الجنوب الشرقي بالوشم ، ومن الجنوب الغربي منحدرات عتية . ويحده جبل شمر من الغرب والشمال ، والصحراء الشمالية .

ويبلغ أبعاده نحو تسعين ميلاً من الشمال إلى الجنوب ، وستين ميلاً من الشرق إلى الغرب ^(٢) .

ويطلق على القسم الواقع في الشمال الشرقي : القصيم العليا ، وتتسرب المياه إلى آباره من المرتفعات المحيطة به ، وخصوصاً من جبل شمر .

جو بلاد القصيم :

الجو في القصيم جاف بارد في الشتاء ، ومعتدل في الصيف ، وليالي القصيم في الصيف كليالي الصحراء : نسيم عليل ، وساء صافية ، ونجوم

(١) جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٢ .

(٢) الظاهر أنه نقل عن الأستاذ حافظ ربه هاتين النقطتين اللتين علقنا عليهما قبل قليل .

تسطع في السماء تلذ رؤيتها للشعراء ، والمولعين بالهدوء الصحراوي
البلديع .

ملحسه :

في القسم الغربي من القصيم ، يوجد ملح بري ، يستعمل للخيل (؟)
ويباع في كثير من البلدان . وأهم أسواقه : بريدة ، وعنيزة .

نباتاته :

مزارع القصيم كثيرة جداً ، حتى أنها تشبه حديقة ، تحيط بها
صحراء . وتوجد في هذه الواحة الزروع على اختلاف أصنافها .

وتكثر الأعشاب في القصيم خلال فصل الربيع ، فيصبح مرعى
جيداً للمواشي : كالإبل ، والبقر ، وخلافهما . وأما في الحقول فيزرع
فيها القمح ، والذرة الصفراء والذرة البيضاء ، والكرسنة (؟) ، وبعض
الأشجار المثمرة ، والقطن الذي يني بحاجات سكان البلاد .

تجارته :

يقع القصيم في طريق القوافل من مكة إلى بلاد ما بين النهرين ،
وسوقه التجارية نافقة ، وتعتبر بلاد القصيم أكثر بلاد العرب الداخلية
اتصالاً بالعالم الخارجي ، فترجل القوافل إلى اليمن بطريق وادي الدواسر
ووادي نجران . لجلب البن الجيد وإرساله إلى الكويت ، والبصرة ،
وبغداد ، وجبل شمر ومكة ، والشام .

سكانه :

يقدر عدد المقيمين فيه بصفة دائمة بسبعين ألف نسمة ويُعدُّ أهل
القصيم من أذكى أهل نجد ، وأرقهم طباعاً وأكرمهم خلقاً ، وأسخامهم
يداً ، وأكثرهم أسفاراً للخارج .

وأكثر التجار النجديين المعروفين في مصر والشام والهند والعراق من أهل القصيم ، ويعدون أغنى أهل نجد جميعاً ، وأكثرهم تحضراً ، وأنشطهم حركة ، وأعرفهم بأساليب التجارة : فيجلبون إلى مصر مثلاً الخيل ، والإبل ، والماشية ، والجلود ، والسمن . ويتعاون الأقمشة ، وشتى أنواع المصنوعات والسلع .

وهذه مقالة عن القصيم كتبها أحد الانكليز قبل سبعين سنة مستوحاة من تقارير الأوروبيين الأوائل الذين زاروا القصيم ونقلها هنا من باب الإطلاع على أقوالهم ، والمقارنة بينها وبين الأقوال الأخرى ، وتسجيل نظرة الأجانب من الأوروبيين إليه في تلك الحقبة من الزمن :

قال المستر لوريمر :

القصيم ، أو وسط نجد . منطقة صغيرة نسبياً ، ولكنها عامرة بالسكان بالنسبة للمناطق المجاورة له . (والقصيم) على درجة كبيرة من الأهمية ، وتقع في قلب شبه الجزيرة العربية . ويبلغ عرضها ثمانين ميلاً تقريباً .

الحدود :

ويحد (القصيم) من جهة الشمال والشمال الغربي حدود ولاية جبل شمر التي تسير بين قرية (كهفة) التابعة لشمر في جانب ، وقرى القوارة والقصيبة^(١) التابعة للقصيم في الجانب الآخر ، وتلتقي حدود القصيم مع منطقة السعير^(٢) وهي جنوب نجد أما من جهة الجنوب الشرقي فيفصلها عن منطقة الوشم صحراء تشمل وادي الصير^(٣) ومن

(١) الصحيح : قصيباء .

(٢) الصحيح : السر .

(٣) الظاهر أن المراد : السر أيضاً مع أن السر ليس وادياً .

جهة الجنوب والغرب فإن القصيم تنتهي بإقليم صخري أو بركاني بعد
الراس بقليل .

الجغرافية الطبيعية :

القصيم منطقة منبسطة وليس بها ميزات ظاهرة ، ويبلغ ارتفاعها عن
سطح البحر نحو ٢٥٠٠ قدم كما يبلغ انخفاضه عن وديان جبل شمر
نحو ١٠٠٠ قدم . ويهبط من كلا حافته مكوناً في وسطه وادي الرماح^(١)
وابتداءً من هذا الانحدار تبدأ حدود القصيم الجنوبية الغربية والشمالية
الشرقية . ومع أن منطقة القصيم بها كثير من القرى إلا أن العدد الأكبر
منها صخري أو رملي أما سطحها من ناحية الثروة فلا قيمة له .
وحيثما توجد الصخور توجد الرمال الصخرية أو الحصى .

أما بالنسبة للمياه فإن سطح الماء الباطني مرتفع بصفة عامة فقد يبلغ
عمق الآبار عشرة قامات أو أكثر ولكن الماء ضارب إلى الملوحة وفي كثير
من الأماكن غير صالح للشرب .

ووادي الرماح^(١) من أهم ما يميز إقليم القصيم من الناحية الطبيعية ،
ولكن من الصعب تحديد اتساعه وذلك لعدم وجود معالم معينة لحوضه
من كلا جانبيه . وجبل ساره^(٢) ذو حافة صخرية منخفضة ، ويبدأ من
المنطقة القريبة من (بريدة) ثم يسير في اتجاه الشمال الغربي بمسافة
ثلاثين ميلاً ، وتوجد قرى الشقة والقرعه^(٣) والعيون والروض على
خلجان تقع على جانبه الجنوبي . ويوجد سهل عظيم يعرف بالفويلك^(٤)
وهو مشهور حتى في وسط الجزيرة باستواء سطحه وعدم وجود تشققات

(٢) الصحيح : « جبل صارة » .

(٤) الصحيح : « الفويلق » .

(١) الصحيح « وادي الرمة » .

(٣) الصحيح : « القرعاء » .

به ويبدأ هذا السهل من الجانب الجنوبي لجبل ساره قريباً من الروض^(١) ويسير ناحية الغرب لمسافة ٢٥ ميلاً ، وعلى أي حال فإن عرضه أقل من طوله .

وتقع عدد من قرى القصيم في تجاويف كبيرة وشهيرة ، حتى أن المياه إذا نزلت فيها تقترب من سطحها ، ومثل هذه التجاويف تمتد لمسافة عدة أميال وتشتمل على قرى القوارة والقصيب^(٢) والعيون ، كما أن الوادي الواقع غربي بريدة قليل الرمال مع أن الصحراء تحيط به ، وعلى طول امتداده توجد زراعات الخب وحويلان والقصيبة لمسافة سبعة أميال ، ومثل هذا الوادي تجويف صريف^(٣) أيضاً الواقع إلى الشمال الشرقي من بريدة ويبلغ طوله خمسة أميال وعرضه ميل واحد مثل وادي الخب^(٤) ويتجه من الشمال إلى الجنوب .

وتوجد صحارى كبيرة تفصل بين الأحواض الزراعية التابعة للقرى وهذه الصحارى تعرف بأسماء معينة ومنها البطين وتمتد لمسافة ٢٥ ميلاً من اللؤلؤ^(٥) حتى القصيبة ، والصحراء الثانية هي طرمص^(٦) وهي أوسع من الصحراء السابقة وتمتد بعرض القصيم بين القصيبة والكهافه^(٧) بطول من الشرق إلى الغرب بقدر بعشرين ميلاً وعرض قدره عشرة أميال

(١) أي روض الجواء الآتي ذكره في حرف الراء وساره : تحريف - صارة - كما تقدم .

(٢) هذا تحريف آخر في رسم « قصيبا » .

(٣) الصحيح « الصريف » بالتحريف .

(٤) ليس هناك وأد للخب وإنما يريد المنخفضات بين الكثبان الرملية فيما يظهر .

(٥) هذا تحريف لكلمة (اثال) .

(٦) الصحيح : الترمس وهو واد حوله صحراء .

(٧) الصحيح : الكهفة .

وتتميز (الترمس) بوجود تجويف عميق في وسطها تقريباً ويعرف بثغب الزراق الذي تظل به مياه الأمطار مابين ثلاثة وأربعة شهور في السنة ويجاوره من الجنوب تل يعرف بتل العنز^(١) ويوجد تجويف مشابه لهذا قليلاً يوجد على بعد عشرة أميال غربي القوارة ويعرف باسم البقرية^(٢) ويحتوي على شجر العبل والكافور^(٣) وتظل به المياه طوال العام .

والقصمان هم أهل القصيم مفردهما قصمي أو قصيمي^(٤) والسكان المستقرون في القصيم يتصفون بالعقل ويتحمل الأعباء والأعمال الشاقة ، وبأنهم من عنصر ذكي ، ولكن الحركة الوهابية غيرت من فطرتهم^(٥) فلم يصبحوا يتمتعون بالسمعة الذائعة من الكرم والخلق الرفيع . وقد كون القصمان فرقة من العمال للعمل في قناة السويس عند بدء حفرها كما أن منهم بعض الفلاحين الذين يعملون مع الأتراك في المقاطعات المجاورة^(٦) وهذه الحقائق تبين مدى نشاطهم وإقدامهم . ويقال : إن متعهد توريد الإبل للحجاج في موسم الحج هو ابن رؤف^(٧) أحد مواطني القصيم .

وتاريخ أهل القصيم ونظامهم يظهران ميلهم الشديد للحرية والمحافظة عليها بين سائر المواطنين والإنطلاق والتحرر من كل قيد ، ولو أن

(١) هي عنز الترمس الآت ذكرها في حرف العين .

(٢) الصحيح (بقرية) بدون « ال » .

(٣) هو قصيمي فقط ولا يقال قصيمي .

(٤) هذا افتراء على الدعوة السلفية التي اسماها الأعداء بالوهابية من باب التشنيع وهي التي

نقلت سكان وسط الجزيرة العربية من حياة النهب والسلب إلى الانقياط وتحكيم الشريعة الإسلامية .

(٥) يريد بذلك البلدان المجاورة كالثمام والعراق .

(٦) تكلت على أسرة (الرواف) في معجم أسر أهل القصيم .

العدد الغالب منهم يعملون بالتجارة والزراعة ، وقد ضربوا مثلاً رائعاً في تخليد بطولتهم وثباتهم في حرب نجد .

والشيء الملفت للنظر في القصيم هو ملابس السيدات الفضفاضة ذات الأكمام الواسعة . وقليلاً ما يخرجون ^(١) إلى الطريق العام . أما ملابس الرجال فانهم يلبسون بصفة عامة الملابس المصنوعة من الصوف والوبر القصير .

المناخ والمحاصيل والثروة الحيوانية :

هواء القصيم غالباً ما يكون ساكناً حاراً مشبعاً بالرطوبة ، ويكون الجو دافئاً ما بين ابريل ويونيو ، والسماء ملبدة بالغيوم والأمطار خفيفة في بعض الأيام .

والمحاصيل الرئيسية هي التمر والشعير والذرة والذرة الصغيرة والقمح وكل من محصولي التمر والحبوب وفيرة وكثيرة . ويأتي محصول الشعير في إبريل . وتزرع أيضاً الفاكهة وتشمل العنب والتين والمان والتارنج والبطيخ والخوخ ، ويزرع كذلك البصل والفجل مع الخضروات كما يزرع البرسيم وحدائق التخييل ، وتعتمد الزراعة في كل الأماكن على الري من الآبار التي تعمل بواسطة الإبل .

والحيوانات الأليفة بها هي الخيول والإبل والحمير والماعز والأغنام وقطعان البقر .

السكان :

توجد نسبة كبيرة من السكان سواء في المدينة أو الإقليم من بني تميم

(١) الصواب : يخرجون .

والقبائل التالية لها في العدد هي : العنزة^(١) وعتيبة وحرب والمطير^(٢) ويوجد أيضاً بعض من قبيلة بني خالد^(٣) .

ومعظم القرى الموجودة في التجاويف مزودة بما يشبه أبراج المراقبة حتى يتبين السكان اقتراب المسافرين نحوهم .

ويوجد من القصمان عدد من الذين يعتنقون العقيدة الوهابية ، وربما يكون هذا العدد أقل من نصفهم بقليل ، وحتى سنة ١٨٧٨ لم تنتشر العقيدة الوهابية خارج منطقة شبه الجزيرة ، ومع أن الوهابيين كانوا على قدر كبير من الخلق والتسامح إلا أن كلمة (وهابي) كانت تشير إلى التعصب والتزمت^(٤) .

ومعظم بدو القصمان من المطير^(٢) ولكن قبيلتي حرب وقحطان أيضاً كانتا تزوران المنطقة ، وقليل من قبيلة شمر يضربون خيامهم في الصيف على حدود المنطقة الشمالية . وطبقاً للمعلومات والبيانات التي أمكن الحصول عليها فإن عدد أهل القصيم يقدر على وجه التقريب بحوالي ٤٥٠٠٠ نسمة ، وإذا أضفنا لهم ٢٠٠٠ من البدو فيكون المجموع الكلي ٤٧٠٠٠ نسمة . أما المساحة الكلية للقصيم فتبلغ على وجه التقريب

(١) الصواب : عنزة دون « ال » .

(٢) الصحيح : مطير دون « ال » .

(٣) هذا الحصر غير صحيح في القصيم سكان ينتمون إلى أكثر القبائل المعروفة مثل سبيع ومنهم امرأه عنيزة والعجمان في الرس وشمر ، إلى جانب نسبة كبيرة من لا يصلون نسبهم بقبيلة معينة .

(٤) هذا يدل على تخبطه في الحكم وتأثره في الرأي بالدعاية السيئة ضد الدعوة السلفية فكأنه حائر بين ما عرفه عن السلفيين من خلق عظيم وتسامح وبين ما سمعه عنهم من عكس ذلك .

٥٠١٠ ميل مربع وكثافة السكان هي بمعدل عشرة أشخاص في الميل المربع الواحد .

الحرف والتجارة : -

الزراعة والتجارة هي قوام المعيشة في الإقليم ، ويعمل ثلث السكان في التجارة ، وقد امتدت العمليات التجارية^(١) في الإبل من القصيم إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة وحائل وبغداد والبصرة والكويت والرياض ويصدر تمر القصيم الجيد إلى جبل شمر ودهن المشبية إلى مكة المكرمة ، وفي بعض الأعوام صدر القمح والتمر إلى المدينة المنورة . وكذلك توجد تجارة هامة في الخيول التي يبيعها البدو إلى الهند عن طريق البصرة أما تجارة الإبل فلا تقل أهمية عن تجارة الخيول . وتزود قبيلة قحطان سوق عنيزة كما تزود قبيلة المطير سوق بريدة بالحيوانات أما سوق عنيزة فيمتاز بوجودها . وكل من عنيزة وبريدة أغنى من حائل .

والربا منتشر في القصيم بين الزراع وحتى البدو بفائدة ١٥ ٪ سنوياً للنقد ٥٠ ٪ بالنسبة للبضاعة سنوياً^(٢) ويأتي إلى القصيم سكان المدن المجاورة للأقتراض^(٣) .

محمد بن ناصر العُبُوي

(للبحث صلة)



(١) كذا الأصل ولعلها ، التجارية ، أو عمليات التجارة .
(٢) يريد بالربا : البيع إلى أجل بزيادة في الثمن مقابل ذلك وهي مسألة التورق المعروفة عند الفقهاء .

(٣) دليل الخليج ج ٥ ص ٢٦٤٦ - ٢٦٥٢ .

زَيْدُ الْخَيْرِ

أبناؤه : مكنف : يكنى زيد الخير أبا مُكْنِفٍ . . فهل لمكنف هذا ذكر في تاريخنا ؟ .

لأتحدث أولاً عن ضبط هذا الاسم . . فهو بضم الميم وكسر النون : مُكْنِفٍ ، كما نقول : مُحْسِنٍ . ومعناه : المُعِينُ (١)

وهو أكبر أبناء زيد الخير (٢) ولذلك كُنِيَ به . . وله من الأبناء عداة : عروة ، وحنظلة ، وحرِيث (٣) ومهلل : وله ابنة واحدة هي منفوسة (٤) .

أسلم مكنف وحسن إسلامه . . وله صحبة (٥)

وقد شهد مع أخيه عروة قتال أهل الردة ، مع خالد بن الوليد . . واشترك في قتال بني أسد حينما ارتدوا مع طليحة الأسدي . وفي ذلك أنشد أبياتاً منها :

ضلوا . . وغرهم طليحةً بالمسني كذباً . . وداعي ربنا لا يكذب

(١) تاج العروس ، مادة : كنف .

(٢) المعارف لابن قتيبة : ترجمته .

(٣) جهمرة انساب العرب ، لابن حزم ص ٤٠٢ ، وقد انفرد عن المراجع الأخرى بذكر (حنظلة) ، أما صاحب الأغانى فقال : إن أبناء ثلاثة وكلهم يقول الشعر وهم : عروة وحرِيث ومهلل ، ولم يذكر مكناً . . مع أن زيد الخير صرح باسمه في شعره كما سياتي وأضاف أبو الفرج قاتلاً : (ومن الناس من ينكر أن يكون له من الولد إلا عروة وحرِيث) .

(٤) ديوان زيد الخيل ، مقدمة جاءه الأستاذ الدكتور (نوري حمودي القيسي) .

(٥) الاصابة ، ترجمة مكنف ، ولكن صاحب الاستيعاب لم يترجم له .

لما رأونا بالفضاء كئائبنا ندعو إلى رب الرسول ونرغب
ولسوا فراراً . . والرماح تؤزهم وبكل وجه وجهوا . . نشرقب ..
فهو إذن صحابي ، محارب شجاع كأبيه . . وهو أيضا شاعر . .
ولم يصل إلينا من أشعاره ما يصح معه الحكم على مدى شاعريته ..
وقد كان يشترك مع أبيه في مواقف انحراب . في بعض الحروب
التي اشترك فيها أبوه ..

وقد وقع أسيراً لبني أسد . . (١)

ومن اشتراكه في المواقع شهوده مع أخيه حريث يوم اليعاميم أو
قارات حوق .

ولأدع الوصف لصحابي جليل من طيء ، هو عدي بن حاتم .. (حاتم
طيء المشهور) قال :

« إنني لواقف يوم اليعاميم ، والناس يقتتلون ، إذ نظرت إلى زيد
الخييل ، قد حصر ابنيه مكنفاً وحريشاً في شعب لامنفلذ له ، وهو يقول :
أي بني . . أبقياً على قومكما ، فإن اليوم يوم التفاني فإن يكن هؤلاء
أعماماً ، فهؤلاء أخوال ..

فقلت : كأنك قد كرت قتال أخوالك ؟ !

فاحمرت عيناه غضباً . . وتناول إلى . . حتى نظرت إلى ماتحته من
سرجه فخفته . . فضربت فرسي وتنحيت عنه . . واشتغل إلي عن ابنيه
فخرجوا كالصقيرين » . . (٢)

(١) ص ٢٢ من الديوان

(٢) الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٣٨٩ في سياق وصف لقاء قبيلة الغوث وجديلة ، وكلاهما
من طيء في يوم اليعاميم ، وقد انتصرت الغوث ، جماعة يزيد الخليلر وبلحات جديلة إلى ديار كلب ،
ودخلوا معهم في حلف وأقاموا بينهم .

ويهمنا أن نعرف من هذا النص ، أن مكنفاً كان يوم اليعمامين ،
ففي مقاتلاً وكذلك أخوه (حريث) ، وأن أباهما كان يحول بينهما
وبين القتال ، لثلا يتفانى الطرفان المتقاتلان ، مع ما بينهما من قرابة
وصهر . . وأنه كان يود أن يجنبهما قطيعة الرحم ، ناظراً للمستقبل . .
على أنهما حيناً وجدا الفرصة متاحة باشتغال أبيهما بأمر عدي ، وما أثار
من جدال ، انطلقا كالصقيرين . . ليشاركوا في الحرب ! .

وقد اشترك مكنف في الفتوحات الإسلامية وهو الذي فتح الري ،
وأبو حمّاد الراوية من سببه ^(١) ، ولذلك اعتد حمّاد موله ^(٢)

وقد ذكر زيد الخير ابنه مكنفا في أكثر من موضع من شعره ،
من ذلك قوله يتمدح بفرس من أفراسه ، ويقول : إنه يسويه في المعاملة
بمكنف ، خاصة في ليالي الشتاء التي يشتد فيها البرد القارس ، وتشتد
الحاجة إلى الغذاء الجيد ، والتدفئة الجيدة :

اسويه بمكنف إذ شتونا وأثره على جـل العيال ^(٣)
ويقول في موضع آخر معتزاً ببطولته . وبكنيته :

بني عامر هل تعرفون إذا غدا

أبو مكنف ، قد شدّ عقد الدواير؟ ^(٤)

حريث :

لعله ثاني أبناء زيد الخير . . على أن هذا ليس مؤكداً على أية حال . .
ولكننا نجد اسمه كثيراً ما يقترن مع اسم مكنف الابن الأكبر . . وذلك

(١) تاج العروس مادة كنف .

(٢) أسد الغابة : ترجمة مكنف بن زيد . وابن قتيبة في المعارف ص ٣٣٣ .

(٣) الديوان ص ٨٩ .

(٤) الديوان ص ٥٨ .

على النحو الذي مرّ بنا في ترجمة الأخير ، فقد ورد اسمه معه في أكثر من معركة . . مما يرجح تقاربهما في السن . . ويسعنا أن نستعيد وصف عدي بن حاتم ، رضي الله عنه . . الذي مرّ قريباً ، حيث نعتهما :
[كالصقيرين . .]

وحرث ؛ كما هو معلوم ، تصغير حارث وقد يرد اسمه هكذا أحياناً . . (١)

وكما كان (حرث) رجل حرب ، فقد كان أيضاً شاعراً . . وله أبيات متفرقة في المصادر . .

وحرث بن زيد صحابي ، أسلم وصحب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وشهد حروب الردة ، مع أخيه مكنف . . (٢) وله فيها اشعار .. وقد وقعت منه حادثة على عهد خلافة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه . .

فقد أرسل الخليفة عمر رجلاً من قريش : هو أبو سفيان الفهري ، يقرئ أهل البادية القرآن ، فمن لم يقرأ شيئاً عاقبه ، وكان من أمره ، أنه حينما نزل في محلة بني نبهان قوم زيد الخير ، طلب إلى أوس بن خالد بن زيد الطائي ، وهو ابن عم حرث ، أن يقرأ شيئاً من القرآن فلم يقرأ ، فضربه أبو سفيان أسواطاً مات منها . . فأخذت أمه تندبه .. فأقبل حرث مستفسراً عن الخبر . . فلما أعلمته ، شدّ على أبي سفيان الفهري فقتله ! وقال في ذلك شعراً :

(١) الإصابة لرجمة مكنف .

(٢) الإصابة : وأسد الغابة . ترجمة مكنف بن زيد ولم يترجم له صاحب (الاستيعاب) .

ألا بكر الناعي بأوس بن خالد
 أخي الشتوة الغبراء والزمن المحل (١)
 فلا تجزعي يا أم أوس فانه
 يلاقي المنايا كل حافٍ وذئ نعل
 فإن تقتلوا بالغدر أوساً فإني
 قتلت أبا سفيان ، ملتزم الرحل
 ولولا الأسي ماعشت في الناس بعده
 ولسكن إذا ماشئت جاؤيني مثلي
 أصبنا به من خيرة القوم سبعة
 كراماً ، ولم نأكل به حشف النخل (٢)

وقد خشى حريث من عقوبة الخليفة الصارم عمر بن الخطاب ،
 فهرب ، والتحق بأرض الروم . . ومات هناك . . ويبدو أنه قد ارتد ،
 فإن ابن حزم ، حينما أورد قصته موجزة في « جمهرة الانساب » أرفها
 بقوله (لعنه الله) . . (٣)

عروة :

ويتردد في تراجم زيد الخير. ذكر اسم ابنه (عروة) بن زيد الخليل، وهو أيضاً

(١) أي المعين الكريم في ليال الشتاء القاسية . وفي زمن المحل . . ومثل هذه الظروف محك الرجل الكريم .

(٢) الأبيات مجموعة من الإصابة - ترجمة أوس بن خالد ، ومن الأغاني ترجمة زيد الخليل . .
 ويدل النص في البيت الأخير أن حريثاً قتل سبعة لا شخصاً واحداً . . كما أن الأبيات وردت في
 (الشعر والشعراء) في ترجمة زيد الخليل مع شيء من الاختلاف ، ومنها هذا البيت الأخير ،
 فروايته به هكذا :

قتلنا بقتلنا من القوم عسبة كراماً ، ولم نأكل بهم حشف النخل
 وهذا يدل على أن هناك ممركة . . وقع فيها صرعى من الجانيين . .

(٣) ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

من الأبطال الشجعان ، شاعر أثر عنه بعض الشعر . . بل أن صاحب كتاب « الأغاني » يقول : إن له أشعاراً كثيرة^(١) وربما كان صحابياً^(٢) ، وقد شهد بعض حروب أبيه في الجاهلية . . وقد سأله ابنته ليلى ، بعد أن استنشدته قول أبيه :

بني عامر هل تعرفون إذا غداً أباً مكنف قد شد عقده الدوائر

إلى آخر الأبيات : هل شهدت هذه الغزاة مع أبيك ؟ قال :
نعم ! قالت : ابن كم كنت ؟ قال : غلاماً . .^(٣)

وكان عروة من أبطال الفتوحات الإسلامية ، وقد شهد وقعة القادسية وحسن فيها بلاؤه ، وقال : يذكر موقفه في هذه الوقعة وماقبلها من فتوحات فارس :

برزت لأهل القادسية معلماً	وما كل من يغشى الكريمة يعلم
ويوم بأكناف النخيلة قبلها	شهدت فلم أبرح أدنى وأكلم
وأقصت منهم فارساً بعد فارس	وما كل من يلقي الفوارس يسلم
ونجاني الله الأجل وجسرتي	وسيف لأطراف المرازب مخنم
وأيقنت يوم الديلميين اني	متى ينصرف وجهي عن القوم يهزموا
فما رمت حتى مزقوا برماحهم	ثيابي ، وحتى بلّ أحمصي الدم
محافظة . . إني امرؤ ذو حفيظة	إذا لم أجد مستأخراً أتقدم

(١) الأغاني : ترجمة زيد الخيل .

(٢) يقول صاحب الإصابة في ترجمته : (الظاهر أنه اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم) فهو

لم يحزم .

(٣) الإصابة ترجمة عروة .

والنص من الأغاني ترجمة زيد الخيل .

وشهد مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه موقعة صفين ، وعاش
إلى عهد معاوية ، ويقول أبو الفرج في « الأغاني » : إنه أراد على البراءة
من علي ، فامتنع عليه . وقال :

يحاولني معاوية بن حرب وليس إلى الذي يهوي سبيل
على جَحْدِي أبا حسن عليا وحظي من أبي حسن جليل^(١)

ويتردد ذكر عروة بن زيد الخيل في أكثر من موطن في الفتوحات
الإسلامية ، في بلاد فارس . . .

من ذلك . . . أنه قاتل يوم قس الناطف (موقعة الجسر) قتالاً شديداً
عدل فيه بقتال جماعة . . .^(٢) وكتب قائد الجيش (المثنى بن حارثة)
بذلك إلى الخليفة عمر بن الخطاب ، وجعل رسوله إليه عروة بن زيد ،
فكان أن حمل تفاصيل الموقعة إلى الخليفة .

وبعدها . . . كتب عمر رضي الله ، إلى عامله بالكوفة وهو (عمار بن
ياسر) ، بعد شهرين من موقعة (نهاوند) يأمره بأن يبعث عروة بن زيد
الخيل الطائي ، إلى (الري) ودستبب^١ في ثمانية آلاف ، ففعل . . . فسار
عروة إلى ما هناك ، فجمعت له الديلم ، وأمدهم أهل (الري) فقاتلوه ،

(١) الأغاني : ترجمة زيد الخيل .

(٢) البلاذري (فتوح البلدان) تحقيق د . صلاح الدين المنجد ص ٣٠٨ .

وجاء في تاريخ خليفة بن خياط بتحقيق اكرم ضياء العمرى الطبعة الأولى سنة ١٣٨٦ هـ -
١٩٦٧ م مطبعة الآداب في النجف ، في أحداث سنة ثلاث عشرة ج ١ ص ٩٢ ، أن عروة من
حسب الناس يوم قس الناطف (الجسر) .

أما عن اسم المخبر الذي أرسله المثنى بن حارثة بنجر الموقعة إلى عمر بن الخطاب بالمدينة فهو عند
الطبري عبد الله بن زيد بن الحصين المظني ، يراجع خبر الواقعة لديه .

فاظهره الله عليهم^(١) ، فقتلهم واجتاحهم . . ثم خلف (حنظلة به زيد)
 أخاه وقدم على عمّار ، فسأله أن يوجهه إلى عمر ، وذلك أنه كان القادم
 عليه بخبر يوم الجسر . . فأحب أن يأتيه هذه المرة بما يسره . . فلما
 رآه عمر قال : (إنا لله وإنا إليه راجعون) ! فقال عروة : بل احمد
 الله . . فقد نصرنا واطهرنا ، وحدثه بحديث النصر . فقال هلاً أقمت
 وأرسلت ؟ ! قال عروة : قد استخلفت أخي . . وأحبيت أن آتيك
 بنفسي . . فسماه عمر : البشير^(٢) .

ومن سياق هذه القصة نعلم أن عمر بن الخطاب ، خشي حينما
 أبصر عروة ، أن يكون قد حمل إليه نبأ سيئاً ، كالذي فعل في خبر
 هزيمة يوم الجسر ، فسارع عروة فطمأنه . . بل لقد تعمد عروة أن
 يحمل البشرى هو ، ليزيل بنفسه من نفس عمر أثر الخبر السيء الذي
 حمله من قبل .

ونجد أيضاً في فتوح العراق ، أنه حينما بعث عمر رضي الله عنه
 أبا عبيد بن مسعود الثقفي ، دخل أبو عبيد (باروسا) فصالحه ابن
 الأندلس عن كل رأس أربعة دراهم ، وبعث أبو عبيد ، المثني ابن حارثة
 إلى زند ورد ، فحاربوه فقتل وسبي ، وبعث عاصم بن عمر الاسيدي إلى
 نهر جوبر ، وعروة بن زيد النخيل إلى الزوابي فصالحوه على ماصالح باروسا^(٣) .
 ونجد أيضاً من أخباره في موقعة (البويب) في فارس أن رجلاً من

(١) تختلف روايات المصادر في موقعة الري فبعضها تجعل بطلها عروة وبعضها تجعله مكناً أخاه ،
 وبعضها تجعله مهلهلاً كما سيأتي .

(٢) البلاذري : ص ٣٨٩ وفي هذا مصداق لاشارته في شعره إلى يوم الدليلين .

(٣) تاريخ خليفة بن الحياط . في أحداث سنة ثلاث عشرة ج ١ ص ٩٢ .

شجعان المسلمين استبسوا في هذه الموقعة ، إستبسلاً كبيراً ، حتى لقد أحصى مائة مقاتل من العرب ، قتل كل واحد منهم عشرة في المعركة ، حتى لقد سمي يوم (البويب) يوم الأعشار ، وكان عروة بن الزبير من أصحاب التسعة ، أي أنه قتل يومها تسعة اشخاص (١)

حنظلة :

وكما مرّ بنا ، فإن اسم حنظلة بن زيد الخيل يرد في بعض أخبار أخيه عروة في فتح فارس . . وان عروة يثق به ويعتمد عليه فيستخلفه كلما غاب عن المراكز القيادية التي كان يتولاها . . فهو - إذن - قد اشترك في هذه الفتوحات . . ولكننا لانجد أخباراً مفصلة عنه . . بل ان كتب التراجم والانساب ، لانكاد تذكر اسمه . . ولا يكاد يتفطن أحد من مؤلفيها إلى ورود اسمه في الفتوحات ، عدا ابن حزم في كتابه « جمهرة الانساب » الذي فطن إلى هذه الحقيقة فسجلها (٢)

ويبدو أن حنظلة كان أصغر أبناء زيد الخير . على أننا نجد ذكر حنظلة ينفرد عن أخبار عروة ، في فتح (ابر) ببلاد فارس ، حينما ولي المغيرة بن شعبة ، عامل عمر بن الخطاب على الكوفة بعد عمار بن ياسر ، البراء بن عازب ، قزوين ، وأمره أن يسير إليها ، فان فتحها الله على يده غزا الديلم منها ، فسار البراء ومعه حنظلة بن زيد الخيل حتى أتى أبر ، فقام على حصنها فقاتلوه ثم طلبوا الأمان فأمّتهم .. (٣)

(١) الطبري - موقعة البويب . أحداث سنة ١٣ هـ ومثل ذلك في « الكامل » لابن الأثير .

(٢) ص ٤٠٢ .

(٣) ص ٢٩٤ من فتوح البلدان للبلاذري .

مهلهل بن زيد الخليل :

يذكر صاحب كتاب « الاغاني » اسم مهلهل ضمن أبنائه زيد الخير ، في أخباره . . ولكنه لا يذكر شيئاً من التفاصيل عنه . . إلا أنه يورد اسمه أول الابناء حتى لتحسبه أكبرهم . . ولكنه لا يذكر (مكتفا) الذي يكنى به زيد . . وبالرغم من أن زيداً نفسه ينص في شعره على تكتيته به . . كما تدل نصوصه على اعتزازه بهذا الابن . . وقد جرت الإشارة إلى ذلك .

وإذا ذهبنا نستقرئ المصادر الأخرى التماساً لأخبار مهلهل لانجد شيئاً ينبئنا . . اللهم إلا ما يرد في حروب الردة ، وانحياز بعض القبائل في نجد إلى طليحة بن خويلد ، الذي ادعى النبوة . . فانا نجد أن مهلهل بن زيد ، بعد أن أعلن طليحة نفسه نبياً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل إليه ، بعد استفحال أمره . . عقب موت رسول الله صلى الله عليه وسلم : بأن معي حد الغوث (بطن من طيء) فان دهمكم أمر فنحن بالأكتاف بحيال فيد (١) . .

ومعنى ذلك أن مهلهل بن زيد كان على رأس قومه ، إليه أمرهم . . وأنه كان مع المرتدين . . ولكن مما يسترعي النظر في هذا النص ، أننا لا نجد ما يدل صراحة على أن المعنى هو مهلهل بن زيد الخير . . اللهم إلا الظن بأنه هو بقرينين : أنه رأس الغوث ، وهم قوم زيد . وأبوه كان رأسهم . . وأنه كان يعسكر في فيد ديار أبيه . .

(١) تاريخ الطبري - أخبار سنة ١١ - ج ٢ ص ٤٨٦ طبعة مصطفى محمد ١٣٥٧ هـ -

ثم نجد أيضاً ذكر مهلهل بن زيد الطائي ، في فتح همدان بفارس . . والاسم هنا لا يخصص . . إلا أن يقول (الطائي) . . فلا نعرف أهو ابن زيد الخير أو غيره^(١) . فإذا صح أنه ابن زيد الخير ، فإننا نستبشرُ هنا ، بأنه أسلم وقاتل في صفوف المسلمين . .

ثم لانجد ما نصيفه بعد ذلك . . إلى هذين الخبيرين . . على ما فيها من ابهام . .

أما الابنة الوحيدة التي حفظ لنا التاريخ اسمها وهي منفوسة^(٢) فقد تزوجت من قيس بن عاصم ، ولها منه ابن اسمه حكيم ، وهي أيضاً شاعرة . . نقول في رجز : تدلل به ابنتها :

اشبه أخي أو اشبهن أباكا
أما أبي . . فلن تنال ذاكا
تقصر . . ان تناله . . يداكا

قالت ذلك ترد على رجز زوجها الذي قال :

اشبه أبا أمك . . أو اشبه عمل . .
ولا تكونن كعلوف . . وكل
يصبح في مضمجعه قد انجدل
وارق إلى الخيرات زنا في الجبل^(٣)

الرياض : عبّ العزيز الرفاعي

(١) تاريخ الطبري : فتح همدان .

(٢) ديوان زيد الخيل ، مقدمة جامعه الأستاذ الباحث الدكتور (نوري حمودي القيسي) ،
ولسان العرب مادة وكل .

(٣) لسان العرب مادة (وكل) .

الفتح الإسلامي

مفهومه وانطلاقه من الجزيرة العربية

أبى بكر الصديق

تعتبر حركة الفتح للدعوة الإسلامية حركة نمو أصلية في حياة هذه الدعوة وتبدو هذه الاصلالة من حيث اعتبارها مؤشراً يدل على وضع الدعوة إيجابياً أو سلبياً زيادة أو نقصاناً ولذلك لا يمكن الفصل والتفريق بين الدعوة والفتح واعتبارهما شيئين مختلفين لا رابط بينهما إلا إذا جعلنا نمو الجسم شيئاً لا صلة له بالجسم مطلقاً وإذا فقد الكائن القدرة على النمو فان ذلك يعني النهاية لهذا الكائن وهو الحال نفسه بالنسبة للدعوة الإسلامية وأية دعوة أخرى إذا فقدت خاصية النمو عندها أصبحت في حالة احتضار .

بدأت حركة الفتح في حياة الدعوة الإسلامية منذ أن قامت الدولة الإسلامية على أرض المدينة المنورة وقد كان اهتمام المؤرخين الأسلاف بتسجيل أحداث الفتح اهتمامهم بالدعوة نفسها وإن من يطالع كتاب «تاريخ الرسل والملوك» لأبى جعفر محمد بن جرير الطبري على سبيل المثال ليلمس هذه الظاهرة بيسر ووضوح ، بل نجد مؤرخين آخرين أفرودامؤلفات خاصة لحركة الفتح مثل كتاب «فتوح البلدان» للبلاذرى وكتاب «فتوح مصر» لابن عبد الحكيم وما ذلك إلا لأهمية حركة الفتح وصلة الفتح بالدعوة الإسلامية ذاتها وإذا جاوزنا ميدان التاريخ نجد كثيراً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تتحدث عن الفتح

والقتال كما صنف الفقهاء أبواباً له وخصوه بالتفصيل والبيان وأفردوا له الأحكام كما في كتاب « الأم » لمحمد ابن إدريس الشافعي وكتاب « الأحكام السلطانية » للماوردي وكتاب « الأموال » لأبي عبيد القاسم ابن سلام و « السير الكبير » لمحمد ابن الحسن الشيباني وغيرها كثير . وتعرض لحركة الفتح في العصر الحديث كتاب مختلفون في الأهواء والميول والمشارب والمذاهب ينتمون إلى ثقافات وجنسيات متعددة فتشفي موضوع الفتح ما غشيه من الأقوال والآراء كانت في غالبها نبينا غريباً وبيئتي هذا البحث ليتناول حركة الفتح أيام أبي بكر الصديق في انطلاقتها خارج الجزيرة العربية إلى البلدان المجاورة وقد اقتضى ذلك تناول الجوانب التالية .:

١- مفهوم الفتح .

٢- صاحب المبادأة في مد حركة الفتح خارج الجزيرة .

٣- أسباب مد حركة الفتح .

والذي جعل الاهتمام بهذه الجوانب دون غيرها من جوانب الفتح ان هذه الجوانب تتعارض بعضها مع بعض في إعطاء صورة قريبة لذاتية الفتح ورسم واقع انطلاقه من جزيرة العرب .

١ - مفهوم الفتح :

جاءت « فتح » في اللغة لعدة معان منها :

الفتح بمعنى نقيض الاغلاق ، والفتح بمعنى الماء الجاري على وجه الأرض ، والفتح بمعنى النصر ، والفتح بمعنى الحكم بين الخصمين ، وفاتحة الشيء بمعنى أوله ومجازاً جاء الفتح بمعنى أول مطر الوسمي وقيل أول المطر مطلقاً ومن المجاز أيضاً الفتح بمعنى فتح دار الحرب^(١)

كما وردت «فتح» في القرآن الكريم في آيات من آيات العهد
المكي والعهد المدني.

آيات العهد المكي :

نجد لفظ «فتحنا»

في قوله تعالى: «فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء»^(١)

وفي قوله تعالى: «ولو فتحنا عليهم باباً من السماء»^(٢)

وفي قوله تعالى: «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم

بركات من السماء والأرض»^(٣)

وفي قوله تعالى: «حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد إذا

هم فيه مبلسون»^(٤)

وفي قوله تعالى: «ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر»^(٥)

ونجد لفظ «فتحوا»

في قوله تعالى: «ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم»^(٦)

ونجد لفظ «يفتح»

في قوله تعالى: «ما يفتح الله للناس من رحمة»^(٧)

ونجد لفظ «فتحت»

في قوله تعالى: «وفتحت السماء فكانت أبواباً»^(٨)

وفي قوله تعالى: «... حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها»^(٩)

وفي قوله تعالى: «حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج»^(١٠)

وورد لفظ «فتح»

في قوله تعالى: «إن الذين كذبوا... لا تفتح لهم أبواب السماء»^(١١)

وورد لفظ «مفتحة»

في قوله تعالى: «جنات عدن مفتحة لهم الأبواب»^(١٢)

وإذا لاحظنا اللفظ حينما جاء في هذه الآيات السابقة نجد بالمعنى
الدال على نقيض الإغلاق .

كما ورد لفظ « افتح » و « الفاتحين »

في قوله تعالى : « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت
خير الفاتحين »^(١٤)

وورد لفظ « افتح » و « افتحا »

في قوله تعالى : « فافتح بيني وبينهم فتحا »^(١٥)

وورد لفظ « يفتح » و « الفتح »

في قوله تعالى : « بل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو
الفتاح العليم »^(١٦)

وورد لفظ « الفتح »

في قوله تعالى : « ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين »^(١٧)

أما المعنى الذي ورد به اللفظ في هذه الآيات فهو : لحكم بين
الخصمين .

وورد اللفظ « استفتحوا »

في قوله تعالى : « واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ، من ورائه
جهنم ويسق من ماء صديد »^(١٨)

وتعني « استفتحوا » استنصروا .

وورد لفظ « مفاتيح » .

في قوله تعالى : « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في
لبر والبحر »^(١٩)

وفي قوله تعالى : « ... وآتيناها من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء
بالعصبة أولى القوة » (٢٠)

وتأتى مفاتيح في هاتين الآيتين بمعنى خزائن

ويمكن القول بأن لفظ « فتح » وحيشما ورد في آيات العهد المكّي
لا يتجاوز المعاني الآتفة الذكر وهي كما يظهر من مواقعها في الآيات
الواردة فيها معاني تتصل بموضوع العقيدة . أما إذا تجاوزنا آيات العهد
المكّي إلى آيات العهد المدني نجد أمام لفظ « فتح » أفقاً جديداً
لا نعهده في العهد المكّي ينسجم مع واقع المرحلة التي بلغتھا الدعوة
الإسلامية والذي يتمثل بظهور الإسلام وانتشاره .

آيات العهد المدني :

ورد لفظ « فتح »

في قوله تعالى : « الذين يترصبون بكم فإن كان لكم فتح من
الله » (٢١)

وفي قوله تعالى : « ... فعسى الله أن يأتي بالفتح » (٢٢)

وتعني « فتح » في هذه الآيات « النصر »

كما ورد لفظ « فتح »

في قوله تعالى : « انا فتحنا لك فتحاً مبيناً » (٢٣)

وتعني فتح في هذه الآية النصر الذي أوتيه الرسول صلى الله عليه وسلم
على أعدائه في صلح الحديبية وأفضى إلى إظهار دين الإسلام .

كما ورد لفظ « فتح »

في قوله تعالى : « لقد رضي الله عن المؤمنين ... وأثابهم فتحاً
قريباً » (٢٤)

وفي قوله تعالى : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا . . . فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً » (٢٥)

وفي قوله تعالى : « وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين » (٢٦)

وتعني « فتح » في هذه الآيات النصر الذي ارتبط بفتح مكة رأس دار الشرك والذي طالما انتظره المسلمون وبشروا به وجعل حداً فاصلاً وشارة مميزة بين فترتين هما ما قبل الفتح وما بعد الفتح ويدل على ذلك .

قوله تعالى : « لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا » . (٢٧)
وورد لفظ « فتح » .

في قوله تعالى : « إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا » . (٢٨)

ونجد « فتح » في هذه الآية تعني فتح مكة ذلك الفتح الذي جاء نصراً ، وترتب عليه دخول الناس في الإسلام أفواجا من أهل مكة ثم من أهل الجزيرة وانتقلهم من حال الشرك إلى حال الإيمان وما اقتضاه هذا الحال من تحول بلادهم من دار شرك إلى دار إسلام . نخلص من هذا أن « الفتح » أصبح يعني فتح دار الشرك والكفر ودخولها في دائرة الإسلام وهذا المعنى تؤكد الآيات في العهد المدني وهو عهد انتشار الدعوة الإسلامية وظهورها على ما سواها من العقائد والأنظمة في الجزيرة العربية ولم يعد الفتح يقتصر على النصر والغلب الذي يحققه المنتصر على خصمه في ساحة المعركة ، بل صار يعني شيئاً أكبر من ذلك بكثير لقد

صار للفتح مفهوم جديد اكتسبه من واقع الدعوة الإسلامية يقتضي تجاوز الفتح دائرة النصر في ساحة المعركة إلى دائرة التغيير في حياة الفرد والجماعة والبلد في العقيدة والنظام أحدهما أو كلاهما وأصبح فتح البلد من بلاد الكفر يعني تحول هذا البلد من دار كفر إلى دار إسلام تقام فيه أحكام الله وشريعته .

٢ - صاحب المبادأة :

بدأ الفتح بمفهومه الجديد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم إذ لم تنته حياته عليه السلام حتى كانت الجزيرة العربية دار إسلام فلما انتقل إلى الرفيق الأعلى انتقضت الجزيرة في كثير من أجزائها وارتدت إلا أنها فتحت ثانية بعد وفاة الرسول مباشرة، وأعيدت إلى حظيرة الإسلام في خلافة أبي بكر رضى الله عنه فهل ظل الفتح بعد ذلك حبيس حدود الجزيرة العربية ؟

والجواب بالنفي إذ أن الفتح تحرك خارج حدود الجزيرة العربية وكان تحركه خارجها مدعاة لعدد من التساؤلات، نقتصر على اثنين منها الأول: يدور حول صاحب المبادأة في حركة الفتح والثاني: يدور حول أسباب حركة الفتح.

أما بالنسبة لصاحب المبادأة في حركة الفتح فإن الروايات التاريخية تختلف في ذلك بين رجلين هما أبو بكر الصديق والمثنى بن حارثة الشيباني وذلك عند الحديث عن حركة الفتح في الميدان الفارسي فيذكر أبو حنيفة الدينوري في كتاب «الأخبار الطوال»^(٢٨) أنه لما أفضى الملك إلى بوران بنت كسرى شاع في أطراف الأرضين أنه لا ملك لأرض فارس وإنما يلوذون بباب امرأة، لذلك تجرأ رجلان من

بكر بن وائل لإحدهما المثنى بن حارثة الشيباني والآخر سويد بن قطبة العجلي فأقبلا حتى نزلا قيعن جمعا بتخوم أرض العجم يغيران على الدهاقين فيأخذان ما قدرا عليه، فإذا طلبا امعنا في البر، فلا يتبعهما أحد وذلك في خلافة أبي بكر فكتب المثنى بن حارثة إلى أبي بكر يعلمه ضراوته بفارس ويعرفه وهنهم ويسأله أن يمدّه بجيش فلما انتهى كتابه إلى أبي بكر كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد أن يسير إلى الحيرة فيحارب فارس .

كما يذكر الطبري^(٢٩) في «تاريخ الرسل والملوك» عن رجل من بكر ابن وائل أن المثنى بن حارثة الشيباني سار حتى قدم على أبي بكر فقال: أمرني على من قبلي من قومي أقاتل من يليني من أهل فارس وأكفيك ناحيتي. ففعل ذلك فأقبل المثنى فجمع قومه وأخذ يغير على أرض فارس .

يعتبر المثنى بن حارثة الشيباني حسب هاتين الروايتين صاحب المبادأة فهو الذي فاتح أبا بكر في موضوع حركة الفتح خارج الجزيرة وبث فيه الجرأة على حرب الفرس .

وبالإضافة إلى هذا فإن الروايتين تعطيان حركة الفتح بُعدًا آخر يتمثل بصفيتين: أولهما أن حركة الفتح جاءت امتدادًا لعمليات الغزو الذي اعتادت القبائل العربية أن تشنه على جيرانها للسلب والنهب وثانيهما أن حركة الفتح جاءت فلتة من غير تدبير اندفعت الدولة فيها وراء حماس رجل مغامر كالمثنى بن حارثة الشيباني .

فما نصيب هاتين الروايتين من الصحة ؟

هناك روايات تاريخية أخرى تدور حول موضوع صاحب المبادأة وهي :

١ - رواية الشعبي وتذكر أن أبا بكر كتب إلى خالد بن الوليد يقول له : إن الله فتح عليك فعارق حتى تلقى عياضاً . وكتب إلى عياض : أن سر حتى تدخل العراق من أعلاها وعارق حتى تلقى خالداً^(٣٠) .

٢ - رواية المغيرة بن عتيبة وتذكر أن أبا بكر كتب إلى خالد ابن الوليد أن يدخل العراق من أسفلها . وكتب إلى عياض أن يدخل العراق من أعلاها^(٣١) .

٣ - رواية صالح بن كيسان وتذكر أن أبا بكر كتب إلى خالد ابن الوليد حين فرغ من أهل اليمامة أن يسير إلى العراق^(٣٢) .

٤ - رواية البراء بن عازب ورواية سعيد بن المسيب وهما يوردان متناً واحداً مؤداه : أن أبا بكر كتب إلى خالد بن الوليد حين فرغ من أهل اليمامة أن يسير إلى العراق^(٣٣) .

وهذه الروايات الخمس تذكر أن أبا بكر صاحب المبادأة في إعلان الحرب على الإمبراطورية الفارسية فأي الروايات أجدر بالثقة الروايتان أم الروايات الخمس ؟ .

بالنسبة للروايتين الاثنتين فإن إحداهما مجهولة الراوي وأما الثانية فراويها رجل من بكر بن وائل واسمه غير معروف ، غير أنه من قبيلة المثني بن حارثة وسياق الروايتين يرجح اعتبارهما من مصدر واحد ولكن ارتباط الراوي والمثني بن حارثة بعصبية واحدة^(٣٤) يجعل الشك يتطرق إلى هذه الرواية ، إذ أنه ليس أعظم فخراً ولا أعلى شأنًا ولا أرفع شرفاً من أن ينسب إعلان حرب مظفرة على الأسد الفارسي إلى بني بكر بن وائل آل المثني بن حارثة أما بالنسبة للروايات الخمس فرواتها هم :

١ - الشعبي وهو عامر الشعبي قاضي الكوفة في خلافة عمر بن عبد العزيز كان تابعياً وفتياً عالماً فاضلاً ثقة يضرب المثل بحفظه (٣٥)

٢ - صالح بن كيسان وهو مولى أبي قتادة الأنصاري تابعي وأحد فقهاء المدينة الذين جمعوا بين الحديث والفقه ، وكان مؤدب أبناء عمر بن عبد العزيز (٣٦) .

٣ - المغيرة بن عتبة كان فتيماً وعمل قاضياً لأهل الكوفة (٣٧) .

٤ - سعيد بن المسيب القرشي كان أبوه وجده صحابييين وسعيد إمام التابعين وفتية الفقهاء، وأعلم أهل عصره بحلال الله وحرامه ويقول ابن حنبل فيه : ثقة من أهل الخير .

« وكان أحد فقهاء المدينة المشهورين وكان لا يأخذ عطاءً، يعيش من التجارة » (٣٨) .

٥ - البراء بن عازب الأنصاري صحابي كان يقف على أصابع رجله ليختاره الرسول في الخروج يوم بدر ولكن الرسول رده لصغر سنه وغزا بعدها مع الرسول أربع عشرة غزوة ونزل الكوفة بعد ذلك ينطلق مع المجاهدين إلى الجبهة الشرقية في الكوفة (٣٩) .

فهذه حال الرواة الذين يقولون : إنَّ أبا بكر هو الذي أعلن الحرب على فارس ووجه خالد بن الوليد إلى العراق من أسفلها وعباض بن غنم من أعلاها .

وبالإضافة إلى معرفة حال هؤلاء الرواة فإن نزولهم في المدينة والكوفة يعتبر عاملاً ساعدهم في الوقوف على أخبار حركة الفتح ما بين المدينة والكوفة .

أما من حيث النقد الداخلي لهذه الروايات فإن مضمون الروايتين

اللتين تنسبان المبادأة إلى المثنى بن حارثة الشيباني لا يستقيم والمحكمة الدقيقة، إذ أن قضية إعلان الحرب على الإمبراطورية الفارسية ليست من الأمور التي تترك لقضاء رجل كالمثنى أو يقود إليها المثنى فهي أكبر من ذلك بكثير ، وتتصل بقدر الوجود الإسلامي وسلامته وأن أمراً مثل إعلان الحرب على الانبراطوريات قضية كبرى تتصل بالسياسة العليا للدولة ومنها السياسة الخارجية فأين المثنى بن حارثة من هذا وهو رجل من عامة الناس ومنزله في أقصى الشرق من شبه الجزيرة ، وعندما انشأ عمر الديوان ورتب الرواتب جعله في الروادف وفرض له خمسمائة درهم فقط كعطاء له (٤٠) .

وبالإضافة إلى ذلك فإن الطبري يذكر أن أبا بكر بعث العلاء ابن الحضرمي إلى قتال أهل الردة بالبحرين بعد فراغ خالد بن الوليد من اليمامة ، وأن العلاء قاتل في هذا الوجه الحطم بن ضبيعة أحد بني ثعلبة ومن اتبع الحطم من الذين ارتدوا من بكر بن وائل وأن العلاء قد كتب إلى من ثبت على إسلامه من بكر بن وائل وإلى نفر منهم المثنى بن حارثة الشيباني ليقوموا للمرتدين ويأخذوا عليهم الطريق ولم يزل حال العلاء ومن معه على محاولة المرتدين حتى استقام له أمرهم ورجعوا إلى الإسلام وضرب الإسلام في البحرين بجرائه (٤١)

وبذلك نجد أن حرب المرتدين في البحرين جاء تالياً لحرب المرتدين في اليمامة ، وأن الرواية تذكر المثنى في الذين شاركوا في حرب البحرين وعلى هذا يكون اشتراك المثنى في فتح العراق قد جاء تالياً لقرار أبي بكر في توجيه خالد من اليمامة إلى العراق ، وليس باعثاً لاتخاذ القرار ، إذ أن الزمن الذي مر بعد الفراغ من اليمامة وهو الزمن الذي

اتخذ فيه قرار مد الفتح إلى الدولة الفارسية كان المثنى فيه مشغولاً إلى جانب العلاء في حرب المرتدين واتخذ القرار وانضم المثنى إلى جيش خالد في وجهه التي وجهه إليها أبو بكر وانضم المثنى بمن ثبت من قومه على الإسلام مع خالد مثلما فعل غيره من الذين ثبتوا على إسلامهم في تلك المنطقة غير أن بروز المثنى بن حارثة يعود إلى شجاعته وجرأته العسكرية وسرعة استجابته من جهة ومعرفة المثنى وقومه بالمنطقة تلك المعرفة التي اكتسبها بحكم منازلهم المجاورة للعراق ، وهذا ما يفسر تقديم خالد بن الوليد للمثنى في مخرجه إلى العراق قبله بيومين على وعد اللقاء معه ومع الفرق الأخرى التي سرحها خالد في الحنفير (٤٢) .

إن إعلان الحرب على فارس جزء لا يتجزأ من السياسة الخارجية للدولة الإسلامية تلك السياسة التي قام بها تخطيطاً وتنفيذاً رجال الحكم فيها خلال معطيات كثيرة أهمها : -

١- ان الدعوة الإسلامية دعوة إلى الناس كافة لا للعرب فحسب ومما يؤيد صحة ذلك الأدلة الواردة في الأصول الفكرية للدعوة تلك الأصول التي يمثلها القرآن والسنة كما يؤيدها الواقع التاريخي الذي تمثل بتوجيه عدد من الجيوش خارج الجزيرة العربية في حياة الرسول لدعوة الناس إلى الإسلام ، وحدث بسبب ذلك عدد من الغزوات منها مؤتة وتبوك وابله وغيرها ولذلك كان مد حركة الفتح خارج الجزيرة العربية القاعدة الأساسية التي كانت تقوم عليها السياسة الخارجية للدولة الإسلامية في خلافة أبي بكر ، ويبدو مدى تنبه أبي بكر لهذه الحقيقة ووعيه لها وانخراطه لحركة الفتح الذي بدأ في حياة الرسول أنه أبي إلا إنفاذ جيش أسامة بن زيد الذي عقد لواءه رسول الله عليه

السلام فلما فقت الردة عادت عجلة الفتح سيرتها الأولى وسدت الفجوة التي أحدثتها الردة في مسيرة الفتح الإسلامي ، ولولا هذه الردة لظلت حركة الفتح متواصلة دون انقطاع ، لذلك كان مد حركة الفتح في خلافة أبي بكر استمراراً لحركة الفتح التي بدأت في حياة الرسول وليست استمراراً لحركة الغزو الذي كان العرب يقومون به ضد جيرانهم يقصد السلب والنهب .

٢- كشفت أحداث الردة عن أن الخطر الخارجي الذي يتهدد الدعوة الإسلامية لا يقتصر على الجبهة الرومية فحسب بل يتجاوز ذلك إلى الجبهة الفارسية ولقد كان التعاون بين المرتدين في البقاع الشرقية من الجزيرة العربية وبين رعايا الدولة الفارسية دليلاً ملموساً على خطر الجبهة الفارسية ذلك الخطر الذي يتهدد الدعوة الإسلامية ومستقبلها ، ومن الممكن أن القائمين على أمور الدولة الإسلامية رأوا أن حركة سجاح بنت الحارث بن سويد ليست حركة عفوية إذ لا يعقل أن تقود سجاح جموعها من بني تغلب وافناء ربيعة من إياد وشيبان والنمر لغزو المسلمين^(٤٣) دونما دوافع وغايات مبيتة ضد الإسلام ومباركة الدولة الفارسية لهذه الحركة وتغفل الدولة هذه الحركة أو تتغافل عنها وتدعها تمر هكذا كأن شيئاً لم يحدث .

لذلك فإن الأرجح أن الأعمال المحمومة التي كانت تدبر وراء حدود الجزيرة العربية مع الفرس هي التي جعلت الدولة الإسلامية تعلن مد حركة الفتح إلى الجبهة الفارسية والرومية معاً وليس كما قيل بأن حركة الفتح جاءت فلتة من غير تدبير قاد إليها المنى بن حارثة الشيباني . .

أما على الجبهة الرومية فيذكر الواقدي في كتاب « فتوح الشام » (٤٤) .
أنه لما عزم أبو بكر أن يبعث الجيش إلى الشام لقتال الروم جمع
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وقام فيهم خطيباً ومما
قاله : « ... واعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عول
ان يصرف همته إلى الشام فقبضه الله إليه واختار له ما لديه ،
الا واني عازم أن أوجه أبطال المسلمين إلى الشام بأهلهم فما قولهم
في ذلك ؟ فقالوا : يا خليفة رسول الله مرنا بأمرك ووجهنا حيث
شئت فان الله تعالى فرض علينا طاعتك » .

أما بالنسبة لإعلان مد حركة الفتح على الجبهة الفارسية فإنه
بالإضافة إلى الروايات الآتية الذكر التي تذكر أن أبا بكر صاحب
المبادأة في حركة الفتح فإن اليعقوبي يذكر في تاريخه (٤٥) ان أبا بكر
أمر خالدًا أن يسير إلى أرض العراق فسار ومعه المثني بن حارثة .
كما يذكر ابن الأثير في كتاب « المكامل في التاريخ » (٤٦) . « انه في هذه
السنة (سنة اثني عشرة) في المحرم منها أرسل أبو بكر إلى خالد بن الوليد
وهو باليامة يأمره بالمسير إلى العراق » .

نخلص من ذلك إلى القول بأن الدولة الإسلامية لم تفقد بعد
وفاة الرسول في خلافة أبي بكر ، وإنما تعدت مرحلة التحدي بنجاح باهر
محتفظة بحيويتها وتنام وعيها على طبيعة المهمة التي ورثتها عن الرسول
ولم تكن أمورها فلتة ، وكانت تتمتع بسياسة واضحة تسير على هداها
وتسترشد بها فتقبل على ما يخدم هذه السياسة بحق ، ألم تر إلى أبي بكر
لما جاءه جرير بن عبد الله البجلي يطلب منه أن يأذن له بجمع من كان
من بجيلة ليحارب بهم وكانوا أوزاعا في العرب كيف أجاب جريراً

وقال له : أعلى حالنا ! ترى شغلنا وما نحن فيه بغوث المسلمين من بازائهم من الأسدين فارس والروم ، ثم أنت تكلفني التشاغل عما لا ينبغي عما هو رضى لله والرسول ١٢ دعني وسر نحو خالد بن الوليد حتى انظر ما يحكم الله في هذين الوجهين^(٤٧) ثم انظر إلى أبي بكر عندما اتخذ قرار مد حركة الفتح إلى العراق كيف أمر خالد بن الوليد أن يأتي العراق من جنوبها وأمر عياض بن غنم أن يأتيها من شمالها وأن يلتقي الإثنان بالحيرة ، فيكون العراق بين فكي كماشة حتى إذا صار لهما ذلك أمرهما بتوجيه الضربة إلى « المدائن » قلب فارس باعتبارها دار الفرس ومستقر عزهم^(٤٨) . فإذا سقطت العاصمة استسلمت الامبراطورية .

٣ - أسباب حركة الفتح :

وإذا كانت الدولة الإسلامية في خلافة أبي بكر تصدر في تصريف أمورها عن خطة مدروسة وسياسة مرسومة فماذا كانت تريد الدولة من وراء إعلان الحرب على فارس والروم ؟ أو ما هي أسباب الفتوحات الإسلامية ؟ خلص بعض الباحثين^(٤٩) في تحليل أسباب الفتوحات الإسلامية إلى القول بأن شبه الجزيرة كانت فقيرة الموارد الاقتصادية وزاد فقرها أن نظم الري التي كانت قائمة في شبه الجزيرة قد انهارت قبيل ظهور النبي ، ثم جاء الإسلام فحرم القتال بين العرب وكون جيشاً كبيراً منهم كانت احتياجاته أكبر من طاقة الجزيرة الاقتصادية الأمر الذي دفع الدولة إلى الزحف بهم نحو أرضين جديدة مستغلة الروح الحربية عند العرب ، وبذلك كانت الفتوحات الشوط الأخير في عملية النزوح المتواصل من البادية القاحلة إلى ما يتاخمها من الهلال الخصيب وأن الفتوحات هي آخر الهجرات السامية العظيمة .

وذهب البعض^(٥٠) إلى القول « بأنه بدأ أن خير وسيلة لرأب الصدع، على أثر حروب الردة، هي التوسع نحو الخارج هذا التوسع الذي أعقب إخضاع التمرد الداخلي على الفور، وكان الجهاد وهو الحرب في سبيل الله وسيلة إلى جعل القبائل المتمردة تحرص على مصلحة الإسلام وجعلها ترضى به، ولم يكن الجهاد لنشر الدين أكثر من ذريعة وتعلية للحرب كما لم تكن دعوة أعداء الله إلى الدخول في الإسلام قبل محاربتهم إلا مسألة شكلية ». اتخذ هؤلاء العامل الاقتصادي أساساً لحركة الفتح وتعليلاً لإسلام أهل البلاد المفتوحة واعتبروا إسلامهم تهرباً من الجزية وطمعاً في مشاركة الطبقة الحاكمة في ولاية الأمور، فهل يكفل هذا التفسير تعليل الفتوحات الإسلامية أم أن في الأمر شبهة؟ .

وهنا لا بد من أخذ الأمور التالية بعين الاعتبار :

أولاً : واجه المسلمون الذين قاموا بحركة الفتح مجاهبات كلامية مع الذين كانوا يدعونهم إلى الإسلام نسبوهم فيها إلى الفقر والعوز الذي أخرجهم من بلادهم وراء لقمة العيش والمال، وذهبوا مذهب هؤلاء الباحثين في فهم حركة الفتح ودوافعه، وعلى ذلك فإن اعتبار العامل الاقتصادي في فهم حركة الفتح لم يكن إلا كلاماً مكروراً حول هذا الموضوع وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر أن من ذهب هذا المذهب من قبل في تعليل حركة الفتح ملك الفرس يزيدجرد بن شهريار^(٥١) الذي دعاه الوفد الإسلامي إلى الإسلام فأجابهم : إن كان الجهد قد دعاكم فرضنا لكم قوتنا إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكننا عليكم ملكاً يرفق بكم . إلا أن الوفد رد على الملك بأن ما ذكر قد كان قبل اليوم وهم يدعونه الآن إلى الإسلام أو الجزية أو السيف، في كلام أغاظ الملك

كثيراً فقال لهم: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ، وأمر بوضع وقر من التراب على رئيس الوفد وأخرجهم خارج العاصمة وهو يهدد ويتوعد أن سيدفنهم جميعاً .

ثانياً : كان الناس في الجزيرة العربية ' يكسبون عيشهم إما بزراعة أو تجارة أو صيد أو رعي ، وظهرت الدعوة الإسلامية وقامت دولة الإسلام في المدينة ، فكان على من يسلم أن يهاجر إلى دار الإسلام في المدينة ، حتى إذا كان عام الفتح توقفت الهجرة لقول الرسول عليه السلام : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » . ثم تقاطرت الوفود بعد ذلك إلى المدينة من أطراف الجزيرة معلنة إسلامها وكانت تعود إلى مواطنها ومعها من يعلمها أمور الإسلام وظل التوزيع السكاني لأهل الجزيرة العربية محتفظاً بشكله كما كان قبل الإسلام بعيداً عن التخلخلات السكانية التي من شأنها أن تولد الأزمات التي نشاهدها في العصر الحاضر .

ثالثاً : لم يتكون جيش في عهد الرسول أو في عهد أبي بكر بمفهوم الجيش وما يتطلبه من رواتب وملابس ومأكل ووسائل نقل وأسلحة وإنما كان المسلمون جميعهم جيشاً ، وكان كل فرد منهم جندياً مستعداً لتلبية النداء ويتكفل بما يلزمه من احتياجات وإن تكوين الجيش حدث بعد ذلك في خلافة عمر بن الخطاب في المحرم من عام ٢٠ للهجرة .

وعلى ذلك فإن ظهور الإسلام في الجزيرة لم يؤدي إلى ظهور مشكلة اقتصادية ، كما لم يؤدي إلى تفاقم مشكلة اقتصادية سابقة على فرض وجودها من قبل ، بل إن الأوضاع الاقتصادية إن لم نقل أنها تطورت نحو الأفضل فإنها لم تنحدر نحو الأسوأ كما وصف أصحاب التفسير الاقتصادي ، بل إن الشواهد لتدل على أن الإسلام قد ساهم في تحسين حال العرب

الاقتصادية ، ولا سيما في جانب توزيع الثروة بما جاء الإسلام به من تشريعات اقتصادية وبما وضعه من قواعد في التكافل الاجتماعي .

أما القول بأن الإسلام عندما حرم القتال بين المسلمين كان لا بد من فتح ميدان جديد لتفريغ الطاقة الحربية عند العرب فيه حتى لا يعود العرب إلى سابق خصوماتهم، فهو قول مخالف للواقع إذ ليس هناك طاقة حربية لازمة في الإنسان أو طاقة سلمية أو طاقة صناعية ، فالإنسان مخلوق جعلت فيه القدرة أو الطاقة ويمكن استغلال هذه القدرة أو الطاقة في الحرب أو في الصناعة أو في الزراعة أو غيرها من المجالات ، وأنه يمكن توجيه الطاقة والقدرة في الإنسان وجهة معينة، ثم يمكن أن يحول الإنسان من هذه الوجة إلى أخرى وهذا ملموس ومحسوس ومن الخطأ الفاحش أن نصف شعباً ما ، وصفاً لازماً مطلقاً بأنه شعب مسالم أو شعب محارب أو شعب صناعي أو زراعي أو تجاري إنما يتوقف الحال على نوع التوجيه ونوع المفاهيم التي تتحكم في الشعب .

فالإسلام عندما حرم القتال بين المسلمين كان قد أرسى الأساس الذي من شأنه أن يحجز أتباعه بعضهم عن قتال بعض وتبني به وحدة العقيدة ووحدة الفكر ، وهو الذي جعل أصحاب العقيدة والفكر من كندة يحاربون بعد وفاة الرسول المرتدين من كندة ، كما لم يجعل الإسلام إشغال العرب بالحروب الخارجية ضماناً لاستمرار وقف القتال بينهم فإن ذلك لا يؤيده دليل شرعي ولا دليل عقلي فالقتال مظهر من مظاهر الخلاف ، وقد يقع الخلاف في ميدان القتال بين أفراد الجيش

الواحد كما يقع بين الناس في ميدان الزراعة أو التجارة أو غيرها أي قد يقع الحرب في السلم ، وقد يؤدي الخلاف إلى القتال وقد ينتهي إلى المصالحة . أما الواقع التاريخي الآخر الذي يجب لفت أصحاب التفسير الاقتصادي إليه فهو أن المسلمين لم يفتحوا بلداً معيناً لغناه ولم يتركوا آخر لفقره، بل بدأت عملية الفتح وتحويل البلاد من دار كفر إلى دار إسلام إبتداء بالمنطقة المحيطة بالمدينة ومروراً بالجزيرة إلى ما حولها أولاً بأول ، يقاتلون الذين يلونهم وهم يدعون إلى الإسلام أهل البلاد الغنية الخصبة المعتدلة كما يدعون أهل البلاد الوعرة الصحراوية الفقيرة مثلما يدعون أهل البلاد الباردة المطيرة الثلجية البعيدة ، أضف إلى هذا أن أبا بكر حرم الجهاد على المرتدين ولم يأذن لأحد أن أن يستعين بمرتد ، فهل كان قرار أبي بكر بحرمان المرتدين من المشاركة في الفتح عقوبة اقتصادية أم عقوبة اقتضتها سلامة الدعوة ؟

كان قرار أبي بكر حكماً وعقوبة ولكن هل من خلال الوقوف على أبي بكر من خلال الوقوف على جماعة الردة ؟ .

والواقع أن فهم القرار يقتضي فهم الجانبين معاً .

أما بالنسبة للمرتدين فهم أناس نقضوا ما عاهدوا الرسول عليه من القيام على أمر الإسلام وتخلوا عن الإسلام وحاربوا الإسلام وحاربوا المسلمين ، أما واقع الذين اتخذوا القرار فهم قوم أخلصوا للإسلام في كل ما حضر منه أو غاب وفي كل ما صغر منه أو كبر

فالأمر إذن يكمن في فئتين : فئة انقلبت على الإسلام وطعنته وخاصمته

وقتل أهله، وفتنة خلصت له وحابت إلى جانبه وقاوت أعداءه. ثم انطلقت حركة الفتح دون أن يمضي على الانفكاك بين الفئتين ورجوع الفئة المرتدة وقت كبير، إذ أن حركة الفتح بدأت بعد الفراغ من حروب الردة على الفور، فهل من الحكمة والرشاد أن يحسن النية بأهل الردة وتناط إليهم حراسة المدين بهذه السرعة! أم أن الأمر يحتاج إلى نظر وروية؟ .

لقد نظر أبو بكر إلى قضية المرتدين بمنتهى الحذر والحيطه، ولم يسمح لهم بالمشاركة، ومضت خلافة أبي بكر وجاءت خلافة عمر فلم يسمح إلا لمن حسنت حاله وظهرت توبته وندمه، ولم يول منهم أحداً وظل الذين أصابهم مس الردة في حركة الفتح حشوة إلى أن ضرب الإسلام بجرانه، وإذا كان ذلك كذلك فما هو سبب الفتوحات الإسلامية؟

ان سبب حركة الفتح الإسلامي ودوافعه لا يؤخذ من واقع جندي يشترك في القتال طلباً للثروة، أو من واقع جندي يشترك في القتال إبتغاء الشهرة والسمعة، وإنما يفهم من واقع السياسة العامة للدولة والروح المسيطرة على الناس، وإذا تفصينا أخبار ذلك من خلال الكتب التي سجلت أخبار الفتوحات وتمعنا في توجيهات أولي الأمر ووصاياهم وخطبهم في الجيوش المتجهة إلى ساحات القتال وما كانوا يأخذون به القادة والجند ثم بيانات قادة الجيوش إلى الأعداء ثم سيرة جند المسلمين من استقبالهم الموت بنفس هادئة مطمئنة أثناء القتال وتحول معسكرهم إلى حلقات فقه وتلاوة ودرس وتعليم أثناء وقف القتال والاستنصار بصحابة رسول الله

كالمخ للطعام ، وتقدمهم ليفتح الله على أيديهم إلى غير ذلك من صور حياة الجيش الإسلامي^(٥٨) لوجدنا أن حركة الفتح كانت في سبيل الله لنشر الإسلام وتحويل دار الشرك إلى دار إسلام ، وهو السبب الوحيد الذي يفسر الاندفاع العربي من شبه الجزيرة بقوة وجرأة نادرة وفتح جبهة القتال مع فارس والروم معاً وهو السبب نفسه الذي يفسر لنا نجاح العرب في تحويل البلاد من دار كفر إلى دار إسلام بالسرعة المذهلة .

وبعد الاستئناس برأي التاريخ ننتقل إلى الاستئناس بطبيعة الفكر الذي انهض العرب ورأي هذا الفكر في أسباب حركة الفتح .

ولدى مطالعة القرآن للوقوف على آيات القتال تبين أن خمساً وثلاثين آية موزعة بين إحدى عشرة سورة^(٥٩) تدور حول هذا الموضوع هي :

(أ) تسع عشرة آية تذكر لفظ القتال والجهاد مقروناً بلفظ : في سبيل الله .

(ب) اثنتي عشرة آية تذكر لفظ القتال والجهاد مقرونة بالفاظ تدل على أنها في سبيل الله .

(ج) ثلاث آيات لم يذكر لفظ القتال والجهاد فيها ولكنها تدل على القتال في سبيل الله .

(د) آية واحدة تذكر القتال لدفع الظلم الذي يحول دون ممارسة حرية أداء العبادة والبقاء على العقيدة .

(هـ) هناك آية تذكر القتال بما يفيد أنه في سبيل الله مع إمكان قبول الجزية إذا كان هؤلاء من أهل الكتاب .

وقبول الجزية الذي تشير إليه الآية هو مظنة احتجاج أصحاب التفسير الإقتصادي في التدليل على الدافع الإقتصادي للفتوحات . على أن الجزية لم تكن بديلا عن الإسلام كما فهمها هؤلاء وإنما هي بدل حفظ دم دافعها وحمايته مع وجوب قبول أحكام الإسلام^(١٠) كما جاء في الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة خمسة وسبعين حديثا تدور^(١١) حول موضوع القتال تؤكد جميعها أن القتال في سبيل الله ومنها: حديث سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن عمرو عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : - جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله ؟ قال : «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله .» ولكن هناك من يفزعه القتال أفلا يوجد طريقة غير القتال لنشر الإسلام ومد حركة الفتح ؟ لقد كان اقتراح حركة الفتح الإسلامي بالقتال والحرب مدعاة إلى الاعتقاد بأن الحرب طريق الإسلام الوحيد في نشر دعوته غير أنه لم يكن من قبيل الصدفة أن تتحول يثرب من دار كفر إلى دار هجرة وإسلام دون أن ينتطح في ذلك عنزان أو تراق قطرة دم ، إلا أن الأهثلة كثيرة حول البلاد التي تحولت إلى دار إسلام بغير طريق السيف والقتال منذ عهد الرسول عليه السلام وابتداء بالجزيرة العربية .

أما واقع الأمر فإن الإسلام دعوة الناس إلى فكرة كلية عن الكون والإنسان والحياة ودعوة الناس إلى طريق معينة للعيش ، ومن شأن هذه الدعوة بما تتضمنه من تصور معين كامل شامل عملي للحياة أن تندخل في صراع مع أنماط الحياة المغايرة وقد حدث هذا ومن طبيعة هذا الصراع

أنه صراع مستمر لا يتوقف أبداً مادام هناك دعوة إسلامية من جهة وأطماع من الحياة مغايرة من جهة أخرى وقد حدث هذا أيضاً وهو سر امتداد الفتوحات الإسلامية إلى أقصى الأرض، وهو التفسير لبقاء الجهاد واستمراره إلى يوم القيامة . على أن هذا الصراع قد يتخذ طابع العنف والقتال وقد ينتهي إلى فتح بلا قتال إلا أن القوة لا بد منها لحماية حرية سير الدعوة فثلاث عشرة سنة لم يرفع السيف فيها في مكة لم تزد أهل مكة إلا غيباً وظلماً وتمادياً في تعذيب المسلمين وفتنة الناس عن الدعوة . وواقع الحياة من خلال تاريخ البشرية يؤكد أن القوة شيء لا بد منه لحماية الحق وصيانة الخير . يقول الله تعالى : -

(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان، ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) (١٣)

نخلص من هذا إلى القول بأن لفظ « الفتح » اكتسب معنى جديداً في ظل الإسلام يتضمن تحول البلاد من دار شرك إلى دار إسلام في أبعاده السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، وبدأ الفتح بهذا المعنى في حياة الرسول عليه السلام وجرى عليه من بعد في خلافة أبي بكر الذي أقام سياسة الدولة في علاقاتها الخارجية على أساس مد حركة الفتح إلى أقصى حد ، وفق خطة مدروسة بعيدة عن العفوية والارتجال، منزهة عن أغراض القهر والاستبداد بمقدرات الشعوب واستنزاف ثرواتهم ، خالصة لله لتكون السيادة لله والقوامة لشرع الله في شؤون الناس .

دكتور محمد ضيف الله بطاينة

جامعة اليرموك :

(١) انظر مادة « فتح » في القاموس المحيط للفيروز أبادي ولسان العرب لابن منظور وتاج
العروس للزبيدي .

- (٢) سورة الأنعام آية ٤٤ مكية .
(٣) سورة الحجر آية ١٤ مكية .
(٤) سورة الاعراف آية ٩٥ مكية .
(٥) سورة المؤمنون آية ٧٨ مكية .
(٦) سورة القمر آية ١١ مكية .
(٧) سورة يوسف آية ٦٥ مكية .
(٨) سورة فاطر آية ٢ مكية .
(٩) سورة التبا آية ١٩ مكية .
(١٠) سورة الزمر آية ٧١ مكية .
(١١) سورة الأنبياء آية ٩٦ مكية .
(١٢) سورة الاعراف آية ٣٩ مكية .
(١٣) سورة ص آية ٥٠ مكية .
(١٤) سورة الاعراف آية ٨٨ مكية .
(١٥) سورة الشعراء آية ٧٨ مكية .
(١٦) سورة سبأ آية ٢٧ مكية .
(١٧) سورة السجدة آية ٢٨ مكية .

- (١٨) سورة ابراهيم آية ١٥ ، ١٦ مكية .
(١٩) سورة الأنعام آية ٤٩ مكية .
(٢٠) سورة القصص آية ٧٦ مكية .
(٢١) سورة النساء آية ١٤٠ مدنية .
(٢٢) سورة المائدة آية ٥٥ مدنية .
(٢٣) سورة الفتح آية ١ مدنية .
(٢٤) سورة الفتح آية ١٨ مدنية .
(٢٥) سورة الفتح آية ٢٧ مدنية .
(٢٦) سورة الصف آية ١٣ مدنية .
(٢٧) سورة الحديد آية ١١ مدنية .
(٢٨) سورة النصر آية ١ ، ٢ مدنية .
(٢٩) الأخبار الطوال - أبو حنيفة الدينوري ص ١١١ - ١١٢ .
(٣٠) تاريخ الرسل والملوك - أبو جعفر الطبري ج ٣ ص ٣٤٤
(٣١) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٤٦
(٣٢) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٤٧
(٣٣) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٤٣
(٣٤) الطبقات الكبرى - ابن سعد ج ٧ ص ٢٩٦
(٣٥) الأخبار الطوال - أبو حنيفة الدينوري ص ١١١
(٣٦) الأعلام - شير الدين الزركلي - الطبعة الثالثة ج ٤ ص ١٨
(٣٧) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٨
(٣٨) تاريخ الرسل والملوك - الطبري ج ٣ ص ٣٤٨
(٣٩) الطبقات الكبرى - ابن سعد ج ٢ ص ٣٧٩
(٤٠) أسد الغابة في معرفة الصحابة - ابن الأثير ج ١ ص ٢٠٧
(٤١) تاريخ الرسل والملوك - الطبري ج ٣ ص ٦١٤
(٤٢) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٠٢

- (٤٣) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٤٨
- (٤٤) المصدر نفسه ج ٣ الصفحات ٢٦٩ - ٢٧٥
- (٤٥) فتوح الشام - محمد بن عمر الواقدي ج ١ ص ٥
- (٤٦) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٣١
- (٤٧) السكامل في التاريخ - ابن الأثير ج ٢ ص ٢٦١
- (٤٨) تاريخ الرسل والملوك - الطبري ج ٣ ص ٢٦٥
- (٤٩) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٤٧
- (٥٠) تاريخ العرب مطول - فيليب حتى ج ١ ص ١٩٥ - ١٩٦ ،
 قصة الحضارة - عصر الإيمان - ول ديورانت ج ٢ المجلد الرابع ص ٧١ - ٧٢
- (٥١) تاريخ الدولة العربية - يوميس فلهوزن ص ٢٣
- (٥٢) تاريخ الرسل والملوك - الطبري ج ٣ ص ٥٠٠
- الكامل في التاريخ - ابن الأثير ج ٢ ص ٣١٦
- (٥٣) صحيح مسلم باب فضل الجهاد .
- (٥٤) مقدمة ابن خلدون - ديوان الأعمال والحيات ص ١٨٢
- (٥٥) انظر كتاب تاريخ الرسل والملوك - الطبري ج ٣ الصفحات :
 ١٢٩ ، ١٤٧ ، ٢٦٧ ، ٣١٧ ، ٣٣١ .
- (٥٦) تاريخ الرسل والملوك - الطبري ج ٤ ص ٢٥
- (٥٧) المصدر نفسه ج ٣ ص ٤٨٩
- (٥٨) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٥
- (٥٩) انظر تاريخ الرسل والملوك - الطبري ج ٣ الصفحات :
 ٣٧٠ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٥ ، ٣٩٩ ، ٤٩١ ، ٥٣٦
- (٦٠) سورة البقرة الآيات : ١٥٤ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٤٤
 سورة آل عمران الآيات : ١٥٧ ، ١٦٩ ، ٢٠٠
 سورة الأنفال الآيات : ١٥ ، ٣٩ ، ٦٥ ، ٧٤ ، ٧٥
 سورة النساء الآيات : ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٤ ، ٩٤
 سورة التوبة الآيات : ١٣ ، ١٤ ، ٢٠ ، ٢٩ ، ٣٩ ، ٧٣ ، ١٢٣
 سورة المائدة الآيات : ٣٥ ، ٥٤
 سورة الحج الآية : ٣٩
 سورة المتحنة الآية : ٩
 سورة المزمل الآية : ٢٠
 سورة محمد الآية : ٧
 سورة الصف الآية : ٤ ، ١١
- (٦١) كتاب الأم - محمد بن ادریس الشافعی الجزء الرابع - كتاب الجزية .
- (٦٢) انظر كتاب « الجامع الصغير في أخبار البشير النذير » للسيوطي .
- (٦٣) سورة الحديد آية ٢٥ .

في رحاب المحرمين

من خلال كتب الرحلات إلى الحج

- ١٨ -

رحلة السنوسي التونسي : واطلعتُ في (دار الكتب الوطنية) في تونس على هذه الرحلة ، وهي من مخطوطات (الخلدونية) .
ومع أنَّ مؤلفها حديث العهد ، إلا أن فيها من المعلومات ما يحتاج إليه الباحثون .

ومؤلفها من مشاهير العصر الماضي ، وكان قدم حاجاً بطريق البحر من (بور سعيد) إلى جدة في ٢٤ ذي القعدة سنة ١٢٩٩ ودخل مكة يوم الثلاثاء ٢٨ ذي القعدة سنة ١٢٩٩ .

وخرج منها إلى المدينة في يوم السبت ٢٢ ذي الحجة سنة ١٢٩٩ فوصل المدينة يوم الخميس ٤ محرم سنة ١٣٠٠

وخرج من المدينة يوم الاثنين ١٦ المحرم سنة ١٣٠٠ عن طريق الشام ، فوصل ظهر العقبة يوم الثلاثاء ٨ صفر سنة ١٣٠٠ ومنها إلى معان ونكتفي بتلخيص ترجمته من كتاب « تراجم الأعلام التونسية ^(١) »
للشيخ ابن عاشور - قال : محمد بن عثمان بن محمد السنوسي ولد بتونس سنة ١٢٦٦ وهو حفيد قاضي الجماعة العلامة الشيخ محمد السنوسي مؤلف كتاب « لقط الدرر في العمل المشتهر »

(١) ص ١١٧ وما بعدها وله ترجمة مطولة في (مجلة الجامعة التونسية) .

دخل غمار الحياة مع أستاذه الشيخ محمد بيرم الذي عين رئيساً لجمعية الأوقاف فكان السنوسي كاتب مجلس الجمعية ، ولما عين الشيخ بيرم ناظراً للمطبعة الرسمية أصبح السنوسي محرراً لجريدة (الرائد الرسمي التونسي) فقويت علاقته بالوزير خير الدين ، وحررته الاصلاحية وبواسطة شيخه بيرم اتصل بالبيت المالك ، فعهد إليه بتربية الأمير محمد الناصر باشا فكان هو الذي أخرجه للتاريخ على ذلك المثال العجيب الذي كان به طراز البيت الحسيني وغرة التاريخ التونسي الحديث .

ولما بدأ التصدع يتناول الواجهة (الخيرية) بانشقاق أفراد من أعضائه الوزير خير الدين كانوا ينتقدون عليه تأخره عن تنفيذ ما كان مقرراً من نصب المجالس الشورية ، كان الشيخ محمد بيرم والسنوسي المترجم من المنشقين . ولما سقط الوزير خير الدين كان المترجم أحد من التف حوله خلفه الوزير مصطفى ابن اسماعيل .

وظفحت جريدة «الرائد» بما كان يصدر عن المترجم من مقالات في تمجيد مصطفى بن اسماعيل ، وتوجيه أعماله وتحسين مواقفه ، مع أن سياسته الأصلية لم تتغير ، فبقيت سياسة إسلامية جامعة مبنية على أصول جمعية «العروة الوثقى» التي اتصل بها ، وانخرط في أعضائها السريين ، وعرف منشئها السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده .

ولما تخلى مصطفى بن اسماعيل عن الوزارة اثر انتصاب الحماية الفرنسية اعتزل تحرير «الرائد» وخرج من البلاد التونسية في رجب سنة ١٢٩٩ إلى إيطاليا واتصل بواسطة صديقه الوزير حسين بالكاتب المعروف إبراهيم المويلحي .

وسافر من إيطاليا إلى دار الخلافة العثمانية ، فالتحق هناك بإخوانه

التونسيين كالوزير خير الدين . والشيخ محمد بيرم .
ثم سافر من الاستانة في ذي القعدة سنة ١٢٩٩ إلى جدة وحج تلك
السنة وشهد تنصيب الشريف عون الرفيق في إمارة مكة ، ورحل إلى
المدينة وتمكن أثناء إقامته بالحرمين الشريفين من معرفة أعلام من علماء
الاسلام ، منهم علامة الهند الشيخ رحمة الله العثماني صاحب « اظهار الحق »
والأديب الشيخ عبد الجليل برّادة ، واللغوي الشيخ محمد محمود
ابن التلاميذ التركي الشنقيطي .

وخرج من المدينة إلى الشام مع الراكب الشامي فدخل دمشق آخر
آخر صفر سنة ١٣٠٠ واجتمع فيها بالأمير عبد القادر الجزائري ، وكان
تقدمه إليه بمكتوب من الشيخ محمد بيرم وثلاثتهم من أعضاء جمعية
العروة الوثقى ونزل في ضيافة الأمير . . . وتعرف من علماء الشام بالشيخ
سليم العطار وعمه الشيخ أبي بكر العطار .

وانتقل إلى بيروت فتعرف بالكاتب الشهير بطرس البستاني .
ومن بيروت استعجل السفر إلى تونس فوصل في أواخر ربيع الأول
سنة ١٣٠٠ .

وكانت الحركة الاحتجاجية الكبرى ضد النظام البلدي في جمادي
الأولى سنة ١٣٠٢ فاتصل بها حتى تزعمها ، ووصلها بحركات جمعية
العروة الوثقى ، فكان ذلك جالبا للنقمة الإدارية إليه ، فنُفي إلى قابس ،
وعزل من كتابة جمعية الأوقاف في شعبان سنة ١٣٠٢ ، ورجع من النفي في
ذي القعدة سنة ١٣٠٢ وأُخذ إلى النظام القائم ، وعين كاتباً بالمجلس
المختلط عند إنشاء المحكمة العقارية المختلطة ، وكتب شرحه على القانون
العقاري

ثم تنقل إلى المحاكم الدولية التونسية فسمي حاكماً بالقسم المدني
ثم بالقسم الجنائي .

ورحل إلى باريس سنة ١٣٠٨ فكتب رحلته التي كانت مظهراً جديداً
للإلتزام بينه وبين رجال الحكم يومئذ ، كما كانت عنصراً جديداً في
التوجيه الفكري لتهضة البلاد .

واستمر على هذا الوضع إلى وفاته في رجب سنة ١٣١٨ (١) .

ومن مؤلفاته :

- ١ - « مسامرات الظريف بحسن التعريف » في التراجم .
- ٢ - « مجمع الدواوين التونسية » استوعب فيه شعر نحو الخمسين
فحلاً من فحول الشعر .

٣ - « الرحلة الحجازية » ثلاثة أجزاء - لم تطبع .

٤ - « الاستطلاعات الباريسية » .

٥ - « مطلع الدراري ، بتوجيه النظر الشرعي على القانون العقاري » .

٦ - رحلته إلى باريس .

وله الشعر العجيب في الأغراض المبتكرة التي من أهمها غرض
الإشادة بالحضارة الغربية ومبتكراتها العلمية ، وضع فيها قصيدته التوننية
في نحو ١٢٠ بيتاً مطلعها :

أريت كيف تقارب البلدان ||| بالمزجيات جرت على القضبان

وقد كتب عليها شرحاً .

(١) تراجم الأعلام : تأليف محمد الفاضل بن عاشور « نقلا عن «المجلة الزيتونية» المجلد

١٠ ج ٣ سنة ١٩٥٥ .

وشارك في تحرير فصول عن التاريخ التونسي في دائرة المعارف التي قام بتأليفها بطرس البستاني .

وكان أثناء رحلته يحرص على الاجتماع بكبار العلماء ، فقد اجتمع بالشيخ صالح الاصم من علماء الجراكسة في آبار نصيف في الطريق إلى الشام - وتحدث عنه .

واجتمع بالشيخ صالح الاربيلي مجتهد الشيعة ، وكان قد صاحبه في المركب من الاستانة إلى جدة في آبار نصيف وتحدث عنه .

- واجتمع بقاضي تيريز في البئر الجديد ، وهو محمد مهدي ابن بنت ولي عهد شاه إيران .

وفي رحلته طائفة كبيرة من شعره . ومنه قصيدة عينية في المناسك واسماء المشاعر ، نظمها بمكة .

وقطعة في مدح سعيد باشا أمير الركب الشامي مطلعها :

للمحمل الشامي أي محاسن مايمتري في فضلهن عنيد

وله قصيدة أنشدها في موقف شباك الحجره مطلعها :

إلى خير خلق الله احد النجائب

وألقى عصا التسيار إذ كنت هائبا^(١)

في ٤٦ بيتاً :

ومن شعره في وصف الساعة :

هذه الساعات عند المعتبر قرعت بالوعظ قلب المزدجر

قرع تنبيهه على ماقد مضى من نفيس العمر ، هل من مذكر؟

وهاهو ملخص ماجاء في رحلته مما يتعلق بموضوعنا :

(١) حلو النجائب لزيارة القبور لا يجوز بنص الحديث الشريف : « لا تشد الرحال إلا إلى

وتبرز في كتابات السنوسي عنايته بالأدب والأدباء ولهذا فإن دارسي تاريخ الأدب في هذه البلاد في الحقبة الأخيرة لا يعدمون فيما كتب السنوسي في رحلته جانباً مفيداً ، مع ملاحظة أنه توسع فيما كتب ، ولم نأت على جميع ذلك .

ويلاحظ القارئ أنه ذكر كثيراً من المواضع بين مكة والمدينة ، وبين المدينة والشام ، ذكرها بأسماء محرفة ، مما يدل على عدم عنايته بهذه الناحية .

وهاهو نصٌ ما ذكر ملخصاً :

جدة :

بلدة من الحجاز - في جزيرة العرب - على نحو النصف من البحر الأحمر ، تبعد ٦٥ ميلاً من مكة المشرفة . وقد اختلف قول المؤرخين في مبدأ تاريخها ، وزعم ابن بطوطة أنها من عمارة الفرس ، والذي يؤخذ من مجموع كلام مؤرخيها أن أرضها كانت تملؤها مياه البحر ، والذي مَصَّرَهَا هو سيدنا عثمان بن عفَّان ، وقد صارت محطاً للمراكب البحرية سنة ٢٥ من الهجرة ، ونشأت فيها التجارة

وكثر مرور السفن على مرساها التي هي الطريق الوحيد إلى آسيا من أوروبا وأفريقيا .

وقد كان وصولنا إلى مرساها بعد زوال يوم الجمعة الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٢٩٩ وكان موقف بابورنا بعيداً عن الشاطئ بمسافة أكثر من ميل ، حيث لا يمكن للبوابير الدخول إلى تلك الميناء بسبب وجود الصخور المرجانية ، وجزر المساء في تلك الساعة حتى كان في بعض الجهات منها لا يزيد على ثلاثة أقدام ، وأكثره لا يتجاوز الثمانية عشر

قدما ، وللمرمى هنالك مراكب شراعية يسمونها (السنايك) تنقل الأمتعة والراكبين من البوابير إلى البلد بكراء زهيد ، لايتجاوز قدره العشر قروش عن الرجل وأمتعته ، مع أنها في المواضع القليلة الماء يحتاج ملاحوها للنزول منها ليتولوا جَرَّها بأيديهم .

والبلد مما يلي البحر جميل البناء ، بالحجارة ، مجصص كله . وعند نزولنا دخلنا إلى محل (القموق) واطلعوا على تذاكر جوازنا ، وكتبوا لنا فيها بالقلم التركي كتابة أخذوا عنها عشرة قروش ، وعند دخولنا من البلد عرضنا التذاكر المذكورة فأعطونا هنالك تذاكر صغيرة مختومة أخذوا عن الواحدة ثلاثة قروش . فدخلنا البلد فإذا هي ذات سور حصين ، تحيط به فنادق ، وتتخللها أبراج قديمة فيها مدافع من النوع القديم ، ولها تسعة أبواب ، منها ستة مما يلي البحر ، وأزقة البلد أغلبها متسع ، وكلها طبيعية ، وفيها عدة جوامع ، وسرايات جميلة المنظر من ظاهرها ، وربما كان داخلها متسعا ، ومن أحسن أبنيتها الجديدة ديار القناصل ، وبعض ديار أعيان تجارها ، وفيها مركز (تليفرافي) و (بوسطة) عمومية . إلا أنها غير منتظمة ، وكلاهما بيد الولاية العثمانية ، وأسواقها عامرة بالتاجر ، لاسيما في موسم الحج ، وأعمال أهلها صيد السمك ، والغوص عن المرجان الأسود ، يصطنعون منه سبعا وغيرها ، وترد إليها كثير من أنواع المتاجر الأورباوية والآسيوية ، ومنها تصدر جميع ضروريات أهل الحجاز ، وفيها كثير من التجار الهنود والمصريين وعدد سكانها نحو الثانية عشر ألف في أيام الحج يكثرون بسبب التجارة حتى أنهم ربما بلغوا إلى الأربعين ألف . ويمرُّ بها من الحجاج في كل سنة نحواً من المائة والعشرين ألف نفساً .

وقد خرجنا صبيحة يوم السبت لزاراتها ، فزرنا داخل البلد مدقنا لبعض آل البيت ، وخرج بنا المزورون إلى المقبرة خارج البلد ، وفي مبدإها قبة منسوبة لأمنا حواء ، يقولون : إنها على مدفن رأسها ، وهناك قبة أخرى تبعد عنها نحو خمسين خطوة يزعمون أنها على محل سرتها .

أما أعمال المزورين هنالك مع مارة الحجاج وعلى الخصوص مغفليهم فإنها فوق ما يعقل من وجوه الزور ، فتراهم يتجاذبون الحاج المسكين من ثياب إحرامه إلى أحد قبور أمواتهم بعد أن يوقفوا عندها من شيعتهم من يشاركونه في محصول الزيارة . ويقولون للحجاج : هل تزور قبر سيدنا فلان ؟ فإذا وصل ووجد هنالك الشركاء ، فيغريه بإعطائهم ، وربما تماثلوا عليه واغتصبوا منه ما يسمونه له صدقة ، وأعجب من ذلك انتصاب بعضهم على حافة الطريق فيبسطون منديلا مستطيلا على مكان مرتفع من الأرض ، وربما كان مزبلة ، ويقولون لمارة الحجاج : أعد (٢) الزيارة لصاحب هذا القبر . إلى غير ذلك من حيل الصناعة ، وعلى كل حال قد خلصنا الله من أيديهم مخلصاً حسناً .

واكثرينا هنالك الإبل ، واكثرينا محاملنا المسماة بالشقدف ، وكان أكثرنا في معية رفقائي من الترك ، وزميلي في الشقدف محمد علي باي ابن عصمة أفندي قاضي المدينة المنورة .

وكان خروجنا من جدة بعد أن صلينا بها صلاة العشا .

ومن اجتمعت بهم في جدة من خاصة أعيان تجارها وأذكياء أختيارها السيد أحمد المشاط ، وهو شيخ فاضل ، واسع التجارة حسن الإدارة ، مشارك في الآداب والسياسة ، صادفت معه أثر فالج أصابه فعطل بعض حركاته ، ودعاني للنزول في بيته فاعتذرت له بما عندي من الميل عند

النزول إلى الانفراد ، وعلى كل حال رغبته منه قبول مكاتبي الواردة والصادرة حيث أني سبقت مني الوصاية بتوجيه مكاتبي على اسمه ، وقد استصحبت له مكتوباً من الشيخ محمد بيرم كان هو سبب التعارف بيننا ، فأحسن في حفظ مكاتبي وتبليغها على أحسن الحالات - جزاه الله خيراً ، ولحسن المكتوب البيرمي نثبته هنا ، وهذا نصه : المقام الذي نعظمه ونجله ، ونثني عليه من المحامد بما هو جدير به ومحله ، المدوح بالأسن الغادي والرايح ، الكريم الشيم حتى تعطرت بشنائه سائر الأخبار العطرة الروائح ، الماجد الفاضل ، التحرير الكامل ، سيدي أحمد المشاط ، لازار حميد الأخلاق ، مثنياً عليه في سائر الآفاق . أما بعد سلام عاطر ، وثناء لمحامدكم البهية ناشر ، فإن العيد منذ تشرف بعلاقاتكم السعيدة ، وتعرف بشئلكم الفريدة ، لم يزل وداده إليكم راسخ الأوتاد ، وقلبه متأسفاً من البعاد ، وثناؤه عن كريم أخلاقكم يخزق المعتاد ، وإنما أخزته عن مكاتبتكم حوادث الأنكاد ، وهول المصائب بوطنه من شرار العباد ، وتراميه كل يوم في بلاد :

يوم يحزوى ويوم بالعقيق وبأ ^{مديب} يوم ، ويوم بالخليصاء

إلى أن من الكريم الجواد بالاستراحة حصه بدار الخلافة لازالت ثابتة العماد ، وحانت هاته الفرصة للمكاتبة مع الفاضل النزيه ، التحرير الوجيه ، الشيخ سيدي محيمد السنوسي فأصبحنا معه مزيدا الاشتياق ، إلى تلك الأخلاق ، وهو - حرسه الله - ينهي إليكم ما للمخلص من الود الراسخ ، والثناء القائم على الصدق الشامخ ، وهو - أصبحبه الله السلامة - جدير بأن تشمله من عنايتكم التفاتة . وسترضى - بحول الله - سماته ، و الأمل من فضائلكم الدعاء لمخلص ودكم في مظان الإجابة ،

لازلم مصيبين في كل غرض غاية الإصابة ، والسلام من الداعي محمد
بيرم التونسي لطف الله به ، ١١ ذي القعدة سنة ١٢٩٩ .

مكة المكرمة :

هذه أم القرى ، ومهبط الوحي ، ومحل وجود خير الوجود ، ومظهر
الشريعة الإسلامية ، وفيها كعبة العرب وموضع اجتماع قبائلهم ، وهي
محل حكومتهم العظمى ، ومقر أشرافهم ، وتسمى مكة لقله مائها
وتسمى المعطشة ، وتسمى بكة وأم كوئي وهو محل من قعيقعان ، وفاران ،
وتسمى قرية النمل ، والباسة .

وطولها من باب المعلى إلى باب الماجن أربعة آلاف ذراع ، واثنان
وسبعون ذراعاً ، وطولها من طول المعلى إلى باب الشبيكة أربعة آلاف
ذراع ومائة واثنان وسبعون ذراعاً ، وغير خاف على مطالع السيرة النبوية
خبر خروج رسول الله (ص) من مكة ، بعد أن أرسله الله ، فخرج مهاجراً
إلى المدينة إلى أن جاءه نصر الله والفتح .

وقد وقع الخلاف في فتح مكة هل كان عنوة فتكون مقسومة ، ولم
يقسمها النبي (ص) و أقرها على ذلك لاتباع ولا نكرى ، ومن سبق إلى
موضع فهو أولى به ، وبه قال مالك وأبو حنيفة والأوزاعي ، أو كانت
صلحاً فبقيت ديارها بيد أهلها يتصرفون في أملاكهم بالسكنى والبيع
والاجارة وبه قال الشافعي وغيره ، وعليه جرى عمل الناس قديماً وحديثاً ،
وهذا الخلاف إنما هو في أرضها ، وأما أبنيتها الحديثة فلا خلاف في أنها
تباع ، على قاعدة من بنى في أرض في الوقف ، حيث يجوز له بيع ما بناه .
وقد اختلف العلماء أيضاً في حكم المجاورة بمكة فمذهب أبي حنيفة
وبعض أصحاب الشافعي كراهة ذلك ، تخوفاً ضعف الاحترام للبيت

العتيق ، ولذلك كان عمر (ض) يدور على الحاج بعد قضاءه النسك بالذرة ويقول : يا أهل اليمن بمنكم ، يا أهل الشام شامكم ، وبأهل العراق عراقكم ، فإنه أبقى لحرمة ربكم في قلوبكم . وسئل مالك : هل الحج والجوار أحب إليك أو الحج والرجوع ؟ فقال : ما كان الناس إلا على الحج والرجوع . وذهب صاحباً أبي حنيفة والشافعي وأحمد إلى استحباب المجاورة - أي مع المحافظة على واجب الإحترام للبيت الحرام امامنا^(١) الكعبة المشرفة التي كانت إقامتها للطواف من عهد آدم (ع . م) على نحو طواف الملائكة بالبيت المعمور ، لطاعة ربهم فيما أمرهم به ، وقد رفع إبراهيم (ع . م) القواعد من البيت بنص القرآن ، وروى الأزرق عن أبي^(٢) اسحاق أن إبراهيم رفع البيت تسعة أذرع ، وجعل طوله من الحجر الأسود إلى الركن الشامي اثنين وثلاثين ذراعاً ، وعرضه من قبل الميزاب من الركن الشمالي إلى الركن الغربي المسمى ركن العراق اثنين وعشرين ذراعاً ، ومن جانب ظهر البيت من الركن الغربي إلى الركن الثاني^(٣) إلى الحجر الأسود عشرين ذراعاً ، وجعل الباب لاصقاً بالأرض غير مبوب ، إلى أن جعل لها تَبَعُ الحميري باباً يفتح ، وحفر إبراهيم في بطن البيت عن يمين حفرة لتكون خزانة للبيت ، يوضع فيها ما يهدى إلى البيت ، وكان إبراهيم يبني وابنه إسماعيل ينقل الحجارة على عاتقه حتى انتهى إلى موضع الحجر الأسود فقال : اثني بحجر أضعه هنا ، يكون علماً للناس ، يبتدئون منه الطواف وكان الحجر

(١) كلمة غير واضحة ولعلها (أما بناء الكعبة) .

(٢) كذا والصواب (ابن اسحاق) وهو محمد صاحب السيرة . . والخبر ورد مطولاً في

« أخبار مكة » للأزرق ج ١ ص ٢٦ - ٢٧ ط : مكة المكرمة - وما هنا فيه اختلاف .

(٣) هنا نقص صوابه : (الثاني أسد وثلاثين ذراعاً ، وجعل عرض ثقتها الثاني) إلخ .

الأسود مستودعاً بجبل أبي قبيس ، فوضع مكانه ، ولم يكن للبيت سقف .

وهناك كان حفر بئر زمزم ، وفي الحديث : « ماء زمزم لما شرب له » وروي أن الحجر الأسود كان نوراً يتلألأ ويضيء ، فسودته أرجاس الجاهلية . وفي الحديث : الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة ، طمس الله نورهما .

وبعد بناء البيت طلع إبراهيم على جبل ثبير ، وأذن في الناس فقال : يا عباد الله إن ربكم قد بنى لكم بيتاً وأمركم أن تحجوه ، فحجوه ، وأجيبوا داعي الله .

وقد بناه بعد إبراهيم الحارث بن مُضاض الأصفري من جرهم وزاد في رفعه ، ثم بناه العمالق . وعند تفرق قبائل جرهم وخروجهم إلى البرية اعتادوا في أسفارهم حملَ أحجار من الحرم ، يطوفون بها إذا نزلوا ، تبركاً بآثر البيت . قيل : وكان ذلك سبب عبادة الأحجار في الجاهلية .

وممن بنى الكعبة قبل الإسلام قصي بن كلاب بعد قدومه إلى مكة وكانت سدانة البيت بيد كبير خزاعة حليل بن حبشية ، فتزوج بابنته قُصَيِّ ، وبعده انتقل مفتاح البيت إلى أبي غبشان وكان سيكِّيراً ، فباع المفتاح بزق من خمر ، وفي المثل : (أخسر صفقة من أبي غبشان) وصار المفتاح إلى قصي ، وقد كانت خزاعة خلفاً عن بني جرهم في سدانة الكعبة منذ سنة ٢٠٧ بعد المسيح ، غير أنهم أحدثوا بمكة أوهاماً باطلة منها عبادة هبل الذي هو أحد ثلاثمائة وستين صنماً داخل الكعبة ، واستمروا إلى ظهور أمر قريش ، وقد تولى الحكم رئيسهم قصي سنة (٤٤٠)

بعد الميلاد ، وهو الذي جمع القبائل القرشية تحت يده وجعل الحكومة في أيدي جمهور من العرب ، وبني دار الندوة يجتمعون فيها للمشورة وغيرها ، فلم يكن يتزوج رجل من قريش إلا فيها ، ولا يدخلها إلا ابن أربعين سنة ، وكان يدخلها ولد قصي كلهم ، وقسم جهات البيت بين طوائف قريش ، فبنوا دورهم حول البيت من جهاته الأربعة (٢) وتركوا حول البيت مقدار (٣) للطواف ، يقال : إنه المقدار المفروض الآن حول البيت ، المسمى بالمطاف ، إلى أن زاد عمر في المسجد الحرام ، وتبعه من بعده . وقد اجتمع لقصي من المناصب مالم يجتمع لغيره ، فكانت بيده الحجابة والسقاية و الرفادة ، والشدوة واللواء والقيادة ، أما الحجابة فهي سدانة البيت - أي تولي مفتاح البيت - وأما السقاية فهي سقاية الواردين للحج بالماء العذب وينبذ لهم التمر والزبيب فيسقيهم منه ، وأما الرفادة فهي أطعام سائر الواردين للحج ، فيمدُّ لهم الأسطة أيام الحج ، واستمرت في الاسلام فكان الطعام يصنع بأمر السلطان يبنى للناس حتى ينقضي الحج

وأما اللواء فهو راية يلوونها على رمح وينصبونها علامة لتوجة العسكر للحرب ، وأما القيادة فهي قيادة الجيوش .

وقد أعطى قصي^٤ سدانة الكعبة لعبد الدار ، فبقيت في بني شيبه من بنيه إلى هذا اليوم ، وقد خص من أبنائه هاشما بالرفادة والسقاية واتسعت مكة في مدته .

ثم خلفه المطلب^(٤) ثم عبد المطلب جد النبي (ص) ولما أضمر السيل بجبلران الكعبة بناها قريش ، ورضوا بمحمد الأمين أن يتولى وضع الحجر الأسود مكانه ، بعد أن أشار عليهم بوضعه في ثوب تولَّى حمل أطرافه

كبراه جميع القبائل ، إرضاء لهم بعد اختلافهم ، وجعلوا ارتفاعها ثمانية عشر ذراعاً ، ونقصوا من عرضها ورفعوا بابها عن الأرض ، وجعلوا داخلها ستة (٢) دعائم ، في صفتين ، ثلاثة في كل صف من الحجر إلى الركن الثاني ، وجعلوا في ركنها الشامي من داخلها درجة يصعد منها إلى سطح الكعبة .

وقد كان ابرهة الأشرم أحد قواد النجاشي ، تغلب عليه وجعل سائر الحبشة تحت قيادته ، وظفر في كثير من الحروب ، وبني كنيسة معجبة بصنعا ، وأغار على الحجاز لهدم الكعبة بأربعين ألفاً فخذلوا وازداد بذلك احترام العرب بمكة حتى قال أحد المؤرخين الافرنج : إنه مع اختلاف اهواء العرب ، اتفقوا جميعاً على إعلاء قدر الكعبة على سائر هياكل عباداتهم ، ورأوها هدية من الله إليهم إعلاما بفضلهم ، ووضعوا فيها الثلاثمائة والستين صنماً ، فصارت عندهم بمنزلة (البتيون) عند قدماء اليونان ، وأظهرت الصابئة واليهود وسائر العرب تعظيمها ، وبذلوا جهودهم في زخرفتها ، بل رغبوا في فوقاتها على سائر مباني الدنيا ، ولذلك كانت روايات شرفها أحب الأحاديث عندهم ، وعلقوا عليها المعلقات السبع رغبة في أن يعلق عليها سائر أنواع الشهرة ، وكانت لقريش - سدنة الكعبة - ضرب من التحكم الديني اعترف به سائر العرب ولذا كان لهم الحق في تعيين الأشهر الحرم التي يمتنع فيها القتال بين جميع قبائل العرب ، ويلقي أمامهم السلاح من يحضر سوق عكاظ قبل الدخول للجلوس لثلا يقع بينهم سفك الدماء .

وكان عبد المطلب بن هاشم المولود سنة ٤٩٧ بعد الميلاد ممارساً للحكومة العظمى في مكة من سنة ٥٣٠ إلى سنة ٥٧٩ فخلص وطنه من

غارة الحبشة ، وأقرع بين أولاده حين بلغ عددهم عشرة ، وذلك سنة ٥٦٩ لذبح أحدهم قرباناً وفاءً بنذره ، فوتمت القرعة على عبد الله أحبهم إليه ، وعمره إذ ذاك خمسة وعشرون سنة ، فهم بذبحه ، وأنكر عليه قريش ذلك ، ورجعوا إلى كاهنتهم العرافة فأشارت بالاقتراع بينه وبين فديته من الإبل ، إلى أن خرج الاقتراع على مائة جمل ، وقع نحرها وصار ذلك مقدار الدية بين قريش .

ثم إن عبد الله بن الزبير هدم الكعبة ، وبنهاها على قواعد إبراهيم ، وغير بعد ذلك الحجاج بن يوسف الثقفي بعض جهاتها ، وكان عبد الملك بعث إلى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسري بسنة وثلاثين ألف درهم ، ليضرب منها على باب الكعبة صفائح الذهب ، على ميزابها وأساطينها وأركانها من داخلها . وزاد الخلفاء بعد ذلك تحلية الكعبة بصفائح الذهب من داخلها ، وأهدى لها الملوك معاليق الذهب المرصعة بالجواهر ، والسيوف المحلاة بالذهب ، إلى غير ذلك من النفائس التي تلاشتها اليد العادية .

وقد كسى النبي (ص) البيت بالثياب البهائية ، واستمر كسوها في الإسلام إلى أن أوقف الملك الصالح بن الملك الناصر قلاوون قريتين بمصر على كسوة الكعبة الشريفة وهما بيسرس وسندبيس^(١) فكانت الكسوة السوداء مكتوب : (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) آلات في قلب آلات^(٢) ، وربما زيدت في الحواتي آيات من القرآن ، وأسماء بعض الصحابة ، واستمر سلاطين آل عثمان على ذلك كل سنة .

(١) في « مرآة الحرمين » تأليف إبراهيم رفعت باشا تحديد للملين الموضحين .
(٢) كذا وفي الكلام نقص . وكلمة (وآلات) هذه صورتها (آلات) وهي غير مفهومة .

تجرد كسوة الكعبة ، وتقسم الكسوة القدعة فيبيعهها بنو شيبة أصحاب
سدانة البيت وفي نظم الطرطا سوسي :

وما على الكعبة من لباس إن رثَّ جاز بيعه للناس
ولا يجوز أخذه بلا شرا للأغنياء ، لا ولا للفقرا

أما أبنية الخلفاء والسلاطين في المسجد وتوسيعهم إياه في تلك الدول
فجميعه مدون في تاريخ مكة المكرمة بما لاداعي لتفصيله .

أما فضل مكة وكعبتها فحسبك أنها كعبة جميع المسلمين لأداء
فريضة الحج التي هي أحد أركان الإسلام الخمسة ، وقد جمعت بين
فضل العبادة المالية والعبادة البدنية فكانت من أفضل العبادات المكفرة
للسيئات ، فرضت بالكتاب والسنة والإجماع ، والأحاديث الصحيحة
في فضل هاته الفريضة كثيرة ، وللحج فرائض ومسنونات ومنهوبات
وفضائل مدونة في جميع كتب الفقه ، وأفردت لها كتب المناسك ،
لاغرض لنا في الكلام على شيء منها ، وإنما نقتصر على موضوعات
السفر .

المطوفون :

وقد رأيت المطوفين : يحملون القادمين على المناسك بمقدار
معرفتهم لها ، مع أنهم لا تبعده حالتهم عن الجهل ، حتي أنني كنت
مضطرباً في ثوب الاحرام فتجاسر المطوف عند شروعي في الطواف وأخذ
ثوبي وستر به كني كما رأيت غيره يفعل في غيري ، وبعد فراغه من
عمله أرجعت الاضطباع ، وأمرته بالشروع في الطواف ، وبعد الفراغ
أعلمته بحكم المسألة فقهاً . ثم إنه دعا إلي أفراداً في المسجد عند حجر

إبراهيم^(١) ، وذكر أن موضوعهم تلقّي الصدقات في ذلك المسجد الحرام من الوافدين . فصرحت له ولهم بكرهه الصدقة داخل المسجد في مذهبنا

غسل الكعبة :

وقد تشرفت بالدعوة لحضور غسل داخل الكعبة المشرفة في صبيحة يوم الأربعاء الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة ١٢٩٩ فحضر هنالك الشريف عبد الله ، وعصمان باشا^(٢) وإلي الحجاز والسيد الشبي وقاضي مكة السابق ، وقاضيتها الجديد ، وبعض الأفراد من خاصة الوافدين ، فاتّزَرَ أولئك المتوظفون بطيالة الكشمير ، وابتدأ العمل جناب الشريف ، وكنت من الخادمين في ذلك الغسل إلى منتهاه .

التدريس في الحرم :

ووجدت الحرم المكيّ فيه كثير من العلماء يقريءُ الدروس من الفقه والتوحيد والنحو ، ومن المبتدئين من يقريء مناسك الحج ، ووجدت مفتي مكة يومئذ وشيخ شيوخها العلامة المحصل الشيخ أحمد دحلان يقريء تفسير البيضاوي بعد صلاة الصبح ، ويحضر درسه كبار العلماء ، بحيث أنهم بعد انفصالهم من دروسه يتفرقون في جهات الحرم للتدريس ، فتخرج من بحر درسه تلك الجداول التي تستمرُّ بقية اليوم ، وطريقة تدريسه لاتبع عن الطريقة التونسية في إلقاء المسألة أولاً ، ثم تطبيقها على الكتاب ، وهكذا بقية العلماء على اختلاف طبقاتهم في العلوّ والتوسط والابتداء ، وأكثرهم وافدون من مصر وغيرها .

(١) كذا والصواب (إسماعيل) .

(٢) يقصد (عثمان) .

وكان للشيخ رحمه الله الهندي هنالك الصيت المشهور - وسيأتي له ذكر في الخاتمة :

وكثير من علماء مكة وأدباؤها يشتغل بتجارته ، ويتخذ للعلم وقتاً من بياض يومه .

التجارة في مكة :

قد رأيت أثناء إقامتي بمكة من رواج سوق التجارة فيها ما علمت به حسن حالة التجار في تلك الديار ، ولكن رأيت من الواردين للحج تهاوتاً على شراء مالا يحتاجون إليه ماتعللوا فيه بأنهم يريدون منه التجارة لما وجدوه عليه من تنازل الأسعار ، وربما هذا الشره حملهم على التفريط فيما بين أيديهم من المال ، وتعويضه بتلك العروض التي لا تغني في حالة السفر شيئاً ، وقد نصحت لبعضهم ، فكان سريان الداء بحيث لا تنجح معه الأدوية ، ولكن لما فشا المرض ، وضربت (الكرنيتينة) ظهر على بعض أولئك المفرطين ما اقتضى لهم التطلب لما لم يجدوا ، وانقطع بعضهم ، وفيهم من ترددوا على بعض (قنصلات دولة الحماية) في بعض البلدان ، ورأت (الدولة التونسية) بعد ذلك أن صنيعهم يخل بشرفها ، فصدر أمر عليّ بالإياب ، باشتراط إعطاء ضمان في المال الكافي للذهاب والإياب ، أو ما يستدين (؟) به الحاج في الخارج ، وصار ذلك الشرط صفة مضروبة على كل حاج في البلاد التونسية ، خاصة لما رأت الدولة حصوله من بعض حجاجها .

إمارة مكة المشرفة :

وعند دخولي مكة المشرفة صادفت ورود خبر عزل عبد المطلب [ابن غالب بن مساعد] واعتقاله بالطائف ، وإسناد الإمارة إلى الشريف

عبد الله بن محمد بن عون بن محسن ، فأقام شارات الإمارة ، وأقيمت له علائم الملك ، ووفد الوفود لتهنئته ، وقد انتهزت هاته الفرصة لتحلية شعري بمدح شريف مكة ، فاستأذنت عليه ، وعين لي وقت التشرف وزرته في مجلسه الخاص ، فوقف وأجلسني إلى جنبه ، وقبل مني الهناء والافصاح عما وجدت عليه أهل مكة من السرور بعود الإمارة إلى فرعهم الطاهر ، ثم استأذنته في سرد ماصح به الخاطر في تهنئته ، فبهش - رضي الله عنه - لذلك ، وأظهر علائم السرور وأذن لي بذلك ، وقد استعاد مني عدة أبيات من هاته القصيدة . التي لا فضل لها إلا بكونها تجملت بمدح أمير الأشراف ، وأحسن قبولها وهي قولي :

شغرت التهاني عن سرور يبسمُ والبشر عن نضحاته يتنسمُ

(في ٥٢ بيتاً أوردها وقال بعد إيرادها) .

وقد هنأه بهاته الإمارة جميع أدباء الحجاز بالقصائد الفائقة ، وجمع هذا الأمير أدباء مجلسه للنظر في جميع قصائد تهانیه ، وجعلوا لها مراتب ، على عادة اعتناء عرب الحجاز بمقام الشعر ، وقد وقفت على كثير من تلك القصائد وبقي معي بعضها نثبت هنا أعلاه ، لذكره آل البيت ، فمن ذلك قصيدة الشيخ حسن وفا وهي قوله :

الدهرُ ياربُّ المكارمِ والمُلاَّ قد تاب بما قد جناه أولاً
فاسمح وجُدْ بالعضو عنه فإنه ألقى مقاليد الشقاق وأقبلا
وأجلُّ ما سرَّ الأحبة أنه بجميع مايرضى علاك تكفلاً
ومن الدليل على الوفاء بعهده ما قاله بين الانام مفصلاً
آليتُ كلَّ أليَّةٍ مبرورة عن أمر عبد الله لن أتحولاً

(العبد لي) بن النبي من ارتضى
ملك كساه الله ثوب مهابة
بوجاه من رتب الكمال برتبة
ناهيك من شرفت سجاياه ومن
وجبت مودته بما قد جاء في
أو ماترى نور الشفيح بوجهه
فإذا بدا للناظرين ترى به
بهرت مهابته العقول وأشرقت
فإذا سرى تسري الأماجد خلفه
أو ماتراه لآل أحمد سيدنا
جلت مزاياه وعز نظيره
أضحى به الملك الأثيل مؤيداً
يختال من شرف ومن كرم ومن
سمح البنان إذا أتاه قاصد
فاضت يده على الورى بمكارم
لاخاب من لحجاه في الحي احتفى
ساس الانام بسنة الهادي الذي
يقضي بما يرضي الإله وعينه
جبلت على الفعل الجميل طباعه
فكان بين مقاله وفعاله
قرت به عين الإمارة وازدهت
ورقت به أوج العلا وتوطنتم

أوج العلا ، وبه الزمان تجملاً
وعليه بالملك الأثيل تفضلاً
أضحى بها بين الملوك مجملاً
هامت بحسن علاه أفئدة الملا
(شورى) وبه (الأحزاب) صار مبعجلاً
يبدو لمن في الحي فيه تاملًا
نوراً من الهادي ، تلاً مقبلاً
في أفق مجد بدره لن يافلاً
وإذا دعى يدعى الإمام المفضلاً
وبمدحه التنزيل جاء مفصلاً
فنظيره في الكون لن يتحصلاً
يختال بما قد حواه من العلا
بأس بواده تنزل (يذبل)
بلغ المرام ، ونال حظاً أجزلاً
طابت مواردها ، وراقت منها
وأناه من أقصى الديار مؤملاً
لولاه ما انكشف الضلال ولا انجلى
عن حسن مصلحة الورى لن تغفلاً
فسوى الصلاح بحيه لن يفعلاً
ملكاً بمصلحة الأنام موكلأ
ومقرها بسنا علاه تجملاً
بالعز في أفق السعادة منزلاً

وغدت تيمس من السرور كأنها
 أو ماتراها من محاسن عدله
 ورقمت مراقبي النيرين به وقد
 وغدت نتية على البدور بحسنه
 من لم يكن كفواً لذات محاسن
 يأبها المولى الذي سرت به
 وافيت مكة فاستهل جمالها
 والوجه منها بالسرور تهلا

و (البيت) أصبح باسمأ بقدمكم

وتلى « ألم نشرح » وجود ما تلا

ورآى علاك به يطوف فراقه ماقد رآه من خشوعك والعلى

ونهضت تسعى بين (مروة) و (الصفا)

سعيأ به حسن القبول تحصلاً

أحرزت من حسن الطواف وسعيك المشكور أمراً بالسرور مكملاً

شاكلت بدر التم في أفق السما في كل آونة تُشرف منزلاً

مولاي إني قد أتيت مهنتاً في ضمن من هني علاك وأجملاً

ولو استطعت شرحت من أوصافكم

ما قد حويت من الكمال مفصلاً

ومن الذي يستطيع يا مولاي أن يحصي ويحصر ما حويت من العلا

ما امتاز سيد معشر بفضيلة إلا وكنت له الإمام الأولا

يهنيك في التاريخ عود إمارة بمقرها ركب الهناء مجملاً

وزها بتاريخ وحسن إمارة بقدمها عاد الصلاح وأقبلاً

ويدأ على التاريخ مما حزته حسن به البلد الأمين تجملاً

وحيث أن هاته القصيدة أهداها إليَّ ربُّها ، وطلب مني انتقادها
فبعد اطلاعي عليها قرظتها بقولي :

إِنَّ التي تَأَمَّتْ عَلَيَّ تَدُلُّلًا سمحتُ لصبِّ بالوصالِ توصلا
وجلت ذُؤَابَاتُ الدجِنةِ عن سنا بدر التمام وقد تبيدُ مقبلا
فسبت متيمِّمها بحسن شمائل وحبَّتهُ من ذلك الجمال تأملا
وتبسَّمتُ عن لؤلؤِ رطبِ صفا أضفت عليه من الجبين تهلا
وترنمتُ فرأيت درًّا ساقطا يختار من وسط الفؤاد المنزلا
هو جوهر عال ولكن من هنا واميرمكة قد حوى كل العلا (؟)
ذاك الشريف العبدلي ومثله ذو المكرمات فنال منه تجملا
ولذا رأينا من محاسن هاته مامن حلاه جلت جمالاً أكملأ
وافتُ بيمن (وفا) غدا حسنا وقد عذبت مشاريه فطابت منهلا
هو منهل الآداب راق وفاق إذ حاز المفاخر والكمال مفصلا
(حسن وفا) أهل الوفا لمن اكتنى يكماله وراة فذاً أولاً
خذن العفاف وكامل الاوصاف في الشَّمِّ الظراف المعتلين على الملا

وأنا الذي إن رمت حصر صفاته

ما مارمت يوماً للمرام توصلا
مع أنني في حالة أرجو بها من منة الرحمن أن يتقبلا
ولذا نؤمل منه دعوة مخلص مُغضٍ ، لأنَّه بالفخار تكملا
ومن ذلك قصيدة الشيخ علي بن عبد الله الرئيس إمام الشافعية ،
والمدرس وهي قوله :

اليوم مكة والميزاب والحرم بنور وجه ابن خير الخلق مبتم

شموس أبناء (عون) بالسرور لقد

عادت ، وعاد الهنا والوجود والكرم

جاء البشير لأرض الشام يخبرنا بمن به الفخر ، لا عرب ولا عجم
ب (العبدلي) الذي فيه الفخار لنا

في أمة قد خلت من قبلها أمم

قالوا : تنهأ بعبد الله قلت لهم : الحمد لله هذا المفرد العلم

وافت إلى (الطائف) الميمون تسعي له مراتب قصرت من دونها المهم

سجدت لله شكرا مذ سمعت به نادى المنادي ، فقلت الصوم ملتزم

قد كنت طلقت نظم الشعر من قدم واليوم عاد وعقد الشعر منتظم (١)

هم الملوك الألي في كل مكرمة لهم أيادٍ غدت من دونها الليم

عرج على مكة الفيحا ونازلها أبناء عون إذا ما هالك العدم

آل النبي الألي يسقى الغمام بهم ومنزل الكرم في ذاتهم ختموا

وانزل بسدة (عبد الله) سيدنا نزل الذي فيه يسو السيف والقلم

بالله دعني من (كسرى) و(قيصر) واذكر إماماً له أهل النهي خدموا

شائل من رسول الله نعرفها على ابن عون الذي عزت له قيم

هذا هو (الآصفي) الرأي من وقعت منه الأنام بظل دوحه حرم

باهي بأبيض وضاح الجبين به عقد المدائح مبدوء ومختم

فالله يبقى لنا أيام دولته مافي بديع حلاه رضع الكلم

وبعد أن انقضت العشر الأوائل من ذي الحجة في نشر علائم إمارة

الشريف عبد الله ، دار الخبر في أواخرها بأن الإمارة وليها اخوة الأكبر

الشريف عون الرفيق ، وأن ولاية عبد الله كانت للمحافظة على الإمارة

(١) في الأصل : (واليوم قد عادوا عقد الشعر) .

إلى قدوم أخيه ، وفي يوم عرفة أقبلت البرد ، ونشرت علائم اقبال (٤) الشريف في يوم عرفة ، وأدرك الشريف ذلك الموقف ، وصبح العيد معيدا لتلك الولاية . تلقاها أخوه عبد الله أيضا بالبشر والسرور حيث أن الإمارة طالت مدة خروجها من بيتهم بولاية ابن عمهم الأبعد الشريف عبد المطلب ، وكان مجرد رجوعها إلى بيتهم كافٍ في جلب السرور ، سيما وأخوه عون الرفيق أكبر منه ، وهو الذي كان يناضل عنها في أبواب الخلافة ، أما أهل مكة فكان سرورهم بولاية عبد الله أعظم من سرورهم بولاية عون لما في طبع عبد الله من اللطف واللين وحسن المعاملة ، مع أن لأخيه عون شدة وحدة يتقيها أهل مكة ، وقد كشف الغيب عن صدق ما حدسوه ، فإنه في اليوم الثالث من قدومه وضع يد القبض على كبير بني شيبة ، الذي بيده سدانة البيت ، وحمله الضبطية مسجوناً للقلعة ، وكان لذلك تأثير عظيم ، وكان ذلك لمجرد صحبه مع الشريف عبد المطلب . وقد بادر بعض الأشراف من آل عبد المطلب إلى الخروج ، وظهرت شدة الشريف عون على العلماء والخاصة بعد ذلك ، وانتصر على شدته بمن أعانوه من أخلاط البلاط السلطاني ، يسوق إليهم المنهوب ، ويكتفي لنفسه بما وصل إليه من المغلوب ، هذا ما أفضى إليه حال ولايته ، وعلى كل حال فإني عند تهنتته بالعبد لاقيت منه مأسرتي ، وأعدت التهنته له بالإمارة ، واذن لي بزيارته في بيته ، فدخلت عليه في قاعة جلوسه العام ، وبعد تقديم التحية أمرني بالجلوس برهة إلى أن قضى ما بين يديه ، فاستأذنته في تقديم قصيدة التهنته له بالإمارة فأمرني بإنشادها ، فوقف في موكبه ، وأنشدني بين يديه ، وتلقاها مني بسرور ، وقد ضمننتها ما سبق للشعراء من تهنته أخيه بالإمارة المذكورة

مع حسن التعليل الجاري مجرى الاعتذار وهي قولي :

عيد التهاني عاد في (أم القرى) واعد للاسلام عيد الكبرا
إذ قد ألى والمؤمنون بموقف كلاً تراه مليئاً ومكئبراً
لكن تضاعف بشرنا وهناؤنا بقدم فخر السادة الشمّ الذراً
هو ذالكم (عون الرفيق) وحبذا عون ، وما في ذكر عون قد جرى
إذ من بني عون إلى البلد الأمين مفاخر عمّت بفضل أثرها
ولآل عون في الإمارة آية تتلى بمقول صادق دون افترا
وليوم عودتهم لها نبأ فكم برق يسير به ، ويذكر قد سرى
وتساجل الشعراء منه وإنما كل لعودة (آل عون) استبشرا

وقد انجلي صبح اليقين عن الذي

تنكرر البشرى به بين الوري

إذ (بيت عون) شخص فضل أينما

حلّ الحلي به يزين ، كما ترى

وتكرر البشرى يروق وربما بالعودراق وفاق كأس السكر (؟)
والعود أحمد ، سيما إن كان قد زان الجميع غداة قدام الكبرا (؟)
ناهيك من عود به قد أصبحت صورالهدنا تختال في (أم القرى)
إذ قد غدا (عون الرفيق) ملقباً بشريف مكة ، فارتقى وتكررا
وأقام أعظم موكبا (؟) لإمارة أمسى به بين الكواكب مسفرا
وهو ابن خير الخلق ، ذو شيم سمت من سامها أثنى عليه وكبرا
وكفاه أن الله أوجب حقهم وجميعهم من كل رجس طهرا
وفخارهم يتلى من القرآن إن زان الإمام محارباً أو منبراً
أما علا هذا الأمير وفخره فعن اجتياز مداه (قيصر) قصرا

وكذا مهابتة وهمته التي فاقته فقد جاءت كما قد دبراً
وكذا تشبته وفصل خطابه عن خبرة فيه تسامى مخبراً
وكذا معارفه وحسن فعاله وعطائه فالكلُّ بحر قد جرى
ومن الإشارة يكتفي هذا المشير فإن فخر كماله لن يحصراً
فاهناً بما لقيت يا عيد الورى ولك الهناء بما لديكم قد نرى
واقبل هناء الوافدين فإننا لهناء مجدكم انتقيناً جوهرها
وأرى الألى فرحوا بأمرك كلهم قد طاب نشرنا عابقاً متعطرأ
وكذلك جاء العيد وهو مبشر بهنائكم كما يطيب ويفخراً
وأنا الذي قد طاب عندي بشره قد قلت أرخ : (طاب عيدبشراً)

وهناهُ بتلك الإمارة أيضاً الشيخ حسن وفا بقوله :

أشربت من كأس الرحيق ؟ وطربت من راح العتيق ؟
حتى غلوت بنشوة وصبوت في الغي العتيق (؟)
أم حدثتك الفيد عو د الوصل في روض العتيق
فأثرن وجدك في الحشا ونثرن دمعك كالعتيق
وأذبن قلبك في الهوى بدوائب القد الرشيقي
حتى نحلث وقد رجو ت بوعدا شم العبيق
طبايصب (؟) قد هوى ورداً على الخد الأنيق
والقلب عاد من الجوى خالاً على شفق الشقيق
فروى محاسن ثغره بشواهد الدر النسيق
وطوى الحديث بأسره عن وصف مكنوز الرحيق
سل ما بسلمى في الوفا بالوعد والعهد الوثيق
والرشف من عذب اللما والعطف بالخل الرقيق

تنبئك عن وصل الوفو د إلى حمى البيت العتيق
ومنال آمال وفيض من ندى (عون الرفيق)
ذي الجود والمجد السعيد الجد ، والجهد الحقيقي
والمعزم والحزم الحميد الرأي ، والرأي الطليق
والحكم والعلم المفيد مناره هسدي الطريق
ورث المكارم وانتمى في الفضل بالأصل العريق
نور الوجود محمد لولاه لم نضىء الشريق ؟
غيث جرى يروي الوري في البر والبحر العميق
أصل المكارم كلها يسمو بها الفرع الأنيق
من في المعالي سعده يزهو على سعد الاقيق (؟)
من لاح بدر كما له بإمارة البيت العتيق
وبغاية للطيب قد أرخت في نظمي الرقيق :
سعد الأنام بسعد مجسد شاده عون الرفيق

وقد تأخر خروج القوافل من مكة بسبب عودة ولاية الشريف ، مع
ملرؤ المرض في الحج .

وعلى كل حال فقد ترافقت مع قاضي المدينة الجديد عصمت
افندي في قافلة زعيمها اسمه مساعد ، وتعجلنا الخروج إلى ظاهر مكة
وقابلت الشريف عبد الله لأداء تحية الوداع ، وسألني عن اكرتيت منه
من زعماء القوافل ، فاحضره وأوصاه بي وصاية حمدت أثرها فكنت -
بحمد الله - في ذلك السفر مستريحاً آمناً .

وقد قدمت إلى شرفه أبياتا في التهئة بالعيد ، وفيها من حسن

الاعتذار عن شأن الإمارة ، ما استجاده بلطف أديه وهي قولي :

مولاي أنت (العبدلي) ذو المفخر ولك الهنا بقدم عيد أكبر
فابشر به واعد كؤوس البشرمن (عون الرفيق) أخي الكمال الأبر
إذ باعتضادكما لزينه بيتكم يزداد غيظ الحاسد المتنكر
وأنا أقول مقال مخلص وُدكم متقرب بك للنبي الأطهر
يُمن الإمارة لاح ، أرفع خاتم في حلية ليمين بيتكم السري
وإذا تنوقلت الحلى فهو الذي لم يعد خنصركم لغير البنصر
وعلاك بالشرف الأئيل مرفع وعليك منه وشاح فخر أعطر
فاهناً هديت ودم بقيت مرفعاً تختال في حلال الفخار الأكبر
مشيخة سدانة الكعبة :

أورد طرفاً مما ورد في كتب التاريخ عن السدانة وبقائها في بني شيبه بأمر رسول الله (ص) « خالدة تالدة » وقال : (حضرنا لمشاهدة صحتها هاته السنة المباركة ، حيث وجدنا مشيخة السدانة بيد من جمعنا الله به في ذلك المقام ، سيدي عمر بن جعفر بن محمد بن زين العابدين ابن بكر بن جمال الدين محمد بن عمر بن محمد بن علي بن غانم بن محمد بن مفرج بن يحيى بن شيبه الصحابي رضي الله عنهم ^(١) ، وقد ذكر كثير من علماء الحديث وجود بني شيبه في مشيخة سدانة الكعبة في عصور مختلفة . هي مقام المعجزة للنبي (ص) وقد تطلبت الإحاطة بجميع من ولي هاته المشيخة الشريفة من قروع هاته السلسلة الطاهرة إلى أن أتاحت لي الأقدار شجرة حررها أحد علماء مكة بسبب إرادة من السلطان عبد الحميد تحوي تواريخ أغلبهم ، وقد ساعدني بها أيادي

(١) رقم الاسماء فبلنت عند (شيبه) ٢٨ فقط .

فرعهم الجليل سيدي زين العابدين بن عبد الله بن محمد بن زين
العابدين حين شرف البلاد التونسية ، ونال بيّتي من زيارته أكرم مزية ،
وحيث أن فحول العلماء من أئمة الحديث قارنوا ذكر أفراد هذا البيت
بالمعجزة النبوية ، فقد لاحظت من الفتح الإلهي (؟) خلوص نسب
هاؤلاء الشيوخ ماكانوا في سدانة الكعبة ، حيث أن الله جعلها في بني
أبي طلحة (؟) وبذلك كان النسب محققا بالطريق الشرعي ، وهذه
خصيصة لبني شيبة لأن مقام المعجزة النبوية شاهد لنسبهم الكريم
باستمرارهم في رفعة مشيخة كعبة الإسلام .

الشهداء - قبر عبد الله بن عمر :

نزلنا خارج مكة بعهد (؟) المعروف بالشهداء ، جوار ضريح سيدنا
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

عسفان :

هذ الموضع هو المذكور في قول الشاعر .

يا خليلي أخبرنا عن منزل بعسفان

وبما أني في هاته المرحلة الطويلة كنت أعاني ألم الحمى ، وخسبت
المرحلة قريبة ندرتها أول الليل ، لم ننزل عند الغروب واستمر المسير
والحمى تساورني ، ولما طال على انتظار النزول ، وسألت عن المنزلة ،
وسمّوها لي باسمها اعتراني اشمزاز ، وفهمت من اسمها ثنية العسف ،
حتى نزلناها ، وبمجرد النزول بادرت إلى قصد التوضيء لأداء الصلاة ،
فتمعدت الخروج من دائرة الشقادف ، وكان حولها بعض أتباعنا على
المشعل فابتعدت على سمته ، وجلست للوضوء مستقبلا لمشاعل منزلنا
وبيّنا كنت جالسا حدثتني نفسي شبه إخبار ، أن هاؤلاء البدو إن ظفروا

بأخذ الحجاج أمسكوا على فيه وأخذوه لصحرائهم لأخذ سلبه ، وكان وقتئذ معي مبلغ من المال يستحيل استيفاء الحياة على حامله ، فخشيت أن يأتي على أحد من وراء ولما التفت رأيت عصلوكاً^(١) ليس عليه غير إزار يستر العورة المغلظة . وهو أسود ، وببيله قطعة رافع بها على رأسي لينزل بها عند قيامي فانقذح في خاطري : من فاز برأسه فقد أفلح . وأنزلت رأسي إلى أسفل ، وتقدمت به إلى أمام ، حتى تحققت خروجه من تحت ضربته ، كل ذلك وظلام الليل هو الستار ، ولاكن [ما] أعظم من عناية اللطيف الستار ، وعند قيامي وأخذني في الفرار نزل بضربته فاصابت عضدي الأيمن ، وأيست من سلامة يدي ، وحمدت الله على سلامة الرأس ، وناديت أتباعنا ، فما تلاقينا إلا والرجل لحق برؤوس الجبال ، ورأيت أن السلامة غنيمة تلك الليال ، غير أني وقعت مغشياً على عندما أحسست بوصولي للأمن ، فما أفقت إلا بعد حين ، وعدت ثانية من صداع ما أصابني .

ولما أفقت ثانية وجدت بيدي ثقلاً لا أدري بها حالها ، ولما كشفت عليها وجدتني اخضرت من انحباس الدم ، مع شدة الانتفاخ فطلبت بدوية من نساء تلك الحي^(٢) لمداواتها ، وامتنعت من استعمال شيء مما أشار به الناس علي فلم يكن منها إلا أن أوقدت ناراً عظيمة ، وأنت بخرقه زرقاء ، أحكمت لقفها ، وقابلتها بالنار إلى أن اشتد حميها ، وصارت في أقصى درجات الحرارة ، فباشرت زندي ولم تنزل بها كذلك كلما بردت أعادتها للنار إلى أن لأن الانتفاخ بعد شدة اليبس فجرت عليه بزيت ولفته ، ومضت .

(١) كذا ولعله (صلوكا) .

وكانت العافية ، فحمدت الله على ذلك ، بحيث أتى عند دخولي
المدينة المنورة لم يبق من أثر ذلك إلا القليل ، ومع ذلك عوفيت من
من الحمى بسبب الفجع الذي أصابني عند الضربة : وعلى كل حال
نشكر الله سبحانه على كمال لطفه الخفي ، ولولاه لما كان من المعقول
للبدوي أن يجدني بين يديه منفرداً ويبقى ينتظر قيامي ، إذ لا محل
لهذا الانتظار إلا محض لطف العزيز الجبار ، ولذلك كنت بعد هاته
الواقعة في سرور مع رفائي ، وربما أعدتها من مشاق الزيادة (ومن يخطب
الحسناء لن يغلوه^(١) المهر) وإلى ذلك أشرت في قصيدتي النبوية عند
ذكر المدينة المنورة بقولي :

وقد دقت من لأوائها في طريقها مذاقاً لنفسي كان أحلى مشارباً
لعلمي بأني قد تيممت معقلاً منيعاً و نلقى دون هذا مصاعباً
وكان ارتحالنا من هاته البقعة المباركة في الساعة الرابعة من يوم
الأربعاء (١٢-٢٦-١٢٩٩ هـ)

قطيفة (٢) :

وكان ارتحالنا - من عسفان - الساعة الرابعة من يوم الأربعاء
فبلغناها في الساعة التاسعة من ليلة الجمعة ، فكان سير المرحلة سبع
عشرة ساعة .
رابع :

وارتحلنا - من قطيفة ؟ - الساعة الرابعة يوم الخميس (١٢-٢٧-٩٩)
فبلغنا رابع الساعة التاسعة من ليلة الجمعة ، وأصبحنا هنالك بين

(١) كذا .

(٢) لا أعرف موضعاً بهذا الاسم في هذه الناحية وكذا مواضع أخرى سيأتى ذكرها ، ويظهر
أنه غير دقيق في ضبط الأسماء .

نخيلها ، ودخلنا سوقها المملوء بصعاليك البدو المتوحشين ، يبيعون فيه اللقيق والشعير والسمن والدجاج والبيض والتمر وبعض مصنوعات الخسف والجلد .

وعادة الراحلين إذا وصلوا إلى هذا الموضع أخذوا فيه راحة ، لوجود شبه عمران ، واستقوا منه ، وشروا علف الإبل وسقموها ، وربما طبخ النازلون إن طال المقام ، وقد ارتحلنا في الساعة السابعة من يوم الجمعة (٢٨ - ١٢ - ١٢٩٩)

بئر بلحسن ؟ :

ارتحلنا - من مستورة - الساعة الرابعة يوم السبت - بئر بلحسن هو موضع بئر فوارة كثيرة الماء حسنة الموقع ، يقع النزول إليها للاستقاء وقد بلغت الساعة الحادية عشر من يوم الأحد .

بئر خواص :

لما كانت هذه البئر عند قرب الصفراء والجديدة مواضع سكان أهل الإبل فإن أصحاب القوافل يطلبون الراحة فيها ، وربما ذهب بعض الجمالين لعبادة أهله ، وانما كان قليل الأمن ، ذلك لأن البدو أصحاب الإبل إذا كانت للواحد منهم عداوة من بعض حيه (٤) يترصدون وصول قافلته ليأتوا عليها حتى يوقعوه بذلك في شغب ، ولذلك كان أحسن الجمالين من يعرف بمسألة أهل حيه ليأمن من يصاحبه في الركوب ، وقد يكون الجمال نفسه سبب هلاك القوم ، وهذا في الغالب ينشأ عن سوء معاملة بعض الناس للجمال في أثناء الطريق ، فيريد الجمال منه الانتقام بيد قومه ، فيدفع ذلك ، فالعاقل من سالمهم وأحسن إليهم سيما في هاته المواقع الوعرة لأنهم فيها تعتري رموسهم خنزوانة

البداءة والمنعة التي لا تنالهم معها الدولة ، وهذا أمر عظيم يلزم أن يلاحظه
المسافر معهم

وقد وصلنا هذه البئر في الساعة التاسعة^(١) من يوم الاثنين غرة
المحرم ، وتوجه زعيم القافلة ليأتي من أهله بما شاء ، وتبعه على ذلك
أكثر الجمالين ، وأتوا لنا ببعض أهل قبيلهم ليحرسونا ، فأصبحنا
في مكان خوف ، يحيط بنا حراس لانعرف حالهم معنا ، والنفوس ذاهبة
فيهم إلى كل مذهب ممكن ، إلى أن رجع إلينا أولئك الصعاليك ، فارتحلنا
في الساعة الرابعة من يوم الثلاثاء الثاني من المحرم سنة ١٣٠٠ .

بئر قريش :

بلغناه في الساعة الثامنة^(٢) من ليلة الأربعاء بعد أن مررنا بين جبال
تلك الجهات المستطيلة ، وارتحلنا يوم الأربعاء فسرنا يحدثونا حادي
الاشتقاق . . . إلى طيبة . . . قرت بها العين صباح الخميس الرابع
من المحرم .

أهل المدينة :

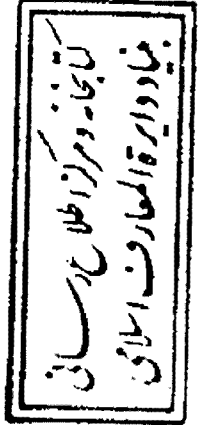
ورأيت من حسن أخلاق أهل المدينة ولطف شمائلهم ما اقتضاه الأدب
في جوارهم لذلك المقام .

حفل استقبال المحمل الشامي :

وأعظم المواكب في المدينة المنورة يوم قدوم المحمل صحبة الركب
الشامي ، يخرج فيه جميع المتوظفين والرؤساء والأعيان والعمامة إلى
ظاهر المدينة لتلقي المحمل ، وقد كان اجتماع الخاصة في بيت هنالك

(١) كان ارتحل من بئر بلحسن الساعة السابعة من ليلة الاثنين .

(٢) كان سار من بئر خراص الساعة الرابعة من يوم الثلاثاء .



حضرته بالاستدعاء ، فكان به شيخ الحرم والقاضي والمفتي وكبار الأئمة ،
 وقد اتفق في هذا المجلس المجتمع لانتظار قدوم المحمل أن شيخ الحرم
 عرض علي استعمال التدخين ، وقد التزمت في جميع سفري بالبلاد
 الأورباوية والبلاد التركية والبلاد الحجازية أن لا أغير شيئاً من عادتي
 وأنا أكره التدخين والنشوق ، فلم استعمل شيئاً من ذلك لأجل^(١)
 وكنت نعتذر^(١) بما لا يحتاج إلى إقامة برهان ، فتعلل بآئي^(١) نكره
 ذلك ، وقد بلغني عن أحد الشيوخ التونسيين بالاستئانة أنه قبل في
 مجلس مشيخة الاسلام استعمال التدخين ، فحصل له منه سعال في ذلك
 المجلس ، اختلّ به أدب الاجتماع بسبب تحمل مالم يقع به الاعتیاد ،
 ولكني لما اعتذرت لشيخ الحرم أليح علي المفتي في استعمال النشوق ،
 واحتج علي باستعمال التونسيين له ، وأفاض الجمع في تعليل حسن
 الاستعمال ، والتطلب لوجه ماأنا عليه من عدم استعمال شيء من ذلك ،
 وعند ذلك أظهرت لهم ما يخالفني كثيراً في سائر بلاد الترك وبلاد الحجاز ،
 حيث رأيت التدخين يستعمله النساء والولدان كما يستعمله الرجال ،
 من غير أدنى تستر ، فرأيت أن مصيبة البلاد الشرقية التركية من التدخين
 أعظم من بلاد أوربا ، ورأيت أن ماعليه التونسيون من كون الصغير
 لا يستعمل التدخين بمحضر الكبير ، والجاهل لا يستعمله بمحضر العالم ،
 حتى ان محمد باشا باي الرشيد كان يسامر العلماء ، ويخرج لاستعمال
 التدخين ، وعندما طلبوا البقاء منه معهم علي تدخينه قال : إنه يفعل
 ذلك لتعظيم جانب العلم فلا يخشى بذلك ضرراً ، وفي هاته الأحوال
 التونسية مايدل كل جاهل علي أن التدخين ليس حكمة في الشرع كحكم

(١) في الكلام نقص واضطراب .

أكل الخبز وشرب الماء ، والخلاف الشرعي فيه مقرر ، ولكن حالة البلاد التركية والحجاز في عدم التستر منه لايفيد شيئاً ، إن لم نقل إنها قاضية بأنه من أنواع المباح بإجماع ، وليس كذلك . وقد استحسن تقريري جميع الحاضرين ، وحيث أنهم يسمون الدخان بالتتن ، وهو لا محالة نتن .

قلت :

إن أهل الشرق طراً أولعوا بدخان ذي البخار النتن واكتفوا من نقطة زيدت على نتنٍ لستسره بالتتن بر عثمان :

هذه أول مرحلة تنقل إليها ركاب المحمل ، خرجنا إليها على الأحمره ، ووصلناها بعد العصر بعد أن سبقتنا أمتعتنا ، وذلك عشية الإثنين (١٦-١-١٣٠٠)

الصره :

واسم الصرة عبارة عن المال الخارج من دار الخلافة لإقامة شعائر الحرمين الشريفين من شموع وزيت وقناديل ، ولازم الايقاد والفرش وجراية المستحقين من أهلها ، وعوائد جميع أهل الأراضي الحجازية في أثناء مرور الركب . أخبرني أمين الصرة أن مبلغ ذلك نحو خمسة ملايين ونصف قروش ، وذلك نحو إحدى عشرة مائة ألف فرنك ، من خصوص المال عدا القفاطين والقواعد ، وأدوات الايقاد وغيره ، ومجموع مبلغ الصادر نحو المليونين ونصف من الفرنكات ، والقفاطين تخرج لجميع خطباء الاراضي الحجازية ، ولخصوص شريف مكة قفطان مجوهر تبلغ قيمته نحو الستين ألف قرش ، أي اثني عشر ألف فرنك ، أما

مرتب أمين الصرة فهو ستة آلاف ليرة ، يقوم منها بجميع لوازم أهله .
من اتباع ومراكب وخيام ومطابخ وغير ذلك ، أما وقف السلطان سليم
فقد جعل فيه ستائة قرش لأمين الصرة فقط ، ولذلك لم تنزل عادة
السلطين عند حضور خروج المحمل يعطون بأيديهم أمين الصرة ستائة
قرش من ريع الوقف على أنها أجر الوقت ، ولذلك شأن عظيم وآخرها
يتبرك بحفظها حيث أنها من ريع الوقف السلطاني ووقع تلقيها من
خصوص اليد السلطانية ، أما مخروج مال الصرة كلها فهو من نظارة
الاقواق بالدولة العلية .

لطيفة : بلغني عن الشريف المشير السيد سلمان الجيلي أحد ذرية
الشيخ عبد القادر نقيب الاشراف ، ونقيب زاوية جده ببغداد أنه
لما حج منذ ثلاث سنوات ، وقد بلغت قيمة ماأهداه للسلطان من الخيل
والمجوهرات إلى المليونين فرنكا ، وكان مع الركب فسأل أمين الصرة
عن مبلغ مصاريف الدولة على الحرمين ، ولما علمه ابستصره جدا وقال
له : إن خطباء المسلمين في جميع الدنيا ينادون بأن السلطان خادم الحرمين
الشريفين ، وهذا المبلغ إذا اعتبرنا منه مصاريف الركب ونظرنا مخصوص
ماينال أهل الحرمين مع كون أوقاف المسلمين على الحرمين من الممالك
العثمانية بعد نظارة الاوقاف لانجد فيه نسبة معتبرة . وإني أنا بموجب
نظارتي على زاوية جدي ببغداد يصلني كل سنة من زيارات أهل الأقطار
مبلغ أكثر مما يصل الحرمين من الدولة ، فضلا عن مداخيل وقف الزاوية
في سائر الجهات ، وهي أيضا في نفسها أكثر من هذا المبلغ تصل إلى
النقباء والعلماء والمجاورين ، وتصرف في الإيقاد والحصير والإطعام العام
على ممر الأيام .

الحالة العلمية في الحجاز والشام :

ملاحظة : لقد عجبت كل العجب من أمر العلم في الحجاز والشام مع وجود فحول العلماء هنالك ، كلهم يقرء في العلوم الدينية والآلية احتساباً لربه ، وليس لواحد منهم معاش عن ذلك من أموال بيت مال المسلمين ، ولا من إدارة الأوقاف ، بحيث أنه لا جرایة على التدريس ، ولا للمدارس أصلاً ، مع أن صنف العلماء لامحالة مستحق ، من بيت مال المسلمين ، وإن هذا الأمر عجيبٌ بالنظر إلى أمثال هذه الجهات التي هي منبت أصل الدين ، وذلك من أعظم ما ينبغي للدولة أن تهتم بشأنه ، والأموال الصادرة إلى الحرمين هي مرتبات أئمة ومفتين وقيمين وحفظة ، وصدقات جزئية ، وربما دخل فيها بعض العلماء .

المحمل :

ومن العوائد المستحسنة في الدولة العلية أن السلطان يحضر بنفسه لا يتفاد خروج المحمل الشريف^(١) ، ويأخذ قياده بيده ، يسلمه ليد أمين الصرة ، حتى إذا حصل العود يسلم أمين الصرة ذلك القياد ليد السلطان . والمحمل اسم الشبه هودج من خشب ، تحيط به أساترة خضر مطروزة بالفضة والذهب أفخر طرز ، تحمل على أفخر الجمال تحت قيادة أمين الصرة .

وإذا نزل الحج ذهبت لها خيمة خضراء مطروز جميعها بالفضة ، ولها رمانات من ذهب . وتجتمع عليها الموسيقى العسكرية في كل مرحلة ، تعظيماً له ، لشرف الانتساب إلى الحج الأكبر ، فهو بمنزلة راية الدولة التي تعتبرها الجنود والأهالي ، ويعظمونها تعظيمهم للدولة نفسها ، ولذلك

(١) المحمل وما يتعلق به من احتفالات من الأمور المتبعة في الدين .

جميع المسلمين يقبلون على تعظيم هذا المحمل تعظيمهم للموسم الأكبر ،
وعند وصوله للحرم الشريف يتولى قيادة زمام ناقته أكبر الباشوات والعلماء
إلى أن يدخلوا به إلى مقره من الحرم النبوي .

وصف الركب الشامي :

وبما أن أمر هذا الركب في غاية الانتظام نذكر هنا تفاصيل أحواله
إذ عسكرية حراسته مؤلفة من أربعمائة عسكري (بيادة) على
الخيال ومائة جندي (رامي) وخمسين (طوبجية) معهم مدافعان ، وباش
بوسطحي أحمد أفندي من أبناء (اشهك) بيده إمرة المكاتب الواردة
الصادرة ، وكذلك (جوخلوار) ابراهيم أفندي ونائب القضاء محمود
أفندي ، وهو رجل خبير ، يؤم من يحضر معه في محلته عند الصلاة .
والطبيب نائف أفندي . هذا من جهة انتظامه الدولي . وأما تقدمه فكان
في هاته السنة يحتوي على أكثر من ألفي جمل ، وعدد النفوس فيه بين
رجال وركبان يناهز الخمسة آلاف شخص ، وهم منقسمون إلى أقسام
حسب القوميين .

والمقوم رجل يملك عدداً وافراً من الإبل الصالحة بأدواتها وخيامها ،
ويقوم بجميع لوازم مستخدميها ، ويستعد لاستئجار ذلك على حسب
الحاجة والحال ، فمن الناس من يكتري محفةً ، وهي عبارة عن اصطبتين
ذاتي جنبيين تحملان على الجمل ، وعلى مجتمعهما خيمة ملونة وتُدّها
بوضع على سنام الجمل ، ويركبها رجلان يلزم تعاضلها في الجسم ،
ولا يحملها إلا عظيم الجمال ، يسير براكبيها نصف مرحلة ، والنصف
الثاني تنتقل فيه إلى جمل ثانٍ مستريح ، وهاته المحفة إذا حسن وضعها
وربطها تبقى على ظهر الجمل ثابتة لا حركة لها ، وراكبيها في راحة تامة ،

ينام ماشاء ، ويجلس ماشاء ، وله بين الركاب اعتبار زائد وبالجملة فهو بمثابة من يكتري في (القمره) بابور البحر ، وفي الرتبة الأولى من سكة الحديد . ومن يكن (؟) له أمتعة يكتري لها ظهراً آخر على حسبه . ومن الناس من يكتري جملاً واحداً يضع عليه أمتعته ، ويركب عليها تارة ، بِشِبْرِيَّةٍ من خزم يستظل بها على شدة حركتها ، والأكثرون يستظلون من الشمس بأثوابهم ، أو شمسيات ، وقليل من الناس من يركب فرساً أو حماراً .

وأما خيام السكنى فمعظمها على المقومين ، وقُلٌّ من يملك خيمة لنفسه .

وأما مؤنة السفر فمن الناس من يكتري على أن يطعمه المقوم ويسقيه حتى يكون بمثابة النازل في (أوتيل) يسكن ويأكل ومن الناس من لا يرضى ذلك العمل ، فيلتزم القيام بطبخه ، ويكتري من المقوم على أن يأتيه بالماء والحطب خاصة ، لقلتهما في كثير من الجهات ، ولهذا لزم السقاؤون بكثرة ، من خدمة الإبل ، ولهم في الركب زعيم ، وهو في هاته السنة يوسف باشا سقياً ، ويسمون خدمة الإبل عكّامين ، وأعلامهم قادة أصحاب المحفّات ، لأنّ الجمل إذا كان حاملاً للمحفّة يثقلها تحمل رجلين . مضطر لرفع رأسه رفعاً لا يتمحّرّ معه موضع رجله ، فيأخذ بخطامه عكّام يقوده في جميع المرحلة . وللعكّامين في الركب زعيم يرجعون إليه ، وكان باش عكّام ، هاته السنة أبو قاسم ، وأكربة جميع ذلك مختلفة ، وليس لها جدُّ معين ، بل هي على حسب حال الراغب وكثرة الراكبين وقتهم ، وربما تجاوز كراء المحفة وما تستتبعه بغير أكل ست مئة فرنك ، وربما كان أقل ، وهكذا كراء الجمل

المنعرد ، ربما كان مائة فرنك أو أكثر أو أقل وهذا تفصيل مالمقومي
هاته السنة من الإبل ، وهم الآتي بيانهم :

٨٠٠ باش مقوم محمد الزمريق .

٢٠٠ عمر بوصبح .

١٥٠ أبو فارس الذئب العجان .

١٠٠ حسن العجمي .

٠٨٠ اسماعيل الأناطا .

٣٠ يوسف زاده .

٥٠ الحمويات .

٥٠٠ البيلو .

١٩١٠

ومن عادة الركب إذا وصل إلى نصف المرحلة أذن لحاملي الخيام -
ويسمون (المهاترية) وكان (باش مهاتري) ابراهيم أحمد في هاته السنة -
فيتقدمون إلى محل النزول ، ويضربون فيه الخيام على معتاد وضعها ،
بحيث أن الركب يقسم على الجهات الأربع من القبلة والجنوب والشرق
والغرب . وكل جهة معينة لأربابها توضع فيها الخيام بوضع هندسي ،
فتصير المنزلة ذات محجبات عامة وحومات صغيرة ، وسوف يحيط
بجميعهم المعسكر ، ويجري ذلك الترتيب في جميع المراحل وفي المسير ،
بحيث أن الرجل في كل منزلة يجد نسبه من جميع جيرانه واحدة ،
وعليها نسبة المسير . . ومن العوائد المستحسنة أنه بعد رحيل الركب
تتأخر رسالة من الإبل تتألف من مائة ناقة نحو الساعة أو أكثر ليعلوا
نظرهم على المنزلة هل تخلف فيها شيء أو أحد ، ويأتون على الطريق وراء

العقيلي ، وكبيرة هاته السنة حسن الشبل ، وفي الغالب يأتون باللقطات وينادون عليها فيأخذها أهلها .

ومن العادة أيضاً إطلاق المدفع عند النزول وعند أوقات الصلوات وأما عند الرحيل فيطلق مدفعان بينهما نصف ساعة أحدهما للتهيء ، فإذا زَمَّ الناس جمالمهم وشدوا رحالمهم ، وأطلق المدفع الثاني تنهض الجمال من عند أنفسها بقيام واحد ، وسير الإبل يكون قطارات كالسموط المنتظمة ، بينها محجة للراجلين ، وفي بعض المسالك يكون الركب كله قطاراً واحداً . وكل ليلة تترنم الموسيقى العسكرية بالألحان التركية .

وفي ليلة مبيتنا (بشر عثمان) حضر عندنا بعض أحيابنا من أهل المدينة للمشايعة ، وحضر عندنا إبراهيم رأفت أفندي قاضي المدينة المنفصل ، وقائمقام نجف الأشرف علي ياور كنافه بن عبد القادر زاده الكركولي - نسبة إلى كركول من عمل الموصل ، وهو رجل حازم عارف باللسان العربي والفارسي والتركي ، وقد أحسن معاشرتنا ومؤانستنا مدة الرحيل ، وقد دار بيننا خبر الشيعة فذكر لنا من أحوالهم أخباراً ، ووصف لنا مقام سيدنا علي بن أبي طالب في (نجف) حتى ذكر أن قبة ثم وصف محتوياتها

مصاريف المحمل :

جرى الحديث بيننا - أنا وصالح أفندي كاتب الصرة - على مصاريف الدولة لا يصال المحمل كل سنة ، ولجرايات الحرمين وعواتدهما فذكر أنها تبلغ جميعاً إلى خمسمائة ألف مجيدي - أي نحو المليونين فرنكاً
بشر جابر :

كان ارتحالنا من بشر عثمان قبيل طلوع الشمس ١٧ المحرم ، فنزلنا

بئر جابر قبل الغروب بساعتين ، وراق لنا النزول وأقمنا هنالك تلك
الليلة :

آبار نصيف .

كان ارتحلنا من بئر جابر قبل طلوع الشمس ١٨ المحرم . فوصلنا
آبار نصيف الساعة التاسعة والنصف - قبل الغروب بساعتين ونصف -
وبعد استقرار نزولنا أخذت أمشي بين الخيام فاجتمعت هنالك بالعالم
الجركمي الشيخ صالح الأصم ، وهو من أفاضلهم يحسن اللسان العربي
والتركي ، زيادة على لسان قومه ، وهو ممن هاجر من بلاده حين تملكها
(روسيا) في الحرب الأخيرة ، وأخبرت أن الروس لما تملكوا أرضهم
استأصلوا أموالهم ، واستخدموا أبناءهم في العسكرية ، وكان ذلك سبب
هجرة كل من قدر على الخروج . وأما من تشاقل وأراد بعد ذلك خروجاً
فقد منع ، وعند ذلك سألته عن حالة إقامتهم الآن في بلاد الترك ،
فشكا عموم الرشوة عند قضاتهم وسائر حكاهم ، حتى كان ذلك سبب
محنة كثير من علماء الجراكسة بالنظر إلى العامة والحكام .

أصطبل عنتر :

ارتحلنا باكرة يوم الخميس ١٩ المحرم - من آبار نصيف - أصطبل
عنتر عنتر بن شداد العبسي^(١) من أشهر شجعان العرب وفرسانهم ،
ومنزله بين جبال في هاته الجهة نزلنا حولها عند الغروب .

الفحلين - همدية :

ارتحلنا - من أصطبل عنتر - الساعة التاسعة من الليل - فوصلنا

(١) هذا خطأ فبلاد عنتر العبسي بلاد قومه عبس في نجد . في غرب القصيم وشماله ، وليس
هذا الموضع الواقع في الحجاز وأصطبل عنتر يطلق على موضع آخر غير هذا بين الأزلم والوجه .

الفحلتين عند صلاة الصبح وصلينا هناك وسرنا إلى الساعة التاسعة ، من
نهار الجمعة ٢٠ المحرم .

هدية : هذا الموضع فيه قلعة عتيقة ، ويقال في وجه تسميته أن النبي
(ص) لما رجع من غزوة تبوك وجد أصحابه منتظرين قدومه بهذا الموضع
ومعهم هدية ، ولم نطلع على مايفيد صحة هذا الخبر .

براقة - البئر الجديد :

ارتحلنا من هدية قبل طلوع الشمس ٢١ المحرم .

براقة : هي أرض محجرة ، لا ماء فيها نزلناها قبل الغروب ،
وارتحلنا منها قبل طلوع الشمس من يوم الاحد ٢٢ المحرم .

البئر الجديد : هذا الموضع فيه بركة عظيمة تسمى بركة البئر
الجديد ، وماؤها ملح ، وهناك ماء عذب يجري عين في سفح بجبل
هنالك ، يأتون منها بماء الشرب ، وفي حوالي هاته المنزلة سكان من البدو
وأتوا لتلقي الحج بغنم ونبات يابس يسمى موصل (٩) لعلف الإبل ،
وكان النزول هنالك في الساعة السادسة وجري سقي الإبل في العشي ،
وشراء علفها من ذلك النبات

ثم لم يكن من البدو هنالك إلا أنهم ساقوا قطعة من الإبل بمرعاها ،
فارسل سعيد باشا أمير الركب عساكر من سائر الجهات ولم تمض ساعة
من زمان إلا وجيء بالإبل ونجا سائقوها .

الزمردة :

وكان ارتحلنا باكرة الاثنين ٢٣ المحرم - يقصد من البئر الجديد
الزمردة : موضع كثير الحجر قليل الماء ، فيه قلعة ضخمة ، متسعة
في وسطها بئر ليس له آلة ، وخارجها بركة قليلة الماء لا يمكن تعميم (٩)

الستي منه ، وسكان تلك الجهة لا يأكلون إلا التمر العجوة ، ويوجد عندهم قليل المعز ، ولذلك نصبوا سوقاً لبيع ذلك التمر ولحم المعز فخرج سعيد باشا وأقلب الطعام المطبوخ بلحم المعز ، ومنع بيع التمر خشية اعتراض الإسهال للأكلين مما يوجب (الكرتينة) .

وإلى هاته المرحلة - بحمد الله لم يمت غير شخصين أصيبا في أوائل السفر .

المربع :

وقد ارتحلنا - من الزمردة - الساعة السابعة من ليلة الثلاثاء ٢٤ المحرم .

المربع : قبل الوصول إلى هاته المرحلة بثلاث ساعات تغير علينا الهواء عندما وجدنا الأرض مرملة . وذلك الرمل مبدأ المدائن ، وكان المنزل بين جبال محيطة بنا ، ويسمى أبنارغم (؟) والمربع . ومن تلك الجبال جبل طبيعي عجيب الوضع على صورة الرحا الكبيرة ذو طبقات وفي أعلاه عمود صنوبري ، وجميع ذلك طبيعي يخاله الناظر مصنوعاً - وسبحان الصانع الحكيم - وعند نزول الركب اطلقت المدافع استبشاراً بالوصول إلى المدائن غير أن هاته البشارة أعقبها موت شخصين من الأعاجم بـ(الكوليرة) فكدر ذلك على العموم ، وقد وجدت من نفسي قلقاً قلت فيه :

يارب قد عودتني باللطف في ظعني على أخطار سيرى كله
فأنا بلطفك عائد من كل ما يعرؤ ، ولي متمسك من حبله

المدائن :

كان ارتحلنا في الساعة الثامنة من ليلة الأربعاء ، وقطعنا عقبة المدائن

في الساعة الثامنة من النهار ، ودخلنا بين ديار ثمود المنحوتة في الجبال ، ووصلنا إلى القلعة في الساعة السادسة ، فوجدنا موقد الشام المسمى بالجردة نازلاً هنالك ، وهو عبارة عن معسكر تحت إمرة قائمقام ، وهو شاكر أفندي ، ومعه بريد مكاتب الحجاج وهدايا أهلهم ، وكثير من باعة مأكول واللباس ، إعانة للوافدين ، وربما أقبل بعض أقرباء الحاج أو أحبته إلى ذلك المحمل ، بحيث أن عموم الشامية على كل حال يستفيدون أحوال من خلفهم في تلك المنزلة ، فيكون ذلك اليوم يوم سرور عام . ومن هنالك تتوجه المكاتب مع بريد الدولة على يد المكلف بها في خضر من الحراسة . وهنالك أقبل باعة من بلد يسمى العلا على بعد ساعتين مجاوراً بليمون حامض وحلو ، والحلو منه على شكل غير معروف لنا بحيث أنه كبير جداً أملس متساوي الجهات في التكوير ، ولا رأس له ، وقشره رقيق جداً .

جبل الطاقة :

وارتحلنا - من المدائن - الساعة الرابعة من يوم السادس والعشرين من المحرم جبل الطاقة : مرحلة كانت صعبة جداً لأننا سرتنا يسيراً ، ثم اخذنا في الصعود إلى عقبات مبرك الناقة التي عقرها أشق ثمود . وكان الصعود إلى جبل من رمل بين جبال من الحجارة . يظهر للرائي انقلاها ، إذ تراها قائمة على رؤوسها وقواعدها أعلاها ، ومن هنالك خرجنا إلى فضاء فيه نخلة . وحولها ساحة يقال إنها مبرك الناقة ، والممر هنالك نخبق مع عسر الصعود إلى دي (؟) الجبال ولذلك نزل أكثر الركاب تخفيفاً على الإبل ، ومع ذلك كانت الإبل تطلب النزول لما أعيها الصعود في الرمال ، فأطلقت المدافع إزعاجاً للإبل حتى لا تبرك .

وفي تلك الجهات من آثار الغضب ما يدهش النفوس ، وفي هاته
الديار استحث رسول الله (ص) راحلته ، ونهى عن استعمال مائها وقرابها -
على ماسياتي -

أما خبير قوم عاد وثمود في هاته الأرض فقد قصه الله في القرآن ،
وكان قوم عاد وثمود جبارين طوال القامات ، فأرسل الله هوداً إلى قوم
عاد ، وكانوا أهل أصنام ، فدعاهم فلم يؤمن منهم إلا قليل ، فأهلك الله
الذين لم يؤمنوا بريح سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً دائمة
فلم تدع من قوم عادٍ أحدًا إلا أهلكته غير هود والمؤمنين معه . فلإنهم
اعتزلوا في حظيرة ونجاهم الله من تلك الريح .

وأما ثمود فكانوا ينزلون بالحجر ووادي القرى فيما بين الحجاز والشام ،
وطالت أعمارهم ، فنحتوا بيوتاً في الجبال . وأرسل الله إليهم صالحاً ،
فدعاهم إلى التوحيد فلم يؤمن به إلا قليل مستضعفون ، ثم إن كفارهم
عاهدوا صالحاً على أنه إن أتى بما يقترحون عليه آمنوا به ، واقترحوا
عليه أن يخرج من صخرة معينة ناقةً ، فسأل الله في ذلك فخرجت من
تلك الصخرة ناقة وولدت فصيلاً فلم يؤمنوا ، وآل بهم الأمر أن عقروا
الناقة فأهلكهم الله بعد ثلاثة أيام بصيحةٍ من السماء . قطعت قلوبهم
فأصبحوا في ديارهم جاثمين . .

وقدر أينا على مدِّ البصر انقلاب تلك البيوت المنحوتة في الجبال حتى
صار عاليها سافلها ، فصار معظمها أطلالاً .

واستحثينا السير بينها إلى الغروب ، وكان هذا الطريق كثير المزالق
من الصخور ، حتى اعتاد العكاملون أن يقولوا : (من مبرك الناقة إلى
جبل الطاقة أربع وعشرون زلقة) . أو في هذا اليوم رأيت من أخلاق ريفتي

مع أتباعنا ماضقت معه النفس مع صعوبة الطريق فقلت :
لقد عسر الطريق مع المضيق وساء - كما نرى - خلقُ الرفيق
ويسرُّ الله يأتي بعد عُسْرٍ وكم فرَجٌ أتى بعد المضيق
ولما بلغنا جبل الطاقة رأينا جبلا فيه خرق عظيم منفتح فتحاً
طبيعياً وكانت المنزلة ليس فيها ماء .

فروش رز - ظهر الحمراء :

وارتحلنا آخر ليلة الجمعة السابع والعشرين من المحرم - من جبل
الطاقة -

ظهر الحمراء : هذه المرحلة كانت صعوبة الطريق فيها من الارتقاء ،
غير أنا في ضحوة النهار كنا في بيدااء لا يعرف لها مبدأ تعرف فروش
رز ، وفيها الركب حاد عن الطريق بسبب خطأ الدليل ، ووقع التراجع
وأخذنا نرتقي إلى الجبال الرملية ، والصخور المرتفعة بمزالتق الأحجار ورأينا
هنالك حجراً لماعاً ، ومررنا بقلعة حولها بركة لاماء فيها ، وعليها تاريخ
بنائها ، وفيها (؟) أن بانيتها عصمان باشا سنة سبع وستين ومائة وألف ،
وكان السير مشتتاً ، ونزلنا عند الغروب

بركة المعظم^(١) :

هذه البركة من أوسع البرك وأضخمها ، والحجاج ينسبونها إلى الباز
الشيخ عبد القادر الجيلي - رضي الله عنه - وذلك أنها تحيط بها جبال
وربى ، ومصعب الماء إليها يأتي مسيله من بين سفوح الجبال من ناحية

(١) وصفت هذه البركة في تعليق على كتاب « التبر المسبوك في ذكر من حج من الملوك
المغريزي ، التي نشر في مجلة « الحج » التي تصدر بمكة المكرمة .

بغداد ، وأما ضخامة هاته البركة واتساعها فهي بحيث أن جميع الحج استقى منها ولم ينقص من مائها إلا نحو نصف ذراع .

ولما دخلنا إلى القلعة التي حولها وجدت بعض بلدو تلك الجهات ، سألني عن بلدي وعن أحوالها بعد حماية (فرانسا) لها فأعلمته بحسن حالها ففرح ، وعند ذلك سألته عن سبب معرفته لتونس ، مع أنه من سكان تلك الصحراء المنقطعة ، فأعلمني أنه وفد عليها في دولة أحمد باشا وأقام أشهراً بين ماطر (؟) وجبل نفزة .

جنابن القاضي :

وكان ارتحالنا - من بركة المعظم - قبل طلوع الشمس من يوم الأحد ٢٩ المحرم هذه المرحلة كانت الأراضي فيها مختلفة حيث مررنا في أول النهار بأرض يابسة ينسبونها إلى أيوب - عليه السلام - ويذكرون أنها محل ابتلائه وفي أثنائها يوجد حجر مستطيل في غلظ الاصبع أو أقل ، يسمونه دود أيوب ويَدْعُونَ مَسْخَهُ ، ويذكرون للحجر المذكور خاصية في القروح والجروح ، يحرق ويسحق وتكمد به ، فيحصل برؤها - بإذن الله - ولم ندر مسألة تحجر دود أيوب أو إبقاء أثره إلى هذا العصر ولا مانع من حصول فائدة الضمد بإحراق ذلك الطين المتخزف . أما أيوب عليه السلام - فقد كان نبياً ، وكانت له زوجة اسمها رحمة . وكان ذا مال وضياع ، فابتلاه الله بذهاب ماله حتى صار فقيراً ، وأقام معتكفاً على عبادته وشكره ، ثم ابتلاه الله في جسده حتى تجذم ودود ، وبقى مرمياً على مزيلة ، لا يطيق أحد أن يشم رائحته ، وكانت زوجته رحمة تخدمه ، وهي صابرة على حاله ، فترآى لها إبليس ، وأراها ماذهب لهم ، وقال لها : اسجدي لي لأرد مالكم إليكم ، فاستأذنت أيوب

فغضب وحلف ليضربنَّها مئةً ، ثم إن الله عافى أيوب ، وورقه وردَّ إلى امرأته شبابها وحسنها ، وأمره الله أن يأخذ عرجونا من النخل فيه مئة شراخ فيضرب به زوجته ليبرِّ في يمينه . ففعل ذلك ، وولدت له ستة وعشرين ذكراً ، ومنهم ابنه ذو الكفل وبعد أن قطعنا بالسير أرض أيوب مررنا بأرض محجرة ، ودخلنا بين صخور كالجبال ، منها صخرة على صورة الدبِّ ، وفي مضيق بعد صخرة أخرى مكتوبة ، يزعم الحكامون أنه مكتوب فيها شتم من يحمل معه للحج امرأة ، وليس كذلك بل إن الكتابات بسملات وصلوات وإيداع الشهادة من بعض المارة الرجالين ثم اجتزنا [أرضاً] مملوءة صخوراً وأحجاراً سودا تسمى جنابن القاضي ، يقتطعون منها الأحطاب .

وفي هاته الليلة دعانا أمين الصرة واصف باشا - وقد سبق ذكره وكان السامرون لنا يترجمون بيننا ، ومنهم رأفت أفندي قاضي المدينة ، وعبد الباقي باري من خلفاء كتاب الوزارة الخارجية في الباب العالي ، وقد أخبرنا أمين الصرة تلك الليلة أن سعيد باشا حرَّ مضبطة في سلامة الحج ، لتلا ترسم عليه (الكرتينة) قبل دخول اشام .

الأخضر :

وارتحلنا باكراً يوم الاثنين منسلخ المحرم - من جنابن القاضي - الأخضر : هو من المنازل النبوية ، وفيه مسجد بقلعة بناها السلطان سليمان وهي قلعة كبيرة ، فيها قبر حيدر^(١) باباني أعلى يمين الداخل إليها وبها بئر عليه ناعورة تستجيز الماء بعلب من خشب ماؤها خامصر^(٢)

(١) حيدر باشا في أصل يمين (كذا

(٢) (خا . . عنقب) ؟

عذب ، يروي أن أيوب عليه السلام - اغتسل في هذه البئر ، وسقط فيها من دوده . ويقال : إن هنالك مقام الخضر - عليه السلام - ولعل ذلك وجه تسمية المكان بالأخضر ، وأصله الخضر ، وفي خارج القلعة أربع بركات ، وجدنا اثنتين منها مملوءتين ماء في غاية الجودة واثنتين معطلتين مملوءتين بالرمل ، وبينهما تاريخ مكتوب في أحد أوجهه اسم السلطان ، وبالوجه الآخر مكتوب أن الذي باشر عمارتها هو الأمير موسى ابن محمد بن حسين التركماني الحاكم يعجلون .

دار المغير :

وكان ارتحالنا باكرة الثلاثاء غرة صفر الخير سنة ١٣٠٠ - من الاخضر - دار المغير : هذه المرحلة أكثرها صعود للجبال ، ولولج بين مضابقتها ، كان ابتداءها من موضع يقال له : بوغاز ظهر الأخضر ، وهو في مبدأ المرحلة السابقة ، ثم في ابتداء هذه المرحلة موضع يسمى غار ظهر الأخضر ، وكلاهما مسلك بين جبال ، وهذا الأخير متصل على صخور حتى اضطررنا فيه للنزول إلى أن خرجنا منه بسير نحو نصف ساعة ، وكان استمرار السفر لهاته المرحلة إلى الغروب ، ويسمى هذا المكان دار المغير ، وظهر مغر

تبوك :

وكان الارتحال في الساعة الثانية من يوم ٢ صفر - من دار المغير - تبوك : يُقال بالك العين يبوكها إذا ثور ماءها يعود ، وقد رأيت (؟) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن وجده يبوك عينا هناك قل ماؤها : تبوك . فاطرد ذلك اسم للمكان . وهو محل أصحاب الأيكة ، وخبر شعيب مع أصحاب الأيكة المذكور في القرآن العظيم ، ولغزوة تبوك خبر

مبسوط في كتب السير النبوية ويقال لها غزوة العسيرة (١) ويقال لها الفاضحة لأنها فضحت كثيراً من المنافقين وكان خروجه لغزوة تبوك في رجب سنة تسع بسبب ما بلغه صلى الله عليه وسلم من أن الروم تجمعت جموعهم بالشام وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء فرآى غزوهم ، وكانت البلاد مجدبة ، والحر شديد - والسفر بعيد ، مع أنه حضور إبان اثمار الشجر الذي كانوا يستقبلونه ، فأعلم الناس بمقصده الشريف ، وكان قلماً يخرج في غزوة إلا كنى عنها ، وورى بغيرها إلا غزوة تبوك آخر غزواته .

وكان أول من جاء بالنفقة أبو بكر فأتى بجميع ماله أربعة آلاف درهم ، وجاء عمر بنصف ماله . وأعان عثمان بتجهيز عشرة آلاف رجل بعشرة آلاف دينار وتسعمائة بعير ومائة فرس بجميع لوازمها وجاء بألف دينار ، وجاءه كثير من أعيان الصحابة بمال له بال ، وبعث النسوة بكل ما يقدرن عليه من حلين . وخرج لهذه الغزوة سبعين (٢) ألفاً من الرجال وعشرة آلاف فرس ، وعند ارتحاله صلى الله عليه وسلم عن ثنية الوداع عقد الألوية والرايات فدفع لواءه الأعظم لأبي بكر ، ورايته للزبير ، وراية الأوس لأُسَيد بن حضير ، وراية الخزرج إلى الحباب ابن المنذر ، ودفع لكل بطن من قبائل العرب لواء وراية . وعند مروره صلى الله عليه وسلم بديار ثمود - السالفة الذكر - سجد ثوبه على رأسه واستحث راحلته وقال : « لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون . خوفاً أن يصيبكم ما أصابهم » ونهى عن شرب مائها ومن استعماله للوضوء أو الطبخ والعجن . ولما نزلوا تبوك وجلدوا عينها

(١) الصواب : (العسيرة) .

قليلة الماء فاغتترف رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده غرفة من مائها ومضمض فيها فاه ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت وقال لمعاذ: « يوشك إن طالت بك حياة أن ترى هنا ملىء جناناً » . قلت : وجدنا بها جناناً من نخيل ، غير أن نخلها ذكر ، لا ثمر فيه ، وفيها وجدنا عنباً ويقطيناً ومياها لم يكن مثلها فيما مررنا عليه من المراحل السابقة ، وبذلك شاهدنا آثار أخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات .

وأتاه صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك صاحب أيلة ، وصحبته أهل جرباء من الشام وصالحه على إعطاء الجزية ، وكتب لهما كتابين يتضمن كتاب أهل أذرح وجرباء أن عليهم مائة دينار في كل رجب ، وصالح أهل مينا^(١) على ربع ثمارهم .

وأقام صلى الله عليه وسلم بتبوك عشرين ليلة ، واستشار أصحابه في مجاوزتها .

فقال عمر : إن للروم جمعاً كثيرة ، وليس بها أحد من أهل الإسلام ، وقد دنونا، وأفرعهم ذلك فلو رجعنا هذه السنة حتى نرى أو يحدث الله أمراً .

ثم انصرف صلى الله عليه وسلم قافلاً إلى المدينة ، وأراد من كان من المنافقين أن يوقعوا به صلى الله عليه وسلم في العقبة التي بين تبوك والمدينة . وعلم بهم ، أخبر عنهم وتحرز منهم ، وترك عقابهم وقال : « إني لأكره أن يقول الناس : إن محمداً قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله تعال بهم أقبل عليهم يقتلهم .

ولما أشرف صلى الله عليه وسلم على المدينة قال : « هذه طيبة أسكننيها

(١) الصواب (مقنا) بالقاف ولا يزال معروفًا على ساحل البحر الأحمر ، داخل المملكة العربية السعودية قرب المويج .

ربي ، تنفي خبث أهلها كما ينفي الكبر خبث الحديد » وعند دخوله ما تلقاه النساء والصبيان يقلن :

طلع البدر علينا من ثنية^(١) الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أما بناء تبوك فهو من لبن غير مطبوخ ، وجدراؤها قصيرة دون قامة الإنسان ، ومسجدها الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم أقامه عمر بن عبد العزيز ، ومنها إلى المدينة كان مزروعاً في عهد عمر بن الخطاب وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس في ثنية تبوك وأشار إلى جهة الشام وقال : « هذا شامي » وأشار إلى جهة المدينة وقال : « هذا يميني » . واستدل العلماء بذلك على أن الحجاز من اليمن .

وقلعة تبوك ذات بئر بناها السلطان سليمان ، ولبركتها عين جارية ولا أدري هي التي كان يبوكها البائك أو غيرها .

وفي طريق هاته المرحلة يوجد حجر يستدر به لبن المرضع تعليقا^(٢) . وفي الطريق جبل على صورة منبر من الصخر ، يزعم العكामون أنه خطبه عليه رسول الله (ص) فكان مكان خطبته على الصورة المذكورة .

وعند نزول الركب في هاته المنزلة السعيدة قبل أمير الركب سعيد باشا مكاتب الدولة العلية التي وجدها في انتظاره تأمره بـ (الكرتينة) في الزوقاء عشرة أيام . وكان الباشا قبل ذلك حراً شهادة في سلامة الركب من الأمراض وأراد أن يوجه بها بريده (جو خدار) غير أنه (سبق السيف العذل) وتقدمت الأوامر على الاستئذان ، فعدل عن استئذانه ، وامتنل

(١) الصواب : (ثنيات) .

(٢) هذا من الخرافات .

ماورد إليه من الأمر ، غير أنني رأيت من أمين الصرة وقاضي المدينة تلك الليلة كدراً من تعجيل أمر الدولة للأوامر قبل استعمال حالة الركب وقد شاهدت من صعوبة الطريق ما صرت به في شفقة على رواحلنا ، وكان لمحفّتنا جملان مجلان (٩) أحدهما أسود اسمه دِيحان^(١) والآخر أبيض اسمه درويش يتناوبان كل مرحلة يحمل [جمل] محفّتنا ، ورأيت من الجمال أنه أجهدهما ولم يشفق عليهما فارتجزت له في ذلك عند المسامرة قولي :

يا أيها الجمال رفقا بالجميل	وإن تكن قامته مثل الجبل
فليس في الركب سوى ريحان ^(١)	شبيه درويش أخيه الثاني
هما جميلان إذا ما سارا	رأيت طيراً في فلاة طارا
ومن يكن عليهما قد ركبا	لم يك يدري من مسير تعبنا
فيحسب الأرض به تطوى إلى	أن يبلغ الغاية من بين الملا
ولم يجد من بعد سير خضاً	ولا رأى من المسير رضاً
سوى اهتزاز الجمل الجميل	هزة ذات الكفل الثقيل
كلاهما مشابه لصاحبه	في حسن وصف قد أتى بواجبه
أما هما في الشكل والألوان	فاختلفا بحسب العرفان
وإنما نجابة الأعيان	عرف عزيز فاح من ريحان
وهو الذي قد خاض يماً أدهما	وقد جلدًا منه داج أسحما
وطاول الجبال في البيداء	وسابق العجول باهتداء
ومن رآه ظنه السحابا	بذاته لأرضه أصابا
ومن يكن يسمعه يرغو فلا	يخاله إلا رعوداً تجتلي

(١) كذا (ديحان - ريحان) ولعل الصواب الأخير كما سيأتي .

عن (٢) البعاد يبصر الوهادا
 فيتقيها كلما تهادي
 ويقذف الحصا يخفُّ خفًّا
 وهكذا (درويش) في المسير
 لكنه ضوء النهار خاضا
 وإن يكن من الرغاء أرحدا
 وهو صؤول كلما أتاه
 فأرأف به يأيُّها الجمال
 ويعرف الأغوار والأنجادا
 ويسلك السهول ما أرادا
 ولا يبالي بالذي قد حفا
 يسير سير عارف خبير
 حتى كسا عاتقه بياضا
 رأيتُه كمثل بحرٍ أزبدا
 يقوده شخص سوى مولاه
 فإنه فحلُّ له الكمال

قاع الصغير :

وكان ارتحالنا من هذه المنزلة المباركة - تبوك - باكرة يوم الخميس
 ٣ صفر سنة ١٣٠٠ قاع الصغير : هاته أول مرحلة في الاراضِ الشامية ،
 وكانت الارض صحراء منبسطة ، وليس فيها ماء ولا قلعة ، وفيها وقعت
 غارة على الحجاج سنة ١١٧١ هـ . وقد سرنا فيها بياض يومنا ، وشاهدنا
 فيها أحسن المناظر الجوية بسبب اتساع الأرض وانبساطها وظهور انجلاء
 قبة الأفق وتلون غيومه وأنواره ، وامتداد السراب على الأرض بوجه
 عجيب ، وقد وصفت ذلك كله في عشرة أبيات وهي قولي :

سير الصباح على ظهور الأينق في البید أبهى منظر المتسائق
 فمن السماء نرى علينا قبة الـ بلور قد حيطت بخير مزوق
 فكأنما قزح أراها قوسه فأرته دائرة البهاء الأروق
 فيها سحب قد تلون واكتسى وشي البرود من الصباح المشرق
 والشمس تطلع كالمظلة من كوى بأغر وجه فائن المتعشقي
 حتى إذا بانَّت بها بسطت لنا بسطا نعم الأفق بالإستبرق

وكانَّ سطح الأرض عند نهاية الأَبصار حِيطَ بماء بحر معرق
بحر ، ولكن من سراب لا شرا ب به ولا رشح بماء مطلق
فترى مدار الأفق دائرةً ولا كَنُّ شأوها طول المدى لم يلحق
وكانَّ سمط قطارها في البيد فا صل قطرها فصلا بوجه أليق(?)
هذي مناظر سائق الأظمان في السبيداء يطوبها بقلب مشفق
وقد بتنا وبات القوم في انبساط وراحة بقاع الصغير .

ذات الحج :

وارتحلنا باكرة يوم الجمعة ٤ صفر - من قاع الصغير .

ذات الحج : نزلنا بهذا المكان في الساعة العاشرة ، ووجدنا قلعة فيها
عين جارية يجرى ماؤها إلى بركة هنالك ، بناها السلطان سليمان ، وحول
تلك القلعة نخيل ذكر لا ثمر له ، وبذلك الأرض حجر المسن الأبيض ،
وكان المبيت هنالك في راحة .

حالات عمار ، قلعة المدورة :

الرحيل باكرة يوم السبت الخامس من صفر - من قاع الصغير -
قلعة المدورة : هذه قلعة حولها بركة بناها عبد الله باشا - والماء يخرج
من تلك القلعة قليلا في تلك الفلاة ، نزلناها في الساعة العاشرة نهارا ،
بعد أن قطعنا رمال الطريق ، ومررنا برصيف من حجر يسمى حالات
عمار ، وللعكامين في وجه تسميته حكايات لانعيرها شيئا من الاعتبار ،
وتحيط بتلك البلدة جبال محجرة ، وهنالك صحراء واسعة يحيط بها
السراب عن قرب كالبحر ، وتسمى هاته المنزلة طبيليات المدورة^(١) .

(١) ذكر الاستاذ سليمان موسى في كتاب « غربيون في بلادنا » أن المدورة هي سرع .

بطن الغول :

وارتحلنا باكرة الأحد ٦ صفر - من طبيليات المدورة .
بطن الغول : هذه المنزلة تسمى أم غيلان وأم عياش ، تحت العقبة
الآتية ، وهي منبت أحطاب وبها شجرة تربط بها الخروق (٢) ويرعى لها
الجهلة النذور ، وتلك من آثار الجاهلية في ذات الشراميط (٢) وقد سرى
دائه ذلك في الاسلام عند الجهلة فترى بأبواب زوايا بعض الأولياء
وشبابيكها ربط الشراميط للنذور التي ما أنزل الله بها من سلطان . وفي أهل
البادية من يتخذون شجرة عتيقة لربط الشراميط للنذور ، وقد عرف أهل
جبل خمير من المملكة التونسية باتخاذ شجرة من الفرنان (٢) لذلك ،
ولكني رأيت في بلد نابلي من أشهر بلدان إيطاليا محلاً حول شجرة ،
ويعتقدون شراميط ، فذكروا أنها شراميط نذور لعامتهم .

وكان المبيت تلك الليلة في بطن الغول أسفل العقبة بعد قطع الرمال
ظهر العقبة :

ارتحلنا وضوح الفجر الإثنين ٧ صفر - من بطن الغول -

ظهر العقبة : هذه عقبة عظمى في جزيرة العرب ، حتى ان اسم
العقبة إذا أطلق انصرف إليها لعظمتها وامتدادها وشدة ارتفاعها، وصعوبة
رصيفها ، فكنا بياض يومنا في الارتقاء للعقبة ، وحجارة الطريق
سوداء من نوع الصوان الأملس ، وفي بعضه لمعان معدني ، وكان المبيت
على ظهر العقبة في أرض مُحَصَّبة والعادة سابقاً أن أمير الحج يضرب
خيمته ويجلس فيها إلى نهاية مرور الحجاج ، ويقف هنالك باش سقاء
يسقي المارة شربات السكر ، والمنزلة عند عبَدَان - بتحريك العين والباء -
آخر القرى الشامية ، وفي المثل : (ليس وراء عبَدَان قرية) ^(١) . وهناك
قرية بناها عثمان باشا .

(١) المثل قيل في (عبادان) الواقعة قرب خليج البصرة وانظر «معجم البلدان» .

القائل العربية حول بحيرة تشاد

(١)

لقد كانت جزيرة العرب دائماً مستودعا بشريا وبعثا لموجات بشرية هائلة تندفع في تيارات متتالية مدى العصور والأجيال وقد تعاقبت موجات من الهجرات العربية من شبه الجزيرة مندفعة نحو الأقطار المجاورة حتى غمرت هذه الأقطار بالموجات البشرية المتلاصقة وكانت قارة افريقيا من الأماكن التي هاجرت إليها واستقرت بها هجرات عربية منذ أقدم العصور التاريخية بل إن تلك الهجرات ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ حيث وصلت بعض الهجرات العربية إلى منطقة شرق افريقيا وإلى وادي النيل وشمال افريقيا ، ثم وصلت تلك الموجات إلى أواسط القارة حيث استقرت تلك القبائل بعد أن انصهرت في سكان تلك المنطقة أو بسطت نفوذها عليها وذلك حول بحيرة تشاد حيث كونت عدة ممالك عربية إسلامية .

طرق البحيرات :

لقد سلكت القبائل العربية المهاجرة من أوطانها عدة طرق مختلفة استطاعت عن طريقها أن تصل إلى قلب القارة حيث تهيأت لها الظروف بالاستقرار حول البحيرة وذلك بعد أن وصلت من أماكن مختلفة واستخدمت في هجرتها عدة طرق ولكن في النهاية مهما كان الطريق الذي سلكته فإنها استطاعت الوصول إلى ذلك الموضع الغني بالأعشاب والمياه حيث طاب لها المقام وستعرض هنا لبعض الطرق التي سلكتها تلك القبائل العربية في الطريق إلى بحيرة تشاد .

(أ) طريق باب المندب :

لقد كان هذا الطريق ولا زال يمثل تيار هجرة بشرية منذ أقدم العصور ، حيث انتشر سكان الجنوب العربي على السواحل الشرقية للقارة ثم اتجهوا شمالاً وغرباً بحيث استقرت منهم جماعات عربية من بلاد الحبشة والسودان وتسربت أعداد كبيرة منهم بعد ذلك غرباً وعليه فقد كان طريق باب المندب من أهم طرق الهجرة وكذلك من أهم طرق التبادل التجاري والحضاري قبل الإسلام حيث ترك عرب الجنوب في الجانب الأفريقي أثرهم الحضاري والثقافي والعمرائي وبخاصة اللغة العربية التي انتشرت في تلك الانحاء والتي تركت تأثيرها القوي والفعال في اللغة السواحلية لغة تلك الانحاء ، لذا فان هذا الطريق هو المدخل الذي دخلت منه أقدم الاجناس التي عمرت القارة منذ أقدم العصور ، ومكنت الجزر الواقعة في مدخل البحر الاحمر من اجتياز ذلك المكان بسهولة ، حيث اتخذت مراحل للهجرة ، واكبر الظن أن المسافة بين قارتي آسيا وأفريقيا في تلك العصور كانت أكثر تقارباً مما هي عليه الآن ، وقد ساعد ذلك على سهولة الانتقال ومكن تلك القبائل من الانتشار حتى الوصول إلى غابات الكونغو غرباً وبحيرة تشاد في وسط القارة .

(ب) طريق البحر الأحمر :

للبحر الأحمر دور هام في الربط بين قارتي آسيا وأفريقيا ذلك لأنه لم يكن في يوم من الأيام منطقة عازلة بين القارتين ، بل كان دائماً حلقة وصل وصلة عميقة منذ وجد الانسان على ظهر الأرض فقد خرجت الهجرات البشرية من الجزيرة العربية عابرة ذلك البحر إلى أفريقيا ، وكان إقليم الحجاز على صلة قوية بالشاطئ الأفريقي الغربي

المقابل قبل الإسلام ، ولكن مع قيام الإسلام وانتشاره في النطاق الرعوى الأفريقي ، ظهرت أهمية الجزء الأوسط من البحر الأحمر كمعبر قريب بعد أن خضعت بلاد الشام للصليبيين وبذلك أصبح الجزء الأوسط من البحر الأحمر الطريق الرئيسي للحج والذي يخترق النطاق الرعوى من ساحل المحيط الأطلس غرباً ماراً بمنطقة تشاد والسودان في الطريق إلى مكة المكرمة ، ومن هنا فإن وجود الموانئ الأفريقية على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر ووجود الطريق الصحراوي الذي يبدأ من غانا على الساحل الأفريقي حتى تنتهي عند سفح الأهرامات بالقرب من بولاق الدكرور (التكرور) نسبة إلى حجاج تلك الأقطار الأفريقية . لذا فإن البحيرات العربية سلكت منطقة وسط البحر الأحمر في طريقها حتى وصلت إلى وسط القارة الأفريقية حول بحيرة تشاد حيث لا توجد عوائق طبيعية تحول دون تحرك تلك القبائل إلى تلك الأماكن .

(ج) بوزخ السويس وشبه جزيرة سيناء :

لقد كان هذا الطريق معبراً يربط آسيا بأفريقيا في جميع العصور وهو طريق هام لعبور الهجرات العربية إلى أفريقيا ، وذلك لأن سيناء لم تكن حائلاً بين القبائل البدوية المنتشرة ، في شمال شبه الجزيرة العربية ولهذا المدخل أهمية بشرية لها خطورتها باعتبارها الطريق البري الوحيد الذي يربط بين شطري الوطن العربي الإسلامي في أفريقيا وآسيا وعن هذا الطريق غمرت القبائل العربية مصر وسودان وادي النيل ووصلت في زحفها عند الطرق والمسالك الصحراوية إلى وسط القارة حيث بحيرة تشاد .

وعلى هذا فإنه يمكن القول أن باب المنذب وسواحل البحر الأحمر

ويزح السوييس تعتبر جميعها طرقاً هامة سلكتها الجماعات البشرية المتتالية في مسالك متعددة متقاربة أو متباعدة تبعاً للمصدر الذي ترجع إليه كل جماعة وافدة ولا شك أن هذه البحرات والحركات البشرية من آسبا كان لها أعظم الأثر في تعمير افريقيا .

وليس ثمة شك في أن الهجرات العربية السابقة لظهور الاسلام قد مهدت الطريق للدخول الاسلام إلى افريقيا وكانت هذه الهجرات قد هيأت فتح العرب لمصر ، والاتفاق السائد بين علماء الاجناس على أن هذه الهجرات قديمة جاءت عبر هذه الطرق الثلاثة ثم استقرت في مصر ، وفي السودان الشرقي وغرب إفريقيا ووسطها وقد حدثت هجرات الحميرين قبل المسيحية بحوالي قرنين من الزمان بعد انهيار سد مأرب .

الهجرات العربية العربية في العصر الإسلامي :

لقد بدأ تحرك القبائل العربية نحو أفريقيا منذ النصف الثاني من القرن الأول الهجري ، بتدفق أعداد كبيرة من تلك القبائل بعد فتح مصر مباشرة واستمرت تلك الهجرات بعد الفتح العربي حتى القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي وان هذه الحركات استغرقت وقتاً طويلاً وكانت الموجات من هذه القبائل المهاجرة تصل إلى مصر أولاً ثم تتجه افواجا منها نحو الجنوب متفرقة في بلاد النوبة ويقية أنحاء السودان حتى وصلت إلى المناطق التي تحيط ببحيرة تشاد وقد أشار القلقشندي إلى تنقل العرب وانتشارهم بعد الفتح العربي الاسلامي ، فنجد أنهم وصلوا إلى بلاد المغرب والسودان (بحيرة تشاد) بل الأكثر من ذلك أنهم استطاعوا أن يكونوا قوة سياسية لعبت دوراً في حياة تلك المنطقة حيث أقاموا عدة ممالك حول بحيرة تشاد وبحيرة قترى والتي تقع

جنوب شرق بحيرة تشاد (ممالك الكانم والبرنو) البولالا ، باجير
في وادي .

منطقة بحيرة تشاد :

لقد كانت منطقة حوض بحيرة تشاد بحكم موضعها الاقليمي نقطة
جاءت إليها مجموعات مختلفة من السكان سواء من الافريقيين أو العرب
شمال القارة أو شمالها الشرقي من الاسيويين وغيرهم واختلط هؤلاء ببعض ،
والبحيرة عبارة عن حوض ضحل جداً من الطين تنهي إليه مياه نهر
شاري وتتأثر مساحة البحيرة بكمية المياه التي يجلبها نهر شاري وبالنيجز
لدرجة أنها تزيد أو تنقص ما يعادل ١٠٠٪ من مساحتها السابقة رغم أنها
بحيرة مغلقة إلا أن نسبة الملوحة فيها قليلة جداً وهي تقع في وسط
منطقة السفانا التي تمتد من شمال السنغال حتى القرن الافريقي وان كانت
السفانا القصيرة تظهر بالقرب من نطاق الإقليم الصحراوي (الصحراء
الكبرى) وأبرز العوامل الطبيعية في تلك المنطقة هي بحيرة تشاد
الضخمة الواسعة والتي تقدر مساحتها بعشرة آلاف ميل مربع في مواسم
الامطار والتي تقع في أسفل سهل قليل الانحدار وهذه البحيرة الواسعة
الكبيرة غير صالحة للملاحة .

ومنطقة بحيرة تشاد تقع إلى الشرق من دول الهوسا ، وتتوسط هذه
البحيرة قلب عدة ممالك اسلامية أقامها العرب المهاجرون إلى تلك الارحاء
وموقعها مركز هام لالتقاء طرق القوافل المارة عبر أفريقيا مما جعلها
مركز نشاط وحياء فضلاً عن أن منطقة بحيرة تشاد منطقة خصبة
اجتذبت إليها كثيراً من العناصر القوية ، يضاف إلى ذلك أن طبيعة
المنطقة من حيث خلوها من العوائق الطبيعية أدت إلى تيسير التنقل منها

ولإليها وساعدت على الاستقرار كثير من المجموعات وإلى اشتغالها بالزراعة بجانب المجموعات التي استمرت على ممارسة الرعي ، وانتشرت عدة قبائل حول شواطئ بحيرة تشاد واستقرت فيها وامتزج بعضها ببعض منذ الأزمنة القديمة .

وهذه البحيرة في وادي متسع ذي تربة سوداء غنية وتحصل على حاجتها من المياه من نهر واي Waahe ومن نهر يد يسرام Yedseram من الجنوب الشرقي ويعتمد السكان في حياتهم الزراعية وأمورهم المعيشية على هذين النهرين وإلى الجنوب توجد وديان نهر « لوجون » وهضبة يوتشي وتنحدر هذه الوديان إلى الغرب في اتجاه كانو Kano طرق الهجرات الداخلية إلى المنطقة .

لقد تميزت هذه المنطقة بالدور الهام الذي لعبته من الناحيتين التاريخية و(الانثروبولوجية) لإقاليم غرب إفريقيا وامتدت إلى العديد من الأقاليم التي تقع في أواسط القارة ذلك لأن هذه المنطقة قد ربطت بين حوض وادي النيل وليبيا وشمال أفريقيا وبين الأقاليم الإفريقية الغربية وذلك لان سيل الهجرات وكذلك الغزوات لتلك المنطقة لم ينقطع من ناحية الشمال ومن ناحية وادي النيل في الشرق والشمال الغربي ولا سيما بعد الفتح العربي والاسلامي لمصر وشمال أفريقيا .

وقد ارتبطت هذه المنطقة المحيطة ببحيرة تشاد بعدة طرق منها

- (أ) اتجاه شمالي يربطها بالمغرب .
- (ب) اتجاه شمالي شرقي يربطها بمصر .
- (ج) اتجاه شرقي يربطها بالسودان .

(د) اتجاه جنوبي شرقي يربطها بشرق أفريقيا .

(هـ) اتجاه غربي يربطها ببلاد غرب إفريقيا .

(و) اتجاه جنوبي يصل إلى المنطقة الإستوائية .

وهكذا تميزت تلك المنطقة بموقع فريد التقت فيه خطوط القوافل التي تربط بين داخل القارة الإفريقية وبين مناطق شمال أفريقيا وحوض النيل وغيرها من الأماكن الأخرى في القارة عن طريق الطرق السابقة الاتجاه الشمالي من مراكش إلى السنغال ثم إلى ثنية نهر النيجر حيث قامت تمبكتو ثم شرقاً إلى تشاد ، ومن تونس إلى كانو وتشاد ، ومن طرابلس إلى فزان إلى كوار وميلحا ثم إلى منطقة بحيرة تشاد حيث مدينة كوكو والاتجاه الشرقي من مصر وهو المعروف بطريق القوافل إلى الغرب والسودان وليبيا ودارفور وتشاد وطريق درب الأربعين الذي يخرج من الغنايم باسيوط طريق الواحات وإلى السودان ثم إلى كردفان ودارفور وتشاد ثم بعد ذلك إلى النيجر .

الاتجاه الشرقي الذي يربطها بالسودان من تشاد إلى دارفور وكردفان وسنار وشاطيء البحر الأحمر ثم من السودان عبر هذا الطريق غرباً .

الاتجاه الجنوبي الشرقي: من شرق أفريقيا إلى الشمال الغربي إلى منطقة البحيرات ثم شمالاً إلى كردفان ودارفور وتشاد ولقد كانت تخرج من تشاد ثم دارفور طرق قوافل تجارية نحو النيل الأبيض وعبر منطقة بحر الغزال الغربية إلى شرق أفريقيا وهضبة البحيرات والكونغو والصومال .

الاتجاه الغربي: وقد ارتبطت منطقة بحيرة تشاد بالولايات والامبراطوريات التي قامت بغرب أفريقيا مثل إمارات الهوسا وسنغاي وبالي والتكرور وذلك عبر الطرق الصحراوية .

كذلك فإن الإتجاه الجنوبي إلى المنطقة الإستوائية فهو طريق لم تسلكه الهجرات العربية وإنما جاءت منه هجرات وثنية زنجية هاجمت منطقة بحيرة تشاد (كاتم وبرنو) في عهد السلطان علي بن عمر (١٦٤٥ - ١٦٨٤ م) .

وتلك الطرق الداخلية في القارة الأفريقية هي التي ربطت منطقة بحيرة تشاد بالمناطق المختلفة في أنحاء القارة وتبلغ مساحة إقليم تشاد في الوقت الحاضر ما يقرب من المليون ومائتين وثمانية وأربعين كيلامربعاً ، أما مساحة المنطقة في العصور الوسطى فلم تكن معروفة بصورة واضحة بل كانت معرضة للإمتداد والإنحسار بسبب الحروب والغزوات الكثيرة وتمتد تلك المنطقة بين خط عرض ٢٢ إلى ١٦ درجة شمال خط الاستواء وكما سبق فإن تلك المنطقة تعتبر منطقة ربط ربطت بين مختلف الأقاليم من القارة الأفريقية

الهجرات العربية - وحوض البحيرة :

ان الحديث عن الهجرات العربية قبل الفتح الإسلامي لمصر وكذلك انتشار القبائل العربية المهاجرة إلى أنحاء مختلفة من القارة الأفريقية وربما وصولها إلى منطقة البحث الذي نقدمه للقارئ هنا قد يوقعنا في أمور (انثربولوجية) نظراً لاختلاط الاجناس وانصهارها في تلك المنطقة من قديم الزمن ، ولكن الذي يمكن أن نتحدث عنه أنه منذ الأزمنة القديمة تقابلت حول شواطئ البحيرة شعوب من مختلف الأماكن واختلطت فيما بينها وذلك لأن هذه المنطقة الخصبة التي تدل على أن حوض البحيرة كان يمثل رقعة أوسع مما هي عليه الآن كانت تمثل مكاناً لجذب سكان الصحراء البدو الرعاة ومن هنا فقد استقرت جماعات من الفلاحين وأيضاً

جماعات من الأعراب الرعاة الذين يسقون ماشيتهم ويرعونها في الأرض
الخصبة ، ويذكر لابييف Lebef الذي عمل عدة أبحاث حول
القبائل التي تقطن حول بحيرة تشاد وكثير منها عن شعب الصور ولكنه
يقول ويشاركه القول Meek ميك لقد كان لمجيء قبيلتي بني هلال
وبني سليم إلى الشمال الأفريقي والذين كانت غزواتهم في القرن الحادي
عشر الميلادي وانتشارهم جنوباً سبباً في انتشار الدماء العربية وانتشار
التعريب والتعرب .

كذلك فانه توجد أيضاً قبائل عربية مختلفة هاجرت من الجزيرة
العربية إلى النوبة وطردت بعض القبائل الحامية والزنجية ثم استقرت
في وادي النيل ثم انحدرت بعض هذه القبائل إلى الغرب ووجدت طريقها
إلى تشاد ونيجريا ومعظم هذه الهجرات جاءت إلى شمال نيجريا ولقد
كانت تشاد هي البوابة الكبرى لدخول الاسلام إلى تلك المناطق ومن
هذه القبائل العربية جهينه ، وتدعي جهينه انهم جاؤوا من اليمن إلى
مصر وانتقلوا إلى حوض وادي النيل الاوسط في أوائل القرن الثامن
الميلادي وشقوا طريقهم نحو كردفان ومن ثم إلى حوض نهر شاري حول
بحيرة تشاد وأهم هذه القبيلة السلامات وخزام وأولاد راشد والمسيرية ،
والمحاوييد ، والدكاكير ، وقد ساعد السلامات بكثرة عددهم ملوك
البرنو في حروبهم ضد العدو كما عاونوا على تكوين البولالا ،
وهم كثيرون في الوادي .

وأيضاً قبائل التنجور ويقولون : إنهم من قبائل بني هلال الذين غزوا
مراكش في القرن الحادي عشر الميلادي ثم عادوا بعد ذلك الغزو
إلى تونس ، حيث اتخذوا منها مستقراً لهم وخرجت جماعات في القرن

الخامس عشر إلى الوادي ودارفور وهناك احتمال بأن دخول هذه الجماعات كان من الغرب واستطاع هؤلاء التنجور الذين دخلوا إلى الوادي ودارفور فرض سيادتهم على الداجو، وهم من السكان الأفريقيين ، ثم تنازع التنجور مع الكيرا حوالي القرن السابع عشر الميلادي على السلطة واستطاع الكيرا الوصول إلى الحكم وطرد التنجور بعد ذلك من الوادي ورحلوا إلى كانم حيث طردوا البولالا ثم دخلوا في نزاع مع أولاد سليمان وأدوا الاتاة .

ومن القبائل العربية التي استقرت حول بحيرة تشاد الكاتمبو والكانورى ويسكن الكاتمبو في المنطقة الواقعة شمال شرق بحيرة تشاد وهم سكان المدن في كانم وقد اختلطوا بالتيرا والعرب الذين جاءوا في القرن الحادي عشر إلى تلك المنطقة وقد جاء هؤلاء العرب عبر الشسى والبرقو وجاءت في ركاب هذه الجماعات العربية بعض قبائل التيرا وهم البراداوة والتحفرة والكيام وسكنت المجموعات الثلاث أرض الكانم وأما الأسرة الارستقراطية التي سيطرت على منطقة بحيرة تشاد فانهم يطلقون على أنفسهم بني سيف ويدعون نسيا حميريا يصلهم بسيف ابن ذي يزن .

(للبحث صلة)

عبد الفتاح مقلد الغنمي

جامعة الملك عبد العزيز - مكة المكرمة

بَيْشَةُ : قَبَائِلُهَا وَفَتْرَاهَا

آخر حلقة كتبتها عن قبائل بيشة وقرأها في مجلة « العرب » - في الجزء الثاني للسنة السابعة في شعبان ١٣٩٢ هـ عن قبيلة بني مُنْبِه من قبائل شهران ، في أعالي وادي بيشة - ثم توقفت عن الكتابة كل هذه السنوات لأسباب عدة منها كثرة الأعمال ، ومنها مواصلي للدراسة العليا بجامعة الأزهر كلية الشريعة والقانون - واليوم أعود للكتابة فيما أشرت إليه ونسأل الله التوفيق والسداد : وحديثي هذه المرة عن وادي هِرْجَاب وسكانه وقرأه ، وهو الوادي الثالث من روافد وادي بيشة الأم الكبار : الأول تَرْج والثاني تَبَالَة ، وقد تحدثت عنهما فيما سبق - قال عنه الهمداني في كتابه النفيس « صفة جزيرة العرب » : وهِرْجَابُ ، موضع سوى هرجاب رداع .

قلت : ورداع مدينة في اليمن مشهورة قيل : إنها تقع شرقي مدينة ذمار الواقعة جنوبا عن صنعاء قال الهمداني : وقد يوجد فيه - يعني هرجابنا - شيء من الذهب وهو واد فيه نخيل وآبار .

وقال ياقوت الحموي في « معجم البلدان » : هرجاب بالكسر ثم السكون - والجيم وآخره باء موحدة وهو العظيم الضخم من كل شيء : موضع في قول عامر بن الطفيل يرثي أباه :

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ رَسَلًا وَنَجْدَةً بِهِرْجَابَ لَمْ تُحْبَسْ عَلَيْهِ الرِّكَائِبُ

وسكان وادي هرجاب وضواحيه يقال لهم بنو واهب ، وهم من

شهران ومن أكبر القبائل الشهرانية وهم مشهورون بالكرم والشجاعة
والإقدام .

ويبدأ هرجاب من وادي أنط ، مخترقا السهول والجبال ، حتى
يلتقي بوادي بيشة عند قرية الحيفة الواقعة على الضفة الشرقية لوادي
بيشة ، والتي سبق أن تحدثت عنها فهو يسقي نخيلها ، وما زاد منه
يجري إلى وادي بيشة من طرف القاع من الجهة الجنوبية .

أما الموارد الواقعة فيه فأولها الحفائر . وهي عبارة عن فضايا في
وسط الوادي ، وهي كثيرة المشاكل ، فكثيرا ما يتنازع عليها قبيلة بني
منبه ، وقبيلة بني واهب ، ثم بشر دَنَن بفتح الدال وبعدها نونان - وهي
تقع على حرف الوادي من الجهة الجنوبية ، وعلى طريق السائر من بيشة
إلى خميس مشيط مطوية بالحجر ، وماؤها غزير ، ويرد إليها جميع
المحيطين بها من البادية ، ويقال : إنها لقبيلة آل بالقرب ، وتسكن
قبيلة بني واهب المتحضرة على ضفتي الوادي كل فخذ منهما في جهة
منه يسمى حرفا .

ونبدأ من أسفل الوادي مصعدين إلى آخر قرية فيه فأوله حرف .
آل بالقرب ، ويسمى الحرف الذي يسكنون فيه هجرة آل بالقرب ،
لأن أصلهم من الدواسر ، وقد هاجروا إلى هذا المكان منذ زمن بعيد ،
وأعتقد أن هجرتهم كانت في أواخر القرن الثالث عشر وازدادوا بعد
بزوغ العهد السعودي الزاهر ولهم ستة عشر قرية على جانبي الوادي ،
ومعظم هذه القرى لا تزيد عن البيتين أو الثلاثة ، ولكنهم يسمونها
قرية ، وكذلك قرى وادي هرجاب الباقية ، فالتى تقع على ضفة الوادي
الشرقية من قرى آل بالقرب هي :

- (١) قرية ابن هشال (٢) قرية حرقان بن عبد الله
 (٣) قرية علي بن حويله (٤) قرية آل ردعان
 (٥) قرية آل سفران (٦) قرية آل شجعان (٧) قرية ابن سبعان
 (٨) قرية آل حاصله (٩) قرية مجحم (١٠) قرية الحلسة .

وعلى الضفة الغربية : - ١ - قرية آل باني - ٢ - قرية آل غانم -
 ٣ - قرية آل هندي - وهذه القرى متقابلة يفصل بينها الوادي ، وفي
 الحقيقة أنها لا تُعد كل واحدة منها قرية بالمعنى الصحيح

ويقدر عدد سكان هذه القرى وما يتبعها من بادية بحوالي ثمانمائة
 نسمة مابين ذكر وأنثى ، وتقع بساتين النخيل وأشجار الفاكهة على
 ضفتي الوادي ومعظم هذه البساتين حديثة . وقد توسع المواطنون في
 غرسها وتشجيرها بعد أن منَّ الله عليهم بالآلات الرافعة للماء .

ويلي هذه القرى : حرف آل عموده ، وفيه عدد من البيوت ويقع هذا
 الحرف على عدوة وادي هرجاب من الجهة الغربية . ويجوار الوادي هضبة
 من الصخر من الجهة الشرقية ، ويصلح أن يكون في المكان سداً وفي أعلاه .
 قريب من جبل الضور ، الذي سوف نتحدث عنه فيما بعد ان شاء الله .
 ويقدر سكان هذا الحرف بحوالي مائة نفر .

ثم يلي هذا الحرف قرية سابة ^(١) : وهي تقع على حرف الوادي
 من الجهة الشرقية . وقد سميت هذه القرية : باسم واد صغير من روافد
 وادي هرجاب يأتي إليه من الجهة الغربية ويقدر سكانها من خمسين إلى مائة .

دكتور الطيب بن علي

(١) بهذا لو ضبطت الأسماء بالحرف مع الشكل الكامل (العرب)

رئيس مجمع اللغة العربية
يشيد بالمعجم الجغرافي للبلاد العربية

تلقى رئيس تحرير هذه المجلة هذا الكتاب من معالي الأستاذ الحليل
الدكتور ابراهيم بيومي المذكور، رئيس « مجمع اللغة العربية » .

بسم الله الرحمن الرحيم

مجمع اللغة العربية

٢٦ ش الدكتور طه حسين ناخورد

مكتب الرشيد

٨٩٧٢٦٤

الميد الزويل الأستاذ حمد الجاسر

تحية طيبة ٠٠٠ ومعد

فقد سعدت بتلقى نسختين من مؤلفكم القيم (المعجم الجغرافي للبلاد العربية)
(المقدمة : القسم الأول ، ونمال الملتقى : ١ ٢٥١) وهو عمل جليل ، جدير بالتصديقه
والإعادة ، وهذا أن يقتدى به علماءنا من سائر البلاد العربية .

وأي إن أشكركم أخلص الشكر - باسم مجلس المجمع واسم - يسميني أن أخبركم
بأن نسخة منه قد أودعت بمكتبة المجمع ، لتكون بين أيدي الباحثين .

وتقبلوا عظيم التقدير والاحترام

رئيس المجمع
مكرر

د . ابراهيم بيومي

العدد الثاني
٢٥ رولاً للزاد و٧٥ رولاً للبريد
البريديات، يتفق عليها مع الإدارة
شعبان ١٤١٢ هـ - ٦ ريلات

العرب

مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: محمد الجاسر

العدد الثاني
دار الجامعة للبحث والنهضة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف ٢٢٩١٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٥٥ س ١٣ - فوا القعدة والحجوة ١٣٩٨ هـ (تشرين ٢ وك ١ نونبر / ديسمبر ١٩٧٨ م)

مِنْ ذِكْرِيَّاتِ الرَّحَلَاتِ

- ١ -

التغيير في جميع الأشياء من نواميس هذه الحياة ، وكما قيل :
لا يُصْلِحُ النَّفْسَ إِلَّا التَّغْيِيرُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ، فالقارىء - أي قارىء كان -
يسأم ويلوكة الملل إذا سار في قراءته على نمط واحد ، وأخذ نفسه
بقراءة موضوعات معينة ، والكتابة الجادة تملأ النفوس ، والترويح
عن النفس يكسبها ارتياحاً ويجدد نشاطها .

وإذن فلنأخذ القارىء هذه المرة بهذا المنهج ، ولنستوح من الذاكرة
بعض ما اختزنته مما قد يحس به القارىء شيئاً من التغيير ، وإن
لم يجد فيه ما يتوقع من إمتاع وفائدة .

لقد قمت برحلات كثيرة داخل بلادنا وخارجها ، وتحدثت عن
بعض تلك الرحلات المتعلقة بالبلاد الخارجية في صحيفة «اليمامة» عندما
كنت أصدرها جريدة ، أما الرحلات في داخل البلاد فلا أذكر أنني
سجلت شيئاً منها . وإن كان كثير منها جديراً أن يسجل بعض
ما شاهدته خلالها .

لعل أولى رحلة قمت بها من البلدة التي ولدت ونشأت وعشت فيها

كانت إلى مدينة الرياض ، وكانت عام ١٣٤١ وكان الدافع إليها
أمراً غريباً في حد ذاته ، لا بالنسبة إلي بل بالنسبة إلى أبي الذي أحلني
معه في هذه الرحلة بدون أن يكون لي أي رأي حيالها ، ولم يكن
يوماً من الأيام - فيما أعتقد - يُفكر فيها .

كان أبي رحمه الله فلاحاً ، والفلاحة في ذلك العهد من أشق وسائل
المعيشة وأنكدّها ، وخاصة في الإقليم الذي كنا نعيش فيه ، وهو إقليم
(السَّر) فقد كانت المياه فيه ضعيفة ، وكان فلاحوه ضعفاء لا تجد من
بينهم من كان يستطيع أن يهيء جميع وسائل الفلاحة بدون أن يستدين ،
ولهذا كان جلُّ فلاحي قرينتنا بل كلهم مدينين ، قد أثقل الدين
كواهلهم بعد آبائهم وأجدادهم ، وكان الواحد منهم إذا حان وقت
الزراعة يأتى إلى أحد تجار إقليم (الوشم) فيطلب منه مبلغاً من النقود ،
يكفي لشراء ما يلزم للفلاحة مع ما يحتاج إليه من نفقة أثناء الفصل
الزراعي ، وطريقة الاستدانة تدعى عندهم (الكَتْب) بالكاف المفتوحة
والمثناة الفوقية الساكنة والباء الموحدة ، وهو ما يعرف عند الفقهاء
باسم (السَّلَم) يأخذ النقود وفي بعض الأحيان يأخذ عنها عرضاً
يبيعه بنقود ، ويعوِّض التاجر عن تلك النقود غالباً بأكثر من غلة
زراعته في ذلك الفصل ، والتاجر يدرك أن هذا الفلاح لا مناص له
من الاستدانة منه ، فقد رهن عقاره إذا كان له عقاراً منذ زمن ، وقد
يكون من عهد أبيه ، وهو يعرف أن الحاجة تضطره إلى الاستدانة ،
فهو يريد إبقاءه دائماً تحت قبضته ، فيدفع له مثلاً مئة ريالٍ على
أساس أن يستعير عنها عند حلول الثمرة خمس مئة صاع ، أي خمسة
أصعٍ عن الريال ، وهو يدرك أن غلته في الغالب لن تبلغ هذا القلـو ،

ولكنه رابع في جميع الحالات ، والفلاح يدرك هذا ، ولكنه مضطر لكي يعيش ويعيش أسرته .

لا أطيل ، فلقد كان أبي ممن أثقل كامله الدين ، وكذا أبوه قبله ، وكثيراً ما ينتاب الفلاحة من الآفات ما يقضى عليها كالجراد أو الدبّاء أو البيرد - بفتح الراء - فتتراكم الديون ، وتشتد الحاجة ، ولا رحمة لدى التاجر الذي قد يقوم ببيع جميع ما يملك الفلاح من عقار وغيره ، فما لو أصيب زرعه بجائحة ، أو أحس منه رغبة في التعامل مع غيره .

انتابت أبي نوبة من تلك التوبات التي فقد فيها كل ما يملك من وسائل الفلاحة ، وفقد ثقة التاجر الذي يحتاج إلى الاستدانة منه فذهب أكبر إخوتي ويدعى جاسراً إلى جهات الأحساء للعمل في البحر طلباً للمعيشة ، وعمل البحر إذ ذاك هو (الفوص) وكان أخي في ذهابه مراغماً لأبي الذي كان متشبهاً بمهنة الفلاحة ، وكان أخي هو الساعد القوي لأبي وياهونه أخي الأصغر في أعمال الفلاحة .

أما أنا فقد عشت في أول حياتي عيلاً ، فلم أحسن المشي إلا في السنة الرابعة من عمري وقد أخبرني أخي - أتمتها الله بالصحة والعافية - بأنه حضر لي أربعة قبور ، أي إن اليأس من حياتي اعتري أهلي أربع مرات بحيث كانوا يحفرون القبر لي ، ولكن يدفن فيه غيري .

ولما رأى أبي عدم جدواي في المشاركة في أعمالهم أرسلني للتعلم في (كُتَّاب) في قرية تدعى (حَزْمِيَّة) عند قريبة لي متزوجة في تلك القرية ، أبي خالها . وكُنَّا ندعو (الكتاب) مدرسة ، والمدرس مُطَوَّعاً ، وهو رجل فاضلٌ ، من أهل قرية العيون ، يدعى عبدالله بن إبراهيم ، وقد حفظت عليه القرآن نظراً - بعدَ بي الكلام عن الموضوع .

كانت القرية التي تقع فيها المدرسة ، ليست بعيدة عن هجرة (ساجر) وسكان هذه الهجرة في ذلك العهد من أشد الإخوان تمسكا بأمور الدين ، وحرصاً على التقيد بجميع ما يتلقونه من العلماء من أوامره ، وكان ذلك في أول ابتداء اشتداد حركة الإخوان ، وكان من بين تلاميذ المدرسة رجلاً من أهل تلك الهجرة ، يدعى مشعان ابن قشعان ، وأخوه من مشاهير الإخوان المعروفين ، وكنت أذكر أن مشعان هذا وكان لم يتجاوز بعد حفظ حروف الهجاء ، فكان يردد كلمات : (أَنْصَابٌ ، إِئِىْ خَفَاضٌ ، أَرْفَاعٌ ، أُجَزَّمُ) أي ألف فوقها فتحة منصوبة ، وألف تحتها كسرة إلى آخره . وكان يكررها بنغمة رافعاً صوته ، وكذا كان معلمونا في ذلك الوقت يعلموننا ، وفي أثناء ذلك دخل مع باب القرية - وكان مقابلاً لباب المدرسة - دخل رجل جَمَّالٌ ، يسير خلف جملة ، وكان يدعى عبد العزيز القُوِّيزُ ، يتجول بين القرى لبيع فيها ما يَحْضِرُه من إحدى المدن القريبة ، مما يحتاجه أهل القرى . من طعام وغيره ، فلما حاذى باب المدرسة أومأ بيده ، مشيراً بالسلام ، فرد عليه من رآه ، ومن بينهم مشعان ، ثم تجاوز المدرسة إلى سوق القرية غير بعيد ، ولكن مشعان نهض بسرعة ولحق بالرجل ، وأتى به حتى أوقفه عند باب المدرسة ، وقال له - وقد لفت نظر التلاميذ بفعله - : (وَأَنْ أَنْتَ جَائِيٌّ مِنْهُ)^(١) ؟ فقال : من اللّوادمي ، فقال مشعان : (نَعِيذُ بِاللّهِ مِنْكَ أَنْتَ سَفَرِي ، رَدُّ عَلَيْنَا سَلَامُنَا)^(٢) فقال : كيف أردده ؟ قال : قل سلامكم مردود عليكم ، فلما قالها تركه

(١) اي : (من أين أنت آت) .

(٢) أي نعود بالله منك فأنت من يسافر إلى بلاد الكفار ، ومن كان بهذه الصفة فيجب

هجره وعلم السلام عليه .

بعضي ، وكان من آثار حركة الإخوان في ذلك الوقت أن كبار الطلاب قد لبسوا فوق رؤوسهم عمامم بيضا ، وكانت عمامتي إذ ذاك ستة أذرع ، ولكننا ما كنا نلبسها في الغالب إلا عند الذهاب إلى هجرة ساجر لصلاة الجمعة ، ولك أن تتخيل صورة طفل قصير ، قد أدار فوق رأسه قطعة طويلة من القماش .

كان عندما يتتاب المرء أحد الأمراض التي لا يكون لجسمه فيها أثر بارز ، فأول ما يتبادر إلى أهله اعتقادهم أنه (منضول) والنضل عندهم الإصابة بالعين ، وفاعله (نضول) .

وكنت أعيش في تلك القرية "بعيدا عن أهلي ، وكان الغذاء الذي أتناوله ليس جيدا ، وكذا الأغذية في جميع القرى في تلك الأزمان ، وما كانت بنية جسمي على درجة محمودة من النشاط والصحة ، ولهذا كنت أعيش بين التلاميذ خاملا منفردا ، لا أشاركهم في هواهم وأوقات لعبهم ، ولكنني عرفت من بينهم صبيا كان يشابهني في الضعف والخمول ، يدعى ابراهيم ، ووالده عبد الرحمن بن فليح ، وأمه بدوية تدعى (شريدة) فحصل بيني وبين هذا الصبي ألفة متلازمة .

وفي مساء يوم من الأيام ، ذهبت معه إلى بيته مع إخوانه ، وكانوا كثيرين ، ولكنهم ليسوا أشقاء ، وكنا حديثي عهد بعيد الأضحى ، والناس في هذا العيد تكثر عندهم لحوم الأضاحي ، فما زاد عن أكلهم

(١) قرية حزمية ، وقد درست الآن ، وكانت إحدى قرى ثلاث ؛ شمالية تدعى قرية (سناد) والوسطى حزمية والجنوبية سهلة ، ويطلق عليهن كلهن اسم (سنادات) في الشمال الشرق من قرية البرود .

قدَّوَهُ أَي جعلوه شرائح دقيقة ووضعوا فوقها الملح ، ونشروه فوق
الجبال حتى يجف ، وهم يسمونه (القُفْر) والشريحة قُفْرَةٌ ، فلما
دخلنا البيت رأينا (القُفْر) في أحد حجره ، فسارعنا للأكل منه مما
عُلِقَ على الجبال ، ولكن ابراهيم وجد قطعة ساقطة على الأرض فأكلها ،
وسرعانَ ما دَزَعَه القيءُ واستمرَّ به بحيث انطرح على الأرض فأحاط
به أهله حتى صار يَقِيءُ دَمًا ، وكان الوقت قبل الغروب . وبعد
صلاة العشاء صَلَّيَ عليه مَبْتَأًا ، فأصبت بتأثر شديد بحيث أنزني في
صبيحة اليوم الثاني لم أستطع أن أقرأ درسي ، فأتى إلى أبي لما علم
بما أصابني من التأثر وهو لا يعرف سببه ، ولكن أحدهم قال له :
إن ابنك (منضول) وأن (عَدِيَه) وهو رجل معروف - قد نضله . فتسد
رآه قبل أيام يقرأ فقال : (كَأَنَّهُ دِيكَ يَلْقَطُ حَبًّا) .

عاد بي أبي إلى القرية ، وتركت المدرسة بعد ذلك .

في صبيحة يوم من أيام الشتاء أتى إلى أبي قبل طلوع الشمس رجل
همس في أذنه بكلام لا أدري ما هو ، وكل ما أذكر أن أبي أرسلَ
إلى الناقة التي هي كل ما أبقى له دين الفلاحة مما يملك ، وكانت في
المرعى ، فأحضرت ، وكنت في ذلك اليوم عند أهلي في قريتنا (شَرْقَةَ)
فقال لي أبي : سأذهب بك إلى الرياض لتطلب العلم . ولم أرتح للخبر
لأنني لا أزال أحسُّ بالألفة القوية التي تربطني بالقرية التي عشت فيها .

وكانت الرحلة في اليوم الثاني في صباحه ، وفي المساء كان الوصول
إلى بلدة شُقْرَاء ، واستضافة رجل طيب الذكري ، يدعى عبد العزيز
ابن يوسف بن عمار كان تاجراً وكان ذا صلة بجَدِّي لأُمِّي علي بن
عبدالله بن سالم إمام قرية البرود .

وفي الصباح كان السفر من بلدة شقراء ، ثم المرور بقرية غسلة
إحدى قريتي (القرابين) مع قصر المسافة بين هذه القرية وبين بلدة
شقراء ، وهنا تتضح غرابة بواعث الرحلة بالنسبة لأبي .

كان الرجل الذي همس في أذنه قد قال له : إن ابنك جاسرا مريض
في مدينة الرياض ، وأن سبب مرضه إصابته بالعين : أما عَيْنُ مَنْ
تلك التي أصابته فهنا تبلو الغرابة ؟ . . انه خاله شقيق أمه الذي كان
يعمل معه حينما كانا يعملان في إحدى قرى الساحل الشرقي بعد فشلهما
في العمل في (الغوص) ومن هنا كان التعرّيج على هذه القرية
والنزول في ضيافة نخالي جزءا من الوقت : تمكن أبي في خلاله من أخذ
شيء ذي صلة بالعائن على ما زعموا لكي يداوى به من أصابته العين ^(١) .
هذا هو سبب هذه الرحلة بالنسبة لأبي ، وكما قيل : (رَبُّ ضَارَّةٍ نَافِعَةٍ)
فقد كانت بالنسبة لي رحلة نافعة .

لم نخزن الذاكرة من ذكريات هذه الرحلة سوى الوصول إلى
بلدة ثرمداء بين العشائين والنزول عند باب بيت أميرها ، عبد الرحمن
بن ناصر العنقري ، فكان من أثر استقباله بوجهه الطلق البشوش
ما جعلني أتذكر حين ذكره قول الشاعر :

بَشَائِئُهُ وَجَهَ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنَ الْقَرَى

وقول آخر :

وَمَا الْخَصْبُ لِلْأَضْيَافِ أَنْ يُكْثَرَ الْقَرَى

وَلَكِنَّمَا وَجْهُ الْكَرِيمِ خَصِيبٌ

لا أزال أذكر كلمة أبي : (ذا الأمير من إكرام الضيف إكرام

(١) وذلك مما يلاص جلده ، وقد يكون من أوساخه ، ويشترط أن لا يعرف العائن بما أخذته .

راحته) فنادى بأعلى صوته : (ياناصر ياناصر : حطوا لنافة ضيفنا
علف وكثروا) :

لقد كان كريماً طلق المحيا يشوشا :

ثم كان الوصول إلى مدينة الرياض ، وعودة أبي مع أخي منها
وبقائي فيها .

أما مرض أخي فقد كان من أثر الحمى (الملاريا) التي كثيراً
ما تصيب أهل تلك السواحل ، ولهذا لم يُجد في علاجه ما أخذه
أبي معه .

أبقائي أبي عند قريب له في الرياض من الطلبة ، كفيف البصر
يدعى عبد العزيز بن فايز ، من آل فايز أهل (الفرعة) وهم أخوال
أبي ، وكان لمن يقد إلى الرياض لطلب العلم إعانة تقارب الكفاية
من تمر وأرز ، وقد يساعد بكسوة في بعض المناسبات .

كانت هذه الرحلة من بواعث الرحلة التي سأذكرها فيما بعد ،
فقد نلت طرفاً من المعرفة ، فقرأت المختصرات المؤلفة في الدين
(وغَيَّبْتُ) قلداً كبيراً من القرآن الكريم ، ثم توفي الرجل الذي
أقمت عنده ، فعدت إلى أبي وكان طريح المرض ، مرضه الذي مات
منه عند أخي في بلدة (الفرعة) ولكن لم أقم في هذه البلدة فقد
رأى أبي أن أذهب إلى جدي لأُمِّي في قرية (البرود) لينولِّي إعالي
ولكن سرعان ما أتى أخي الكبير وكان (يَحْتَرَف) في بُرَيْدَة ، وأخذني
معه في رحلة إلى تلك البلدة .

أدخلني أخي في مدرسة لعلم يدعى (الصقنبي) يعلم القراءة في
الصباح ، وبعد العصر يعلم الكتابة ، ومدرسته في الصباح ليست

واسعة ، ولكن طلابه قليلون ، وكلهم ممن أجاد مبادئ القراءة والكتابة ،
وأنى ليستزيد من حفظ القرآن ، وإجادة الخط .

كان له دكانان واسعان اتخذهما مدرسة في المساء - من صلاة
العصر حتى أذان المغرب ، يقعان على الجانب الشمالي من السوق
العام ، على مقربة من (الجردة) وكان الطلاب الذين يقوم بتعليمهم
في هذين الدكانين من كبار السن ، وكانت طريقته أن يكتب
للطالب سطرأ أو سطوراً قليلة ، في أعلى الورقة ، ويطلب منه محاكاة
ما كتب حتى يملأ الورقة ، وقد يعطيه ورقة تحوى قطعة من الشعر
في الحكم أو في الوعظ ، وقد يكلف بعض المتعلمين في الكتابة
بتوجيه من دونهم فيها بالكتابة ، فكنت أذكر من بين هؤلاء طالباً
ذا حظ حسن يدعى (العظامي) وكنت أذكر مما كان يكلف الطلاب
بكتابتهم هذه الجملة^(١) : (قلوة الأماجد ، وعمدة الأعيان ، ذوو
العز والقدرة والشأن ، أعنى بذلك فلان ابن فلان) .

وقصيدة ليمنى يدعى (الوعظي) منها :

والبنين حقوقاً (؟) لا تضيعها	خال كريم ، واسم غير منكم ؟
وخصمهم بأديب عاقل فهم	فأفضل العلم علم اللوح والقلم
من لم يخط ولم يقرأ رسالته	قدم له بقرأ يرهاها أو غم (؟)

ومنها :

ليت العجائز في حبيل معلقة نحو الثريا وذاك الحبيل ينصرم (؟)
ومن ذلك قصيدة لا تقل عن الأولى ركاكة وضعفاً أولها :

ليس الغريب غريب الشام واليمن إن الغريب غريب اللحلوالكفن

(١) نعتد للقارئ الكريم في إيراد هذه النماذج من النظم الساطع المنى والبنى إذ
المقصود إيفاح مستوى التفكير في ذلك العهد ، في محيط مدرسي الكتاب .

لا تنهون غربياً طسال غربته والدهر ينهره باللذ والمحن
 سفري بعيد وزادي لا يبلغي وقسمتي لم تنزل والموت يطلبني
 إلى أمثال هذه المقطوعات الركيكة ، ولكنها مع ذلك لم تكن
 تخلو من فائدة ، وكان هذا المدرس يكلف المتقدمين من الطلاب بكتابة
 «دعاء ختم القرآن الكريم» لابن تيمية ، أو دعاء الوتر ، ويقدم
 ما كتبوا لبعض أئمة المساجد ، ويأمر الكاتب بأن يذكر اسمه في
 آخر ما كتب ويضع التاريخ .

بنياد و ايرة الحارث السلي
 كاتبا و مرزا اطلاع السلي

ومما لاحظت على هذا المدرس تأنقه في حسن مظهره ، بحيث أنني
 لم أره يوماً إلا ولباسه نظيف ، وكله أبيض ، العباة والثوب وغيرهما ،
 وحذاءه نظيف ، ويحمل دائماً معه عصا دقيقة طويلة من الشوحط
 (منير) وكان يعامل طلبته أحسن معاملة بحيث أنني لا أذكر أنه
 أهان طالباً أو رفع صوته عليه .

وكنت أصلي الفجر مع أخي في الجامع ونبقى بالقرب من حلقة
 الشيخ عبدالله بن سليم ، وكان طلابه قليلين ، يتحاربون العشرة ، ومما لاحظت
 سقوط الكلفة بينهم وبينه بخلاف ما شاهدته في مدينة الرياض ،
 ومن أغرب ما لفت نظري من ذلك أن الشيخ بعد انتهاء الدرس يمد
 رجليه بين الطلبة ، وقد لا يستنكف بعضهم من (تكبيسهما) .

وكنت أذكر قارئاً كفيف البصر ، يجلس للطلبة فوق سطح
 المسجد الجامع ، فيقرأون عليه القرآن غيباً ، وكنت إذ ذاك قد حفظت
 سوراً كثيرة ، فأردت أن أقرأ على ذلك الرجل ويدعى (العبادي)
 ولكنني عندما بدأت في القراءة تلعثمت فقال لي : (كفاية ، كفاية)
 فخرجت وانصرفت .

عدت إلى قرية (البرود) مع أخي ، وبقيت فيها أعلم صبيانها . وما كنت على درجة من المعرفة تؤهلني لذلك ، وكنت أساعد جدي لأمي ، فأقرأ عليه خطبة الجمعة ، وبعض ما يحتاج إلى حفظه ليعظ به الجماعة ، وأقرأ بعد صلاة العصر في أحد كتب الوعظ في المسجد ، ولم تطل بي الإقامة حتى أخلتني أخي إلى مدينة الرياض ، وهي الرحلة الثانية ، وكان ذلك في سنة ١٣٤٥ ، وقد توسط بأحد الطلبة من إخواننا الصناعيين ، ويدعى محمد جابر حتى تيسر لي سكن في (بيت الإخوان) وكان يقع بقرب مسجد دخنة ، وهو مسجد الشيخ محمد ابن ابراهيم فشرعت في طلب العلم ، وصرت أتردد على حلق المشايخ ، الشيخ محمد ، والشيخ سعد بن عتيق ، وكان يؤم الناس في المسجد الجامع ، ويجلس للطلبة فيه ، وكان قاضي الرياض للبادية ، والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ وكان يجلس للطلبة أيضاً في المسجد الذي عرف به ، وكان قاضي الرياض للحاضرة ، وكان من المشايخ الذين كنت أقرأ عليهم ، وقد كنت دؤوباً في عملي ، حريصاً على المطالعة . ومن كنت أتلقى عليه العلم شيخ جليل هو الشيخ محمد ابن عياف ، وكان كفيف البصر ، يؤم المصلين في مسجد خالد ، ويجلس فيه للتعليم ، وكان على درجة كبيرة من التواضع واللطف مع طلابه . وفي زمن غير طويل أصبحت أعدد من بين الطلبة المعروفين .

في سنة ١٣٤٦ كانت حركة (الإخوان) في عنفوان قوتها ، فطلبوا من الإمام عبد العزيز أن يبعث إلى البادية مرشدين يعلمونهم أمور دينهم ، فكان أن بعثت إلى فريق من أبناء البادية يدعون الحوامي ، وأحدهم حومياني ، من النفعة من برقا من عتيبة ، وأميرهم يدعى نافل ابن بادي الحومياني . كان هؤلاء بلواً متنقلين في البلاد التي تصلح

لإيلهم ، وكانوا أصحاب إبل ، وكانوا حينما وصلت إليهم يحلون غرب (صفراء السر) ولكنهم ما لبثوا متنقلين في جهات السر وما حوله ، في النفود ، ثم في المروث ، ثم في نفودي الملحاء ، والبتراء ، ثم في المسنوي ، ومكثت معهم بضعة شهور ، وكانوا بكرموني ، ويعنون بي خير عناية ، ويفضلونني في ماكلهم ومشرهم ، وكان الفصل ربيعاً ، والأرض مخصبة ، والطعام يكاد يكون مقصوراً على اللبن والتمر ، وقد يوجد اللحم إذا حلَّ ضيفاً على أحدهم ، فيشترك القوم في الطعام .

ومن طريف ما جرى في هذه الرحلة أن من هؤلاء القوم شاب يدعى (مصلح بن خلف) مصاب بمرض يعتقد أنه من مس الجن ، فلما وصلت إليهم طلبوا مني أن أقرأ على هذا المريض ، لكي أخرج الجنية التي لاطفته ، والملاطف هو من أصابه الجن ، وكان الشاب في عتفوان قوته ، ونشاطه ، ولكنه كان مكبلاً بالحديد في يديه ورجليه ، وعند القراءة يمسه أحد الرجال ، وكان قلبي يرجف وأنا أردد بعض الآيات القرآنية ، وأنثت عليه ، وكان يحاول أن يقرب فمه مني ليعض أنفي عندما انحنى للنفث على وجهه ، ويخاطبني بكلمات الوعيد والتهديد ، غير أن قراعتي لم تجد معه شيئاً ، فذهب به أهله إلى (مطوع) ذكر لهم في إحدى قرى سدير يدعى (ابن زكري) وفي هذه الأثناء وكان الفريق حالاً في نفود الملحاء ، ومن عادتي أن أنام في (ربيعة البيت) وهي قسم منه مخصص للضيوف ، وكانت العادة أن البنادق تعلق في (واسط البيت) - وهو العمود الأوسط منه ، وفي إحدى الليالي تأخر الوراد الذين ذهبوا لإحضار ماء الشرب ، حتى

مضى هزيع من الليل ، وكنت خارج البيت ، فتمدت فوق الرمل ،
غير بعيد عن البيوت ، وطاب لي النوم فمنت ، فلم أشعر إلا بلدغة
شديدة في شحمة أذني اليمنى ، أيقظتني من النوم ، فنظرت حولي
فاذا عقرب سوداء قد لسعتني ، أبصرتها تدخل في جوف شجرة من
الأرطى ، فلم أقدر على قتلها ، فبقيت سهران ، وكان الليل مُقْمِراً ،
فما شعرت وأنا على تلك الحالة إلا برجل يقبل على البيوت غير بعيد
مني ، وهو عريان ، فذهب ودخل في البيت الذي كنت أنزل فيه ،
وأخذ إحدى البنادق المعلقة في (الواسط) وصار ينادي اسم صاحبة
البيت : يا أم غازى ، يا أم غازى ، وان الحضري اللي عندكم ؟ ^(١)
فما كدت أسمع هذا حتى أسرعرت إلى بيت المؤذن وكان قريباً مني
ويدعى (بجاداً) فصرخت به فاستيقظ مذعوراً فأخبرته بأن (مصلحاً)
يبحث عني ليقتلني ، فقام وأقام من حوله ، واحتالوا حتى أمسكوا
الرجل وكتبت لي النجاة من القتل بسبب لسعة عقرب .

وقد رجعتُ من البَنُو ، بعد بضعة شهور إلى الرياض ، فواصلت
القراءة على مشايخي ، فأسندت إلى الشيخ محمد بن ابراهيم أنا وطالب
علم من أهل بلدة (مرآة) يدعى عبد الرحمن بن دُعَيْج ، القيام
بتعليم أمور الدين في مسجد القصر - قصر الحكم في ذلك العهد -
وقد هَيَّأ لي هذا العمل معرفة بعض سيدات مَنْ كنا نُعلمهم من صغار
الموالي (ويسمونهم العبيد) فكنت أنال تقديراً وإكراماً في المأكل
والملبس ، وكنت أقوم في بعض الأحيان بكتابة رسائل تلك السيدة ،
فأنا لا أزال صغير السن ، ولا حرج من دخولي على النساء .

(١) وان : بلهجة البادية : ويز - بلهجة الحضرة ، لى (ابن الحضري ؟)

وأذكر أنني في تلك الأيام قلت قصيدة أُنشئ الإمام عبد العزيز برفعة (السبلة) التي حدثت في ٢٠ شوال سنة ١٣٤٨ ، ، وقد كوفئت على تلك القصيدة التي أُنجل عندما يخطر ببالي مطلعها ، ومع ذلك فقد نالت استحسانا ، بحيث أن زملائي من الطلاب صاروا يتناسخونها ويشنون عليها ، بل نُقل إلي أن أحد مشايخي أثنى عليها بعد أن قرئت عليه .

وفي صبيحة يوم من الأيام ، جاءني رسول من الشيخ محمد ، وكان هذا بعد وقعة السبلة بزمن قصير ، فقال : يسلم عليك الشيخ ويقول لك : تهيباً للسفر مع الأمير إبراهيم بن عرفج ، الذي سيذهب رئيساً لسرية إلى إحدى الجهات .

كنت مرتاحاً في عملي ، لا أريد له بيديلا ، فسأفتي هذا الأمر ، فأسرعت إلى السيدة التي كنت أتولى تعليم بعض مواليتها ، وذلك بعد انتهاء وقت الدراسة في الصباح . فلما أخبرتها ، أرسلت إلى مؤذن مسجد القصر ، وكان رجلا فاضلا ، قصير البنية ، جهوري الصوت ، يدعى (مشعان) فلما حضر ، قالت له ما معناه : إذهب إلى الإمام ، وستجده في البيت القلائي ، وأخبره أن الشيخ محمدا يريد أن يرسل (المطوع) الذي عندنا في القصر ، ونحن نريده أن يبقى عندنا ، فقال : سيأتي الإمام للصلاة ، فأخبره ، فقالت : لا إذهب الآن ، وأخبرني بالجواب ، فذهب ولم يغب طويلا ، وعاد ليقول : إن الإمام أمره بأن يذهب إلى الشيخ محمد ليعث (مطوعاً) آخر ، فكان ذلك وكان المبعوث يدعى سعيداً القحطاني ،

سارت السرية بقيادة إبراهيم بن عرفج ، فهاجمها اللويش الإبن ،
فوق منهل (القاعية) فكانت وقعة القاعية المعروفة المشؤومة ، وكان
الشريفة ابن عرفج وقليلامن معه . . وكان ممن استشهد صاحبنا القحطاني
رحمه الله .

وفي شهر صفر سنة ١٣٤٨ ، دعاني الشيخ محمد رحمه الله وقال
ليبي : إن عمي الشيخ عبد الرحمن سيذهب إلى عرواً قاضياً ، وهو بحاجة
إلى طالب علم يقرأ عليه ، ويكتب له ، وقد اخترتك ، وهذا العمل
أحسن لك مما أنت فيه . وفهمت من كلامه أنه حريص على ذهابي مع
الشيخ عبد الرحمن ، فوافقته ، وذهبت مع أحد أبنائه إلى بيت
الشيخ عبد الرحمن ، وهو غير بعيد عن بيت الشيخ محمد ، وبعد أن
سلمت عليه ، أخبره رفيقي بي فأظهر الاستبشار ، ووعد خيراً ، وحدد
لي وقت السفر ، وأنه سيكون بعد صلاة العشاء من الليلة المقبلة ، وأن
عليّ أن أحضر في ذلك الوقت .

وجدت عند حضوري في الوقت المحدد الشيخ قد نهياً للرحيل ،
وأمام المنزل راحلطان ، إحداهما امتطأها الشيخ ، والثانية ناقة ملحاء ،
عرفت أنها صعبة لم تدلل من الخطام الموضوع في رأسها ، فركبتها
وأخذت بخططهما ، وبعد أن قامت من مبركها ناولني أحد أبناء
الشيخ عدداً من (الزنابيل) قائلا : ستمرون بالنخل في الباطن ، فاتركوا
هذه الزنابيل فيه ، سرنا وقد أمسكت باليمنى الزمام ، وباليسرى
الزنابيل (المخارف) فلما نزلنا بطن الوادي ، قريباً من النخل إذا

بالناقة تجفل ، ثم تقفز من صوت غريب سمعته ، وإذا بي طريح الأرض ، ولكني لم أصب بأذى ، فقد أنيخت لي الناقة فركبتها .

لأذكر من تلك الرحلة إلا أننا مررنا بمنهل دلقان ، ثم بقرية القويبة ثم بلغنا هجرة عروا ، وللشيخ فيها بيت نزلناه ، ولكننا بقينا ضيوفاً لدى الأمير جهجاه بن بجاد بن حميد ، وكانت زوجته سيدة فاضلة هي شيخة بنت محمد بن هندي بن حميد ، وكان جهجاه - وإن كان بدوى الطبيعة - إلا أنه كان رجلاً سمحاً رضيعاً ، طيب القلب فكه المحضّر .

ولم يعكر ارتياحنا واستقرارنا في هجرة عروا سوى أمرين ، أحدهما أن الشيخ عندما تقدم للصلاة بالجماعة صلاة المغرب في يوم الوصول انخزل أكثرهم إلى مؤخرة المسجد ، وقدموا واحداً منهم إماماً ، فصلوا وحدهم ، وكان هؤلاء من أهل هجرة (الغطط) التي هدمت في ذلك الوقت بعد وقعة السبلة .

وكان الشيخ رحمه الله يحب هدوء الأمور ، ولهذا لم يتأثر مما رأى ، وتكلم مع الأمير جهجاه بكلام مطمئن ، وقال : لعل الله يهديهم .

الأمر الثاني : لم نشعر بعد أيام ، بعد أن خرجنا من صلاة المغرب إلا برجل واقف عند باب المسجد يصيح بأعلى صوته : (أبشروا يا الأخوان أن الله بيا⁽¹⁾ يعز دينه ، ويعلي كلمته ، ويخلص لكم أميركم) إلى آخر كلامه ، وكان هذا نذيراً بحركة تمرد معروفة ، ندع الكلام عنها لوقت آخر ،

محمد الجاسر

(1) بيا : في البدوي : بي - بلهجة الحضرة - أي : يعني

لهجة أهل القصيم

(في الجزء الذي سبق هذا أوردت « العرب » قسماً من المقدمة الضافية التي كتبها الأستاذ الجليل الشيخ محمد المودى لكتاب « بلاد القصيم » أحد أجزاء المعجم الجغرافي لبلاد العربية السعودية « وها هو قسم ثان من تلك المقدمة ، طريف في موضوعه) .

لقد أتينا هنا بكلمة (لهجة) بديلة من كلمة (لغة) مع إصرارنا على أن كلمة لغة هي الفصيحة المستعملة ، قديماً كما كان العلماء ، القدماء يقولون في بعض الكلمات : إنها تعنى كذا أو كذا بلغة تميم ، وبلغة هنليل أو بلغة أسد أو نحو ذلك .

ولكن كلمة (لهجة) أصبحت الآن شائعة ذائعة فأثرنا إثباتها لهذا السبب ، ولغرض آخر - وهو نفورنا من أن يفهم بعض الناس من كلمة (لغة) أن هناك في جزيرة العرب لغات متعددة متباينة كما يكون في البلاد الغربية عن البلاد الأخرى . وذلك ما لا نريده أن يفهم ، لأنه خلاف الواقع . ولا بد لنا من ذكر مقدمة مختصرة في لهجة أهل نجد عموماً قبل الكلام على لهجة أهل القصيم .

كثيراً ما يشعر العلماء الأدباء في الأقطار العربية خارج الجزيرة بما يشبه خيبة الأمل أو الصدمة غير المتوقعة ، عندما يذهبون إلى نجد وتفرع أسماعهم الكلمات النجدية الأصيلة .

ذلك لأنهم كانوا يتصورون أنهم سيسمعون لهجة هي أقرب اللهجات العامية في البلدان العربية إلى لغة القرآن الكريم لما تقرره أذهان الكثير منهم من كون اللغة الفصحى في نجد التي هي قلب الجزيرة العربية وأبعد أجزائها عن التأثير بالعوامل الخارجية المفسدة للغة .

إنهم يعتقدون ذلك عندما تغيب عن أذهانهم حقيقة - كانت معروفة عند اللغويين القدماء - وهي أنه عندما نزل القرآن الكريم بلغة قريش التي هي أفصح لغات العرب كلها، كانت هناك عدة لهجات في سائر أنحاء الجزيرة العربية مخالفة بعض المخالفة للغة قريش ومنها لهجة أهالي نجد بل لهجات أهالي نجد .

فقد كانت للقبائل النجدية لهجات بها ، وإن كان بعدها لا يصل إلى البعد الذي يفصل بين بعض اللهجات العربية في المغرب مثلاً واللهجات العربية الأخرى في المشرق في الوقت الحاضر .

وقد دون العلماء القدماء تلك اللهجات في نتف متفرقة بين ثنايا النصوص الأدبية .

إلا أن أوضحها تمييزاً ما نصوا على أنه دخل في قراءة آت القرآن الكريم .

فقد صنف عدد من العلماء في موضوع اللغات في (القرآن) ونصوا على ذكر بعض الكلمات النجدية^(١) ، وقال فيها بعضهم: إنها بلغة قبيلة

(١) راجع مقدمة كتاب « اللغات في القرآن » رواية ابن حسون المرقى بإسناده إلى ابن عباس المقدمة والتحقيق للدكتور صلاح الدين المنجد طبع في دار الكتاب الجديد في لبنان عام ١٣٩٢ هـ .. (الطبعة الثانية) .

بني فلان أو القبيلة الفلانية ، مما يفهم منه أن هذه اللغات ، أو تلك الاستعمالات للكلمات لم تكن معروفة في اللغة الفصحى وبالتالي لم يكن القرشيون الفصحاء يستعملونها .

وعقد الإمام السيوطي فصلاً في كتاب «الإيتقان» لمثل تلك الكلمات ومن تلك الكلمات :

«رغداً» يعني الخصب بلغة طي .

«رجزاً» يعني العذاب بلغة طي^(١) .

«ثم أفيضوا» يعني انفروا بلغة خزاعة وعامر بن صعصعة .

«بغياً بينهم» يعني الحسد بلغة تميم^(٢) .

«حصرت صدورهم» يعني ضاقت بلغة أهل اليمامة^(٣) .

«أوفوا بالعمود» يعني بالعهود بلغة بني حنيفة^(٤) .

وهذه أمثلة لما في القرآن الكريم ، أما ماورد من ذلك في الآثار والأخبار والأشعار فهو كثير جداً ومحل كتب اللهجات والشواهد النحوية

وعلى هذا فإن اللغة النجدية المحكية الآن بين النجديين - ومنهم أهل القصيم - ليست لغة متطورة - أو على حد تعريف بعض الذين يفضلون التعريفات السهلة - : محرفة عن اللغة الفصحى .

فقد لَّدَّ لبعض أولئك الذين يفضلون القول السهل أن يقولوا في كُلِّ كلمة عامية غير دخيلة أو في كل تعبير لا يدخل تحت قواعد

(٢) المصدر نفسه ص ١٩ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٣ .

(١) اللغات في القرآن ص ١٧ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٢ .

اللفظ الفصحى الذي ورد في اللغة الفصحى لغة قريش : إنه محرف عن الفصحى .

إن اللغة النجدية المحكية الآن هي سليفة لغة عربية فصيحة كانت شقيقة للغة الفصحى لغة قريش التي نزل بها القرآن الكريم وبخاصة ما يتعلق بمفردات اللغة . مع تكرار القول بأننا نريد باللغة هنا ما يسمى الآن باللهجة . وأن البعد الذي يلاحظه المرء فيما بين تلك اللهجة وبين اللغة الفصحى القرشية ناشئ عن عدة عوامل :

أولها : ما أوضحناه من اختلاف أصل اللغة المحكية ، عن اللغة القرشية .

ثانيها : التحريف والتغيير الذي حصل بفعل الزمن في تلك اللغة .

ثالثها : الرواسب اللغوية القديمة التي كانت موجودة في اللغة التي هي الجذوة أو الأم الكبرى للغات السامية ، والتي خلقت منها لغة قريش لسبب لانعريفه وسنورد فيما بعد أمثلة لتلك الكلمات إن شاء الله .

على أن علماء العربية الأوائل قد دونوا معظم الكلمات التي كانت مستعملة في اللهجات النجدية القديمة وإن لم ينصوا على أصلها أو موطن استعمالها ، ولكنهم سجلوها على أنها جزء من التراث اللغوي العام ، ونصبوا في بعض الأحيان على كونها من غريب اللغة ، أو نادرها .

وباستعمال اللغة الفصحى في عصر التذوين لغة للكتابة والتسليف ، ماتت تلك الكلمات في الحواضر الإسلامية ودُفنت في بطون المعاجم حتى لم يعد يعلم عنها إلا من عانى التنقيب في المطولات اللغوية .

علي أن جزءاً كبيراً من تلك الكلمات ظل حياً يرزق حظّه من التطور والتغير بالفعل الزمى المحنوم ، ولكن في نطاق مواظده الأصلية في مجاهل البلاد النجدية التي كانت قد ابتعدت عن مراكز التدوين والتأليف بعد القرن الرابع الهجري . حتى تجاهلها العلماء واللغويون .

ولا تزال طائفة من تلك الكلمات حيّة مستعملة، في اللهجة النجدية إلا أنها تبدلوا مِن أَلِفَ سَمْعُهُ اللغة الفصحى لغة قريش ، غير مألوفة في السمع ، بعيدة عن الفهم . مما قد يحمله على الإسراع بالحكم عليها بأنّها كلمات فاسدة محرقة عن اللغة الفصحى تحريفاً أبعداً عن أن ترد إليها .

والواقع أنّ الأمر كذلك بالنسبة لبعدها عن الفصحى إذا أريد باللغة الفصحى لغة قريش .

أما إذا أريد بالفصحى اللغة (الفصيحة) التي كان يستعملها أهالي نجد في زمن البعثة النبوية فإنها لا يمكن أن يقال فيها - بحق - إنها لغة غير فصيحة ..

إذ أن تلك الكلمات كلمات فصيحة الأصل ، ولكنها ليست بفصحى الأصل .

وهاك أمثلة على تلك الكلمات ، واردة في أمثال عامية شرحتها في كتابي « الأمثال العامة في نجد » .

وقد آثرت ذكرها دون غيرها مما يماثلها من الكلمات التي وردت في الأشعار العامية النجدية ، أو التي نستعمل الآن في الكلام العادي لأنني شرحتها شرحاً كافياً عند الكلام على الأمثال العامية .

(١) «أكود الناس يبيزبه حقه» أكود : أصعب وأشق . ويبزيه : يكفيه .

(٢) «أحديزمَ زَمَ» : واحد يدودل دودله « يزم : برفع ، ويدودل : يدلى : دودلة : ندلية .

«أذرقَ مِنْ صافره» أذرق : أجبن . و صافرة : طائر يقال له في الفصحى : صافر .

«أردا وادقَ علبا» : أردأ من الرداءة . وعلبا : علبا في الفصحى «إلى اطريت الحصان ، فوَلَّم العنَّانُ» إلى : إذا . واطريت : ذكرت وولَّم : جَهَّزَ واعدَّ .

«الذُّباب يدل القطف» يدل الشيء : يهتدى إليه : والقطف : القرحة . «أركاه على الصُّوح» : أركاه : اضطره وألزمه . والصُّوح : جانب الجبل .

«إسنُ والأَسَنَتُ بك المحاله» اسن : من السنني وهو إخراج الماء من البئر . والمحالة : البكرة .

«إصدق تنجم ، إكذب تَهْجِمُ» تنجم : ترتفع . وتهجم : تسقط وتهدم .

«أكل الحمبصيص ، يدعي البطن له وصيص» الحمبصيص : عشبة حامضة يأكلها الناس . ويدعي : يدع . وصيص : أصيص .

«إلى شوْكَ الذعلوق ، ترى الفقع نابي فَوْقُ» إلى : إذا . شوْكَ : اصبح ذا شوْك . والذعلوق : نبتة صحراوية يأكلها الناس والفقع نوع من الكمأة نابي : مرتفع .

« شَخْبٌ طَفَحَ ، لا بيدي ولا بالقدْحُ » الشخب اللبن الذي يمتد
فازلا من الضرع عند الحلب . وطفح : ارتفع .

« ضَبُّ يَأْكُلُ مِنْ جَعُورِهِ » الجعور : جمع جمر . وهو النجو أو
ما يسمى الآن بالبراز .

« التَّفَالُ مَائِلٌ أَلْقَدُ » التَّفَالُ : جمع تَفَلَةٌ وهو ما يخرجهُ المرءُ من
ريقه للخارج . والقَدُ : سيور من جلد غير مديبوغ .

« ثَغَايَةٌ ، رَغَايَةٌ » ثَغَايَةٌ : من الثغاء وهو صوت الغم . ورغاية من
الرغاء وهو صوت الابل .

« العازة لَزَّازَةٌ » العازة : الحاجة الشديدة ، ولزازة : من لَزَّ عَلَى كَذَا
أَي أَلْحَى إِلَيْهِ .

« جَرَبُوعٌ فِي خَبَّارٍ » الجربوع : اليربوع حيوان صحراوي صغير ،
والخبَّار . الأرض الرخوة .

« حِقَّةٌ يَغْزِي » الحق : ولد الناقة الذي أكمل ثلاث سنوات ودخل
في السنة الرابعة ، ويغزي : يكتفي مطية في الغزو .

هذا بالنسبة لمفردات ، الكلمات .

أما بالنسبة للتعبيرات ، في صياغة الجمل الكلامية ، فإن الأمر فيها
أصعب ، والبحث في أصولها يجب أن يكون أوسع وأشمل .

بل هو يحتاج إلى مؤلفات خاصة به ، وجهود متضافرة من علماء
يملكون الفهم والوقت ، إذ ميدانه أرحب من ان يتسع له هذا الكتاب .

هناك أشياء يمكن ملاحظتها بسهولة وهي من الامور الواضحة المميزة
للهجة أهل نجد ولا يمكن حصرها في هذا المقام لأن المقصود هو ضرب
المثل ببعض ليفني ذلك عن الكل .

من ذلك أن الهززة في وسط الكلمة ، وفي آخرها ، لا وجود لها .
ولولا وجودها في أول الكلمة لأمكن القول بأنهم قد حذفوها من
جميع كلامهم العامي .

فالهمزة في اللهجة النجدية تسهل ياء في أكثر الأحيان مثل كلمة
اللييب ، القبائل - جمع قبيلة - أوواوا مثل مومن ومروه . ويمكن إعطاء
أمثلة لذلك من أسماء المواضع التي سترد في هذا المعجم وهي :

(الذيبية) (البدايح) (النايح) (ذوبية) .

كما أنهم حذفوا الهززة من أواخر الكلمات المهموزة مع المد مثل
الساء ، والماء وأمثالهما ، ومن أسماء الأماكن المذكورة في هذا المعجم :

بقيعا ، قصبيا ، البترا ، الثلما ، القرعا . الجوا . .

ومن ذلك أنهم ينطقون بالتقاء الساكنين ولا يتحاشون ذلك في لغتهم
بتحريك أحدهما كما في الفصحى وهذا كثير جدا في كلامهم وبخاصة
بعد « ال » التعريفية سواء كانت لأمأ شمسية أم قمرية ، ومن ذلك
نطقهم كلمة « السُعود » الأسرة المالكة فانهم يشددون السين ولكن مع
اسكانها إلى جانب إسكان (ال) المدغمة في السين .

ومن أمثلة ذلك من الأماكن الواردة في هذا المعجم : الجعلة والرئيس
والبطاح ، والبكيرية ، والثويرات .

بعد هذه المقدمة الموجزة في اللهجة النجدية المحكية في نجد ننتقل
إلى ذكر بعض خصائص اللهجة القصيمية خاصة .

الأول : حذف الألف بعد (ها) التي هي ضمير المؤنثة المفردة الغائبة
ثم الوقوف على الهاء بالسكون في جميع الاحوال .

فيقولون في كتابها وثوبها أو مالها وولدها أو (أبوها) :

كتابته وثوبته ، وولده ، وماله ، وأبوه - باسكان الهاء فيها جميعاً
وفتح ما قبل الهاء ، كما يقولون : يضربه في يضربه ، وضربه في ضربه
وهكذا في جميع ما جاء على هذا المنوال ، بل هو قاعدة مطردة في كلامهم
العامي كله ، إذ لا يوجد في لغة أهالي القصيم ألف بعد هاء المفردة الغائية
فلا يقولون اطلاقاً : كتابها ، أو مالها أو ولدها أو نحو ذلك .

ولا يشركهم في هذه اللهجة من أهالي نجد إلا أهالي منطقة (حائل)
وما جاورها ، و قبيلة شمر الطائية الأصل من بين القبائل العربية : هذا
في نجد .

أما في خارج الجزيرة فإن هناك أماكن ضيقة تستعمل هذه اللهجة
في كلامها العامي بعضها لتأثره بقبيلة شمر ، مثل أجزاء من منطقة الموصل
وبعضها لا أدري من أين جاءت إليه ، مثل بعض المناطق المسيحية في
(جبل لبنان) وحدثني بعض علماء المغاربة أن أهالي مدينة (تطوان) في
المغرب ينطقون بهذه اللغة ، وأن المعروف أنهم جاءوا بها من الاندلس لذلك
خالفوا بقية المغاربة فيها .

ورغم أن هذه اللهجة غريبة بالنسبة لمن ألف أن يسمع اللغة الفصحى
لغة القرآن الكريم ، فإن لها أصلاً قديماً بل عريقاً في القدم إذ وردت في
نصوص يفهم منها ذلك أي يفهم منها أنها موعلة في القلم .

من ذلك نص أورده بعض العلماء القدماء منهم السكري وحزمة
الأصفهاني ، وهذا نص كلام الأصفهاني : ذكروا أن ثلاثة نفر اصطحبوا :
فزاريا وتغلبياً وكلابياً . فصادوا حماراً وحشياً ومضى الفزاري في حاجة له

فقطبها اللحم وأكلا ، وخبياً للفزاري جردان الحمار^(١) ، فلما رجع قالا :
قد خبئنا لك فكل : فأقبل يأكله ، ولا يكاد يسيغه ، وجعلا يضحكان ،
فقطن لذلك وقال : أكل شواء العير جوفان ؟ ! وجوفان الحمار : أيره .

ثم أخذ سيفه وقام إليهما : وقال لتأكلانه ، أولاًفتلنكما ، فقال ؟ !
لأحدهما وكان اسمه مرقمة : كُلُّ منه فأتى : فضربه فأبان رأسه ، فقال
الآخر : الآن طاح مرقمة ، وروى : طاح لعمرى مرقمة . فقال الفزاري :
وانت إن لم تلقمه . أراد : : تلقمها . فلما ترك الألف أتى الفتحة على
الميم . قبل الماء : كما قالوا . . . ويلئم الحيرة ، وأي رجال به ، أي
بها^(٢) .

وتلك الجملة المعروفة عند التحويين وهي : بالفضل ذو أكرمكم
الله به ، وبالكرامة ذات أكرمكم الله به . وذو بمعنى الذي وذات بمعنى التي
في لغة طيء .

وإذا عرفنا أن تلك اللهجة - أي حذف الألف بعد هاء المفردة المؤنثة
الغائبة - إنما أخذها أهل القصيم - فيما يبدو - من لغة طيء الذين حضروا
من جنوب الجزيرة العربية كما يقول الاخباريون القدامى أو لنقل : إنها
مما بقي في لغة طيء من لهجتهم البانوية القديمة ، التي تركوها عندما احتكوا
بأهالي نجد ووصلوا إلى القصيم أولاً ، ثم إلى جبلى طيء في حائل بعد أن
أزاحهم بنو أسد عن المنطقة التي كانوا فيها من القصيم وهي اعلاه وسكن
بنو أسد في مكانهم .

(١) جردان الحمار : قضييه .

(٢) الدررة الفاخرة ص ٨٦ - ٨٧ . وانظر الأوائل للمسكوى ص ١٨٠ وجمهرة الأمثال .

المسكوى .

وإذا كان الأمر كذلك فإنه ينبغي لنا أن نبحث عن هذه اللهجة في اللغات السامية شقيقات العربية والحميرية والسبئية وهي اللغات التي ترجع مع غيرها من اللغات إلى لغة قديمة ، يسميها اللغويين (أم اللغات السامية) إذ يفترض أنها كانت كذلك وإن كان لا توجد نصوص قديمة منها تدل دلالة واضحة على شياتها وسماتها .

وقد بحثت بالفعل عن ذلك فوجدت أن لهذه اللهجة التي يصح أن نسميها لهجة يمانية مثيلا في لغة سامية أخرى هي اللغة العبرية ، إذ حدثني الدكتور تقي الدين الهلالي - وهو أستاذ للغة العبرية في جامعة محمد الخامس في المغرب - أن هذه اللهجة موجودة في اللغة العبرية وضرب لي أمثلة على ذلك بما يلي :

بَعْلَاهُ هِيَ بَعْلَاهَا ، أَي : زَوْجُهَا . وَسَفْرَاهُ سَفْرَاهَا بِمَعْنَى كِتَابِهَا .
وَابْنَاهُ : ابْنُهَا . بَنَاهُ : بَنَيْتُهَا . بَيْتَاهُ : (بِالْثَاءِ) بِمَعْنَى بَيْتِهَا .

فدل ذلك على أن لغة أهل القصيم التي تحذف الألف بعد هاء المفردة المؤنثة الغائبة ليست محرفة عن الفصحى ولا هي لغة عامية دخيلة وإنما هي عربية لها أصل عربي فصيح ، وليس ذلك فحسب وإنما هي ذات أصل عريق في العروبة إذ هي موجودة في بعض اللغات السامية مما يمكن معه أن يقال : إنها كانت مستعملة في اللغة التي هي أم للغات السامية ، والتي قال بعض اللغويين : إن موطنها الأصلي هو جزيرة العرب . وإذا صح هذا القول فإنه يصح أن يقال إن هذه اللهجة كانت موجودة في جزيرة العرب قبل فجر التاريخ الملون أي قبل البعثة النبوية بقرون لا يعلمها إلا الله تعالى .

الأمر الثاني: الذي يميز لهجة أهالي القصيم عن بقية أهالي نجد وهو -
كذلك - لا يشركهم فيه من أهالي نجد غير سكان منطقة (حائل)
وما جاورها وأفراد من قبيلة شمر الطائية الأصل .

هو ضم ما قبل ضمير المفرد الغائب على كل حال .
فيقولون في كتابه وماله : وعلمه : كتابه وماله وعلمه ، بضم الباء
واللام والميم الواقعات قبل الهاء في جميع هذه الكلمات .

سواء أكانت في ضمير الغائب المفرد في محل جر كما سبق أم في
محل نصب مثل أخذه ، وعلقه ، وأكله . أم كانت في محل رفع مثل
يقوله ويأخذه ويضربه . فالحرف الذي سبق الهاء مضموم مطلقا ، والهاء
ساكنة دائما .

وتلك لهجة واسعة الاستعمال في البلدان العربية وناهيك باستعمالها في
مصر والشام بجميع أقاليمه ، وأكثر أقاليم المغرب العربي . وأهالي القصيم
يخالفون بقية أهالي نجد الذين يكسرون ما قبل الهاء في تلك الأمثلة ،
وبعضهم قد يفتحها ويشاركونهم في ذلك معظم أهالي العراق والخليج العربي
والجزائر .

وهذا الذي نذكره عن أهالي القصيم إنما يخص أهالي الحواضر أما
أهالي الهجر ، ومواضع استقرار البدو ، فإن اللهجة السائدة فيها هي لهجة
القبيلة البدوية التي استقرت فيها بطبيعة الحال .

وما قلناه عن لهجة أهالي القصيم ينطبق على جميع الأهالي ما عدا فروقا
قليلة جدا لا تستحق الذكر ، ولا يمكن أن يلاحظها المستمع العادي .

إلا ما كان من أمر ناحيتين قديمتي العمران وهما : ناحية الاسياح :

النباج قديماً ، وناحية الجواء . ففي لهجتها اختلاف يسير سنذكره في الكلام على تلك الناحيتين في موضعها من المعجم ان شاء الله .

الأمر الثالث : فهو حذف ياء المتكلم والوقوف على نون الوقاية التي قبلها بالسكون ، فيقولون في مني وعني : من وعن باسكان النون فيهما مع تشديدها كما يقولون في ضربني واخذني : اضربن واخذن باسكان النون فيهما من دون تشديد .

وتلك واردة في قراءة آت القرآن الكريم كقوله تعالى في سورة الفجر : (فيقول ربي أكرم) وفي الآية الأخرى : (فيقول ربي اهاتن) وفي سورة الشعراء : (الذي خلقني فهو يهدين) وكذلك في سورة البقرة : (أجيب دعوة الداعي إذا دعان) وكل ذلك في حالة الوقف .

أما التركيبات الغريبة للكلمات في اللهجة النجدية بصفة عامة التي ليست مألوفة في الفصحى فهي كثيرة .

مثل إسكان الحرف الأول مما جاء على وزن فعال بكسر الفاء أو ضمها مثل كتاب وحمار وجدار وغبار وكبار جمع كبيرة - وصفار - جمع صغيرة . إذ ينطقون بها كلها باسكان الحرف الأول ، مع الإتيان بكسرة لينة متقدمة عليه بحيث لو أردنا أن نرسم هذه الكلمات كما كانوا ينطقون بها رسمناها كما يلي :

إكْتَاب ، إْحْمَار ، إْجْدَار ، إْغْبَار ، إْكْبَار ، إْصَفَار .

وهكذا توجد كلمات كثيرة يبلثونها بحرف ساكن وهي في الفصحى المتعارف عليه محركة ولكن يصعب حصرها في قواعد ثابتة ، كقولهم في (ضَرْبَةُ) المكونة من فعل ماض ومفعول والفاعل مستتر . والتي من البليهي

أما في الفصحى مفتوحة الضاد فإنهم يسكون الضاد فيقولون: (إِضْرِبُهُ).
ومن أمثلة ذلك - أي إسكان أول الكلمة من معجمنا هذا - : بريدة ،
عنيزة .

ولقد أخبرني بعض الأساتذة المعنيين بالدراسات اللغوية السامية أن
إسكان أوائل الكلمات أمر متألف في الآرامية وأنه لا يزال موجوداً في
السريانية ، وما عرف من الآرامية .

وإذن يمكن القول بأن ذلك أيضاً هو من بقايا اللغة السامية القديمة
في اللغة النجدية . وليس تحريفاً حصل في العربية خلال الأزمان المتأخرة
على أن الأمر ليس من السهولة بأن يبت فيه بأمر جازم إلا بعد
دراسات مستفيضة ومقارنات بين عدة لغات قديمة وحديثة .

وهناك عدد من الحروف التي لا توجد في الفصحى المتألفة الآن ، مثل
حرف «ك» الذي هو الجيم المصرية أو القاف غير المعقودة ونظراً إلى
أنهم قد ألغوا القاف المعقودة ، أو القاف المحققة المعروفة الآن في الفصحى
واستعملوا النطق بها من جميع كلامهم فإنهم أحلوا محلها هذه القاف
غير المحققة في أكثر الأحيان . كما في قال ، وقلت . وقمر . . .

وأحياناً يبدلون القاف بحرف غريب ، مخرجه بين مخرج السين
والزاي ، ولا يمكن ضبطه بالتمثيل - لأنه حرف غريب حقاً - إلا بضبط
أغرب منه كأن نقول : إنك إذا كررت النطق به دون غيره عدة مرات
فإنك تبلو لمن يسمعك ، وكأنك تقلد زقزقة العصافير .

واستعملوه بدلاً من القاف في عدة كلمات منها «قربة» - وعاء
الماء - ولليل - ضد كثير . وقدر - إناء الطبخ - .

إذن القاف في لهجة أهالي القصيم اصابتها ثلاث علل .

أولها : انها كما ينطق بها في تلاوة القرآن الكريم عطلت من النطق تماما :

ثانيها : انها تنطق جيا مصرية . أو قافا غير معقودة في أحيان كثيرة
ثالثها : انها تنطق بإخراجها ما بين مخرجي السين والزاي في أحيان أخرى
وهناك أيضا الكاف فهي تنطق كافا صحيحة فصيحة في أكثر الأحيان
مثل : كلمتهم ، واكلت ، والكلام .

وأحيانا تنطق بما يقرب من نطق السين وليس به ، مثل كثير - ضد
قليل - . وكنه (كانه) وكم ، الاستفهامية . فالكاف في هذه الكلمات
وأمثالها تنطق كافا مألوفة معروفة في الفصحى ، وإنما تنطق بما يقرب
من السين ،

وهناك كسكسة تميم التي لانشك في أن الذين أرادوا أن يلدونها من
العلماء القدماء أصابهم من الحيرة ما أصابني إذ لا يوجد حرف معروف
مستعمل يمكن أن يقال : إن نطقها يشبه صوته . ولذلك حكم بعضهم
بأن تميماً كانوا ينطقونها شيئاً .

ورأى أن الأمر ليس كذلك ، وأن استعمال كسكسة تميم لا يزال
باقياً دون تغيير في القصيم وفي سائر أنحاء نجد .

إذ يقولون للمذكر : هذا ولدك . بكاف صحيحة ساكن ما قبلها .
ويقولون للأنثى : هذا ولدك . بالحركات الموجودة في المذكر دون أى اختلاف
فيهما ، إلا أنهم يميزون بينهما بأن ينطقون الكاف بما يقرب من السين .

الرياض : محمد العبودي

في رحاب الحرمين

من خلال كتب الرحلات إلى الحج

- ١٩ -

الرحلة الحامدية :

مؤلفها : اسماعيل الحامدي المالكي .

توجه للحج من مصر في ١٧ ذي القعدة سنة ١٢٩٧ إلى السويس
ومنه ركب باخرة فرنساوية إلى جدة فوصلها يوم ٢٢ من الشهر المذكور .

ووصل مكة ٢٤ ذي القعدة وغادرها يوم ١٨ ذي الحجة سنة ١٢٩٧
إلى المدينة فوصلها ٧ محرم سنة ١٢٩٨ وغادها يوم ٢٣ منه إلى ينبع
فوصلها ٢٧ من الشهر المذكور ، وسار في الباخرة إلى السويس يوم
٢ صفر سنة ١٢٩٨ فوصلها ٧ منه ، ووصل منزله في مصر بعد مغرب
يوم الاثنين ٩ صفر سنة ١٢٩٨ .

ومخطوطة رحلة الحامدي في خزانة الرباط ، وهي مخطوطة في
١٦ القعدة سنة ١٣٠٤ وكتبها يدعى عامر محمد أحمد الحواتكي ببلدأ .
وهي ممزوجة بالمناسك .

وما هو ملخص ما جاء فيها مما يتعلق بموضوعنا . ومؤلفها متأثر
بروح عصره ، من حيث عدم التحقيق فيما يتعلق بالآثار المنسوبة
للصالحين ، ومن حيث الانصباع لبعض آراء العامة والجهلة في التبرك
بتلك الآثار ، ولم نشأ التطويل في التعليق على ما هو من هذا القبيل
فقد وضع السبيل والله الحمد وما هو نص كلامه :

جُدَّة : في يوم الثلاثاء ٢٢ - ذى القعدة سنة ١٢٩٧ - وصلنا جُدَّة قبل العصر ، وبتنا فيها ليلة الأربعاء . وفي صبيحتها زرنا والدتنا حواء عليها السلام في مقبرة خارج البلد . وزرنا من جاورها من أموات المسلمين . وزرنا في داخل البلد ضريحاً صاحبه من نسل العباس رضي الله عنه وجُدَّة - بضم الجيم - بلدة عظيمة ، على ساحل البحر المالح ، وماؤها عذب ، وسوقها كبير .
بحرة - حدة :

ثم توجهنا بعد العصر - من جدة - جهة مكة المشرفة راكبين إبل العرب بالأجرة ونزلنا قبيل الفجر في بلدة للعرب يقال لها بَحْرَة - وهي قبل حُدَّة - بالحاء المهملة - وهي منزلة حارة ، وماؤها آبار يميل للملوحة مُضْرُ بالجم ، وضرره يزال بالسكر ونحوه ، وأما حُدَّة فَمَاؤها عذب كثير ، وأغلب الحجاج ينزل بها ، لكن عربنا بلنتهم الأولى . فنزلوا بها عند أهلهم ، وجمعوا مَنَّا دَرَاهِمَ لشراء مؤونتهم من اللحم والأرز ، إذ طعامنا من الخبز اليابس والمصلح^(١) الموجود معنا وذلك غير مألوف لهم في زعمهم .

ذو طوى :

ويستحب الغسل للدخول مكة - من غير حائض ونفساء ويستحب كونه بلدي طُوًى وهو الذي تحت التثنية العليا ، ويسمى الزاهر .
كداء :

ويستحب الدخول من كداء - بفتح الكاف - إلا لزخمة . ويعرف الآن ببياب المعلى في الثانية . أي الطريق الصغرى بأعلى مكة ،

(١) وقد يكون (المصلح) .

تنزل منها إلى المسجد الحرم ، والمقابر التي بها أم المؤمنين خديجة
عن يسارك .

جبل عمر :

واستأجرنا منزلاً ملاصقاً لجبل قَعِيقَانِ المقابل لجبل أبي قبيس
واشتهر عند بعض أهل مكة بجبل عمر ، وفيه بيوت وفي أسفله بشر ،
وفيه موضع عالٍ فيه مصلى فيه راية صغيرة ، وصخرة (?) صغيرة
محل تولدته رضي الله عنه ، ويجوار ذلك صخرتان إحداهما تسمى
عندهم بالحجام والأخرى بالحجامة ، وبعد ذلك صخرة تسمى بالناقاة (?)
وبأسفلها محل صغير مفروش يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى
فيه . فصلينا فيه تبركاً^(١) .

المسجد الحرام :

والمسجد الشريف واسع جداً وأبوابه كثيرة منها باب الصفا وباب
السلام والباب العتيق وباب ابراهيم . والكعبة في وسطه ويقرب منها
مقام ابراهيم ، ويقرب منه بشر زمزم ، ويقرب من بشر زمزم قبة
الساعات وقبة الكتب^(٢) ، ويجوار المطاف أمكنة المبلّغين من المذاهب
الأربعة لكل مكان يخصه ، والمنير بالقرب من مقام ابراهيم ، ويجواره
سلاسل الكعبة وهناك مدارس مجاورة للمسجد ولها أبواب من داخله ،
وللمدرسين والطلبة مرتب من نقود وقمح كل على حسبه .

الكعبة :

وفي ٢٧ - ذي القعدة - وهو يوم الأحد دخلنا الكعبة ... ولها

(١) لا عمل للتبرك إلا بالأعمال الصالحة ، والإقتداء بالسلف الصالح .

(٢) أزيلت القبتان .

سُلِّمَ على يمين الداخل ، وفيها عواميد من أغلى الخشب حسن الراححة (٩) وفي حوائطها بعض ألواح من الرخام فيها بعض أسماء السلاطين الماضية كالسلطان الأشرف والسلطان قايتباي ، وأرضها مبلطة بالرخام الملوّن ، وسميت كعبة لتكعبها أي تربعها ، وعرضها عشرون ذراعاً ، وطولها تسعة وعشرون ذراعاً في جهة السماء وقيل ٢٥ .

مقبرة المعلى :

وفي يوم الإثنين ٢٨ - ذي القعدة - توجهنا صباحاً إلى المعلى ، وهو المكان الذي دعا فيه إبراهيم ربه أن يجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم . فلما دخلنا المقبرة زرنا سيدنا عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق والسيدة أسماء وولدها سيدنا عبدالله بن الزبير والسيدة خديجة والسيدة آمنه أم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وزرنا أيضاً عبدالمطلب وعبد مناف جدي النبي صلى الله عليه وسلم وبقربهما قبة فيها قبر أبي طالب والصحيح أنه مات كافراً^(١) .

المسولد :

زرنا محل ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ومحل ولادة سيدنا علي ومحل ولادة السيدة فاطمة الزهراء وورأينا رحاها ومحلّ تَهَجُّدِهِ صلى الله عليه وسلم ، ومحل ولادة الصديق رضي الله عنه ومحل عبادته ، ومحل تجارته .

وزرنا الحجر الذي كلم النبي صلى الله عليه وسلم والحجر الذي وضع (ص) مرفقة فلانّ ، وهذان قريبان من الصاغة^(٢) .

(١) ليس هناك نص صحيح يثبت هذه القبور . وعبد المطلب صاحب القبر هو ابن أبي نعي مات أول القرن الحادي عشر الهجري ، وكذا أبو طالب ، كما أوضحنا ذلك في مقال بئران (خرافة القبة اليهودية) .

(٢) لا يثبت التاريخ شيئاً من الأخبار المتعلقة بهذه الآثار .

جبل أبي قبيس :

وفي آخر الشهر طلعتنا جبل أبي قبيس وصلينا في المسجد هناك وبالتقرب من ذلك المسجد محلٌ اشتهر بموضع انشقاق القمر يزار ويصَلَّى فيه ، فزرناه وصلينا فيه ، ورأينا بينهما موضعاً يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم أكل فيه فزرناه .

نَمْرَة :

مسجد عرفة ويقال له مسجد نَمْرَة أيضاً ، كان [جدار] مقصورتة الغربي التي بها المحراب في نَمْرَة وباقية في عرفة ...
جامع نَمْرَة خارج الحرمين وهو جامع متسع جداً ، وفي وسطه قبة فيها ماء عذب من عين زبيدة .

عرفة :

وصعدنا جبل الرحمة وهو الجبل الذي بوسط عرفة ، وفي أسفله قناة ماء عذب من عين زبيدة ، ثم ارتقينا على سلالم مبنية بالحجرين (٢) وصلنا العلم الموضوع أعلى ذلك الجبل ، علامة على محل تعارف آدم وحواء عليهما السلام (١) ، وبجواره مُصَلَّى ، وتحتة من الجهة الغربية مصلى أيضاً ... ووقفنا في محل وقوف النبي صلى الله عليه وسلم عند الصخرات العظام التي بأسفله .

الإنصراف من عرفات :

وعند غروب الشمس أطلقت المدافع وغيرها كالصواريخ من عسكر الشريف وعسكر المحملين المصري والشامي وضربت الطبول وغيرها كالمزِيكة ، واستمر الحال على ذلك إلى المزدلفة ، ثم بعد الإستراحة في المزدلفة أعيد ذلك .

(١) لا أصل لك في الأخبار الصحيحة .

غار المرسلات :

ثم توجهنا لمسجد الخيف وهو مسجد متسع جداً . . ثم دخلنا غار المرسلات بقربه ، وهو الغار الذي نزلت فيه سورة (المرسلات) على النبي صلى الله عليه وسلم وفي أعلى الغار موضع رأس النبي صلى الله عليه وسلم حين دخله فلان له الحجر فوضعنا فيه راحتنا تبركاً .
وفي الجانب الغربي من ذلك الغار موضع ظهره الشريف فوضعنا فيه ظهرنا^(١) .

موضع ذبح الكبش :

وفي الجبل على يمين الذهاب لمكة ، وهو متصل بمنى ، فوجدنا أسفله سلالم قليلة ، ثم وجدنا مصلى ، ثم دخلنا غارا فوجدنا فيه محلاً في جانبه الشرقي يقال إنه محل ابراهيم واسماعيل وهاجر عليهما السلام وذلك المحل يتصل به محل آخر يصل فيه وخارج الغار محل ذبح الكبش الفدا

المحصب :

ثم سرنا في الْمُحَصَّب - لكثرة الحصباء به وهو ما بين الجبلين ، ومنتاه المقبرة التي أعلى مكة ، ويسمى : الأبطح أيضاً لانبطاحه .

التنعيم :

في ١٤ ذي الحجة توجهنا من مكة للتنعيم ، ويعرف بمسجد عائشة لإعتمارها منه . . . وعنده بعض أبيات للعرب وحوض ماء كبير ، وقبده علمان على الجبل ، وفي رجوعنا منه لمكة رأينا موضعاً في الطريق وفيه حجر يُقال إن النبي صلى الله عليه وسلم أسند ظهره إليه فلان

(١) لم يثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم بحديث صحيح ، وعلم هذا فالتبرك به بدنه .

وغاص فوضعنا فيه ظهرنا تبركاً^(١) . وزرنا مقبرة الشهداء بعد ذلك وهي جهة يمين الداهب لمكة وفيها قبر عبدالله بن عمر رضي الله عنهما .

قبر أبي هب :

ورأينا [بعد العودة من التنعيم] كوماً من أحجار ، وكل من مر عليه من العوام يأخذ حجراً ويرمي عليه يقال : إنه على قبر أبي هب ، والذي في « شرح الزرقاني على المواهب » أن القبر الذي يرجم خارج باب شبيكة ليس بقبر أبي هب وإنما هو قبر رجلين لطخا الكعبة بالعنزة في الدولة العباسية ، فلما أصبح الناس ورأوا كمنوا لهما فأخذنا ثم صلينا في هذا الموضع ودفنا ، واستمرنا يرجمان إلى الآن كما قاله المحب الطبري ، وقيل : إنه قبر أبي الطاهر (؟) القرمطي عدو الله ...

قبر الشيخ محمود :

والمحل الشامي في جهة ، والشامي كذلك بالقرب من مسجد الشيخ محمود ، وقد مررنا على مسجد [بعد العودة من التنعيم] وزرناه .

مسجد الراية :

ثم سرنا - من منى - حتى وصلنا مكة فدخلناها من المعلى فوجدنا على اليسار مسجداً يقال إنه محل ركز الراية النبوية يوم فتح مكة ، فدخلناه وصلينا فيه .

مقابر :

وفي ١٥ ذي الحجة سنة ١٢٩٧ زرنا قبر سيدي عبدالله النسبي وهو بالقرب من مسجد الرؤية^(٢) المتقدم ذكره ، وفي ذلك اليوم

(١) لم يذكره علماء الحديث في كتبهم المعتبرة .

(٢) كفا والصواب (الراية) كما تقدم .

زرنا قبر سيدي علي البدري والد سيدي أحمد البلوي وقبر والدته
السيدة فضة وقبر أخته السيدة فاطمة وهم في مسجد واحد ...

مولد حمزة :

وفي ١٦ ذي الحجة سنة ١٢٩٧ زرنا موضع ولادة سيدنا حمزة
وقطع سره ، وهو قريب من موضع ميلاد أبي بكر رضي الله عنه وكان
منزلنا قريباً منهما في جهة الجبل الغربي ، وتسمى تلك الجهة عند
أهل مكة بالمسفلة .

كدي :

ثم خرجنا من باب الوداع أحد أبواب الحرم إلى الثنية السفلى
وهي كدي بضم أوله - تمر فيها ومسجد الشيخ محمود عن يسارك ،
فمشينا فيها حتى وصلنا الإبل التي اكريناها من عرب مصر الذين
حجوا معنا فركبناها ومررنا بالتنعيم .

مر الظهران :

ثم بتنا ليلة ١٩ الحجة في الظهران ، ويعرف بوادي فاطمة وأقمنا
فيه يوم تلك الليلة وذلك الوادي متسع وفيه أبيات للعرب قليلة وسوق
صغير ، ونهر ماء عذب كثير ، يخرج أصله من الأرض ، ويتفتح به
الزرع وغيره ، وفيه سعة للحجاج شرباً وغسلاً ، وللأبدان والأثواب .

الجمالون :

وفي ٩ الحجة سنة ١٢٩٧ ، [في مر الظهران] تسلط عربنا على
الحجاج برمي أمتعتهم ومحايلهم ، وأمرهم ببيعها لثقلها على إبلهم
وخالفوا الشروط المأخوذة عليهم في مكة ، ويقال لعربنا أولاد علي^(١) ،

(١) هم من عذب مصر من الحجاج احضروا إبلهم معهم كما تقدم .

وقد توسطنا لبعض أصحابنا في الراحة معهم ، وأما نحن فلم يعترضوا علينا بشيء والكراء مع عرب الحجاز أعلى وأحسن .

عادة عمل الرجوم :

سرنا [من وادي فاطمة] فصادفنا في الطريق أحجاراً صغيرة متراكمة ، وكل من مر من الحجاج يضع فوقها حجرتين ، وفوقهما ثالث ، وبعضهم يضع بجوارها حجرتين وفوقهما ثالث ، وبعض الناس يزعم أن هذا محل استراحة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين أسفارهم ، وأن من فعل ذلك يرجع في المستقبل مرة أخرى .

العرب :

ثم سرنا [من وادي فاطمة] حتى وصلنا موضعاً فيه مرعى للإبل بكثرة ، وإذا ببعض من عرب ذلك الموضع راكبين على إبل لهم ومعهم سلاح ، وقصدونا للتهب فنشطنا لهم ونزل الحجاج الراكبون بأسلحتهم ومعهم عربنا ، وضرب طبل عربنا فوقفت القافلة كلها ، ثم أطلقت عليهم البنادق ففروا منهزمين .

بئر محسن :

فسرنا [إلى عسفان من مر الظهران] حتى جاووزنا بئر محسن ، وكانت جهة يسارنا ، وينبغي أخذ الماء منها لمن لا ماء معه فإننا لم نجد ماء بعدها في ذلك اليوم وفي آخره بتنا في بطحاء متسعة يقال لها المكربة (؟) لا ماء بها أصلاً ، وفيها أعشاب .

عسفان :

ثم سرنا يوم ٢١ الحجة [من المكربة (؟)] فوصلنا بطحاء متسعة ويسمى الجبل على يمين التوجه للمدينة بناء ، والعوام يسمونه بيت

جُحًا لكون بابه واسعاً عالياً ولا بيوت عنده ، وهو في الحقيقة محل
معدٌ لشرب المارين .

ثم وصلنا بئر التُّفلة قبل الظهر وهي بئر يحتاط بها أبيات للعرب
وبعض من الحوانيت ، يباع بها ويشترى فنزلنا مع القافلة يجوارها
كما هو عادتهم وشربنا منها ، وملأنا ما معنا من القرب وغيرها تبركاً .
ويقال لهذا الوادي وادي عسفان .

خليص :

ثم سرنا [من عسفان] في طريق ضيقة بين جبلين تسع جملين
متجاورين فقط ، فحصل ازدحام إذ ذاك وفي آخر ذلك اليوم بتنا في
صحراء معشبة خالية من الماء ، ، أوائل وادي خُلَيْص . فسرنا صباحاً
حتى وصلنا خُلَيْصاً قبل الظهر ، وحطت الرحال به لكثرة الهواء والمطر ،
وبتنا فيه ، وهو واد فيه أبيات وآبار ونخيل وزرع كثير .

القضية :

ثم سرنا يوم الجمعة ٢٣ الحجة سنة ١٢٩٧ من خليص [صباحاً
في أودية متسعة جداً وبها أشجار وأعشاب بكثرة ورأينا في الطريق بئراً
يستقى منها ، ماؤها عليل للملوحة وصادفنا بعدها ماءً مطر فشربنا منه ،
وسقينا ما معنا من الإبل . . ثم وصلنا آباراً يقال لها آبار الهنود ، وبالقرب
منها أبيات للعرب ، وفيها سوق ويسمى ذلك الموضع بالقضية ويقرب
من البحر المالح فحصل البيات فيه .

أصول (٩) :

ثم سرنا [من القضية] والجيل عن يميننا مع بعد ، وفي الطريق

نخيل وأعشاب وأبيات للعرب .. وتيسر لنا ماء مطر حصل به الكفاية وكانت هذه الليلة كثيرة المطر والهواء فتأخر سيرنا يوم الأحد ٢٥ ذي الحجة ، للضحى ، ثم سرنا والجبال عن اليمين وماء المطر كثير جداً يجرى في الأماكن المنخفضة جرياً قوياً ، وهناك تلول من رمل جهة اليسار ، ثم بتنا ليلة الاثنين بمحل^١ يسمى أصول (٢) (١) بالقرب من رابغ .

رابغ :

ثم سرنا يوم الإثنين ٢٦ ذي الحجة ١٢٩٧ [من أصول ؟] ووصلنا رابغاً صباحاً ، وهي بلدة عظيمة بها عساكر من الترك ، وفيها سوق قائمة فأقمنا بقية ذلك اليوم ، ويوم الثلاثاء لكثرة نزول المطر حتى انسد خليجها منه ، وامتنع المرور فيه حتى تناقص بنزوله في البحر المالح ، ويوجد في هذه البلدة اللصوص بكثرة ، ويمشون مشى الكلاب .

مستورة :

سرنا منها - رابغ - يوم الخميس [٢٩ ذي الحجة ١٢٩٧] حتى دخلنا قرية يقال لها مستورة ، وبتنا فيها ، وماؤها يميل للملوحة ، وبها سوق صغير ولصوص .

البزواء :

ثم سرنا منها [مستورة] حتى وصلنا وادي القاع ، والبطوة (٢) (٢) فبتنا به ، وهو خال عن الماء ، فيه أعشاب يسيرة وأرانب وغزلان .

(١) لعله : (ثول) .

(٢) كذا والصواب (البزواء) .

بدر :

ثم في أول يوم من المحرم ١٢٩٨ سرنا [من القاع] في فياني
ورمال وأحجار من الزلط حتى قاربنا إلى بدر ، فرأينا أشجاراً كثيرة
ذات شوك ، ثم دخلنا بدرأ بعد صلاة العصر ، فبعد حط الرحال ،
توضأنا وصلينا العصر ، ثم زرنا الشهداء من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهم مجموعون في جهة واحدة وعليهم حائط ذات [؟]
باب ، ومن داخلها [؟] حائط صغيرة دائرة بالقبور ، وفيه حجر
مكتوب فيه أسماءهم رضي الله عنهم وهم : عمير بن أبي وقاص
وسعد بن خيثمة وصفوان بن مضاء ، وحارثة بن سراقه ، ومبشر بن
عبد المنذر ، وذو الشمالين بن عبد عمرو ، ومهجع مولي عمر ، وعمير
ابن الحمام ، وعافل بن البكير ، ورافع بن المعلى ، ويزيد بن الحارث
وعوف بن عفراء ، وشقيقه معوذ ، وأما عبيدة بن الحارث المطلبي
فقطعت رجله فمات بالصفراء فدفنه صلى الله عليه وسلم بها ، وقيل :
مات بالروحاء ، وبجوارهم صخرة عظيمة لها منفذ في أعلاها يزعم الناس
أنها فتحت كذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم وفي وسطها موضع لوضع
الرحل عليه حال النزول ، وبأعلى تلك الصخرة مصلى وفي وسطها
صخرة أخرى صغيرة غائصة ويقال إن هذه المصلى كانت عريشاً
للنبي صلى الله عليه وسلم .

ثم صلينا المغرب جماعة في مسجد تلك البلدة ، ويقال له مسجد
الغمامة ، وفيه حجر فيه أثر كف النبي صلى الله عليه وسلم .
وفي هذه البلدة نخيل ومياه ، وبها عين جارية نافعة ، وأقمنا فيها
يوم السبت ثاني يوم من المحرم [١٢٩٨] لكثرة الحجاج حتى مشى
بعضهم ، وذلك خوف الازدحام في الطرق وعلى المياه .

الصفراء - الحمراء - أبيار عباس :

ثم سرنا [من بدر] تارة إلى جهة المشرق وتارة إلى غيرها ، فوجدنا بلاداً كثيرة النخل والمياه منها الحسينية والعريشية والصفراء ، وهي بلدة يمر الحجاج في وسطها وهو ضيق ، وعلى اليمين واليسار حوانيت فيها العرب بالأسلحة ، وشأنهم الأذية والنهب ، ولكن الله سلم .

ثم سرنا حتى وصلنا الحمراء قبل العصر ، وهي بلدة بها سوق وبساتين ومياه عذبة ، وبأحد جانبي الطريق الموصلة لهذه البلدة جبال شامخة ، وبالثاني تل ، ولضيق الطريق يخشى على الحجاج من أهل تلك البلدة ، وبأسفل الجبل المقابل للسوق ضريح سيدي عبدالرحيم البرعي ، وبجواره قبور ، وبعد مجاوزة هذه البلدة صعبت الطريق لكثرة الحصا والزلط وعدم تساوي الأرض .

ثم نزلنا في أبيار عباس قبيل العصر ، وبتنا بها ، ولصوصها شرار ، وبجوارها بعض أبيات للعرب ، فيها بيع وشراء ، وهناك قلعة قديمة مثل رابغ والصفراء والجديدة .

العريشية :

ثم سرنا [من أبيار عباس] والطريق سهلة غالباً بها رمل وشجر وعشب ، والجبال عالية وفي الطريق تارة صعود خفيف وتارة هبوط كذلك ، وفيها بشرٌ جهة اليمين وأخرى جهة اليسار ، ثم بتنا ليلة الأربعاء في بطحاء واسعة يقال لها العريشية ، بعد أن جاوزنا المحطة المشهورة بالشهداء ، وهي على يسار الذهاب للمدينة ، وكانت الليلة المذكورة باردة ذات هواء ، وكثير فيها سرقة الأمتعة والإبل ، ودوران

(١) يقصه الفريش ، وهو فرش ملل .

الفقراء على الناس يسألونهم خبزاً وماء ، ولا يتقلون إلا بالإعطاء ،
وهذا شأنهم من أول الثغر لآخره ، ليلاً ونهاراً ، ولا حياة عندهم .
ذو الحليفة :

ثم وصلنا ذا الحليفة وبها مسجد وبشر يقال لها بشر علي تزعم العوام
أنه قاتل بها الجن ، أي رمى عليهم آلة القتل فيها ، ولا يرى فيها
حجر ، خلافاً للعوام . وبعد مجاوزتها بقليل صادفنا جهة اليسار مزارع
ومياه .. ثم سرنا حتى وصلنا ثنية يقال لها المدرج ، وعلى اليمين واليسار
بعض أهل المدينة ينتظر الحجاج القادمين .
البقيع والمقابر في المدينة :

والأولى أن يبدأ بسيدنا عثمان بن عفان لأنه أفضل من فيه ، هذا
إن لم يمر بقبر غيره ، والا سلم مع وقوف يسير ، ثم رجع إليه ،
ثم يزور العباس ثم الحسن بجنبه ، ثم بأمه فاطمة الزهراء فإن
الأرجح أنها هنا وإن كان لها مزار بالجحون ثم بسيدنا علي زين العابدين
ابن الحسن بن علي بن أبي طالب ، ثم بابنه محمد الباقر ثم بابنه
جعفر الصادق وهاؤلاء كلهم بقبة واحدة .. ثم يزور سيدنا ابراهيم
ابن النبي صلى الله عليه وسلم ومعه في قبته جماعة من الصحابة ..
ثم يزور عقيل بن أبي طالب وسفيان بن الحارث وعبد الله بن جعفر
الطياري ، وهاؤلاء في قبة ، لكن ثبت أن عقيل توفي في الشام ، ويزور
أيضاً بنات النبي صلى الله عليه وسلم وهن في قبة . ثم يزور أمهات
المؤمنين ، وكلهن هنا إلا خديجة فبمكة وإلا ميمونة فبسرف . ويزور
أيضاً قبر الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه وكذا شيخه نافع . بجنبه
في قبة لطيفة ، وأما الشيخ علي السهودي مؤرخ المدينة والشيخ الصاوي
فقبراهم اخلف حائط قبة إمامنا فيزورهما . ويزور السيدة حليلة
السعدية في قبة هناك من القرب من قبة سيدنا عثمان .

وخارج السور قبة سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وبجواره
قبة اشتهر أن بها فاطمة بنت أسد أم سيدنا علي كرم الله وجهه ولبعض
أن بها سعد بن معاذ سيد الأنصار ، ويختم بقبر صفية عمة النبي صلى
الله عليه وسلم (١) .

وبالقيع مسجدان مسجد أبي^٢ ومسجد الحزن . وقد دفن فيه في
حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة نحو عشرة آلاف ، ودفن
فيه من سادات أهل البيت والتابعين ما يزيد على السبعين ألفاً إلا أنه
لا تعرف قبور أغلب مشاهيرهم لاجتناب السلف البناء والكتابة على
القبور ، مع طول الزمان .

ويزور أيضاً مشهد إسماعيل بن جعفر الصادق بركن السور من
داخله قبالة قبة العباس ، ويזור أيضاً مالك بن سنان والد أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه بلصق السور غربي المدينة ويזור سيدنا عبد الله
والد نبينا صلى الله عليه وسلم بالقرب من سيدنا مالك بن سنان ،
ويزور مشهد النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي وهو
خارج السور شرقي جبل سلع .

حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم :

خرجنا من الحرم من باب الرحمة لزيارة سيدنا حمزة رضي الله عنه
فوجدنا بساتين بكثرة وعيوناً عذبة ، حتى وصلنا مسجده رضي الله عنه
ففرناه ومن معه في قبة قبر عبد الله بن جحش بن أخت حمزة رضي
الله عنه ومصعب عمير دفنا تحت المسجد الذي على قبر حمزة . . ثم
توجهنا لزيارة بقية الشهداء .

(١) ظهرت هذه البقعة الطاهرة من البدع والخرافات فأزيلت كل الأبنية .

جبل أحد :

توجهنا لزيارة جبل أحد فنزلنا مسجداً يسمى مسجد الثناء^(١) فصلينا فيه ثم سرنا فوصلنا محلاً أسفل الجبل فرأينا حجراً قيل لنا إن النبي صلى الله عليه وسلم^(٢) فلانَ وغاص كالحجر الذي كان فوق رأسه الشريفة فجلسنا محل جلوسه ، ووضعنا رأسنا موضع رأسه تبركاً ، وبجوار ذلك غار يرتقي إليه يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم دخله ، وبعد ذلك مصلي يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه يوم غزوة أحد ودعا الله بالنصر على الأعداء .

المساجد في المدينة :

ثم توجهنا لقباً فدخلنا المسجد الذي أسس على التقوى وفي صحنه محراب علامة على محل نزول قوله تعالى (لَمَسْجِدٍ أُسَسَ عَلَى التَّقْوَى) الآية . وبالقرب منه مصلى موضع بروك ناقة النبي صلى الله عليه وسلم القصوى ، ثم خرجنا منه إلى مسجد علي رضي الله عنه ثم دخلنا مسجد فاطمة الزهراء عليها السلام ، وعلى يسار قبلته محل رحاها ، ثم بعد ذلك دخلنا مسجد بئر الخاتم لأنه وقع فيها خاتم النبي صلى الله عليه وسلم وبالقرب منه نخلة يقال لها نخلة النبي صلى الله عليه وسلم وهي محنية على جذع من خشب . ثم دخلنا مسجد العمرة .. ثم سرنا إلى المدينة ندخلنا مسجد بني النجار على يسار المتوجه للمدينة وهو أول مسجد أقيمت فيه الجمعة (٣) .

الفريش — بئر عباس :

وفي ليلة ٢٣ [المحرم ١٢٩٨] سافرنا ليلتنا كلها إلى الضحى فنزلنا في الفريشة (٤) إلى الظهر .. ثم دخلنا بئر عباس ليلة الأحد ، وكانت ليلة مظلمة فكثير فيها التعدي من العرب على الحجاج والسرقه منه .

(١) لعله (مسجد الثنايا) حيث سقطت ثنايا رسول الله (ص) في وقعة أحد .

(٢) كذا ولله (جلس فوقه فلان)

قبر عبيدة بن الحارث :

وسرنا يوم ٢٥ [محرم ١٢٩٨] من الحمراء وبعد مجاوزة بساتينها
أخذنا جهة اليمين فمشينا فيها فإذا في أولها على اليسار مقبرة عظيمة
فيها قبر سيدنا عبيدة بن الحارث البدري .

ثم بعد ذلك صعدنا عقبة ضيقة عمر فيها جمل واحد مع الصعوبة ،
ثم بتنا في العذبية ولا ماء بها .

الينبع :

ثم سرنا قبيل الفجر [من العذبية] حتى وصلنا قبيل الظهر ماء
كثيراً من المطر فأخذنا منه الكفاية ، وكانت عنده قافلة نازلة ،
فبعد أن جاوزناه نزل عليها عرب جهينة فنهبوا وشتتوا أمرها ،
ووصلنا بعض رجالها وأخبرنا بذلك ، وأعطينا المحتاج منهم ماء وزاداً .
ثم دخلنا الينبع (؟) ليلة الأربعاء الموافق ٢٧ [محرم ١٢٩٨] وهي
بلدة كبيرة بها سوق كثيرة للصوص ، سرقوا مال بعض أصحابنا
سحراً ، فرفعنا الأمر لحاكمها نهاراً ، وكتبنا له ما ضاع في ورقة ،
وأخذها منا وصار يبحث سراً عن السارق حتى وقف عليه بعد سفرنا
وأخذها منه وأرسلها لنا بعد قدومنا مصر .

ثم بعد صلاة الجمعة دفعنا بأجرة (الوابور) إلى السويس ، ثم
زرنا عبد الحافظ بن علوان وسيدى الشيخ زارع ثم في يوم السبت نزلنا
الوابور عصراً بعد دفع المكس المظلمة وتلف بعض أمتعة الحجاج في
القطاير ، وسرق البعض ثم في الثاني من [صفر ١٢٩٨ هـ] وكان
يوم الإثنين سار بنا قبيل العصر إلى جهة السويس .

الرَّبْذَةُ لَيْسَتْ الْحِخَاكِيَّةُ

كان أحد المتأخرين ذكر في تعليق له على كتاب « خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى » للسمهودي أن الربذة هي المعروفة الآن بإسم (الحناكية) . وهذا خطأ فاحش تأثر به بعض الباحثين المتأخرين .

وقد نشرت بحثاً عن الربذة في أجزاء من مجلة « العرب »^(١)

ثم زرت الموضع الذي رجّحت أنه موقع الربذة ، مع الأخوين الكريمين الأستاذ الشيخ محمد العبودي والأستاذ الشيخ سعد بن جُنَيْدِل ، فثبت لدينا وتحققنا موقع الربذة وكتب الأستاذ العبودي مؤيداً لما كتبت^(٢) وهما الأستاذ سعد يُدلي برأيه في الموضع مؤيداً أيضاً - من كتابه عن (عالية نجد) الذي تقوم (دار الحياة للبحث والترجمة والنشر) بنشره هذه الأيام .

أما (الْحِخَاكِيَّةُ) بكسر الحاء المهملة وفتح النون بعدها ألف فكاف مكسورة ، فمشناة تحتيّة مفتوحة مشددة فهاء - فكانت تعرف قديماً بإسم (نَحْل) بنون مفتوحة فحاء معجمة ساكنة فلام - كما تدل على هذا النصوص الواردة عن المتقدمين في تحديد هذا الموضع . يَحْفُ بها غَرَبًا (النَحْيَل) بالتصغير - لا يزال معروفاً مأهولاً :

(١) انظر مجلة (العرب) ص ١ ص ٤١٨-٤٦٥-٦٢٥ و ٧٢٤ ص ١٠ وس ١٠ ص ١ - ٤ .

(٢) « العرب » ص ١١ ص ١٦١ - ١٦٧ .

(٣) يظهر أن اسم الحناكية أطلق على هذا الموضع لاحاطة كثير من جوانبه بجبال وآكام تبدو للناظر كأنها حنك أحاط بهذا الموضع .

أما رأي الأستاذ الشيخ محمد العبودي ، فقد نشرت العرب خلاصته في سنتها الحادية عشرة . وتضيف إليه إيضاحاً ورد في مقدمة كتاب « بلاد القصيم » الذي سيصدر قريباً . قال الأستاذ سعد بن جنيدل :

الرَبْدَة : براء مهملة مفتوحة وباء موحدة وذال معجمة مفتوحتين نم هاء ، وتسمى في هذا العهد البركة ، قرية قديمة واقعة على طريق حاج بغداد القديم ، وقد خربت هذه القرية وأصبحت خالية من السكان غير أن أسس البناء والآبار لاتزال ماثلة ، وفيها بئر عامرة يردها البدو ، وفيها بركة من برك الطريق التي عمرتها زبيدة لاتزال عامرة تورد ، وإنما سميت في هذا العهد البركة لوجود هذه البركة العامرة فيها .

وقد زرت هذا المكان أنا والشيخ العلامة حمد الجاسر والشيخ محمد العبودي لمشاهدته ومدى مطابقتها في حدوده وفي وصفه الجغرافي لما ذكره المؤرخون في تحديد الربذة ووصفها .

وقد أتضح لنا من مشاهدته دون شك أن هذا المكان هو الربذة .

وهذه القرية واقعة في واد ينحدر من الجنوب الشرقي صوب الشمال الغربي ، كثير الرمث والثام ، وفيه سلم وطلح ، ترى وأنت تقبل عليه شجر الطَّلح ذا الفروع الأثيثة الخضراء والسِّيقان المرتفعة على طول امتداد هذا الوادي ، ومعظم منازل القرية وآبارها ومسجدها ومقبرتها والبركة العامرة والبئر التي مازالت عامرة كلها واقعة على ضفة الوادي ، اليمنى ، وفي الغرب منها على بعد كيلين تقريباً هضبة حميراء صغيرة ذات شكل مخروطي تسمى المَصِيعة ، تصغير مصعوكة ، وفي الشرق الشمالي منها أبو مغير ، ماء قديم ، وجنوباً منها تقع أودية أبقار ،

وكانت قُدِّمًا تَدْعَا ذَا بَقْر ، وفي الشرق منها على طريق الحاج الماوان وماء
الماوية ، وفي الغرب منها على طريق الحاج ماء السَّليبة ، وقد زرنا هذه المواضع ،
وشاهدنا معالم الطُّريق والبرك فيها ، وهي باقية بأسفانها إلى هذا العهد .
وسأذكر ماتيسر لي من أقوال المؤرخين في تحديد الرَبْذَة وأعلق على
مايحتاج منها إلى إيضاح .

قال الحرَّبيُّ ، عن ابن قيس الكلَّابي : سَمَّيت الرَبْذَة برَبْذَة ، جبل
أحمر صخرة حمراء ، على ميل من الرَبْذَة مما يلي المغرب فارع أحمر ،
وقال اسمه ربذ .

قلت : يبدو لي أن جبل ربذ الذي ذكره هو الهضبية التي تُدْعَا في هذا
العهد المَصْبِيعِيَّةَ لمطابقة وصف ربذ وتحديد موضعه لوصفها وتحليلها .
وقال الحرَّبيُّ أيضاً : ومن مغيثة الماوان إلى الرَبْذَة عشرون ميلا ،
ومن الرَبْذَة إلى السَّليبة ثلاثة وعشرون ميلا ونصف وبها قصر ومسجد ،
ومسجد لأبي ذرٍّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقال : إنَّ قبره
فيه . وقد اختلف أهل الرَبْذَة في قبره فقليل لي : هو تحت المنبر ،
وقيل : لا ، بل تحت المنارة ، وأخبرني شيخ قديم من أهلها أن قبره في
رحبة المسجد ، وأرائي موضعاً فيه حشيش أخضر لا يجفّ ولا يتغير
شتاءً ولا صيفاً .

وكان أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أسكنه الرَبْذَة ،
وذلك لأنَّ أبا ذرٍّ اختارها .

وقال : حدثني جعفر بن أبي عثمان قال حدثنا يحيى بن معين قال :
حدثنا عبد الرزاق عن أمية ابن شبل عن مسكان عن مهران الجمال
قال : قد حملت أبا ذرٍّ من المدينة إلى الرَبْذَة .

حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني قال حدثنا يحيى بن سليم الطائفي

عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن مجاهد ، عن ابراهيم بن الأشتر عن
أبيه عن أم ذر قالت : لما حضرت أبا ذر الوفاة قال لي : اذهبي فانظري
لعل ركبا يمرون فتخبريهم ، قالت : فكنت أخرج كل يوم من الربذة
أعلى جبلا حتى مرّ بي ركب ، فألحت لهم بثوبي ، فأقبلوا فقلت :
يا هؤلاء ، رجل من المسلمين يموت ، تشهدونه ، قالوا : من هو ؟ قلت :
أبو ذرّ ، قالوا : صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ؟ قلت نعم .
فقلوه بآبائهم وأمهاتهم ، وذكر حديثا طويلا . قال : فتولينا أمره
ودفناه بها ، في نفر كلهم يمان ، منهم حجر بن الأديب ومالك بن الأشتر .
والربذة لقوم من ولد الزبير بن العوام ، وكانت لفزارة .

وبها بركتان يسرة ، إحداهما مدورة ولها مصفاة والأخرى من
المنزل على أقل من ميل مربعة .

وبها آبار كثيرة ، وخيارها بئر تعرف بأبي ذرّ ، وبئر تعرف ببني
المنذر ، وبئران يعرفان بالمهدي بينهما حوض ، وبئر تعرف بمحمود .
وبئر تعرف ببني معاذ ، وبئر تعرف بسلسيل ، وبئر تعرف ببئر المسجد
وهي بئر أبي ذرّ ، وبئر تعرف بأبي السّعب غليظة الماء ، وبئر تعرف
بقوطة ، وبئر صغيرة تعرف ببئر عبد الرحمن ، وبئر في الشرق مطوية ،
بالحجارة تعرف ببعيسى بن موسى ، وبئر تعرف بابن مهير على ميل
ونصف من الربذة .

قلت : الواقع أن الآبار في الربذة منتشرة على امتداد الوادي
غير أنه لم يبق منها شيء عامر إلا بئر واحدة مطوية بالحجارة قريبة
المنزع ، وهي التي بجوار المسجد ، في جانبه الشرقى .

ثم تحدث الحربي عن طريق الربذة إلى المدينة فقال : طريق

الربذة إلى المدينة : يعدل من الربذة إلى أبرق العزاف عشرين ميلا ،
ويأبرق العزاف آبار كثيرة غليظة الماء .

قلت : أبرق العزاف يقع غرباً شمالياً من الربذة على طريق المدينة ،
والعزاف كئيبان رمل متموجة يسمع لها صوت مع حركة الرياح ، ندعاً
في هذا العهد القوز ، وفي طرفها الشرقي كئيب بارز يدعا الحنّان ، لأنه
يسمع له دوي ، ويقول البدو : إن الأصوات التي تسمع فيه هي أصوات
الجنّ ، أما الأبرق الذي يدعا أبرق العزاف ، فانه يدعا في هذا العهد
أبرق القوز ، ويقع في طرف كئيبان القوز من ناحية الغرب ، وهو أبرق
كبير مرتفع عن كئيب القوز .

وتحدث أبو علي المجري عن الربذة فقال : الربذة بفتح أوله وثانيه
وبالذال المعجمة هي التي جعلها عمر رضي الله عنه حمى لابل الصلقة ،
وكان حماه الذي أحماه بربداً في بريد ، ثم تزودت الولاة في الحمى
أضعافاً ، ثم أبيضت الأحماء في أيام المهدي فلم يحمها أحد بعد ذلك .
وروى الزهري أن عمر حمى الشرف والربذة ذكره البخاري .

قلت بعد هذه المقدمة تحدث المجري عن حدود حمى الربذة في
وقت اتساعه ، وذكر المياه والجبال التي دخلت فيه ، وبعضها مازال
باقياً باسمه وقد تحدثت عن كل منها في رسمة .

وتحدث لغدة الأصفهاني عن الربذة وعدّها في بلاد مُحارِبٍ فقال :
بلاد محارب ما بين الخيالات إلى أريك إلى جانب الداهنة إلى جوف
الربذة ، والخيالات أجدال النقرة التي بينها وبين مطلع الشمس ، إلى
جنب طمية ، ثم لهم ما بين الربذة إلى قرآن ، وهو حذاء السليلة ، ومن
جبالهم ماوان وهو جبل أسود ضخّم ، قال المحاربي :

إِنْ يَبْدُ مَاوَانَ فَقَدْ طَالَ شَوْقُنَا إِلَى الرُّكْنِ مِنْ مَاوَانَ إِنْ كَانَ بَادِيَا
وَلَوْ كَلَفْتَنِي قَوْدَ مَاوَانَ قَدْتَهُ قِيَادَ الْبَعِيرِ أَوْ قَطَعْتَ فَوَادِيَا

وفي جنبه بئر ، يقال لها بئر ماوان ، يقول الشاعر :

شَرِبْنَا مِنْ مَاوَانَ مَاءَ مَرَا وَمِنْ سَنَامٍ مِثْلَهُ أَوْ شَرَا
وَسَنَامٍ هَذَا جَبِيلٌ قَرِيبٌ مِنَ الرَّبْدَةِ .

والقرد جبيل بين ضرية والرَبْدَة من شاطيء الجريب الأقصى ،
وهو لمحارب وفزارة .

ويقول أهل المدينة - لمن ذهب إلى مكة- : أخذت التهامية أم النجدية ؟ .
فالتهامية التي على عسفان والححفة ، والنجدية التي على طريق الربذة .
قلت : مما ذكره الأصفهاني يتضح لنا أن الربذة واقعة في نجد ،
وليست في الحجاز وسيأتي ما يؤيد هذا القول إن شاء الله .

وقال ياقوت : الرَّبْدَةُ بفتح أوله وثانيه ، وذال معجمة مفتوحة
أيضاً : من قُرى المدينة على ثلاثة أيام ، قريبة من ذات عرق ، على طريق
الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة ، وبهذا الموضع قبر أبي ذر الغفاري
رضي الله عنه ، واسمه جندب بن جنادة ، وكان قد خرج إليها مغاضباً
لعثمان بن عفان رضي الله عنه فأقدم بها إلى أن مات سنة ٣٢ هـ .

وقرأت في تاريخ أبي محمد عبيد الله بن عبد المجيد بن سيران
الأهوازي قال : وفي سنة ٣١٩ هـ خربت الربذة باتصال الحروب بين
أهلها وبين ضرية ، ثم استأمن أهل ضرية إلى القرامطة فاستنجلوهم
عليهم فارتحل عن الربذة أهلها فخربت ، وكان من أحسن منزل في
طريق مكة ، وقال الأصمعي يذكر نجدا : والشرف كبدٌ نجد ، وفي
الشرف الربذة ، وهي الحمى الأيمن .

وفي كتاب نصر : الرّبذة من منازل الحاج بين السليلة والعمق .
قلت : ما نقله من كتاب نصر صحته بين السليلة وماوان ، وليست
بين السليلة والعمق .

قال ياقوت أيضاً : وينسب إلى الرّبذة قوم منهم : أبو عبد العزيز
موسى بن عبيدة بن نشيط الرّبذى ، وأخواه محمد وعبدالله ، روى
عبد الله عن جابر عن عقبة بن عامر ، وروى عنه أخوه موسى وقتله
الخوارج سنة ١٣٠ هـ ، وغيره . وفي تاريخ دمشق : عبدالله ابن عبيدة
ابن نشيط الرّبذى مولى بني عامر بن لوي ، وقد على عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه وروى عنه وعن عبيدة بن عتبة وعن جابر بن عبدالله
مرسلاً ، وروى عنه عمر بن عبدالله بن أبي الأبيض وصالح بن كيسان
وأخوه موسى بن عبيدة ، قال محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبه
قال : وروى موسى بن عبيدة الرّبذى ، وهو ضعيف الحديث جداً ،
وهو صدوق عن أخيه عبدالله بن عبيدة وهو ثقة ، وقد أدرك غير واحد
من الصحابة كذا فيه سواء : ضعيف الحديث ، ثم قال صدوق .

قلت : بما ذكره ياقوت يتّضح لنا أن الرّبذة واقعة في الشرق في
نجد - وأنها بلدة مزدهرة وأنها أحسن منازل الحاج في طريق مكة ،
وأنها خربت وأصبحت خالية من أهلها بسبب الحروب التي وقعت بين
أهلها وبين أهل ضرية ، وأن القرامطة قد أعانوا أهل ضرية في محاربة
أهلها وتخريبها .

وتحدّث البكري عن الرّبذة وعن حماها غير أنه لم يذكر شيئاً غير
ما ذكره الهجري ، ثم تحدّث عن وفاة أبي ذر رضي الله عنه فيها فقال :
وبالرّبذة مات أبو ذر . وحده لما نفي من المدينة ، ليس معه إلا امرأته
وغلام له ، كما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في غزوة تبوك ،

وَأَنَّ أَبَا ذَرٍّ لَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ بَعِيرُهُ أَنْخَذَ مَتَاعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ ، ثُمَّ سَارَ يَتَّبِعُ أَثَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَانْظَرَ نَاطِرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا رَجُلٌ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! كُنْ أَبَا ذَرٍّ ، فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ الْقَوْمُ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هُوَ وَاللَّهِ أَبُو ذَرٍّ ، فَقَالَ : يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ . يَمْشِي وَحْدَهُ وَيَمُوتُ وَحْدَهُ وَيَبْعَثُ وَحْدَهُ .

وتحدَّثَ الهمداني عن طريق حاج العراق ، وذكر مراحلها من مكة إلى ملتقى الطريقتين في معدن النقرة - ورتبه ترتيباً دقيقاً ماراً بالعمق ثم السليلة ثم الرَبْذَة ثم الماوان ، فقال : عرض العمق أربعة وعشرون درجة ومنه إلى الرَبْذَة ثلاثة وعشرون ميلاً وعرض الرَبْذَة خمسة وعشرون جزءاً ومنها إلى الماوان ستة وعشرون ميلاً وعرض الماوان خمسة وعشرون جزءاً ونصف .

والمواضع التي رسم بها الهمداني طريق حاج العراق معروفة بأسمائها إلى هذا العهد ومعالم الطريق ماثلة فيها مرئية بالمشاهدة : في الماوان وفي الرَبْذَة وفي السليلة وفي العمق وفي بقية الطُّرُق .

وتحدث الفيروز آبادي في كتابه « المغانم المطاية » عن الرَبْذَة ، وعن بعض الأعلام التي تدل على تحديدها فقال : الرَبْذَة بالتحريك واعجام الذال قرية من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز ، إذا ارحلت من فيد تريد مكة . وهذه القرية قبر أبي ذَرٍّ الغفاري - رضي الله عنه - واسمه جندب بن جنادة بن السكن ، وكان يخرج إليها مغاضباً لعمان - رضي الله عنه - فأقام بها إلى أن مات سنة اثنتين وثلاثين .

وفي تاريخ عبيد الله بن عبد المجيد الأهوازي : وفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة خربت الرَبْذَة باتصال الحروب بين أهلها وبين ضربة ، ثم

استأمن أهل ضرية إلى القرامطة واستنجدوهم عليهم فارتحل عن
الربذة أهلها فخربت ، وكانت من أحسن منزل في طريق مكة .
وقال الأصمعي يذكر نجدا قال : والشرف كبد نجد ، وفي الشرف
الربذة وهي الحمى الأيمن .

وقال نصر : الربذة من منازل الحاج بين السليلة والعمق .
وينسب إلى الربذة جماعة منهم عبد العزيز بن موسى بن عبدة
الربذي وأخواه محمد وعبد الله وغيرهم .
قلت : قوله قريبة من ذات عرق ، غير صحيح ، ويحتمل أن
صحته على طريق ذات عرق .

وقوله عن نصر بين السليلة والعمق غير صحيح ، فهي بين السليلة والماوان .
وقال أيضا : شابة بالباه الموحدة مخففة : جبل بين الربذة والسليلة
من نواحي المدينة ، قال القتال الكلابي :
تركت ابن هبار لدى الباب مُسنداً وأصبح دوني شابة فأرومها
والواقع أن شابة وأروم واقعان بين الربذة والسليلة معروفان باسميها
وقد تحدثت عن كل منهما في رسمة .

وقال أيضا : شُقْر كزُفْر وُصْرَد : ماء بالربذة ، عند جبل سنسام .
وقال أيضا : مروان تشبة مرو للحجارة البيض البراقة : اسم جبل
بأكناف الربذة .

وقيل : حصن . وكان مالكة الشليل جد جرير بن عبد الله البجلي .
قلت : هذا الجبل جبل أبيض من المرو البراق ، يقع صوب مغيب
الشمس من الربذة يرى منها بالبصر ، يدعى في هذا العهد العبل ، والعامّة
في هذا العهد يقولون لكل جبل مرو مثله عبل .

ويحتمل أن لشليل البجلي حصن في بلاده بهذا الاسم .

وقد علّق عايشه الشيخ حمد الجاسر وقال : يحتمل أن مروان محرف من ماوان ، وتعليقه هذا سابق لزيارتنا للربذة ولماوان ، وماوان جبل أسود كبير بعيد عن أكناف الربذة .

وقال السهودي في « وفاء الوفاء » الربذة قرية بنجد من عمل المدينة على ثلاثة أيام منها . قاله المجد ، وفي كلام الأسدي ما يقتضي أنها على أربعة أيام . قال المجد : كان أبو ذر الغفاري خرج إليها مغاضبا لعثمان رضي الله تعالى عنهما فأقام بها إلى أن مات .

ثم تحدث عن حمى الربذة ولم يزد عما ذكره الهجري شيئا .

أما كيف نجتمع بين خبر وفاة أبي ذر رضي الله عنه الذي يفيد أنه توفي فيها وليس عنده فيها أحد إلا زوجته وغلّام له ، فالخبر ذلك يفيد أيضا أنه توفي فيها عام ٣٢ هـ . وهي في ذلك لم تعد أن كانت مراعى لابل الصدقة حماها عمر بن الخطاب رضي الله عنه لها وحماها بعده الخلفاء ، ويبدو أنها لم تنم بلدة ويتسع عمرانها إلا بعد أن رسم عليها طريق حاج العراق واتخذت منزلا من منازل الحاج وحفرت فيها الآبار وعمرت البرك ، وشيّد إلى جانب البرك والآبار في منازل الحاج قصور يسكنها المحافظون على هذه الآبار والبرك ومن يتعهدون بصيانتها ، فقامت أعمال تجارية في هذه المنازل مع الحاج وعمرت فيها القرى ، فكان للربذة النّصيب الأوفر من العمران بين منازل الحاج ، وقد تقدّم قول المؤرخين إنّها من أحسن منازل الحج ، وفي الأخبار التالية ما يلقى ضوءا على واقعها في الوقت الذي سكنها أبو ذر وفي الوقت المتأخر بعده .

أبو زرّ الغفاري رضي الله عنه في الربذة :

ذكر ابن سعد في طبقاته وغيره خبر سكني أبي ذر رضي الله عنه في الربذة ، وقد تقدّم بعضا من ذلك ، ويقول ابن سعد : أخبرنا هشام

قال أخبرنا حصين عن زيد بن وهب قال : مررت بالربذة فاذا أنا
بأبي ذر قال : فقلت ما أنزلك منزلك هذا ؟ ، قال : كنت بالشام
فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية : «والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله» . وقال معاوية : نزلت في أهل الكتاب ، قال
فقلت : نزلت فينا وفيهم ، قال : فكان بيني وبينه في ذلك كلام فكتب
يشكوني إلى عثمان ، قال فكتب إليَّ عثمان أن اقدم المدينة ، فقدمت
المدينة وكثر الناس عليَّ كأنهم لم يروني قبل ذلك ، قال فذكر ذلك
لعثمان فقال لي : إن شئت تنحيت فكننت قريباً . فذاك أنزلني هذا المنزل ،
ولو أمر على عبدا حبشيا لسمعت ولأطعت .

قال أخبرنا يزيد بن هارون قال أخبرنا هشام بن حسان عن محمد
ابن سيرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذرّ : إذا بلغ البناء
سلعا فاخرج منها ، ونحا بيده نحو الشام ، ولا أرى أمراءك يدعونك ،
قال يا رسول الله أفلا أقاتل من يحول بيني وبين أمرك ؟ ، قال لا ، قال
فما تأمرني ، قال اسمع وأطع ولو لعبد حبشي .

فلما كان ذلك خرج إلى الشام ، فلما [اختلف] مع معاوية بعث
إليه عثمان وعاد من الشام ، وقدم المدينة ، قال له عثمان : كن عندي تغلو
عليك وتروح اللقاح ، قال : لا حاجة لي في دنياكم ، ثم قال إئذن لي
حتى أخرج إلى الربذة ، فأذن له فخرج إلى الربذة وقد أقيمت الصلاة
وعليها عبد لعثمان حبشي فتأخر ، فقال أبو ذرّ : تقدم فصل فقد أمرت
أن أسمع وأطيع ولو لعبد حبشي فأنت عبد حبشي .

وقال : تناجي أبو ذرّ وعثمان حتى ارتفعت أصواتهما ، ثم انصرف
أبو ذرّ مبتسماً ، فقال له الناس : مالك ولأمر المؤمنين ؟ قال : سامع

ومطيع ولو أمرني أن آتي صنعاء أو عدن ثم استطعت أن أفعل لفعلت ،
وأمره عثمان أن يخرج إلى الربذة .

وقال فيما روى عن عبد الله بن الصَّامت قال : دخلت مع أبي ذرٍّ
في رهط من غفار على عثمان ابن عفَّان من الباب الذي لا يدخل عليه
منه ، قال : وتخوفنا عثمان عليه . قال : فانتبهى إليه فسلم عليه ،
قال ، ثم ما بدأه بشيء إلا أن قال : أحسبني منهم يا أمير المؤمنين ؟
والله ما أنا منهم ولا أدركتهم ، لو أمرتني أن آخذ بعرقوتي قتب لأخذت
هما حيث أمرت . قال ثم استأذنه إلى الربذة ، قال فقال نعم ، نأذن لك
ونأمر لك بنعم من نعم الصدقة فتصيب من رسلها ، فقال : فنادى
أبو ذرٍّ : دونكم معاشر قريش دنياكم ، فاعذموها ، لا حاجة لنا فيها ،
قال : فما نراه بشيء ، قال فانطلق وانطلقت معه حتى قدمنا الربذة ،
قال فصادفنا مولى لعثمان غلاماً حبشياً يؤمهم فنودي بالصلاة فتقدم فلما
رأى أبا ذرٍّ نكص ، فأومأ إليه أبو ذرٍّ : تقدم فصل ، فصل خلفه أبو ذرٍّ .
وروى أن أبا ذرٍّ لما حضره الموت بكت امرأته فقال لها : ما يبكيك ؟
قالت : أبكي لأنه لا يدان لي بتغييبك وليس لي ثوب يسعك ، قال :
فلا تبكي فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم :
ليموتنَّ منكم رجل بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين وليس
من أولئك النفر رجل إلا أقدمت في قرية وجماعة من المسلمين ، وأنا
الذي أموت بفلاة ، والله ما كذبت ولا كُذبت فابصري الطريق ، فقالت
أنى وقد انقطع الحاج وتقطعت الطرق ، فكانت تشدُّ إلى كتيب تقوم
عليه تنظر ثم ترجع إليه فتمرضه ثم ترجع إلى الكتيب ، فبينما هي
كذلك إذا هي بنفر تخدي بهم رواحهم كأنهم الرخم على رحالم فإلاحت

بشوها فاقبلوا حتى وقفوا عليها ، قالوا مالك ؟ : قالت امرؤ من المسلمين يموت تكفنوناه ، قالوا : ومن هو ؟ قالت : أبو ذر ، ففدوه بآبائهم وأمهاتهم ووضعوا السياط في نحورها يستبقون إليه حتى جاؤوه ، فقال .
أبشروا ، فحدثهم الحديث الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذكر في سند إلى عبد الله بن مسعود أنه قال : لما نفي عثمان أبا ذر إلى الرَبْذَةِ وأصابه بها قدره ولم يكن معه أحد إلا امرأته وغلّامه فأوصاهما أن اغسلاني وكفّناني وضعا في قارعة الطريق فأول ركب يمر بكم فقولوا : هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه ، فلما مات فعلا ذلك به ، ثم وضعا على قارعة الطريق ، وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق عمّارا ، فلم يرعهُم إلا بالجنّازة على ظهر الطّريق قد كادت الإبل أن تطأها ، فقام إليه الغلام وقال : هذا أبو ذر ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه . فاستهلّ عبد الله يبكي ويقول : صدق رسول الله ، تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك . ثم نزل هو وأصحابه فواروه ، ثم حلّتهم عبد الله ابن مسعود حديثه وما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مسيره إلى تبوك . وذكر بسند إلى عبد الله بن خراش الكعبي أنه قال : وجدت أبا ذر في مظلة شعر بالربذة تحته امرأة سحماء فقلت : يا أبا ذر تزوج سحماء ، قال : أتزوج من تضعني أحبّ إليّ ممن ترفعني ، مازال بي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى ماتت لي الحق صديقاً .

قلت : من أخبار أبي ذر المتقدمة يتأكد أمران : أحدهما خلوا الربذة من السكن المستقر في الربذة إلى جانب أبي ذر في العهد الذي سكنها فيه إلا ما كان من رعاة إبل الصدقة .

الأمر الثاني : وقوعها على طريق حاج العراق .

وقد سبق أن قلت : إن نموها كبِلدة عامرة ذات سوق تجارية إنما كان بعد رسم طريق الحج عليها وجعلها منزلاً من منازل الحاج ، وقد أورد ابن سعد خبراً يؤيد ما ذهبت إليه ، قال مترجماً لإبراهيم بن حمزة :
الطبقة السابعة : إبراهيم بن حمزة بن مصعب بن الزبير ، وأمه من آل خالد بن الزبير بن العوام وأم أبيه أم ولد ، وأم جده أم ولد يكنى إبراهيم أبا إسحاق ، وقتل حمزة بن مصعب وابنه عمارة بقديد ، ولم يجالس إبراهيم مالك بن أنس ، وسمع من عبد العزيز بن محمد الدراوردي وعبد العزيز بن أبي حازم وغيرهما من رجال المدينة ، وهو ثقة صدوق في الحديث ، ويأقُ الرَبْذة كثيراً فيقيم فيها ويتجر بها ويشهدا لعبيدين بالمدينة . وقد ذكر أن عبد العزيز بن محمد الدراوردي الذي سمع منه في المدينة توفي في المدينة ١٨٧ هـ .

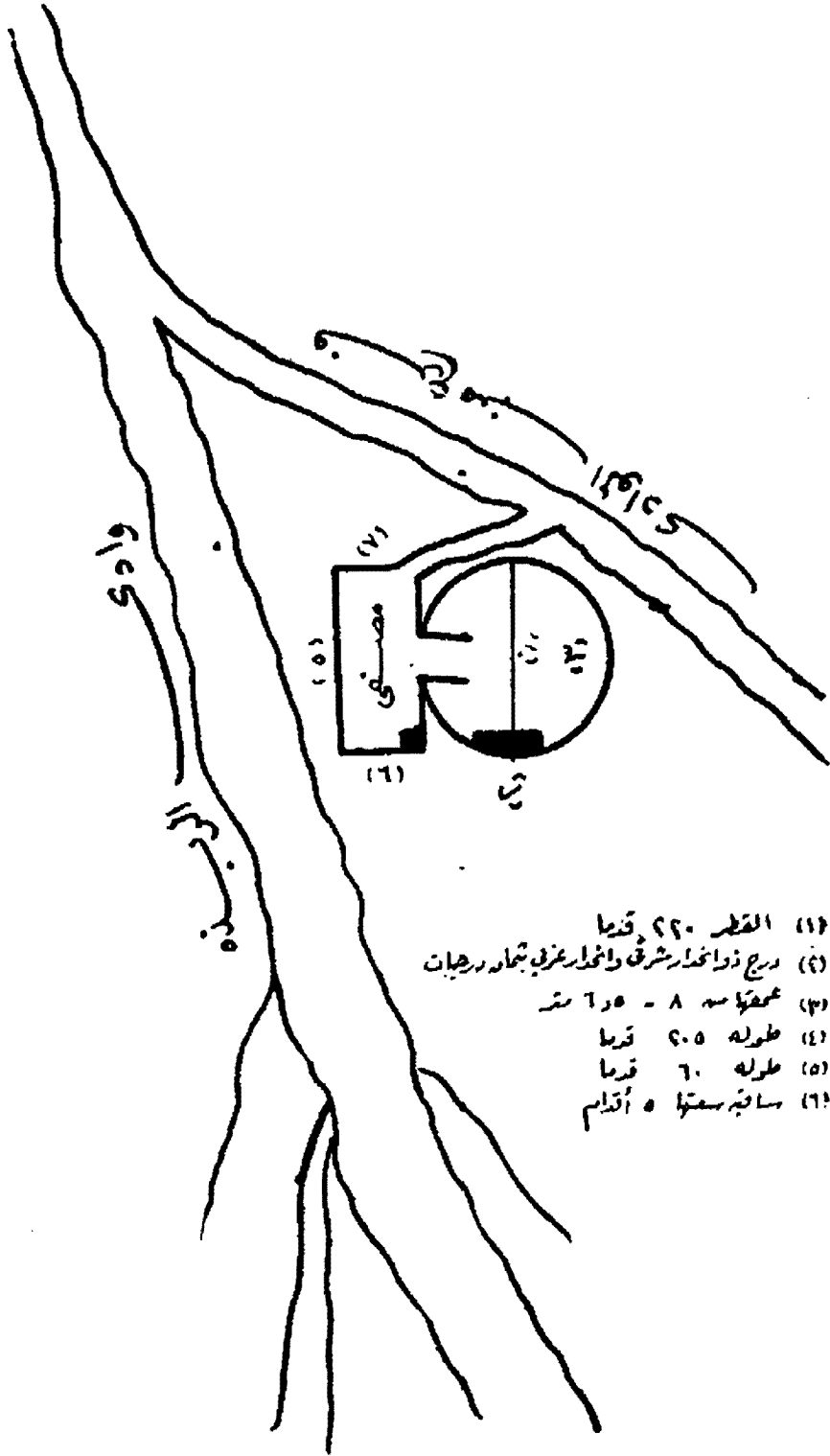
وصف قرية الرَبْذة : تقع قرية الربذة على ضفة واد يأتى من صوب مطلع الشمس ، ويتجه صوب مغيب الشمس مزدحم يشجر الرمث وفيه طلع كثير وسلم ، وله رافد يأتى من الشرق ويلتقي به عند القرية ، ومن هذا الرافد تمتلئ البركة .

والقرية واقعة على ضفة الوادي الشرقية ، واضحة المعالم على امتداد الوادي ، فيها آبار متهدمة ، وفيها بئر واحدة مرصوفة بالحجارة عامرة ، وفي ناحيتها الشمالية الغربية مقبرة كبيرة على ضفة الوادي الشرقية ، وفيها قبور أخرى في موضع آخر ، بين البئر العامرة وبين الشمالية الشرقية شمال البئر العامرة آثار قرية قديمة لم يبق منها إلا تَل كبير من الأنربة والحجارة ، وحطام الأواني الفخارية الملونة والزجاجية التي أثرت في تلويئها وتشكيلها عوامل الثعيرة والقدم ، وبجانب البئر

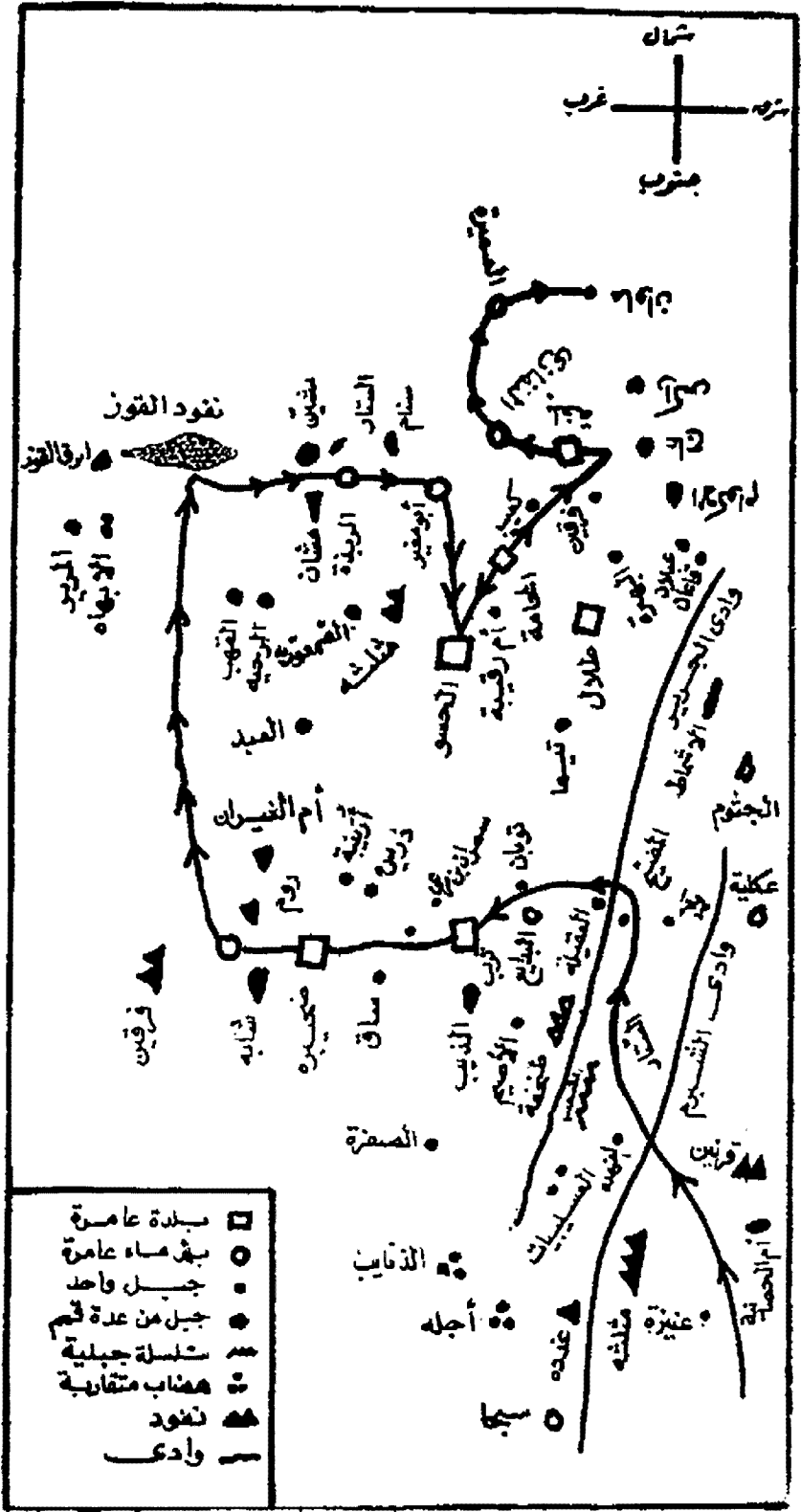
العامرة من الغرب مسجد كبير بادي المعالم يطلّ على الوادي من الشرق،
وفيها بركة مدوّرة عامرة ولها مصنى مربع بجانبها الغربي ، والبركة
مازالت في وضع جيد وطول قطرهما ٢٢٠ قدماً .

وقد بقي من عمقها بين جانب منها وآخر ما يتراوح بين ثمانية أمتار
إلى ستة أمتار ونصف ومازالت السيول تدفع فيها مع طريقها المخصص
عن طريق المصنى ، وقد بقي منها هذا العمق مع أنها لا تنظّف ولا تصان
لأن الأتربة التي تدفعها السيول تترسب في المصنى وتبقى في حوضه ،
ولأنها محاطة بتلّ من الأتربة الملبدة من كل نواحيها إلا ما يلي المصنى
يمنع ما تدفعه الرياح من التراب من السقوط فيها ، ولها درج في جانبها
الجنوبي ينزل معه إلى بطنها ، وهو ذو فرعين واتجاهين ، وقد بقي منه
غير ما غطته الأتربة مما يلي قاعها ثماني درجات لكلّ فرع وينزل الماء
إليها من المصنى مع مصب ينزل فيه متدرجاً في انحداره سعته خمسة
أقدام ، وبجانبها من الغرب المصنى وليس بينه وبينها إلا الجدار المبني
بينهما ، وهو ذو شكل مربع مستطيل ، طول جداره من الشمال إلى
الجنوب ٢٠٥ أقدام وجداره من الشرق إلى الغرب ٦٠ قدماً وفي زاويته
الجنوبية الشرقية درج سعته خمسة أقدام وفي زاويته الشمالية الشرقية
مدرج ينزل السيل معه سعته خمسة أقدام وتتصل به ساقية من الوادي
مازالت عامرة ، ولم يبق من عمقه في أخفض موضع فيه إلا متر لأن
السيول تدفع فيه حاملة معها الأتربة وتترسب في حوضه ، ولأن للمصب
عتبة مشرفة تمنع تسرب الأتربة مع الماء إلى البركة مما جعل البركة أبقى
على عمقها ، والمصنى يرتفع فيه التراب .

مصورّ للبركة العامرة في الرّيذة [في الصفحة المقابلة]

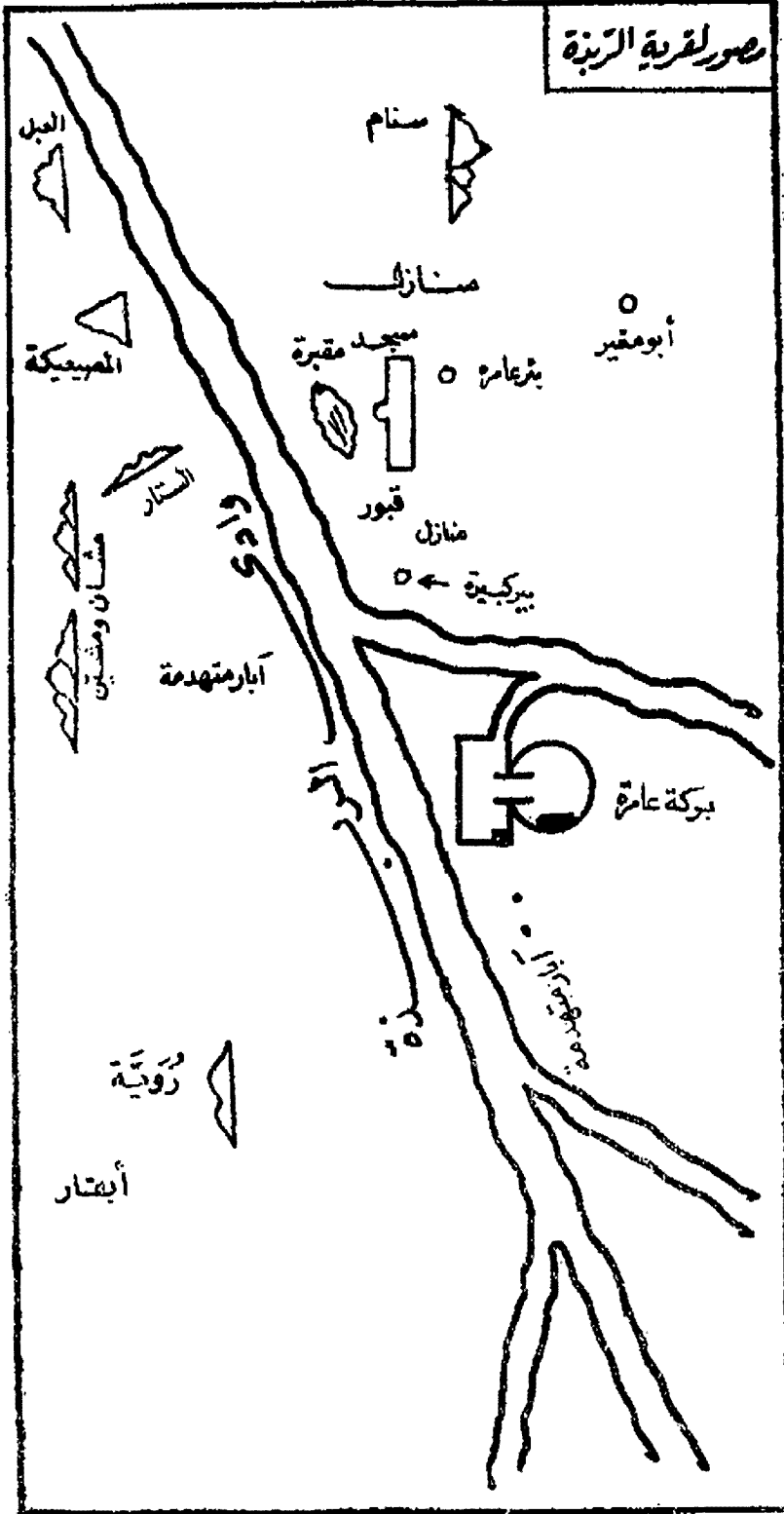


- (١) القطر ٢٢٠ قديماً
- (٢) درج ذواخدار شرقى واخدار غرقى بجدار رهبان
- (٣) عمقها ٨ - ٦.٥ متر
- (٤) طولها ٢٠.٥ قديماً
- (٥) طولها ٦٠ قديماً
- (٦) مساقية بسنيتها ٥ أقدام



مصور يوضح موقع الربدة وما حولها من المواضع

صور لقرية الرتبة



الطريق من الربذة إلى مكة المكرمة :

أورد الحرثي في كتابه المناسك رسماً لطريق حاج العراق مرتباً من بغداد إلى مكة ماراً بالربذة وذكر المسافة بين منزل وآخر من منازل الحاج ، وأورد نظماً يتضمن رسم الطريق من العراق إلى مكة للمصعد ونظماً يتضمن رسمه من مكة المكرمة إلى العراق للعائد من الحج وهنا أورد منه جزءاً يرسم الطريق من مغيثة الماوان ماراً بالربذة ثم السليلة ثم العمق ثم بقية المنازل إلى مكة ، ومن الملاحظ أن معالم هذا الطريق لا تزال ماثلة ، وكثير من الآبار والبرك لا تزال عامرة ، ومن قصيدة لأحمد بن عمرو في رسم الطريق :

مغيثة الماوان :

قَدَمًا قَطَرْنَا هُنَّ بِالْأَرْسَانِ	ثُمَّ إِلَى مَغِيثَةِ الْمَاوَانِ
عَنْ وَصَفٍ مَنْ تُعْرَفُ بِالْإِحْسَانِ	وَقَامَ بِالْأَشْعَارِ حَادِيَانِ
عَاشَا وَمَا مَثَلُهُمَا إِثْنَانِ	وَمَنْ كَسَاهَا الْمَجْدَ وَالسَّدَانِ
وَأُمُّ إِبْرَاهِيمَ فِي زَمَانِ	كَانَ أَبُو الْفَضْلِ حَيَا الْجَبْرَانِ
جَزَاهُمَا الرَّحْمَنُ بِالْغُفْرَانِ	لَمْ يَكْ فِي الْفَضْلِ لَهَا مِنْ ثَانِ

الربذة :

وَمَنْزِلًا فِي قَرْيَةٍ مُنْتَبَذَةٍ	ثُمَّ تَوَجَّهْنَا نُرِيدُ الرَّبْدَةَ
لَا يَنْدُمُ الدَّهْرُ بِهِ مَنْ نَفَذَهُ	لَدَى طَرِيقِ غَانِمٍ مَنْ أَخَذَهُ
لِمَنْ مَضَى مِنَ الْمُلُوكِ ، الْأَخَذَهُ	وَبَيْنَنَا بِنْتُ الْمُلُوكِ الْبَدَذَهُ
مَنْ يَقِيمُ الْمَلِكُ فِيمَنْ نَبَذَهُ	لِلْمَلِكِ وَالنَّسَافِينَ عَنْهُ الشَّدَذَهُ
خَدَمَتَهَا لِسَنَةٍ مَتَّخَذَهُ	وَيَعْمَلُ السِّيفُ إِذَا مَا شَحَذَهُ

السليلة :

مَرْحَلَةٌ مِيَاهُهَا قَلِيلَةٌ	ثُمَّ تَرَحَّلْنَا إِلَى السُّلَيْلَةِ
---------------------------------	----------------------------------------

تعجز عن رفقتها النزيلة
 ببذل أموالها جزيله
 فضلاً على الحجاج والقبيله
 بنت أبي الفضل يدا الفضيله
 فأنجحت ذات اليد الجميلة
 فاستخرج الماء بكل حيله
 لقد حباً ذو القدرة الجليله
 لها سماء أبداً مخيله
 العمق :

ثم توجهنا نريد العمقا
 ببئر ماء طاب منها المستقى
 وراكبوها يصلون الأرقا
 من حرة ترى العطايا خلقا
 منزل صدق لم يزل مرتفقا
 والعيس تسري في الظلام حزقا
 والنور في القبة يجلو الأفقا
 أحيت لمن لباً وحج الطرقا
 أجرت لهم ماء رواء غدقا
 فالله يجزئها بذخر وبقا
 وهكذا سار في قصيدته في رسم منازل الحاج إلى مكة المكرمة .

وقال الهمداني في رسم منازل الحاج من مكة المكرمة إلى النقرة ،
 والنقرة بعد الربذة بمنزلتين ويذكر المسافة بين كل منزلة وأخرى : من
 أخذ الجادة إلى معدن النقرة فمن مكة إلى البستان تسعة وعشرون ميلاً ،
 وعرض البستان أحد وعشرون جزءاً وربع . ومنه إلى ذات عرق أربعة
 وعشرون ميلاً ، وعرض ذات عرق أحد وعشرون جزءاً وثلاثاً جزء .
 ومنها إلى الغمرة عشرون ميلاً ، وعرض الغمرة اثنان وعشرون جزءاً .
 ومنها إلى المسلح سبعة عشر ميلاً ، وعرض المسلح اثنان وعشرون جزءاً
 ونصف ، ومنه إلى الأفيعية ثمانية وعشرون ميلاً ونصف ، عرض الأفيعية
 ثلاثة وعشرون جزءاً ، ومنها إلى حرة بني سليم ستة وعشرون ميلاً وعرض
 حرة بني سليم ثلاثة وعشرون جزءاً ونصف ومنها إلى العمق اثنان وعشرون
 ميلاً وعرض العمق أربعة وعشرون درجة ، ومنه إلى السلية ثلاثة عشر
 ميلاً وعرض السلية أربعة وعشرون جزءاً ونصف ، ومنها إلى الربذة ثلاثة

وعشرون ميلاً وعرض الرّبذة خمسة وعشرون جزءاً ، ومنها إلى الماوان ستة وعشرون ميلاً وعرض الماوان خمسة وعشرون جزءاً ونصف ، ومنها إلى معدن النقرة عشرون ميلاً ، وهي ملتقى الطريقتين ، فهذا تقدير طريق العراق في العرض على ما عمله بعض علماء العراق .

الطريق من الرّبذة إلى المدينة :

قال الحرّبيّ : يعدل من الرّبذة إلى أبرق العزاف عشرين ميلاً . وبأبرق العزاف آبار كثيرة ، ومن أبرق العزاف إلى السّار خمسة وعشرون ، وبذي القصة مياه كثيرة

ومن ذي القصة إلى المدينة ثلاثون ميلاً ، تخرج على يثر السائب وبينك وبين المدينة خمسة أميال ، وكان الرشيد يسلك هذا الطريق ، وهو مائة ميل وميلان ، بين الرّبذة والمدينة . وقد حدده بعضهم بثلاثة أيام .

قلت : مما تقدم يتأكد تحديد موقع الرّبذة بجملاء ، وفيه ردّ على من يقول إن الرّبذة هي قرية الحناكية ، والذي لا شك فيه من مدلول الأقوال والشواهد المتقدمة أن الرّبذة هي القرية التي وصفتها وحدّتها ، ويفهم من أقوال المؤرخين أن الحناكية هي بطن نخل ومن أنعم النظر في الأقوال القديمة والشواهد وزار البلاد بنفسه أدرك ذلك ولم يبق عنده شك في وجهة هذا القول .

سعد بن عبد السّمد بن جندب

– الرياض

وقال الاستاذ الشيخ محمد العبودي في مقدمة «بلاد القصيم» :

حمى الرينة :

هذا الحمى واقع في أقصى حدود القصيم الغربية ورغم ضيق مساحته بالنسبة إلى حمى ضرية فإن بعض الأماكن فيه تابعة للقصيم وبعضها تابعة للمدينة المنورة .

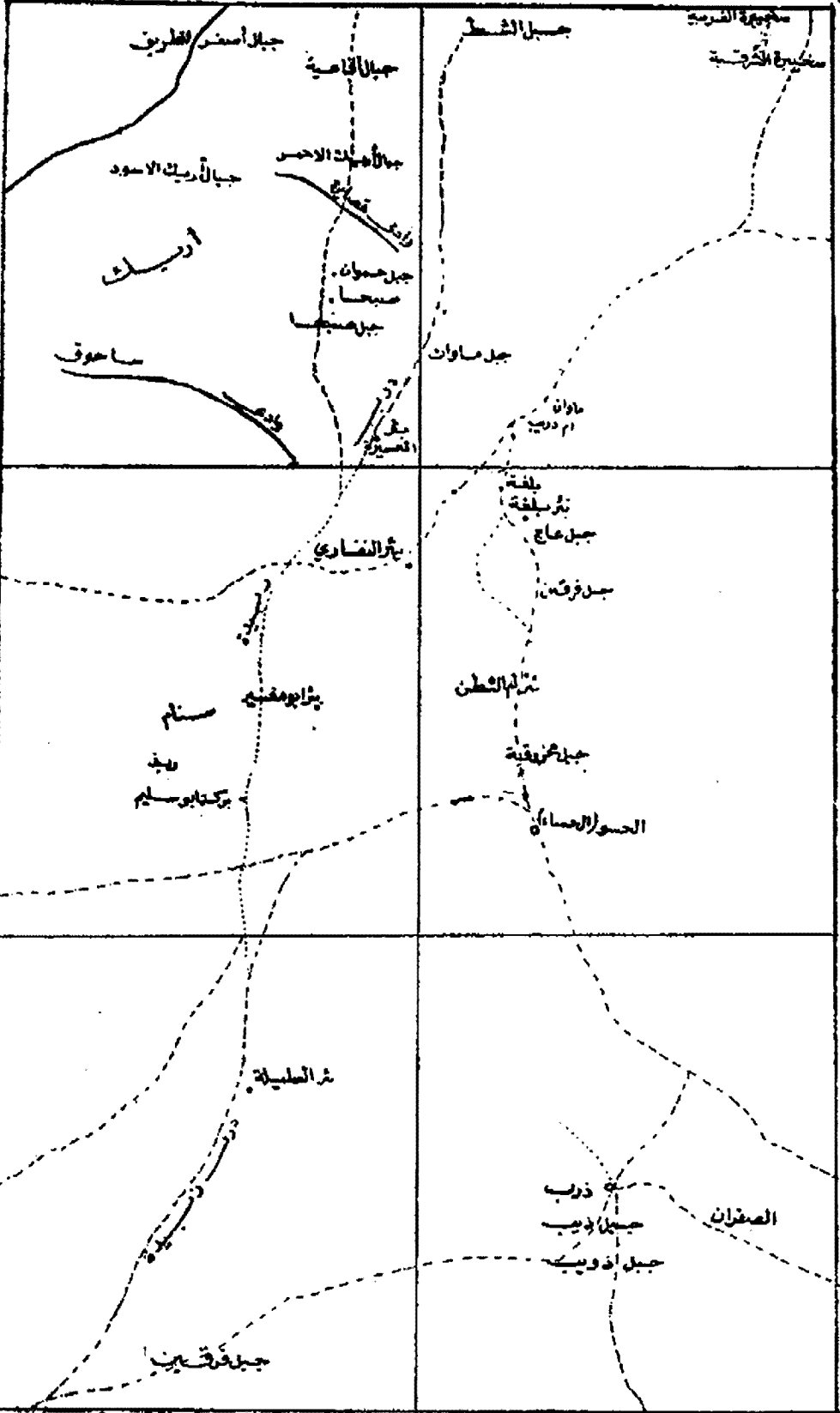
وبهنا هنا أن نلم إلمامة سريعة به من باب التعريف والإيضاح ، وليس من باب الدراسة الكاملة له وإن كان جديراً بالدراسة ، حقيقياً بالبحث العميق إلا أن هذا المعجم ليس موضعاً لتفصيل أحوال هذا الحمى لأن جزءاً منه خارج من منطقة القصيم .

ولنبداً الكلام عليه بالتعريف بقاعدته (الرينة) التي كثر فيها الحلس والخرص ثم نثني بالكلام على حدوده مترسمين خط الإمام ابي علي الهجري رحمه الله .

الرينة : هنالك موضع يقال له البركة (بركة أبوسليم) كما في الخارطة التي أصدرتها وزارة المالية والاقتصاد الوطني - المديرية العامة لشؤون الزيت والمعادن سنة ١٣٧٨ - بعنوان (ابحاث جيولوجية مختلفة) .

هذه بركة مربعة واسعة قطرها ٢٢٠ قدماً لها مصفاة تقع إلى الغرب منها طولاً ٢٠٥ أقدام وعرضها ٦٠ قدماً وارتفاع البركة أربعة أمتار . والمصفاة بركة أعلى من البركة الكبيرة ، وضعت كما توضع غرف التفتيش في مجارى المياه في البيوت لكي يبتى فيها الرمل والحصى الذي يحمله السيل لئلا يذهب إلى البركة ولكي يمكن تنظيفه بعد وهو اسهل من تنظيف البركة نفسها .

وهذه البركة واقعة في الرينة بلا شك .



جبل الشعل

البحر المتوسط

جبال القاصية

جبال أريحا

جبل حمان

جبل صيحا

بئر النضاري

البحر الأحمر

بئر الطين

جبل قريينا

جبل قريينا

بئر النضاري

جبل قريينا

جبل قريينا

جبل قريينا

جبل قريينا

جبل قريينا

جبل قريينا

جبل قريينا

البحر الأحمر

وهي في ناحيتها الشرقية ، تكاد تكون ملاصقة لها ، وتملأ من مياه
واد صغير يأتي إليها من جهة الشمال . وتحيط بها من جميع الجهات اكمامات
من الأرض الغليظة التي تعلوها الحصباء مما جعلها تتماسك ولا تنهد في البركة .
وقد زرناها يوم الخميس ١٥ - ٩٥٣ هـ بصحبة الأستاذ الكبير الشيخ
حمد الجاسر والشيخ سعد بن جنيدل . فألفيناها كأنما تركها الصانع
أمس ، وهي مدورة كاملة التدوير مضبوطة ، بحيث يجزم المرء بأن الذي
عملها مهندسى قدير يشرف على عمال مهرة مجلوبين من خارج المنطقة
لذلك نجزم أنها من برك زبيدة ، وليست من البرك الأخرى التي استحدثتها
أهل الخير من بعد زبيدة أو قبلها .

وبناؤها من الحجارة المطوية الملتصقة بالملاط والتي طلي بعض جوانبها
بلاط من الصاروج . وليس كلها مغطى بذلك .

والبركة هنا هي التي ذكرها الحربي بقوله : وبها - اي الرينة -
بركتان يسرة ، إحداهما مدورة ، ولها مصفاة ، والأخرى من المنزل على
أقل من ميل مربعة ^(١) .

أقول : هذه البركة هي المدورة فجميع الأوصاف تنطبق عليها -
وهذه المنطقة هي منطقة الرينة وذلك للنصوص التالية :

ذكر الإمام الحربي الرينة فقال :

الرينة : حدثني عبد الله بن عمرو قال حدثني ركاؤ بن عبد الله
ابن قيس الكلابي .

قال : سميت الرينة بريذ ، جبل أحمر ، صخرة حمراء على ميل من
الرينة ، مما يلي المغرب ، فارغ أحمر ، وقال : اسمه ريد ^(٢) .

(٢) المناسك ص ٣٢٧ .

(١) المناسك ص ٣٢٨ .

أقول : الجبل المذكور معروف الآن وهو هضبة حمراء هرمية الشكل
يسميتها الأعراب من أهل تلك الناحية « مصيعيكه » وهي تصغير مصعكة
مؤنث (مصعك) التي أصلها في الفصحى مصعك بمعنى المجتمع بعضه إلى
بعض مع ارتفاعه .

وهو قريب جداً من الربذة يقع إلى الغرب منها على بعد يقرب
من كيلين وهو بالفعل يشبه الربذة وهي كلمة تستعملها العامة في نجد
بلفظ (ربثة) بإبدال الذال تاء ، وهذا ليس بغريب إذ التاء والذال تتعاقبان
وقد فسر الحارثي لفظة الربذة بعد ذلك فروى عن أبي حاتم - ولعله
السجستاني - أنه قال : الربذة صوفة من عهد تعلق في أعناق الإبل .

أقول : وقد أدركت العامة في نجد يصنعونها من خيوط الصوف
وخيوط القطن ويضعونها في أعلى طرايش الأطفال ، وأغطية رؤسهم
التي يسمونها (القبوع) جمع قبع بضم القاف وإسكان الباء ثم عين .
والجبل الذي يسمى الآن : « مصيعيكه » ويقع إلى الغرب من بركة
أبو سليم يشبه الربثة عند العامة التي هي الربذة في الفصحى بلا شك .
وذكر الإمام لغده الاصبهاني رحمه الله : جبل سنام بعد أن أنشد
قول الشاعر :

شربن من ماوان مائة مرًا ومن سنام مثله أو شرا
وقال سنام : هذا : جبيل قريب من الربذة^(١) .

أقول : سنام هذا هو أقرب الجبال إلى الربذة ويقع إلى الشمال
منها يرى منها رؤية واضحة أي : إلى هذا المكان الذي يسمى الآن :
(بركة أبو سليم)

(١) بلاد العرب ص ١٧٧ .

وآثار مدينة الربذة ولا أقول : قرية الربذة لأنها من واقع آثارها نستحق أن تسمى مدينة أقول : آثارها باقية ظاهرة للعيان من حجارة مهذبة ، وآثار حيطان مهدمة ، وقواعد بناء واضحة ، قدر صفتها وأحكامها أيد مدربة ، من ذلك بقايا المسجد وهو المسجد الذي بقربه توفي أبو ذر الغفاري رضي الله عنه ، ومن ذلك مقبرة عظيمة باقية صوي القبور ، وعلامات المقبرة واضحة المعالم ، وهي مقبرة واسعة هذا غير ما قد يكون درس منها .

والمسجد والمقبرة واقعان في الجهة الغربية من المدينة على الشفير الشرقي لواد يقع في غربي البلدة ، وتنحدر مياهه إلى وادي بقار الذي كان يسمى قديماً « ذا بقر » والذي يذهب سيلاه إلى وادي مخيط . ومخيط ينحدر إلى وادي الشعبة الذي ينحدر إلى المدينة المنورة فيحجزه سد العاقول في الوقت الحاضر إلى الشرق منها .

وفي هذه المدينة رأينا مقادير كبيرة من الفخار الملون الفاخر الذي طلى بطنه وقفاه بطلاء ملون جميل إلى جانب كسر من الفخار غير الملون . إلى قطع من الزجاج القديم الغريب الشكل بالنسبة إلى الزجاج المعروف في الوقت الحاضر وبخاصة منه ماهو غير صافي اللون .

هذا إلى جانب كسر من الأرحاء السود .

وهذا كله مما هو ظاهر على وجه الأرض دون حفر وبما بقي بعد ألف عام ، أما باطن الأرض فهو غني بالآثار مما جعلني أجزم جزماً قاطعاً بأنها هي مدينة الربذة فمخلفاتها وآثارها تدل على ذلك .

أما الآبار فانه لا يوجد فيها الآن إلا بئر واحدة يردها بعض الأعراب وماؤها غير عذب إلا أنه ليس شديد المرارة بالنسبة إلى غيره من الأمواه

الموجودة في تلك المنطقة والتي يغلب عليها الطعم المر . وهي بعيدة القعر نوعاً يبلغ عمق البثرفيها حوالي ٢٢ متراً .

ويبلغ مدى عمران المدينة من البركة في جنوبها الشرقى إلى المقبرة في شمالها الغربي حوالي ٩٠٠ متر .

وتكثر آثار المنازل التي نجزم بأنها هي منازل العامة من الناس . أما منازل الخاصة فهي الجهة الجنوبية الشرقية قريبة من البركة . وطريق الحاج نفترض أنه يمر بين منازل العامة هذه وبين البركة لأن الحربي نص على أن البركة هذه التي هي مدورة يسرة أي على يسار الذهاب إلى مكة .

متى خربت الربذة ؟ :

لا يمكن الجزم بعمر مخلفات الربذة إلا للمختصين على أنه يوجد لدينا نص صريح ، يحدد تاريخ خرابها ، ولكن ذلك لا ينفي أن تكون قد عمرت بعد ذلك ثم عاودها الخراب ثانية وهذا هو النص :

قال ياقوت رحمه الله : قرأت في تاريخ أبي محمد عبيد الله ابن عبد المجيد بن سيران الأهوازي قال : وفي سنة ٣١٩ خربت الربذة باتصال الحروب بين أهلها وبين ضرية ، ثم استأمن أهل ضرية إلى القرامطة فاستنجدوهم عليهم فارتحل عن (الربذة) أهلها فخربت . وكانت من أحسن منزل في طريق مكة . وهذا نص صريح في خراب كان للربذة فهل عاودتها العمارة ثم اعتورها الخراب ؟ إننا لا نستطيع أن نجيب فنجزم الجواب ولكن الظاهر من استقرار مخلفات مدينة الربذة أن ذلك الخراب كان الأخير لأن مخلفاتها لا تدل على أنها حديثة عهد بعمران ، اللهم إلا ما يتعلق بالبركة فربما كان بعض المحسنين من القادرين قد أصلحها وجاء بعده من تعهدوا بالإصلاح .

وقال الهجري . وأول أجبل حمى الربذة في غربها رحران ، وهو جبل كثير القنان ، وقنانه سود ، بينها فرج .

أقول : لا يزال جبل رحران محتفظاً باسمه القديم وهو واقع في غربي هذا المكان الذي يسمى الآن «بركة أبو سليم» مما يضيف دليلاً على أنه هو الربذة . ويدل على ذلك أنه ذكر أن بين رحران والربذة بريدتين . وهذه هي المسافة الفعلية بين الموضعين .

ودليل آخر وهو قوله : ثم يليه جبل يقال له الجواء ... ثم يلي الجواء أجبل يقال لها القهب ، وهي ببلد سهل حُرٌّ ، وهي من خيار مواضع أحماء الربذة ، وهي عن يسار المصعد إلى المدينة ، وعن يمين المصعد من العراق إلى مكة . وبين القهب والربذة نحو من بريد^(١) .

أقول : لا تزال جبال القهب محتفظة باسمها القديم وتنطقه العامة هناك القهب بكسر القاف وإسكان الهاء على لفظ جمع أقهب عندهم وتقع على يسار من يريد المدينة المنورة من هذا المكان الذي يسمى الآن البركة (بركة أبو سليم) كما تقع على يمين من يسير مع طريق الحاج إلى مكة المكرمة . مما يقطع بأن هذا المكان هو الربذة .

ثم قال الهجري : ثم الجبال التي تلى القهب عن يمين المصعد إلى مكة : جبل أسود يدعى أسود البرم بينه وبين الربذة عشرون ميلاً .

أقول : هذا الجبل يسمى الآن (العبد) ولاشك في أن تسميته العبد هي بعينها تعني كلمة «أسود» في العصر العباسي إلا أن إضافة هذا الجبل إلى البرم قد ماتت ربما كان ذلك بسبب ذهاب العمران من الربذة وما حولها وعدم عناية أهل البلد بالبرم التي تستخرج منه

(١) أبر على الهجري وأبحاثه ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

علماً بأن البرم جمع برمة وهي القدر التي تصنع من الفخار ونحوه .
ويدعى السائر مع طريق الحاج من (بركة أبو سليم) هذه إلى السليبة وهي
المنهل الذي يقع بعدها على طريق الحاج إلى مكة على يمينه وقد سرنا
معه مما يدل على أن بركة أبو سليم هذه هي الربذة .

ثم قال الهجري : وأقرب المياه من أسود البرم حفائر حضرها
المهدي على ميلين منه تدعى (ذا بقر) ذكرها مؤرخ السلمى فقال :

قَدْرٌ أَحْلَكَ ذَا النَخِيلِ وَقَدْ أَرَى وَأَبِيكَ ، مَالِكُ ذُو النَخِيلِ بَدَارُ
إِلَّا كِدَارُكُمْ بَدِي بَقْرَ الْحَمَى هِيَهَاتَ ذُو بَقْرٍ مِنَ الزُّوَارِ
أقول : ذو بقر أصبح الآن يسمى «بقار» وهو معروف في تلك
المنطقة ، وقد ورد في شعر عامي^١ ، لشاعر يمدح قومه من حرب الذين كانوا
يسكنون تحت المنطقة في القرن الماضي ، ولا يزال جماعة منهم في
«النفازى» و«ماوان» و«بلغة» و«الهميج» و«النقرة» التي تقع إلى
الشرق من الربذة وغير بعيدة عنها قال يذكر مطراً :

يَمَطِرُ عَلَى اللَّيْلِ وَسَمَهُمْ يَقْدَحُ النَّارَ حَلَابِيَةً لِلجَارِ خَلْفَ مَتَالِي^(١)
عَطِرَ عَلَى الدَّيْرِ وَيَمَطِرُ عَلَى (بِقَارِ) وَيَمَطِرُ عَلَى النَّقْرِهْ وَيَأْخُذُ لِيَالِي
ثم ذكر الهجري أماكن عدة بعضها باقٍ على اسمه القديم وبعضها
نعرفه من وصفه وكلها تدل على موقع الربذة وأنه هو هذا الذي يسمى
الآن «بركة أبو سليم» .

هذا إلى جانب كون النصوص التي ذكرها الإمام أبو إسحاق الحربي
في كتاب «المناسك» عن الربذة تدل على ذلك وقد قست المسافات

(١) الوسم : يريد به الوسم الذي يكون على إبلهم . وخلف : جمع خلفه منهم وهي الناقة

التي ذكرها ما بين الربذة وما قبلها وما بعدها فإذا بها كلها تؤيد أن
بركة (أبو سليم) هي كانت موقع الربذة .

ومن قوله في ذلك أنه ذكر النقرة - التي لا تزال تحتفظ باسمها
القديم وذكر أن الحاج يمرون بالقرب من جبل ماوان الذي يعرف
الآن باسمه هذا أيضاً وذكر أنهم يمرون بجبال الشمط ولا تزال تسمى
الشمط - وذكر مُغِيثَةَ الماوان وتسمى الآن (العميرة) . لوجود بقايا من
العمارة فيها ، وقد تتبعنا أعلام طريق الحاج وأمياله التي لا يزال
أكثرها باقياً إلا أنه قد تهدم فتنازلنا من «النقرة» إلى مُغِيثَةَ الماوان
المذكورة دون أن نفقده من آثار تلك الأميال إلا القليل مما يقطع بصحة
هذا الطريق .

ثم قال الحربي : ومن مغِيثَةَ الماوان إلى الربذة عشرون ميلاً .

أقول : المسافة بين العميرة التي هي المغِيثَةُ وبين بركة (أبو سليم)
التي هي كانت تسمى الربذة هي تساوي ما ذكره الحربي .

ثم قال - بعد كلام له - : وقبال المتعشى : جبل يقال له سنام .
وسنام يحتفظ باسمه القديم كما ذكرت ثم قال :

ووراء ذلك أحساء بموضع يقال له (الأمغر) وقبل الربذة بميل بركة
ناحية عن الطريق . ثم ذكر الربذة بعد ذلك ^(١) .

أقول : الأمغر معروف الآن بهذا الاسم وفيه منهل يسمى (أبومغير)
في الوقت الحاضر . وهو في طريق المتوجه من النقرة إلى هذه البركة
إذا كان قاصداً مكة المكرمة سائراً إلى جهة القبلة . وهو قبل البركة
بحوالي خمسة أكيال وبينه وبين الربذة آثار بركة قديمة فهو والربذة
هذه واقعان في طريق الحاج الكوفي إلى مكة المكرمة .

(١) المناسك ٢٢٢ - ٢٢٦ .

ومن ذلك أنه ذكر جبلا بين الربذة والسليلة يقال الرثة وهو لا يزال يسمى (رَبِيَّةً) على لفظ تصغير رثة وهو جبل أحمر هضبة واحدة .
فدل ذلك كله على أن الربذة هي التي تسمى الآن (بركة أبو سليم)
والله أعلم .

كما يتضح خطأ من قال : إن الحناكية هي الربذة ذلك لأن الحناكية كان معروفة في القديم باسم (نخل) أو «بطن نخل» وصفها من تكلموا على طرق الحج بما لا يدع مجالاً للشك في ذلك ، ولأن الحناكية ليست على طريق حاج الكوفة إلى مكة وإنما هي على طريق الحاج إلى المدينة المنورة ، والربذة ذكرت في طريق الحاج إلى مكة . كما ذكرت الطرق التي تنطلق منها إلى المدينة المنورة مارة بعدة أماكن بعضها بل كثير منها معروف باسمه القديم في الوقت الحاضر أما الحناكية فإن الطريق منها إلى المدينة يمر بالشقرة الباقية على الاسم القديم ثم الصويدرة التي كانت تسمى (الطرف) ثم بشر السائب التي تسمى الآن (بئر الكعكي) .

بعد تعيين موقع الربذة يحسن بنا أن نصحب الإمام أبا علي الهجري في إمامة سريعة تتضمن تحديده لحمى الربذة مبتدئين بقول مختصر عن أول من أحمى حمى الربذة .

قال : الربذة هي التي جعلها عمر بن الخطاب رضى الله عنه لإبل الصدقة وكان حماه الذي أحماه بربداً في بريد ، ثم تزايدت الولاة في الحمى أضعافاً ، ثم أبيحت الأحماء في أيام المهدي ، فلم يحمها أحد بعد ذلك^(١) .

(١) أبو علي الهجري وأبحاثه ص ٢٤٠ .

تكلم الإمام الهجري على حدود (حمى الربذة) متخذاً شكل دائرة حول مركز الحمى - الربذة - سائراً ذات اليسار وواضح أنه كان يتكلم عليه وهو في المدينة المنورة التي قضى فيها وقتاً طويلاً ، وألف كتابه وهو فيها ، كما يستدل على ذلك من تعبيراته في عدة مواضع .

قال : يسرة حمى الربذة (الخبرة) وهي من الربذة مهب الشمال وهي في بلاد غطفان^(١) .

أقول : واضح من قوله : يسرة أن ذلك بالنسبة لمن يكون في المدينة المنورة لأن جهة الشمال من مدينة الربذة هي جهة اليسار بالنسبة إليه . والخبرة : لاتزال معروفة ولكنها تسمى الآن (الخبراء) جرياً على عادة العامة من الأعراب في تغيير الأسماء التي تتلاءم مع ما يستعلمونه من لغتهم إلى أخرى مستعملة لديهم إذ الخبراء معروفة مستعملة عندهم بخلاف الخبرة ، وذلك لأنهم لا يأخذون الأسماء من الكتب وإنما هو من أفواه الرجال . وذلك يعثره التحريف والتبديل على مر القرون كما هو ظاهر .

وسياتى شواهد لهذا التغيير كثيرة في معجمنا هذا إن شاء الله .

والخبراء هذه كما تُعرف الآن مائة واقعة بين جبل رحرحان وبين هضب المنخر الذي أصبح يسمى منيخة في الوقت الحاضر .

ثم قال الهجري : وأول أجبل حمى الربذة في غربيها (رحرحان) وهو جبل كثير القنان وقنانه سود بينها فُرج .

أقول : جبل رحرحان لا يزال محتفظاً باسمه القديم دون تغيير

(١) ص ٢٤٠ .

وهو معروف الموقع الآن بل مشهور ويقع إلى أيسر الغرب من (بركة أبو سليم) الذي هي الربذة في القديم .

ثم قال : وبلى رحرحان من غربيه جبل يقال له (الجواء) .

أقول : لا أعرف هذا الجبل .

قال : ثم بلى الجواء : جبل يقال له (القَهَب) وهي ببلد سهل ينبت الطريفة وهي من خيار مواضع أحماء الربذة ، وهي عن يسار المصعد إلى المدينة . وعن يمين المصعد من العراق إلى مكة .

أقول : القهب لا تزال معروفة باسمها القديم كما تقدم قريباً في الكلام على الربذة .

ثم قال : ثم الجبال التي تلي القهب عن يمين المصعد إلى مكة - أي : عن يمين الذي يسير مع طريق حاج الكوفة متجهاً إلى مكة المكرمة - : جبل أسود يدعى (أسود البرم) وقد قدمت أنه يعرف الآن بالعبد أي بلفظ العبد ، ضد الحر . الذي أصبح يطلق عند العامة على الأسود . وهناك مائة ضعيفة قريبة من العبد هذا ، تسميها العامة من الأعراب «العبدة» على لفظ تأنيث العبد أخذاً من اسم العبد الذي هو متطور من اسم (الأسود) التي أصلها أسود البرم .

ثم ذكر الهجري (ذا بقر) الذي أصبح يسمى (بقار) . وعقب عليه بذكر جبلي أروم وآرام وقال : إنهما في قبلي الربذة .

وقال : ثم يليها جبال يقال لها (اليعملة) .

أقول : واضح من كلام المتقدمين أن اليعملة هي الجبال التي تسمى الآن (الخدورة) ولم نعرف أحداً من أهل تلك الناحية تعرف على اليعملة باسمها القديم . ويوضح ذلك ، قوله : وبين (اليعملة) والربذة

ثلاثة عشر ميلاً ، وتلك هي المسافة بين الخدورة وبين بركة أبو سليم..
ثم قال الهجري : ثم الجبال التي تلى اليعملة : هضاب حمر عن
يسار المصعد تدعى (قواني) واحدها قانية ، وهي في أرض حرة لبني
سليم بينها وبين الربذة اثنا عشر ميلاً^(١) .

أقول : قواني تغير اسمها تغيراً يسيراً من ناحية المعنى وإن كان
تغيراً كبيراً من حيث اللفظ إذ أصبحت تسمى الآن (الحمر) جمع
حمراء ذلك بأن معنى قوان هو حمر شديدة الإحمرار ومعنى قانية هو
حمراء شديدة الإحمرار وهذه هي صفة الحمر هذه فهي عدة هضبات حمراء.
قال الهجري : ثم يلي قواني : عمود أحمر يدعى عمود المحدث في
أرض محارب للخضر منهم^(٢) .

أقول : الذي ظهر أن هذا العمود هو الذي يسمى الآن (الصمغورية)
فاسمه القديم قد نسي ، وهذا له ما يبرره من حيث المعنى ذلك بأن
الغامة من الأعراب يسمون الجبل المستدق (الصمغورية) وذلك له شاهد
من تسمية الصمغورية الواقعة في منطقة حمى ضرية شمالاً من قرية مسكة
وتقع الصمغورية التي نتكلم عليها في الربذة والتي كانت قديماً
تسمى (عمود المحدث) إلى الغرب من (حسو عليا) الذي كان يسمى
قديماً (ذا حساء) .

قال الهجري : وبين الجبال التي تلى المحدث عن يسار المصعد
(عمود الأفعس) من أرض محارب أيضاً ، وبه مياه تدعى الأفعسية
في أصل الأفعس وهي لمحارب ، وبين الأفعس والربذة بريدان .
أقول : الأفعس هذا تغير اسمه فأصبح يسمى (أم رقية) أي :

(٢) ص ٢٤٤ .

(١) ص ٢٤٤ .

(ذات الرقية) وهو اسم لا يخلو من علاقة بالاسم القديم إذ الأقمس في الفصحى هو الذي بطنه داخل وظهره بارز ، أي في بدنه انحناء ولذلك قالوا : «الأقمس الذي في صدره انكباب إلى ظهره»^(١) .

والجبل إذا كان في أعلاه دخول من ناحية وبرز من ناحية أخرى ظهرت قمته كأنما هي ذات رقبة .

ثم قال الهجري : ثم يلي الأقمس (هضب البلس) في أرض محارب أيضاً ، وهو مجمع للسعاة . بيئته وبين الربذة ميلان .

أقول هضب البلس يسمى الآن (كعيب) وهذا هو الذي تدل عليه صفته وموقعه عند المتقدمين فهو هضب أحمر عنده ماء لا يزال معروفاً وفي آخر كلام الهجري ذكر من الجبال التي تدور حول حمى الربذة هضباً يدعى (هضب المنخر) بلد سهل ، وهذا الهضب أصبح اسمه «منيخة» من إناخة الركوب وسيأتي ذكره في حرف الميم من هذا المعجم . وبعده ذكر رحرحان وذكر الخيرة بينهما - أي بين هضب المنخر ورحرحان وذلك من حيث ابتداء كلامه كما سبق .

وبذلك أنهى كلامه على حمى الربذة ، وبذلك أنهينا هذه الإمامة بحمى الربذة التي هي كافية لمعرفة موضع الحمى ولكنها غير وافية للبحث في الحمى بحثاً دقيقاً ، فهي تفتح الباب للبحث ، ولا تغلقه أو قل : هي كالقاعدة التي تجمع ولا تمنع ، ويكفي أنها تصلح أن تكون أساساً لبحث عميق مستفيض . والله الموفق .

الرياض : محمد العبودي

(١) كتب اللغة مادة نفس .

بجواهر المَعْدَةِ في فضائل جَدَّة

- ١ -

كنت تحدثت في فاتحة الجزء الثالث من السنة الثانية من مجلة «العرب»^(١) في كلمة عنوانها : «مؤرخو مدينة جدة» عن تاريخ جدة للشيخ أحمد بن محمد الحضراوي وذكرت أن الصديق الباحث الأستاذ سر كيس عواد كتب إليَّ بأنَّ منه نسخة بخط المؤلف في خزانة «جستربتي» بمدينة دبلن في إيرلندا .

وقد كرم أحد أبنائي فأتخفني بصورة من تلك النسخة ، رأيت نشرها في مجلة «العرب» اعتباراً من هذا الجزء .

ويحسن أن أضيف إلى تلك الكلمة أن من بين الكتب التي أُلْفِتْ في تاريخ جدة مما لم أذكره في تلك الكلمة كتاب «تَنَسُّمُ الزهر المأنوس عن ثغر جدة المحروس» لمحمد بن يعقوب المالكي ذكره محمد ابن عبد العزيز بن عمر بن فهد المتوفى سنة ٩٥٤ في كتابه «حسن القرى في أودية أم القرى» .

ولكن لم أطلع على شيء من مؤلفات جدة سوى رسالة محمد ابن عبد العزيز بن فهد ، ورسالة ابن فرج «السلام والعدة في تاريخ بندر جدة» ، ورسالة الحضراوي هذه التي نتحدث عنها ، وقد اتخذ من رسالتي ابن فهد ، وابن فرج عن جدة مصدراً عَوَّلَ عليه ، ويظهر أنه اطلع على ما كتبه ابن ظهيرة محمد بن محب الدين المتوفى سنة ٩٤٠ فقد نقل عنه .

(١) جزء رمضان ١٣٨٧ ص ١٩٣ إلى ٢٠٢ .

الحضراوي مؤلف هذه الرسالة :

هو الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الحضراوي المكي الهاشمي ، ولد في الإسكندرية^(١) سنة ١٢٥٢ ، ثم انتقل مع والده إلى مكة ، وعمره سبع سنين ، فنشأ بها ، وتأدب ، وتفقه ، وألف مؤلفات في الدين ، وفي التاريخ ، وفي فضائل مكة ، والمدينة ، والطائف ، وجدة^(٢) منها : رسالة «الجواهر المعدة» وله رسالة أيضاً في المفاضلة بين جدة والطائف .

وقد توفي سنة ١٣٢٧ .

موضع الرسالة :

لعل هذه الرسالة تحوي جُل ما يتعلق بتاريخ جدة ، فهي أوفى ما اطلعت عليه مما أُلّف في الموضوع ، ولهذا فإن نشرها نشرًا محققًا يكون ذا فائدة ، ومع احتوائها على أخبار لا تثبت أمام النقد ، إلا أن لمؤلفها بعض الآراء الجيدة ، من ذلك ملاحظته على الحكاية الخرافية التي ذكرها ابن المجاور في تاريخه عن انتقال أهل مدينة جدة من القرس ، وأن سبب ذلك غلط أحدهم بإرسال الضريبة المقررة لحاكم مكة وهي حمل من حديد في كل عام ، فأرسل بدل حمل الحديد حملاً من ذهب ، مما دفع ذلك الحاكم إلى أن يتعنت في طلب ضريبة العام التالي مماثلة لضريبة العام الذي قبله ، فكان تعنته سبباً لانتقال التجار ، وهي خرافة ما يزال يرددونها كل من كتب عن تاريخ هذه المدينة حتى في عصرنا ، ومن بين هؤلاء من يحاول إثباتها ، وقد نشرت كلمة قبل سنين في جريدة «البلاد» السعودية مزيفاً ذلك الخبر ، ومبيناً أن ابن المجاور مع كونه مجهولاً ، فإن في كتابه خرافات كثيرة تجعله غير جدير بأن يعتمد فيها ينفرد بذكره ، ولعله هو أول من ذكر تلك الخرافة .

(١) في مدينة الاسكندرية مجلة تدعى الحضرة ، فلعل الحضراوي منسوب إليها .

(٢) انظر عن مؤلفات الحضراوي مجلة «العرب» ص ٢ من ١١٢ .

والحضراوي في رسالته هذه لم يخرج عن أهل عصره ، من حيث مستوى الثقافة العامة والفكر . فهو يعتقد بتأثير الأولياء الصالحين ، ويطلب المدد من أرواحهم وألف رسالته هذه متأثراً بهذا الاعتقاد ، بل ألف رسالته هذه متأثراً بتلك الأفكار ، وحشاها بالأخبار المتعلقة بفضل هذه المدينة ، ومعروفة منزلة أحاديث الفضائل ، عند العلماء ، ونحن نحاول طلب الأمر الصعب . حينما نريد أن نجد جميع ما خلفه لنا المتقدمون من تراث صافياً مُبرِّئاً من كل عيب . كما أننا نفقد الكثير من هذا التراث إذا لم ننشئ عنه ما علق به . فنستفيد من طيبه وصالحه ، ونطرح ما عداه .

ولهذا أقدمت على نشر هذه الرسالة مع ما فيها من أشياء يدرك كل قارئ عدم صحتها .

والغاية من نشرها إيجاد مصدر جديد لتاريخ إحدى مدن بلادنا العظيمة . وأدع التعليق على ما في الرسالة من أوهام ، لمن يريد نشرها نشرًا كاملاً محققاً ، وحسبي أنني قدمت نسخة من هذه الرسالة للباحث ، بعد أن لَفَتُ النظر إلى فائدتها ، في الكلمة التي نشرتها عن مؤرخي جدة .
مخطوط الرسالة :

أشرت في مقالي السابق عن مؤرخي جدة ، إلى وجود نسخة من هذه الرسالة بخط الشيخ عبد الستار الدهلوي ، توجد في مكتبته المضافة إلى مكتبة الحرم المكي رقمها ٢٧ تاريخ ، تقع في ٦٢ صفحة من القطع الصغير ، والمخط مَقْرُوء ، وإن كان غير جيد ، ونشرت مقدمة تلك المخطوطة ، ونقولاً منها ^(١) .

أما مخطوطة نسخة «جستريبي» التي وصلت إلى مصورة من أحد

(١) «العرب» ص ٢ ص ٢٠٠ وما بعدها .

أسناني ، فتقع في ٣١ ورقة ، الورقة الأولى تحوي العنوان ونصه :

« هذه الجواهر المعدة في تاريخ جلة للتمجير أحمد بن محمد
ابن أحمد بن عبده بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن حسن بن سعد
ابن مسعود الحضراوي الهاشمي المكي كان الله له آمين » .

وَجِدَّةٌ لِنُورِ الْأَمْوَالِ طَيِّبَةٍ وَلِلْمَفَانِيسِ دَارُ الْهَمِّ وَالضُّبَيْبِ
أَقَمْتُ فِيهَا مُضَاعَفًا بَيْنَ سَاكِنَيْهَا كَأَنِّي مَصْحَفٌ فِي بَيْتِ زَنْدِيقِ

وفي الورقة الأخيرة « مزدوجة هزلية للمؤلف وقال : إنه يمدح بها

« قائم مقام نوري أفندي » قبل رتبة الباشوية ، حين بذل همته في تمدن

نجر جلة . قال : (وعرضتها عليه فأجازني جازاه الله كل خير) أورد المزدوجة

وختمها بتاريخ منظوم على طريقة حساب الجمل وتاريخه ١٢٨٤ ،

وقال بعده : (وقد توجه المذكور إلى الأستانة ، سنة ثمانية وثمانين

ومئتين وألف فوصل إلى الأستانة في أواخر رمضان ومكث بها مدة خمسة

أيام . وتوفي إلى رحمة الله فوجد ما خلفه من صنف الحسنى . (ثم يستمر

الكلام ، وقد ألحق بالرسالة ورقة تحمل رقم ٤٠ أي بعد ثمانى وورقات

لا أدري هل مافي هذه الورقات يتعلق بالرسالة أم بموضوع آخر ، ولكن

الكتابة التي في هذه الورقة : هي كتابة ناسخ الرسالة ، وجاء فيها :

(وكان الفراغ من تأليفه يوم الإثنين المبارك الحادي (٩) من شهر

جمادى الأخرى سنة ١٢٨٨ تجاه البيت الحرام) .

وليس من المستبعد أن تكون النسخة بخط المؤلف ، ويدل على ذلك

ما في هوامشها من إضافات مع ترميج كلمات من الأصل ، واستبدالها بغيرها .

وتحسن الإشارة إلى وقوع كثير من الأخطاء النحوية في الرسالة ،

وكذلك في قواعد الإملاء ، وقد أبحث لنفسي تصحيح ما هو من هذا

للقبيل ، إذ لا أثر في تصحيحه على نص المؤلف من حيث المعنى .

وها هو نص الرسالة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمداً للمالك الملك ، وشكراً لمُجْرِي الفلك ، الخالق الباريء الصمد
الواحد ، مُبِيد القرون الذي إذا أراد شيئاً قال له كُنْ فيكون ، والصلاة
والسلام على سيد الأنام ، صاحب العجد والجود ، والمقام المحمود ،
سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وكُلِّ ما ذكره الذاكرون ، وغفل عن
ذكره الغافلون ، إلى يومنا المشهود .

وبعد فيقول الراجي غفران المساوي ، أحمد بن محمد بن أحمد
الحضراوي المكي الهاشمي ، أصلح الله سرائرهم ونور بصائرهم مع العفو
والرضوان ، والرحمة والغفران ولجميع المسلمين آمين ، لما كان بِنَسْرُ
جدة من المآثر المشهودة ، والمعالم المحمودة ، لاحتوائها على المعاهد
العظيمة ، والمشاهد الجسيمة ، ولكونها للبلد الأمين كالرأس من الجسد ،
فهي دِهْلِيْزُهُ وبابه المَعْدُ ، ولا يكون من الدخول إلى الدار إلا من الباب ،
كما قال تعالى : (وَاتَّتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) فهي البلدة الزكية أول
جزيرة العرب ، وللدخول منها تطلب المعارف والقرب .

أَحْبَبْتُ إظهار فضلها وذكر تواريخها ، لأنني كنت اطلعت على
تاريخ العلامة الفاضل الشيخ عبد القادر بن أحمد بن محمد بن فرج
الشافعي خطيب جدة تلميذ الحافظ ابن حَجَرِ الهَيْتَمِي ، المتوفي يوم
السبت سابع شهر رمضان سنة عشرة بعد الألف بجدة المسمى «الصلاح
والعُدَّة في فضل ثغر جدة» فوجدته تاريخاً مختصراً غير أنه لم يوفِ
بالمقصود ، ولا سيما لم يُوفِ ما حدث بعد وفاته من حكايها والجنود ،

أحببت إظهار فضلها في هذه الوريقات ، وذكر بعض أخبارها
بما هو آت . فجاءت بحمد الله رسالة عجيبة ، جمعتها من كتب عديدة
لأئمة ذوي مناقب حميدة ، راجياً من الله القبول ، ونقحتها بذكر بعض
مناقب الفحول أمدنا الله بهم آمين .

وسميتها « الجواهر المُعدَّة في فضائل جدَّة » جعلها الله نفعاً للعباد ،
وذخراً لقارئها يوم المعاد .

ورتبته على مقدمة وفصلين وخاتمة نسأل الله حسنهما .

المقدمة في سبب إنشائها وضبط أسماؤها ومن أنشأها .

الفصل الأول : في فضائلها والمرابطة والصلاة فيها والمجاورة .

الفصل الثاني : في مآثرها وما احتوت عليه من سكانها .

الخاتمة : في بعض حكايات لطيفة وقعت في عرصاتنا . فاقول وبالله التوفيق :

المقدمة في سبب إنشائها ، وضبط أسماؤها ومن أنشأها : قال الميرغني
رحمه الله في « عدة الإنابة » : جُدَّة بضم الجيم المعجمة وتشديد الدال
وسكون الهاء (١) ، وقيل بالكسر ، وهي (اسكلة) (٢) مهكبة بينهما
مرحلتان ، ويقال لها جديدة أيضاً بكسر الدال المهملة وفتح ما قبلها
بعدها ياء ساكنة تحتية ودال مهملة مفتوحة وهاء ساكنة قال ابن
الوردي رحمه الله في « الخريدة » : يقال : إن كل بلدة لها اسمان فناهيك بها
شرفاً وعظمة ، وقال في « القاموس » : جُدُدٌ كَسْرٍ ، وصرام النخل
كالجداد والجداد وأجدد : حان أن يُجدد ، وبالضم ساحل البحر بمكة ،

(١) الهاء تنبع في الإعراب موقع الكلمة من الكلام فتكون مرفوعة أو منصوبة ، أو مبنية

على الفتح ، ولا تسكن إلا السكون المارض عند الوقف عليها (العرب) .

(٢) اسكلة : مرفأ . والكلمة غير عربية (العرب)

كالجُدَّة ، وجدة لموضع بعينه منه بالضم وشاطيء النهر ، كالجُدِّ والجُدَّة
بكسرهما والجُدَّة بالضم .

والجُدُّ وَجْهُ الأَرْض كالجُدَّة بالكسر ، والجديد والجدد ،

إنتهى .

ونقل العلامة المحدث جارالله بن فهد أن السيد الفاسي ذكر في مسودة

له أن سبب تسمية جدَّة بهذا الاسم كونها منزل أم البشر حَوًّا^(١)
وكونها دُفنت بجدَّة فهي جدَّة جميع العالم .

ونقل أيضا عن الحافظ عز الدين ابن الأثير في «النهاية» : الجد بالضم

ساحل البحر . والجدَّة أيضا إنتهى وفي «لسان العرب»^(٢) قال : والجدَّة

ساحل البحر بمكة ، وجدَّة لإسم موضع قريب من مكة مشتق منه ، وفي

حديث ابن سيرين : كان يختار الصلاة على الجُدِّ إن قَدِرَ عليه ، الجُدُّ

بالضم - شاطيء النهر ، والجُدَّة أيضا ، وبه سميت المدينة التي عند مكة

شرفها الله جُدَّة ، وجدَّة كل شيء طريقته ، وجدَّة علامته ، والجدَّة

الطريقة والجمع جُدْدٌ وقوله عز وجل : (جُدْدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ) أي طريق

تخالف لون الجبل ومنهم قولهم ركب فلان جدَّة من الأمر إذا رأى فيه

رأيا قال : والجدَّة قال القراء الجدد الخطط والطرق تكون في الجبال

نخطط بيض وسود وحُمْر ، كالتُّرُق واحدها جُدَّة ، وأنشد قول امرئ

القيس :

(١) في الأصل (حوى) .

(٢) في الأصل حاشية هذا نص ما اتضح منها : (قوله : « لسان العرب » : هو كتاب

عظيم كبير ، في اللغة لمؤلفه عبد الله بن محمد بن المكرم بن أبي الحسن بن أحمد الأنصارى الأفرنجي

المصرى ، المتوفى سنة ٧٢٦ وهو في عشرة مجلدات ضخام ، كتاب في اللغة ، ورتبه ترتيب الصحاح ،

قليل فيه زيادة كثيرة على « القاموس » رأيتُه آلا كتب خزانة .. بمكة ، في مجلدين ضخمين بخط

دقيق ... انتهى مؤلف) .

« كَانَتْ سَادَتُهُ وَجُدَّةً مَتْنَهُ كِنَائِنٌ يَجْرِي فَوْقَهُنَّ دَلِيسٌ

قال الأزهرى : وجادة الطريق سميت جادة لأنها خطئة مستقيمة ،
وفي «السيرة الحلبية» أن حواء أميبتت بجدة ، وحرم الله عليها دخول
الحرم ، والنظر إلى خيمة آدم وإلى شيء من مكة لأجل خطيئتها ،
وأنها أرادت أن تدخل مع آدم إلى مكة فقال لها : إليك عني قد خرجت
من الجنة بسببك فتريدين أن أحرم هذا ؟ ! فكان آدم عليه الصلاة
والسلام إذا أراد يلقاها ليُليّمَ بها خرج من الحرم كُلِّهِ حتى يلقاها
بِالْحِلِّ ، وهذا يخالف ما جاء أن جبريل عليه السلام بعنه الله تعالى إلى
آدم وحواء عليهما السلام فقال لهما : إن الله تعالى يقول لكما : ابنياني
بيتاً . فحفظ لهما جبريل عليه السلام ، فجعل آدم يحضر وحواء تنقل
التراب . حتى أجابه الماء ، ونودي من تحته : حَسْبُكَ يَا آدَمُ ، وفي رواية :
حتى إذا بلغ الأرض السابعة فعنقه فيها الملائكة الصخر ما يطبق الصخرة
ثلاثون رجلاً إنتهى وذكر محمد بن جرير أن الله أميبت آدم على جبل
سَرْتَدِيب بالهند ، وحواء بحددة بالعاء المهمله وقيل بالمعجمة - فجاء
آدم في طلبها فتعارفا بالمحلّ الذي قيل له بسبب ذلك عرفة ، فاجتمعا
بالمحلّ الذي قيل له بسبب ذلك جمع ، وَزَلَفَتْ إِلَيْهِ بِالْمَحَلِّ الذي قيل له
بسبب ذلك مُزْدَلْفَةَ ، وهذا يدل على أن جمع غير مزدلفة ، وهو خلاف
المشهور من أن جمع هو مُزْدَلْفَةَ ، إِلَّا أَنَّ يُقَالُ : كل من المحلين من
جملة البقعة ، وأطلق كل من الإسمين على جميع تلك البقعة ، وفي
«الخصائص الصغرى» : عن رزين أن حواء عاشت بعد آدم سنة كاملة
إنتهى .

قال في «الدرر المنظمة في أخيار مكة المعظمة» وأول من جعل جُدَّة ساحلاً سيدنا عثمانُ بن عفان رضي الله عنه في سنة ست وعشرين من الهجرة وكانت الشَّعْبِيَّةُ ساحل مكة .

أقول : ولعله المحل المعروف الآن بأبجر^(١) ونقل السيد الفاسي في «شفاء الغرام» أن أول من جعل جدة ساحلاً لمكة المشرقة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، بعد أن استشار الناس .
وذكر ابن جبير في رحلته أنه رأى بجدة أثر سورٍ مُخَدَّقٍ بها .

وقال الشيخ جارالله ابن فهد : إن بجدة أثر رسوم قديمة تدل على قدم اختطاطها وأنها كانت مدينة كبيرة ، وأنها كانت في زمن الفرس ، وأن سلمان الفارسي رضي الله عنه وأهله سكنوها ، لأنهم كانوا قومًا تجارًا وهم الذين بنَوْا سُورَها الأول ، وقيل إن الذي بناه جريزيان (٢) والمشهور أنه من بنيان الفرس إجمالاً ، وأنهم لما بنوه اتقنوا بناءه ، جعلوا عرض الحائط عشرة أشبار ، وجعلوا فيه أربعة أبواب : أحدها باب الدومة في جهة الشام ، وباب المدبغة في جهة اليمن ، وكان عليه حجر أخضر فيه طَلْسَمٌ إذا سُرِقَ في البلد شيءٌ وُجِدَ بالغدادة اسم السارق مكتوباً في الحجر ، وباب مكة في جهة القبلة وباب الفرضة مما يلي البحر ، وحفروا حول البلد خندقاً عظيماً في الوسع والعمق ، وكان يدور ماء البحر حول البلد ، وهي يومئذ شبه جزيرة في وسط لُجَّة البحر ، فلما حَصَّنوا^(٣) الفرس البلد غاية التحصين وخافوا من ضيقة

(١) الشعبية تقع جنوب (جدة) وهذا يقع شمالها قريباً منها ، وكان (أبجر) مرفأً لجدة ، كما يفهم من «رحلة ابن جبير» وغيره . وانظر لتحديد موقع الشعبية كتاب «في شمال غرب الجزيرة» تأليف حمد الجاسر (العرب) .

(٢) كذا والقاعدة (حصن الفرس) وجاء هذا على لنة (أكلونز للبراهيث) !

الماء : عمروا ثمانية وستين صهريجاً داخل البلد ومثلها خارجها ،
ثم إن الفرس خرجوا منها ، وبقيت خاوية على عروشها ، وكان سبب
خروجهم ^(١) فيما ذكره القاضي صلاح الدين ابن ظهيرة الشافعي ،
قاضي جدة حينئذ في تاريخه لجدة . ومنه نقل صاحب «السلام والعلّة»
في تاريخ جدة «وهو أن والي مكة الشريف داود بن هاشم الحسني ، وكان
يُحِبُّ إليه خراجُ جدة ، في كل عام حملٌ من قُتُيبان الحديد
أو النُّحاس ، ففي بعض السنين غلط (الخازن دار) ^(٢) وبعث الخراج
حِمْلاً ^(٣) من الذهب ، فسكت الشريف المذكور إلى العام القابل .
فبعثوا إليه حِمْلاً ^(٤) من الحديد على حكم العادة فلم يقبله وردّه وقال :
ما أخذ منكم إلا حِمْلاً ذهب ، مثل العام الماضي ، فتفقّدوا خزائنهم
فوجدوا (خازن دارهم) غلط فاغتموا لذلك ، وجمع كبيرهم أعيان
دولتهم وأكابرها وعرفهم ، وأشار عليهم بالخروج منها ، لكونهم
يعجزون ^(٥) عن ذلك في كل عام ، ويعجزون ^(٦) أيضاً عن محاربتة
على الدوام ، وجعل لهم مثلاً وهو أنه أحضر لهم ثلاثة طيور ، أحدها
صحيحاً سليماً (٧) والثاني منتوف الجناح ، والثالث مذبوح وقال لهم :
إن خرجتم الآن فأنتم مثل هذا الطائر الحيّ السليم لا يقدر عليكم ،
وأرسله في الجوّ وإن جلستم للعام القابل تكونوا مثل هذا المنتوف الجناح
مَنْ طَرَدَهُ أمسكه وأرسله يجري برجله ، وإن جلستم إلى العام الثالث
فأنتم مثل هذا المذبوح . وألقاه بين أيديهم ، فاستصوبوا رأيه ، وأخذوا

(١) أول من اطلمت على كلامه عن هذه الحرفة هو ابن الجوار الذي وصل إلى حدة

٦٢١ ٦٢١ - وكتابه مطبوع .

(٢) (الخازن دار) كلمة تركية معناها : صاحب الخزانة .

(٣) في الأصل (حمل) . (٤) في الأصل : (يمجزون) .

ما يعز عليهم ويمكنهم حمله ، وسافروا في سفنهم ببحرا ، وتفرقوا في
البلدان يمناً وشامالاً . وسواكن ودهلك ، فلما خلت البلدة من سكانها
واستوطنها ^(١) الأعراب من كل مكان من جميع الجهات .

قلت : وهذه العبارة من أولها لا أصل لها غالباً بحيث أن جدة لم
يسكنها غير الأعراب قديماً ، ويؤيده ماسياني من استعمال الصديق
وسيدنا عثمان والرشيد وغيرهم ، فلينبه .

وهي أول حدود الحجاز ، وأول جزيرة العرب ، وسميت جزيرة
لأنه أحاط بها أربعة أبحُر : دجلة والفرات وبحر الحبشة وبحر
فارس ، والحجاز يقابل أرض الحبشة غربيها وبينهما عرض البحر
فقط ، وأوله من مدينة أيلة المعروفة بالعقبة من منازل الحج المصري
ومنتهاه من شامه مدينة سدم ^(٢) . وهي من قرى قوم لوط ، ومن
غربيه جبل السراة ومسيره نحو شهر ، وهو قطعة من جزيرة العرب ، التي
هي طولاً من أقصى عدن إلى ريف العراق .

قال العلامة القليوبي : وأول جزيرة العرب عرضاً من جدة إلى ساحل
البحر ، إلى أطراف الشام ، وطولاً من أقصى عدن إلى ريف العراق ،
ومن المدن التي بين الحجاز واليمن البامة وتامة ^(٣) وهجر ، وهو من
مدنه الطائفة به والينبع وبدر .

وجدة بضم الجيم وأصلها اسم لما قرب من النهر أو الطريق المههد
انتهى كلامه .

وهذا مناقض لما مرَّ من أنَّ الشُعَيْبَةَ كانت ساحل مكة ، في
« الحلبية » ^(٤) وغيرها أن قريشاً حين بنوا الكعبة المشرفة في زمن

(١) في الأصل : (استوطنها) . (٢) المعروف : (سدم) انظر « معجم البلدان » .

(٣) كذا وتامة ليست مدينة بل منطقة واسعة . (٤) يقصد كتاب « السيرة الحلبية » .

النبي صلى الله عليه وسلم وكان البحر قد رمى بسفينة إلى ساحل جدة أي الذي به جدة الآن وكان ساحل مكة الذي قبل ذلك يرى به السفن يقال له الشُعْبِيَّة - بضم الشين المعجمة فلا يخالف قول غير واحد - فلما كانت السفينة بالشُعْبِيَّة ساحل مكة انكسرت ، وقيل : كانت تلك السفينة لقبصر ملك الروم ، يحمل له فيها الرخام والخشب والحديد فلما بلغت مرساها من جدة وقيل : من الشعبية بعث الله عليها ربحاً فحطمها . فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش إلى السفينة فابتاعوا خشبها - القصة انتهى . وفي «معالم التنزيل» في (سورة الفتح) بعد أن ساق قصة الفتح يوم فتح مكة : قال عروة بن الزبير خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عمير بن وهب الجمحي يابني الله إن صفوان بن أمية سيد قومه ، وقد خرج هارباً منك ليقتذف نفسه في البحر فأمنه صلى الله عليه وسلم وقال : هو آمن قال يارسول الله أعطني شيئاً يعرف به أمانك فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل فيها مكة ، فخرج بها عمير ، حتى أدركه بجدة ، وهو يريد أن يركب البحر ، فقال : يا صفوان فذاك أبي وأمي أذكرك الله في نفسك أن تهلكها ، فهذا أمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتك به فقال : ويلك اعزب عني فلا تكلمني قال : أي صفوان فذاك أبي وأمي ، أفضل الناس ، وأبر الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك ، وملكه ملكك . قال : إني أخافه على نفسي . قال : هو أحلم من ذلك وأكرم ، قال : فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك أمنتني قال : صدق - الحديث انتهى .

فهذا الخبر والذي قبله من القصة المتقدم ذكرهما يُشعران بأن جدة هي (أسكلة) مكة من أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه نظر إلا أن يُقال : كانت (أسكلة) لمكة في بعض الأحوال ، والشعبية هي (أسكلتها) دائماً ثم إن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه استصوبها ونزل بها واغتسل في بحرها ، وقال : إنه مبارك كما في « الدرر المنظمة » بعد أن استشار الناس وجعلها خالصة لمكة والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول في فضائلها والمرابطة والصلاة فيها والمجاورة فمن شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني في كتابه « لسان الميزان » بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : إذا كان رأس السبعين والمائة فالرباط بجدة من أفضل ما يكون من الرباط وروى أيضاً بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يأتي على الناس زمان يكون أفضل الرباط رباط جدة » ، وفيه أيضاً عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربعة من أبواب الجنة في الدنيا الاسكندرية وعسقلان وقزوين وعبادان ، وأفضل جدة على هؤلاء كفضل بيت الله على سائر البيوت » وفي « شفاء الغرام » للسيد الفاسي رحمه الله بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مكة رباط وجدة جهاد » وفيه أيضاً بسند الفاكهي إلى ابن جريج عن أبيه عن جده : إني لأرجو أن يكون فضل مرابط جدة على سائر المرابطين كفضل مكة

(البقة تأتي)

قرى الطائف وسكانها

(اطلعت لدى الصديق الكريم الأستاذ محمد الهلال الحربي - مدير الأمن العام في المنطقة الشرقية- على معلومات مدونة عن بعض قرى الطائف وعن سكانها من القبائل ، كان دونها سنة ١٣٨٩ ، ويظهر أنه كان يريد إعادة النظر فيها وإكمالها ، لأنه كتب عليها : تحت الدراسة ولأنها لا تحوى أسماء جميع قرى منطقة الطائف وسكانها ، فلم يذكر فيها قرى أودية وج و (العرج) و (الأخضر) و (لية) ولم تذكر قرى قبيلة (عدوان) . ولكنها استوفت قرى قبائل أخرى استيفاء لا يوجد في مصدر آخر ، ولهذا رأيت نشرها ، بعد أن حذفت منها ما يتعلق بتمدد سكان القرى ، إذ هو عرضة لزيادة والنقص) .

(١) قرى قبيلة وقدان

قبيلة وقدان - بجوار مدينة الطائف شرقاً .

العدد	اسم القرية	القبيلة	اسم شيخ القبيلة
١ -	القنينة	وقدان	عبد الله بن سحيم
٢ -	الدار العليا	وقدان	عبد الله بن سحيم
٣ -	وادي ساعد	وقدان	عطا الله بن ساعد
٤ -	الشماسين	وقدان	محمد بن سليم
٥ -	السور	وقدان	عبد الله بن عائض
٦ -	البرابين	وقدان	بكر بن صالح
٧ -	ذوى هجل	وقدان	عبد الله بن عائض
٨ -	ابن عايض	وقدان	عبد الله بن سحيم
٩ -	القصب	وقدان	خلف بن شاهر
١٠ -	الشواهر	وقدان	
١١ -	أم السباع	وقدان	

(٢) قرى قبيلة عَثْوَان - ومنازلها جنوب الطائف (١٦)

(٣) قرى قبيلة قريش

الضحايا بلاد قريش تبعد عن الطائف بمسافة ١٨ كيلاً وقرى
الميفيين والوهط والوهيط .

العدد اسم القرية	القبيلة	اسم شيخ القبيلة
١ - الغراب	قريش	محمد بن سعيد
٢ - جناب رميته	قريش	محمد بن سعيد
٣ - المحرم	قريش	محمد بن سعيد
٤ - غرض زيد	قريش	محمد بن سعيد
٥ - الحزن	قريش	محمد بن سعيد
٦ - طرف المجره	قريش	عبد الرحمن جميل
٧ - الخاسرة	قريش	عبد الرحمن جميل
٨ - الحسي	قريش	عبد الرحمن جميل
٩ - المحوي	قريش	عبد الرحمن جميل
١٠ - الكلادا	قريش	خضر بن مبض
١١ - رويضان	قريش	خضر بن مبض
١٢ - سحر - تهم	قريش	خضر بن مبض
١٣ - القرين	قريش	عبد الله بن فاخر
١٤ - أبو الجرف	قريش	عبد الله فاخر
١٥ - عفار	قريش	عبد الله فاخر
١٦ - الصومة	قريش	محسن بن معلنا

(١) لم تسجل ، وانظر عنها ما كتبه الأستاذ محمد سعيد كمال في مجلة « العرب » .

محسن بن سعد	قريش	١٧ - المنقرة
	قريش	١٨ - هوالسقية (٢)
	قريش	١٩ - الحرمة
		٢٠ - الصحن (٢)
حميد بن سعد	قريش	٢١ - الصحن
سراج بن	قريش	٢٢ - آل حميد
حميد بن سعد	قريش	٢٣ - غيال
حميد بن سعيد	قريش	٢٤ - الضبا
حميد بن سعيد	قريش	٢٥ - المحسن
عبدالرحمن بن جميل	قريش	٢٦ - المعمد
مسلم	الكيرشة	٢٧ - العزالقة
سالم بن عابد	قريش	٢٨ - الشرايرة
عبدالرحمن جميل	قريش	٢٩ - المعجيز
عبدالرحمن جميل	قريش	٣٠ - يرد
حميد بن سعد	عرضة قريش	٣١ - القصر
حميد بن سعد	عرضة قريش	٣٢ - قوثير
حميد بن سعد	عرضة قريش	٣٣ - العلية
حميد بن سعد	عرضة قريش	٣٤ - العارض أبو السلم
سعود فطيس	قريش الهياقين	٣٥ - الميروش
سعود فطيس	قريش الهياقين	٣٦ - صعب
سعود فطيس	قريش الهياقين	٣٧ - الكوى

سعود فطيس	قريش الهيافين	٣٨ - الوهط
عوض مرزوق	قريش آل عمر	٣٩ - الوهيط
عوض بن مرزوق	قريش آل عمر	٤٠ - الفطحة
عوض بن مرزوق	قريش آل عمر	٤١ - شقرا
عوض بن مرزوق	قريش آل عمر	٤٢ - المخاضة
عفيف بن صالح	قريش آل مكيدة	٤٣ - شعب عياد
عفيف بن صالح	قريش آل مكيدة	٤٤ - الوقف
عفيف بن صالح	قريش آل مكيدة	٤٥ - عيال
	قريش آل عمر	٤٦ - العسلة
	التمور	٤٧ - الخولة
معتوق	التمور	٤٨ - اللنضة
عابد عبد رب النبي	التمور	٤٩ - القرية
هلال بن عمر	التمور	٥٠ - الحجران
بن مهدي	التمور	٥١ - النبي
صالح بن مصلح	التمور	٥٢ - الكحل
علي بن مهبوف	قريش	٥٣ - القطران
عبد الرحيم بن صخرى	قريش	٥٤ - بني صخر
عابد بن عياد	قريش	٥٥ - الغشاوة
عبد الله بن شعيف	قريش المطره	٥٦ - أبو شنب
عابد الأصنج	قريش المطرة	٥٧ - عبد ربه ابن معلا
عبد الرازق	قريش المطره	٥٨ - العنراوا

محمد الرغيب	قريش	٥٩- آل موسى القديرين
محمد الرغيب	قريش	٦٠- آل أبو المرة
محمد الرغيب	قريش	٦١- آل قاسم
محمد الرغيب	قريش	٦٢- اللزواء
عابد الأصنج	قريش	٦٣- عابد الأصنج
عبد الرحمن زيد	قريش	٦٤- آل زيد
رده السرحاني	قريش	٦٥- السراحين
سراح الحرثي		٦٦- الحرثة

٤- قرى بلاد بني سالم تبعد عن الطائف بمسافة ٣٣ كيلا

محمد بن ناصر	بني سالم	١- أسفل الوادي
محمد بن ناصر	بني سالم	٢- النصبه
محمد بن ناصر	بني سالم	٣- الحديب
محمد بن ناصر	بني سالم	٤- الفضية
محمد بن ناصر	بني سالم	٥- أبو عيبل
محمد بن ناصر	بني سالم	٦- فريضة
محمد بن ناصر	بني سالم	٧- آل عميرين
محمد بن ناصر	بني سالم	٨- الشيخ
محمد بن ناصر	بني سالم	٩- الخاصرة

٥ - قرى وادي الصخيرة تبعد عن الطائف بمسافة ٢٨ كيلاً

- | | | |
|---------------|--------------|--------------------|
| ١- الصخيرة | الصخيرة ثقيف | صالح بن مقبول |
| ٢- شيخاظ | الصخيرة ثقيف | محمد أحمد الصقبيري |
| ٣- وادي الشمس | الصخيرة ثقيف | مطهر علي |
| ٤- أبو حرب | الصخيرة ثقيف | عبد الله حمدان |

٦- قرى آل حجة من بني سفيان ، في الشفا (السراة) تبعد عن

الطائف ٢٣ كيلاً

- | | | |
|------------------------|--------|---------------------|
| ١- مطر | آل حجة | عماد بن أحمد |
| ٢- آل لحمة | آل حجة | ضيف الله بن هومل |
| ٣- الضمرين وغرين الشعب | آل حجة | ضيف الله بن هومل |
| ٤- الشليات | آل حجة | عبد الرحمن بن نويجع |
| ٥- شقرا العليا | آل حجة | حسن حسن الحججي |
| ٦- شقرا السفلا | آل حجة | حماد بن حماد الحججي |
| ٧- الاقيلح | آل حجة | مرزوق حجلا |
| ٨- المحولة | آل حجة | مرزوق حجلا |
| ٩- مسيمير | آل حجة | مرزوق حجلا |
| ١٠- سلامة | آل حجة | مرزوق حجلا |
| ١١- جناب يزيد | آل حجة | مرزوق حجلا |
| ١٣- أهل الشعب | آل حجة | عماد بن أحمد |
| ١٤- آل حمود | آل حجة | محميا الحمودي |
| ١٥- الأعوص | آل حجة | حسن بن حسن |
| ١٦- الفرع | آل حجة | مرزوق حجلا |

٧ - قري آل ساعد وآل منصور من بني سفيان (الشفاء) تبعد بمسافة

٣٥ كيلاً عن الطائف .

صالح بن فطيس	آل منصور	١ - آل سفرة الفرع
صالح بن فطيس	آل منصور	٢ - الريث
عويمر بن صبحي	آل عيده	٣ - المضية
عويمر بن صبحي	آل عيدة	٤ - الترف
عويمر بن صبحي	آل عيدة	٥ - الحساء
عويمر بن صبحي	آل عيدة	٦ - الفوقا
عويمر بن صبحي	آل عيدة	٧ - الحبط
عويمر بن صبحي	آل عيدة	٨ - شرافية
عويمر بن صبحي	آل عيدة	٩ - غزال
عويمر بن صبحي	آل عيدة	١٠ - الحرف - التهم
محمد بن شداد	آل حسن	١١ - النفعة
عائض بن عيضم	آل حسن	١٢ - المعجمان
حسين بن حسن	آل حسن	١٣ - آل جمعة
مقبول بن هومل	آل حسن	١٤ - الشعب
محمد بن جابر	آل محمد	١٥ - الشراء
محمد بن جابر	آل محمد	١٦ - الحرمين
محمد بن جابر	آل محمد	١٧ - الأجيل
محمد بن جابر	آل محمد	١٨ - وارك - تهم
مطر بن كرش	آل ساعد	١٩ - وادي العم

مطر بن كريش	آل ساعد	٢٠- راس حرجل
مطر بن كريش	آل ساعد	٢١- المقلب
مطر بن كريش	آل ساعد	٢٢- أسفل الحيط
مطر بن كريش	آل ساعد	٢٣- كبشان - تم
مسلم بن سليم	آل حرجل	٢٤- وادي حرجل
مسلم بن سليم	آل حرجل	٢٥- السلمة
حماد بن حميد	آل عايشة	٢٦- الشعبة
حماد بن حميد	آل عائشة	٢٧- السيل
حماد بن حميد	آل عائشة	٢٨- وحضة
حماد بن حميد	آل عائشة	٢٩- القفيف
عمار بن أحمد	آل حجة	٣٠- مطر
ضيف الله	آل حجة	٣١- الحسة
ضيف الله	آل حجة	٣٢- غراء العين
عبد الرحمن نويج	آل حجة	٣٣- الشقيات
حسين حسن الحجى	آل حجة	٣٤- شقراء العليا

٨- قرى الطلحات من قبيلة هذيل وفروعها في الشفا - غرب الطائف
بنحو ٢٥ كيلا .

علي جابر الطلحي	الطلحات	١ - المخابة
مرزوق سعيد	الطلحات	٢ - القامة
مرزوق سعيد	الطلحات	٣ - الحيط الأسفل
مرزوق سعيد	الطلحات	٤ - الحيط الأعلى

مرزوق سعيد	الطلحات	٥ - الحصن
مرزوق سعيد	الطلحات	٦ - الهدبا
علي بن مقبول	الطلحات	٧ - قاره
علي بن رجاء	الطلحات	٨ - المحدث
علي بن مقبول	الطلحات	٩ - مرثاق
مرزوق بن سعيد	الطلحات	١٠ - أخماس
علي بن جابر	الطلحات	١١ - خميس

٩- قرى الخلد^(١) من هذيل في الشفا ، تبعد عن الطائف نحو

٧٠ كيلا .

تويس	هذيل الخلد	١ - المحطة
تويس	هذيل الخلد	٢ - النظرة
تويس	هذيل الخلد	٣ - الغريف
تويس	هذيل الخلد	٤ - الصار
تويس	هذيل الخلد	٥ - شرقية
تويس	هذيل الخلد	٦ - غميرة
تويس	هذيل الخلد	٧ - الخشمة
تويس	تهم الخلد	٨ - العمار
تويس	تهم الخلد	٩ - الشعاب
تويس	تهم الخلد	١٠ - المخطر

(١) واحدم خالدى : وتقع قرى الخلد - في الشفا (السراة) على مسافة ٦٠ كيلا من

الطائف .

تهم الخلد	١١ - الشقرا
تهم الخلد	١٢ - البويرة
تهم الخلد	١٣ - العنات
هذيل الخلد	١٤ - البيضا
هذيل الخلد	١٥ - السمون
هذيل الخلد	١٦ - الحوايا
هذيل الخلد	١٧ - الشعب
تهم الخلد	١٨ - الغبيات

١٠ - قرى آل مناع والحبيدي والبقلة من هذيل تبعد عن الطائف بمسافة ٥٠ كيلا .

هذيل آل مناع	حميلج الزيداني	١ - الصلحة وصباحم
هذيل	حامد بن حسين الزيداني	٢ - آل حسين
هذيل	حميلج عبد الباقي	٣ - حميلج وإخوانه
هذيل	عالي بن علي	٤ - محمد بن نويل
هذيل	عالي بن علي	٥ - عالي بن علي
هذيل	عالي بن علي	٦ - خنفيص بن علي
هذيل	عالي بن علي	٧ - عبيد الله عبد الله
هذيل	عالي بن علي	٨ - الكهلان
هذيل	عالي بن علي	٩ - أحمد بن معيوف
هذيل	عالي بن علي	١٠ - عليان بن حمد وعالي
هذيل	عالي بن علي	١١ - الشعب الأمفل

عالي بن علي	هذيل	١٢ - الشعب الأعلى
عطية بن عودة	الحميدي	١٣ - وادي المضاحي
عطية بن عودة الحميدي	الحميدي	١٤ - رداد بن قطيس
عطية بن عودة الحميدي	الحميدي	١٥ - محمد بن عودة
عطية بن عودة الحميدي	الحميدي	١٦ - وادي الشرف
عطية بن عودة الحميدي	الحميدي	١٧ - الحنجور
عطية بن عودة الحميدي	الحميدي	١٨ - طف ثور
عطية بن عودة الحميدي	الحميدي	١٩ - الحجاج
عطية بن عودة الحميدي	الحميدي	٢٠ - المدفة
عطية بن عودة الحميدي	الحميدي	٢١ - القرارة
عطية بن عودة الحميدي	الحميدي	٢٢ - العرش
هذيل الحميدي طلحات عطية بن عودة الحميدي		٢٣ - الضباب
عطية بن عودة	هذيل الحميدي	٢٤ - الحدب
عطية بن عودة	هذيل الحميدي	٢٤ - الحدب
عطية بن عودة	هذيل الحميدي	٢٥ - اللحلة
عطية بن عودة	هذيل الحميدي	٢٦ - الشفاء
عطية بن عودة	هذيل الحميدي	٢٧ - كبشان
عطية بن هودة	هذيل الحميدي	٢٨ - أم رياح
عطية بن عودة	هذيل الحميدي	٢٩ - ذيب
عطية بن عودة	هذيل الحميدي	٣٠ - وادي الرحية
عطية بن عودة	هذيل الحميدي	٣١ - دحلة حمدان

١١- قري السوالم من هذيل في (الشفنا) مسافة ٦٥ كيلا عن

الطائف .

١ - الاسروعة	هذيل السوالمة	مطحس بن طاي
٢ - الخصيبان	هذيل السوالمة	مطحس بن طاي
٣ - ريع المحرم	هذيل السوالمة	مطحس بن طاي
٤ - شعار	هذيل السوالمة	مطحس بن طاي
٥ - وادي سبحان	هذيل السوالمة	مطحس بن طاي
٦ - الكوثر	هذيل السوالمة	مطحس بن طاي
٧ - الحذب	هذيل السوالمة	مطحس بن طاي
٨ - أعلف	هذيل السوالمة	أحمد محمد
٩ - معين يحيى	هذيل السوالمة	أحمد محمد
١٠ - قسيمة	هذيل السوالمة	أحمد محمد
١١ - عيضة بن مسلم	هذيل السوالمة	أحمد محمد
١٢ - قاس		هلال بن مرود
١٣ - شمسية		هلال بن مرود

١٢- قري هذيل : آل زيد (الشفنا) تبعد عن الطائف ٦٥ كيلاً .

١ - ريع المرزومة	هذيل من آل زيد	جمعان بن متعب
٢ - الشطي	هذيل من آل زيد	جمعان بن متعب
٣ - المجية الوسطى	هذيل من آل زيد	جمعان بن متعب
٤ - المجية العليا	هذيل من آل زيد	جمعان بن متعب
٥ - الطرطفة	هذيل من آل زيد	جمعان بن متعب

جمعان بن متعب	تهم - من آل زيد	٦ - الفصلة
جمعان بن متعب	تهم من آل زيد	٧ - المقلولي
جمعان بن متعب	تهم من آل زيد	٨ - المتمة
جمعان بن متعب	تهم من آل زيد	٩ - قنضح
جمعان بن متعب	تهم من آل زيد	١٠ - تملك
جمعان بن متعب	تهم من آل زيد	١١ - سعياء

١٣- قرى وادي السلامة ووادي المعدن تبعد عن الطائف بمسافة

٣٧ كيلاً .

معيض ملحان	الثبتة المراوحة	١ - العسيلة
معيض ملحان	الثبتة المراوحة	٢ - عباسة
معيض ملحان	الثبتة المراوحة	٣ - الخليف
معيض ملحان	الثبتة المراوحة	٤ - أم البكار
جويبر بن تركي	الثبتة المراوحة	٥ - الصور
جويبر بن تركي	الثبتة المراوحة	٦ - القملية
جويبر بن تركي	المعدن المراوحة	٧ - الحُفيرة
جويبر بن تركي	المعدن المراوحة	٨ - المزاحمة
جويبر بن تركي	المعدن المراوحة	٩ - الحمراء
جويبر بن تركي	المعدن المراوحة	١٠ - الفراش
جويبر بن تركي	المعدن المراوحة	١١ - حاقن الماء
جويبر بن تركي	المعدن المراوحة	١٢ - نماطية
جويبر بن تركي	المعدن المراوحة	١٣ - القرين
معيض بن ملحان	المراوحة	١٤ - اللحم

معيض بن ملحان	المقافشة من الثبته	١٥ - الموقعة
معيض بن ملحان	المقافشة من الثبته	١٦ - الشعب
معيض بن ملحان	المقافشة من الثبته	١٧ - الحضابير
معيض بن ملحان	المقافشة من الثبته	١٨ - العرقوب
معيض بن ملحان	المقافشة من الثبته	١٩ - المقرح
معيض بن ملحان	المقافشة من الثبته	٢٠ - القناة
معيض بن ملحان	المقافشة من الثبته	٢١ - آل خليف
معيض بن ملحان	المقافشة من الثبته	٢٢ - بقبيرة
معيض بن ملحان	المقافشة من الثبته	٢٣ - الريع
معيض بن ملحان	المقافشة من الثبته	٢٤ - عيم
معيض بن ملحان	المقافشة من الثبته	٢٥ - الحوطة
معيض بن ملحان	المقافشة من الثبته	٢٦ - ذى شريف
معيض بن ملحان	المقافشة	٢٧ - المراشدة
معيض بن ملحان	المقافشة	٢٨ - المثاقيب
معيض بن ملحان	المقافشة	٢٩ - ذوى على
معيض بن ملحان	المقافشة	٣٠ - الظهران
معيض بن ملحان	المقافشة	٣١ - وادى حماد
معيض بن ملحان	المقافشة	٣٢ - الرحيلان
معيض بن ملحان	المقافشة	٣٣ - أبو عراد
معيض بن ملحان	المقافشة	٣٤ - صخايط
معيض بن ملحان	المقافشة	٣٥ - الشويحطة
معيض بن ملحان	المقافشة	٣٦ - الرقمان

معيض بن ملحان	المقافشة	٣٧ - الجوازي
معيض بن ملحان	المقافشة	٣٨ - السلامين
معيض بن ملحان	المقافشة	٣٩ - السراحين
معيض بن ملحان	ثبته مقافشة	٤٠ - الجبله
معيض بن ملحان	ثبته مقافشة	٤١ - الروسان
معيض بن ملحان	ثبته مقافشة	٤٢ - النخلة
معيض بن ملحان	ثبته مقافشة	٤٣ - آل مقافشة
معيض بن ملحان	ثبته مقافشة	٤٤ - تنقيه
مستور مصلح	روقة	٤٥ - غرايه
مستور مصلح	ثبته روقه	٤٦ - المراعين
مستور مصلح	ثبته روقه	٤٧ - وقدان
مستور مصلح	ثبته روقه	٤٨ - المقضول
مستور مصلح	ثبته روقه	٤٩ - ابن صالح
مستور مصلح	ثبته روقه	٥٠ - آل حليف

١٤ - قرى وادى ثمالة تبعد عن الطائف بمسافة ٤٢ كيلا .

محمد بن عطا الله	ثمالة	١ - قرية الشيخ وادى من آل زايد
محمد بن عطا الله	ثمالة	٢ - الجبلد
محمد بن عطا الله	ثمالة	٣ - الثبته
محمد بن عطا الله	ثمالة	٤ - السبيل
محمد بن عطا الله	ثمالة	٥ - العراعر
محمد بن عطا الله	ثمالة	٦ - الدويش

محمد بن عطا الله	ثمالة	٧ - السيل
محمد بن عطا الله	ثمالة	٨ - غرو
محمد بن عطا الله	ثمالة	٩ - الشعبة
محمد بن عطا الله	ثمالة	١٠ - الضروة
محمد بن عطا الله	ثمالة	١١ - وادي النهاري
محمد بن عطا الله	ثمالة	١٢ - المدرسة
محمد عطا الله الثمالي	ثمالة	١٣ - الحايط
محمد عطا الله الثمالي	ثمالة	١٤ - السواعده
محمد عطا الله الثمالي	ثمالة	١٥ - الفرعة
محمد عطا الله الثمالي	ثمالة	١٦ - ابن سويلم
محمد عطا الله الثمالي	ثمالة	١٧ - بومندا
محمد عطا الله الثمالي	ثمالة	١٨ - العويجار
محمد عطا الله الثمالي	ثمالة	١٩ - الفقيه
محمد عطا الله الثمالي	ثمالة	٢٠ - العواء
محمد عطا الله الثمالي	ثمالة	٢١ - الحجلاء
محمد عطا الله الثمالي	ثمالة	٢٢ - المضيق
محمد عطا الله الثمالي	ثمالة	٢٣ - الشرق
محمد عطا الله الثمالي	ثمالة	٢٤ - حريشة
محمد عطا الله الثمالي	ثمالة	٢٥ - الدناس ونما
محمد بن عطا الله	ثمالة	٢٦ - الشرقي المسكران
عبيد الله بن عبد الله	ثمالة - الأسفل	٢٧ - المحدة
عبيد الله بن عبد الله	ثمالة الأسفل	٢٨ - بن عبد الله

٢٩ -	عبد اللطيف أبو رقيب	ثمالة الأسفل (٢)	عبيد الله بن عبد الله
٣٠ -	عبد الله ابن الشيخ	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٣١ -	الرفعة	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٣٢ -	الطيسار	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٣٣ -	الحشر	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٣٤ -	الرياش	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٣٥ -	الضباعين	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٣٦ -	السديرة	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٣٧ -	الجحادل	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٣٨ -	جلال الغسيرا	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٣٩ -	المراواه	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٤٠ -	الريع	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٤١ -	ابن سعيد	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٤٢ -	عيال مساعد	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٤٣ -	عيال محمد بن علي	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٤٤ -	الشطبة	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٤٥ -	عبد الله العرابي	عراب	عبيد الله بن عبد الله
٤٦ -	عبد المعين أبو شرين	شريف	عبيد الله بن عبد الله

١٥ - قرى وادي شُقَصَان : وادي شُقَصَان يقع جنوب الطائف ،
وسكانه الجُعْدَة - واحدهم جُعَيْدِي - من قبيلة عتيبة وأمير الجمدة
ساتر بن عُنَيْبِر الجُعَيْد ، وتقع قرية شُقَصَان على الطريق المعبد -
خط الأسفلت - المتجه إلى الجنوب من الطائف ، وتبعد عن الطائف

عما يقارب سبعين كيلاً ، ويحد بلاد الجمدة من الشمال وادي البتر
سكانه النفعة ، ومن الجنوب قرى قبيلة بني سعد ، ومن الشرق بادية
بني الحارث ، ومن الغرب بلاد السوطة :

صويلح معيش	ذبي ظفر	١ - شقصان
عمار الجميد	الناصر	٢ - شقصان
طلق بن عنيب	المضاب	٣ - شقصان
سعود بن مطلق	المصالحة	٤ - شقصان
طنف الجميد	الزواير	٥ - شقصان
ساتر بن عنيب	البرامين	٦ - شقصان
	المعاقل	٧ - شقصان
مزهو الجميد	المساعدة	٨ - شقصان
مستور بن شلهوب	المغانية	٩ - وادي العوصة
صالح بن خلف عنيب	الردادين	١٠ - الردادين

١٦ - قرى وادي كلاخ يبعد عن الطائف مسافة ٦٠ كيلاً .

مسعد بن رجاء	الحمية	١ - وادي كلاخ
مسعد بن رجاء	الحمية	٢ - أم الجلدية
مسعد بن رجاء	الحمية	٣ - المحيضية
مسعد بن رجاء	الحمية	٤ - أسفل الوادي
مسعد بن رجاء	الحمية	٥ - محسن بن فهد
مسعد بن رجاء	الحمية	٦ - فهد بن عيضة
مسعد بن رجاء	الحمية	٧ - عيضة بن مفلح
مسعد بن رجاء	الحمية	٨ - مضلة

خشم بن عابد	النفعة	٩ - القرصين
خشم بن عابد	النفعة	١٠ - مسلم
خشم بن عابد	النفعة	١١ - الهريشة
خشم بن عابد	النفعة	١٢ - الشعابين
خشم بن عابد	النفعة	١٣ - الغولة
خشم بن عابد	نفعة	١٤ - التهول
حويشان	نفعة	١٥ - الصفيان
خشم بن عابد	نفعة	١٦ - الفجالين
ابن حاسن	نفعة	١٧ - النخشة
مسعد بن رجاء	الحمية	١٨ - ذى جبر
ابن حاسن	النفعة	١٩ - عيسان

١٧ - قبيلة بني سعد ، في جنوب الطائف بنحو ١٣٠ كيلاً .

عواض بن حمدان	السلاقة	١ - مركز الصحن
خضر بن مطر	خليد	٢ - الدار الحمراء
خضر بن مطر	خليد	٣ - دار العرق
خضر بن مطر	خليد	٤ - الكسحة
خضر بن مطر	خليد	٥ - البصلان
خضر بن مطر	خليد	٦ - اليعاقب
خضر بن مطر	خليد	٧ - الغلایا
خضر بن مطر	خليد	٨ - المغاورة
خضر بن مطر	خليد	٩ - عريم
خضر بن مطر	خليد	١٠ - الصفاة

خضير بن مطر	خليد	١١ - القاع
خضير بن مطر	خليد	١٢ - الضجة
خضير بن مطر	خليد	١٣ - الأوقر
خضير بن مطر	خليد	١٤ - قلبين المقر
خضير بن مطر	خليد	١٥ - طماح
خضير بن مطر	خليد	١٦ - النيراع
خضير بن مطر	خليد	١٧ - الغريف
خضير بن مطر	خليد	١٨ - غنام
حمود اليامي	السيابل	١٩ - الحشاشة
حمود اليامي	السيابل	٢٠ - الملاقة
حمود اليامي	السيابل	٢١ - القراب
حمود اليامي	السيابل	٢٢ - الرصفة
حمود اليامي	السيابل	٢٣ - الصور
حمود اليامي	السيابل	٢٤ - الزرية
حمود اليامي	السيابل	٢٥ - الحماطات
عوض الله بن حمدان	السلافا	٢٦ - الصحن
عوض الله بن حمدان		٢٧ - الحضابير
عوض الله بن حمدان		٢٨ - المحلة
عوض الله بن حمدان		٢٩ - الخربة
عوض الله بن حمدان		٣٠ - المضية
عوض الله بن حمدان		٣١ - الشقة
عوض الله بن حمدان		٣٧ - التحيض

عوض الله بن حمدان		٣٣ - البركة
عوض الله بن حمدان		٣٤ - النبحة
عوض الله بن حمدان		٣٥ - القرين
صالح بن رداد		٣٦ - الزمان
صالح بن رداد		٣٧ - الترقش
عبد الله بن مقبول	الذبيانية	٣٨ - الذبيانية
عبد الله بن مقبول	الذبيانية	٣٩ - الرديفة
حسني أبو العون	الجرادحة	٤٠ - دار العطا
حسني أبو العون	الجرادحة	٤١ - الجمالين
حسني أبو العون	الجرادحة	٤٢ - الشقيات
حسني أبو العون	الجرادحة	٤٣ - الهدق
حسني أبو العون	الجرادحة	٤٤ - الطفلان
حسني أبو العون	الجرادحة	٤٥ - الشعيراء
	خليد وربيح	٤٦ - الغنمة
حسني أبو العون	الجرادحة	٤٧ - المضم
حسني أبو العون	الجرادحة	٤٨ - الجرادحة
حسني أبو العون	الجرادحة	٤٩ - العضية
حسني أبو العون	الجرادحة	٥٠ - الخوقاه
حسني أبو العون	الجرادحة	٥١ - الحميدى
		٥٢ - الخيف
عوض أبو ركبته	جداره	٥٣ - الثعارين
عوض أبو ركبته	جداره	٥٤ - القلدران

عوض أبو ربيعة	جداره	٥٥ - منيفة
عوض أبو ربيعة	جداره	٥٦ - سواس
عوض أبو ربيعة	جداره	٥٧ - أم سغن
عواض بن مقبل		٥٨ - الحوما
عواض بن مقبل		٥٩ - ذنيب الرحاء
عواض بن مقبل		٦٠ - الضباعين
عواض بن مقبل		٦١ - اطلع
عواض بن مقبل		٦٢ - مخلد
عواض بن مقبل		٦٣ - لغب ذي عطية
عواض بن مقبل		٦٤ - المضافرة
عواض بن مقبل		٦٥ - الحذب
عواض بن مقبل		٦٦ - البراريق
عواض بن مقبل		٦٧ - الشروط
عواض بن مقبل		٦٨ - الدهاميش
عواض بن مقبل		٦٩ - المحارث
عواض بن مقبل		٧٠ - البراق
عبيضة بن مستور		٧١ - العيس
عبيضة بن مستور		٧٢ - العكان
		٧٣ - الشهبة
عواض بن سالم	الشهبة	٧٤ - العوصة
عواض بن سالم	الشهبة	٧٥ - العروشية
عواض بن سالم	الشهبة	٧٦ - المقراة

عواض بن سالم	الشهبة	٧٧ - شعبة
عبد الله بن وخیل	الدوبيات	٧٨ - الصبحة
عبد الله بن وخیل	الدوبيات	٧٩ - المدير
عبد الله بن وخیل	الدوبيات	٨٠ - القُریع
عبد الله بن وخیل	الدوبيات	٨١ - اللحيان
عبد الله بن وخیل	الدوبيات	٨٢ - العقبة
عبد الله بن وخیل	الدوبيات	٨٣ - أخفاش
عبد الله بن وخیل	الدوبيات	٨٤ - صعبة
عبد الله بن وخیل	الدوبيات	٨٥ - الدهاسين
عبد الله بن وخیل	الدوبيات	٨٦ - المياشا
عبد الله بن وخیل	الدوبيات	٨٧ - المناصير
عبد الله بن وخیل	الدوبيات	٨٨ - الزعيب
عوض الله بن عویض	المناجيم	٨٩ - الدار الحمراء
عوض الله بن عویض	المناجيم	٩٠ - القصر
عوض الله بن عویض	المناجيم	٩١ - العیة
عوض الله بن عویض	المناجيم	٩٢ - ثاتف
عوض الله بن عویض	المناجيم	٩٣ - الشدالمة
عوض الله بن عویض	المناجيم	٩٤ - العلاوين
عوض الله بن عویض	المناجيم	٩٥ - الثنية
عوض الله بن عویض	المناجيم	٩٦ - الفقهاء
عوض الله بن عویض	المناجيم	٩٧ - ملح
عواض بن صویلح	الزود	٩٨ - الحليب

عواض بن صويلح	الزود	٩٩ - ابن عاصم
عواض بن صويلح	الزود	١٠٠ - الحبية
عواض بن صويلح	الزود	١٠١ - الطماحين
عواض بن صويلح	الزود	١٠٢ - القحوم
عواض بن صويلح	الزود	١٠٣ - المطيرية
عواض بن صويلح	الزود	١٠٤ - الدومة
عواض بن صويلح	الزود	١٠٥ - أهل حرث
عواض بن صويلح	أهل صلاء	١٠٦ - القحوم
عواض بن صويلح		١٠٧ - الفقهاء
عواض بن صويلح		١٠٨ - المخيطين
عواض بن صويلح		١٠٩ - شعب الشام
عواض بن صويلح		١١٠ - غليفة
عواض بن صويلح		١١١ - الخراجة
عواض بن صويلح		١١٢ - ابن قحضان
عواض بن صويلح		١١٢ - الشنقان
عواض بن صويلح		١١٤ - عبادل
عواض بن صويلح		١١٥ - النجيات
عواض بن صويلح		١١٦ - الكلحيت
عواض بن صويلح		١١٧ - العبادي
عواض بن صويلح		١١٨ - الضاع
نجم بن عمير الحصيني	الحصنة	١١٩ - جبرتش
نجم بن عمير الحصيني	الحصنة	١٢٠ - صلاء

		١٢١ - دفاف
حامد ابن العكش		١٢٢ - ابن عقيل
حامد ابن العكش		١٢٣ - النبيين
حامد ابن العكش		١٢٤ - العقيب
خضر بن مطر		١٢٥ - مرزوق
خضر بن مطر		١٢٦ - الشعبة
عوض أبو ركبة	جداره	١٢٧ - المحاسنة
عوض أبو ركبة	جداره	١٢٨ - القهب

١٨- قرى ثقيف ترعة ، في الجنوب الشرقي من الطائف تبعد عن الطائف بمسافة ١٧٠ كيلاً .

محمد بن ذياب	بني جاهر	١ - المقلة
محمد بن ذياب	ثقيف	٢ - الأحلاف
		٣ - الجهرة
محمد بن ذياب	بني جاهل	٤ - المقرش
محمد بن ذياب	بني جاهل	٥ - مدغل
محمد بن ذياب	بني جاهل	٦ - الخلص
محمد بن ذياب	بني جاهل	٧ - الشطبات
محمد بن ذياب	بني جاهل	٨ - الجيل
		٩ - العشم الريل
		١٠ - السورة
عبد العزيز بن رابع		١١ - موال تهامة
		١٢ - الحويطة

		١٣ - رتا
		١٤ - الرمطة
		١٥ - بككة؟
		١٦ - طدا
		١٧ - الظهره
		١٨ - النبع
سلطان بن حامد	آل محمد ثقيف	١٩ - البمام
		٢٠ - العمار
سلطان بن حامد	آل محمد ثقيف	٢١ - المحوط
		٢٢ - آل عامر
سلطان بن حامد	آل محمد ثقيف	٢٣ - عبدانة
		٢٤ - العريش
عبد المعين بن عطية	بني يوسف	٢٥ - المجاردة
		٢٦ - الأشراف
		٢٧ - العكرش
		٢٨ - الفرعين
		٢٩ - صراو
عبد المعين البنح	بني يوسف	٣٠ - الوحشة
عبد المعين البنح	بني يوسف	٣١ - المجردة
وخيل بن شلاع	آل يرده	٣٢ - الشرمان
وخيل بن شلاع	اليرده	٣٣ - الشياعين
		٣٤ - الحنادين
		٣٥ - سويل
		٣٦ - المدامة

١٩ - قري بني الحارث جنوب الطائف بنحو ١٧٠ كمياً (وادي ميسان) .

- | | | |
|---------------------|--------------------|------------------|
| ١ - ميسان | المركز لبني الحارث | |
| ٢ - الهيفلة | اليزيد | عبد الله بن هلال |
| ٣ - اليزيد | | |
| ٤ - العرق | آل يزيد آل موسى | سعد القريح |
| ٥ - الصور | اليزيد | سعد القريح |
| ٦ - أبو حزام | | |
| ٧ - الحدة | | |
| ٨ - النقين | | |
| ٩ - دجرة | | |
| ١٠ - البوايت | | |
| ١١ - أم السعود | | شعف بن هديان |
| ١٢ - البصيرة | | علي بن سراج |
| ١٣ - المرثين النساخ | | |
| ١٤ - العرقوب | | |
| ١٥ - الجردة | الشايع | علي بن سراج |
| ١٦ - الحيد الصعدة | | حمدان بن عيضة |
| ١٧ - جوبة | الزبدة | علي أبو عليّة |
| ١٨ - مغث | | |
| ١٩ - النحيلات | الزبدة | علي أبو عليّة |
| ٢٠ - وادي رسب | | |

		٢١- القوفة
		٢٢- حضة
علي بن سراج	المشايع	٢٣- شويحط
		٢٤- الظهرة
		٢٥- سكيه
عبد العال العجلط	آل حسين	٢٦- البوامة
		٢٧- الشرا
عبد العال العجلط	آل حسن آل موسى	٢٨- العجالطة
عبد العال العجلط	آل حسن آل موسى	٢٩- مرتد
عبد العال العجلط	آل حسن آل موسى	٣٠- السوادين
		٣١- النبع
		٣٢- ريشان
مسعود بن مصري	النوافلة	٣٣- الدعجا
		٣٤- اللبيان
مسعود بن مصري	النوافلة	٣٥- الوهاشة
مسعود بن مصري	النوافلة	٣٦- الفرعة
مسعود بن مصري	النوافلة	٣٧- الودحة
مسعود بن مصري	النوافلة	٣٨- العلى
عيضة بن غزال	بنى كريم	٣٩- العطاء
		٤٠- الدار البيضاء
أحمد بن جرادي	المملة	٤١- قريش

		٤٢ - وادی الخواضین
بنی کریم	بنی کریم	٤٣ - الشہاء
بنی کریم	بنی کریم	٤٤ - الوصیفة
عیضہ بن غزال	بنی کریم	٤٥ - الناضج
		٤٦ - قریش الجناب
		٤٧ - الدحل
		٤٨ - الخلیل
		٤٩ - النہری
بنی کریم	بنی کریم	٥٠ - الصخرہ
بنی کریم	بنی کریم	٥١ - بیضان
		٥٢ - رضوان
أحمد بن جرادی	الہملہ	٥٣ - الحراء
أحمد بن جرادی	الہملہ	٥٤ - الککۃ
أحمد بن جرادی	الہملہ	٥٥ - الکوت
		٥٦ - قرقفہ
		٥٧ - ظفر
		٥٨ - السنید
		٥٩ - العضیلہ
أحمد بن عیضہ	الحنشہ	٦٠ - غیاض
		٦١ - الصحن
		٦٢ - النارشان
أحمد بن عیضہ	الحنشہ	٦٣ - القطمان

أحمد بن عيضة

الحنشة

علي أبو عليّة

الزبدلة

علي أبو عليّة

الزبدلة

علي أبو عليّة

الزبدلة

عواض بن عتيزان

الشباشبة

عواض بن عتيزان

الشباشبة

حامد بن فالح

سعيد بن عيضة

٦٤ - السفيه

٦٥ - أقرة

٦٦ - السدره

٦٧ - المكره

٦٨ - بدر حو تهامة ؟

٦٩ - زريق

٧٠ - المثناة

٧١ - القرعة

٧٢ - العضاء

٧٣ - راس الريع

٧٤ - البيضا

٧٥ - الطلوح

٧٦ - الرسة

٧٧ - الشباشبة

٧٨ - الفقهاء

٧٩ - ذهبة

٨٠ - وادي العصب

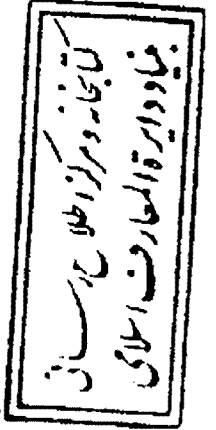
٨١ - الحناة

٨٢ - وادي خِراء

٨٣ - البقسان

٨٤ - كئنة

٨٥ - صعبة



عائض بن عبادى

العميرات

٨٦ - مشرق

٨٧ - وادى فريج

٨٨ - المخالدة

٨٩ - الورضة

٩٠ - ثعاب قدار

آل محمد

٩١ - آل محمد

السواهرة

٩٢ - الخضراء

السواهرة

٩٣ - الثغرة

٩٤ - الأشرق

٩٥ - ذى حمام

٩٦ - البزة

عبد الرحمن بن زايد

سعيد الحنفي

آل عبد الله

٩٧ - آل عبد الله

٩٨ - الكسفة

مبارك بن سليم

٩٩ - أنيسام

محيسن بن حسن

آل عبد الله

١٠٠ - أم على

محيسن بن حسن

آل عبد الله

١٠١ - سعة

عزيز بن مقبل

آل شداد

١٠٢ - مروة

رزق الله بن مشيط

العبد

١٠٣ - ابن محسن

حميد بن حمدان

١٠٤ - بادية

حمدان بن سمران

الصدعة

١٠٥ - الصدعة

عيضة بن معيض

البلاهدة

١٠٦ - كتيبة

عيضة بن معيض

البلاهدة

١٠٧ - كتنة

عواض بن عتيزان	الشباشبة	١٠٨ - الجعث
عايض بن عبادي	العميرات	١٠٩ - السقاف
عايض بن عبادي	العميرات	١١٠ - أم دار
عايض بن عبادي	العميرات	١١١ - المورخة
عايض بن عبادي	العميرات	١١٢ - مشرق
حامد بن فالح	الحفصاة	١١٣ - الفيسان
ضيف الله بن طوير	السواهرة	١١٤ - خراف
محمد بن عودة	آل عبد الله	١١٥ - الضبيعة
عواض بن مخضور	آل محمد بنيوس	١١٦ - التحم
عواض بن مخضور	آل محمد بنيوس	١١٧ - مقرض
عواض بن مخضور	آل محمد بنيوس	١١٨ - العميق
عواض بن مخضور	آل محمد بنيوس	١١٩ - مرمية
سليمان أبو قبصة	الحلصة	١٢٠ - النمصة
سليمان أبو قبصة	الحلصة	١٢١ - الكرش
سليمان أبو قبصة	الحلصة	١٢٢ - المشافية
سليمان أبو قبصة	الحلصة	١٢٣ - الحريرة

٢٠ - قرى بني الحارث في وادي (أبوراقة) جنوب الطائف بنحو
١٥٠ كيلاً.

١ - أبوراكة الحارثية

٢ - قباء

٣ - الخمرة

٤ - بواء

٥ - غزاييل

٦ - ضراء

٧ - أم الحبيطاء

٢١ - قرى قبيلة بني مالك ، وبلادها في السراة (حداد) جنوب الطائف بنحو ١٨٠ كيلاً .

- | | | |
|-------------------|----------|-------------------|
| ١ - بني مالك حداد | بنو مالك | محمد بن الحسن |
| ٢ - صيادة | بنو مالك | زايد بن شميلان |
| ٣ - السلامين | بنو مالك | عبد الملك بن عيضة |
| ٤ - السراحين | بنو مالك | عبد الملك بن عيضة |
| ٥ - الشرمة | بنو مالك | عبد الملك بن عيضة |
| ٦ - عيال | بنو مالك | |
| ٧ - عديلة | بنو مالك | |
| ٨ - بويهب | بنو مالك | |
| ٩ - الهمري | بنو مالك | |
| ١٠ - العظيمة | بنو مالك | الحسين بن غليون |
| ١١ - الخالة | بنو مالك | |
| ١٢ - بني راضي | بنو مالك | |
| ١٣ - نناء | بنو مالك | |
| ١٤ - بني رباح | بنو مالك | |
| ١٥ - القضاة | بنو مالك | محمد ابن الحسن |
| ١٦ - الرافع | بنو مالك | محمد ابن الحسن |

	بنو مالك	١٧ - الإمارة
	بنو مالك	١٨ - الحشان
	بنو مالك	١٩ - المحارزة
يحيى بن خلف	بنو مالك	٢٠ - القذاراة
يحيى بن خلف	بنو مالك	٢١ - الصمان
يحيى بن خلف	بنو مالك	٢٢ - العمشان
	بنو مالك	٢٣ - القرى
يحيى بن خلف	بنو مالك	٢٤ - قرية القلطة
	بنو مالك	٢٥ - بنى ناصر
	بنو مالك	٢٦ - الثائيف
صالح أبو غرارة	بنو مالك	٢٧ - الدبوس
صالح أبو غرارة	بنو مالك	٢٨ - الوعير
صالح أبو غرارة	بنو مالك	٢٩ - الحلاة
	بنو مالك	٣٠ - المينة
	بنو مالك	٣١ - الفضيل
محمد ابن الحسن	بنو مالك	٣٢ - الحصبة
محمد ابن الحسن	بنو مالك	٣٣ - الحجلة
محمد ابن الحسن	بنو مالك	٣٤ - الحميان
	بنو مالك	٣٥ - قعرة
	بنو مالك	٣٦ - الصراغة
	بنو مالك	٣٧ - الجهالين
	بنو مالك	٣٨ - بنى سعود

	بنو مالك	العضدة	٣٩
حامد بن فرج	بنو مالك	راوان	٤٠
	بنو مالك	ابن المسود	٤١
	بنو مالك	الحمه	٤٢
الحسين بن غليون	بنو مالك	الحسناء	٤٣
	بنو مالك	العميرة	٤٤
	بنو مالك	الرزقة	٤٥
	بنو مالك	قرية المواره	٤٦
معتوق بن ساعد	بنو مالك	الرواجح	٤٧
معتوق بن ساعد	بنو مالك	الحضن	٤٨
معتوق بن ساعد	بنو مالك	عويرة	٤٩
	بنو مالك	الجباهين	٥٠
	بنو مالك	آل خلف الله	٥١
معتوق بن ساعد	بنو مالك	الخيم	٥٢
معتوق بن ساعد	بنو مالك	شريان	٥٣
	بنو مالك	المصانع	٥٤
صالح بن زقم	بنو مالك	البيضا	٥٥
صالح بن زقم	بنو مالك	الضبيعة	٥٦
	بنو مالك	الخدمة	٥٧
صالح بن زقم	بنو مالك	الطرف	٥٨
صالح بن زقم	بنو مالك	حديد	٥٩

محمد الحسن	بنو مالك	٦٠ - أبو شايق
محمد الحسن	بنو مالك	٦١ - المهاوية
محمد الحسن	بنو مالك	٦٢ - الشعاتير
محمد الحسن	بنو مالك	٦٣ - اليعاسيب
محمد الحسن	بنو مالك	٦٤ - خيرين
محمد الحسن	بنو مالك	٦٥ - الهملة
يحيى بن خلف	بنو مالك	٦٦ - الملححة
	بنو مالك	٦٧ - المداره
	بنو مالك	٦٨ - الغزيبية
يحيى بن خلف	بنو مالك	٦٩ - الشطفة
	بنو مالك	٧٠ - بني محارب
الحسين بن غلبون	بنو مالك	٧١ - الشولان
	بنو مالك	٧٢ - شعب العبدان
محمد ابن الحسن	بنو مالك	٧٣ - الموارقة
محمد ابن الحسن	بنو مالك	٧٤ - الأخيئاب
	بنو مالك	٧٥ - الخدمة
محمد ابن الحسن	بنو مالك	٧٦ - المساتير
	بنو مالك	٧٧ - أبو شايق
	بنو مالك	٧٨ - الشريه
	بنو مالك	٧٩ - الدنامه
معتوق بن ساعد	بنو مالك	٨٠ - الفضلة
محمد ابن الحسن	بنو مالك	٨١ - الحضار

صالح بن زاحم	بنو مالك	٨٢ - سبان
يحيى بن خلف	بنو مالك	٨٣ - الغزبية (٩)
يحيى بن خلف	بنو مالك	٨٤ - الفرعة
	بنو مالك	٨٥ - القهب
محمد ابن الحسن	بني عبد الله	٨٦ - الطواغة
محمد ابن الحسن	بني عبد الله	٨٧ - المقدة
محمد ابن الحسن	بني عبد الله	٨٨ - المتوارقة
محمد ابن الحسن	بني عبد الله	٨٩ - الراح
محمد ابن الحسن	بني عبد الله	٩٠ - التومة
محمد ابن الحسن	بني عبد الله	٩١ - المشهق
محمد ابن الحسن	بنو عبد الله	٩٢ - خيرين
محمد ابن الحسن	بنو عبد الله	٩٣ - الأخيبار
محمد ابن الحسن	بنو عبد الله	٩٤ - الدشاما
عائض بن زوير	المهالين	٩٥ - المزاريع
عائض بن زوير	المهالين	٩٦ - السمحة
صالح أبو غرارة	البناة	٩٧ - البناة
صالح أبو غرارة	البناة	٩٨ - النفلة
صالح أبو غرارة	البنات أبا القصيم	٩٩ - الشطابية
صالح أبو غرارة	البنات أبا القصيم	١٠٠ - أبو سكن
يحيى بن خلف	بنو دهيس	١٠١ - القريع
يحيى بن خلف	بنو دهيس	١٠٢ - المغصرة
يحيى بن خلف	بنو دهيس	١٠٣ - اللحمة

يحيى بن خلف	بنو دهيس	١٠٤ - القراء
يحيى بن خلف	بنو دهيس	١٠٥ - الهولة
يحيى بن خلف	بنو دهيس	١٠٦ - الأحامرة
يحيى بن خلف	بنو دهيس	١٠٧ - السنوان
الحسين بن غليون	أبا المجلس	١٠٨ - فاعي
عوض الزيس	الوهباء	١٠٩ - أبو هيباء العليا
عوض الزيس	الوهباء	١١٠ - أبو هيباء السفلى

٢٢ - قرى بلاد بني مالك (القريرع) تبعد عن الطائف بمسافة ٢٢٠ كيلاً.

عطية بن هادي	بني مالك	١ - القريرع
عطية بن سعيد	بني مالك	٢ - الزيرة
	بني مالك	٣ - الحنانة
	بني مالك	٤ - ابن شداد
	بني مالك	٥ - الغلمة
عطية بن سعيد	بني مالك	٦ - الدارين
	بني مالك	٧ - القصرة
عتيق بن صلاح	بني مالك	٨ - الحمدة
عطية بن هادي	بني مالك	٩ - ابن هادي
	بني مالك	١٠ - الدعاجلة
عطية بن هادي	بني مالك	١١ - ابن هيف
عطية بوطلايب	بني مالك	١٢ - قريش عروة
مطلق بن حزام	بني مالك	١٣ - الوهشة
	بني مالك	١٤ - المغالبة

عَمَانِي بن زَاهِي	بني مالك	١٥ - الحدب
مساعد بن سراج	بني مالك	١٦ - فريضة
صالح بن شداد	بني مالك	١٧ - العبلة
	بني مالك	١٨ - غمام
		١٩ - العتم
	بني مالك	٢٠ - المقلع
	بني مالك	٢١ - الحفرة
عطية بوطلايب	بني مالك	٢٢ - ناجي الهزاع
عطية بوطلايب	بني مالك	٢٣ - البلال
	بني مالك	٢٤ - أبوطلايب
عطية بوطلايب	بني مالك	٢٥ - الملد
محمد بن ناصر	بني مالك	٢٦ - القساع
	بني مالك	٢٧ - المصفاة
	بني مالك	٢٨ - اليمنة
	بني مالك	٢٩ - عوبا
	بني مالك	٣٠ - القرى
مطلق ابن قحيص	بني مالك	٣١ - الزريبة
مطلق ابن قحيص	بني مالك	٣٢ - عبده
مطلق ابن قحيص	بني مالك	٣٣ - العدول
مساعد بن سراج	بني مالك	٣٤ - قملان
	بني مالك	٣٥ - بني عامر
	بني مالك	٣٦ - صفا

مطلق بن قحيص	بني مالك	٣٧ - القحصة
محمد بن ناصر	بني مالك	٣٨ - المحامدة
	بني مالك	٣٩ - البو
مطلق ابن قحيص	بني مالك	٤٠ - السعدة
مطلق ابن قحيص	بني مالك	٤١ - عضداه
مطلق ابن قحيص	بني مالك	٤٢ - الأخلاف
	بني مالك	٤٣ - السلاطين
عتيق بن صلاح	بني مالك	٤٤ - القاضي
	بني مالك	٤٥ - الغبيش
	بني مالك	٤٦ - بني عيلة
	بني مالك	٤٧ - وقوفة
	بني مالك	٤٨ - كبلة
مطلق بن حزام	بني مالك	٤٩ - ود
مطلق بن حزام	بني مالك	٥٠ - رحشا
	بني مالك	٥١ - الصفا
	بني مالك	٥٢ - ابن بلال
عتيق بن صلاح	بني مالك	٥٣ - الحجره
عبد الله جاد الله	بني مالك	٥٤ - العازب
عبد الله جاد الله	بني عبد الله	٥٥ - اليريث
عبد الله جاد الله	بني عبد الله	٥٦ - آل عازب
عبد الله جاد الله	بني عبد الله	٥٧ - المعاصر

عبد الله جاد الله	بني عبد الله	٥٨ - القطورة
عبد الله جاد الله	بني عبد الله	٥٩ - آل جامع
عبد الله جاد الله	بني عبد الله	٦٠ - الزهرة
عبد الله جاد الله	بني عبد الله	٦١ - الربيعة
عبد الله جاد الله	بني عبد الله	٦٢ - الصخيرة
عبد الله جاد الله	بني عبد الله	٦٣ - القرن
	العصمان	٦٤ - آل ظافر
خميس بن مفلح	العصمان	٦٥ - العيين

٢٣ - قرى عشيرة ، شمال شرق الطائف بنحو ٦٠ كيلاً .

١ - عَشِيرَة المقطة

٢ - هجرة بني عديس الشياطين

٣ - العَيِينَة الجمعة

٤ - الزينة قريش

٥ - القرشية قريش

٦ - رضوان علوان

٧ - هجرة المقطة المقطة

٢٤ - قرى السيل الكبير تبعد بمسافة ٥٠ كيلاً عن الطائف .

١ - السيل الكبير الثبته

٢ - الشربية

٣ - الضمير

٤ - الشقرة والموج

٥ - النخل

- ٦ - الملاح
- ٧ - الودينة
- ٨ - الغروب
- ٩ - الجوازي
- ١٠ - محضة

٢٥- قرية السيل الصغير تبعد بمسافة ٢٨ كيلاً عن الطائف .

١ - السيل الصغير القشة

٢٦- قرى تربة :

بلدة تربة البقوم تقع في الجهة الشرقية عن مدينة الطائف وتبعد عنها بمسافة ١٣٥ كيلاً والطرق الموصلة إليها صحراوية غير مسفلتة وبها الدوائر الحكومية ماعدا الشرطة والجوازات كما يوجد بها مدارس ابتدائية للبنين وللبنات ومدرسة متوسطة للبنين ، وبها مركز تنمية اجتماعية وتكثر بها المزارع كما يوجد بها قبائل البقوم من البادية الرحل .

البقوم

- ١ - تربة
- ٢ - العلابيا
- ٣ - كرا
- ٤ - الوطاة
- ٥ - الحشرج
- ٦ - حصان تركي
- ٧ - العرقين
- ٨ - العصلة

- ٩ - شعر
- ١٠ - ذواعر
- ١١ - القويعة
- ١٢ - الثغير
- ١٣ - المحيجر
- ١٤ - اللبد
- ١٥ - مسيعة
- ١٦ - عطف المعجر
- ١٧ - اليابسة
- ١٨ - العصية

٢٧- قرى بلدة الخرمة ، شرق الطائف بنحو ١٥٠ كيلاً .

- | | | |
|------|------------------|------------|
| | ١ - الخرمة | بني ثور |
| | ٢ - الهجرة | القرشان |
| سبيع | ٣ - حوقان | الصلاة |
| سبيع | ٤ - الجرف | بني عمر |
| | ٥ - الدغمية | الأشراف |
| | ٦ - الوطاة | |
| | ٧ - السلمية | |
| | ٨ - أبو جميزة | |
| | ٩ - الدبيلة | أهل القصيم |
| | ١٠ - الحرف وجبار | |
| | ١١ - الغريف | |

- ١٢ - الخرابية
- ١٣ - البريكة
- ١٤ - الزرب
- ١٥ - اللوارة
- ١٦ - الجراديات
- ١٧ - الحجرة
- ١٨ - المهدي
- ١٩ - الحزم
- ٢٠ - الوريقت (الأريقت)
- ٢١ - الحريق
- ٢٢ - اللوبات
- ٢٣ - أم القصور
- ٢٤ - البرقة
- ٢٥ - الميزيلة
- ٢٨ - قرى المويه :

قرية المويه في الشمال الشرقي عن مدينة الطائف وعلى بعد مسافة ٢٥٠ كيلاً من الطائف بطريق الرياض منها مسافة ١٩٠ كيلاً معبد أسفلت، و ٦٥ كيلاً طريق صحراوي حيث توجد القرية التي بها مقر الإمارة وبقية المصالح الحكومية أما التي على خط الأسفلت فهي قرية المحازة أو (المويه الجديدة) حيث يوجد في قرية المحازة مركز الشرطة لمراقبة حركة السيارات وإجراء التحقيق في الحوادث التي تقع بطريق الرياض ويتبع المويه قرى وهجر للبادية .

المويه	١ -
المحازة	٢ -
المسيح	٣ -
البيادية	٤ -
بادرية	٥ -
هداء	٦ -
الدعكة	٧ -
النويب	٨ -
الصغيرة	٩ -
الحضر (كشب)	١٠ -
المورثة	
السمره	١١ -
المهادية	١٢ -
العضيان	١٣ -
	١٤ - أم النّوم
	١٧ - دُغْبِيْجَة
	١٨ - قطان

٢٩- ظلم : تقع قَرْيَةٌ ظَلَمَ على طريق الرياض من الطائف ، وتبعد عن الطائف ٢٧٥ كيلاً وَمَنْجَم ظلم - معدن الذهب - أصبح مهجوراً ، وسكان منطقة ظلم خليط من قبائل النُّفَعَة والرُّوْقَة والمُقَطَّعَة والبُقُوم وسُبَيْع والشَّلَاوِي .

حَسْنُ الْقِرَى فِي أوديةِ أُمِّ الْقِرَى

في بحث الدكتور حسن أحمد محمود عن (التهديد البرتغالي لسواحل الجزيرة) المنشور في مجلة « العرب » - س ١٢ ص ٦٠٤ - إشارة إلى كتاب لابن فهد هو « حَسْنُ الْقِرَى ، في أوديةِ أُمِّ الْقِرَى » فهل من معلومات وافية عن هذا الكتاب ؟ .

مكة المكرمة - جامعة الملك عبدالعزيز - حسين أحمد

العرب :

هذا الكتاب تحدث عنه المستشرق الانجليزي سرجنت (R, B. SERJENT) في بحث نشره باللغة الانجليزية ^(١) ، عنه وعن كتاب « النسبة إلى البلدان » للقاضي الطيب بن عبدالله بن عمر بامخرمة ، وكل ما نعرف عن ذلك الكتاب هو ما نلخصه مما كتبه سرجنت عنه .
لقد ذكر أن من هذا الكتاب مخطوطة في مكتبة (السهل) في بلدة تريم في حضرموت ، صُوِّرت بواسطة السيد بن حسين بن عبدالقادر وحمزه آل يحيى ، والنسخة المصورة الآن في مكتبة (SOAS) .
وتقع النسخة في ٢٥ ورقة - منها صفحة لعنوان الكتاب ، وأشياء إلى أن النسخة مخرومة الآخر ، وقدر النقص بصفحة أو صفحتين ، وأن في الصفحة ٢٣ سطرأ - وأنها كتبت سنة ٩٤٧ - قبل وفاة المؤلف

Two Sixteenth Century Arabian Geographical Works, (١)

ب سبع سنين ^(١) ، وقد تكون بخط المؤلف ، كما تُشير إلى ذلك إضافات في الهوامش ، لعله كان ينوي إضافتها إلى الأصل عند إعادة كتابته .

ومصادر المؤلف هي - كما ذكر سرجنت - : ابن خرداذبة ، وابن جُبَيْر ، وياقوت الحموي في كتابه « المشترك » وأبواسحاق في « المهذب » والنووي في « الروضة » و « النهاية » لابن الأثير و « الضوء اللامع » للسخاوي والأزرقي ، وابن الفقيه و « شفاء الغرام » للقساسي . كما رجع إلى مؤلفات جده عمر بن فهد المكي مثل كتاب « الدر الكمين » بذيل العقد الثمين » وكتابه عن جده الذي ذكر بروكلمان وجود نسختين منه في أوربة ، ولابن فهد الجد مؤلف عن عكاظ هو : « كتاب الانعاظ لما ورد في سوق عكاظ » .

وأشار ابن فهد إلى مؤلف عن جده - ولكنه لم يره - « هو تنسم الزهر المائوس ، عن ثغر جده المحروس » لمحمد بن يعقوب المالكي . وأشار إلى رسالة الميورقي : « بهجة المهج » ، في بعض فضائل الطائف ووج ^(٢) وقد سردَ سرجنت محتويات الكتاب على هذا النحو :

- ١ ب مقدمة وتقديم
- ٢ ب وصف مكة
- ٤ ا وديان مكة (وادي الطائف - وادي مبرد (?) - وادي نخلة) .
- ٧ ب وصف جده
- ١٠ ا وصف الطائف
- ١٣ ا قائمة باسماء القرى بالترتيب الأبجدي .

(١) المؤلف هو جار الله ، محمد بن عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي ، المتوفى سنة ٩٥٤ هـ (١٥٤٧ م) وأسرة آل فهد من الأسر العلمية التي عنت بتدوين تاريخ مكة المكرمة . (٢) وصفناها في مجلة « العرب » في بحث « مؤرخو الطائف » .

إن قائمة أسماء الأماكن في المذكرة التي في صفحة عنوان الكتاب
لا تنطبق على أسماء الأماكن التي في نصّ الكتاب .

وهذه الأسماء مستخرجة من نصّ الكتاب :

أرض حسان	أ	١٣
أرض خالد	أ	١٤
أرض فراس	أ	١٥
أبو هريرة	أ	١٥
أمّ العيال	ب	١٥
البحرين	ب	١٥
بجير	ب	١٥
البردان	ب	١٥
البرابر	أ	١٦
البرقة	ب	١٦
تنضب	أ	١٧
تنضب الرقاعي	أ	١٧
الجليد	أ	١٧
الجموم	ب	١٧
الجميزة	أ	٢٠
الحادثة (الجديدة) والحميمة	أ	٢٠
حلة	ب	٢٠
الحميمة	أ	٢١
الخضراء	ب	٢١
الخفج	ب	٢١

٢١	ب	خيف بني شليد
٢٢	ا	الدكنا
٢٢	ب	السركاني
٢٣	ا	الروضنة
٢٣	ا	الريان
٢٣	ب	الزيمية
٢٣	ب	سولة
٢٣	ب	سروعة
٢٤	ا	الفصير
٢٤	ا	الكدايا
٢٤	ب	المبارك
٢٤	ب	نخلة الشامية
٢٥	ب	الهرمزية

والمؤلف يشير إلى أن السيد أحمد بن عجلان (كتاب حكام مكة

- ج - جوري - لندن ١٩٥١ ، ١٠٢ ، ١٣٦٠ - ١٣٦٨ ميلادية)

اعتاد أن يحكم ست مناطق أخرى ووصفها وهي :

١٢	ا	الأصيفر
١٢	ا	البثنة
١٢	ا	بسرره
١٢	ب	البقاع
١٢	ب	خيف بني عمير
١٢	ب	الفتيح

ومن ملاحظات سرجنت على الرسالة :

أن رسالة جار الله كانت مهداه إلى أبي نُمي محمد ، شريف مكة

(١٥٢٤ - ١٥٨٤ ميلادية) والرسالة مصدر لمعلومات كثيرة عن تاريخ
 أشرف مكة ولها أهمية جغرافية كبيرة . فهناك إشارات عديدة إلى
 إدارة نظم الريّ في القرى والتي كان يعنى السيد - ب . فوراند - بتفسيرها
 ومعرفتها بالاستعانة بكتاب . إيتوز . روسى عن الري في اليمن (كتاب
 الشرق الحديث ، XXX III ، ٨-٩ ، ١٩٥٣ ، ٦١ - ٣٤٩ .
 الحسابات التفصيلية عن كمية المياه المتيسرة في الوديان يمكن مقارنتها
 مع ما ذكر ابن حجر في الفتاوى الكبرى الفقهية (القاهرة ١٩٣٨) .
 كتاب خاص . II ، ١٤٧ ، ١٥٨ ، ١٨٩ حيث تستخدم كلمة
 (وَجْبة) بمعنى الحصّة (النصيب) في توزيع المياه . وملاحظة لها أهمية :
 أن الفرس لهم الشهرة في أنهم قاموا ببناء ما لا يقل عن ٦٨ خزاناً
 (صهريج) في جدة (٨ ب) وأنهم أقاموا مثل هذا العمل في عدن .
 كما يوجد أيضاً وصف للقلاع والحصون التي شيدها ملوك مصر ، في جدة
 (٩ ا) وأشار المؤلف إلى ظهور الفرنجة عام ٩٢٢ هجرية (١٥١٦
 ميلادية) (٩ ب) وكيف وقفت القلاع والحصون في وجه هجومهم
 بالتفصيل وفي الرسالة مذكرات عن الضرائب والرسوم التي تسمى
 (لوازم) و(مكوس) كانت تدفع في جدة للمصريين في عهد جد المؤلف (٨ب).

وفي توقيت الموسم الهندي كانت تعمل إجراءات معينة في الميناء لجمع
 الرسوم الجمركية

وأشار إلى ان في أيامه كانت تقام صلاة الجمعة في مسجد ثالث
 قرب بوابة الميناء (٨ ا) .

هذا ملخص ما ذكر سرجنت .

وقد أشار إلى أن رجلاً يدعى (ب . فوراند P. Forand) يعنى
 بدراسة رسالة ابن فهد هذه لنشرها .

القبائل العربية حول بحيرة تشاد (تشاد)

(٢)

كذلك من القبائل التي انتشرت حول بحيرة تشاد قبيلة بني جذام وهم بطن من كهلان من القحطانية وقد ورد ذكرهم في رسالة بعثها سلطان كانم الماي عثمان إلى السلطان المملوكي في مصر الظاهر برقوق في عام ٨٧٩٤ - ١٣٩١ م وقد ذكر ذلك القلقشندي في كتابه «صبح الأعشى» وكان هؤلاء العرب مع غيرهم من العرب المهاجرين من مصر جنوبا قد اجتاحت مملكة الزعاوة حتى سيطروا على دارفور واتخذ أولئك الاعراب هذه المنطقة قاعدة لشن غاراتهم على ما جاورها من أقاليم حتى مملكة كانم - برنو في الغرب ، والذين تعاونوا مع البولالا على ملوك كانم وتسببوا في قتل السلطان عمر بن إدريس واستولوا على كميات كبيرة من النخيرة والعنادر .

كذلك قدمت للمنطقة هجرات عربية واسعة من الشمال الأفريقي عبر الطريق الشرقي طرابلس - فزان - كوار ثم يلجا ثم إلى بحيرة تشاد ثم برنو واتصل العرب بالزنوج ، كما وجدت قبائل بني هلبه وغيرهم من القبائل العربية مثل المساليت - المسيرية - زرق ، والمسيرية جمر ، اخزام ، الزيود ، الزيادة ، العبيدية والحمييد والمحاميد وقد وجد هؤلاء جنوب شرق بحيرة تشاد في منطقة وادي .

وأبضا وجدت بعض قبائل اليقارة في دارفور - وكردفان وكانم

وبرنو حول البحيرة وقد جاء هؤلاء من الشمال والشمال الغربي ، ثم نزلوا إلى كانم ووادي واستقروا لفترة من الزمن ، ثم تحركوا شرقاً إلى دارفور وكردفان وان بعض البقارة يؤكدون أن أجدادهم جاءوا من تونس ثم أخذوا يهاجرون إلى دارفور وكردفان وأنه ربما أن بعض البقارة اللين يعيشون في كانم وياجري وحول بحيرة تشاد قد هاجروا من الشرق وأن عرب بحيرة تشاد جاءوا ببعض العادات الشائعة عندهم في السودان مثل اللية والختان ، ، والبقارة رعاة الماشية وكفاعة عامة فإن الإبله يعتبرونه بدأً ويملكون بالإضافة إلى الجمال أعداداً كبيرة من الأغنام ، أما البقارة اللين يعيشون في الجنوب من الإبله ويملكون الماشية دون الجمال فهم في أغلب الأحيان يضطرون إلى اختيار الحياة الحضريّة المستقرة .

وقد اثبتت الدراسات (الاركولوجية) التي قام بها فريق من العلماء في تلال دارفور ان السودان الشرقي لم يكن بمعزل عن المنطقة المحيطة ببحيظة تشاد خلال العصور التاريخية الماضية ، وأن طريق الساحل الغربي إلى دارفور وكردفان والبحر الأحمر كان يسلكه الحجاج وكان معروفاً منذ أزمنة طويلة وهو أسهل من طريق طرابلس - مصر ، وأن دارفور ترجع في الأصل إلى العرب اللين قدموا من المنطقة المحيطة ببحيظة تشاد واللين جاءوا من مراکش وتونس .

وكذلك توجد قبائل عرب الشوا ويعيش الشوا جنوب غرب البحيرة وكلمة (شوا) تعني عربي بدوي وهو لفظ مشتق من الشاة وهو العمل الذي اشتهروا به واشتغلوا به والشاوية جزء من البقارة ولهجتهم أقرب ما تكون إلى لهجة أهل الحجاز ولم تفقد شيئاً من نقائنها وينقسم الشوا إلى مجموعات منهم الحساونه وهم العرب اللين جاءوا إلى حوض نهر شاري عن طريق

طرابلس ومن أشهر مجموعاتهم نعماله والدقنة (بفتح الدال والقاف والنون) ويحتمل أن يكون هؤلاء قد جاؤا من الشمال بعد وصول جهينة .

ومن القبائل العربية التي عاشت حول البحيرة قبائل أولاد سليمان وكذلك قبائل البديريه وهم قد وصلوا من كردفان إلى دارفور ثم إلى مكانهم بالقرب من وادي ، وكذلك قبائل العريات الذين هاجر بعض منهم إلى كردفان ثم اتجه غربا إلى وادي وكانم وكذلك قبائل الحسانية .

وقد ذكر البكري في كتابه «المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب» ص (١١) أن هناك هجرة مبكرة قام بها نفر من بني أمية بعد زوال دولتهم على أيدي العباسين عام ١٧٥ هـ - ٧٥٠ م إلى هذه المناطق حول البحيرة بعد مقتل آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد . وكذلك فإن المصادر العربية تشير إلى أن عقبة بن نافع الفهري في غزواته لشمال إفريقيا عام ٥٠ - ٥٦ هـ اتجه جنوباً حتى وصل إلى كوار جنوباً بالقرب من مكان يقال له (رامي الفرس) شمال حوض البحيرة وعاد من هناك لأنه لم يجد خبيراً يرشده إلى الطريق جنوباً .

ومن هنا فانه يمكن القول أن هذه القبائل العربية الكثيرة التي هاجرت إلى حوض بحيرة تشاد واستقرت في تلك المنطقة قد صبغتها بالصبغة العربية الإسلامية ، حيث لانزال إلى اليوم كثير من القبائل العربية تتحدث اللغة العربية بالإضافة إلى أن اللغة العربية قد تركت بصماتها واضحة وقوية في كثير من اللهجات واللغات الأفريقية المنتشرة حول البحيرة .

الممالك العربية الإسلامية حول البحيرة :

من القبائل المهاجرة إلى تلك الأصقاع من القارة الأفريقية بعض

القبائل التي استطاعت ان تقيم لها ممالك عربية إسلامية منها مملكة
البولالا وهم نسبة إلى أول زعيم لهم يدعى بولالا ، ويدل تاريخ البولالا
على أنهم ينسبون إلى سيف بن ذى بزن من قبيلة حمير وموقف الفرع الذي
تنسب إليه الأسرة التي أقامت دولة كانم ، وهم رعاة وقد أقاموا حول
بحيرة قزى جنوب شرق بحيرة تشاد في المنطقة الواقعة من برقو إلى
اهيرو من برقو إلى دركو في الشمال وأصبحوا ذوى نفوذ وقوة عظمى ،
كما استخدموا الخيول في حروبهم ، وقد تكلم ليو الافريقي من كتابه
«تاريخ ووصف أفريقيا» عن مملكة البولالا والتي كانت تحد غربا بمملكة
كانم - برنو وتمتد شرقا حتى بلاد النوبة وتلتصق جنوباً مع جزء
متعرج من نهر النيل كما تحد شمالا بمصر وكان طولها ٥٠٠ كيل
وعرضها ٥٠٠ كيل وقد أورد بالمر في كتابه «صحراء برنو والسودان»
قائمة بأسماء ملوكهم تبدأ بالسلطان عبد الجليل الذي حكم من ٧٦٧ -
٨١٤ هـ - ١٣٦٥ - ١٤١١ م - وتنتهي هذه القائمة بالملك التاسع والعشرين
في تمام ١٣٤١ هـ - ١٩٢٢ وكان اسمه كروما .

وقد دخل هؤلاء الملوك في صراع ونزاع سياسي مع أبناء عمومتهم
من الكانوري والكانتميون من أجل السيطرة على مملكتهم القائمة حول
بحيرة تشاد ، حتى استطاع أحد ملوكهم طردهم منها ، إلى جنوب غرب
بحيرة تشاد حيث أقام الكانمبو مع الكانوري مملكة برنو ، وقد ذكر
حامد عمار في رسالة للاجستير المقدمة منه لكلية الآداب جامعة القاهرة
عام ١٩٤٥ بعنوان «علاقات الدولة المملوكية بالدول الافريقية» أن
سلاطين البولالا بعد طردهم للكانمبو من جنوب شرق البحيرة أرسلوا
رسالة إلى مالك مصر من أجل الاعتراف بسيادتهم على تلك المناطق مع

إرسال العديد من الهدايا ولكن هؤلاء لم يتلقوا ردًا من حكومة مصر (يلاحظ : الثقل السياسي الذي كانت تتمتع به مصر بعد انتقال الخلافة العباسية إليها ومن المغول والتتار والصليبيين) وهذه هي نبذة قصيرة عن إحدى الممالك التي أقامها العرب في جنوب شرق بحيرة تشاد التي دامت ما يقرب من ستة قرون متواصلة . ساعد فيها هؤلاء العرب في تطور المنطقة صمرانيا حيث أقاموا المدن ونشروا ثقافتهم العربية الإسلامية في تلك الأرجاء من القارة الأفريقية قبل أن يصل إليها الرحالة الأجانب من أمثال ، بارث ، ليون ، كلابرتون دنهام ، والذين ادعوا لأنفسهم اكتشاف تلك الأرجاء التي كانت في نظرهم مجهولة للعالم في حين كانت لها علاقات سياسية واقتصادية وثقافية مع كل البلدان الإسلامية المعاصرة لها .

مملكة الكامن والبرتو :

لقد أقام هذه المملكة الواسعة الصيت ، والقوية السمعة ، وذات العلاقات الدولية والتي قامت من حوالي ٨٠٠ م حتى قرب ١٨٩٠ ، شعب الكاتمبو والكانوري وهم سكان منطقة شمال شرق البحيرة في حزام طبقة حول غرب شواطئ البحيرة وشمالها وهم ينحدرون من أصول عربية من أسرة سيف ابن ذي يزن من حمير ، ثم حدثت هجرات بعد ذلك إلى جنوب غرب البحيرة وقد اختلط الكاتمبو بالتبدا والعرب الذين جاءوا إلى كانم عبر الشيبتي ، أما الكاتمبو فهم يعملون بالزراعة وهم سكان المدن ، وفي بداية القرن الرابع عشر الميلادي اضطرت أسرة الكاتمبو إلى الانتقال إلى برنو غرب بحيرة تشاد بعد أن سيطر البولالا على منطقتهم ووجدوا شعب الصور فصاهروهم وبذلك تكون شعب جديد عرف باسم شعب الكانوري ، والذين هم في الأصل من سلالة الكاتمبو وتوجد منهم أعداد كبيرة في النيجر بجانب بحيرة تشاد ويطلق حاليا لفظ كانوري على الذين يتحدثون اللغة الكانورية ، والكانوري من أنشط العناصر السودانية قاطبة .

وتاريخ كانم وبرنو ارتبط بالكانورى والكامبو الذين كانوا مصدر الكثير من المعلومات التي استقاها المؤرخون والرحالة والجغرافيون العرب من حجاجهم الذين مروا في طريقهم للحج على مراكش وتونس والقاهرة. ولقد ظهرت دولة كانم وبرنو دولة عربية إسلامية قوية ذات حضارة عربية إسلامية في شمال القارة الافريقية بل في وسط القارة حيث أقامت هذه الدولة علاقات دولية سواء أكانت سياسية أو اقتصادية وثقافية مع كل الدول الإسلامية المعاصرة وربطتهم صلات من المودة والانخاء مع جيرانهم في الشمال في مراكش وتونس وليبيا ومصر ومع دول الغرب الموسا وسنغاي ومالي مع الشرق السودان الشرقي .

ان العرب الذين استقروا حول بحيرة تشاد قد ساعدوا على تطوير تلك المنطقة والأخذ بيد شعوبها إلى التقدم والرقى والأخذ بمظاهر الحضارة الإسلامية العربية السائدة في بلدان العالم الإسلامي المعاصر حتى لقد قيل: إن هناك حضارة عربية إسلامية قامت في بيئة زنجية على أيدي القبائل العربية التي تحركت إلى تلك المناطق .

تلك هي لمحة بسيطة عن انتشار القبائل العربية حول بحيرة تشاد التي تتوسط إقليم السفانا الذي يقع بين الصحراء الكبرى شمالا والغابات الإستوائية جنوباً ، إن تلك المنطقة في حاجة ماسة إلى الدراسة (الاركولوجية) و(الانثربولوجية) والتاريخية واللغوية والسياسية لكي يكشف النقاب عن حقائق قام رجال الغرب من الباحثين الذين وصلوا إلى تلك المناطق بدراستها ونشروا حقائق ربما لا تكون هي الحقيقة وربما عالجاها في كتاباتهم من وجهة نظرهم الكارهة والحاقدة للعرب والعروبة والاسلام والمسلمين :

عبد الفتاح مقلد النجى

جامعة الملك عبد العزيز - مكة المكرمة

بعض المصادر والمراجع

- ١ - الاصطخرى ، ابراهيم بن محمد : المسالك والممالك ، ليدن - ابريل ١٩٦٨ م .
- ٢ - ابن حوقل : صورة الارض ، ليدن ، ١٩٣٨ م .
- ٣ - الادريسي ، محمد بن عبد الله « نزهة المشتاق في اختراق الافاق » نشره بيرس ، ليدن ، ١٨٦٦ م .
- ٤ - البكري ، أبو عبد الله البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ، نشره راندون ، الجزائر ، ١٨٥٧ م .
- ٥ - التونسي ، محمد بن عمر « تشعيد الازهان بسيرة بلاد العرب والسودان » باريس ، ١٨٥٠ م .
- ٦ - القلقشندي ، أحمد بن علي : صبح الأعشى في صناعة الانشا القاهرة ، ١٩١٥ م .
- ٧ - القلقشندي أحمد بن علي : نهاية الارب في معرفة انساب العرب القاهرة ، ١٩٥٩ م .
- ٨ - ابراهيم بن صالح يونس : تاريخ الإسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم و برنو . الخرطوم ، ١٩٧٨ م .
- ٩ - حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .
- ١٠ - الشاطر بصيلي عبد الجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقي والاطوسط . القاهرة ، ١٩٧٢ م .

- ١١ - عبد الفتاح مقلد الغنيمي : البحر الأحمر والسيادة العربية
مجلة البلاغ الكويتية ، عدد ٤١٨ : ١٣٩٧ هـ .
- ١٢ - عبد المجيد عابدين : قبائل من السودان الاوسط والغربي
والخرطوم ، ١٩٧٣ م .
- ١٣ - عنيات الطحاوي : إفريقيا الإسلامية القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- ١٤ - محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الأفريقية ، القاهرة ١٩٦٥ م
- ١٥ - دائرة المعارف الإسلامية ، مادة برنو - كانم - أبا جرمي ، سنفاي .
- ١٦ - سيان ، س . ج : السلالات البشرية في أفريقيا - ترجمة
يوسف خليل القاهرة ١٩٥٩١ م .
- ١٧ - نعيم قدهاح : إفريقيا الغربية في ظل الاسلام ، دمشق ، ١٩٦٠ .
- ١٨ - حامد عمار : علاقات مصر المملوكية بالبلاد الأفريقية
رساله ماجستير آداب القاهرة ٩٤٥١ .
- ١٩ - Caraboa H. : Le Rey ion d ai Tehed et du oaad ai pavis, 1911
- ٢٠ - Leo Africonus : History and dis crptcor of Africa. london,iboo.
- ٢١ - Meek, C. K. : The Northerr tribes of Nigeria. Svols.Landon, 1925
- ٢٢ - Meek, C. K : Asudonese kingdoms. Landan, 1931.
- ٢٣ - Polnen, R. The Bovua shava and sudar, london , 1956.
- ٢٤ - Sebgman, C G: Egypt and Negro Africa. london, 1934
- ٢٥ - Trimminghow, J.S : Isla mln west Africa, oxford. 1959.



ديوان حاتم الطائي

- ٢ -

الكلام^(١) في هذا البحث مُنصَّبٌ على محاولة تحديد المواضع الواردة في شعر حاتم الطائي ، لأنَّ جُلَّها واقع في داخل بلادنا ، وقراء هذا البحث يتطلعون إلى معرفتها . ولهذا لم نقصد نقدَ تحقيق الديوان .

أما الكلام على قبر حاتم فنحن أمام أربعة أقوال :

١- أنه في تنغة قرينته على ما ذكر نصر وياقوت .

٢- أنه في جبل عوارض على ما ذكر الزمخشري والبكري وياقوت

والجوهرى والفيروز آبادي .

٣- أنه في جبل أظايف على ما ذكر الهجري .

٤- أنه في وادي توارن ، على ما هو معروف عند أهل هذه الجهة .

وليس من مُرجَّح لأحد هذه الأقوال سوى الرجوع إلى أقدمها

أو أكثرها شيوْعاً ، وهما القولان الأول والرابع ، ومن الممكن الجمع

بينهما بالقول بأنَّ تنغة في وادي توارن .

٩- تيماء :

رجع محقق الديوان الفاضل إلى النصوص القديمة في تحديد موقع

تيماء ، وهي نصوص فيها من السعة والإطلاق ما يجعلها لا تفيد الباحث

في هذا العصر .

وتيماء أصبحت الآن بلدة من بلدان المملكة العربية السعودية

(١) تمة المنشور في ص ٧٢-٩٦ ص ١٢ .

مشهورة ومعروفة . وقد أوفيت الكلام عليها في كتابي « في شمال غرب الجزيرة » وقسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية»^(١)

١٠- ثرمد :

ص ٢٨٥- وقال حاتم :

وَسَالَ الْأَعَالِي مِنْ نَقِيبٍ وَثَرْمَدٍ وَأُبْلَغُ أَنَا سَأْلُ
وَأَنَّ بَنِي دَهْمَاءَ أَهْلَ عَوَالِصٍ إِذَا خَطَرَتْ فَوْقَ الْقَيْسِيِّ الْمَعَابِلُ

وقال محقق الديوان^(٢) : نقيب شعب من أجا ، وثرمدُ : شعبٌ

بأجا أيضًا - مضى الكلام عليه ، ووقران : شعاب في جبال طي - كما ذكر ياقوت .

عوالص : جبال لبني ثعلبة من طي (ياقوت) .

وثعلبة يعرف بجرم .

وأقول : يطلق اسم ثرمد - الآن على .

(١) واد ينحدر من أجا ، صوب الشمال الشرقي ، حتى يصبُّ في

وادي مشارو، في وادي ثرمد نخل وفروعه : ثرامد والعليا ورُميَض وكلها

فيها نخل ، ولاسكَّان في ثرمد ولاماء ، ونخله يشرب من المطر .

ويبعد عن مدينة حائل بنحو عشرين كيلاً .

(٢) ويطلق اسم ثرمد أيضًا على هضبة من هضاب أجا منها ينحدر

أحد فروع الوادي المذكور .

(١) ص ٢٧١ .

(٢) في ص ٢٥١ على قول حاتم :

إلى الشعب من أعلى ستار ثرمد فبلدة ميني ستبس لابتي

حيث أورد قول ياقوت .

١١ - جدييات - شاهده في الصور :

وقال محقق الديوان : أما جُدِّيَّات ومصاخر فلم أجدهما ^(١) .
وأقول : يظهر أن الشاعر جمع موضعاً يُسمى جُدِّيَّة بما حوله ،
وذلك من عادة الشعراء .

وجُدِّيَّةُ ذكر المتقدمون أنه من جبال طيُّ في نجد . وأورد
ياقوت لرجل من طيِّ :

وَهَلْ أَشْرَبِينَ الدَّمْرَ مِنْ مَاءِ مُزْنَةٍ عَلَى عَطَشٍ مِمَّا أَقْرَ التَّوَاقِعُ
بِقَبِيعِ التَّنَامِي ، أَوْ بِهَضْبِ جُدِّيَّةِ سَرَى الْقَيْثُ عَنْهُ وَهُوَ فِي الْأَرْضِ نَائِعِ
وَجُدِّيَّةُ الْآنَ تَطْلُقُ عَلَى مَاءِ فِي أَجَا فِي شَرْقِيهِ لَا يُزَالُ مَعْرُوفًا .

١٢ - جو : ص ١٨٩ - وقال حاتم :

لِيَالِي نَعْمَى بَيْنَ جَوْ وَمِسْطَحِ نَشَاوِي ، لَنَا مِنْ كُلِّ سَائِمَةٍ جَزْرُ
وأورد المحقق قول البكري : جَوْ موضع في ديار طيِّ ، قال امرؤ القيس :
تظللُّ لبوني بين جَوْ وَمِسْطَحِ .

وما أكثر المواضع في ديار طيِّ !!

وجَوْ هذا من أشهر الأودية الواقعة وسط هضاب أجَا ، وأعظمها ،
وقد ذكر المتقدمون أنه كان فيه قرية ، وآثار الآبار الموجودة الآن فيه
والمزارع تدل على أنه كان معموراً .

وفي أثناء هذا الوادي عَيْلٌ جارٍ عليه نخل .

وهو ينحدر من أعلى هضاب أجَا الوسطى ، ويتَّجِهُ نحو الشمال ،
وترفده شعاب منها الحُمْرَةُ وَصَحَا وَصَحَى . ويفيض في طرف النفود
(الرمال) من دون قريتي قَنَّا وَأُمُّ الْقُلْبَانِ . وانظر عن جَوْ كتاب
«شمال المملكة» ^(٢) .

(٢) ٢٥١ - ٢٥٢ .

(١) ص : ٢٧٥ .

١٣ - حالة :

وَجَّهَتْ فِيهَا سِيَّاتِي صِحَّةَ كَلِمَةِ حَالَةٍ بِدَلِّ كَلِمَةِ (الْحَلِيطِ) . وَحَالَةٌ مَوْضِعٌ يَقَعُ عَلَى طَرِيقِ الْمَتْجِهَةِ إِلَى الشَّامِ (شَرْقِ الْأُرْدُنِّ) مِنَ الْحِجَازِ ، أَوْ شِمَالِ نَجْدٍ ، وَاقِعٌ فِي حُدُودِ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ ، الْمُنَاحِمَةِ لِلْحَبُودِ الْأُرْدُنِّيَّةِ ، وَقَدْ أَصْبَحَ الْآنَ بَلَدَةً ، وَكَانَ قَدِيمًا مِنْ مَنَازِلِ بَنِي الْقَيْنِ عَلَى مَا ذَكَرَ الْمُتَقَدِّمُونَ ، وَقَدْ وَرَدَ فِي كِتَابِهِمْ مُعَرَّفًا ، وَفِي بَعْضِهَا مَصْحُفًا (حَالَةٌ) بِالْخَاءِ ، وَيُدْعَى حَالَةٌ عَمَّارٌ أَيْضًا عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ . وَانظُرْ كِتَابَ «شِمَالِ الْمَمْلَكَةِ» (١) .

١٤ - حَامِرٌ :

ص ١٩٩ - قَالَ حَاتِمٌ :

أَلَا لَيْتَ أَنْ الْمَوْتَ كَانَ حِمَامَةً لِيَسَالِيَ حَلَّ الْحَيِّ أَكْنَافَ حَامِرٍ

وَقَالَ الْمُحَشِّي - فِي الْهَامِشِ : حَامِرٌ مَوْضِعٌ عَلَى الْفِرَاتِ مَا بَيْنَ الْكُوفَةِ وَبِلَادِ طِيٍّ - الْبَكْرِيُّ : ٢ - ٤٩١ .

وَأَقُولُ : حَامِرٌ مِنْ أَشْهُرِ أَوْدِيَةِ شِمَالِ الْجَزِيرَةِ ، لَا يَزَالُ مَعْرُوفًا ، لَهُ رَوَافِدٌ كَثِيرَةٌ ، تَنْحَلِدُ فُرُوعُهُ مِنْ غَرْبِ وَادِي بَدْنَةَ ، شَرْقِي بِلَادِ الْجَوْفِ ، وَيَتَّجِهُ مُشْرِقًا حَتَّى يَقْرُبَ مِنْ نَهْرِ الْفِرَاتِ (يَقَعُ فِيهَا بَيْنَ خَطِّي الطُّولِ ٤٠ - ٤٢ وَخَطِّي الْعَرْضِ ٣١ - ٥٠) .

(لِلْبَحْثِ صِلَةٌ) حمد الجاسر



الدراسات والبحوث
٢٥ ريالاً للأفراد و٧٥ ريالاً للغير الأعضاء
الإمدادات، يتفق عليها مع الإدارة
شعبان المحرم ١٤١٠ م - الرياض

العرب
مجلة شهرية تعنى بآثار العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها، حمد الجاسر

العنوان
دار الجامعة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف ٢٢٩١٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٧ و ٨ من ١٣ محرم و صفر ١٣٩٩ هـ (كانون شباط - يناير - فبراير ١٩٧٩ م)

مِنْ ذِكْرِيَاثِ الرَّحَلَاتِ

- ٢ -

ثم كانت حركة الدهينة وأنا في هجرة عرواً في عام ١٣٤٨ .
والدهينة هو مقعد من النفعة ، وكان من كبار الإخوان أهل
الغطط ، وقد اجتمعت به حيناً كنت (مطوعاً) عند الحوامي لأنه كان
قد خطب ابنة نجر بن حجة ، أحد كبار النفعة ، وعقيد عليها ،
وكانت صغيرة ، وكان الإخوان قد غزوا نحو الشمال ، بدون إذن من
الإمام عبد العزيز ، فأخذوا أموال تجار من أهل القصيم ، فأرسل الإمام
عبد العزيز في أثرهم الأمير سعود بن عبد العزيز الكبير ، ليدعوهم
إلى الرجوع ، فأنكفوا ، فمرَّ الدهينة بعد هذه الغزوة بفريق النفعة
ليدخل بزوجته ، وكان أبوها نجر قد توفي ، ويتولى القيام على أبنائه
الصغار مولى له (عبد) وكان يرعى إبلهم .

وأذكر أن مقعداً مر بأولئك الفريقين يوماً ، وبقي إلى ما بعد غروب
الشمس وحينما كان القوم مجتمعين للعشاء في المأدبة التي أقاموها لمقعد تلك
الليلة ، إذا بالمولى يقول : (يامقعد وبن السوق : الزولية والقعود
العفر ، والدرهم ؟) ، أنت تحسب بنت عمي نعجة . تبا تقودها

بأذنها) (١) ؟ ! فقال مقعد : (أبوك اسكت ، ويش يدخلك في هذه الأمور) .

فقال : (اسمع هذى أمّ خمس بيدي ، والله ما يمكن تقرب بنت عمي حتى تحضر جهازها) !! فكان أن ارتحل مقعد الدهينة بعد العشاء وحده .

وكان الأمير فيصل النائب العام للملك في الحجاز قد بعث على ابن سرحان ، والد الأستاذ حسين - ومعه أناس لجباية الزكاة من قبيلة عَتَيْبَةَ في ذلك العام ، بعد وقعة (السَّبَلَةِ) بشهور ، فأرسل ابن سرحان إلى الأمير جهجاه بن حميد يطلب منه بعث رجل من آل حميد ليكون رفقاً للذين يجبون الزكاة ، لأن البادية إذ ذاك لا يزالون في حالة من الفوضى والارتباك ، وفي تلك الأيام خرجت قافلة من السيارات تحمل أطعمة من مكة ، متجهة إلى الرياض ، فلما كانت في وادي (الثعل) على مقربة من منهل سَجَا ، عَدَا عليها أناس من البدو ، فأخذوا ما فيها وأحرقوها ، فصار الوادي من ذلك الوقت يعرف باسم (شعيب اللنسيات) واللنسيات يقصد بها نوع من السيارات التي أحرقت في ذلك الوادي .

أرسل جهجاه إلى ابن سرحان حَشْرَ بْنَ مُقْعَدِ بْنِ حُمَيْدٍ ليكون رفقاً له ، وفي هذه الأثناء جاء الخبر بوصول الدهينة إلى عالية نجد ، حيث كان ابن سرحان يقوم بجمع الزكاة ، فاستدعى الشيخ عبدالرحمن ابن عبد اللطيف قاضي عروا ، رجلاً من الدغالبية ، يقيم في هذه البلدة ، دعاه ليلاً ، وأعطاه مبلغاً من المال ، وكتب معه كتاباً إلى علي بن

(١) دين السوق : أين الجهاز . المر : الأعر . تبا : تبنى .

ابن سرحان ، يحذره من الدهينة ، ويظهر أن الدغلي لم يغادر عروا ،
 فبعد أيام قليلة ، وكنا مجتمعين في ساحة دار الشيخ بعد صلاة العشاء
 على العادة وكان من بين الحضور الأمير جهجاه ، فما شعرنا إلا برجل
 يدخل علينا ، وعليه قميص قد قطعت أكمامه ، وقد لف رأسه بخرقه
 صغيرة ، ففزع الحاضرون من منظره ، وإذا هو حشر بن مقعد ، فقال له
 جهجاه : عسى ماشر ؟ فقال بلى شرّ وعيش مرّ ، أغار علينا الدهينة
 وحنّا على (البويضاء) فأخذنا وقتل رجلاً منا ، ولكنني استطعت أن أنقذ
 ابن سرحان ، (واخوياء) ^(١) بوجهي ، وأن أرحلهم إلى مصدة .

لم يشك أحد من الحاضرين في صدق الخبر ، ولكن بعد نحو أسبوع
 إذا بكتاب من علي بن سرحان إلى جهجاه ، يقول فيه : (أما حشر فالله
 لا يبيّض وجهه ، بغيناه يفتكنا) ^(٢) من القوم ، فكان عوناً لهم علينا ،
 أخذ منا مزودة فيها ثلاثين ألف ريال ، وأخذ مبلغاً من الجنيهات) .
 استدعى جهجاه حشراً فقال له : (ويش أخبارك يا ولد مقعد) ؟
 قال : أخبرتكها ، فقال له : (يا رجال جانا من هو أبخص منك ،
 جانا كتاب من علي بن سرحان ! فبهت الرجل وقال : صحيح شاركنا
 القوم في حلالنا ، وافتكيننا بعضه .

كتب جهجاه إلى الملك عبد العزيز يخبره بما فعل حشر ، ويعتذر
 إليه ، فكان الجواب : الدراهم فرقوها على براوى ^(٣) الأخوان ،

(١) أخوياء : رفاقه . واحدهم خوى - بفتح الخاء المعجمة وكسر الواو بعدها مشناة تحتية .
 (٢) يفتكنا : ينقنا ويخلصنا . مزودة : وعاء من الصوف المنسوج يجعل فيها المسافر زاده .
 (٣) البراوى : جمع بروة ، ويقصد بها مبلغ من النقود مقرر من الملك يدفع من جاني
 الزكاة أو مأمور بيت المال ، وكان من عادة الملك أن يكتب لأحد الأمراء أو الوجهاء لديه
 كتاباً إلى جاني الزكاة أو إلى مأمور بيت المال بأن يدفع للمكتوب له مبلغاً من النقود ، ويسمى
 ذلك الكتاب (بروة) بفتح الباء الموحدة وإسكان الراء وفتح الواو بعدها هاء .

والزايد على المحتاجين منهم ، وحشر ما ضرر إلا نفسه .
وفي هذه الأثناء وكان الدهينة يقوم بحركته ، عمد جهجاه
إلى عدد من كبار نساء آل حميد ، منهن شيخة بنت هندي ، ووضحاء
بنت سلطان بن بجاد ومعهن بعض الأطفال ، وبعثن إلى الرياض ،
وأرسل معهن هدايا من الخيل ، وكتب كتاباً للملك يقول فيه ما معناه :
ان هؤلاء النسوة قد أقلقن راحتنا بكثرة بكائهن على سلطان ، وقد
طلبن منا السماح لهن بمقابلتكم وأنتم لهن والد كريم ، ويقصد بسلطان
(سلطان بن بجاد) الذي كان محبوساً هو والدو يش ومن معه .

أما النسوة فبقين في الرياض مدة حتى انتهت حركة الدهينة ،
وكان في جواب الملك عبد العزيز على كتاب جهجاه : (أما إرسالك
حريم آل حميد فما له معنى ، ولكن يا جهجاه الظاهر أنك تظن
أنني مثل البقرة ، إذا جرت بأذنها بركت ، أنا طبعي طبع المؤمن ،
في الشدة قاسي ، وفي الرخاء لين ، وليس طبعي طبع المنافق ، في
الشدة لين ، وفي الرخاء قاسي ، والحريم عندنا معززات مكرمات) .

خاف الشيخ عبد الرحمن رحمه الله فاستأجر في إحدى الليالي من
جمال يدعى ابن جبرين من أهل روضة العريض راحلته ، وسار
إلى الدوادمي ، وكان الأمير خالد بن محمد بن عبد الرحمن ، ومعه
الغزاة الذين جاؤوا لإخماد الحركة مخيماً على الدوادمي ، فسار
إليه الشيخ ، وقال لي : إن أرادوا منك أن تصلي بهم فافعل ، وابق
في البيت حتى أرجع .

وبعد زمن يسير ، قدم الملك عبد العزيز إلى بلدة الشعراء ، فنزلها ،
وانتهت حركة الدهينة ، وجاء شويش أحد رجال الملك عبد العزيز ،

فتولى خضر عتيبة ، وأخذ خيار إبلهم ، ورجع الشذاذ الذين كانوا مع الدهينة ، وكان من بينهم ماجد ابن خثيلة ، وكان ساكناً في عروا ، فأق لي وطلب مني أن أكتب له كتاباً إلى الملك عبد العزيز ، وكان إذ ذاك في الشعراء ، يطلب فيه الأمان ، فكتبت الكتاب حسب ما أملاه ، وكتبت كتاباً آخر للملك ، أوضحت فيه شيئاً من أمر ابن خثيلة ، وفي اليوم الثالث جاء رسول من الملك عبد العزيز يحمل جواب ابن خثيلة بالأمان له وجواباً لكتابي لكي أحضر إلى الشعراء .

سافرت مع الرسول ، وفي مساء اليوم الثاني ، قدمت بلدة الشعراء ، فعلمت بأنني سأبعث كاتباً مع الشيخ عبد الله بن حسن بن ابراهيم ، الذي عين تلك الأيام قاضياً في بلدة الطائف ، ولكنني كنت مرتاحاً من بقائي في عروا ، ففضلت الرجوع إليها ، بدون أن أعتذر ، وبقيت فيها ، حتى كانت غزوة (الدبديبة) حين قام الملك عبد العزيز بالسير إلى شرق الجزيرة ، ومع غزاة أهل نجد ، لتأديب بعض البوادي ، وذلك في منتصف سنة ١٣٤٨ .

كان من الغزو أهل عروا ، وغيرهم من أهل الهجر ، ولعل هذه آخر غزوة حدثت في بلادنا ، وقد سار الغزاة بقيادة الملك عبد العزيز بعد أن اجتمعوا في وادي (الشوكي) وكانوا على الإبل ، سوى الملك وحاشيته فهم على السيارات ، وكنت مع أهل عروا ، والواقع أن أبناء البادية ليسوا - كما يتصورهم المرء - جفاة ، غلاظ الطباع ، بل كانوا على درجة من الرقة واللطف ، وسماحة الخلق ، وإكرام من يعيش بينهم ، وما كنت إذ ذاك أتولى أي عمل سوى الكتابة لجهجاه ، وهو رجل هادئ الطبع ، فكهُ ، رزين في أموره ، وكثيراً ما كان

يفاكهني في أحاديثه ، ويقول لي : إن شاعر الحضير يقول :
يَا حِجْنِي لِلْعَصِيدِ وَالْمِيرِقَ الْحَارِ وَالْبَدْوَتَبْغِي الْمَضِيرَ^(١) يَابَدَوُ الْأَشْرَارِ
وكان إذا رآني خارجاً من الخيمة لبلا يرفع صوته مَغْنِيّاً :
يَا هَيْه يَا لَلِّي فِي الشَّعِيبِ عَانُوا حَمْدَ وَسَطَ الزَّهَابِ^(٢)
وإذا مشى مَشِيهِ دَبِيبِ يَذِلُّ مِنْ رَدِّ الرُّكَّابِ
انتهت تلك الغزوة بما هو معروف ، فقد أحضرت الحكومة
البريطانية الدويش ومن معه ، فسلموا في (خَبَارِي وَضَحَا) في الدَّبْدَبَةِ ،
وأخذت أموال فرقان من قبيلة مطير ، وحدث بين قبيلتي برقاه والروقة
مشادةً حول قسمة نصيبهما من الغنائم ، بحيث ثار الرمي بالرصاص
بين الفريقين بعد نزاع طويل ، سببه الخلاف حول الغنيمة ، إذ كل
واحد من الفريقين يدعى بأن قومه باغوا عدداً كثيراً ، لا يقنع به
الفريق الآخر .

وما أذكر قبل ذلك أن شيوخ برقاه كانوا مجتمعين في خيمة
جهجاه ، وكنت أتولى كتابة أسماء أتباع كل شيخ منهم ، تهيئة
لتقسيم الغنيمة ، وكان من بين أولئك المشايخ سلطان أبا العلاء شيخ
العَصَمَةِ ، وسَجْدِي الهَيْظَلْ شيخ الدَّعَاجِينِ ، وابن جامع شيخ الرُّوسَانَ ،
وابن فُهَيْد شيخ الشَّيَابِينِ ، والمَهْرِي شيخ الدَّغَالِبَةِ ، وكانوا يخوضون
في أمر الروقة ، وأنهم ليسوا حسب ما يذكرون في العدد ، وهو ألف ومثنا
رجل ، بينما البرقاويون يدعون أنهم ثمان مئة رجل ، والواقع أنهم
أقل من هذا العدد ، وأذكر من أحاديث ذلك الاجتماع أن سلطان

(١) يا حنجني : ما أحبني . الميرق : المرق . المضير : الأقط .

(٢) أي يا هاؤلا . الأعداء الذين في الوادي . عانوا : عاينوا وانظروا . الزهاب : المتاع

مختفياً وسطه من الخوف .

أبا العلاء ، وكان أبرز المتحدثين يقول ما معناه : لا يمكن أن نقبل قولهم ، ولا بد من أن يُعلِّموا عَدًّا ، واحداً بعد واحد ، وحينئذ سينكشف خبيء أمرهم ، وكان يكرر كلمة : (سلمت يمين السوس ، يوم اظهر المسوس) ثم يشرح هذا قائلاً : سوف أكون أنا سوسهم الذي يكشف أمرهم ، كان تاجر إحدى القرى يخزن الحَبَّ وقت الرخص ، مترقباً الغلاء ، وفي إحدى السنين اشتدت الحاجة بأهل القرية ، فطلبوا منه أن يبيعهم مما عنده من الطعام ، فأنكر أن يكون عنده شيء منه ، ولكن الله سلط عليه السوس الذي أصاب الحَبَّ ، مما اضطره إلى أن يستعين بأهل القرية ليساعده على إخراج الطعام من مخزنه لنشره في الشمس ، فكانوا يقولون : (سلمت يمين السوس ، يوم اظهر المسوس) . وفي هذه الأثناء تبادل سرعان الفريقين إطلاق الرصاص ، فبلغ الخبر الملك عبد العزيز ، فأرسل كوكبة من الخيل ، يقودها أخوه الأمير محمد رحمهما الله ، فأتى حتى وقف أمام خيمة جهجاه ، وشيوخ برقاء فيها ، فدَّهَلُوا ولم يبق منهم أحدٌ لاستقباله سوى جهجاه ، فقال الأمير محمد بانفعال : يا أبا العلاء قومك العُصمة يُثارون بالسبلة ؟ ! قالها بانفعال وتوعد ، فما كان من (أبا العلاء) إلا أن أجابه قائلاً : (عِنْدَكَ إِيَّاهُمْ ، عِنْدَكَ إِيَّاهُمْ) !! كررها ، وكانت آخر كلام نطق به ، ثم مال على ظَهْرِهِ ميلته الأخيرة ، وكان ذلك وقت الضحَاءِ قُرْبَ الزوال ، ولم يُقْبَرْ إلا بعد صلاة المغرب ، تَوَقُّعاً أن تكون حالته غَشِيَّةً لا مَوْتاً .

ومما أثر في نفسي في هذه الرحلة ، ما شاهدته من القسوة في معاملة بعض أبناء البادية ، الذين أقبلوا منكفئين من نواحي العراق ،

والكويت ، من قبيلة مُطير ، فقابلوا الجيوش فنهبت أموالهم ، وقتل رجالهم ، ويمكن أن تعزى هذه القسوة إلى أن النفوس لا تزال متأثرة بالحوادث الأخيرة التي وقعت في البلاد كوقعة السبلة ، وما حدث بعدها .

رجعت مع الإخوان إلى هجرة عروا ، وبقيت ما يقرب من شهر ، وكان أخي الكبير جاسر قد عاد من مكة ، التي أمضى فيها نحو ستة ، يعمل جنديا في (الهجانة) فأتى إلي في عروا ، ونصحني بعدم البقاء ، فعدت معه إلى قرية البرود ، غير أنني لم أمكث سوى شهر واحد ، سافرت بعده للحج ، مع ستة من أهل القرية على راحل ، وكان ذلك آخر عام ١٣٤٨ .

وبعد أداء الحج ، كان (المعهد الاسلامي السعودي) قد فتح في مكة ، في عام ١٣٤٧ ، وكان الاقبال عليه ضعيفاً ، وكان أول من اقترح فتحه الشيخ محمد كامل القصاب من علماء الشام ، ومن وكل إليهم الامام عبد العزيز الاشراف على شؤون التعليم في ذلك العهد ، وقد أسندت إدارة هذا المعهد إلى الشيخ محمد بهجة البيطار ، فاقترح اختيار عدد من الشباب النجديين ليدرسوا في هذا المعهد ، فكان أن تم اختيارهم ، وأكثرهم من مدينة الرياض ، وكنت أحدهم .

وأذكر أننا في اليوم السابع عشر من ذي الحجة ١٣٤٨ ، أحضرنا إلى (قصر السقاف) مقر الإمام عبد العزيز لمقابله ، فلما أدخلنا عليه في صباح ذلك اليوم كان عنده الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ ، جالسا بجواره ، والشيخ عبد الله السليمان جالسا على الأرض تحت مجلس الملك ، وبعد السلام والاستقرار في الجلوس وجه الكلام قائلا : (حنا أحضرناكم

يا عيالي لعل الله ينفع بكم الإسلام والمسلمين ، نريد منكم أن تتعلموا في المعهد ، وهذا الشيخ عبد الله بن حسن ، وكيل عليكم ، ما يحصل منكم قصور ، وهذا عبد الله بن سليمان وكيل عني ما يحصل عليكم قاصر ، يرتب لكم كل ما تحتاجون) فلما قال هذه الكلمة ، قال أحد الشبان من آل الشيخ : (لكن يا طويل العمر (عوايلنا) في الرياض ، نبيكم تقرر لها مصرف) فما كان من الإمام عبد العزيز إلا أن تغير واحتد قائلا : (قوموا ، قوموا ، تريدون تشترون علي)!! فأخرجنا من مجلسه ، وبعد أن خرجنا من القصر حدثت بعض الإخوة من غير آل الشيخ . فاتفقنا على أن نكتب كتابا للإمام نوضح فيه رغبتنا في طلب العلم ، وأنا نعتبر ما يتفضل به علينا مساعدة وفضلا منه ، لتحقيق رغبتنا في التعلم .

كُتبت الكتاب وذهبت به في اليوم الثاني إلى القصر ، وقدمته لابن جُبَيْعَة ، وكان مذيلا باسمي ومعني خمسة من الاخوة ، منهم عبد العزيز بن صالح الداوي ، وسعد بن حجرف البواردي ، وابراهيم ابن محمد بن جهيمان ، وبعد نحو أسبوع ، وكان من عادتي أن أجلس في سوق الجودرية عند رجل يدعى الفريح ، صاحب دكان توضع عنده الكتب التي ترد من نجد ، ولا يعرف أصحابها ، وقد يتولى بعث بعض الكتب مع أحد المسافرين إلى تلك البلاد .

كنت جالسا في دكان الشيخ الفريح ، في الصباح وإذا بشرطي يقف عليه ويسأله عن حمد الجاسر هل يعرفه ؟ فأشار إلي قائلا : هذا هو حمد ، فقال لي الشرطي : تعال معي ، فاتجهنا من الجودرية مع شارع المدعا ، ثم جُزْنَا الْمَسْعَى ، ودخلنا في الحرم ، ولم أعرف لأي غاية

دعاني ، ثم خرجنا منه مع باب الدأودية ، وكان الشيخ عبد الله حسن آل الشيخ ساكنا في بيت الدواودية الموالي للحرم ، فدخلنا البيت ، فإذا الشيخ في مجلسه المطل على الحرم ، وبعد أن سلمت عليه ، قال لي : أنت كاتب كتاب للإمام ؟ ! ، فقلت : نعم معي خمسة غيري ، فقال : غداً أحضرهم عندي هنا ، فخرجت ولم أعرف الغاية ، فقابلت بعض الإخوة فمنهم من وافق على الحضور ، ومنهم من تملّص ، وفي الصباح حضرت ومعني ثلاثة ، واعتذرت للشيخ عن الباقيين بأنني لم أعرف مساكنهم ، فأخذنا في سيارته وذهب بنا إلى (قصر السقاف) فلما دخلنا في القصر ، أمرنا بأن نجلس عند صاحب القهوة ، وصعد إلى مجلس الملك ، ولم يمض طویل وقتٍ حتى رأينا خادماً يأتي إلينا مسرعاً ، ويسأل عن الطلبة ، فذهبنا معه إلى مجلس الملك ، وبعد السلام عليه دعا لنا بالتوفيق ، وقال كلاماً نحو كلامه الأول ، وكان أن تم ترتيب إدخالنا في المعهد، وتهيئة جميع ما نحتاج إليه من مسكن وغيره .

ثم كانت أمور أخرى ، لا دخل لها في ذكريات الرحلات .

وأثناء إقامتي في مكة للدراسة قُمتُ في فصل الصيف برحلة إلى بلاد عسير ، فقد كان لي صديق يشتغل بالتجارة من أهل الحوطة (حوطة بني تميم) يدعى محمد السنيدي ، وكان قد شداً طرفاً من الأدب ، فقويت الصلة بيني وبينه ، وكان الغزو المتجه إلى اليمن بقيادة الأمير فيصل ابن سعد مخيماً في بلدة خميس مشيط ، فأشار عليّ الأخ السنيدي بأن نساfer معاً إلى تلك الجهة وأن أشتري شيئاً مما يحتاج إليه الغزو من ألبيسة وأدوات ، فاشتريت من ذلك حِمْلَ بعير ، وسافرنا بعد أن حملنا أربعاً من الإبل .

ولا أذكر من تلك الرحلة إلا أننا لما حاذينَا بلدة بِيشَةَ بينها وبين
تَبَالَةَ ، وقد تركنا بِيشَةَ يسارنا بِنْتَنَا ، وفي الصباح فقدنا الراحلة التي
كنت أحمل فوقها متاعي وأركبها، ورأينا آثار رجال قد أتوا إلى مراح
الإبل فأخذوا الناقة، وفي الصباح بينما نحن نفكر في الطريقة التي نبحث
بها عن الناقة ، وكنا جالسين لتناول القهوة أنا وصاحبي ، ومعنا جمالان
اثنان هما صاحبا النِّيَاقِ ، فإذا بِيَدَوِيَّ يسلم علينا من بُعد فأشرنا إليه
بِالدُّنُوِّ ، فأتى وجلس معنا يتناول القهوة ، فقال السُّنَيْدِيُّ - رحمه الله -
وكان على جانب من الذكاء : البارحة فقدنا واحدة من رواحلتنا الأربع ،
أحمالنا أشياء أرسلها الأمير فيصل إلى الأمير ابن سعد رئيس الغزو
الذين في الخَمِيسِ ، وما كنا نُحِبُّ أن ينال أهل هذه الجهة شرًّا ،
ولكن لا شك أنه حين يعلم بأنهم أخذوا الراحلة التي تحمل متاعه
سيحل عليهم بالغزو وسيطوقهم ، والويل لمن يجد الناقة عنده ، فقال
البدويُّ : (عندنا ورعان ألياًها الحين ماعقلوا ؛ أعطوني عرقة أدورها
لكم)^(١) فقال له : يعطيك ابن سعود ماعلينا منها ، فقام الرجل
مسرعاً وقال : سأبحث لكم عنها ، وسرعان ما عاد يسوقها ، وكان الرجل
من قبيلة يكلب (أكلب) .

واعتذر عما حدث ، وأنه بفعل جهال .

ولما قربنا من بلدة الخميس تقدم صاحبي واستأجر لنا بيتا فيها
من رجل يدعى حمدان بن عويمر من شهران ، ثم استقبلني وأرشدني إلى
البيت ، وكان واسعاً ، وأسفله غير مسكون ، وإنما كان مملوءاً بالقصب
الذي يتخذ علفاً للدواب ، واسمه عندهم (عَجُور) .

(١) ورعان : أطفال . ألياً : إل . عرقة : أجرة . أدورها : أبحث عنها .

دهشت لأول مرة عندما حان وقت العشاء ، فتقدم إليه معي ومع صاحبي صاحب البيت ومعه أربع نسوة ، أمه وثلاث فتيات هن أخواته وكُنَّ على جانب من الجمال ، فاستنكفت من الأكل معهن ، وانفردت فأعطوني أكلي ، ويسمون الخبز (دَوْحًا) وهم يعملونه مستطيلاً مَتِينًا من القمح في التنور ، وكان الحِجَابُ في هذه البلدة في ذلك العهد لم ينتشر بين النساء ، وكان صاحبي متزوجاً من بلدة أبها ، فأحضر زوجته إلى بلدة الخميس ، وكانت سافرة ، كنساء تلك المنطقة .

كان صاحب البيت قد استأجر امرأة قَحْطَانِيَّة ترعى غنمه ، وكانت لها ابنة تدعى (شاطرة) تُعْجِبُ من رآها ، وكان يتردد على بيتنا لزيارة صاحبي السُّنَيْدِي كثير من الناس من بينهم رجل ذو مقام كبير بين الغزو ، فوقعت الفتاة في نفسه ، فطلب من السُّنَيْدِي أَنْ يخطبها له ، فوافقت الفتاة وأُمُّها على الزواج منه وكانت يتيمة ، وكان وليُّ أمرها متركُ بَنِ شُفْلُوتٍ من مشايخ قبيلة قحطان ، فوكلا الأمر إليه ، فاتصل به الخاطب فوافق ، وتمَّ عقدُ الزواج ، وأرسل الرجل ذبيحتين لبُهِيَّأ طعام العرس في البيت الذي استأجرناه ، وتم كل شيء ، ودخل الرجل بأهله ، وبعد أيام قليلة كان ذات صباح يحدث السُّنَيْدِي ويصف فتوره عن الوصول إلى أهله ، وكان يسمع الكلام فتبي شهراني يدعى سعيد ، كنت أعطيه كل يوم بعض مامعي من البضاعة ليعرضه في مخيم الغزو ، وما باع منه أكافئه عليه ، وكان يعمل عندنا في البيت فيصنع لنا القهوة ، ويقوم بخدمتنا ، فسمع شكوى الرجل ، وبعد أن انصرف قال لي على انفراد : أنا أعرف دواء لفلان ، فإذا كان سيعطيني مكافأة وصفته له ، فلم أكثرث بكلامه وهزئت ولكنه قال : إنه

لا يريد شيئاً إلا إذا قنع الرجل بصحة كلامه ، وأنه يُخْفِي سِرّاً ، وكانت خيمة الرجل ليست بعيدة عن البيت الذي نسكنه ، فذهبت إليه وأخبرته بما قال سعيد ، وقلت له : لَتَسْمَعَنَّ كلامه ، فلما اجتمعا قال : إِنَّ حمدان قد عَقَّدَ لك ، وقد رأيت ماعمل ، كان أثناء (الإملاك) قد سَلَّ جُزْءاً من خَنْجَره ، من الجراب ، ثم أدخله فيه عند قول المملك : قل فبليت زواج فلانة ، وأنه بعد أن سُلِّخَت الذبيحتان عمد إلى عراقبيهما فأخذهما ، وأخذ جزءاً طويلاً من الأمعاء فوضع كل عرقوب دبيحة على عرقوب الأخرى ، وربطهما بالأمعاء ، وحفر حفرة عميقة بجوار صَائِرِ باب حوش البيت ، ودفن ذلك في تلك الحفرة ، وأنه متى أبطل عمله هذا زال مابك .

استدعى الرجل حمدان فلما حضر قال له : إنني قد عرفت بكل ما عملت من السُّحْرِ ، وعقوبة الساحر القتل ، وتوعده بأنه إذا لم يبطل عمله ليقتلته ، وإن أبطله بستر عفا عنه . وكان الرجل يحمل سيفاً ، وكان من كبار خدم أمير الغزو ، وله كلمة مسموعة ، فما كان من حمدان إلا أن أخرج الخنجر ومسحه بخرقه ثم أعاده ، ثم ذهب إلى باب حوش البيت ، وحفر حفرة بطول الذراع ، واستخرج العراقيب التي قد طُوِيَتْ فوقها الأمعاء فحلَّ الطِّيَّ منها .

أنا لست ممن يعتقد بأمثال هذه الخرافات ، ولا شك أن هذا العمل من الأمور المحرمة ، ولو حدثني إنسان بما شاهدته وعلمته لما صدقت ، ولقد حدثت الدكتور أمين رويحة وهو من علماء الطب الحديث ، وله مؤلفات في العلاج النفسي ، فذكر لي تعليلاً ، لكنني لم أستطع فهمه لأنني لا أتصور صحة ذلك .

أما الرجل المتزوج فقد أنجب من أهله أولادا ولا يزال حيا يرزق .
نزلت أياما في مدينة (أبها) بعد أن استأجر لي رجل يدعى
(الحُبَيْبِي) بيتا صغيرا بجوار بيت القاضي ، وكان إذ ذاك الشيخ
فيصل بن عبد العزيز آل مبارك ، ولم تكن صلتِي به قوية ، وكان
الحببي هذا يقوم بأعمال كثيرة ، فهو دلال ، وهو حفَّار للقبور ، وهو
مؤذن ، وهو من رجال الحسبة ، وذو صلة بالقاضي . وأذكر إذ ذاك أن
أحد الغزو من الجند توفي وكان فقيرا ، وكان يلقب (صنعاء) فأقَى
رفقاؤه إلى الحبيني ليتولى غسله ، وليحفر قبراً له ، على أن يأخذ
سَلْبَهُ ، وهو كلٌّ ماخلف ، ولكنه سرُّ عندما رأى أحد أسنانه تعلوه
قشرة ذهبية . فاشترط أن يقلعها .

كان يُعقَد في مدينة أبها سوق أسبوعي ، وكان مما يلفت النظر فيه
أن النساء اللواتي يحضرنه من تهامة يلبسن نوعا من القبعات الكبيرة
المعمولة من الخوص ، وكانت تسمى (الطَّهْفَةَ) وكان لباس كثير منهن
الإزار والصدارة ، بحيث تبدو أجزاء كثيرة من الجسم وكان الناس في
ذلك الوقت على جانب كبير من الطَّيْبَةِ ، قل أن تجد من يتعرض
للنساء ، وكان أهل أبها يجلبون الماء من بئر ليست بعيدة عن البلدة
ماؤها عذب ، فكان المرء يرى أسراب الفتيات تتوالى إلى هذه البئر ،
ولا اعتدال جو هذه البلاد كانت تساؤها على جانب كبير من صياحة
الوجوه والرقّة .

تزودت بجزء من ثمن بضاعتي ببضاعة أخرى ، فاشتريت كمية
من الرصاص ، وكان السلاح وعتاده في ذلك الوقت كثيراً ، لأنه
يفرق على الغزو بسخاء ، وكان الجند اللذين مع الغزو وكان يرأسهم

فائد يدعى صالح البلاغ ، من أهل بلدة الرّسّ ، قد مكثوا عدة شهور لم تصرف رواتبهم ، فكان بعضهم يتعاطى بيع الأسلحة بدافع الحاجة ، وما كان ذلك ممنوعا في ذلك العهد .

عدت إلى مكة المكرمة قرب وقت بدء الدراسة لاستئنافها ، ولم أسافر منها إلا بعد أن أكملت دراستي في (قسم التخصص) في المعهد وكان اسمه أولا (قسم التخصص الديني) ، ثم غير باسم : (قسم التخصص في القضاء الشرعي) ، غير أنني عينت في أول وظيفة بعد تخرجي مدرسا في مدرسة ينبع ، براتب قدره ٣٣٠ قرشا (اميريا) كذا كان يسمى ، وهذا المبلغ يعادل ٣٠ ريالاً .

كان أول من تولى شؤون ادارة المعارف الشيخ محمد كامل القصاب من علماء الشام ، وتدعى في ذلك الوقت (مديرية المعارف العامة) ثم تولاها الشيخ محمد أمين فودة من علماء مكة من سنة ١٣٤٨ إلى سنة ١٣٥٣ ثم تولاها بعده بالوكالة الشيخ ابراهيم الشورى من مصر ، وقد أصبح سعوديا ، وكان إذ ذاك هو مدير المعهد .

وأذكر أن الشيخ الشورى بعد أن أبلغني التعيين في مدرسة « ينبع » كتب كتابا إلى (النيابة العامة) أي نائب الملك في الحجاز ، وهو فيصل رحمه الله ، وكان يتولى رئاسة ديوانه الشيخ ابراهيم السليمان بن عقيل ، فقال لي الشيخ الشورى : يحسن أن تذهب إلى ديوان النيابة للمراجعة لإركابك إلى (ينبع) فذهبت وقابلت الشيخ ابراهيم صباحا ، حول الساعة الرابعة ، فلما كلمته في الموضوع قال لي : اجلس ، فجلست طويلا ، ثم وقفت أمامه فكرر لي كلمته الأولى ، فجلست ثم عدت إليه ثانية بعد أن قاربت الساعة السابعة وقلت له : إذا لم يكن موضوعي

انتهى فسأعود غدا ، فكلمني بحدّة ووصفي بالحمق وانتهري ، وأخذ الهاتف فاتصل بالشيخ ابراهيم الشورى فكلمه وأنا أسمع قائلاً مامعناه : هذا إنسان أحمق لا يصلح للتعليم كيف تعينونه ؟ ! ، ولم أسمع ماأجاب به الشورى ، ولكنني خرجت متأثراً ، وذهبت إلى (مديرية المعارف) وكان مقرها إذ ذلك في (الحميدية) بجوار الحرم وكذا كل دوائر الحكومة . ، سوى (النيابة العامة) ، فوجدت الشيخ الشورى متأثراً ، وقال لي : سذهب إلى الشيخ ابراهيم لاعتذر منه ، فقلت : كيف اعتذر وكيف ترضى مني هذا ، وهو الذي أخطأ على ، وأهانك أنت ، وأهان المعارف حين تناول على أحد موظفيها وأهانها ، لايمكن أبدا أن أعتذر عن ذنب لم أفعله . وكنت منفعلا ، وكان الشيخ الشورى لا يخلو من حدّة أيضاً ، فخرجت من عنده ، ولكنني بعد ثلاثة أيام علمت بأنّ (النيابة) قد أمرت باركابي في الباخرة إلى « ينبع » فكان أن سافرت إلى تلك البلدة التي كتبت عن ذكرياتي فيها مؤلفا دعوته « في بلاد ينبع » وهو مطبوع .

وفي سنة ١٣٥٧ وكنت في « ينبع » تلقبت برقية من رئاسة القضاة بصدور (الإدارة الملكية) بالموافقة على تعييني قاضيا في بلدة (ظبا) في شمال الحجاز ، وكنت إذ ذلك أتولى إدارة مدرسة (ينبع) والإشراف على مدرسة أبناء البادية ، وكنت مرتاحا في عملي ، فاعتذرت عن وظيفة القضاء ، ولكن لم أمكث طويلا حتى ورد إلى أمير ينبع (برقية) من (النيابة) بفصلي من عملي ، وتكليفي بالسفر لمباشرة وظيفة القضاء ، فرفضت ، وسافرت من ينبع إلى مكة المكرمة ، فأضيت مايقرب من شهر ، وبينما أنا نازل عند أحد أصدقائي في (رباط باب الداودية)

إذا بشرطي يأتي إلى ويأخذني إلى مدير الأمن العام ، في (الحميدية)
وكان إذ ذاك مهدي القلعي ، الذي لُقِّب فيما بعد بمهدي المصلح ، فلما
دخلت عليه قال له أحد الضباط : هذا فلان ، فانتهرني قائلاً مامعناه :
لماذا تعصي أمر جلالة الملك ؟ ، فقلت : أنا لم أعص أمره ، ولكنني
لا أصلح للقضاء ، فقال : أنت مُخَيَّرٌ بين أحد أمرين : إما أن تسافر
الآن ، وقد صدر الأمر للمالية بأن تهيء لك لوازم السفر ، وإما أن ندخلك
السجن ، فاخترت الأولى ، وسافرت بالسيارة إلى جدة ، ثم بالباخرة
إلى الوجه .

وفي الوجه كانت المالية قد أبلغت بترحيلي إلى مقر عملي ، وكان
يديرها إذ ذاك الشيخ عبد الله القين ، وكان أمير البلدة الشيخ علي
ابن حمد آل مبارك ، وهو من خيرة الرجال خُلُقًا وكرما ؛ فكان استقباله
لي كريما .

كان السفر من الوجه إلى ظبا بالنسبة لي متعبا ، إذا كان على راحلة ،
وكان لدى الأمير سيارة ، ولكن (البنزين) في تلك البلدة
يوشك أن يكون معدوما ، وقد علمت بأن انسانا يتعاطى بيعه خفية ،
فطلبت من الأمير السيارة ، وأرسلت إلى مدير المالية القين أطلب منه
بأن يصرف لي الأجرة التي ستدفع لكراء الرواحل التي ستنقلني مع أمتعتي
ومع مرافقي لكي اشتري بها (بنزينا) ، كان الشيخ القين رحمه الله
شكسا ، فما شعرت إلا به قد جاء إلى ، وأنا في بيت الأمير ، ولما استقر
به المجلس ، قال لي : أحب أن نخبرنا بهذا الرجل الذي ستشتري منه
(البنزين) لأن لدينا أوامر مشددة بمصادرته ، فقلت له : لن أخبرك ،
فإذا أردت أن تدفع لي ما طلبت ، وإلا فتهيء لي وسائل سفري ، ولكن

إلحاحه لم يحل بيني وبينه سوى تدخل الأمير ، وكان السفر على
الرواحل ، والوصول إلى ظبا في اليوم الخامس من مسيرنا من الوجه
أعجبت بالبلدة وأهلها ، فهي تقع على شاطئ جميل ، وبقرها واد
فيه آبار عليها بساتين قليلة ، وماؤها عذب ، مع قربها من البحر ،
والبلدة ليست كبيرة ، ولكن كل بيوتها عامرة ، مما يدل على أنها حديثة
وسكانها أسرٌ نزحت من السُويس أو الصعيد ، وأشهرها أسرة آل بُديوي
وكبيرها الشيخ محمود بديوي شحاته ، وابنه الشيخ اسماعيل ، والأسرة
قسمان : قسم في الوجه ، وقسم في هذه البلدة ، ورجالها أهل ثراء ، ومن
أسر بلدة ظبا آل خُضَيْر ، ومنهم الشيخ حسين خضير ، وكان من
العلماء ، وتولى القضاء في عهد حكم أشرف مكة ، وعند حضوري كان
في وظيفة (رئيس كتاب محكمة ظبا) وأخوه الشيخ علي خُضَيْر كان
رئيس البلدية ، وجميع سكان البلدة كالأُسرة الواحدة من حيث الألفة
والتآخي ، ومدير المدرسة الشيخ محمد رشيد فلسطيني الأصل ، قدم
جندياً في عهد الأتراك ، فأقام في هذه البلدة ، وتولى إدارة مدرستها ،
وكان رجلاً عاقلاً طيب الخلق ، وله ابنان كبيران يقومان بالتدريس
فيها ، وأذكر أن أحدهما عندما زرت بلدة حَقْلٍ قبل بضع سنوات قيل
لي إنه هو القاضي في تلك البلدة .

أما الوظائف الأخرى ، فيتولاها أناس من غير أهل البلدة ، وكان
الأمير محمد بن عبد العزيز بن ماضي الذي تولى عدة إمارات بعد
ذلك في جنوب المملكة وشرقها ولكنه كان غائباً ، وقد أناب أخاه الأمير
عبد العزيز ، ثم أخاه الأمير مشاري .

ومع أن أهل البلدة أصفوا على كثير من اللطف والكرم ، حتى قويت صلتى بكثير منهم ، إلا أنني أحسست أنني في غربة في هذه البلدة النائية الهادئة حقا ، ولعل هذا يرجع إلى أنني قدمتها غير راغب ، بل مُرغمًا ، وهذا مادفعني لأن استقبل أموري استقبال المرء الذي يتوقع الرحيل في كل لحظة ، فكنت كثير الاتصال بالجهات الحكومية العليا ، مع أنه ليس من حتى سوى الاتصال برئاسة القضاء .

كان مرتب قاضي هذه البلدة بل قضاة شمال الحجاز ، الوجه ، والعلا وتبوك لا تزيد على خمسين ريالاً في الشهر ، ومن القضاة في ذلك العهد الشيخ ناصر الوهبي والشيخ محمد الحرکان ، والشيخ ضياء الدين رجب ، والأخيران عيّنوا في السنة التي عيّنتُ فيها .

وكان رؤساء المالية والجمارك في تلك الجهات يتقاضون رواتب أكثر من رواتب القضاة ، لانقل عن ستين ريالاً ، فأرسلت برفقة إلى الملك عبد العزيز رحمه الله بهذا الشأن ، وأنه لا يصح أن يفضل موظفي (المكوس) على رجال العلم والقضاء . وسرعان ما تلقيت جواباً برفقيا ، بأنه صدر الأمر لابن سليمان بأن لا يقل راتب القاضي عن ستين ريالاً .

كان في جهات بلدة ظبا أودية فيها نخيل قليلة ، في وادي مقنا ، والبدع ، وحقل ، وغيرها ، وفي كل عام ترسل إدارة مالية ظبا جباة للزكاة ، وكانوا يسيرون في عملهم على مذهب الإمام أبي حنيفة ، فيأخذون من ثمرة كل نخل سواء بلغ نصاباً ، أو لم يبلغ ، لأن أبا حنيفة لا يشترط النصاب ، وكان المذهب الحنفي هو مذهب الدولة الرسمي قبل الحكم السعودي ، فلما علمت بهذا أبرقت للملك ، بأن مذهب الدولة الرسمي هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وهو لا يرى الزكاة فيما دون خمسة أوسق والوسق ستون صاعاً ، أي لازكاة في ثمرة نخل تقل عن ثلاثمائة صاع ، فكان أن تلقيت جواباً بإبلاغ وزير

المالية بأن لا يخرج عمال الزكاة لأية جهة إلا بتعليقات من قضاة الجهات التي يزكون فيها ، فطلب مني مدير المالية ، وكان إذ ذاك السيد ياسين طه طلب أن أقدم له تلك التعليقات ، وكنت أعلم أن بعض جباة الزكاة يستعملون شيئاً من عدم الرفق في جبايتها ، وقد يحيفون على صاحب المال ، فكان أن وضعت قواعد للجباية تحول دون ذلك ، فأبرقت المالية إلى وزير المالية بأننا إذا سرنا على ما قدمه لنا القاضي من تعليقات فإننا سنضطر لدفع جميع تكاليف عمال الزكاة بدون مقابل ، لأنهم سوف لا يجوبون شيئاً . وحصلت مكاتبات طويلة بهذا الشأن ، انتهت بعدم جباية الزكاة إلا على مذهب الإمام أحمد بن حنبل .

وفي صباح يوم من الأيام دخل عليّ في المحكمة بدوي علمت منه أنه كان يملك بعيراً يحتطب عليه ، ويبيع الحطب في سوق البلدة ، ومنذ أيام أتى إليه أحد خدم الأمير ويدعى ابن سلامة ، فأخذ البعير منه بحجة احتياج الإمارة إليه ، ولكنه في الأمس عاد إليه الخادم ليخبره أن بعيره قد مات ، وشكى لي ضعف حاله ، فانصلت بالأمير وكان مشاري بن ماضي : ولكنه قال لي : إن هذا من الشؤون الإدارية التي لا تدخل للقاضي فيها ، والعادة أن الإمارة إذا حدث ما يستدعي إرسال أحد رجالها خارج البلدة تعتمد إلى أي راحلة تجدها في السوق ، وهذا ما حدث ، وأبدي الأمير رحمه الله شيئاً من عدم الارتياح لتدخلني في الموضوع ، فما كان مني إلا أن كتبت كتاباً إلى الشيخ (محمود أبو طفيقة) وكان إذ ذاك في وظيفة (قائم مقام) أي شيخ البادية ، وطلبت منه التحقيق في قضية البدوي ، مع تقدير قيمة جملة إذا كان صادقاً ، فكتب إليّ يثبت الأمر ، ويقدر القيمة ، فأرسلت كتاباً إلى الأمير طالباً منه أن يدفع للبدوي ثمن جملة حسب قدرها (القائم مقام)

وأرسلت الكتاب مع صاحب الجمل ، ولكنه عاد إلي مطرودا ، فكتبت برقية للملك أصف فيها الأمر ، وبعثتها إلى (اللاسلكي) وكان مديره إذ ذاك (حاتم توفيق) أخو غالب توفيق الذي كان مديرا لشرطة الظهران عام ١٣٦٣ وما بعدها ، وبعد ساعات من بعث البرقية أتت إلي في المحكمة بعض أعيان البلدة وأظهروا أنهم على استعداد لدفع ثمن البعير ، وأنه لا داعي للإبراق بهذا الشأن ، فتأثرت لتأخر إرسال البرقية وكتبت أخرى قلت فيها : إنني بعثت برقية لجلالتكم ، في هذا الصباح وقد علمت بأنها لم ترسل حتى ظهر هذا اليوم ، فلم أشعر إلا بعدد من كبار الموظفين كمدير الشرطة ، ومدير اللاسلكي ، ومدير البلدية ، يحضرون إلي ، ويخبرونني أن الأمير وافق على دفع ثمن البعير ، وأنهم يحبون تهذئة الأمور بعدم إرسال البرقيتين ، فكان ذلك .

كانت القضايا في هذه البلدة التي تصل إلى المحكمة قليلة . وخاصة بين أهلها وإذا حدث شيء من ذلك ، أوعزت للشيخ حسين خضير بأن يتولى حل القضية ، بطريقة مرضية ، فكان يفعل ذلك ، أما قضايا البادية فكانت كثيرة .

في يوم من الأيام ، أتت إلي بدوية وادعت بأنها زوجة لرجل يدعى خضير بن شهبني ، كبير العميرات ، وأنه يكلفها من العمل مالا تطيق ، وهو رعي إبله ، بينما له ثلاث زوجات غيرها لا يكلفهن بذلك ، وأنه كثيرا ما يضرها ، فكتبت إلى الإمارة طالبا إحضار الرجل ، فكان الجواب إنه شيخ العميرات ، وليس رجلا عاديا ، وجماعته قسم كبير منهم في شرقي الاردن ، وكانت الأحوال إذ ذاك بين حكومتنا وبين حكام تلك البلاد ليست على مايرام ، ولكنني المحنت بطلب الرجل ، فكان أن أحضر إلي فلما بدأت بنصحه بأن يحسن معاملة زوجته وأن يعدل بينها وبين زوجاته ، أظهر الاستنكار قائلا مامعناه : هي زوجتي ولاحق

لك بأن تتدخل بيني وبينها ، وما دام الأمر بلغ هذا الحد فتدفع لي المهر الذي دفعته لها ، وأطلقها ، فاستعدت لدفع ذلك ، وتولى أحد الحاضرين معها ضماناً مادفع من المهر ، فكان أن خلى سبيلها ، وكتب طلاقها في ورقة سُلِّمَتْ لها ، ولكنني لم أشعر بعد أسبوع إلا بالمرأة تدخل المحكمة وتدعي بأن خضر بن شهبي أتى إليها وهي في بيت أهلها ، وفعل بها ما فعل ، فطلبت احضاره ، فلما حضر اعترف بأنه جاء إليها ليحاول إرجاعها إلى بيته ، وأنه لايعترف بذلك الطلاق لأن أمور العميرات راجعة إلى (حكومة الأردن). فكتبت إلى الإمارة بأن يعزَّر الرجل ويحبس شهراً ، فسجن ، وبعد بضعة شهور تلقيت برقية استيضاح عن أسباب حبس ابن شهبي هذه المدة الطويلة ، فأجبت رئاسة القضاء بتفصيل ما حدث ، وبأن المدة المقررة لحبسه هي شهر ، ولكنه نُسي في سجنه ، وكان هذا سبباً لعتاب الإمارة على ذلك بعد أن قام أحد أقربائه بالاتصال بالملك بشأنه .

وجاء الفرج من حيث لم أحتسب ، فقد حدثت قضية قتل بين اثنين من أهل البادية ، استوجبت أن أحكم بدية ، لأن القتل خطأ ، فحكمت بمائة من الإبل مفصلة الأسنان ، كما في كتب الفقه ، فرفعت الإمارة الأمر لنائب الملك ، الذي عرض الموضوع على الملك نفسه ، فصدر الأمر بلفت نظر القاضي إلى قرار (مجلس الوكلاء) بتحديد الدية بعشرة آلاف ريال ، ولكنني أصررت على أن تكون الدية مائة من الإبل ، وأرسلت برقية للملك ولنائبه ولرئيس القضاة ، معناها أنني حكمت استناداً إلى حديث نبوي شريف ، أورده صاحب « المعنى » وهو الكتاب المطبوع على نفقة الملك ، والذي كان يوزع على القضاة ، وأن قرار مجلس الوكلاء لا يصح أن يقدم على كلام الرسول (صلى الله عليه وسلم) إذ لا رأي لأحد كائن من كان مع قوله عليه الصلاة والسلام ،

وأصرت على عدم نقض الحكم الذي صدر مني ، فكان أن أمر الملك عبد العزيز رحمه الله بفصلي من القضاء ، فتم ذلك .

ولما حاولت السفر من البلدة بعد أن بلغني الأمر بغير طريقة رسمية تلقيت برقية تهديد بلزوم بقائي حتى يحضر القاضي الذي سيخلفني ، وكان السيد صالح الدبأغ والد السيد عبد الله الدبأغ . الذي كان وزيرا للزراعة .

ومن طريف ما حدث لي وأنا في تلك البلدة ، أن الإمارة تلقت برقية من النيابة العامة بثبوت رؤية هلال شوال ، فكتبت إلي بذلك ، ولكنني

أجبتها بأن ثبوت الأهلة من الأمور الشرعية التي لا تثبت إلا بحكم قاض ، ولهذا لا يمكن أن أعتمد على مجرد هذا الخبر ، حتى أتلقى من

رئاسة القضاء ما يثبتهُ ، فأبرقت الإمارة للأمير فيصل - رحمه الله -

بذلك ، فكان أن أرسل برقية يقول فيها : أخبروا القاضي بأن رؤية الهلال ثبتت لدى جميع علماء المسلمين فإن قبل . وإلا فصلوا العيد واتركوه !

وبعد نحو عام من هذه الحادثة وكنت في القاهرة ، فمر بها فيصل رحمه الله ، فذهب طلاب (البعثة السعودية) ، وكنت أحدهم ، للسلام

عليه ، فلما قدمني ابراهيم السليمان له - قال : أعرفه صاحب قصة الهلال ،

مع أنه كان يعرفني قبل ذلك ، فقد مدحته بقصائد كثيرة ، حينما كنت طالبا في المعهد ، واجتمعت به مرارا .

ثم في سنة ١٣٨٣ ذهبت في صبيحة اليوم الأول من رمضان لتهنئة

سموه بالشهر ، فجرى الحديث في رؤية الهلال فصار الشيخ يوسف ياسين

يتحدث في الموضوع ، فالتفت إليه فيصل رحمه الله قائلا : لا تتدخل

في هذه المسائل مادام فلان موجود ، فهو أعلم منك بها ! ! قال ذلك

وهو يبتسم . وقد مضى على تلك الحادثة أكثر من ستة عشر عاما .

حمد الجاسر

في رحاب الحرمين

من خلال كتب الرحلات إلى الحج

- ٢٠ -

ونستشير في استعراض ما اطلعنا عليه من رحلات الحج ، فنتناول رحلة ابن كيران ، أحد علماء المغاربة المتأخرين ، وإن لم نرَ فيها جليداً .

المؤلف : محمد بن الطيب بن أبي بكر ابن الطيب بن كيران المتوفي سنة ١٣١٤ (١٨٩٦م)^(١) واسم رحلته : «الرحلة الفاسية المزوجة بالناسك المالكية» ضمنها رحلته إلى الحج سنة ١٢٩٣ هـ (كما في ص ١١٤) .

وقد قدم بحرا إلى جدة ، وعاد منها إلى وطنه والرحلة مطبوعة في (فاس) على الحجر ، وقد رجعت إلى مخطوطة خزانة الرباط رقم ٢٣٥٦ وهي مخطوطة سنة ١٣٢٣ .

وقدم ابن كيران للحج في الباخرة إلى جدة وقد ارتحل منها سادس عشر ذي القعدة ١٢٩٣ (١ ديسمبر) إلى مكة بعد المغرب ، ووصل قرب الفجر حدة ، وأقام بها إلى قرب الغروب ، ثم ارتحل ليلة الجمعة حتى بلغ ذا طوى .
وبقي في مكة إلى ١٦ ذي الحجة (٢٦ ديسمبر) ثم سافر إلى المدينة .
ودخل عليه عام ١٢٩٤ وهو في خُلَيْص .

(١) « فهرس المخطوطات » في خزانة الرباط ق ٢ ج ٢ ص ٢٣٩ .

ووصل المدينة في اليوم الخامس عشر من محرم ١٢٩٤ (١٠ يناير) وأقام فيها ثم سار منها في ٢٤ محرم إلى جدة فوصلها في سابع صفر ، ومنها في ١٧ منه سافر بحراً فوصل الطور ٢٢ منه ووصل الإسكندرية ٢٨ منه وسافر منها ٩ ربيع الأول (١٢ مارس إلى طنجة) فوصلها في ٢٨ ربيع الأول (أي مكث بين الإسكندرية وطنجة ١٣ يوماً) .

ووصل فاس ١٥ ربيع الثاني سنة ١٢٩٤ هـ .

وسنقل من رحلته ما يتعلق بتحديد المواضع ، أو يتصل بوصف الحالة الاجتماعية في الحجاز ، وما استنقاه موجز جداً ، لأن الرحلة أفرغ جهده في إيضاح الأمور الدينية ، ولم يُغنَ كثيراً بالنواحي الجغرافية أو غيرها .

المحصب :

والمحصب بين مكة ومنى ، وهو أقرب لمنى ، وهو البطحاء ، وهو خيف بني كنانة ، وهو الموضع الذي تحالفت فيه قريش على أن لا يبايعوا بني هاشم ولا يناكحوهم ، فنزله النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الله فيه شكراً له حيث ظفروه الله ونصره على أعدائه^(١) .

عند أمير مكة :

وفي يوم الاثنين (١٤ الحجة) عند الزوال أرسل وراءنا سلطان الحرم الشريف عبد الله فتلاقينا معه في داره ، في موضع صعديناه بإحدى وثمانين درجة ، فلما أقبلنا عليه قام إلينا ، وصافح كل واحد ، وأجلسنا بموضعه ، وأتوا لنا بالقهوة على عادتهم ، ولاطعام ، ولما قمنا للخروج قام معنا حتى ودّع كل واحد .

(١) يظهر من كلام المتقدمين أن المحصب هو ما كان يعرف باسم (الأبطح) الواقع في عل مكة فيما بين قصر السقاف وقصر الملك فيعمل .

الحجر ، وأثر المرفق :

والحجر الذي كان يسلم على النبي (صلى الله عليه وسلم) ويكلمه ، وهو حجر أسود على الطول ، مركب في حائط بمحل يُسمى زقاق الحجر ، مشهور يزوره الناس ويبتكرون به ، وعليه مكتوب في حجارة على لسان حاله :

أَنَا الْحَجَرُ الْمُسَلَّمُ كُلَّ حِينٍ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى ، فَلِي الْبِشَارَةُ
فَحُزْتُ فَضِيلَةً مِنْ دُونِ جِنْسِي خُصِّصْتُ بِهِ (وَلِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ)
وعلى قرب منه على اليسار الحجر الذي فيه أثر مرفق النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك يُسمى المحل زقاق المرفق ، وهو قائم بجدار ، ولا زالت فيه حفرة على قدر المرفق ، والناس يتمسحون به ويتبركون^(١) .

مع المكارين :

ثم بقينا بلدي طوى خمسة أيام ننتظر الجمال ، وكان غرضنا أن نبيت ليلة واحدة ونسافر ، فإذا بالجمال لم يأت لنا بالإبل ، وكل يوم يتلون لنا بلونٍ مع المطوف الذي طوفنا بعد أن كان يدعي أن له إبلاً جيدة كثيرة ، ويظهر لنا النسك والعبادة والمساعدة ، والسبحة في يده ، وأنه من جملة خدامنا ، والمطوف يؤيد كلامه ، فإذا الأمر في الجميع بخلاف ذلك .

ومن أراد السلامة والنجاة والراحة فعليه بالكراء مع الراكب الشامي والمصري ولا يُكْري من الأعراب لقلة دينهم وعدم أمانتهم وشدة صعوبتهم وقساوة قلوبهم .

وما عرفنا السفر حتى خرجنا من مكة وشرعنا في الحجاز معهم وأما السفر من بلدنا فاس إلى مكة فلا يُعدُّ سفراً لسهولته وإن كان فيه

(١) لم يثبت بطريق صحيح شيء عن هذا الحجر أو الأثر ، وما يفعله عندهما من الأمور المحرمة . وقد زالت وثقه الحمد .

البحر فركوبه أسهل من مخالطة هؤلاء الأعراب ، على أن الحامل لنا على الكراء مع الأعراب هو التعجيل والوصول إلى المدينة قبل الركب ، فإذا الأمر بخلاف ذلك ، فبقينا في طريق الحجاز سبعة عشر يوماً ، ودخلنا مع الركب الشامي في يوم واحد ، عمل مع الطريق إثني عشر يوماً

الركب :

ومن قاعدة الركب أنه يُحْرَسُ جميع من كان معهم بالعسكر والمدافع ويُعْمَرُ السوق في كل موضع ، وكل ما يحتاج الإنسان إلى شراب يجده فيه ، وأن من اُكْتَرى معهم يأتون له بالحطب والماء في كل مرحلة ، ولا يصل إلى موضع النزول حتى يجد خزانته مضروبة ، وحوائجه على الأمان ، وإذا ارتحل قام وتركها وهم يحملون ذلك ولا يضيعون شيئاً ، وهكذا كل يوم ، ومعهم حكامهم .

وادي فاطمة :

ارتحلنا من ذي طوى ١٦ ذي الحجة (٢٦ دجنبر) وكان عزمنا أن نبيت بوادي فاطمة ، وبينهما ست سوايح ، فشرعنا في المسير وإذا بسحابة قد طلعت وشرع المطر في النزول ، فنزل علينا مطر شديد كأفواه القرب ، وبرق كثير ورعد كأنه الصواعق ، لم نعهد مثل ذلك في بلدنا ، حتى وقفنا قسراً علينا ، وبقيتاً بموضع مبيتنا إلى الزوال ، ثم ارتحلنا ونزلنا بوادي فاطمة بعد العصر يوم الجمعة وبتنا به قبل عبوره لأننا وجدناه حاملاً^(١) لا يُجَاز .

بئر رضوان :

ارتحلنا من رابع يوم السبت ٥ محرم (١٢٩٤) وبتنا بموضع يقال له

(١) يقصد بجرى به السيل .

بئر بيرك^(١) ، ويقال له بئر رضوان ، مسافة بعيدة ، مشينا من الشروق إلى نصف الليل ، فجملة ما سرنا ١٢ ساعة .
الريان :

ارتحلنا يوم الثلاثاء - من بئر رضوان عند الشروق ، ونزلنا عند الغروب بموضع يقال له الريان^(٢) ، كثير النخل والماء والزرع ، وقد دنا حصاده ، وأهله يتعرضون للحاج بالتمر واللبن والسمن للبيع .
الصمد الأبيض :

ثم ارتحلنا من الريان من الشروق إلى الغروب ونزلنا بموضع يقال له الصمد الأبيض ، ثم أقمنا يوم الخميس لكثرة الأمطار .
بئر الماشي :

ثم ارتحلنا - من الصمد الأبيض - من الشروق إلى نصف الليل ونزلنا ببئر الماشي ، فجملة ما سرنا ١٧ ساعة .

ثم ارتحلنا ١٠ محرم (١٥ يناير) عند العشرة من النهار ، ونزلنا عند العشاء بسور المدينة المنورة بالقباب فجملة ما سرنا عشر سوايح .
الأغوات^(٣) :

واعلم أن شيخ الحرم هو كبير العبيد الأغوات الموقوفين على خدمة المسجد والحجرة الشريفة والأغا بلذمتهم كناية عن الخصي من العبيد ، واختاروا وقف الخصي دون غيره لكونه أظهر وأنزه ، وأكثر فراغاً من الأشغال ، إذ لا أهل له ولا ولد يشتغل بهم ، وهم أبعد من دنس الجنابة ، ومباشرة النساء ، وهم عدد كثير قريب من الثمانين . يزيدون ويتقصون

(١) كذا وهو (ميريك) .

(٢) الريان : من قرى الفرع -- بضم الفاء .

(٣) يظهر أنه نقل كلامه عن (الأغوات) من رحلة العياشي ، وتقدم ملخصها .

بحسب كثرة الراغبين في الوقف وقلنتهم ، والأربعون منهم هم الكبار الذين يأتي رزقهم ومؤنتهم من بيت المال ، وما زاد على ذلك إنما يُرزقون من الأوقاف التي لهم بالمدينة ، أو مما يأتيهم من الهدايا والصدقات من أقطار الأرض . ويُسمى ماسوي الأربعين (البطالون) لأنهم إنما يستعملون في الأشغال التي هي خارج الحجرة والمسجد النبوي من الأعمال المتهنة ، ولا يجلسون مع الأكابر في الدُّعة إنما يجلسون في خارجها ، ولم ضبط وسياسة كسياسة الملوك ، فلكل واحد منهم رتبة معلومة وشغل معلوم ، فإذا (مر) بالأصغر أحد الكبار قاموا له كلهم ، وكذلك الأكابر فيما بينهم ، فأكبرهم شيخ الحرم وهو يتجدد في الغالب إما في سنة أو سنتين أو أكثر ، ولا يأتي إلا من دار السلطان من عيَّنه ، ويليه النقيب ، ويليه المستسلم وهو الذي يتولى قبض الصدقات ، وما يهدى لهم أو للحجرة ، وحواصل الزيت والشع . والحاصل أن جميع ما يتصرف فيه الأغوات ومصالح المسجد وأوقافهم كل ذلك بيده فإذا مات أحد من الأربعين دخل أحد (البطالين) في موضعه ، وهو من كان شيخ البطالين ، والترتيب في ذلك بالتقدم ، فمن تقدم مجيئه يُقدم على من تأخر مجيئه ، وليس فيهم شافعي ولا حنبلي بل كلهم حنفي ، ومالكية على مذهب ساداتهم الذين أوقفوهم . وذلك لأن الشافعية والحنبلية لا يرون صحة وقف الحيوان . ومن أوقف عبداً من الأغوات على الحجرة نُسب إليه ، سواء كان من التجار أو من الأمراء أو من العلماء ، فيقال : أغا فلان . وكل الأغوات أهل خير وبركة ، قد اختارهم الله لخدمة أشرف البقاع ، وشرَّفهم بالنسبة إلى أشرف الخلق (صلى الله عليه وسلم) ولقد رأيتهم يُبالغون في خفض أصواتهم بالليل حتى بالسعال والعطاس ، وتنزل عليهم السكينة وتلحقتهم هيبة المكان

وليس ذلك منهم مجرد استعمال ، بل لما يخالط قلوبهم من هيبة المكان .
ولقد أخبروني أنه لا يقدر أحد منهم بالليل أن يصل إلى الروضة
وأطراف الحجرة والمواجهة إلا أفراد منهم ، وإنهم ليسمعون بالليل
قعقعة السقوف ، وفرقة الشبايبك ، حتى يظنوا أن أحد أبواب الحجرة
فتح ، وأن بعض السقوف وقع ، فلا يجدون شيئاً من ذلك ، وذلك -
والله أعلم - لِتَنْزِلِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ عَلَى قَبْرِهِ (صلى الله عليه وسلم)
أو قدوم بعض رجال الغيب للزيارة ^(١) ، ويظهر أمر ذلك بالليل ،
لهدوء الأصوات فيه وخلو المكان ، وإن كان تنزل الملائكة على قبره
(صلى الله عليه وسلم) وغشيان الرحمة له لا ينقطع ليلاً ولا نهاراً . فإذا
كان بعد الثالث الأخير من الليل جاء رئيس المؤذنين ففتحوا له وصعد
إلى المثذنة الرائية (٩) وأذّن ، وشرع في الدعاء والذكر والصلاة على
(النبي صلى الله عليه وسلم) فيقام كل من في المسجد من الأغوات ،
فيتوضؤون ثم يصبحون كل ما في المسجد من المصاييح ، فإذا فرغوا
من الإصباح وقرب الصباح فتحوا أبواب الحرم ، ولا يأتى وقت فتحه
حتى يجتمع بأبواب المسجد جماعات كثيرة من المجتهدين ، ينتظرون
الفتح فإذا فُتحت الأبواب دخلوا مزدحمين ، وتسابقوا إلى الصف الأول
من الروضة فيما بين القبر والمنبر ، فمن سبق إلى موضع كان أحق به ،
فإذا أراد القيام لحاجة كزيارة أو تجديد وضوء بسط نمره في محله
فلا يجلس فيه أحد ولو أبطأ . وكثيراً ما يعتدى في ذلك أقوام ،
فيدخلون مع أول داخل من غير طهارة لقصد السبق إلى الموضع وتَحْجِيرِهِ
فإذا بسط فيه فردته أو منديله ذهب إذ ذاك إلى الطهارة وأسبابها ،
وكثير منهم يُبْطِئُ في الطهارة فيحجر على الناس المحل ، وربما عرض

(١) هذا من الحرفات إذا كان المقصود رجلاً من بني آدم .

لأحدهم حاجة في منزله أو في السوق فيترك النمرة في محله ، فلا يقربه أحد ، وإن أبطأ كثيراً ، وفي ذلك من الضرر بالمصلين مالا يخفى ، على أن في دخولهم مزدحمين واستبقاهم إلى الروضة حتى ربما سُمع لأقدامهم دويٌّ من شدة العَدْوِ ، من سوء الأدب مالا يخفى ، وربما يحتاج لذلك بقوله صلى الله عليه وسلم : « لو يعلم الناس ما في الصف الأول لاستبقوا إليه » فلا بُدُّ من تقييد ذلك بما لا يُخِلُّ في آداب البقعة المطهرة وساكنها لقوله صلى الله عليه وسلم : « وانتوها - يعني الصلاة - وعليكم السكينة والوقار ، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا » والمراد بالمسابقة في الحديث المتقدم الاهتمام بشأنه والحرص على الصلاة فيه والتبكير إليه من غير عَدْوٍ بالأقدام ومزاحمة بالمناكب .

وساداتنا الأعوات لا يغفلون طرفة عين عن حراسة الحرم الشريف وتأديب من أساء فيه الأدب بلفظ ورفع صوت أو نوم ، ولو في قافلة إلا في مؤخر المسجد ، ومن وجدوه مضطجعا من دون نوم للاستراحة فإن مدَّ رجله إلى ناحية الحجرة زجروه ، وإن استقبل القبلة بوجهه أو الحجرة من غير أن يكون مُسْتَذْبِرًا لها تركوه ، ولا يغفلون عن حضور المسجد في ساعة من ليل أو نهار ، فإن خرجت طائفة جلست طائفة ولهم ديارٌ وخدم وأتباع وضياع ، ونخيل وسعة دُنْيَا ، ولا يشغلهم ذلك عما هم بصده من خدمة المسجد النبويِّ ، بل لبعضهم أزواج وسراري ، اتخذوها للتلذُّذ بما سوى الجماع .

وأحكامهم فيما بينهم منضبطة غاية الانضباط ، ولا يحكم فيهم سلطان ولا غيره ، ولا يُؤوَّلُ عليهم ولا يُعزَّلُ منهم إلا بأمر شيخهم ، ولا يرث معهم بيت المال شيئاً إن مات أحدهم إنما يتوارثون بينهم

ومن وجب عليه عقوبة أو أدب منهم أدبوه من غير أن تكون لأحد عليهم ولاية ، تعظيماً لجانب النبي صلى الله عليه وسلم .

عرب الدرب :

وأكثر عرب الدرب والحجاز وتامة ونجد أجهل العرب ، وأكثرهم جفاءً ، قلما تجد أحدهم يحسن شيئاً من رسوم الشريعة الظاهرة من صيام وصلاة إلا القليل . تدخل جماعة منهم المسجد في الرجبية غاسلين أطرافهم يريدون الصلاة على زعمهم ، فيقف أحدهم مَلِيّاً ثم يسجد على قدر ما يرى ، إما ثمان سجديات أو عشر سجديات أو أكثر على حسب نشاطه ثم ينصرف ، وغالبهم على هذا الوصف ، ومنهم أفراد يدينون دين الحق ، وسلامهم على النبي صلى الله عليه وسلم : (الله ، أمحمد) رافعين أصواتهم .

قال في « الرحلة العياشية » لطيفة : أخبرني شيخنا الملا إبراهيم عن الشيخ القشاشي أنه بينما هو ذات يوم عند المواجهة إذ جاء أعرابي في شملته وبيده عصاه ، حتى وقف أمام الوجه الشريف فضرب بعصاه الأرض مرتين وهو يقول : يامحمد يامحمد لا تقل أنا ماجيتك ها أنا ذا . فذهب ولم يزد على ذلك وكان الشيخ يقول : عسى أن يكون ذلك نافعاً له عند الله ، فإن ذلك مبلغ علمه ، ولو كان يرى أكثر من ذلك ينفعه ويقضى به حق تعظيمه لفعله . قال : وعوام الأعراب والبربر مغربنا بالنسبة إلى هؤلاء فقهاء ، فلا تجد عامياً بالمغرب وإن بلغ الغاية في الجفاء إلا وهو يعلم أن الصلاة ذات ركوع وسجود ، وإن كان لا يحسن أن يقرأ فيها ، ويعلم وجوب صوم رمضان ، بل هو أشد عندهم من الصلاة ، بخلاف هاؤلاء . فقد أخبرني مخبر عن عرب الدرب أنه سأل بعضهم هل صام أم لا ؟ وهو رجل كبير كهل فقال : إني إلى

الآن لم أصمُ لاكن قد صام (؟) ثلاثة أيام فاستفهمته عن ذلك فقال إن الرجل عندنا إذا قارب الهرم والشيخوخة صام ثلاثة أيام ، فيقولون : فلان صام . وذلك علامة بلوغه حد الكبر ، وأما قبل ذلك فلا يعرف صياماً ولا غيره قال : ولقد لقيت رجلاً بالينبوع (؟) وقد ظهر الشيب في مفرقه فسألته عن مكة فقال لي : ما حَجَّجْتُ قط . وبينه وبين مكة ثمان مراحل ، وسألته عن المدينة فقال لي : دخلتها مرتين أو ثلاثاً ، وبينه وبينها ثلاث مراحل ، وأمثال هاؤلاء كثيرون .

ثم وصف الرحالة خروجه من المدينة ، عائداً إلى جنة لِبُبْحَرِ منها إلى بلده . .

والطريف أنه ذكر أنه ارتحل من المدينة يوم الخميس ونزل بباب المدينة - المناخة .

مما يفهم منه أن (المناخة) كانت خارج باب المدينة في ذلك العهد (١٢٩٣) .

ثم قال في وصف الطريق :

الدرب الفرعي :

ثم ارتحلنا من المدينة يوم الجمعة (٢٥ محرم) قرب العصر ، ورجعنا على الحجاز ، من الطريق الذي سلكتناها أولاً من الدرب الفرعي ، لأن أمير مكة الشريف عبد الله شرط علينا الرجوع منها إلى جدة ، واعتذر بأن طريق الينبوع (؟) بيد التُّطَاع ولا تُسلك ، وأن (البوابر) كتب عليهم بالمجيء إلى جدة دون الينبوع (؟) .

ونزلنا ببئر الماشي في الواحدة بعد نصف الليل ومن بئر الماشي إلى الصمد الأبيض قسمناه (؟) يومين وأقمنا يوماً .

ومنه إلى الريان .

ومنه إلى (بوضيع)^(١) .

ومنه إلى بئر رضوان .

ومنه إلى هَرَشَا .

ومنه إلى رابع قسمناه يومين أيضًا ، فنزلنا به يوم السبت ثالث صفر وأقمنا به يوماً ، ومررنا بالطريق الأولى التي كانت فيها كثرة النخل والزرع فوجدنا الأرض بيضاء لا شجر فيها ولا زرع ، إنما النخيل ساقطة بالأرض فسألنا عن ذلك فقالوا : أخذها السيل وترك الأرض ، كما ترى ، والموضع المسمى بالريان ، قطع الأعراب علينا الطريق ، قطعهم الله من تلك الطريق ، وضربونا بالبارود والخفيف (٢) فنجى الله جميعنا ، وطردهم أصحاب الشريف بالأحجار ، وما أردنا ضربهم بالبارود لأننا خفنا من موت أحد منهم فيعظم الأمر ، وما جئنا بصدد هذا ، وعادتهم - قَبَّحَهُمُ اللهُ وَأَذَلَّهُمْ - أن من وقف معهم يخافون ويرجعون ومن فرّ تبعوه ونهبوه ، ولا رجلة فيهم إنما هم خطافة فقط كالوحوش ، ولادين لهم ، والواجب في هذه السنين لعدم إقامة الأحكام فيها وعدم الأمن في السبل تقديم الزيارة على الحج بأن يأتى الإنسان أولاً للنبوع ، ثم يأخذ كبيراً من أهلها ويأتى معه إلى المدينة ويبقى فإذا جاء الركب الشامي مرّ معه إلى مكة للحج ، وينزل بجدة في أمد قريب كالسابع من ذي الحجة أو الثامن مع سهولة الأمر ، فلا يكمل شهر المحرم إلا وهو ببلده ، لاسيما إن نزل من جدة إلى طنجة ، وهو الواجب أيضًا ، وأما مروره على طريق الاسكندرية فصعب أيضًا من

(١) يقصد أبو الضباع من قرى الفرع .

كثرة اللوازم والكلف ، حتى إنهم يستحلون مال الحج ، ويتحيلون على أخذه بأي وجه كان وهذا الأمر سلكناه بالبحرية .

من رابع إلى جعدة :

ثم ارتحلنا من رابع رابع صفر بعد العصر إلى البحر ، وركبنا بعد العشاء في السُّنَيْكِ وبتنا في المرسى ، ثم شرعنا في السير بعد صلاة الصبح خامس صفر ومشينا إلى قرب العصر ، ونزلنا بجزيرة هناك ، فجملة ما سرتنا عشر سوابع ، ومن الغد كذلك ووصلنا إلى جدة في اليوم الثالث عند الزوال سابع صفر ومن ركب قبلنا عمل يوماً واحداً لمساعدة الريح وقلة الأدمي ، لأنه إذا خفَّ كَثُرَ جَرِيئُهُ لاسِيَّما مع مساعدة الريح .

ونزلنا بجدة . ووقع ليلة ١٤ بعد العشاء خسوف في القمر حتى خسفت الدائرة بتمامها وطال ذلك نحو الساعة . وأقمنا بها عشرة أيام ، وارتحلنا يوم السبت سابع عشر صفر بعد صلاة الظهر وركبنا (البابور) والكرابخسة عشر ريالاً إلى طنجة ، وبتنا بالمرسى ، وأصبحنا بها إلى بعد الزوال من يوم الأحد ١٨ صفر وأطلق .

وسرنا إلى يوم الخميس في العشي وأرسينا بجبل الطور فجملة ما سرتنا مائة ساعة وساعة لأنَّ الريح لم تساعدنا ، ونزلنا إلى جبل الطور يوم الجمعة في القباب (كرنطل) ^(١) ثلاثة أيام ، ورجعنا إلى (البابور) عشية يوم الأحد ٢٥ صفر وأعطينا ريالاً لكل واحد وأطلق البابور في الضحى من يوم الاثنين ووصلنا لمرسى السويس بعد نصف ليلة الثلاثاء ٢٧ صفر .

(١) يقصد المجرى المسمى (الكرنتية) .

النخيل في القصيم

(ومن المقدمة الصافية التي وضعها الأستاذ الشيخ محمد العبودي لكتاب « بلاد القصيم » أحد أجزاء المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية تنشر العرب هذا البحث المتع) .

كان من عزمي أن أثبت فصلاً عن النباتات البرية التي تنبت في القصيم مع بيان أسائها القديمة والتطور الذي حصل فيها عبر القرون غير أنني بعد أن سوت بعض ذلك الفصل، تقدمت (الجسمية العربية السعودية للفنون والثقافة) إلى عدد من الباحثين في المملكة منهم كاتب هذه السطور بوضع معجم شامل للنباتات البرية في نجد فعدلت عن الكتابة في النباتات وأثبت ما كتبت عن النخل في القصيم .

اشتهر أهل القصيم بإتقان غرس النخل الجيد حتى عرفوا بأنهم خبراء فيه يستقدمهم إليه من يريد أن يتعلم كيفية غرس النخل ، على الوجه الأفضل ، أو من يريد لنفسه غرساً أفضل من النخل . والدليل على ذلك أن أهل المدينة المنورة قد استقدموا إليها من أهل القصيم قوماً من ذوي الخبرة بذلك ، استفادوا من خبرتهم وذلك خلال القرن الثالث عشر الماضي ، ولعل أهل القصيم أخذوا معهم إلى المدينة بعض الأنواع المشهورة عندهم منه غرست في المدينة وإن لم تصبح في جودتها في مكانها الأصلي في القصيم مثل السكرية التي تسمى في المدينة في الوقت الحاضر (سكرة الشرق) ومثل الشقراء والمكتومية وكلها أقل جودةً من مثيلاتها في القصيم ، وربما كان ذلك بسبب عدم ملاءمة الهواء أو التربة ، أو عدم العناية الكاملة بها .

قال السيد أمين بن حسن الحلواني المدني : إن غرس النخيل كان في قديم الزمان مخصوصاً بأهل المدينة وكان هو أعز أموالهم ، وبه يتفاخرون ثم اعترتهم فترات من السنين إلى أن تنوسيت عندهم كيفية الغرس على أصوله وقوانينه ، فصاروا يغرسونه كيفما اتفق كغرس خيبر ومصر والمغرب وغيرها من البلاد التي لا يعبا بجودة نخلها .

ثم إن أهل المدينة تنبهوا إلى هذه النكته سنة ١٢٦٠ هـ ١٨٤٤ م وتعلموا كيفية الغرس من أهل القصيم كبريدة وعنيزة والرس . ولغرس النخل عندهم على وجه الإلتقان أنهم يحفرون حفرة مقدار متر في متر وتسمى في اصطلاح أهل الحجاز (الفقرة) ثم يردمون ثلثيها بترابها ويكون هشا ، ويتركون الثلث الباقي فيغرسون الصنو (القسيلة) ثم يسقونه كل يوم بماء قليل بشرط أن السقي لا يفرق قلبه مدة ستين يوماً إلى أن يتراعى لهم أن الصنو قد ثبت ، ونبتت له غرور جديدة في الطينة ، ورمي بسعيفات صغيرة جديدة ، فحينئذ يزيدون الردم عليه مقدار عشر سنتيات ، ولا زالوا هكذا كلما زاد سعفاً جديداً ونما يردمون حوله إلى أن يتحقق أنه قوي وثبت وكثر سعفه ، ولا يتسلط الريح العاصف أن يقلعه (١) .

والأنواع من النخل التي سنذكرها فيما بعد هي المشهورة من النخيل المُسَمَّى مع ملاحظة أنه يوجد عدة نخلات لم تذكر هنا تسمى الواحدة منها (نَبْتَة) لأنها تنبت نهائياً من نواة عادية من نوى التمر، وليست

(١) النخل في تاريخ العراق ص ١٥ ١٦ نقل عن المذكور وكتاب الحلواني طبع في بومبي.

كالنخيل المعروفة التي تنشأ في النخلة ثم تفصل عن أمها النخلة بقطعها
منها ثم بغرسها فسيلة في الأرض .

ذلك بأنه لا يمكن حصر أنواع النبتة أو كما يسمونها (النبت)
لكثرتها وبعضها ليس معروفاً ، وبعضها ليس مكرراً أي لا يوجد منها
إلا نخلة أو نخلتان .

أنواع النخل في القصيم :

نَبْتَة ابن راشد في عنيزة، هي سباكة في بريدة وهي صفراء وميزتها
أنها تظل عدة أشهر وكأنها رطبة فلا تيبس وهي أكثر نخل القصيم شبيها
بالنخلة التي تسمى في الجزائر وتونس (دقلة نور) وهي من أفخر
التمر هناك وأغلاه ثمناً، ويمكن أن تؤكل في الشتاء كأنها رطب في الصيف
إذا أحسن تخزينها .

وأخبرني سليمان العباس من آل سلام أهل الصباح قرب بريدة أن
سبالة أول ما نبتت في ملكهم فاسموها عباسة ولكن الناس اسموها بعد
ذلك سباكة .

المنيعة : في عنيزة وهي حمراء وتوكل بسرا في الاغلب .

بيدجانه : أي باذجانة هكذا يسمون الباذنجان الخضار المعروف
وهي كبيرة التمر سميت بذلك لهذا السبب ، يريدون من باب المبالغة في
وصف تمرها بالكبر أنه كالباذنجان في الحجم .

سَلْجَة : صفراء البسرة بعد التلوين تميل إلى الخضرة يأكلونها في
القصيم رطباً ولا يكتزونها ولا يدخرونها تماًراً وربما كان السبب في ذلك
وجود غيرها للكنز أحسن منها . وكانت منتشرة في القصيم ثم أخذت
الآن في الانقراض وذلك لسببين أولهما : أن رطبها ليس لذيداً كما هو

عليه الحال بالنسبة لأنواع الرطب الأخرى كالكويرية والشقراء ، وثانيهما
انها إذا طالت نخلتها أخذ رطبها في التساقط مما زهدهم فيها إلى جانب
وجود الأنواع الأخرى الفاخرة الجديدة من النخل عندهم .

سَلْجَان :

تشبه السليج إلا أنها أطول كثيراً ولونها ورطبها أصفر يميل إلى
الخضرة وهي أكبر حجماً من السليج، وتؤكل بسرأ ورطباً ورطبها كثير
الديس ، حتى أنهم يأخذونه ويضيفونه إلى التمر الآخر .

كويرية : صفراء للذيذة الطعم كثيرة الديس ، لينة القشر ، لرطبها
نكهة خاصة إلا أن بسرها ليس للذيذة بأكلونها رطباً فقط ولا يكتزونها
إلا أنهم في السنوات الأخيرة أي في هذا العقد الأخير من هذا القرن
بعد وجود وسائل خزن التمر الجديدة ومنها أكياس اللدائن (البلاستيك)
أخذوا يكتزونها قبل يبسها ثم يعرضونها إلى الشمس داخل تلك الأكياس
فوجدوها للذيذة ممتازة نسبتها إلى ابن كوير رجل من أهل قصيباء قالوا
انها نبتت في بستانه أول مرة ومنه انتشرت إلى بقية أنحاء القصيم .
وتسمى في جنوبي القصيم مثل المذنب وعنيزة (أم حمام)

المَقْفَرِيَّة : كانت موجودة في القصيم وقد انقرضت الآن أو كادت
حتى أن الجيل الجديد من الفلاحين لا يعرفونها وسبب انقراضها أنهم
استعاضوا عنها بأنواع أخرى لها ميزات وأكثر من ميزات وليس فيها
عيوبها . وأهم الأنواع التي استعوض عنها هي اللاحمية فهي تطلع
باكراً ثم يُلَوَّن بسرها قبل غيرها ثم ينضج رطبها أول النخل وهي
إلى ذلك أكبر أعاناً وأكثر إنتاجاً ، وأقل أمراضاً . كما كانوا

يأكلون المتفزية بسرا ولكنهم وجدوا أحسن منها للأكل بسرا مثل :
« الحلوة » و « الروثانه » وأخيراً : « البرحية » .

نَبْتَةٌ شَمَا :

مضافة إلى شما بفتح الشين والميم مشددة اسم شائع من أسماء النساء عندهم ولكن التسمية به أخذت تقل في الأزمنة الحديثة . سميت بذلك لأنها نبتت في بستان لامرأة اسمها « شما » . وهن صفراء اللون مدورة تميل إلى الاستطالة مع رأس لها رقيق ، تؤكل رطبا وهي قليلة في الوقت الحاضر .

وتأنه : حمراء مستطيلة شديدة الحلاوة . تذوب تمرتها اليابسة في الفم ، وتؤكل تمرأ ، ورطبا ، وكذلك يعملون منها (المعبي) أي يغمرونها بالديس ويأكلونها طول السنة ، وكذلك يجعلونها أقراصاً ويجففونها في الشمس فتكون ناشفة زادا للمسافر والمستعجل ، وتعلو للصبية والسكبار .

قطارة^(١) : حمراء صغيرة الحجم ، قصيرة التمرة ولكنها غير مستديرة تؤكل رطبا ، سميت قطارة لأنها كثيرة الديس بحيث يقطر دبسها على كرتها ، وإذا أكلت رطبة انفجرت في الفم وكأنها قد حشيت دبسا ، وفي الوعاء الذي تخزن فيه لا بد أن يبقى جزء من الديس بعد الرطب ، ولا يُحسن جني رطبها إلا مجرب وإلا تلتخ بالديس ، ولذلك يقولون : إن أحسن الأوقات لجنيها هو أول النهار وقبل اشتداد حرارة الشمس حتى لا ينفجر رطبها بالديس . وهي لذينة الطعم إلا أنها حارة على المعدة لذا أخذ الفلاحون يعدلون عن غرسها بحثاً عن رطب أبرد

(١) مثل هذا التسمية قديمة كما في كتاب النخل في تاريخ العراق للزاوي ص ١٢٧ .

منها على النعدة، ولنخلتها مزية عن غيرها هي أنها لا تسرع في الارتفاع فتكون بين النخل الطوال التي غرست منها كأنها أصغر منها بكثير إلا أنها تعرض أكثر منها .

حُلوة الشكال :

الحلوة مضافة إلى الشكال هنا وربها كانوا أسرة نسبت إليهم .
وهي تشبه الحلوة العادية إلا أنها صفراء صفرة غير صافية أو قل انها صفرة تميل إلى الحمرة ، وقد تكون بسرتها أصفر من بسرة الحلوة العادية .

تؤكل بسرا ورطباً .

وهي من النخل الذي أخذ في الانقراض .

أم الخشب :

حمراء مستطيلة كبيرة الحجم ، يعظم عنقها حتى لا تستطيع أن تحمله فيجعلون لها خشباً مركزاً على الأرض يستند العنق عليه ولهذا سموها أم الخشب ، بسرتها ليست حلوة ، وهي لا تنكز وإنما تعلق في الخريف والشتاء فتبقى رطبها مدة طويلة دون أن تيبس ، وهذه هي مزيتها إضافة إلى أن رطبها لذينة ذات نكهة خاصة . وتعتبر من كرائم النخل .

النُّحُو : على لفظ النُّحِي الذي هو وعاء السمن في الفصحى والعامية نبتة صفراء اللون مع ميل للإحمرار رطبها كبير الحجم مستطيل تؤكل رطباً، ولا تنكز في الغالب وهي من الأنواع التي كادت تنقرض أو هي انقرضت فعلاً ميزتها أن حجم ثمرها كبير ولكنه ليس شهياً الأكل . وسمعت من يقول : إن هناك أكثر من نخلة تسمى نحوا لأنها كبيرة الحجم .

أم كِبَار : نبتة صفراء كبيرة الحجم سميت أم كِبَار لأن نَمَرَهَا
كبير الحجم تؤكل ثمرأ أي : تكنز كنزاً وتؤكل في الشتاء وتجعل
مغنيا ، أي : يجعل عليها الدبس وتكنز مثل السكري . وهي غليظة
القشر غير شهية الأكل ربما تكون أغلظ من المكتومي . وفي ثمرتها طول
وتسمى في عنيزة السالمة .

جوزة : صفراء اللون : سميت الجوزة لأن شكل ثمرها يشبه
الجوز فهي قريبة من التكوير وفيها انحناءة حول القمع تؤكل ثمرأ .
وثمرتها تشبه السكرية في اللون إلا أنها تخالفها في الطعم . ولطعمها
نكهة خاصة .

خُصِيَّة : على لفظ خصية الذكر مصغرة . صفراء اللون تؤكل بسرأ
ورطباً ولا تكنز ، وثمرها غير كبير الحجم يكاد يشبه البرحي في الشكل
إلا أنه يخالفه في الطعم . وهي من الأنواع التي كادت تنقرض الآن .
ولعل هذه التسمية - على غرابتها - قديمة إذ كان يوجد تمر في البصرة
اسمه (خصاوي البخل)^(١) .

الشقراء : كانت أكثر أنواع التمر شيوعاً عندهم بل هي القاعدة
بحيث يكون أكثر حائط النخل منها ولذلك قرر قضاة القصيم في السابق
أنه إذا أطلق التمر دون تعريف في الدين والوصية ونحوهما فانه ينصرف
إلى الشقراء إلا إذا حُلِّي التمر بوصف أو حلية أو أضيف إلى غيره كأن
يقول : تمر من تمر بستاني أو نحو ذلك .

سميت الشقراء بهذا الاسم أخذاً من لونها لأنها شقراء اللون أي :
حمراء حمرة تميل إلى البياض أي : ليست دهماء ذات حمرة تميل

(١) النخل في تاريخ العراق ص ٢٦ .

إلى السواد . وكانت تسمى قديماً (شقرا مبارك) إضافة إلى مبارك الرجل الذي وجدت في بستانه لأول مرة . ولما كثرت وعم غرسها تركت إضافتها إلى مبارك وأصبحت تسمى (الشقرا) فقط ثقة بشهرتها . ومن بقايا تسميتها بشقراء مبارك ما ذكر أن الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله قال مخاطباً لجماعة من أهل القصيم في بريدة: (إن عندكم - يا أهل القصيم - شجرتين طبيبتين هما شقرا مبارك ، والسليم) أي آل سليم يريد أسرة آل سليم العلمية التي أنجبت عدداً من كبار العلماء والقضاة في القصيم . وقد حدا بهم إلى تفضيل الشقراء على غيرها من أنواع النخل قوة شجرتها فهي قوية ضخمة إذا وجدت حظها كاملاً من الماء . أما إذا كان الأمر خلاف ذلك فإنها أكثر صبراً من أنواع النخل الأخرى على العطش . إضافة إلى أنها تؤكل رطباً وهي لذيدة إذا أكلت كذلك ذات طعم متميز وهي باردة على المعدة ، كما أنها تكثر في كافة أنواع خزن التمر، وهي أقل تعرضاً للسوس والدود عند خزنها .

وهي تعمر طويلاً . وقد تحققت من ذلك بنفسني إذ أوقف جد والدي عبد الكريم بن عبد الله العبود نخلات من الشقر بقي اثنتان منها حتى عام ١٣٩٥ هـ عندما قطع النخل في البستان الذي يضمها في خب الشماس، ليجعل في مكان النخل بيوتاً ومساكن . وكانت وفاته في حدود عام ١٢٤٧ هـ أي : أنها عاشت ما يزيد على مائة وثلاثين سنة ومنذ عهد جدي والدي ثم عهدنا ونحن كنا نأخذ التمر منها .

أما عيوب الشقراء فإنها كونها لا تبكر بالبده في الاثمار حتى زعم بعضهم أنها تحتاج إلى عشر سنوات من بدء غرسها حتى تثمر . وبعضهم

قال إنها تحتاج لسبع سنوات وقد جربت ذلك بنفسني فأثمرت عندي بعد ثماني سنوات على حين أن بعض الأنواع التي غرست معها مثل اللاحمي والمكتومي أثمرت بعد ثلاث سنوات ولكنها عندما أثمرت كان ثمرها كثيراً . ومن عيوبها أن ثمرها الذي يكثر ليس في طيب الطعم والحلاوة مثل السكري ، ولا في كثرة الشحم كالمكتومي لذلك أخذت عناية الناس بالشقراء ثقل ، وأخذ الغارسون يغمسون الآن كرائم من النخل لم تكن كثيرة في قديم الزمان لأنها أبرد تمرأ ، وألذ طعمأ مثل السكري وأم الخشب ، أو من الأنواع الجيدة التي عرفت حديثأ كالبرحي والكويري .

روثانة :

صفراء الزهو : تقرب ثمرتها من التكوير تؤكل بسرا ، ولا تؤكل تمرأ لأنها لا تُنَمِر كما ينمر غيرها وإنما تجمد إذا أدركها الإنمار ، لذلك لا تكون رطبأ ، أما بسرها الأصفر فانه غاية في سهولة الأكل ، ولذة الطعم .

مَسْكَانِيَّة :

زهوها أصفر وثمرتها كروية ، وهي تكون كثيرة في القنو تؤكل بسراً ورطبأ ولا تكثر تمرأ ، ومن مزاياها أنها تبكر بالطلع وبالتلوين .
الرُّشُودِيَّة :

صفراء تؤكل تمرأ مزيتها أنها لا تجف رطبها سريعاً وإن كانت لا تكون رطوبة خالصة أبداً ، لذا لا تخزن وإنما تعلق في الخريف بعذوقها يأكل منها الناس حتى يحين أوان الأكل من التمر المخزون .
ونسبتها إلى ابن رشود .

المُكْتُمِيَّة :

صفراء فيها تكوير وهي قسمان هديباء وصفراء فالهدباء أكبر ثمراً ، وأصنى شحماً ، والمكتمية كبير الثمرة ، تؤكل زهواً ورطباً وتمرأ وهي من الأنواع التي كانت مفضلة في الخزن لا تكاد تخلو (جصة)^(١) منها ، إلا أنهم كانوا يضعون المكتموي في أسفل الجصة لأنه يحتاج إلى رص كثير، حتى يصبح مفرغاً من الهواء فلا يصيبه السوس .

والمكتمية من التمر الذي كان يفضله الذين يعملون أعمالاً شديدة متعبة من الفلاحين والعمال لأنها قوية في البطن إلا أنها حارة بالنسبة إلى غيرها كالشقرأ مثلاً . وهذا أمر مفهوم لأن نواتها غير كبيرة ، وتمرتها كبيرة .

ويعمل منه الناس العبيط وهو التمر الذي ينزعون منه النوى ثم يعبكونه وينعمون خلط بعضه ببعض حتى يصبح كتلة واحدة ، فيصنعون منه طعام الحنيني^(٢) ويتزودون منه في السفر .

ولا عيب في المكتمية إلا أنها لا يكون حملها كثيراً في الغالب وإنما هو متوسط . ويمكن تمييز النخلة المكتمية عن غيرها من النخل بكونها ذات سعف واقف قليل نوعاً ما ، وذات عُسبٍ منتصبه .

وكان يفضلها أصحاب البساتين في السابق لمزاياها المذكورة وكونها لا يستطيع العمال ونحوهم من الإكثار منها . أما الآن فقد خف ذلك أو انتهى إذ أخذ الناس يعدلون عنها إلى أنواع أخرى ألد منها في الأكل ، وأقل حرارة في البطن .

(١) الجصة : هي مكان خزن التمر عندهم وسميت الجصة لأنها تبنى بالحجارة والجص .

(٢) الحنيني يصنع من خبز البر التي مع السن والسكر أو التمر

سِكْرِيَّة حَمْرَاء :

حمرء اللون مع ميل إلى البياض مستطيلة الثمرة تؤكل تمراً ، وقد تؤكل رطباً إلا أنها تمر أجود وهي حلوة شديدة الحلاوة لهذا أسموها سكرية ، وهي لشدة حلاوتها إذا أكلت وهي يابسة تفتت في الفم وذابت لذلك يغالي الناس في شرائها ، حتى تكون كالسكرية العادية أو أغلى منها في بعض الأحيان وقد يجعلونها أقرصاً تَعَلَّةً للمستعجل وزاداً للمسافر ، وحملها غير كثير في الغالب .

اللاحمية :

صفراء مستطيلة يبدو طلوعها باكراً قبل غيرها في آخر فصل الشتاء ، وتبكر بالزهو فيرتفق الناس بأكلها رغم أن بسرتها ليست حلوة. ثم تكون أول المشهور لإرتاباً فيأكلها الناس وتكون غالية لهذا السبب وتظل رطباً يؤكل وسائر النخل بسر حتى إذا طاب النخل ، وأينع رطباً ووجد الناس ما هو ألد منها طعماً وأكثر دبساً مثل الكويرية والقطارة تكون اللاحمية قد انتهت .

ومن مزايا اللاحمية إلى ما ذكر كونها تحمل حملاً كثيراً جداً وكونها إذا غرست تبكر بالطلع، حتى ربما كانت أسرع النخل المعروف في القصيم بدءاً في الإنتاج .

الكَسْبِيَّة :

نخلة رديئة التمر ، كبيرة النوى ، قليلة الشحم يحيط بالنواة غلاف غير لذيذ الطعم لذلك يضرب الناس في القصيم بها المثل بالرداءة . والتسمية قديمة بلفظ (القسب) إلا أنني لا أدري أي هذه أم غيرها أم هي عامة لأنواع غير جيدة .

الحلوة :

حمراء : حمرة قانية مستطيلة سميت الحلوة لحلاوة بسرتها قبل أن تزهي أي قبل أن تُحمر ، وهي كذلك شديدة الحلاوة بعد أن تصبح زهواً .

وهي نوعان : عربية وعرينية أما العربية فهي الطويلة الأكبر حجماً ولكنها أقل لذة في الطعم ، وأغلظ في الأكل أما العرينية فهو أقصر وأصغر من العربية ، ولكنها هشّة أكثر منها .

والحلوة كلها يأكلها الناس في القصيم بسراً وزهواً ورطباً ولاتكنز ولا تكون تمرّاً لأنها إذا أتمرت ثم تركت لتتوت ويبست إذا كانت في الشمس وإن كانت في الظل حمضت أي أصبح طعمها حامضاً حتى لا تؤكل .

والحلوة كثيرة الحمل ، لا تكاد تخطيء في الحمل كل سنة، ومن النخل المرغوب فيه إلا أنها لاتكون كثيرة في الحيطان لأنها لا تكنز .

السرانة :

صفراء وقمعتها أحمر تؤكل بسراً وهي تبكر بالطلع وبالتلوين ولا تكنز .

نَبْتَةُ الْعَلِي :

نبتة حمراء مع ميل إلى الصفرة حمرتها ليست قانية تؤكل تمرّاً وقد تؤكل رطباً فتكون ذات نكهة خاصة مميزة لذينة الطعم فاخرة إلا أن نخلها ليس كثيراً وربما كان ذلك لكونها عرفت منذ وقت قريب فلم ينتشر غرسها انتشاراً كثيراً .

السكرية :

منسوبة إلى السكر لحلاوة طعمها، وقد اعتاد الناس منذ القديم على تسمية النخلة التي توجد عندهم من أصل غير معروف وتكون ثمرتها حلوة أكثر من غيرها بالسكرية ، ويضيفونها إلى المكان التي نبتت فيه ، أو الرجل الذي وجدت في بستانه .

وهذا له أصل قديم إذ كثير من التمر كان يسمى في العراق بالسكرية إذا كان في ثمره حلاوة زائدة^(١)

وقد كان يوجد في القصيم عدة من النبتات التي نبتت من النوى دون قصد كل واحدة تسمى السكرية مضافة إلى مكان أو أناس وكان أحدها يقال لها سكرية الجمعة نسبة إلى أسرة الجمعة الذين هم من الدواسر الذين انتقلوا من الشَّام القديم إلى (حويلان) أحد الخُبُوب القريبة في بريدة .

وعندما جربها الناس رغبوا في غراسها ، وأسرعوا إلى ذلك ، وتركوا أكثر السكريات الأخرى ماعدا السكرية الحمراء وسكرية المذنب التي بقيت حتى الآن .

واشتهرت سكرية الجمعة حتى أصبح الناس إذا أطلقوا هذه الكلمة دون إضافة انصرفوا إليها دون غيرها - حتى أصبحت السكرية أغلى النخل تمراً وأغلاه فسيلاً إلى أن جرب الناس البرحية فأصبح رطبها ويسرها مرغوباً وأصبح فسيلها يباع بأغلى مما يباع به فسيل السكرية وذلك لندرة البرحية ، ووفرة السكرية .

واليوم تمر السكرية أغلى أنواع التمر في القصيم . وهو يمتاز على

(١) راجع النخل في تاريخ العراق للزواوي ص ٢٦ .

غيره بالحلاوة وبأنه يناع في الفم ويصلح يابساً على شكله الأصلي وعلى شكل أقراص ، حين يضغط عليه وهو رطب ويجفف ، فيكون نغلة للصبي وزاداً للراكب ، وعجالة للمسافر المجد الذي لا يريد أن يضيع وقته في الطبخ والنفخ ، أو في العجن والخبز .

إلا إن للسكرية عيوباً وذلك إذا خزنت وأقبل عليها الحر أخذ لونها يسود حتى يصبح أسود في فصل الصيف على حين أنه يكون في الشتاء أصفر اللون ، يميل إلى الحمرة كما أن السكرية تحتاج إلى مزيد من العناية في الخزن .

العيدية :

صفراء مستطيلة نوعاً منسوبة إلى العيدي وهو محمد العيدي شاعر عامي توفي عام ١٣٣٧ هـ لذلك هي قليلة لم تنتشر كثيراً . والعيدية تعلق تعليقاً لأنها بعد إثمارها لا تبيس بسرعة لذلك يأكلها الناس بعد صرام النخل تعليقاً غير مكنوزة .

الخضري :

من أشهر أنواع التمر في نجد وهو يقل في القصيم بل يكاد كثير من أهل القصيم يكونون لم يروه ولم يأكلوه من قبل ، وإنما يوجد أكثر ما يوجد في شرقي القصيم في الربيعية والشماسية وقد أخذ الناس ينصرفون عن أكله في الوقت الحاضر لحرارته ، في البطن ، وعدم طلاوته في الطعم ويفضلون عليه الأنواع المستنبته حديثاً من التمر التي هي لذيدة في الطعم خفيفة في المضم وتسميته قديمة ومن أمثالهم فيه مما يدل على أنه كسان من التمر النفيس في نجد : « ميت الخضري شهيد »^(١) .

(١) شرحه وبينت أصل التعبير فيه في كتابي : « الأمثال العامية في نجد » .

حَوْشَانَه :

صفراء الزهو ، شبه مكورة ، تؤكل بُسْرًا ، وتكنز فتكون طيبة .

الْبَرْحِي :

من أفخر أنواع النخل في القصيم وأغلاها ثمنًا وتمرًا ، زهوها أصفر وتمرها أصفر يميل إلى الشفرة ، تؤكل بسراً ورطباً وهي من ألد الأنواع إذا أكلت بسراً ورطباً لا يكاد يدانيه غيره من البسر والرطب ، لا أما تمرها فإنه جيد ولكنه ليس مثل البسر والرطب إذ تمر السكري أفخر منه .

والبرحية منسوبة إلى محل بالبصرة يقال له البرحة أول ما نبتت فيه فنسبت إليه .

وكانت في أول الأمر قليلة جداً في القصيم . بل لم تكن معروفة فيه . وأول من أحضرها إليه فيما بلغني هو عبد الله بن محمد البسام أحضر (فرخين) اثنين من البصرة جعلهما في زنبيلين وحملهما على بعير وجعل يستقيهما بالماء طول الطريق يحمل لهما الماء فلما غرسهما عاش أحدهما ومات الآخر . فكل ما في عنيزة في الأول كان منه وكان ذلك في حدود عام ١٣١٠ هـ إلا أنه بعد أن عرف الناس فائدة البرحية رغبوا في المزيد من غراسها فلم يجدوا ما يكفيهم أخذوا يجلبون ما يحتاجون إليه من البصرة . والآن وبعد مضي ما يقرب من ٩٠ عاماً على أول غرسه للبرحية في القصيم نجدها قد انتشرت في انحائه إلا أنها لانزال في عنيزة أكثر وأهل عنيزة يقدرون تمرها أكثر من غيرهم .

التعليم في مكة في مطلع هذا القرن

(يعتبر كتاب « مكة » الذي ألفه المستشرق سنوك هورغرونيه (١٨٥٧ - ١٩٣٦) من المصادر التاريخية لدى كل من يعنى بدراسة أحوال تلك المدينة الكريمة ، من المستشرقين . أما الباحثون الذين لا يجيدون اللغة التي ألف بها ذلك الكتاب فقل أن يستفيدوا من هذا الكتاب ، لكونه لم يعرب ، وقد تحدث الدكتور عبد اللطيف بن دهيش عنه وعن مؤلفه في (الندوة العالمية الأولى لدراسة تاريخ الجزيرة) وفيما يلي ملخص ما كتبه عن (التعليم في مكة) .
وما تجب ملاحظته أن كثيرا من كتابات المستشرقين عن الإسلام والمسلمين لا تخلو من مآخذ ، أصبح التنبيه عليها لا يحتاج إليه القارئ) .

يتطلب الأمر في هذا الكتاب أن نذكر فروع المعرفة الأخرى وإن كانت لا تنتمي إلى العلوم الإسلامية ، ولكن تعهدنا المسلمون بنشاط وخاصة في مكة ، كذا الدراسات الأخرى كالفروع المختلفة في البحث التاريخي ، حيث قدم الإسلام طريقة مميزة خاصة ومع ذلك فقد قصرنا أنفسنا على المثال السابق لأن اضمحلال الثقافة الإسلامية سبب انهياراً تاماً للعلوم الدينية .

أما في مجال العلوم المقدسة فقد بذل رجال الدين في القرون الأخيرة كل الجهد للمحافظة على التراث القديم ، وبهذا أصبح منهج الغزالي من المثل العليا بعد أقوال الثقافة الإسلامية .

قبل أن ندخل قاعة المحاضرات الضخمة في مكة (المتمثلة في الجامع الكبير - الحرم) لنسمع أساتذة العلوم الدينية السابق ذكرها ولنعرض بعض الأمثلة للبحث خارج هذه الدائرة العلمية .

الطب كما سبق وصفه مجرد حرفة وليس علما ، وقد يعتمد بعض
الهواة لكتاب طبي قديم إذا تطلب الموقف ذلك .
الرئيس (رئيس المؤذنين وأيضا فلكي المسجد) وبعض راغبي المعرفة
هم الذين يعرفون التقويم ، وتفسير بعض الظواهر السماوية .
الكيمياء القديمة هي مادة الدراسة العقيمة لمختلف أهل مكة . ولقد
عرفت أشرفا كانوا يأتون من وقت لآخر إلى الطبيب السابق ذكره
ومعهم مواد صفراء نتائج محاولاتهم (الكيمائية) ليكشف لهم بواسطة
محل الذهب (وسيلة اختبار) أن ليس كل شيء له بريق يكون ذهباً .
وقد عرفت رجلا من المهتمين بالأدب والاطلاع أنفق كل أمواله على
كيمياء تحويل المعادن الرخيصة إلى معادن نفيسة ، وبعد ما فقد كل
موارده وفقد رغبتة، في الدنيا كرس نفسه لدراسة العلوم الدينية . وأعرف
شيخ السادة كان من الباحثين عن الذهب . ولذلك فانه لاوجه للاستغراب
في مطاردة هذا العمل العلمي الذي يتم في الخفاء . أليس النفع هو الهدف
من كل نشاط مادي وروحي للمسلمين ؟ ! ؟ إن مسألة النفع من (الكيمياء)
تجد استجابة ترضي الناس ، حتى الانقياء ، يعرفون أن الله قادر على
أن يغير من خلقه ، وأن يُحوّل عنصراً إلى عنصر آخر كما فعل في عصا
موسى وحوّلها إلى ثعبان ، حيث جاء في القرآن في سورة طه (قال
أَلْقِهَا يَا مُوسَى ، فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى) . ولكن الرجل من أهل
مكة يرفض استخدام نتائج العلوم الحديثة يقول : هي ليست اكتشافات
جديدة وقد أتت بالشر أكثر من الخير ، وبالنسبة للطب الحديث يقول
الرجل من أهل مكة : إنه لم يحقق شيئاً ضد الموت .

(الجغرافيا) موضع اهتمام من جوانب عملية متعددة . حيث يبحث

أهل مكة في البلاد الأصلية للحجاج وتجارها وحكومتها واحتمالات الربح المأمول مع أهلها ، وعلى العكس بالنسبة لموقع لندن وباريس . وقد سمعت مرة رجلاً ذا مكانة وكان قد قرأ عن أسبانيا (الأندلس) في كتب التاريخ وكانت الحرب الروسية التركية دائرة رحاها ، وسأل الرجل عن وجود إتصال بريٍّ بين (روسيا) و(أسبانيا) وكم تستغرق القافلة بين البلدين ؟ الرجال الذين يسافرون كثيراً هم الذين يعرفون مثل هذه الأشياء .

منذ الأزمنة القديمة وقبل ارتباط التاريخ بالدعوة المقدسة كالسيرة النبوية وتراجم الصحابة - كان التاريخ مقبولاً وجذاباً لما فيه من (عظة لمن ينعظ) . مع أن كُتَّاب التاريخ تدفعهم عوامل أخرى مثل كتابة تاريخ موطنهم لتسليبة الناس ، وكتابة تاريخ الأسر الحاكمة أملاً في مكافأة من الأمير الحاكم .

في مكة منذ القرن الثالث بعد الهجرة أصبحت الكعبة والبيئة المحيطة بها مركزاً اهتمام للباحثين في تاريخ البلدة ، ومنذ القرن السادس أصبح مقر حكم الأشراف المركز الثاني لاهتمام المؤرخين . وحتى يومنا هذا يوجد رجال مثقفون يشغلون وقت الفراغ في كتابة الحوادث الهامة في حياة البلدة المقدسة . ويمكن أن يقال بصفة عامة :

إن الرأي العام الاسلامي (الاجماع) له تأثير قوي على المؤرخين ، مشابه لما له من تأثير على القضاء .

وفي كل عصر من العصور تدرس حوادث الماضي دراسة جيدة من خلال وجهة نظر العصر الحالي . وخلافاً للماضي التي كانت تتشكل أساساً لوجود طراز من الفكر الموحد الجامع لم يعد لها وجود ، وهكذا

أصبح يطلق على معاوية وعلى وعبد الله بن الزبير نفس اللقب الواحد وهو (سيدنا) وأصبح يتم تبجيلهم إلى حد ما ، على اعتبار أنهم آباء المسلمين . أما أجداد سيدنا محمد من الوثنيين فهم يعتبرون في السيرة النبوية التي وضعها أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية في مكة (عام ١٨٨٦) من المسلمين المؤمنين ، وهم على ملّة ابراهيم . ومما هو جدير بالذكر والشكر أن مؤرخي أحداث مكة مع عدم الاقبال على مؤلفاتهم فإن تسجيلهم لأهم أحداث مكة لم يكن يعتوره نقص ، مع قلة الرجال المثقفين المهتمين بهذه المؤلفات التي من الخطورة انتشارها لما تحويه من نقد شؤون الدولة وكبار الشخصيات .

ويقول المؤلف : عندما كنت في مكة فإن عدد نسخ كتاب أحمد دحلان عن تاريخ الأشراف كان ست نسخ فقط وجميعها ينقصها أربع ورقات من آخرها . وكتاب « تاريخ ابن الأثير » الشهير تجده في مكاتب بعض المثقفين وأيضاً كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان وبعض كتب التاريخ التي تحوي حياة مشاهير الرجال في قرون معينة إلى وقتنا هذا تقرأ كثيراً وتستخدم في إظهار المعرفة في الاوقات المناسبة

أما كتب التاريخ والسيرة المتعلقة بالعقيدة فإن الاقبال عليها أكثر ، مثل سيرة سيدنا محمد وتراجم الصحابة ، وكذلك مؤلفات مؤسسي الطرق الصوفية والمذاهب المتميزة وبصفة عامة كتب سير الأولياء ، ومثل هذه الكتب تقرأ في مجالس الأصدقاء بغرض التثقيف والاستنارة أكثر مما هو بغرض التعليم .

ومن الأمثلة المميزة « السيرة النبوية » تأليف أحمد دحلان الذي يقول في المقدمة : إنه يوجد مافيه أكثر من الكفاية من هذه المؤلفات

ولكنها مطولة أكثر مما يحتاجه الطلبة اليوم ، ولذلك فهو نقل حقائق طبقاً لأفضل معرفة وخاصة المسائل التي نهم هذا العصر . وقد كان الإقبال الفائق على هذا الكتاب الخالي من النقد تماما والذي هو عبارة عن سرد للأخبار على نطاق كبير يبين كيف أن المفتي المثقف قد فهم روح هذا العصر . وعلى نفس الوتيرة أيضاً ظهر كتاب «تاريخ الفتوحات الإسلامية»^(١) وهو عبارة عن مجموعة نصوص ووثائق حكومية وقد تم طبعه أثناء إقامة المؤلف في مكة في مطبعة الحكومة التي كانت قد افتتحت حديثاً .

وقبل أن تبدأ المطبعة العمل في مكة كانت معظم المطبوعات العامة تأتي من القاهرة ، وفي القاهرة أيضاً كانت تُطبع مؤلفات كتاب مكة وبخاصة الكتب ذات الطابع الديني وعلى سبيل المثال كتاب (الأحاديث الستة) للكاتب المكي الشيخ حقي والمطبوع في القاهرة في عام ١٨٨٢ ميلادية والذي يبحث في موضوعات عديدة ولكنه يركز على التحذير ضد العادات غير الشرعية والثقافة الملعدة الحديثة . وخاتمة الكتاب تظهر مضمون الكتاب كله حيث يقول : (من الأشياء التي تؤدي إلى عذاب النار والموجودة في عقول المسيحيين والملحدّين أنهم يضعون على السلع والبضائع التي يستخدمها الناس صوراً للكائنات الحية حتى أنه أصبح لا يوجد منزل أو متجر أو سوق أو حمام أو قلعة أو سفينة تخلو من هذه الصور) ربما يكون هذا إشارة إلى الصور غير المحتشمة الموجودة على غلاف علب الثقاب (الكبيريت) المصنوعة في بلاد النمسا : (بينما لا يوجد

(١) تاريخ الفتوحات الإسلامية : هذا الكتاب يحتوي على تاريخ شامل من وجهة النظر الإسلامية من عهد محمد حتى عام ١٨٨٥ ميلادية .

مكان لملائكة الرحمة لينزلوا فيه عدا المساجد وبعض أماكن قليلة أخرى في رعاية الله. وحتى المساجد فإن الصور تدخلها مع المصلين الذين يأتون وفي جيوبهم علب السجائر والدخان التي يوجد عليها مثل هذه الصور. لذلك فأنا أحذركم أيها الكفرة) (١) ... إلى آخر الكتاب وفي نفس الكتاب يذكر طريقة معينة لقراءة السورة السادسة والخمسين من القرآن كوقاية مضمونة ضد الفقر أو عدم الإنجاب ويقول أيضاً: إنه إذا علفت امرأة محتشمة هذا الجزء حول رقبتها فسوف يسبب تحقيق رغبتها في عدم الإجهاض.

وهناك مجموعات صغيرة من الحكايات والنوادر وقصص من (الحكايات ألف ليلة وليلة) أو سيرة (عنتر) مألوقة وتجد استجابة لدى الناس، تقرأ في الأمسيات في المقاهي مقابل بعض المال. أما الرجال المثقفون فهم يحتمقون مثل هذه التسلية.

أما أبناء مصر المتمدينون فهم يندهشون للذوق الأوربي في الإعجاب بالليالي العربية، والرجل المثقف قد يسمح لزوجته عند الضرورة القصوى أن تقص عليه مثل هذه القصص إذا كان مؤرقاً ولا يستطيع النوم. والنساء هن فعلاً المحافظات على هذه القصص القديمة والتي يغيونها باستمرار ولكن مع بقاء المضمون كما هو.

* * *

(١) إن التقاليد ضد صور الكائنات الحية واسعة الانتشار وصانعو هذه الصور سوف يعذبون عذاباً شديداً يوم الحساب. وملائكة الرحمة لن تدخل بيتاً توجد به هذه الصور. ويقول المؤلف: لقد رأيت أحد الاشراف حضر من السفر وأحضر معه صوراً من شرق الهند وقد أجاب الشريف على لوم وتأنيب أميئة المؤمن الذي لم يسبق له السفر خارج مكة بأن قال له: إنه لم يقم بنفسه بصنع هذه الصور ويمكن للملائكة أن تؤدي واجبها خارج الباب. وهذا الشريف مثل باقي الاشراف قد قام بجمع كثير من المال من أمراء شرق الهند المسلمين ولو لم يكن غنياً لطرده أقاربه من المنزل لهذا الكلام الذي يقوله.

وبعض المهتمين باقتناء الكتب يحتفظون بمجموعات منها حريصين عليها حرصاً شديداً - اشتروها لندرتها . ويقول المؤلف : إنه كان قد عرف أحد الأشخاص وأدى له خدمة خاصة وقد قام هذا الشخص بدعوته لمشاهدة جزء من مكتبته مقابل ما أداه له من خدمة وكان هذا الجزء من المكتبة يتكون من بعض كتب التراجم المطبوعة في مصر لبعض الكتيبات الأوروبية ، وتعتبر من الغرائب نظراً لمحتوياتها الغربية .

قال : وشاهدت مخطوطاً قديماً ذا حواشي قيمة عن القرآن كتاب «الفوائد والعوايد والزوايد» وهو فعلاً عمل أدبي يدل على القوة والبراعة ، حيث يمكن قرائته بمعانٍ مختلفة من اليسار إلى اليمين ومن اليمين لليسر ومن أعلى إلى أسفل . ويقول المؤلف : إنه لم يستطع أن يحكم هل الرجل يعرف قيمة هذا المخطوط أم لا . وعلى الصفحات القليلة لكتب هذا الرجل توجد بعض أبيات من الشعر في مدح محتويات الكتاب وتصفه بأنه يساوي وزنه ذهباً وأن صاحبه الذي يعيره لأحد من المؤكد أنه مجنون . ويقول المؤلف : إن هذا الرجل كان غنياً جداً ، وكان يتفاخر بأنه استطاع أن يحصل من صديق له على أحسن ما عنده من الكتب ، على الرغم من أنه كان أيضاً من هواة جمع الكتب . فبعد سنين من الاستعفاف أعاره هذا الصديق مخطوطاً نادراً جداً ليلة واحدة ، حتى يكون من الاستحالة عليه أن ينسخه في هذا الوقت القصير . ولكنه بعد أن أخذ المخطوط قام بفكه إلى أجزاء وأعطاها إلى عدد من الكتبة الذين قاموا بنسخها ، وتم إكمال نسخ المخطوط في اليوم التالي وأعاد المخطوط الأصلي إلى صديقه بعد إعادة تجميعه بعناية كما كان قبل فكه . ولو لم يكن المخطوط يخص صديقه لكان قد ذهب به بعيداً

ولم يُعلمه قبل استنساخ نسخة منه . وهو الآن يبحث في الحصول على نسخة من «شرح الإحياء» للغزالي تقع في أربعين جزءاً حيث يوجد عدد قليل من نسخ هذا الكتاب في بلاد المغرب .

يقوم معظم المثقفين بدراسة مجموعات من الشعر العربي مع شرحها وتفسيرها ، وأيضاً دراسة كتب الأدب مثل كتاب «العقد الفريد» وبصفة خاصة «مقامات الحريري» ومعظم هذه الكتب أصبحت الآن محفوظة في الذاكرة .

وهذه الدراسات لها أهمية كبيرة لكونها لها فائدة بطريق غير مباشر في دراسة العقيدة كما أن من علامات الثقافة للرجل قيامه بتلاوة بعض الشعر في المجالس . وليس هناك سن معين لبدء هذه الدراسة حيث يتوقف ذلك بدرجة كبيرة على درجة المعرفة لرب الأسرة .

ويمكن أن يقال مثل هذا عن فنّ (الخط العربي) . ودروس الكتابة التي يقوم بها معلمو القرآن تكفي الأغراض العادية ولكن الذي يرغب أن يعلم ابنه تعليماً راقياً عليه أن يعهد به إلى خطاط ماهر . وهناك من الأطفال من يتعلم الخط مباشرة بعد أن ينتهي من مدرسة الأطفال وهناك من يؤجل ذلك . وعندما ينتهي الطفل من الدراسة الكافية يقوم بكتابة لوحة اختبار جميلة ، طبقاً لأحد أشكال الخطوط ، وهذه اللوحة توضع في إطار مزين ومُحَلَّى لتكون عادة من بعض الآيات والأحاديث القدسية ، وفي الإطار نفسه تتكرر كتابة أسماء الله والرسول والخلفاء الأربعة .

وبدرجة أقل بكثير من إجادة فن الخط بعد الإنهاء من مدرسة تحفيظ القرآن يعتبر المسلم أنه قد أجاد فنّ تلاوة القرآن . والعرب

أنفسهم يجعلون صعوبة في تحقيق النطق السليم المتناغم الأصوات في الصلاة وكذلك الحروف الأنفية (الحروف التي تنطق من الأنف) وبعض التفاوت البسيط في الأنغام المنصوص عليها في كتب التجويد والشخص الأوربي الدارس والمدرّب جيداً على أداء الأصوات سوف يأخذ في أحسن الأحوال أسبوعاً لكي يتعلم بدرجة معقولة قراءة السورة الأولى من القرآن (الفاتحة) والتي تتكون من سبع آيات فقط .

ويقول المؤلف : إنه لن ينسى أول يوم جمعة له عندما حضر في المساء في منزل المفتي التلاوة الأسبوعية لأجزاء من القرآن لأشهر المقرئين ويقول : لقد سمعت قبل هذه الليلة عديداً من المرات تلاواتٍ على درجات متفاوتة من حسن الأداء ، حتى أن التلاوة كانت مألوفة بالنسبة لي ، وهناك عديد من الألحان لهذه التلاوة وعادة يقصر المقرئ نفسه على نوع واحد من هذه الألحان الذي اعتاده منذ الصغر ، ولكن ماسمعه هذه الليلة من مزج لمخارج الكلمات الصعبة النطق مع أكثر الأنغام صعوبة وتعقيداً وعلاوة على ذلك فإن نبرة الصوت تتغير مع مضمون النصّ القرآني . فتكون نبرة الصوت هادئة مع الأجزاء القصصية ، ولكن عندما يدعو الله الكفار يكون الصوت هادراً ، أو باكياً ، حيث يؤثر بسرعة في المستمعين ويكون الصوت هائلاً ضاحكاً في الجزء الذي يتوعد الله فيه الماكرين الأشرار يبشرهم بجهنم ، ولكي يمكن تمييز هذه التلاوات يحتاج هذا إلى خبرة طويلة . والمستمع الذي لاخبرة له يندهش لتمايل جسم المقرئ وللنبرات المرتفعة جداً بحيث أن المقرئ نفسه أحياناً يضرب على أذنيه من صوته الصارخ ، وعندئذ تكون عروق رقبته قد انتفخت إلى حد الانفجار ، ويندهش أحياناً للمقاطعة لهذه

النشوة أثناء التلاوة بصوت السعال للمقرئ .

وكما أن على الرجل الأوربي - لكي يكون قادراً على تكوين انطباع عن عادات الشرقيين - عليه أن يتعرف ملابسهم وألوانها حتى لا يعتبر ذلك شيئاً غريباً ، وعليه أن ينسى خصائص هذا الشكل من الموسيقى الذي لم يألفه قبل أن يبدأ الاستماع باستمرار . ويقول المؤلف : أنا مقتنع تماماً أن أي شخص أوربي حضر تلاوة مثل التي سبق وصفها سوف يعود بانطباع أن هذه الضجة الرهيبة ضجة عصبية . ولكن المقرئين أبعد ما يكونون عن العصبية وهم كالمغنين ومطربي (الأوبرا) يظهرون انفعالات لا يشعرون بها أنفسهم وهؤلاء المقرئون يتميزون بالخيلاء والغرور والغيرة والنزوات ، مثلهم مثل الفنانين في أوروبا . وعندما لا يرضيهم الأجر المدفوع لهم أو عند المساس بكبرياتهم فإن أداءهم يكون مشوباً بالإهمال ، وقمة السعادة عندهم عندما يوصف أحد مشاهير القراء من زملائهم بالخطأ في التلاوة ، والناس عموماً لاتعزو التأثير الساحر للتلاوة على قلوب البشر إلى مهارة المقرئ ، ولكن إلى أن القرآن هو المعجزة الكبرى ، أو الذي اعترف البدوي عندما سمعه لأول مرة أنه صوت السماء الذي تلين له القلوب المتحجرة بالأنين والبكاء عند سماعه وتهتف الحناجر عند كل وقفة «يارب» ، «الله أكبر» ومثل هذه الهتافات تصاحب كل التلاوات ولو كان القارئ غير ماهر ، وهذه الهتافات تعتبر تشجيعاً للقارئ مثل التصفيق للمغني في أوروبا . والرجل الذي يتمتع بموهبة الصوت الجميل والذاكرة المناسبة قد يصبح من مشاهير القراء، وما عليه إلا أن يقوم بحفظ بعض أجزاء من القرآن وترتيبها بطريقة صحيحة. وليس شرطاً أن يكون يعرف القراءة

أما بالنسبة لطلبة الدراسات الدينية فإن دراسة تجويد القرآن مادة أساسية كما أن حفظ القرآن كله هدف أسمى للجميع .

وفن التلاوة (التجويد) يتم تعليمه بطريقة خاصة فردية في منازل المعلمين (الفقهاء) ويتم تطبيقه بواسطة الطلبة كل بمفرده ، وخاصة في الصباح في الأماكن الخالية من ساحة المسجد . وأحياناً تجد في المسجد بعض هؤلاء الطلبة يمارسون التلاوة تحت إشراف المعلم ، ولكن هذا لا يتبع الدراسة الرسمية التي تتم في المسجد تحت إشراف شيخ العلماء ، لذلك تجد أحياناً كثيرة معلماً رسمياً يقوم بإلقاء محاضرة عن نظرية التجويد، ثم يقوم بقراءة نص قرآني بالطريقة الصحيحة ، ليبين مخارج الحروف والنطق والترنيم (التجويد) وطول الحروف الأنفية (التي تخرج من الأنف ، والفم مغلق) مع تفسير للنص القرآني . وبصفة عامة فإن هذا النوع من التعليم يتم عادة في المنازل .

* * *

وريشة الكتابة والحبر والورق لازالت منذ القدم هي الوسائل المتبعة في التعلم للطالب الإسلامي ، والمكتبة تعتبر ميزة ولكنها ليست ضرورية ، وإملاء المدرس سواء كان من تأليفه أو من كتاب نصوص يعتبر كافياً جداً للتعليم بينما الكتاب يمكن أحياناً شراؤه أو استعارته ، والرجل الذي يختار طريق حياة الدراسة والعلم قد يضطر إلى إعانة نفسه على المعيشة ببعض أعمال التجارة أو الحرفة . وهذا ليس شيئاً صعباً لأن

احتياجات مثل هذا الطالب ليست كثيرة التكاليف . وغالباً ما يعاونه على إشباع هذه الرغبة ما يكون لديه من ميراث أو من هبات ومنح من الأقارب الذين يمارسون مهناً أخرى أكثر ربحاً ، أو من الأصدقاء الذين يعتقدون أنه من الواجب المشاركة في شرف التعليم الديني . وكثير من هؤلاء الطلبة يظهرون نبوغاً في الجمع بين الدراسة مع ممارسة العمل أو التجارة .

والإسلام دائماً يقدر ويعظم هؤلاء الذين يحافظون على إحياء العلوم والتعليم ، وخاصة دراسة الشريعة ، لأن هذا يعتبر من وجهة نظر العقيدة دعامة الحياة والمجتمع .

والأشخاص الذين يكرسون أنفسهم لهذه الدراسة يعفون من الاشتراك في الحروب ، والذي يموت أثناء تأدية رسالته يصبح في منزلة الشهداء . وهو يعتبر أعلى منزلة وأسمى من أن يتعيش من هذه المهنة الشريفة .

ومما سبق يتضح أن خادم التعليم الإسلامي له ثواب كبير عند الله في الآخرة وله منزلة محترمة في الدنيا .

أجواهر المعقدة في فضائل جدة

- ٢ -

وبسنده أيضاً عن ضوء بن فجع قال : كُنْتُ جَالِسًا مَعَ عَبَادِ بْنِ كَثِيرٍ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَقُلْتُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا فِي أَحْفَظِ الْمَجَالِسِ وَأَشْرَفِهَا .

فقال : وَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ جَدَّةِ ، الصَّلَاةِ فِيهَا بِعَشْرَةِ أَلْفِ أَلْفِ صَلَاةٍ ، وَالدَّرْهَمِ الْوَاحِدِ بِمِائَةِ أَلْفِ ، وَأَعْمَالِ الْبَيْرِ بِقَدْرِ ذَلِكَ يَغْفِرُ لِلنَّاسِ فِيهَا مَدَّ بَصَرَهُ مِمَّا يَلِي الْبَحْرَ .

وعن فرقد السبخي أنه قال : يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ بِجَدَّةِ شُهَدَاءُ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ شُهَدَاءُ أَحْفَظَ مِنْهُمْ .

وبسنده أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما إلى عبد الله بن سعيد أن فرقدًا السبخي قال : لَإِنِّي رَجُلٌ أَقْرَأُ هَذِهِ الْكُتُبَ وَإِنِّي لِأَجِدُ فِيهَا فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابِهِ : جَدَّةٌ أَوْ جَدِيدَةٌ بِالْجِيمِ يَكُونُ فِيهَا شُهَدَاءُ لِأَشْهَدَاءِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحْفَظَ مِنْهُمْ .

وقال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في «الأحياء» في (باب أسرار الحج) : أَنَّ بَعْضَ الْأَوْلِيَاءِ كُوشِفَ فَرَأَى جَمِيعَ الثُّغُورِ تَسْجُدُ لِعِبَادَانِ ، وَعِبَادَانِ سَاجِدَةٌ لِعَدَّةٍ . قَالَ الْفَاضِلُ الْعَلَامَةُ السَّيِّدُ مَسْعُودُ ابْنِ حَسَنِ الْقَنَاوِيِّ فِي «شَرْحِ لَامِيَةِ ابْنِ الْوَرْدِيِّ» مَا نَصَهُ : عِبَادَانِ بِتَشْدِيدِ الْبَاءِ الْمَوْحِدَةِ وَهِيَ مِنَ الْعِرَاقِ مَدِينَةُ عَامِرَةَ عَلَى شَطْطِ الْبَحْرِ ، فِي الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنَ الدَّجَلَةِ وَهِيَ مِنْ مَدَائِنِ بَغْدَادِ انْتَهَى .

وأخرج الترمذى عن عمرو بن عوف قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الإيمان ليسأرزُ إلى الحجاز كما تَأرزُ الحية إلى جُحرها قال في «القاموس» : الحجاز مكة والمدينة والطائف ومخاليفها أي طرفها وقرأها وبُعَازُها منها ، والبُعَاز هو البُعر بتشديد المثلثة أي الباب .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إن الشيطان قد يئس من أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم» رواه الهروي في شرحه على «المشكاة» .

وفي الخبر عنه صلى الله عليه وسلم : «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب قال الفاضل مولانا السيد فضل باعلوي مؤلّي الدوّيلة في كتابه «عدة الأمراء والحكام» مانصه : ووجه الاستلال أنه حكم بإخراجهم من أرضهم ، ونقلها إلى المسلمين ، لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين لله انتهى .

وثبت في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «لئن عشت أو بقيت لأُخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا يبقي فيها إلا مسلم» قال أبو جعفر ابن جرير الطبري : في هذا الخبر من الفقه أنه عليه الصلاة والسلام سنّ لأُمَّته المؤمنين إخراج من دان ديناً غير دينه ، الذي بعثه الله به ، من كل بلدة من بلاد الإسلام إذا لم يكن إليهم بالمسلمين ضرورة حاجة .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لا يساكنكم اليهود ولا النصارى في أمصاركم .

وفي الخبر عنه صلى الله عليه وسلم «أُخْرِجُوا اليهود والنصارى من

جزيرة العرب» قال الفاضل انسيد فننسل باعلوى المذكور آنفا في «عُدَّة الأُمراء» : إن الواجب على إمام المسلمين إخراجهم من كل مِضر كان الغالب على أهل الإسلام ، إذا لم يكن بالمسلمين إليهم ضرورة حاجة ، ولا كانت من بلاد أهل النِّعمَةِ التي صُولحوا على إقرارهم فيها إلحاقاً لحكمه، بحكم جزيرة العرب قال ابن جرير : وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذي قال ابن عباس في ذلك ، وذلك ما حدثنا الحسن بن يزيد الخطابي أنبأنا محمد بن سليمان الحراني حدثنا يعقوب بن جعدة عن عبد الله بن محمد بن عقييل عن محمد ابن الجَنْفِيَّةِ رضي الله عنه عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لا يترك بأرض دينانٍ مع دين الإسلام» وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم «لا يصلح ملتان في أرض» .

وفي الصحيح أنه ليس من بلدٍ إلا سَيَطُوهَا الدجال إلا مكة والمدينة وبيت المقدس ليس بنقب من نقابها إلا وعليه الملائكة صَاقِينَ وفي كتاب «العقد الثمين» : النقب بفتح النون وضمها وسكون القاف الباب وقيل الطريق وجمعه نقاب ، ورأيت بخط العلامة شيخنا أبي المكارم الشيخ محمد سعيد بشارة الخليدي المكي حفظه الله : ولا شك أن جدة من أعظم طرق مكة وأبوابها فتكون حينئذ ممنوعة أيضاً من تمكن الدجال منها ، أي من المكث فيها ، هذا إن صدق عليها اسم البلد ، وهو الأصح ، وأما إن صدق عليها اسم الباب (.....) (1) وقال في

(1) كلمات غير واضحة في الصورة .

«إهداء الطائف من أخبار الطائف» أن معاوية رضي الله عنه قال : سعيد مولاي أنعم الناس عيشاً يقيظ بالطائف ويشتي بمكة ويربع بجدة انتهى .
وأما فضل المراقبة بها وبغيرها أيضاً من الثغور قول الله تعالى (يا أيُّها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا) فالرابط أحد شعب الإيمان ، وموجبات الغفران ، وقد ورد في فضله أشياء لم تكن في القربات ، منها ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جلس على البحر احتساباً ونية احتياطٍ للمسلمين كتب الله تعالى له بكل نظرة حسنة » وفي بعض النسخ (بكل قطرة حسنة) وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الناظر في البحر في سبيل الله تعالى يكون له مد بصره نور يستضيء به كما بين صنعاء والجابية (...) »^(١) أيضاً أن رباط يوم وليلة خير من الدنيا وما فيها. وعن سلمان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ورباط شهر خير من صيام دهر » انتهى .

فكل خير ينقطع إلا عمل المرابط فإنه يكون له ثواب رباطه إلى يوم القيامة ، كما وردت به الآثار والله ذرُّ الفاضل الورع المرابط الشيخ العجلي حيث قال :

فأنا الفتي العجليُّ جُدَّةُ مسكني	وخزانة الحرم التي لا تجهلُ ^(٢)
وبها الرباط مع الجهاد وإنما	لِهَا الوقعة لا محالة تنزل
من آل حامٍ في أواخر دهرنا	وشهيدها بشهدٍ بَدْرٍ يُعَدُّ
شهداؤنا قد فضلوا بسعادة	وبها السرور لمن يموت ويقتل

وروى الفاكهي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول

(١) كلفة غير واضحة

(٢) من قصيدة نشرتها « العرب » .

الله صلى الله عليه وسلم: «مكة رباطٌ وجدة جهاد» وعن ابن جريح قال سمعت عطاء رضي الله عنه يقول : إنما جدة خزانة مكة ، وإنما يؤتى به إلى مكة لا يخرج به منها : وقال ابن جُريح : فضل رباط جدة على سائر المراتب كفضل مكة على سائر البلدان انتهى .

والحاصل أن فضائلها كلها لا تُحصى منها : أن الله شرف طريقها إلى مكة أيضاً لكون بعضه موطئاً لأقدامه صلى الله عليه وسلم الشريفتين وأصحابه ، حيث كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة في طريقها وإليه الإشارة في قوله تعالى : (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يُبايعونك تحت الشجرة) الآية وهي بطريق جدة عام الحُدَيْبِيَّة وحديبية هو المحل المعروف الآن بالشمسي^١ كما ذكره بعض المفسرين .

قال في «القاموس»؟ الحديبية كدُوَيْبِيَّة وقد تشدد - بئر قرب مكة حرسها الله تعالى ، أو شجرة هناك .

وعن (ابن)^(١) سلمة بن الأكوع عن أبيه قال : بينما نحن قائلون زمن الحديبية نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها الناس البيعة نزل روح القدس . قال : فثرنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة سَمْرَةَ فبايعناه .

وفي «مسلم» عن طارق بن عبد الرحمن قال انطلقت حاجاً فمررت بقوم يصلون فقلت : ما هذا المسجد؟ قالوا : هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان فأتيت ابنَ المسيَّب فأخبرته فقال سعيد : كان أبي ممن بايع تحت الشجرة قال : فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فعميت علينا فلم نقدر عليها الحديث .

وفي رواية عن ابن المسيب عن أبيه قال : لقد رأيت الشجرة ثم

(١) كلمة (ابن) ليست في الأصل

أتيتها بعد عام فلم أعرفها وقان نافع : كان الناس يأتون تلك الشجرة فيصلون عندها، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأوعدهم فيها، وأمر بها فقطعت وروى أن عمر رضي الله عنه مرَّ بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة ، فقال : اين كانت ؟ فجعل بعضهم يقول : ها هنا وبعضهم يقول : ها هنا . فلما كثر اختلافهم قال : سيروا فقد ذهبت الشجرة وللبخارى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها وكانت رحمة من الله انتهى .

ومنها أن الله تعالى شرفها بِتَنْزِلَاتٍ إلهية ، وخصوصيات سنية دلَّ على ذلك ورود وفد الله تعالى من جهتها . فترى كل ولي لله تعالى وحبر وتقي وصالح وزكي إلا وهو يمرُّ عليها ، ويدخل من (اسكلتها) كما هو الغالب لأن الحجاج كلهم أضياف الله تعالى وفي كنفه وأمنه، فهي ممرُّ الأبرار ، ومقرُّ التجار ، ضاعف الله فيها البركات ، وأظهر الخيرات .
وأما بحرها وهو المسمى ببحر القلزم قال ابن الوردي في « الخريدة » خليج القلزم ومبدأه من باب المنذب حيث ينتهي البحر الهندي فيمر في جهة الشمال مغرباً قليلاً فيتصل بغربي اليمن ويمر بتهامة واليمن إلى مدين وأيلة وفران ، وينتهي إلى مدينة القلزم فيمر بشرقى بلاد الصعيد إلى عيذاب إلى جزيرة سواكن إلى زالع من بلاد البُجَّة ، إلى بلاد الحبشة ويتصل بالبحر الهندي ، وطول هذا البحر ألف وأربعمائة ميل .

وأما من ساحل جدَّة إلى ساحل السويس وهذا البحر يسمى البحر الأحمر وأما أرض القلزم المسمى باسمها هذا وهي بين مصر والشام وهو بحر في ذاته ، وفيه جبال فوق الماء وفيه قروش - أي سمك كبير -

وحیوانات مُضرة ظاهرة ومحتشمية ، كانت القلزم مدينتين عظیمتين
فتهدمتا من تسلط العرب على أهلها ، وشرهما من عين سریر^(١) وهي
وسط الرمل وماؤه زعاق ، وبين القلزم - وهو منتهى بحر فارس الآخذ
من المحيط الشرق من الصين - وبين البحر الشامي مسافة أربع مراحل
تسمى بحصن (؟) التيه وهو تيه بني إسرائيل ، وهي أرض واسعة ليس بها
وهدة ولا رابية ، ولا قلعة ، ووسعها خمسة أيام في خمسة ، ومن مدنه
المشهورة عقبة أيلة وهي قرية صغيرة على جبل عال ، صعب المرتقى
يكون ارتفاعه والانحدار منه يوماً كاملاً وهي طرق لا يمكن أن يجوز فيها
إلا واحد واحد على جانبها أودية بعيدة المهوى انتهى .

وبحر القلزم هذا هو الذي أغرق الله فيه فرعون وقومه ، ونجا الله
الله موسى وبني إسرائيل ، وحدود هذا البحر إذا قطعت من لسان القلزم
إلى حد الصين في حد مستقيم كان مقدار تلك المسافة نحو مائتي مرحلة ،
وكذلك إذا شئت أن تقطع من القلزم إلى أقصى حجر بالمترب على
خط مستقيم كان نحو مائة وثمانين مرحلة ، وإذا قطعت من القلزم
إلى حد العراق إلى نهر بلخ شهرين .

والحاصل أنّ هذا البحر أهون البحار وأكثرها بركة وخيراً قال
في « الدرر المنظمة في أخبار مكة المعظمة » وفي سنة ست وعشرين من
الهجرة اعتمر من المدينة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه
فأتى مكة ليلاً فطاف وسعى - إلى أن قال - وحول ساحل مكة القديم
وهو الشعيبة إلى ساحلها الآن المعروف بجدة لقربها من مكة ، وخرج إليها

(١) كذا ولعله (سويس) فقد أورد ياقوت في « معجم البلدان » : ميرة أهل القلزم من

بليس ، وشرهم من سويس .

واغتسل في بحرهما وقال : إنه مبارك ، ثم خرج من جدة على طريق عسفان إلى المدينة منصرفاً .

وقال بعضهم : إن جدة هي قديمة على حالها من قبل النبوة ساحل مكة ، واحتج بما مرَّ سابقاً من أن لها مسجداً ينسبان إلى عمر ابن الخطاب وبما مرَّ سابقاً أيضاً من كلام الشيخ جابر الله ابن فهد ومن خروج صفوان بن أمية إلى جدة يريد ينزل منها إلى اليمن كما في السير ، وما ورد فيها من الأخبار إذ لو لم تكن ساحلاً لم يَرِدْ فيها ما مرَّ فليحذر ، ويمكن الجمع بين القولين بأنها كانت ساحلاً إلى أول خلافة سيدنا عثمان ثم تركت ، واستعملت الشَّعْبِيَّة ثم نزل سيدنا عثمان ليراها فردها ساحلاً ، ويؤيده ذكر عمالها كما يأتي :

ثم اعلم أن البحر الذي اغتسل فيه سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه هو المعروف الآن فيها ببحر الأربعين ، وهو بناحية من ساحلها ولم يزل أهل جدة إلى الآن يغسلون مرضاهم فيه تبركاً بماؤه كما هو المعهود وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفصل الثاني في مآثرها وما احتوت عليه من سكانها : فأقول وبالله التوفيق : قال الثقي الفاسي في تاريخه : إن سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه استعمل على جدة الحارث بن نفيل بن الحارث ابن عبد المطلب وكان أسلم عند إسلام أبيه نفيل وكانت تحته درة بنت أبي لهب ابن عبد المطلب ، وهو أول أمير استعمل على جدة فلهذا لم يشهد حُينَنَا وخالف في ذلك الذهبي وقال : إنما استعمل أبو بكر وعمر وعثمان الحارث ابن نُفَيْل على مكة وتوفي آخر خلافة عثمان وهذا القول ضعيف والمعتمد الأول ، لأن سيدنا أبا بكر الصديق إنما استعمل عتاب بن أميد

رضي الله عنه على مكة بعد استعمال النبي صلى الله عليه وسلم له عليها وتوفي عتابُ في نَعْيِ أبي بكر بعد موته ، وهذا ما اعتمده التقي الفاسي وغيره من أن الحارث بن نُفَيْل استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على بعض صدقات مكة وبعض أعمالها ، ثم استعمله أبو بكر رضي الله عنه على جدة ، وتوفي في آخر خلافة عثمان .

وأما فقهاؤها فهم الظهيرية ، وأول من سكنها منهم الشيخ على ابن الصديق الجحنون المقبور بجدة وكان من أهل العلم والصلاح .
وينو المذكور الأشراف من بني القديمي أول من سكنها منهم السيد سليمان بن المذكور وهو من بيت ولاية وكرامة .

وبيت المساوي أول من سكنها منهم الشيخ أحمد بن الصديق المقبور بجدة ، والفقهاء من أهل اليمن .

وخلافتك لا يحصون كما هو مذكور في التاريخ المتقدم ذكره ^(١) .
وبها من المآثر القديمة قبر السيدة الكريمة حوّا أم البشر ، وهو بالجانب الشرقي على يمين الداخل إلى جدة ^(٢) من باب مكة ، كما اعتمده غير واحد من المحققين ، ويؤيده ما ذكره صاحب «السيرة الحلبية» وغيره من أن نزول السيدة حوا كان بجدة فلا خلاف في ذلك بين أهل التواريخ ، وأما قبرها فقد اختلف فيه والصحيح أنه القبر الشهير بجدة كما أعلم بذلك بعض أهل الكشف ^(٣) ، وعلى سرتها قبة جليلة ^(٤) وفي الحديث: من زار والديه وفي رواية أبويه في كل جمعة

(١) لم يتقدم ذكر لهذا التاريخ .

(٢) أصبح الموضع المذكور وسط المدينة على يمين شارع المطار لمتجه إليه .

(٣) لا يصح الاعتماد على هذا الرأي القائم على خرافة .

(٤) أزيلت القبة من كل القبور ، عملاً بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل رضي الله عنه

« لا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته » .

كتب باراً وسيأتي الكلام عليه في رحلته العلامة العياشي رحمه الله تعالى .
قال العارف بالله سيدي محي الدين ابن عربي ^(١) : وقد كنت مرة
اعتمرت عن والدي آدم عليه السلام . ورأيت ذلك من صلة الرحم
الغافل عنه كثيرون من الناس ، فرأيت اللائكة يترحبون بي وهم أكثر
فرحاً بهذا الخير العظيم ، ورأيت آدم عليه السلام أكثر فرحاً بهذا الخير
أو كما قال من هذا المعنى فليراجع فزيارة قبرها يكون من جملة البروكذا
أعمال الخير قال بعض الافاضل :

وفي جده يسمي السرور مجدداً وللظير في أفنانها بالهنا صدحُ
ويعذب من عذاب أرياق ثغره وشام بها من لذة الشرب ما يصح
وأعدوا لنا أعداؤكم غير أنهم ظلام محاه من صداقته الصبح
وقال الفاضل العلامة الشيخ عبد الله العياشي ، في رحلته المشهورة ^(٢)

بعد أن ذكر مجيئة من المدينة إلى مكة المشرفة . وقضى مناسكه قال
مانصه: ومنها مدينة جده : ولما كان لي رغبة قوية في معرفة أرض
الحجاز وروية ما بها من البلاد غير الحرمين ، عازمت على الوصول إلى
بدينتها لزيارتها ، وزيارة ما بها من المساجد والمشاهد ، كالمحل الذي
يقال إن فيه قبر أمنا حوا ومن جزم بأن قبر أم البشر حواء بجدة
ابن خلكان في ترجمة ابن قلائس الشاعر وذكره أيضاً في ترجمة أخرى
ولأنها في نفسها من أعظم البقاع . فقد ورد في فضلها وفضل المقام بها ،
والرباط فيها عدة آثار نقلها الاخباريون .

فخرجت إلى زيارتها بعد صلاة العصر من يوم الجمعة العاشر من

(١) رأى علماء السنة في ابن عربي أنه رجل ضال مضل .

(٢) نشرت العرب ما يخص ما يتعلق بالحجاز من رحلة العياشي ، كما نشرت قبل ذلك كلاه .

شوال مع طائفة من أصحابنا المجاورين . واكثرى لى شيخنا أبو مهدي
حماراً لركوبي ، ولم أرَ أسرع مشياً من حمير الحجاز ولا أوطأً مركباً
ولا أقلّ تعباً مع السرعة المفرطة في المشي .

فلقد كنت أنظر وأنا راكبها إلى أطرافى هل تحرك منها شئٌ مع
الاسراع في المشي ، فلا تكاد تتبين لي حركة شيء منها ، مع أن مركوبي
ليس من أجودها ، فلقد أخبرت أنه كان حمار عند رجل من أهل
مكة يصلى المغرب بجدة فيركب عليه ويصلى الصبح بمكة ، وهي مسافة
القصر تحقيقاً .

أقول : وهذا هو الغالب في وقتنا هذا على أنه يركبون نحو العشرين
راكباً بعد صلاة المغرب فيصلون الصبح بجدة ، وقد ركبت مرة في
الساعة الثالثة من الليل سنة إحدى وثمانين ^(١) من مكة ودخلت جدة
عند شروق الشمس صبيحة تلك الليلة انتهى .

ثم قال : وهم يتغالون في ثمن ما هذه صفته منها فيبلغ الحمار مائة
دينار ذهباً ، ولقد رأيت حماراً عند فقيه الحنفية الشيخ الزنجبيلي
رافقنا عليه من المدينة إلى مكة تحتقره العين ، فأخبرت أنه اشتراه
بقريب من ذلك الثمن

أقول : وفي وقتنا تباع هذه الحمير بمكة نجيء من الشرق من ناحية
(الحسا) تسمى الشروق والحساوية وكلها بيض غالبها من مئة ريال
فرانسة ^(٢) وثمانين ريالاً إلى ستين إلى خمسين إلى أربعين لكنها غشيمة
في المشي فتتخرج في مكة وتدرج وتسير أحسن سير ، حتى أن عند
خروج أهل الركوب من مكة المشرفة إلى المدينة المنورة لزيارة رسول

(١) أى (١٣٨٢ هـ) .

(٢) الريال فرانسة هو الريال النموى الذى فوّه صورة (ماري تريزا) .

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْهَجْرَى يُخْرِجُ أَهْلَ هَذِهِ الْحَمِيرِ بِحَمِيرِهِمْ
نَحْوَ السُّتَيْنِ وَالْمَثَّةِ حِمَارًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ يُسْبِقُونَ الْهَجْرَى لِأَيْتَاخِرَ
نَهُمْ أَحَدٌ أَنْتَهَى .

ثم قال : ولما خرجنا من مكة من الشَّيْبَةِ السُّفْلَى إِلَى مَنَاخِ الْحِجَابِ
أَسْفَلَ ذِي طَوًى ، عَدَلْنَا ذَاتَ الْيَسَارِ قَلِيلًا ، وَسَلَكْنَا فِي شَعَابِ هُنَاكَ ،
وَعَقَابِ ، لَيْسَتْ بِالْوَعْرَةِ وَبَيْنَ مَكَّةَ وَجِدَّةَ ثَمَانِي قَهَاوِي .

أقول : وهي الآن اثني عشرة قهوة ينزل المارون بها في كل قهوة
فيستريحون ويشربون القهوة أو الماء ويشترون علفًا للدواب ، أو طعامهم .

فأولها قهوة في مقابلة التنعيم فيما أظن في شعب مررنا عليها قرب المغرب .

أقول : وهي المعروفة الآن بـقهوة البستان ثم قهوة أم الدود ثم قهوة

المقتلة ثم قهوة سالم انتهى .

والثانية في منفسح الوادي الذي يُخْرِجُ مِنْهُ إِلَى رِمَالِ الْحَدِيبِيَّةِ
وَالثَّلَاثَةَ عِنْدَ بَشْرِ الْحَدِيبِيَّةِ عِنْدَ مَنْتَهَى الْحَرَمِ وَمِنْهَا يُحْرِمُ النَّاسُ بِالْعِمْرَةِ
مِنْ شَاءَ مِنْهُمْ ، وَحَوْلَ الْبَشْرِ مَسْجِدٌ مَعْطَلٌ قَدْ أَنْهَدَمَ أَكْثَرُهُ وَقَدْ طَلَبْنَا
مِنْ أَهْلِ الْقَهْوَةِ حَبْلًا وَدَلُّوا حَتَّى اسْتَقَيْنَا مِنْهَا ، وَشَرَبْنَا مِنْ مَائِهَا لِلْبُرْكَ
لَمَّا وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارَكَ عَلَيْهَا حَتَّى غَزَرَ
مَأْوَاهَا أَوْ تَفَلَّ فِيهَا وَالرَّابِعَةَ فِي قَرْيَةٍ تَسْمَى حَدَّةً قَرِيبَةً مِنْ شَفِيرِ الْوَادِي
الْكَبِيرِ الَّذِي يَأْتِي أَصْلَهُ مِنْ مَرِّ الظُّهْرَانِ ، وَفِيهِ أَثَلٌ وَعُشْبٌ كَثِيرٌ وَمَزَارِعٌ
إِذَا جَاءَ السَّيْلُ .

ثم الخامسة حول مزرعة كبيرة هناك يجلب منها بطيخ كثير إلى
مكة مشهور عندهم بالجودة تسمى بحرة .

والسادسة عندما يريد الذهاب الصعود إلى جبال يمر الطريق في وسطها
والسابعة عند منقطع الجبال حيث ينحدر الذهاب إلى مكة ، والثامنة
التي عند جلة بالمحل المعروف بالرغامة .

وقد بلغنا إليها بعدما ارتفعت الشمس جدا واتسع النهار واشتد الحر
وهي مدينة كبيرة ممتدة مع ساحل البحر نحو ميلين ، في كلا طرفيها
حصار متقن البناء فيه مدافع كثيرة وعسكر لا تفارقه ، وقد رأيت في
الحصار الغربي منها ما يستغرب وصفه من المدافع طولاً وكبراً ، ورأيت
فيها مدفعا له خمسة أفواه بصنعة غريبة .

وفي مرساها سفن كثيرة كبار وصغار وغالبها معمول بالشريط صنعة
عجيبة ليس فيها مسبار وهي مع ذلك كبيرة المقدار متباينة الأقطار ،
واسعة الأنحاء تحمل اضعاف ماتحمل غيرها من السفن .

وأسواق البلد ممتدة مع جانب البحر ، وغالبها أخصاص واسعة
مفتحة إلى البحر وإلى ناحية البلد ، فيها قهاوى ومجالس حسنة يبالغ
أصحابها في كنسها وتنظيفها ورشها بالماء ، وفيها جلوس غالب أهل
البلد ، وقد اتخذوا فيها أسرة كثيرة منسوجة بشريط الدوم ، بصنعة
محكمة .

وكان نزولنا بوكالة هناك قريبة من المسجد ، فإذا كان الليل خرجنا
إلى جانب البحر ، واكثرنا لكل واحد سريراً يرقد عليه بدرهم إلى
الصباح .

ومسجدها الكبير من أحفل المساجد وهو المعروف بالشافعي فيه
أعمدة من الساج ، مخروطة على هيئة أعمدة الرخام المخروط طيب
عودها ، يحسبها من لم يتأملها رخاما أحمر ، أخبرني شيخنا أبو مهدي

أنه يقال : إن أعمدة ذلك المسجد جبلت في صدر الإسلام من كنيسة في أرض الحبشة عندما افتتحها المسلمون .

وزرنا المحل الذي يقال : إن فيها قبر أمنا حوا . وقد ذرعه بعض أصحابنا فكان قريبا من ثلاث مئة ذراع والله أعلم بصحته .

وكان فيها مفتيان أحدهما شافعي المذهب ، وهو الشيخ عبد القادر وهو رجل حسن الأخلاق ولقيت أيضاً مفتي الحنفية الشيخ مصطفى وهو رجل له مشاركة في العلوم سالك على طريقة السادة النقشبندية أدرك الشيخ تاج الدين ابن عثمان النقشبندي وله خبرة بكلام القوم انتهى من الرحلة المذكورة .

ومنها قوله : وقد شاهدنا في هذه الخطرة يعني في السفر من جدة إلى مكة من العافية التي بسطها الله في الطرق والقرى والأمان التام ما قضينا منه العجب ، فمن ذلك أنا لقينا عيراً في ليل مظلم ، تحمل أحمالاً من البزّ الهندي والقماش الرفيع ، نحو من عشرين جملاً وطلبنا من أصحابها من نسأله عن خبر البلد فلم نجد معها أحداً ، وذهبنا نحوا من ميل ، فوجدنا أصحابها في قهوة مستريحين ، وأخبرونا أنها كذلك حتى لو ذهبنا إلى مكة لم يتعرضها أحد ، وأخبرونا بعجائب من مثل ذلك وقعت في أيام الأمير زيد ووالده محسن ، فمن ذلك أنهم زعموا أن رجلاً جاء إلى السلطان محسن فقال له : إني وجدت بالفلاة الفلانية حملاً من البز . فقال له : ومن أخبرك أنه من البز ؟ ! فقال : مسسته برجلي ، فأمر بقطع رجله وقال له : لم مسسته برجلك ؟ إلى غير ذلك من أمثال هذه الحكايات ولا نعلم صحيحها من سقيمها .

ومن لطيف ما شاهدناه من أمان هذه الديار وعافيتها أن المسافرين من

مكة إلى جدة ومن جدة إلى مكة يكثرون الحمير للركوب ، ولا يذهب صاحب الدابة معها ، فإذا بلغ المكثري إلى المحلّ الذي ذهب إليه أرسل الحمار ولا عليه فيه فلا يأخذه أحد إلاّ ربه إن كان في ذلك البلد أونائبه ، ولكل واحد من أصحاب الدواب نائب في غير البلد الذي هو فيه .

وقد رافقنا من مكة إلى جدة ذهابا وإيابا صاحبنا الحاج علي العقاب التونسي وكان من التجار المجاورين بمكة المشرفة في هذه السنة فكان معه جملة من أصحابه فلم يتركنا ننفق في هذه السفارة ولا درهما واحدا ، فكان الإنفاق من عنده في كل ما ينوب من منازل الاستراحة وكراء المنازل وما ينوب في أيام الإقامة فجزاه الله خيرا انتهى .

الخاتمة : في بعض حكايات لطيفة وغيرها ، وقعت في عرصاتها ، وفي بناء سورها : قال العلامة القاسي في تاريخه ، وفي « الدرر المنظمة » ان في سنة ثلاث وثمانين ومئة من الهجرة جاءت الحبشة إلى جدة جنوداً وجرودا في عدد وعدد ، فوقعوا بأهل جدة فخرج الناس من مكة إلى جدة غزاة في البحر ، وأميرهم عبد الله بن ابراهيم المخزومي عامل الرشيد العباسي ، فقاتلوهم وصرفهم الله ، وذلك لما روى عن ابن عمر رضی الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حجة لمن لم يحج و غزوة لمن قد حج خیر من عشر حجج ، و غزوة في البحر خیر من عشر في البر ، ومن جاز البحر فكأنما جاز الأودية كلها ، والمائد فيه كالمشحط في دمه » أخرجه أبو ذر في منسكه .

قوله : والمائد هو الذي يدور رأسه من ریح البحر واضطراب السفينة بالأمواج من ماد يميد ، إذا مال وتحرك ويقال تشحط المقتول بدمه أي اضطرب فيه انتهى .

وفي سنة إحدى وخمسين ومائتين نُهيت جدة وأهلها وقتل بها قتلاً ذريعاً والفاعل ذلك كله إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن المثني بن الحسن السبط ، بعد أن فعل أفعالاً قبيحة بمكة ، فهرب عامل مكة وجدة ، وهو جعفر بن الفضل ابن عيسى العباسي فنهب الكعبة ، وأخذ الذهب الذي فيها وكسوة الكعبة ، وأخذ من الناس مئتي ألف دينار ، ثم رحل بعد مقامه في مكة سبعة وخمسين يوماً إلى جدة ، فحبس عن الناس الطعام وأخذ أموال التجار ، وأصحاب المراكب بعد أن وافت المراكب من القلزم ، ثم رجع إلى مكة وطلع إلى عرفة يوم الموقف ، وقتل من الحجاج وغيرهم نحو ألف ومائة ، وهرب الناس ولم يقفوا بالموقف لا ليلاً ولا نهاراً ، ثم رجع إلى جدة فأفنى أموالها .

وذكر العلامة بن خلدون أنه كان يتردد إلى الحجاز في سنة ٢٢٢ وأنه خرج في أعراب الحجاز ويسمى بالسفاك حتى أهلكه الله بالجدري في آخر سنة ٢٥٢ لأنه ضيق على أهل مكة وأهل جدة تنسيقاً زائداً ، ثم أخذه الله أخذ عزيز مقتدر .

وفي سنة ٨٠٦ تولى أمر جدة جابر بن عبد الله المعروف بالحراشي ، أصله من التجار فولاه الشريف حسن بن عجلان صاحب مكة أمر جدة ، فقام بمصالحة أحسن قيام ، وكان يحسن السياسة في استيفاء الكوس ، ولكنه زاد فيها كثيراً عما كانت عليه قبل ولايته ، وبني الفرضة التي بجدة ليحاكي بها قُرُضة عدن ، وكانت فرضة جدة على غير هذه الصفة ، ثم تغير عليه صاحب مكة لخبث لسانه فقبض عليه في أوائل رمضان سنة ٨٠٩ ثم رده إلى عمالته بجدة ، ثم تغير عليه صاحب مكة لما نسب

إليه للسيد رُمَيْثَة بن محمد بن عجلان على دوام عصيانه لعمه ، فإن رُمَيْثَة هجم على مكة في رابع عشر جمادى الآخرة وفي سنة ٨١٦ هجم المذكور على جدة في رمضان من السنة المذكورة ونهب جدة فسعى جابر أمير جدة بينهما بالصُلح ، ووقع مع ذلك من جابر المذكور مخالفة لمخدومه أمير مكة في بعض أوامره ، فقبض عليه بمنى ، في النضر الأول ثم قرر على أمواله وأشعر بقتله ، فصلى ركعتين وخرج من أجياد مع الموكلين بقتله إلى باب المعلا فشنتق به ، ولم يظهر منه جزع في حال شنقه ، ولا في ذهابه إلى الشنتق ، ولانكلم بكلمة واحدة ، ودفن بالمعلا ، وكانت أدعية الحجاج عليه كثيرة في موسم هذه السنة بسبب زيادته عليهم في أمر المكس ، فأصيب مع المقدور بسبب دعائهم ، فإن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب كما في الحديث الشريف انتهى من تاريخ القاسي .

وأما سبب بناء سورها الموجود الآن لأنها كانت غير مسورة وكانت العربان في أيام الفتنة تهجم على جدة وتنهبها مرارا قال العلامة القطبي في تاريخه : كانت العربان كثيراً ما تنهب جدة حتى أن عربان زُبَيْد - بضم الزاي قبيلة مشهورة قرب جدة - أسرت في أيام الفتن الخواجا محمد بن يوسف القاري ، وكان من أعيان التجار من أهل الاعتبار فهجموا على بيته بجدة ، وأنزلوه من السطح ، وأركبوه معهم على ظهر فرس ارتدغه واحد من زُبَيْد ، وأخذوه إلى أماكنهم ، وهو قريب عقبة السويق من درب المدينة المنورة ، ومكث عندهم إلى أن اشترى نفسه بثلاثين ألف درهم ، فردوه إلى مكة بعد أن استوفوا هذا القدر منه .

ونهبت جدة مراراً في الفتن التي وقعت في أرض الحجاز بعد وفاة

الشريف محمد بن بركات ، وجرت أحوال يطول شرحها مذكور بعضها في تاريخنا «نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر» في الجزء الثاني والثالث منه .

وفي سنة ٩١٩ وقيل سنة ٩١٧ أرسل السلطان الغوري الأمير حسين الكردي وجهازه معاً عسكرياً من الترك والبنغارية ، لدفع ضرر الفرنج في بحر الهند ، وكان مبدأ ظهورهم ، وأمره بنفع الفتن الراقعة إذ ذاك بجدة ، وجعلها له إقطاعاً فلما وصل الأمير المذكور إلى جدة بنائه في هذه السنة ، وهو الموجود الآن ، وكان ظلوماً غسوماً يسفك الدماء ، ولا يرحم من في الأرض ليرحمه من في السماء ، وكان ينصب أعواداً للصلب والشنق (والشنكلة) وأقام جلادين للقتل والتسويط والضرب والبهدلة ، فأبى مسكين وقع في يده قتله بأذى سبب ، وكان أكولاً يستوفي الخروف وحده ، مع أرغفة عديدة ، ونفائس له معدة ، وكان أصله كردياً دخيلاً في وظائف الجراكسة ، فأراد الغوري إبعاده ، وكان معتنياً به فأعطاه جدة ، فلما أتى جدة سورها وبني أبراجها وأحكمها ، وهدم كثيراً من بيوت الناس ، مما يقارب موضع السور ، لوضع الأساس ، واستخدم عامة الناس في حمل الحجر والطين ، حتى التجار المعتبرين وسائر المتسببين ، وضيق على البنائين بحيث يحكي أن أحدهم تأخر قليلاً عن المجيء فلما جاء أمر أن يُبني عليه حياً فبني عليه واستمر قبره إلى يوم الجزاء ، إلى غير ذلك من الظلم الشديد والجور العنيد وبني السور جميعه في دون عام من شدته وغشمه وإقدامه وظلمه انتهى .

وكان طول أساس السور المذكور في الأرض اثني عشر ذراعاً ،
 وطول المحيط بالبسد من جهة القبلة واليمن والشام ثلاثة آلاف ذراع
 غير الأبراج ، وهي ستة أبراج ، دور كل برج منها ستة عشر ذراعاً
 بجدرانها ، وعرض جدار السور أربعة أذرع ، وأما الأبراج فطول الشامي
 واليماني على وجه الأرض خمسة عشر ذراعاً ، والبرجان القبليان
 الملاصقان لباب البادية المسمى ^أ - وهما باب الفتوح وهو الأيمن والآخر
 باب النصر وهو الأيسر وطولهما على وجه الأرض أيضاً كذلك ، وأما
 البحريان فقد نزل بهم الغواصون في البحر اثني عشر ذراعاً وجميع
 ما ذكر من الأذرة فيذراع العمل وهو ذراع ونصف بذراع
 البخاري (٢) ثم لازال الأمير حسين الكردي يقتل ويشنق في
 جدة بغير حق حتى توجه إلى الهند ، ثم سفك الدماء بأرض اليمن وافتتح
 في طريقه مملكة بني طاهر ظلماً وعدواناً ، بعد حروب يطول شرحها ،
 وأقام بها نواباً له ، وكانوا ملوكاً من أهل السنة والجماعة ، ثم رجع
 إلى مكة المشرفة وكانت إذ ذاك دولة الجراكسة قد انقضت بمصر ،
 وتوجه الشريف أبو نُمَيْ بن بركات وعمره اثني عشر سنة إلى مصر
 ورجع مسروراً بما طلب من السلطان سليم ، وأمره بقتل حسين الكردي
 فنصره الله عليه وأخذ الأمير حسين الكردي مُقَيِّداً من مكة إلى جدة
 ورُبط في رجله حجر كبير وغُرِقَ في بحر جدة في موضع يقال له
 (أم السمك) فأكلته الأسماك بعد أن كان من الأملاك ، وتفرق في
 البلاد جنوده وأعوانه بكدًا ، (ووجدوا ماعملوا حاضرًا ولا يظلم ربك
 أخذًا) كذا في تاريخ القطبي ^(١) .

(١) يقصد تاريخ مكة والاعلام بتاريخ البلد الحرام ، لقاب الدين النهروالي المكي . وهو

مواضع تاريخية في عالية نجد

- ١ -

(قامت) (دار إمامة للبحث والترجمة والنشر) بنشر كتاب « عالية نجد » أحد أجزاء « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » تأليف الأستاذ سعد بن عبد الله بن جنيدل .
وسيصدر قريباً القسم الأول منه . وهو يقع في ثلاثة أقسام . ويتحدث عن ١٦٣٧ موضعاً .
نورد هنا الأسماء الواردة في (باب الكاف) ليطلع القراء على النهج الذي سار عليه المؤلف الكريم في هذا الكتاب) : -

الكَاهِلَةُ : بكاف بعدها ألف ثم هاء مكسورة ثم لام مفتوحة
وآخره هاء : ماء حلو ، قديم ، واقع في الجهة الشرقية من جبل دمع .
معروف بهذا الاسم قديماً ، وهو من مياه عمرو بن كلاب قديماً . أما في
هذا العهد فإنه من مياه قبيلة الشيبانين التابعة لإمارة الخاصرة .

قال ياقوت : قال أبو زياد : من مياه عمرو بن كلاب الكاهلة .
وقال الهمداني : مياه دمع الكاهلة والغدرة ، والبيضاء ماء رواء .

كَبْدٌ : بفتح الكاف وكسر الباء الموحدة ، وآخره دال مهملة .
هضبة لونها بني ، تحف بها بركة ، واقعة في بلاد المضجع (المضجع) شمالاً
من الأروسة ، وفيها دارة معروفة ، وفي الجنوب منها ماء يدعى الكبدي
وهي في بلاد قبيلة المقطة والنفعة من عتيبة ، معروفة بهذا الاسم قديماً ،
وهي في بلاد بني كلاب .

قال ياقوت : كبد بالفتح ثم الكسر ، وكبد كل شيء وسطه ،
وكبد الوهاد : موضع في سبأوة كلب ذكره المتني في قوله :

روامي الكفاف وكبد الوهاد وجار البويرة وادي الغضا
وكبد أيضاً : هضبة حمراء بالمضجع في ديار كلاب .

وكبد أيضاً : قنة لغني ، قال الراعي :

عدا ، ومن عالج ركن يعارضه عن اليمين وعن شرقيه كبد

ودارة كبد : موضع لبني أبي بكر بن كلاب .

وبالقرب من كبد مائة لغني يقال لها مندعا وفيها يقول الغنوي :

تربعت ما بين مندعا وكبد

قلت : كبد الواقعة في سواة كلب لاتزال معروفة ، يقال لها كبد ،

واقعة شرق بلاد الجوف .

أما كبد الواقعة في المضجع ، في بلاد بني كلاب فإنها لاتزال

معروفة باسمها ، وهي التي نتحدث عنها .

وأما كبد الواقعة في بلاد غني فإنها غير معروفة في هذا العهد ،

وكذلك ماء مندعا المذكور معها .

ودارة كبد لاتزال معروفة ، واقعة في هضبة كبد التي سبق ذكرها .

وكبد واقعة جنوباً من بلد عفيف على بعد مائة وخمسة وستين كيلاً

تابعة لإمارتها .

وكبد أيضاً : جبل أسود ، ويدعى كبد البياض ، ذكره الهمداني

بهذا الاسم ، ويعرف في هذا العهد باسم كباد ، واقع شرق شمال بلاد

الأفلاج ، في بلاد الدواسر .

الكبدي : بفتح الكاف وسكون الباء الموحدة ثم دال مهملة

مكسورة بعدها ياء مثناة : ماء قديم مر ، عدة آبار متح ، يقع في شمال

المضجع (المضجع) فيما بين ماء البديعة . وماء الحفيرة ، شمال هضبة

كبد ، في بلاد أبي بكر بن كلاب قديماً .

واقع في بلاد قبيلة المقطة وقبيلة النفعة من برقا من عتيبة ، وهو

خاص لقبيلة الفاتمة من النفعة ، تابع لإمارة عفيف ، يبعد عن عفيف

جنوباً مائة وستين كيلاً .

كَبِشَاتُ : بكاف مفتوحة وباءٍ موحدة مفتوحة وشين معجمة بعدها ألف ثم تاء مثناة ، جمع كَبِشَة : وهي أجبل سود آخذ بعضها بأعقاب بعض ، معترضة من الجنوب الشرقي صوب الشمال الغربي ، وتتكون من ثمانية أجبل ، وفيها ماء عند يقال له كبشان ، وقد عمرت فيه هجرة لقبيلة المراشدة من الروقة من عتيبة .

وتقع كبشات في بلاد الوضح داخله في حمى ضرية قديماً ، شمال هضبة شرثة (ثمد) . وفي ناحيتها الشمالية الغربية دارة معروفة قديماً وحديثاً ، ويليها من الشمال هضاب البكري - البكرة قديماً - وفيها ماء ، وتراها ببصرك وأنت تسير على طريق السيارات المسفلت حذاء جبل النير ، بين بلدة القاعية وبلدة عفيف ، تراها شمالاً من الطريق ومن بلدة القاعية ، وهي في بلاد الروقة التابعة لإمارة الدوامي ، وتقع بالنسبة لمدينة الدوامي غرباً شمالياً . وإياها يعني الشاعر الشعبي سعد بن إبراهيم ابن جريس وقد ذكرها بلفظ مفردا :

يا عين يا لبيّ تَسِيرُ الرَّيْعُ وتَوِيْقُ أَبِي عَسَى سَلَمَ الْمَنَاهِيْجِ بِنَقَاذِ
اللَّهُ عَلَى اللَّيِّ يَمْرِقُ الخَدَّ تَمْرِيقُ لَهُ بَيْنَ كَبِشَةَ وَإِسْرَ النِّيرِ مَجْلَاذِ
وقال الشاعر باني آل باني :

تَقَاصِبُوا مِنْ خَشِمِ كَبِشَةَ إِلَى النُّيْرِ وَبِيُوْتَهُمْ يَمَّ الحَنَابِحِ تَبْنَا
أما قديماً فإن كبشات واقعة في بلاد الضباب .

قال الأصفهاني : مياه الضباب ، معروف ، وهو بجبل يقال له كبشات .

وقال في ذكر جبال بلادهم : وكبشات وهن أجبل ، كبشة لبي جعفر ، وكبشة لبي لقيطة ، وكبشة للضباب .

وقال في ذكر أعلام الوضح بعد ذكر قطيئات ووصفهن : وهؤلاء

الهضاب يناوحن هضب بالوضح يسمّى العرايس، وعمود من الهضب
يقال له الأفس .

إلى جنب أجبل سود عظام للضباب يقال هن كَبْشَات ، وهذا كله
بالوضح ، وضح الحمى .

وقال ياقوت : كَبْشَات بالتحريك وشين معجمة ، وآخره ناء،
جمع كبشة : أجبل في ديار بني ذؤيبة ، بهن هراميت ، وهي آبار
متقاربة ، وبها البكرة وهي مائة لهم وأنشد أبو زياد :

أحمى لها الملك جنوب الريان وكبشات فجنوبي إنسان

قال الأصمعي : ومن أسماء الجبال التي بالحمى كبشات ، وهن
أجبل ، كبشة لبني جعفر ، وكبشة لقيطة وهي لغني ، وكبشة الضباب .
قلت : ذكر ياقوت أن هراميت واقع في كبشات ، وكذلك البكرة ،
والواقع أن هراميت يقع في وادي هرمول (الريان قديماً) شمال كبشات .
أما البكرة فهي خارجة منها شمالاً في هضاب حمر ، قريبة منها .

كَبْشَانُ : بفتح الكاف وسكون الباء الموحدة وشين معجمة بعدها
ألف ثم نون ، نسبة إلى أجبل كبشات : ماء عذب عذ قديم ، يقع
بين سنغان حمر في وسط كبشات ، وسيله يفيض شمالاً ويدفع في
وادي نومان . وقد أكثر شعراء الشعر الشعبي من ذكره بهذا الاسم ،
قال بعضهم يذكر حلاوة مائه :

قَالُوا وَرَدْنَا الْحُلُوَّ وَالْحُلُوَّ كَبْشَانُ وَالْحُلُوَّ الْآخَرَ مَا الرَّحِيفُ وَضْرِيَّةُ

ويقول محمد بن بليهد من قصيدة له :

فَقَرُوا وَمَرُّوا كِشْبُ وَالْخَالُ وَإِنْقَارُ وَمِثْلُهُ وَاجْلَةُ وَكَبْشَانِ وَالنَّبِيرُ
لَعَلَّ يَسْتَقِي دَرَبَهُمْ عَذْبُ الْأَمْطَارِ تَنْثُرُ عَزَالِيَةَ الْمَرْزُونِ الْمَرْزَابِيرُ

ويقول عبد الله بن سبيل :

مِضْيَاهِنُ كَبْشَانَ لِلْبَدُوِّ مَشْهَاءُ إِلَى كَنْ مِزْنِ الصَّيْفِ بِقِرَانِ حَادِي

وفي هذا الماء تأسست هجرة قديمة ، سكنها قوم من قبيلة المراشدة -

واحدهم مرشدي - من الروقة من عتيبة ، وهاجر معهم فيه قوم من

العضيان - واحدهم عضيان - جماعة ابن بديد من الروقة من عتيبة ،

غير أن هؤلاء الأخيرين لم تطل إقامتهم فيه ، فقد ارتحلوا منه ،

أما المراشدة فقد استقروا فيه ، ولا يزالون إلى هذا العهد ، وهجرتهم

عامرة وفيها مدرسة ابتدائية للبنين ، وأميرهم سلطان أبو خُشيم ، وقد

ذكرها عبد الله الزامل في كتابه «أصدق البنود» في عداد هجر عتيبة .

وهذه الهجرة تابعة لإمارة الدوادمي ، وكبشات التي يقع فيها ماء

كبشان محددة وموصوفة في رسمها . ويبدو لي أن ماء كبشان هو الماء

الذي ذكره صاحب كتاب «بلاد العرب» باسم معروف ، وقال إنه في

كبشات ، لأن كبشان ماء قديم وشهير ، ولم يزد له ذكر في المعاجم

القديمة بهذا الاسم ، وهو من مياه الضباب قديماً وداخل في حمى ضرية .

كُتْبَةُ : بضم الكاف وسكون التاء المثناة ، ونون موحدة مفتوحة ،

وآخره هاء : عد قديم ، ماؤه مر ، يقع صوب مطلع الشمس من حصاة

قحطان العليا ، حصاة آل عليان ، وفيه قصيرات ومساكن لآل عاطف

من قحطان ، تابع لإمارة القويبية :

وقد ذكر الهمداني موضعاً بهذا الاسم ، غير أنه واقع في بلاد اليمن

بعيداً من هذا الموضع .

كُتْبَةُ : بضم الكاف وفتح التاء المثناة بعدها ياء مثناة ساكنة

ثم فاء موحدة مفتوحة ، وآخره هاء ، صيغة تصغير : جبل غير كبير ،

أسود يقع بين جبل أثلث وبين جبل الخوار ، شمالاً شرقياً من دمخ ،
في بلاد عمرو بن كلاب ، معروف بهذا الاسم قديماً . قال ياقوت :
قال أبو زياد : من مياه عمرو بن كلاب كتيفة ، وقال أبو جابر
الكلابي :

أيانخلي وادي كتيفة حبذا ظلالكما لو كنت يوماً أناها
وماؤكما العذب الذي لو شربته شفى غلّ نفس كان طال اغتلاها
معنى على طول الهيام غليسه بذكر مياه ماينال زلأها
وكتيفة هذه واقعة في بلاد قبيلة العصمة من عتيبة ، التابعة لإمارة
الدوادمي ، وعندها ماء مر لم .

كتيفة أيضاً : هضبة واقعة في أعلا وادي مبهل ، شمالاً شرقياً
من بلدة مسكة ، واقعة في البلاد التابعة لإمارة القصيم ، وقد كتب عنها
الشيخ محمد العبودي في معجمه .

كتيفة أيضاً : هضبة صغيرة ، تقع بالقرب من جبل رخام ورخيم
شرق المهدي ، في البلاد التابعة لإمارة المدينة المنورة .

كُتَيْفَان : بضم الكاف وفتح التاء المثناة وسكون الياء المثناة ،
وآخره ألف بعدها نون : ماء مر ، واقع في غربي نفود عرق سبيع ،
غرباً شمالياً من حوضي ، وهو لقبيلة سبيع ، تابع لإمارة مكة المكرمة ،
عن طريق مركز الخرمة .

كُزَشْ : بفتح الكاف وسكون الراء المهملة ، وآخره شين معجمة :
جبل أسود كبير ، يقع غرباً جنوبياً من جبل الزيدي ، وجنوباً من
الصّخّة ، وفيه ماء ، وهو في ملتقى بلاد قبيلة المقطة ببلاد قبيلة الشيايين
من عتيبة ، تابع لإمارة الخاصرة .

وكرش معروف بهذا الاسم قديماً وفي هذا العهد .

قال الأصفهاني : الكرشة مائة لبني قريظ حذاء كرش ، وكرش

جبل عظيم أحمر ، ليس له شبيه وهو لبني قريظ ، قالت امرأة :

أرى كرشاً أرمى بأعظم صخرة هُنِّيَ إن صابرتها لَصْبُورُ
فهل تُنجيني من قُريش عصابة كأنهم فوق الرِّحال صُقُورُ

وقال ياقوت : قال أبو زياد الكلابي : ومن جبال أبي بكر بن كلاب

الكرش ، وكرش يؤنث في الاسم ويذكر ، فمن شاء قال هذا كرش ،
ومن شاء قال هذه كرش ، فأما كرشوان (؟) فلا تذكر ، قال : ولا يُعرف
في بلاد بني كلاب جبل أعظم من كرش .

الكَشَّاشِيَّةُ : بفتح الكاف وتشديد الشين المعجمة ثم ألف بعدها

شين معجمة ثانية مكسورة ، ثم ياء مثناة مشددة مفتوحة ، وآخره هاء :
هضبة حمراء صغيرة وعندها ماء ، واقعة في ناحية الأسود الشرقية
الشمالية ، شمالاً من ماء مليّة ، في بلاد قبيلة العصمة التابعة لإمارة الدوادمي
واقعة غرباً من مدينة الدوادمي .

الكَشَّاشِيَّةُ : هضبة حمراء صغيرة ، واقعة في ناحية شَعْبَا الشرقية

الشمالية ، شرق مطيوي العساكر ، في أودية يقال لها السَّمْقَان ، ولهذا
يقول لها البعض : كَشَّاشِيَّةُ السَّمْقَان ، وهي في البلاد التابعة لإمارة
القصيم .

الكُشَيْمِيَّةُ : بضم الكاف وفتح الشين المعجمة وسكون الياء المثناة

وكسر الميم ، ثم ياء مثناة ثانية مشددة مفتوحة ، وآخره هاء : ماء عذب
واقع في هضاب العريف لقبيلة العصمة من عتيبة ، تابع لإمارة القويبية .

كُعَيْبُ : بضم الكاف وفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة ،

وآخره باه موحددة ، تصغير كعب : جبل أحمر كبير ، يقع غرب جبل
فرقين قريباً منه ، وجنوباً من هجرة بلغة ، وشمال هجرة الحسو على بعد

خمسة وأربعين كيلاً تقريباً ، في منتقى بلاد حرب ببلاد مطير ،
التابعة لإمارة المدينة المنورة .

وفيه يقول شاعر من مطير :

اللَّحْبُ خَشْمٌ كَعَيْبٍ وَاذَى ضَرَائِينَ وَمِنْ عِنْدِ عَاجٍ لِبَا رَكَزَ عَظِيمٍ سَاقِيَةٌ
كُفٌّ : بكاف مضمومة وفاء موحدة مشددة : جبل يقع جنوباً غربياً

من جبل عسوس ، يحف به رمل العريق من الغرب ، وعنده بئر ماؤها مر ،
وهو لقبيلة الغبيات - واحدهم غبيوي - من قبيلة الروقة من عتيبة ،
وهو في البلاد التابعة لإمارة عفيف ، ويبعد عن بلدة عفيف شمالاً شرقياً
خمسة وسبعين كيلاً .

وقد ورد في كتب المعاجم القديمة بزيادة همزة في أوله : أكف .
قال الأصفهاني ، يذكر مواضع بلاد بني الأضبسط : العكلية وهي
من الجديلة مهب اليمانية ، إلى قرانين إلى شعر إلى أكف إلى البزي .
والواقع أن جبل كف قريب من شعر واقع عنه شمالاً ، وقريب من
قرانين والعكلية . وهذه الأعلام معروفة بأسمائها لم تتغير .

الكِفْلُ : بكاف مكسورة وفاء موحدة مكسورة وآخره لام : حشاش
سود ، واقعة جنوباً من وادي الأرمض ، في أيمن وادي الركا ، يمر مجرى
الركا بينها وبين جبل البدر ، في بلاد قبيلة قحطان ، التابعة لإمارة
القويعة .

كُفَيْفَةٌ : بضم الكاف وفتح الفاء الموحدة وتكريرها ، وآخره
هاء ، تصغير كُفَّة : خبراء واسعة تجتمع فيها مياه السيول وتلبث وقتاً
يردها البدو بمواشيهم ، واقعة في ناحية جبل كف الشرقية ، في بلاد
قبيلة الروقة التابعة لإمارة عفيف ، وتبعد عن بلد عفيف شمالاً شرقياً
خمسة وسبعين كيلاً ، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى جبل كُفٍّ وقديماً

كانت هذه البلاد لقبيلة الضباب ، وكف يذكر بزيادة همزة في أوله .
وقد ورد ذكر هذه الخبراء باسم نبي الأكف ، نسبة إلى جبل
أكف الذي تقع في جانبه ، قال ياقوت : النهي الغدير حيث يتحير
السيل ، ونهي الأكف ، بكسر النون وتفتح والهاء ساكنة ، والياء
معربة ، بوزن ظي ، والأكف جمع كف ، وهو موضع في قوله :

وقلتُ تبين هل ترى بين ضارج ونهي الأكف صارخا غير أعجما
الكُفِيَّةُ : بضم الكاف وفاء موحدة مكسورة وياء مثناة مشددة
مفتوحة ، وآخره هاء ، نسبة إلى كف مؤنثة ، وهي ماء مر ، يقع في
دائرة في ناحية جبل كف الشمالية الشرقية ، وهو من مياه الضباب
قديماً ، أما في هذا العهد فإنه لقبيلة الغبيات - واحدهم غبيوي من قبيلة
الروقة من عتيبة ، تابع لإمارة عفيف ، يبعد عن بلدة عفيف شمالاً
شرقياً اثنين وسبعين كيلاً . انظر رسم كف .

كُلَاوَاتُ : أوله كاف مضمومة ثم لام بعدها ألف ثم واو بعدها
ألف ثم تاء مثناة ، جمع كليوة ، تصغير كلية ، والبدو يقبلون الياء
ألفاً في التصغير ، وينطقون المشى بصيغة الجمع غالباً : وهما هضبتان
حمر اوان ، صغيرتان متناوحتان ، قريبتان من جبل ساق ، واقعتان غرباً
من هجرة ثرب على بعد عشرين كيلاً تقريباً ، يمر بهما طريق المدينة
المنورة من عفيف ، وعندهما ماء لقبيلة مطير بني عبد الله ، تابع لإمارة
المدينة المنورة ، وهذا الماء مر ، ويسمى كلية ، تصغير كلية .

كُليَّةُ : بكاف مضمومة ولام مفتوحة ثم ياء مثناة مشددة مفتوحة
وآخره هاء ، تصغير كلية : ماء قديم مر ، يقع شمالاً من هضاب
كلاوات ، غرب هجرة ثرب على بعد اثنين وعشرين كيلاً تقريباً ،
في بلاد مطير بني عبد الله للذوي ميزان منهم ، تابع لإمارة المدينة المنورة

كُلَاوَان : بكاف مضمومة ثم لام بعدها ألف ، وبعد الألف واو
ثم ألف بعدها نون ، تصغير كلوان ، والبندو يقبلون الياء ألفاً في
التصغير ، فيقولون لكليوان كلاوان ، وهو جبل يقع شمالاً شرقياً من
الجشوم ، وشمالاً غربياً من ماء المكلاة يرى منها بالبصر ، منسوب إليها
في ضفة وادي المياه ، في بلاد المغايرة - واحدهم مغيري - من الروقة
من عتيبة التابعة لإمارة عفيف ، ويبعد عن بلدة عفيف شمالاً ثمانية
وثمانين كيلاً .

كُمْدَةُ : بكاف مضمومة وميم مفتوحة وآخره هاء ، وتنطق بسكون
الكاف ، مسبوقة بالهمزة مكسورة - : وهي قرية زراعية قديمة من قرى
وادي الدواسر ، واقعة في بطن الوادي بين قرية الشرافا وقرية تمرة ،
وسكانها الحقبان من التغالبة .

ويبدو لي أنها هي القرية التي كانت قديماً تسمى الحليفة ، ذكرها
الهمداني وقال : إنها في وسط الغضا وذكرها بقرب تمرة ، وهذا الوصف
ينطبق على قرية كمدة ، واسم كمدة غير معروف في هذه البلاد
قديماً .

وهي قرية عامرة فيها مدرسة ابتدائية للبنين ، تابعة لإمارة وادي
الدواسر .

الكَوْدَةُ : بفتح الكاف وسكون الواو ، وفتح الدال المهملة ،
وآخره هاء : هضبة حمراء ، ملتفة حول بعضها ، لها قمة عالية ،
منيعة الجوانب ، تقع في براح من الأرض ، تراها ببصرك وأنت تسير
على طريق السيارات المسفلت بين بلدة القاعية وبلدة عفيف ، شمال
الطريق ، شرقاً من هضبة أم المشاعيب ، وغرباً من هضبة العرايس ،

وهي من أعلام بلاد الوضح ، وفيها يقول الشاعر الشعبي :
شدوا من الكودة على ام المشاعيب تلقى لهم يمّ العرايس مراح
قال أبو علي الهجري : بين قطيات وبين العرائس جبل يقال له
عمود الكود ، وهو جبل فارد طويل .

وقال الأصفهاني : ومن مياه بني جعفر الصفية والنامية والأبرقان ،
وعمود الكود ، وهو جرور أنكد ، والجرور البعيد القعر ، والأنكد
العسر المتعب للسقا .

قلت : قوله وهو جرور أي ماء الكود الواقع إلى جانب عمود الكود .
وقال ياقوت : كُود : بالفتح مصدر كاد يكود كودا ، ماء لبني
جعفر وقيل : جبل ، وأنشد : مثل عمود الكود لابل أعظما .
والعمود : هضبة عظيمة حذاء الكود .

أما في هذا العهد فإنها واقعة في بلاد العضيان من الروقة من عتية
تابعة لإمارة عفيف وتبعد عن بلدة عفيف شرقاً خمسة وستين كيلاً .
كُويكبُ : أوله كاف مضمومة ثم واو مفتوحة ، بعدها ياء مثناة
ساكنة ثم كاف ثانية مكسورة ، وآخره باء موحدة ، كأنه تصغير
كوكب : هضبتان حمراوان صغيرتان متناوحتان ، إحداهما قريبة من
الأخرى ، تفصل بينهما أرض سهلة ، وفي ناحيتهما الشمالية الغربية
هضبة حمراء صغيرة منطرحة في الأرض نائية قليلاً منهما تسمى صفاة
كوكب ، ويذكره البعض بصيغة الجمع فيقولون له كويكبات
وعنده خبار معروفة تسمى خباري كويكب ، واقع في عبة مرتفعة ،
غرباً من بطن الرشا محاذياً لخشوم الأسود الشرقية الشمالية ، وهو معروف
بهذا الاسم قديماً وفي هذا العهد ، ويرى محمد بن بليهد أنه هو الموضع
الذي قتل فيه زيادة بن زيد بن مالك الحارثي .

قال في كتابه : كويكب جبل أحمر صغير على ضفة وادي الرشا الغربية بين هُلان والخوار ، وهذا اسمه القديم ، وبه يوم من أيام العرب ، وقتل عند هذا الجبل زيادة بن زيد بن مالك الحارثي ، قتله هُدبة ابن خَشْرَم العذري فقال ابنه مسُور بن زيادة :

أبعد الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل
أذكرُ بالبقيا على من أصابني وبقياي أني جاهد غير مؤتل
وهو في ملتقى بلاد غني ببلاد باهلة وبني نيمر قديماً .

أما في هذا العهد فإنه في بلاد قبيلة العصمة من عتبية ، التابعة لإمارة الدوادمي ، ويبعد عن مدينة الدوادمي غرباً ستين كيلاً تقريباً .

كُويكبُ أيضاً كالذي قبله : هضبتان صغيرتان حمران ، واقعتان في جمش فيه خباري وجباوة - الواحد جبو - وهي حفر وصلدوع تكون في الصفا ، تكون عميقة تملؤها مياه الأمطار ، ويردها الناس ، وهو واقع جنوباً من جبل كرش ، وجنوباً من هضبة أذن قريباً منها ، في أعلا وادي دمو ، وفيه رس ماء . في بلاد أبي بكر بن كلاب قديماً ، أما في هذا العهد فإنه لقبيلة المقطة من عتبية ، التابعة لإمارة عفيف . كويكب أيضاً كالذي قبله : قرية تقع عن مدينة رنية جنوباً غربياً على بعد سبعة أكيال تابعة لإمارتها ، وسكانها من قبيلة المجامعة من سبيع .

الكهفةُ : بكاف مفتوحة وهاء ساكنة ثم فاء موحدة مفتوحة وآخر هاء : خبراء ، كبيرة معروفة ، واقعة في المضجع (المضجع) جنوباً من ماء البديعة ، في جانب رملة الحريرية من الشمال ، وفي ناحيتها أبرق يسمى أبرق الكهفة ، وفيها بينها وبين رمل الحريرية

ماء مر ، عدّ قديم ، عشر عليه رجل اسمه خويتم تصغير خاتم فاحتفره
وعمره فسّمى خويتم نسبة إليه ، وخويتم من قبيلة النفعة من عتبية .
وفي ناحيتها الشمالية ماء مرّ ، يسمّى ملحّة ، لقبيلة النفعة ،
وهي واقعة في البلاد التابعة لإمارة عفيف ، وتبعد عن بلدة عفيف
جنوباً مائة وخمسة وثمانين كيلاً . في بلاد قبيلة النفعة وقبيلة المقطة
من برقا من عتبية .

وكان اسم الكهفة قديماً يطلق على ماء من مياه بني أبي بكر
ابن كلاب ، واقع في هذه الناحية حدده أصحاب الكتب القديمة
قريباً من خبراء الكهفة ، وقد تغير اسمه ، وانتقل منه إلى هذه الخبراء ،
وربما كان هو أحد المياه القديمة الواقعة في ناحيتها ملحّة أو خويتمة .
قال الأصفهاني : البجادة والكهفة والحصا ، لكعب بن عبد الله
وهي مياه متح في فلاة من الأرض ، ثم الأراسة مائة لبني أبي بكر ،
لكعب بن عبد الله .

وقال أبو علي الهجري : العضاة بالمضجع بكسر الجيم ، وإلى جانبها
الأروسة ، وزن العروسة ، والكهفة قربها ، وأنشد :
رَعَتْ خَصَافًا ، فَرَعَتْ مَنِيًّا فَالرَّمْلُ ، لَا تَرَى بِهِ لِإِنْسِيًّا
حَتَّى إِذَا جَرَّمَتِ الشُّتِيًّا وَعَادَ نَبَتُ أَرْضِهَا لَسَوِيًّا
تَذَكَرْتُ مِنْ كَهْفَةِ الطَّوِيًّا وَعَطْنَا أَفِيحَ مَضْجِعِيًّا
- بكسر الجيم ، وهو المضجع للبلد ، منسوب إلى المضجع .

قلت : يتضح مما تقدم أن ماء الكهفة القديم قريب من الأراسة
وأنه في بلاد المضجع وهذا التحديد ينطبق على خبراء الكهفة والمياه
الواقعة في ناحيتها ، فهي كذلك مياه متح في فلاة من الأرض ،

«تاريخ الإسلام» للذهبي وموقف مركز أحياء التراث منه

- ٢ -

تَحَدَّثْتُ - فيما سبق^(١) - عن التحريف الواقع في كتاب « تاريخ الإسلام » للحافظ الذهبي ، الذي قام (مركز تحقيق التراث) في القاهرة بالإشراف على تحقيقه .

وأواصل الحديث بإيراد (نماذج) لأخطاء ذلك (التحقيق) وقع نظري عليها ، غير مراعاة الترتيب عند ذكر الصفحات .

- ص ١٥٥ : (أن لي ديرا من ذهب . . . والدير بلسان الحبشة الجبل) وفي الهامش : (كان الأصل دبر ذهب قد صححنا العبارة عن ابن هشام) .

وأقول كلمة (دير) هنا صوابها (دَبْر) بالدال المهملة والباء الموحدة بعدها راء ، وهو الجبل .

وقد ذكرت في كتاب « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية »^(٢) مانصه :

دَبْر - بفتح أوله وسكون ثانيه وبالراء المهملة - قال البكري جبل في ديار غطفان قِبَلَ الجَنَاب ، قال أرطاة بن سُهَيْبَة :
تَعَسَّفَنَ الجَنَابَ مُنْكَبَّاتَ ذُرَا دَبْر ، يُعَاوِلَنَ النَّذِيرَا

(١) مجلة « العرب » ص ١٢ ص ٨٥٣ - ٨٧٧

(٢) « معجم ما استعجم »

وقال ياقوت^(١) : دبر جبل جاء ذكره في الحديث قال السكوني :
هو بين تيماء وجبل طيء .

أما قول ياقوت : دبر جاء ذكره في الحديث ، فهو يقصد ما أورده
ابن الأثير في « النهاية » :

وفي حديث النجاشي : ما أحبُّ أن يكون دبري لي ذهباً وأنِّي آذيتُ
رجلاً من المسلمين . وقال في شرحه :

هو بالقصر اسم جبل ، وفي رواية ما أحبُّ أن لي دبراً من ذهب .
للدبر بلسانهم الجبل ، هكذا فُسر ، وهو في الأولى معرفة ، وفي الثانية
نكرة . انتهى وزاد في « اللسان » : وقال الأزهرى : ولا أدري أعربيُّ
هو أم لا ؟ انتهى .

وأستبعد أن يقصد النجاشي الجبل الواقع في بلاد طيء أو أيّ
موضع في بلاد العرب لجهله بها .

وعُدَّ ياقوت^(٢) دبراً من الجبال الواقعة بين الجبلين وتيماء : (دبر
وغريان^(٣) وغسل) .

١٠٦ - ص ١٥٤ - في ذكر من شهد بدرا : (كعب بن عمرو
أبو اليسر السلمي) .

وهما اثنان : (كعب بن عمرو ، وأبو اليسر السلمي)

١٠٧ - ص ١٣٤ : (من بطون قريش منهم عوف بن نوفل وعمرو

ابن العاص) وفي الهامش : (في الأصل عوف ولم نجد له تعريفاً .

والصواب : (منهم عكرمة بن نوفل ، وعمرو بن العاص)

١٠٨ - ص ١٣٧ : (ظنَّ سعد أنه يستنطق الأنصار شفقاُ أن

(٢) « معجم البلدان » .

(١) « معجم البلدان » .

(٣) غريان : صوابه غرمان .

لا يَسْتَجُودُوا معه ، وقال : أن لا يستخلبوا معه على ما يريد) وفي الهامش
(في الأصل : أن لا يستجلبوا . والتصحيح لكي يتلائم الكلام مع
يستجودوا) !

كلما (يستجودوا) و (يستخلبوا) التي غير بها المصححون كلمتي
(يستجودوا) و (يستجلبوا) غير صحيحتين والصواب : ان لا يستخلبوا
معه - بالحاء المهملة - كما في « الفائق » للزمخشري و « لسان العرب »
« عن النهاية » لابن الأثير .

١٠٩- ص ٢٦١ - : (وقال أبو اسحاق الفوارى عن حميد عن
أنس) في خبر الخندق

وهو ابو اسحاق الفزارى - بالزاي والراء .

١١٠ - ص ٢٦٢ : (حدثنا عوف الأعرابي عن ميمون بن استاد
الزهراني قال حدثني البراء بن عازب) في خبر الخندق . .
أستاذ - بالدال - كما في « تهذيب التهذيب » و « الجرح والتعديل »
لابن أبي حاتم .

١١١- ص ٦٦ : (أبو عبد [الله] بن أحمد) وهي : (أبو عبد الله
محمد بن أحمد) ومحمد هو اسم المصنف الذهبي .

١١٢- ص ٦٦ : (الحمد [لله] [أ] توكل عليه) والصواب : (الحمد
لله الباقي بعد فناء خلقه ، الكافي من توكل عليه) كما في إحدى
المخطوطات .

١١٣- ص ٦٦ : (وحرزا للآمنين)

والصواب : (وحرزاً للآمينين) وفي القرآن الكريم : (هو الَّذِي
بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ)

١١٤-ص ٦٦ : (وآنس تبیان وآية برهان)
والصواب : (وأيسر تبیان ، وأيدع برهان) كما في إحدى المخطوطات
١١٥-ص ٦٧ : (من الخلفاء والقراء) .
والصواب : (من الخلفاء والأمراء والقراء) كما في الخطية .
١١٦-ص ٦٧ : (ومعرفة طبقاتهم) . وهي : (ومعرفة طبقاتهم) .
١١٧-ص ٦٧ : (والعجائب المشهورة) وفي المخطوطة : (والعجائب
المسطورة) .

١١٨-ص ٦٧ - (وبعض تاريخ أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة) .
والصواب : (وبعض تاريخ أبي بكر أحمد بن أبي خيثمة) .
١١٩-ص ٦٨ : (وتاريخ الفضل بن غسان الغلابي) .
والصواب : (وتاريخ الفضل بن غسان الغلابي) كما في تاريخ بغداد
(١٢٤-١٣)

وفي « التاريخ الصغير » للبخاري - ٢ - ٣٤٠- : غسان بن المفضل
ابن عمرو بن خالد بن غلاب ، من بني نصر بن معاوية توفي سنة ٢١٧ -
ويظهر أن هذا أبو صاحب التاريخ .

١٢٠-ص ٧٠ : (وتاريخ القاضي شمس بن خلكان) .
وهو : (وتاريخ القاضي شمس الدين ابن خلكان)
١٢١-ص ٧٠ : (مرآة الزمان للواعظ شمس الدين يوسف ابن
الجوزي) .

والمعروف (يوسف سبط ابن الجوزي) إذ هو مؤلف كتاب
« مرآة الزمان » وهو ابن بنت ابن الجوزي العالم المعروف .
١٢٢-ص ٧١ : (فأوفى يهودى على الحرة) .

- والصواب : (فأوفى يهودي على أطم على الحرة) .
 ١٢٣ - ص ٧١ : (هذا جدكم الذي تنظرون) .
 والصواب : (تنتظرون) كما في « صحيح البخاري » وكما في إحدى
 النسخ المخطوطة .
 ١٢٤ - ص ٧١ : (فسار المسلمون إلى السلاح) .
 والوجه : (فنار المسلمون إلى السلاح)
 ١٢٥ - ص ٧٢ : (لائنتي عشرة خلت) في موضعين .
 الوجه : (لائنتي عشرة ليلة خلت) في الموضعين .
 ١٢٦ - ص ٧٣ : (وكان المسجد فيما قال عمرو [و] موسى
 ابن عقبة .
 والصواب : (وكان [مكان] المسجد فيما قال موسى بن عقبة)
 ١٢٧ - ص ٧٣ : (وغلط ابن سنده فقال : كان لسهل وسهيل
 ابني بيضاء) .
 والصواب : (وغلط ابن مندة) كما هو معروف .
 ١٢٨ - ص ٧٣ : (رافع بن النجار) .
 وهو : (رافع بن عمرو ، من بني النجار)
 ١٢٩ - ص ٧٤ : (فتلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو فدعوه إلى
 النزول فيهم) .
 والقاعدة : (فدعواه) و (فيهما) لأنَّ المتلقَّيين هنا اثنان ، وصواب
 الجملة - كما في كتاب « السيرة النبوية » لابن هشام^(١) : (وفروة
 ابن عمرو ، في رجال من بني بياضة) وبهذا يصحُّ النصُّ .

(١) ٢-١٤٠ ط : الحلبي .

١٣٠ - ص ٧٧ - (فقالوا : أشرنا وابن شَرْنَا) وفي الهامش : (كذا بالأصل) .

والصواب : (شَرْنَا وابن شَرْنَا) ويظهر أن الألف واحدة لكلمة (قالوا)

١٣١ - ص ٧٨ : (قال أبو التياح عن أنس) .

وهو : (قال أبو التياح : عن أنس) .

وهو يزيد بن حميد الضبَّعي ، كما في « تهذيب التهذيب » : ١ - ٣٢٠ و ١٢ - ٤٩ .

١٣٢ - ص ٧٨ : (تَأْمَنُونِي بِحَائِطِكُمْ قالوا : لا نطلب عنه إلا إلى الله) .

والصواب : (تأمنوني بحائطكم) من الثامنة .

١٣٣ - ص ٧٩ : (عن طلق بن علي قال : بنيت مع رسول الله صلى

الله عليه وسلم مسجد المدينة ، فكان يقول : « قربوا إليَّ من الطَّين ، فإنه من أحسنكم له بناء » وفي الهامش : (كذا في الأصل ولعل المراد المنسوب إلى بني يَمِّمٌ كما في « المحيط » ، لقول المتن بعده : فإنه من أحسنكم له بناء . وكان هذا الراوي البناء من اليامة ، كما ورد مع اسمه عند الخزرجي « خلاصة أسماء الرجال ، وهذا هو التفسير الشافي) .

والصواب : (اليامي نسبة إلى اليامة وهو طلق بن علي البسجيمي من

الوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليامة فأسلموا - وترجمته في « الاصابة (٢ - ٢٣٢) وتهذيب التهذيب (٥ - ٣٣) طبقات ابن سعد (٥ - ٥٥٢) « وأسد الغابة » (٣ - ٩٣) ..

أما التفسير الأول الذي أتى به المحققون فإنه مع غرابته لا محل له ، مادام الرجل من أهل اليامة

١٣٤- ص ١٩٣ : (وانطلق أبو سفيان مسرعا ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين حتى بلغ قرقرة الكدر ففاته أبو سفيان ، فرجع) وفي الهامش :-

عن قرقرة الكدر - : (هو واد بالمدينة - ياقوت في معجمه) .
لم يَقُلْ ياقوت إن قَرُقَرَةَ الكُدُرِ وادِ بالمدينة ، إذ هو ليس من أوديتها ، بل قال عنه أنه موضع قريب من المعدن بناحية الأرحضية بينها وبين المدينة ثمانية برد [نحو ٧٠ ميلا أو ١٤٠ كيلا] .

١٣٥- ص ٨٢ : (إلا أوس وهم حي من الأوس) .
والصواب : (إلا أوس الله وهم حي من الأوس)
كما جاء في ص ٧٤ : (إلا ما كان من أوس الله ، فإنها وقفت مع ابن الأسلت) .

١٣٦- ص ٨٢ : (أَرِيَّ الأَذَانَ عَيْدُ اللهِ بِنِ زَيْدٍ وَعَمْرُ بِنِ الخُطَّابِ ، فشرع الأذان على مارأينا)
والصواب : (. . . على مارأيا) فهما اثنان .

١٣٧- ص ٨٣ : (وقد روي أبو الدرداء ، الطيالسي عن سليمان ابن معاذ عن سمك عن عكرمة عن ابن عباس قال : آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار) . وفي الهامش : (ورد عند ابن حجر : أبو الدرداء غير منسوب . قال بعضهم : عن أبي الدرداء الرهاوي وقال الذهبي : لا ندرى من أبو الدرداء ، والخبر منكر لا أصل له - ابن حجر ، الإصابة) .

(١) « معجم البلدان » - قرقرة - كدر .

والصواب : (وقد روي أبو داود الطيالسي) ولا حاجة للتعليق ،
مأبو داود الطيالسي من مشاهير المحدثين وخبر المؤاخاة ليس منكراً
بل صحيح ، وكلام ابن حجر يفد به خبراً غيره .

١٣٨ - ص ٨٤ : (وكان في هذا القرب أبو قيس بن الأسلت) .
وكلمة (القرب) صوابها (القَرْنُ) أي العصر والزمن .

١٣٩ - ص ٨٦ : (وعقد ذلك معهم سيدهم) .

والوجه : (وعقد ذلك معه سيدهم) لأن الضمير يرجع إلى مفرد .

١٤٠ - ص ٨٧ : (المقداد بن عمرو النهراي)

وهو : (البهراي) من قبيلة بَهْرَاء - كما هو معروف ، والنسبة
لِإِيهَا على غير القياس .

١٤١ - ص ٨٧ : (عبيدة بن الحارث . . توفي بالصفير . وهو

الذي بارز عتبة بن ربيعة) .

والصواب بالصفراء كما جاء - في ص ١٠٤ - : (وعبيدة بن الحارث

الذي قطع رجل عتبة مات بعد يومين في الصفراء) . والصفراء من أشهر
الأودية القريبة من المدينة ، ويَدْرُ يقع في هذا الوادي - في وسطه .

١٤٣ - ص ٨٨ : (وقال يونس عن ابن اسحاق : حدثني يزيد بن

محمد بن خثيم عن محمد بن كعب القرظي قال حدثني أبوك محمد
ابن خثيم المحازبي) .

والصواب : (وقال يونس بن أبي اسحاق : حدثني يزيد بن محمد

ابن خثيم عن محمد بن كعب القرظي ، قال حدثني أبوك محمد بن
خثيم المحازبي) .

وهو يونس بن أبي اسحاق عمرو بن عبدالله الهمداني . . . توفي

سنة ١٥٩ هـ تهذيب التهذيب ١١ - ٤٣٣)

١٤٤ - ص ٩١ : (فتجمر ، وخرج معهم) .

والصواب : (فتجهز وخرج معهم) . إذلا معنى للتجمر هنا .

١٤٥ - ص ٩١ : (ردُّ أبا ثبابة من الدوحاء) .

والصواب : (الروحاء) والروحاء موضع لا يزال معروفا ، يمرُّ به

المتجه إلى بئرٍ وإلى مكة من المدينة ، بعد اجتياز قرية (الفريش) -

قرش ملل - وقبل الوُصُول إلى قرية (المَسِيَّجِد) - الْمُنْصَرَفُ قَدِيمًا -

١٤٦ - ص ٩١ : (فلما قرب النبي صلى الله عليه وسلم من الصفراء

بعث اثنين يتجسسان أمر أبي سفيان) وفي ص ٩٢ و ٩٣ : (اللذان

بعثهما النبي (ص) يتجسسان ، وكذا في هامش ص ١٣٧

والصواب : في الموضعين (يتحسسان) بالحاء المهملة ، وفرق بين

التَّجَسُّس - بالجيم - والتَّحَسُّس - بالحاء - فالأول منهى عنه بنص القرآن

الكريم .

١٤٧ - ص ٩٤ : (فعند صاحب الأحمر) .

والصواب : (فعند صاحب الجمل الأحمر) كما في كتب السيرة ،

وبهذا يتضح المعنى .

١٤٨ - ص ٩٤ : (اللهم أحتفهم) وفي الهامش : احتفهم بمعنى

أمتهم - ثم كلام يتعلق بكلمة حتف وبعده : وربما كانت العبارة : اللهم

حتفهم الغداة . وقد ورد الفعل في الأصل : بالنون الموحدة . وذكر

الخشني في غريب السيرة : أحنهم أي أهلكتهم) .

والصواب : (اللهم أحنهم) والحنُّ هو الموت ولهذا لا داعي لتعبير

ما في لاصل أي أمتهم .

١٤٩ - ص ٩٤ (ابن رخصة) .

وهو : (ابن رَحْضَةَ) بالحاء المهملة والضاد المعجمة وهو خُفَاف
ابن إِيْمَاءَ بن رَحْضَةَ ، صحابي جليل .

١٥٠ - ص ٩٥ : (هل لك إلى أن تنزال) .

والوجه : (هل لك إلى أن لانزال) .

١٥١ - ص ٢٥٢ : (والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع) وفي
الحاشية : (سلع بفتح أوله وسكون ثانيه ، وهي شقوق في الجبال ،
وقال الأزهري : سلع موضع بقرب المدينة . والأسلاع طرق في الجبال
يسمى الواحد منها سلعاً) عند خط تقسيم المياه بين جبلين) ياقوت في
معجمه (.

وأقول : سَلَعٌ من أشهر جبال المدينة لا يزال معروفاً ، وقد بلغه البنيان
وهو من دون جبل أُحُد .

ولا داعي لكل ما في الحاشية من كلام .

١٥٢ - ص ٩٦ : (وان كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه
ماتريدون) .

الصواب : (وإن كان غير ذلك أكفاكم) بالكاف .

١٥٣ - ص ٩٦ : (فقم فانشد خضرتك ومقتل أخيك)

وفي الهامش : (كذا في الأصل وفي ابن كثير ج ٣ ص ٢٧٠) .

والصواب : (فقم فانشد خضرتك ومقتل أخيك) .

١٥٤ - ص ٩٦ : (واستوثقوا على ما هم عليه من الشر)

وهي : (واستوسقوا) الخ .

والصواب: (فما وجد في الجيش بيضة تسعة من عظمِ هامته) وضمير تسعة عائد للرأس المذكور قبل هذا .

١٥٦ - ص ٩٧ : (ثم خفق صلى الله عليه وسلم فأتيته وقال : أبشر يا أبا بكر) .

وكلمة (فأتيته) صوابها : (فانتبه) .

١٥٧ - ص ٩٨ : (وكان أبو البختري أكف القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام في نقض الصحيفة) والمقصود : أبا البختري ابن هشام بن الحارث ، المذكور في أول الكلام .

١٥٨ - ص ٩٩ : (فأخذت بيده وبدابته) والوجه : (فأخذت بيده ويد ابنه) إذ هما رجل وابن ، ولا ذكر للدابة في الكلام .

١٥٩ - ص ١٠٠ : (عمن حدث عن ابن عباس) والوجه : (عمن حدثه عن ابن عباس) .

١٦٠ - ص ١٠٣ : (الإعجائز ضلعا) .

الصواب : (إلا عجائز ضلعا) . من الصَّلع ، بالصاد المهملة - لا الضلع بالضاد المعجمة ، فمن صفات العجائز الصلغ .

١٦١ - ص ١٠٣ : (كالبدن المعلقة ، فنحرتها) .

والصواب : (كالبدن المعلقة) ولا وجه للتعليق هنا .

١٦٢ - ص ١٠٤ : (فسحّم) .

والصواب : (فسحّم) بالفاء وهي أم زيد بن الحارث الصحابي البدري .

١٦٣ - ص ١٠٤ : (أن عيني سيندران) وفي الحاشية : (كذا في الأصل) .

والصواب : (أن عيني ستندران) أي تسقطان .

١٦٤ - ص ١٠٤ (وقيل عتبة وشيبة) والوجه: (وقتل عتبة وشيبة).
١٦٦ - ص ٢١٥: (وقال البكائي: قال ابن... عن محمود بن لبيد:
لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم - إلى أحد رفع حسيل بن جابر
والد حذيفة بن اليمان وثابت بن وقش في الآطام مع النساء والصبيان)
والصواب: (وقال البكائي قال ابن «إسحاق» عن محمود) ألخ .
كما في نسخة مخطوطة ، والبكائي هو الذي يروي عن ابن إسحاق
كتاب السيرة .

١٦٦ - ص ١٠٦: (رماه الله بالعدسة فقتلته ، وكانت قريش تنقي هذه
العداسية كما تنقي الطاعون) وفي الهامش: (العداسية وفي الأصل
العدايسة وترجع العدسية مشتقة من العدسة بمعنى مرض العدسة) .
والصواب (العدسة) في الموضعين وهي بشرة صغيرة شبيهة بالعدسة
تخرج بالبدن فتقتل غالباً) : كما في كتب اللغة .

١٦٧ - ص ١٠٦: (ثم رضموا عليه الحجارة) وفي الهامش: (صخور
وعظام يرضم بعضها فوق بعض في الأبنية - المحيط) .
ولأدري ما معنى هذه الحاشية ، إذ رَضُمُوا معناها وَضَعُوا .
١٦٨ - ص ١٠٦ (ويكنه أم سلمة وهي بنت عمته) والمقصود: الوليد
ابن الوليد بن المغيرة .

والصواب: (ويكنه أم سلمة وهي بنت عمه) .
فالمغيرة هو ابن عبد الله بن مخزوم . وأم سلمة هي هند بنت أمية
ابن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم فهي بنت عم الوليد ، لابنت عمته .
١٦٩ - ص ١٠٧ (حتى تمر بكما زينب فتصحبها) .
والوجه: (حتى تمر بكما زينب فتصحبانها) .

- ١٧٠- ص ١١٠ : (ثم شُحِدَ سيفه وسمه ، ومضى إلى المدينة) .
ولأدري لم شكَّلتُ كلمة (شُحِدَ) بضم الشين وكسر الحاء .
والصواب فتحهما ، فهو الذي شحذه - أي سنه ليكون قاطعاً .
- ١٧١- ص ١١١ : (وقد أويتكم محمداً وأصحابه)
والصواب : (وقد آوَيْتُمْ محمداً وأصحابه) .
- ١٧٢- ص ١١٦ : (رواه شيخه عنه) .
وفي إحدى المخطوطات : (رواه شعبة عنه) . وهو الصواب .
- ١٧٣- ص ١١٧ : (وقال : حدثنا أبو نعيم) .
وفي مخطوطه : (وقال خ : حدثنا أبو نعيم) . والمقصود البخاري -
والذهبي يرمز لكلمة البخاري بحرف (خ) .
- ١٧٤- ص ١١٧ : (لأن أكون صاحبه أحب إلى مما عذربه) .
وفي مخطوطة : (لأن أكون صاحبه كان أحب إلى مما عدل به) .
- ١٧٥- ص ١٢٠ : (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في فننه يوم بدر)
وفي الهامش : (كذا التعبير في الأصل) .
والصواب : (قُبَيْته) . إذ لا معنى لفننه هنا .
- ١٧٦- ص ١٢١ : (وحضر ذلك أجمع) وفي الهامش : (في الأصل الجملة
منفية : فما حضر ذلك أجمع ، ورواية ابن كثير مثبتة لاني فيها) .
وفي مخطوطه : (فاحضر ذلك أجمع) .
- ١٧٧- ص ٢١٣ : (عن عروة فقال : جميع من قتل مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قريش والأنصار سبعة وأربعون رجلاً ، وجميع من قتل
يعني يوم أحد أربعة أو قال سبعة وأربعون رجلاً ، من المشركين
تسعة عشر رجلاً) .

وفي مخطوطة : (عن عروة فقال : جميع من قتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش والأنصار أربعة وأربعون أو قال : سبعة وأربعون رجلاً ، وجميع من قتل يوم أحد يعني من المشركين تسعة عشر رجلاً) .

١٧٨ - ص ١٢٢ : (حتى اختضبت هذا) .

والوجه : (حتى اختضب هذا) .

١٧٩ - ص ١٢٢ - ١٢٣ (كان سبب الملائكة يوم بدر عمائم بيض ...

ويوم حنين عمائم حمراء) .

والوجه : (كان سبب الملائكة يوم بدر عمائم بيضا ، ويوم حنين

عمائم حمرا) .

١٨٠ - ص ١٢٣ : (فيقولون : إني قد دنوت منهم فسمعتهم يقولون :

لو حملوا علينا ما ثبتنا) .

والوجه : (فيقول : إني قد الخ) .

١٨١ - ص ١٢٣ : (لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فاحتويناها وأصابنا

بها وعك) .

ص ٢٧٧ : (قدم رهمط من عكل فأسلموا ، فاحتوا المدينة) .

والصواب : (فاجتويناها) و (فاجتوا) بالجيم - في الموضعين .

أي لم توافق هواؤها أجسامهم فتغيرت صحتهم .

١٨٢ - ص ١٢٤ : (فلما دنا القوم منا وما فقتناهم) .

وهي : (فلما دنا القوم منا وصافقتناهم) أي صفوا وشفقتنا للقتال

إذ لا معنى لكلمة (وما فقتناهم) هنا .

١٨٣ - ص ١٢٥ : (وقد يعلمون أني لست بأجبنكم) .

والوجه : (وقد تعلمون) ألخ ضمير المخاطب .

١٨٤ - ص ١٢٥ : (والله لو غيرك يقول هذا لأغضضته قد ملكت جوفك رعباً) .

والصوب : (والله لو غيرك يقول هذا لأغضضته قد ملأت جوفك رعباً)
ومعنى : (اغضضته) قلت له : أعضض (...)^(١) أبيتك . وهي
كلمة شتم .

١٨٥ - ص ١٢٥ : (فجاء رجل من الأنصار قصير ، برجل من بني هاشم أسير) .

والوجه : (فجاء رجل من الأنصار قصير ، برجل من بني هاشم أسيراً) . منصوب على الحال .

١٨٦ - ص ١٢٥ : (فخرج من الأنصار شبية) .

فقال عتبة (لانريد هؤلاء) .

والوجه : (فخرج من الأنصار شبية) أي شبان .

١٨٧ - ص ١٢٥ : (وقال إسحاق بن منصور السلوى : حدثنا إسرائيل

عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله) هو : (وقال إسحاق بن منصور السلوى) الخ ..

١٨٨ - ص ١٢٧ : (عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير : إن المستفتح

يوم بدر أباجهل) .

والصواب : (أبو جهل) و (أن) مفتوحة الهمزة .

١٨٩ - ص ١٢٨ : (وأيسر شوكة ، وأخصر مغمماً) .

والصواب : (وأحضر) .

١٩٠ - ص ١٢٨ : (وألقى الشيطان في قلوبهم المقفط يوسوسهم) .

وفي الهامش : (المقفط هو الشيطان الصغير) .

(١) أوسوة أمك .

والصواب : (وألقى الشيطان في قلوبهم القنط يوسوسهم) والقنط
اليأس من الخير .

١٩١ - ص ١٢٨ : (وجاء إبليس في جند من الشياطين ، رأيتُه
في صورة رجال من بني مدلج) .

والصواب : (وجاء إبليس في جند من الشياطين معه رأيتُه ، في صورة
رجال من بني مدلج) .

١٩٢ - ص ١٢٩ : (حتى يموت الأعرجي منا) .

والصواب : (الأعرجي) .

١٩٣ - ص ١٣٠ : (وقال غنم بن علي حدثنا الأعمش) .

والصواب : (وقال عثمان بن علي) الخ - « تهذيب » التهذيب
و(٧-١٠٥) .

١٩٤ - ص ١٣١ : (فيضربه رجل بمفمعة حتى تغيب في الأرض ،
ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مراراً) .

والصواب : (يغيب) أي المضروب .

١٩٥ - ص ١٣١ : (وقال ح م من حديث أبي عروبة) .

والصواب : (خ م) أي البخاري ومسلم .

١٩٦ - ص ١٣٤ : (عن موسى بن عقبة قال : قال ابن شهاب خ وقال

إسماعيل بن أبي أويس حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة وهذا لفظه
عن عمه موسى بن عقبة قال) .

وأرى الصواب (ح) ويقصد بها في اصطلاح المحدثين تحويل
السند من رواية إلى أخرى ، فالمؤلف أورد رواية موسى بن عقبة عن
ابن شهاب ، ثم تحول إلى رواية أخرى تتصل بابن عقبة من
وجه آخر .

١٩٧ - ص ١٣٢ : (عن ابن إسحاق : حدثني حبيب بن عبد الرحمن ،
قال ضرب حبيب بن عدي يوم بدر فمال شقهُ) .

وهو : (خبيب) في الموضعين - بضم الخاء المعجمة وفتح الموحدة
الأولى - الصحابي الجليل الذي قُتل .

أما الراوي فهو خبيب أيضاً - بالخاء المعجمة بن عبد الرحمن
ابن خبيب - وهذا صحابي أيضاً - بن بساف ويقال إساف الخزرجي
الأنصاري .

١٩٨ - ص ١٧١ : (ولا يحول بيننا وبين خدم نساءكم شيء ، وهي
الخلاخيل) وفي الهامش : (كذا في الأصل وهو غير مفهوم ، ولم نجد
رواية مماثلة عند ابن هشام ولا الطبري ولا ابن الأثير ولا ابن كثير) .
لو رجع المحققون إلى أي كتاب من كتب اللغة لعرفوا أن الحدم
هي الخلاخل وهي جمع خَلَمَة .

- ونظر لمعنى الخبيـ «تاج العروس» .

١٩٩ - ص ١٣٦ : (فسلك على نقب بني دينار) وفي الهامش : (ورد في
ياقوت ما يمكن أن يحدد الموضع وهو : قال ابن إسحاق : وخرج النبي
صلى الله عليه وسلم في سنة اثنتين من الهجرة فسلك على نقب بني دينار
من بني النجار على فيفاء الخيار) !

والخيار هنا : الخيار - بالباء الموحدة ، ونقب بني دينار كان
مضيقاتاً في مدخل المدينة للقادم من مكة والمتجه إليها ، بينها وبين
العقيق ، وقد مُهَّدَ ، وتجاوزته العمران الآن .

٢٠٠ - ص ١٣٦ : (فساروا حتى إذا كانوا بعرق الطيب ، لقيهم راكب
من قبل تهامة) وفي الهامش : (عند ياقوت في معجم البلدان : عرق

بكسر أوله وهو الأصل ، والعراق في كلام العرب هو الأرض السبخة
تنبت الطرفاء) .

والصواب : (فساروا حتى إذا كانوا بعرق الظبية) وعرق الظبية
موضع لا يزال معروفاً ، على مقربة من الروحاء ، والعرق الجبل الصغير
٢٠١ - ص ١٤٠ : (وهو أخ المقتول) وفي الهامش : (في الأصل :
أخو بالواو وهو خطأ إملاء) .

وأقول : بل الخطأ حذف الواو ، فأخو من الأسماء الخمسة التي
ترفع بالواو .

٢٠٢ - ص ١٤٦ : (فلا ينقلبن أحد منكم إلا بفداء أو بضربة عنق)
والوجه : (فلا ينقلبن أحد منهم إلا بفداء أو بضربة عنق)
والضمير يرجع إلى المشركين .

٢٠٣ - ص ١٧٥ : (القرودة أرض ملساء والكدر طير في ألوانها
كدره . ومنهم من يقول : قرارة الكدر يعني إنها مستقر هذا الطير) ؟
والصواب : (القرقرة) كما في كتب السيرة ، وهي الأرض
الملساء .

٢٠٤ - ص ١١٥ - ١١٦ : (وقال ابن إسحاق سمعت البراء) .
والصواب : (وقال أبو إسحاق : سمعت البراء) .
وأبو إسحاق هذا هو عمرو بن عبد الله السبيعي الهمداني (انظر
كتاب «التاريخ الصغير» للبخاري ج ٢ ص ٨ الطبعة المصرية) .

٢٠٥ - ص ١٤٧ : (لقد أعلق عليه رجل مارأيته قبل ولا بعد)
وبعده (لقد أعانك عليه ملك كريم) وفي الهامش : (جاء في «لسان
العرب» أنه يقال للصائد : أعلقت فأدرك) ثم كلام طويل حول
معنى علق !!

وصواب العبارة: (لقد أعانك عليه) الخ والحاشية الطويلة في غير محلها .

٢٠٦ - ص ١٤٩ : (فلنترك لابن اختنا فداه.. لاتذرُن درهما) .
وهي : (فداؤه) و(لاتذرون) .

٢٠٧ - ص ١٥٤ : (سواد بن غنم وهم بنو عفراء) .
والصواب: (سواد بن مالك بن غنم بن عوف) الخ كما في نسخة مخطوطة .

٢٠٨ - ص ١٦٠ : (فقلت «الرجال» لو أنا قتلنا أبا النجاشي ومملكتنا أخاه لتوارث بنوه ملكه بعده ، وليقيت الحبشة دهرًا) .
وكلمة (الحبشة) أقرب إلى الصواب من كلمة (الرجال) .

٢٠٩ - ص ١٦٧ : (فأقام هناك ربيع الآخر ، وجمادى الأول) .
ص ٢٢٨ : (وقال ابن إسحاق : أنها في جمادى الأول سنة أربع) أي غزوة ذات الرقاع .

والصواب فيهما : (جمادى الأولى) .

٢١٠ - ص ١٧٨ - من شعر كعب بن الأشرف :
لم أر شمساً قبلها طلعت حتى تبدت لنا في ليلة الظلم
ولعل الصواب :

لم أر شمساً (بليت) قبلها طلعت الخ
ليستقيم الوزن .

٢١١ - ص ١٨٤ : في خروج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أحد قال: حتى إذا كان بالشوط بين الجبانة اتخذ (عبدالله بن أبي بقریب من ثلث الجيش) .

والصواب : (حتى إذا كان بالشوط بين المدينة وأحد) كما في «السيرة النبوية» لابن هشام وانخزل .

٢١٢ - ص ١٨٦ - ١٧٧ : (حتى نزلوا بعينين جبل بيطن ، بالسيخة من مناة على شفير الوادي مقابل المدينة) مكرراً وفي الحاشية : (ذكر ياقوت عينين قال : هي جبل أحد بالمدينة) .

وفي ص ١٩٨ : (فلما خرج الناس عن عينين ، وعينون (٢) جبل تحت أحد ، بينه وبين أحد وادي) .

والسيخة : صوابها : (السيخة) .

ومناة : (قناة) .

وعينون : (عينين) .

وعينين ليس جبل أحد ، بل جَبِيل صغير بقربه ، وهو أقرب إلى المدينة .

٢١٣ - ص ١٨٧ : (وانخزال ابن أبي بثلث الناس) وفي الهامش : (في الأصل : انخزال بالزاي) .

وما في الأصل هو الصواب .

٢١٤ - ص ١٨٧ : (أذكركم الله أن لاتخذلوا قومكم) .

والوجه : (أذكركم الله أن تخذلوا قومكم) .

٢١٥ - ص : ١٨٧ : (أو علينا «بل» ثبت مكانك) .

وفي الهامش : (في الأصل باثبت) .

والصواب : (أو علينا فاثبت مكانك) .

٢١٦ - ص ١٩١ : (رجل ثم رجل ، ليقتلون دونه) .

والصواب : (رجل ثم رجل ، يقتلون دونه) .

٢١٧ - ص ١٩٢ : (أحد عشرة رجلاً) ، وهي أحد عشر رجلاً .

٢١٨ - ص ١٩١ : (أخرجه) ولم يذكر المخرج وهي : (أخرجه البخاري)

فالحديث في : «صحيح البخاري» كتاب المغازي ، باب غزوة أحد .

٢١٩ - ص ١٩٣ : (وأبو طلحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم -

يحور عنه بجحيفة معه) وفي الحاشية : (يقال : حوره تحويراً بمعنى

رجعه ... القاموس المحيط) وعلى كلمة جحيفة : (تجاحفوا أي تناول

بعضهم بعضاً بالسيوف وجاحف كجاحش ، وأبو جحيفة آخر من مات

بالكوفة من الصحابة ، والجحاف مزاحمة الحرب . ولعله الحجيف

وهو الترس) .

والصواب : (وأبو طلحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

يجوب عنه بحجفة) الخ و(يجوب عنه) يترس عليه . والجوبة الترس

كما في كتب اللغة و(بجحيفة) صوابها : (بِحِجْفَةٍ) بالحاء المهملة ،

بعدها جيم ففاء ، وهي الترس ، والحاشية لا محل لها .

٢٢٠ - ص ١٩٣ : (ولقد رأيت عائشة وأم سليم وإنهما مشمرتان ،

أرى خدام سوقهما ، ينقلان القرب على متونهما ، ثم يفرغانه في أفواه

القوم) وفي الحاشية (خدام سوقهما) : كذا في الأصل .

والوجه : (تنقلان ... ثم تُفرغانه) .

والخدام الخلاخيل كما تقدم ، ولا إشكال لتوضع كلمة (كذا في

الأصل) .

- ٢٢١ - ص ١٩٥ : (وجعلوا يسترونه ، قتلوا إلا ستة أو سبعة) .
 والصواب : (وجعلوا يسترونه حتى قتلوا إلا ستة أو سبعة) .
 ٢٢٢ - ص ٢٠١ : (إني لأرجو أن تبرأ الله آخر قسمه كما أبرأ أوله) .
 والصواب : (أن يبرأ الله) الخ .
 ٢٢٣ - ص ٢٠١ : (وروى الزبير بن بكار في الموفقيات) وفي
 الهامش : (كذا في الأصل) .

و«الموفقيات» كتاب للزبير معروف مطبوع .

- ٢٢٤ - ٢٠٧ : (أن والد أبي سعيد الخدري لما جرح النبي صلى الله
 عليه وسلم يوم أحد مصّ جرحه حتى أنقاه ، ولا ابيض ، فقيل له مُجّه ،
 فقال : لا والله لأمجّه أبداً) .

والصواب : (ولاح أبيض) كما في نسخة مخطوطة .

- ٢٢٥ - ص ٢١٨ : (عن أبي الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة) .

والصواب : (عن عبد الأعلى) الخ كما سيرد .

ه في الأصل وترجمته في «تهذيب التهذيب» .

- ٢٢٦ - ص ٢٧٦ : (وقال ابن عروبة عن قتادة) وهو : (ابن

أبي عروبة) .

- ٢٢٧ ص ٢٧٦ : (حتى إذا كانوا في ناحية قتلوا راعي النبي صلى الله

عليه وسلم) .

والصواب : (في ناحية الحرّة قتلوا) .

- ٢٢٨ - ص ٢٧٧ : (وفي بعض طرقه : من عكل أو عرينة ورواه

شعبة وهمام وغيرهما عن قتادة فقال : من عكل أو عرينة من غير شك) .

والصواب : (عن قتادة فقال : من عرينة من غير شك) .

٢٢٩ - ص ٢٧٧ : (على ابنته زينب - ابن سعد : اسمه مقسم) .
وهنا سقط كلام ورد في إحدى المخطوطات ونصه : (على ابنته
زينب أم امامة ، في وسط سنة ست ، واسمه لقيط ، قاله ابن معين
والفلاس ، وقال ابن سعد : اسمه مقسم) .

٢٣٠ - ص ٢٦٩ : (وقال أبو نمير) .

وفي مخطوطه : (وقال ابن نمير) وترجمة ابن نمير في « تهذيب
التهذيب » (٩ - ٢٨٢) .

٢٣١ - ص ٢٨٢ : (عن عمرو بن مرة بن أبي أوفى) .

والصواب : (عن عمرو بن مرة « عن عبد الله بن أبي أوفى) .

فعمر بن مرة يروي عن ابن أبي أوفى .

٢٣٢ - ص : ٣١٠ : (فانطلق أبو بصير معه خمسة كانوا قدموا مكة) .

والوجه : (.. قدموا من مكة) .

٢٣٣ - ٢٢٩ : (الراكب المعتق) .

والصواب : (المُعْتِق) بالنون أي المُشْرِع ، وَالْمُعْتِقُ ضَرْبٌ مِنْ

السير .

٢٣٤ - وفي المطبوعة كلمات كثيرة أخرى محرفة ، وقد يكون

تحريفها تطبيعا - أي من أخطاء الطباعة - أكتفي بالإشارة إلى بعضها .

ص ٢١١ : (ثابت بن أبي الأفلح) تكررت بالفاء .

والصواب : (الأفلح) بالقاف .

- ص ٢١٢ : (مصعب بن عمر) وهو (عمير) .

- ص ٢١٤ : (واستشهد من الخزرج عمرو بن قيس البخاري)

وهو النجاري من بني النجار .

- ص ٢١٥ : (المجذر بن زياد البلوي - بالزاي وصوابه : (زياد)
بالذال .

- ص ٢٢٥ : (بالمعنى ليموت) .

والصواب : عدم تشديد التون : (المُعْتَق) .

- ص ٢٢٦ : (فلما دنوا آذاهم بنسور تحوم) وهي (إذا هم) .

- ص ١٣٩ : (فاقتحم القوم في القلب مما حوها) وفي الهامش :

(المماحون الماء هم الذين ينزلون في القلب ويستندرون منه الماء...).

والصواب : (فماحوها) و(المياحون) .

- ص ١٤٠ : (ألا يستحيون من ذلك أن يقبوا الدية ؟) . وهي

(أن يقبلوا الدية) .

- ص ١٤٥ : (أن نأخذ منهم فدية ، فيكون لنا قوة على الكفار) :

أن نَأْخُذَ - بالتون .

ص ١٤٧ : (وقال عبد العزيز بن عمر إن الزهري وهو ضعيف

حدثني عن محمد بن موسى) .

والصواب : (عبد العزيز بن عمران الزهري) - وهو ضعيف - حدثني

إذ ابن عمران هو الضعيف ، والزهري - عند إطلاق المحدثين :

محمد بن مسلم بن شهاب وهذا ليس ضعيفاً عندهم بل من أئمة

العلماء .

- ص ١٤٩ : (أنقتل أبانا وإخواننا) : أنقتل آباءنا وإخواننا .

- ص ١٦٨ : (أن امرأة من العرب قدمت بحلب) : بحلب -

بالجيم .

- ص ٢٧١ : (أن تقاتلوا أبناءكم) وهي أبناءكم .
- ص ٢٧١ : (فقص وخبرهم) : فقص خبرهم - بحذف الواو .
- ص ٢٢٧ : (زينب بنت جحش بن رباب) .
- والصواب : (رباب) .
- ص ٢٤٧ : (وهي قصر بني جديلة) حاشية .
- والصواب : (حُديلة) بالحاء المهملة .
- ص ٢٤٨ : (بل قيلُ امرئ متحامل) .
- والصواب : (قيل) بكسر القاف .
- ص ٢٥٣ : (إذ جاءكم من فوقكم) وهي (فوقكم) .
- ص ٢٦٩ : (إن القوم قد نُذِرُوا بي) .
- والصواب : فتح النون (نُذِرُوا) .
- ص ٢٣٣ - والمصححون لا يفرقون بين همزة الوصل وهمزة الفصل . ولهذا أحلُّوا الأخيرة محل الأولى في كلمات يصعب حصرها مثل
- ص ٦٩ : (فمن على إسمه (ع) فحديثه في الكتب الستة) -
- ص ٧٢ : (فأرحم الأنصار والمهاجرة) و (لإثني عشرة) منكرة .
- ص ٧٣ : (لسهل وسهيل إبن بيضاء) ص ٩٢ : (ولكن إذهب أنت وربك فقاتلا) وكذا ص ١٣٧ .
- ص ١٤٢ : (أستغناء بما تقدم) .
- ص ١٥٠ : (فقال لها أركبي بين يدي ، على بعيره فقالت :
- ولكن أركب أنت بين يدي (فركبت وراءه) حتى أنت المدينة) .

- ص ١٦١ : (أبتعت غلاماً) .
- ص ١٦٨ : (إني والله أمرؤ أخشى الدوائر) .
- ص ١٧٢ : (يا أيها الذين آمنوا أذكروا نعمة الله عليكم) .
- ص ٢٠٣ : (وأقبلت امرأة) .
- ص ٢٤٧ : (أدعوا لي حسان) .
- ص ٢٩٦ : (لسقينا وأستقينا) .
- ص ٢٩٩ : (فقال : أبسط يدك أبايعك) .
- ٢٣٤- بل قد يضعون على الهمزة مدَّةً ، بحيث يتغير المعنى .
ومن الأمثلة على ذلك :
- ص ١٥٢ و ١٥٤ و ٢٢٤ : (ضرب له بسهمه وآجره) .
والصواب : (وأجره) .
- ص ٢٢٦ : (آذاهم بنسور تحوم) وهي : إذاهم .
- ص ٢٩٧ - وآمن بعضهم بعضاً .
والصواب : (وآمن) .
- وبعد : فلقد مللت وأمللت ، وتركت كثيراً من نوع ما ذكرت ،
ولولا الغيرة على صيانة تراثنا من عبث الجهَّال لما أطلتُ الكلام في
مقام يجعل فيه الإيجاز ، ..

حمد الجاسر

ديوان حاتم الطائي

- ٣ -

١٥- حقل :

ص ١٩٦ - قال حاتم :

أبها الموعدي فإن لبوني بين حقل وبين هضب ذباب
قال أبو صالح قال ابن الكلبي : قال أبو خيران الطائي :
حقل وذباب واديان .

وفي التعليق : حقل قرية لبني درماء من طيء في أجبا - ياقوت -
وفي البكري : بين حقل : وقال هو موضع في ديار طيء ، واستشهد
ببيت حاتم هذا .

ذباب : لم أجد موضعاً بهذا الاسم ، ولعل الصواب ذباب - بفتح
أوله كما في « الأغاني » وهو ماء بأجا وأيضاً جبل في ديار طيء لبني شيعة
ابن عوف بن سلامان بن ثعل .

وأضيف : قال الهجري^(١) : فيما نقل عن الرزني الطائي - :
أجبا أكبر الجبلين ، لبني عقدة بن سنيس ، ومن شعاب أجبا : ثوارن -
غير معجمة الراء - وحقل ، والأرخ - معجمة الخاء - وشوط - بضم

(١) « أبو عل الهجري وأبحانه في تحديد المواضع » ص ١٨٣ .

الشين ، وبِلْطَة - بفتح الباء وضمها - وحضن - معجمة الضاد -
وثرمداء مثل الذي في الهامة . انتهى .

فحقلُ إِذْنٌ : من شعاب أجا - أوديته - وكثيراً ما يكون في الأودية
قُرَى ، لوجود المياه فيها .

أما دباب فسيأتي الكلام على هذه الكلمة .

١٦ - الحلبط :

ص ١٩٤ - من قول حاتم يخاطب الحارث بن عمرو :

إِنَّمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ فَاغْلَمَ سَيْرٌ تَسْعُ لِلْعَاجِلِ الْمُنتَابِ
فَثَلَاثٌ مِنَ الشَّرَاةِ إِلَى الْحَدِّ بَطِ ، لِلنَّخِيلِ جَاهِدًا وَالرُّكَابِ
وِثْلَاثٌ يَرِذْنَ تَيْمَاءَ رَهْوًا وَثَلَاثٌ يَغْرِزْنَ بِالْأَعْجَابِ

وفي التعليق على (الحلبط) : لم أجد في معاجم البلدان مكاناً بهذا

الاسم ، ولعلها الخَلْبِت - مع إبدال الطاء خاء ، وهو اسم للأبلىق الفرد
الذي بتيماء ، بلد بأطراف الشام .

وفي «الموفقيات» : الحالة . وفي «الأغاني» : الحلة وما في «الأغاني»

موافق لما قاله البكري في معجمه ، قال يخاطب بهذا الحارث بن أبي
شمر ، فذكر أن بين جبلي طي والشراة تسعا ، وأن من الشراة إلى الحلة
بأرض الشام ثلاثاً . انتهى .

وأضيفُ : لاشك أن كلمة (الحلبط) كلمة محرفة وأن صوابها

ما جاء في كتاب «الموفقيات» : الحالة . وليست الحلة - كما جاء في

«معجم ما استعجم» والحالة - وتعرف الآن باسم (حالة) و(حالة عمارة)

وتبعد عن الشراة - جبال الشام - نحو ثلاثة أيام ، ومثلها من تيماء -

للخيل والإبل بالسير المُجَدِّ .

١٧ - حية :

سبق ذكرها في الكلام على (بلطة) .

وأضيف : ورد في شعر امرئ القيس - على ما نقل ياقوت :

قَهْلُ أَنَا مَاشَ بَيْنَ شُوطٍ وَحِيَّةٍ ؟ وَهَلْ أَنَا لَاقِي حَيَّ قَيْسِ بْنِ شَمْرَةَ ؟

وفي شعر عوف بن مالك القسري^(١) :

وإِنِّي لِحَامٍ بَيْنَ شُوطٍ وَحِيَّةٍ كَمَا قَدِ حَمَيْتُ الْخَيْمَتَيْنِ وَخَيْمَرًا

كذا أورد ياقوت مع أنه ذكر أنه من جبال طيء فما دخل القسري -

أو النصرى - به ؟

وَحِيَّةٌ - هذا - من أودية أجا الكبيرة ، فيه نخل ، ينحدر من وسط الجبل ، مُتَّجِهًا إِلَى الشَّامِ الْغَرْبِيِّ حَتَّى يَقِفَ فِي أَرْضِ تَدْعَى الْفَتْخَاءَ ، وَهِيَ قَاعُ الْعَبْدِ ، عَبْدِ مَوْقِقَ ، وَالْعَبْدُ جُبَيْلٌ أَسْوَدٌ صَغِيرٌ ، بِقَرَبِ قَرْيَةِ مَوْقِقَ .

ووادي حِيَّةٌ لقبيلة السُّوَيْدِ مِنْ شَمْرَ ، وَفِي أَعْلَاهُ نَخْلٌ ، وَيَبْعَدُ عَنْ مَدِينَةِ حَائِلٍ غَرْبًا بِنَحْوِ ٥٠^(٢) كَيْلًا .

وقد يصحف اسم حِيَّةٌ بِاسْمِ (جُبَّة) بِالْجِيمِ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ فَهَاءٌ وَكَلَا الْمَوْضِعَيْنِ فِي بِلَادِ طِيءٍ ، وَلِلتَّفْرِيقِ بَيْنَ الْمَوْضِعَيْنِ : مَا كَانَ مَقْرُونًا بِشُوطٍ فَهَوِ حِيَّةٌ - بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالْمَثْنَاءِ التَّحْتِيَّةِ ، لِتَقَارُبِ الْمَوْضِعَيْنِ ، وَمَا أُضِيفَ إِلَى الرَّمْلِ أَوْ مَا يَتَّصِلُ بِهِ كَجُودَةِ الْمَرْعَى وَالْبُعْدِ عَنِ الْأَنْبَسِ فَهِيَ جُبَّةٌ ، بِالْجِيمِ بَعْدَهَا مُوَحَّدَةٌ - وَهَذِهِ تَقَعُ فِي النُّفُودِ - رَمْلٌ عَالِجٌ - وَكَانَ مَرَبًّا لِلوَحْشِ ، وَلِهَذَا يَكْثُرُ ذِكْرُ وَحْشِ جُبَّةِ .

(١) « شمال الملكة » ص ٣٠٠٩ و ٤٧٩ .

(٢) ورد في « شمال غرب الجزيرة » (٢٥٠) تطبيع خطأ .

١٨ - خلاد :

ص ٢٧٨ - قال حاتم :

وَلَقَدْ بَغَى بِخِلَادٍ أَوْسَ قَوْمَهُ ذُلًّا ، وَقَدْ عَلِمْتُ بِذَلِكَ سِنِّيْسَ

وقال المحقق : هو أوس بن سعد ، وكان قد قال للنعمان بن المنذر :
أنا أذخلك بين جبلي طيء حتى يدين لك أهلها . فبلغ ذلك حاتمًا فقال
هذا الشعر «الأغاني»^(١) .

خِلَادٌ : موضع في بلاد طيء . وفي طبعة لبيزج : بجلاد . انتهى .
وأضيف : قال ياقوت في «معجم البلدان» : خلاد بالضم وتخفيف
اللام ودال مهملة : أرض في بلاد طيء ، عند الجبلين ، لبني سنيس ،
كانت بئرًا ثم غُرِسَتْ نَخْلٌ ، وَحُفِرَتْ آبَارٌ ، فَسُمِيَتْ الْأُقَيْلِبَةَ .
انتهى .

وهذا الكلام هو نَصُّ كلام نصر ، نقله ياقوت - رحمه الله -
نقلًا ولم يُشِرْ إلى ذلك .

وجاء في كتاب نصر أيضًا : الأقبيلة مياه في طرف سَلَمَى ، أحد
جبلي طيء ، وهو من الجبلين على شوط فرس ، وهو لبني سنيس ،
وقيل : هي معدودة في مياه أجا .

ونقل ياقوت هذا الكلام ، ولم يوضِّح مصدره .

وقال نصر أيضًا : مَشَارٌ : شِعْبُ لبني عبد عامر ، بطن من بني ثعلبة
ابن سلامان تَسِيلُ إلى الأقبيلة من شرقها انتهى .

ويلاحظ أن قول نصر عن الأقبيلة أنها في طرف سَلَمَى لا يتفق مع

(١) ١٧ - ٣٩٢ .

قوله : إن شعب مشار يسيل إلى الأقبيلة . إذ شعب مشار في جبل أجا ولا يزال معروفاً .

وجبل سَلَمَى بعيد عنه وعن مشار ، وسيول أوديتها لاتنصل بأودية أجا .

وإذن فكلمة (سَلَمَى) لاشك أنها خطأ ، ولعل الكاتب أراد أن يكتب أجا فكتبها .

ولكي نَتَّصِرَ موقع الأقبيلة بالنسبة لأجا ينبغي أن نعرف موقع وادي مشار الذي يسيل إليها ، يَصُبُّ وادي مشار من فروع أجا الشرقية الشمالية ، من شعاب أشهرها تَرَمَدُ والرفاعي وخضع ، وأعلى مشار يدعى (أبا عدي) فيه نخيلات قليلة متوغل موقعها في الجبل ، على غير ماء . ويتجه الوادي صوب الشرق حين يخرج من الجبل ، ويدع مدينة حايل جنوبه حتى يلتقى بوادي الأديرع عند قرية السويفلة ، الواقعة أسفل مدينة حائل (١) .

وعلى هذا يمكن القول بأن خُلَادَ - التي عرفت باسم الأقبيلة أيضا كانت تقع أسفل وادي مشار ، في شرقي أجا ، شمال موقع مدينة حائل ، على مقربة من السويفلة - إن لم تكن في موقعها - .

والسويفلة كانت البلدة الأولى قبل حائل ، وكانت مقر إمارة آل عَلِيٍّ حكام جبلي شَمَّر ، قبل آل رشيد .

ومفهوم القصة والشعر الواردين في «ديوان حاتم» أن المقصود بخُلَادَ وادي مشار الذي هو من المداخل الموصلة إلى وسط أجا ، فحاتمُ يصفُ أَوْسًا بأنه أراد إذلال قومه بني سنبس ، حيث أراد أن يدل

(١) انظر عن مشار « شمال المملكة » ٢٢٨ - ٢٢٩ .

النعمان بن المنذر الملك على المكان الذي يدخله إلى جوف الجبل ، وكانت سنبسُ تقيم في شعابه التي في جوفه ، كما تقدم النقل عن الهجري ، ولا تزال إحدى تلك الشعاب تحمل اسم أحد أفضاخ سنبس وهو (عُقدة) التي أصبحت قرية مشهورة .

١٩ - دباب :

تقدم شاهده في حقل ، ويفهم منه أنه غير بعيد من حقل ، فَلَبُونُ حاتم (بين حقل وبين هضب دباب) .

وقد أشار المحقق الفاضل إلى أن الدال معجمة مضمومة ، في مخطوطة الديوان وقال : لعل الصواب دباب أي بفتحها مع إهمالها - وأورد نصاً على ذلك من كتاب «الأغاني» وقد ورد في كتاب نصر ، وفي «معجم البلدان» أيضاً . ويلاحظ :

١- أن كلمة (شبعة) الواردة في ذلك النص صوابها (سبعة) بالسین المهملة والباء الموحدة كما في كتاب «مختصر الجمهرة» وكتاب «النسب» لأبي عبيد القاسم بن سلام .

وفي (سبعة) هذا ورد المثل : (عَمَلٌ سَبْعَةٌ) على أحد الأقوال ، كما في «القماموس» وشرحه «تاج العروس» .

٢- أما دباب الذي ذكر ابن الكلبي أنه هو وحقل واديان ، فقد ذكر الأستاذ سليمان الدخيل - وهو من الأدباء المعاصرين - في كتابه «القول السديد» ، في إمارة آل رشيد أنه من القرى الداخلة في أجا ، وَقَدَّرَ نخل تلك القرية بثلاثة آلاف نخلة ، وهو يبائع في تقديره ، ولم أجد في تلك الجهة مَنْ يعرفه ، ولكن (مَنْ حَفِظَ حُجَّةً عَلَى مَنْ لَمْ

يحفظ) ومن اتصلت بهم من أهل تلك الجهة معرفتهم بالمواضع التي داخل الجبل محدودة .

وشعر حاتم صريحٌ في أنه من شعاب أجا .

٢٠- رَحْخَة :

ص ٢٧٦ : قال حاتم .

بِرَحْخَةٍ مِنْ جَرْمٍ يُمْنُونَ جَيْفَةً وَكَمْ يُنْجَهُمْ مِنْ آلِ بَوْلَانَ وَاتْرُ

وعلق المحقق : رَحْخَة موضع في بلاد طي^١ لم يحدده ياقوت .

كذا ورد الاسم (رَحْخَة) بالزاي في البيت وفي «معجم البلدان»

لياقوت .

وجاء في «معجم ما استعجم» : رَحْخَة - بفتح أوله وتشديد ثانيه :

موضع بين قَنَا وَيَثْقُب . قال نُهَيْكَة الغطفاني :

عُصْبٌ دَفَعَنَ مِنَ الْأَبَارِقِ مِنْ قَنَا بِجَنْوَبِ رَحْخَةٍ فَالرَّفَاقُ فَيَثْقُبُ

وهذا الذي ذكر البكري هو الصواب ، فرَحْخَة - بالراء والخاء المعجمة

بعدها هاء - جبل لا يزال معروفاً ، وهو بين جبلي قَنَا وَيَثْقُب ، غَرْب

جبل أَدْيٍ ، في الشمال الشرقي من يثقب ومن قرية الحليفة ، ويجاوره

من الشمال جبل الرُخَيْخ - بالتصغير - (يقع جبل رَحْخَة بقرب خط الطول

٥٨ - ٤٠ وخط العرض ١٠ - ٢٦) .

وهو جنوب غرب حايل بنحو مئتي كيل .

٢١- السرداة :

كذا ورد الاسم في الديوان المطبوع^(١) وسيأتي شاهده في الكلام

على الصَّهْو .

(١) كتاب شمال الملكة : ٥٧٣ - ٥٧٤ . (١) ص ٢٧٥ .

وقال المحقق الفاضل: والرداءُ لم أعرف ما هي انتهى لا أستبعد أن يكون صواب الكلمة (الرداءُ) جَمَعَ رَدَهَةً ، ومن معانيها أنها أرض خَشْنَةٌ شَبُهَ أَكْمَةٍ ، فحاتم يذكر أن قبيلة مُحَارِبٍ تَدِيرَتِ الصَّهْوَ والمواقع التي ذكرها ، وأرسلت أسوأها حول بواعة ، وصارت عشائرها ترعى بالرداء ، فالصَّهْوُ في جبل أجبا ، وكذا جُنديات ونبتل بقربه .

أما مضاهر وبُواعة ، فغرب الجبل خارجان عنه .
والرداء - لعلها - الآكام الكثيرة المنتشرة بقرب بواعة ومضاهر.

٢٢ - الريان :

ص ٢٦٧ - وقال حاتم :

لَشُعْبٍ مِنَ الرَّيَّانِ أَمْلِكُ بَابَهُ أَنَادِي بِهِ آلَ الْكَبِيرِ وَجَعْفَرًا
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ خَطِيبِ رَأْيَتُهُ إِذَا قُلْتُ مَعْرُوفًا تَبَدَّلَ مُنْكَرًا

وقال محقق الديوان : الشَّعْبُ هو ما انفرج بين جبلين . والرَّيَّانُ :
جبل بين بلاد طيء وأسد .

آل الكبير : أهل الكبير في «الموفقيات» .

آل الوحيد في «ديوان زهير» . آل الوليد : في اللسان وسيأتي ذكر
الريان عند ذكر مواسل انتهى .

القول بأنَّ الريان جبل بين بلاد طيء وأسد - وإن ورد عن بعض
المتقدمين^(١) - لا يتفق مع كون حاتم ذكر أنه يملك بابه ، وينادي به
بعض قومه ، فهو لا يفعل ذلك إلا في منعة داخل بلاد قومه ، واسم
(الريان) يطلق على مواضع كثيرة ، بعضها لا يزال معروفاً ، في غرب

(١) البكري في «معجم ما استعجم» .

الجزيرة وجنوبها ووسطها وشمالها ، أما انذي في بلاد طيء - الوارد في شعر حاتم - فقد قال عنه نَصْرٌ في كتابه : الرِّيَّانُ جبلٌ أسود عظيم ، في بلاد طيء ، يوقدون فيه النار ، فترى من مسيرة ثلاث . وقيل : من أطول جبال أجا .

وقال ابن سيده في «المخصص» : الرِّيَّانُ : أحد جبلي طيء . وعلّق محققه الشيخ محمد محمود التركي الشنقيطي بما نصّه : لقد ضلّ علي بن سيده في (وادي تخيب) .

ومن المعلوم أنّ جبلي طيء إذا أطلقا عني بهما أجا وسلمى ، باتفاق أهل العلم ، ولطيء جبال كثيرة منها الرِّيَّان - كالدَّيَّان - فهو من باب فعلان ، لا فعلى وإياه أراد علي فقصر .

أَرَادَ طَرِيقَ الْعُنْصَلَيْنِ فَيَأْسَرَتْ بِهِ الْعَيْسُ فِي نَائِي الصَّوِي مُتَشَائِمٍ
وقال زيد الخيل في جبلهم الرِّيَّان

أَتَنِي لِسَانٌ لَا أَسِرُّ بِذِكْرِهِ تَصَدَّعَ مِنْهَا يَدْبُلٌ وَمُوَاسِلُ
وَقَدْ سَبَقَ الرِّيَّانُ مِنْهَا بِدَلَّةٍ فَأَضْحَى وَأَعْلَى هَضْبِهِ مُتَضَائِلُ

ومن الملاحظ في أسماء الأماكن التوسّع في إطلاقها ، بحيث يطلق الاسم على جبل وعلى ما يتصل به من شعب أو وادٍ ، وهكذا الحال في اسم الرِّيَّان ، فالوصف الذي أورده نَصْرٌ لهذا الجبل ينطبق على أبرز قمة من قمم أجا ، تعرف الآن باسم (الرّعيلة) . وأما اسم الرِّيَّان فإنه يطلق الآن على وادٍ ينحدر من ذلك الجبل ، فيه عين ذات نخل ، فقد توسّع في الاسم فبقي يُطلَقُ على الوادي المنحدر من الجبل المذكور ، وغير اسم الجبل . .

زَخَّة : (انظر زَخَّة) فيما تقدم .

٢٣ - ستار :

سيأتي شاهدهُ عند ذكر سقف ، وقد ذكر نصر أن الستار جبل بأجا .
وعنه نقل ياقوت ، ولكنهما ذكراه مُعَرَّفًا .

ويطلق اسم ستار - بدون تعريف - الآن على واد من أودية أجا ،
في الشمال الغربي منه ، فيه نخل .

والعامّة ينطقون سينه ساكنة فيتوهم من سمعهم أن الاسم (أستار)
بالألّف ، كما فعل الأستاذ سليمان الدخيل ، حيث كتبه (الأستار)
وقال : إنه من القرى الخارجة عن أجا .

والواقع أنه من أودية أجا التي تنحدر منه .

على أن البيت الذي ورد فيه اسم (ستار) من شعر حاتم روي أيضا
باسم (مشار) كما نقل محقق الديوان عن «اللسان» ولعل هذه الرواية
أقرب إلى الصواب حيث عطف عليه ثرمد ، الذي هو أحد روافد وادي
مشار ، كما تقدم .

٢٤ - ستيرة :

ورد هذا الاسم في شعر حاتم الآتي في سَقْف ، مما يفهم منه قُرْب
الموضع من سَقْف وعمودان والغمر ، ولم أر له ذكراً في غير ذلك
مما اطلّعتُ عليه من المصادر ، وأخشى أن يكون تصحيف سَفيرة -
بالفاء بدل التاء - إذ سَفيرة بفتح السين وكسر الفاء وبالياء فراء
مهملة فهاء : على ما ذكر نصر : ناحية من بلاد طيء وقيل : صَهْوَةٌ
لبنى جَدِيمَةَ من طيء يحيط بها الجبل ، ليس لها منفذ ، بحصن بني
جديمة . ومثل هذا الكلام في «معجم البلدان» وكلمة (بحصن) ليست
معجمة الصاد في الكتابين ، والصواب إعجامها إذ (حصن) هذا جبل

لا يزال معروفاً^(١) ، والصهوة قرية لاشتران معروفة ، تقع شماله على مقربة منه

وسقف تنحدر بعض فروعها من جبل حضن ، مما يؤيد صحة القول بتصحيح كلمة (ستيرة) .

٢٥ - سقف :

٢٥١ - وقال حاتم :

بَكَيْتَ وَمَا يَبْكِيكَ مِنْ دَمِنٍ قَفْرٍ بِسُقْفٍ إِلَى وَادِي عَمُودَانَ قَالَعْمَرِ
بِمُنْعَرَجِ الْغُلَانِ جَنْبِي سْتِيرَةٍ إِلَى دَارِ ذَاتِ الْهَضْبِ فَالْبُرْقِ الْحُمْرِ
قال أبو صالح : واحدها غَالٌ ، وهي أودية غائضة ، تنبت الشجر والطلع . والهضب : واحدها هضبة .

إلى الشَّعْبِ مِنْ أَعْلَى سِتَارٍ فَثَرْمِدٍ فَبَلْدَةِ مَبْنَى سَنِيسٍ لِابْنَتِي عَمْرٍو
قال أبو صالح : وزعم بعض الطائيين أنه جبل عندنا معروف .
وأظن اليانبي قال : سِتَارٌ وَثَرْمِدٌ مَوْضِعَانِ وَهُوَ أَيْضًا شَجَرٌ ، وَقِيلَ :
هو جبل .

وفي الحاشية : (خ م) : بسقف بفتح السين خطأ ، وفيها أيضًا :
عموران : خطأ . وعمودان جبل ...

ستار : جبل بأجا ، وفي «اللسان» : مشار وثرمد اسم شعب بأجا ،
لبنى ثعلبة من بني سلامان من طيء ياقوت .

وعلق المحشي على قول اليانبي : ستار وثرمد : في الأصل : مسار .
سُقْفٌ : جزم المحقق الفاضل بأنَّ ضَمَّ السين فيه - كما في إحدى
النسخ خطأ - ولعله عَوَّلَ على ما جاء في «معجم ما استعجم» على أن

(١) انظر تحديده في «شمال المملكة» .

ياقوتاً في «معجم البلدان» قَدَّمَ الفتح ، وفي «تاج العروس» نص على أنه يُضَمُّ ويفتح وهو الآن لا ينطق إلا بالفتح ، وهو واد ينحدر من جبل حَضَنٍ - كما ذكر الهجري :

سَأَلْتُ أبا هُرَيْرَةَ الْمُرِّيَ الْغَطَفَانِيَّ عَنْ سَقْفٍ فَقَالَ : سَقْفٌ ذِي الْقَصَّةِ عَنْ رَمَانَ^(١) ، مِنْ أَرْضِ طِيٍّ ، يَسِيلُ هُوَ وَرَمَانَ مِنْ حَضَنٍ . انْتَهَى^(٢) .

ويطلق الآن اسم سَقْفٍ على واد وعلى قرية تقع في ذلك الوادي ، وعلى جبل متصل بهضاب حَضَنٍ ، ويبعد عن مدينة حائل بنحو مئة كيل في الجنوب الغربي ، وانظر لوصفه كتاب «شمال المملكة»^(٣) .

٢٦ - سلامان :

ص ٢٦٩ - قال حاتم :

إِذَا حَالَ دُونِي مِنْ سَلَامَانَ رَمَلَةٌ وَجَدْتُ تَوَالِي الْوَضَلِ عِنْدِي أَبْتَرَا

ونقل محقق الديوان كلام البكري : سلامان ماء لبني شيبان على طريق مكة إلى العراق - واستشهد ببيت حاتم .

وأضيف : الماء الذي بقرب طريق مكة إلى العراق هو سلمان - بإسكان اللام - وهو الذي كان في بلاد بني شيبان ، ولا يزال معروفاً الآن ، داخل الحدود العراقية المتاخمة لحدود المملكة العربية الشرقية ولكن ما دخل هذا الموضع البعيد عن بلاد طيٍّ ، وأية صلة له بشعر حاتم وهو لم يذكره وإنما ذكره سلامان بفتح اللام بعدها ألف ١٤ ذكر الأستاذ سلیمان الدخيل أن سلامان اسم قرية من قرى أجا ، قَدَّرَ عدد نخلها بألف وست مئة . وأنا لم أعرفها ، وماكل ما في أجا عرفته ، ونقل ياقوت عن السُّكُونِيِّ قوله : السلامية ماء لجديلة بأجا .

(١) امل (عن) : (بين) . (٢) ٣٢٤ . (٣) ٦٧١ - ٦٧٣ .

ومهما يكن فما أرى حاتمًا أراد سلمان - المعروف الآن باسم
(السلمان) .

٢٧ - سميراء :

ص ٤٢ : (وكانت طيء حين نزلت من الجنوب نزلت سيرًا وفيدًا
في جوار بني أسد) .

وكلمة (سير) هنا صوابها (سميراء) وهو اسم واد وأصبح يطلق
على بلدة مشهورة تقع جنوب غرب بلدة فيد ، لها ذكر كثير في وصف
طريق الحاج العراقي الكوفي . وانظر كتاب « شمال المملكة »^(١) .

٢٨ - الشقيق :

شاهده سيأتي عند ذكر الصَّهْر - ويظهر أن المُراد بالشَّقيق في قول
حاتم الرمل العظيم الواقع شمال جبل أجا .
وانظر كتاب « شمال المملكة »^(٢) .

٢٩ - شسوط :

ص ٢٦٦ - قال حاتم :

حَنَنْتُ إِلَى الْأَجْبَالِ أَجْبَالِ طِيٍّ وَحَنَنْتُ قَلُوصِيَّ أَنْ رَأْتُ سَوَطَ أَحْمَرَ
وفي الحاشية : تحنُّ إلى : البكريُّ : وحنتُ قلوصي . كذا أيضًا
في « سرح العيون » والأصحُّ أن تكون بالجيم ، لذكره السوط . وكذلك
هي في « الموفقيات » : وجنت جنوناً . وفيه (ص ٤١٧) : أحمر .
قال عمِّي : رجل من العرب كان يسوق لحاتم ، إذا وفد على الملوك .
وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : أحمر اسم رجل كان يعمل السياط

(١) ٦٩٣ - ٦٩٥ .

(٢) ٧٤١ - ٧٤٧ .

في الجاهلية . وجنت جنوناً . شوط أحمر : البكري . وقال : شوط أحمر
موضع تلقاء بلاد طيء ، واستشهد بالبيت . انتهى .

وتقدم شاهد كلمة (شوط) عند ذكر بُلُطَّةَ وَحْيَةَ .

وشوْط - وينطق الآن بضم الشين - : وادٍ من أودية أجا ، يقع شمال
وادي حية ، وغرب وادي ثوارن ، وينحدر من الجبل متجهاً إلى الغرب ،
حتى يصب في قاع يدعى قاع الصير ، في لغف النفود ، شرق قرية
الحفير ، ويبعد عن مدينة حائل بما يقارب خمسين كيلاً .

٣٠ - الصهو :

ص ٢١٨ - جاء في ديوان حاتم : وسارت محارب حتى نزلوا
أعجاز أجا - وكانت منازل بني بولان وجرم - بأموالم ، فخافت طيء
أن يغلبوهم عليها ، فقال حاتم يحضهم :

أَرَى أَجَاً مِنْ وَرَاءِ الشَّقِيْبِ قِي ، وَالصَّهْوِ ، زَوْجَهَا عَامِرُ
وَقَدْ زَوَّجُوْهَا وَقَدْ عَنَسْتُ وَقَدْ أَيَقُنُوا أَنَّهَا عَاقِرُ

أي لا ينزلها أحد . قال خالد : كان عامر بن جوين جاء بمحارب
فأنزلم أجا ، فكأنه زوجها . ضربه مثلاً .

ونقل محقق الديوان عن «معجم البلدان» : الصهو موضع بحلق
رأس أجا ، وهو من أواسط أجا مما يلي المغرب ، وهي شعاب من نخل
ينجاب عنها الجبل ، الواحدة صهوة وهي لجذيمة من جرم طيء .

وقال حاتم أيضاً -- ٢٧٥ :

أَلَا هَلْ أُنِي قَدُمِي بِنَانِ مُحَارِبًا تَذَبِيرَ مِنْهَا الصَّهْوِ (؟) بَادٍ وَحَاضِرُ

(١) انظر عن شوط كتاب «شمال المماكة» : ٧٥٢ - ٧٥٣ .

وَحُلَّتْ بِلَا جَارٍ مَبَاعَةٌ نَبْتَلِي وَحُلَّتْ جُدِيَّاتٌ ، وَحُلَّتْ مَصَاخِرُ
وَأُرْسِلَتْ الْأَشْوَالُ حَوْلَ بُوَاعَةٍ عَزِيْنٍ ، وَتَرَعَى بِالرِّدَاةِ (٢) الْعَشَائِرُ
كلمة (بحلق أجا) غير واضحة ، وهي في مطبوعة «معجم البلدان»
(بحاق أجا) وهذه أغرب .

وأوضح منهما ما جاء في كتاب نصر ، ومثله في «معجم البلدان» :
الصَّهْوُ رَأْسُ أَجَا ، وَهُوَ مِنْ أَوْسَطِ أَجَا مِمَّا مَغْرِبَ الشَّمْسِ ، وَهِيَ شَعَابُ
بَيْنَ نَجْلِ يَنْجَابٍ عَنْهَا الْجَبَلُ ، الْوَاحِدَةُ صَهْوَةٌ ، وَهِيَ لَجَذِيْمَةٌ مِنْ حَرَمٍ
طِيٍّ . انتهى .

وذكر المَجْرِيُّ الصَّهْوُ ، وَوَصَفَ جَوْدَةَ تَمْرِهِ .
وَالصَّهْوُ لَا يَزَالُ مَعْرُوفًا ، وَهِيَ أَوْدِيَةٌ تَقَعُ غَرْبَ أَجَا مُنْفَصِلَةٌ عَنْهُ ،
مِنْ شَعَابِ حَضْنِ الْغَرْبِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ .

أما التي في وسط أجا فهي قِمَّةٌ مِنْ قِمَمِهِ ، يَنْحَدِرُ مِنْهَا وَادٌ ذُو نَخْلٍ ،
يَسْمَى الصَّهْوَةَ .

ويظهر أنَّ مُرَادَ حَاتِمِ الصَّهْوِ الْوَاقِعِ غَرْبَ أَجَا ، كَمَا يَفْهَمُ مِنْ خَبَرِ
نَزُولِ مُحَارِبِ أَعْجَازِ أَجَا .

وتقدم الكلام في (تدبير) و(الرداة) وأنهما (تَدْيِيرٌ) و(الرداه) .

٣١ - عوالص :

شاهده في ثرمد :

وعلى ما ذكر ياقوت : جبال لبني ثعلبة من طيء ، وثعلبة هو جرّم .

ومنازل جرّم على ما يفهم من كلام المتقدمين تقع غرب أجا
خارجة عنه .

(١) « أبو علي المجرى » : ٣١٢ .

٣٢ - الغمر :

تقدم شاهده عند ذكر سقف .

والغمر يطلق على مواضع ، أشرت إلى بعضها في كتاب «شمال المملكة»^(١) ولكن الوارد في شعر حاتم هو القريب من سَقْف ، وهذا على ما حدده المستشرق موزل في كتابه «شمال نجد» يقع في طرف رَمَاز الغربي الشمالي ، غرب قرية المهاش في أعلى وادي المُدَيِّسِيَس ، أحد روافد وادي الشعبة (الثلبوت قديماً) على بعد عشرة أكيال من سقف جنوبه .

٣٣ - قسراقر :

مر ذكره في الكلام على أبيات .

وقال حاتم^(٢) :

وَهُمْ سَلَبُوا زَيْدًا غَاةَ قُرَاقِرٍ رَوَّاحِلَهُ ، وَالْمَوْتُ بِالنَّاسِ حَاضِرٌ
قُرَاقِرٌ يَطْلُقُ عَلَى مَوَاضِعٍ^(٣) : أحدها الأرض الواقعة شرق مدينة حائل التي تقع فيها قرية بقعاء ، حيث تنتهي سيول أجا هناك .

وقرأقر أيضاً : الوادي المعروف الآن باسم وادي السرحان .
وقرأقر أيضاً : من أسماء ذي قار ، الذي حدثت فيه الواقعة بين العرب والفرس بقرب الكوفة .

ولايتضح ما يعنيه حاتم إلا بمعرفة الحادثة التي أشار إليها مفصلة .

٢٤ - القصرية :

ص ٢٧٨ - قال حاتم :

حَاشَا بَنِي عَمْرٍو بَنِي سِنَيْسٍ إِنَّهُمْ مَنَعُوا ذِمَّارَ أَبِيهِمْ أَنْ يُذْنَسُوا
وَتَوَاعَدُوا وِرْدَ الْقُمْرِيَّةِ غُدُوَّةً وَحَلَفْتُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ لَنَحْبِسُ

(١) من ص ٩٩٧ إل ١٠٠٤ . (٢) ديوانه : ٢٧٥ .

(٣) انظر عن تفصيلها كتاب «شمال المملكة» ص ١٠٧٥ - ١٠٧٧ .

وقال المحقق : بقول البكري : القرية لبني سدوس من بني ذهل
باليامة .

ولكن قرية بني سدوس هذه لبني ذهل من بكر بن وائل ، لا لطيء
الذين منهم بنو عمرو بن سنيس ، ثم هي في اليامة بعيدة عن بلاد
طيء ، ولا تزال معروفة ولكن باسم سدوس .

أما القرية المقصودة بقول حاتم فهي التي نقل المحقق عن «الأغاني»^(١)
أبي حاتم مُحَرَّقًا فقال له مُحَرَّقٌ : بایعني . فقال له : إن لي أخوين ورائي
فإن يأذنا لي أبايعك وإلا فلا . - قال : فاذهب إليهما فإن أطاعاك فأتني
هما ، وإن أبيا فأذن بحرب . فلما خرج حاتم قال :
أتاني من الريان - الشعر - .

فقال مُحَرَّقٌ : ما أخواه ؟ قال : قيل : طرفا الجبل . فقال :
ومحطوفه لأجلن مؤاسلاً الریط مصبوغات بالزيت ، ثم لأشعلنه
بالنار : فقال رجل من الناس : جهل مرتقى بين مداخل سبلات .
فلما بلغ ذلك مُحَرَّقًا قال : لأقدم عليك قربتك !! ثم أتاه رجل
فقال له : إنك إن تقدم القرية تهلك . فانصرف ولم يقدم . انتهى .

وهذه القرية - على ما يفهم من القصة في داخل أجا ، بقرب
مؤاسل إحدى قممه ، بل نص ابن الكلبي على أنها في جبلي طيء -
كما في «معجم البلدان» وأورد فيها شعراً لامرئ القيس جاء فيه :
بنو ثعل جيرانها وحماتها .

والقرية الآن مجهول موقعها ، وقد رجح موزل أن مدينة حايل

قامت على أنقاضها ، وأن موقعها هو موقع السويفلة الواقعة شرق مدينة حابيل ، وذلك الموقع كان مكان بلدة حابيل قديماً .

٣٥- متالع :

ص ٢٨٧ - وقال حاتمُ :

تَدَارَكُنِي مَجْدِي بِسَفْحِ مُتَالَعٍ فَلَإِيَّاسُنْ ذُو نَوْمَةٍ أَنْ يُغْنِمَا

وفي الحاشية : متالع اسم لهجبال عذّة ، فهو جبل بنجد ، وجبل لغني ، وجبل لبني مالك بن سعد (ياقوت) .

وأقول : مُتَالَعُ الوارد في شعر حاتمِ جبل عظيم لا يزال معروفاً وهو في بلاد طيِّء ، وليس جبل غني المعروف الآن باسم (أم سنون^(١)) . ولا جبل بني سعد بن مالك من بني سعد بن زيد مناة ابن تميم ، الواقع بقرب وادي المياه ، والذي لا يزال معروفاً أيضاً^(٢) .

وقد أوردت ما اطّلت عليه من نصوص المتقدمين في تحديده ، وحدّدته تحديداً وافياً في كتاب «شمال المملكة»^(٣) .

٣٦- محجّر :

ص ٤١ و ٤٢ - تكررت كلمة (محجّر) والجيم مكسورة ، والمعروف فتحها على اسم الفاعل ، لأنّ الرَّمْلُ قد أحاط بذلك الجبل . وقال الهجري^(٤) : هُوَ مُخَمَّرٌ بِالْفَتْحِ وَمُحَجَّرٌ ، لا غير . وإن كان ياقوت ذكر في «معجم البلدان» (كسر الجيم وقد تفتح وهو اسم الفاعل

(١) انظر لتحديده كتاب «بلاد القصيم» ومجلة العرب .

(٢) انظر لتحديده كتاب «المنطقة الشرقية» .

(٣) ١١٨٣ - ١١٨٥ .

(٤) «أبو علي الهجري» ص ٣٦٣ .

وقد روي بفتح الجيم فيكون مبنياً للمفعول) انتهى ولكن الهجري من
أمة اللغة ، ولا يقاس به ياقوت ، ثم إن البكري ضبطه بالفتح . وقال :
كل جبل أزره رملٌ فهو محجرٌ .. ومحجرٌ المذكور قال عنه أبو زياد :
جبل حوله رملٌ حُجْرَبه ^(١) .

ومُحَجَّرُ الآن يعرف باسم (المسمى) .
وانظر كتاب «شمال المملكة» ^(٢) لتحديد موقعه .

٣٧- المزاج :

ص ٢٠٤ - قال حاتم :

وَلَوْ شَهِدْتَنَا بِالْمَزَاجِ لَأَيَّمْتُ عَلَى ضُرْنَا أَنَا كَرَامُ الْقَبَائِلِ
عَشِيَّةُ قَالَ ابْنُ اللَّيْثِ عَارِقُ ^(٣) إِخَالُ رَتِيْسِ الْقَوْمِ لَيْسَ بِآيِبِ

وعَلَقَ محقق الديوان : المزاج موضع شرقي المغيثة ، - ياقوت -
وجاء في رسم المغيثة : منزل في طريق مكة بعد العُدَيْب ، وكانت أولاً
مدينةً خربت ، وهي لبني نبهان . انتهى .

ومن كلام ياقوت - مما لم يذكره المحقق : قال عَمَّارَةٌ :

المزاجُ موضعٌ على مَتْنِ القَعْقَاعِ من طريق الكوفة .

وأورد لجريز :

وَلَا تَقَعَّقُ الْحَى الْعَيْسُ قَارِبَةٌ بَيْنَ الْمَزَاجِ وَرَعْنِي رَجَلَتِي بَقَرِ
وفي «القاموس» وشرحه ^(٤) : والمزاجُ شرقي المغيثة ، بين

(١) « شرح الملقات » للبريزي : ٢٠٨ ولا بن الأنباري : ٢٣٥ .

(٢) ١١٩١ - ١١٩٦ .

(٣) وفي « الموقفيات » : عارض بدل عارق .

(٤) رسم (مزج) .

القادسية والقرعاء أو يمين القعقاع - وفي نسخة : أو بطن القعقاع انتهى .

وأنا أستبعد أن يكون حاتم قَصَدَ هذا الموضع الواقع في حدود العراق لبعده عن بلاد قومه ، ولا أستبعد عدم صحة كلمة (المزاج) .

٣٨ - مسطح :

تقدم شاهده في جَوِّ ولكن أبا صالح صانع ديوان حاتم قال في شرح مسطح : المسطح في لغة طيء مَدَّاسُ الزرع .

ونقل محقق الديوان قول صاحب «معجم البلدان» أنه موضع بعينه في جبلي طيء . وذكر أنه لم يحد في المعاجم مسطحاً بمعنى مداس الزرع ^(١) وأضيف : لا يزال مسطحُ الموضع معروفاً ، وهو واد من أودية أجا ، يقع في أعلى وادي ضُرَاقَةَ في جوف الجبل ، ويجتمع سيله - بعد أن يفضى إلى ضراقة ويخرج من الجبل - بسيل وادي حایل ^(٢) .

٣٩ - مشار :

تقدم شاهده من قول حاتم عند ذكر سَقْف :
إلى الشُّعب من أعلى مَشَارٍ فَثَرَمَدَ فَبَلْدَةَ مَبْنَى سُنْبِسٍ لِابْنَتِي عَمْرُو
وليس (سثار) ولا (مسار) كما في بعض نسخ الديوان .
وقد ورد الاسم مصحفاً في كثير من الكتب (مشان) ^(٣) .
ومشار من أشهر أودية أجا ، يصبُّ من أعاليه الشرقية ، وتجتمع فيه شعاب منها ثَرَمَدَ ، ويفيض عند قرية السويقلة ، أسفل مدينة حائل ، حيث يلتقي بوادي الأديرع .

(١) ص ١٨٩ . (٢) شمال المملكة : ١٢٢٦ .

(٣) انظر كتاب شمال المملكة : ١٢٢٨ .

٤٠ - مصاخر :

شاهده في الصهور .

وقال المحقق الفاضل : أما جُديّات ومصاخر فلم أجدهما ^(١) .

وأقول : صواب الاسم مصاخر - بالضاد المعجمة بعد الميم وبالخاء المعجمة أيضاً .

قال نصر بن عبد الرحمن الاسكندري في كتابه ^(٢) ، في (مفردات حرف الميم) : مَصَاخِرٌ هَضِيْبَاتٌ غَرْبِيٌّ أَسَاهِيْبٌ ، وهي هضابٌ فيها مصانع ، لبني جُوَيْنٍ وبني صخر ، من طيء .

ومصاخرٌ لفزارة .

واستدرك بهذا الكلام صاحبُ «تاج العروس» على صاحب «القاموس» ولم يزد على ما هنا ^(٣) .

وأساهيب المذكورة تعرف الآن باسم أساهيم - بالميم - وكثيراً

مانعاقب العامة بين الحرفين ، فيقولون : الرقب في الرقم .

ويفهم من تحديد نصر أن الموضع يقع غرب بلاد طيء ، بحيث

تلتقي ببلاد فزارة . إذ أساهيمٌ من جبال سَلَمَى .

٤١ - مواسل :

ص ٢٨٤ - قال حاتمٌ

أَتَانِي مِنَ الرِّيَّانِ أَمْسَ رِسَالَةٌ وَعَدُوِيٌّ (٢) وَغِيٌّ (٢) مَا يَقُولُ مُوَأْسِلٌ

هُمَا سَأَلَاتِي : مَا فَعَلْتِ ، وَإِنِّي كَذَلِكَ عَمَّا أَخَذْنَا أَنَا سَائِلٌ

فَقُلْتُ : أَلَا كَيْفَ الزَّمَانُ عَلَيْكُمَا فَقَالَا : بِخَيْرٍ ، كُلُّ أَرْضِكَ سَائِلٌ

(١) ص : ٢٧٥ . (٢) الورقة : ١٤١ مخطوطة المتحف البريطاني .

(٣) رسم (ص خ ر) .

وقال محقق الديوان : الريانُ جبل مضي ذكره في القصيدة رقم ٦٨

(١)

هامش .

وقوله : عدوى وغيء : مضطرب المعنى .

وموasl : اسم قنّة في جبل طيء انتهى .

ولكن المحقق الفاضل لم يبين أي جبل نظيء هذا الذي موasl

من قننه .

وقال الهجري : هذا شرح أسماء مواضع في بلاد طيء : في قوله :

بأنه هو صهو موasl :

هو مواسل في أجيا ، وهو شعبة فيها النخل والذئرف - وهو التين -

لبنى زريق ، فإذا أضفت إليه قلت زريقي ، وكان لجديمة : والنسبة إلى

جدمة هذه جذمي انتهى .

وفي «الأغاني»^(٢) أتى حاتم مُحرقًا ، فقال له مُحرقٌ : بايعني . فقال :

إن لي أخوين ورائي ، فإن يأذنا يا أبياءك وإلا فلا . قال : فاذهب إليهما ،

فإن أطاعك فاتني بهما ، وإن أبيا فأذن بحرب . فلما خرج حاتم قال :

أتاني من الديان أمس رسالةً وعذر اسحقى (٣) مايقول مواسلُ

هما سألاني ما فعلتُ وإنني كذلك عمًا أحدثنا أنا سائلُ

فقلت : الاكيف الزمانُ عليكما فقالا : بخير ، كلُّ أرضيك سائلُ

فقال مُحرقٌ : ماأخواه ؟ قال :

طرفًا الجبل ! . فقال : ومحلوفه الأجلنن مواسلًا الريط ،

(١) لكنني لم أجد ما ذكر عن الريان وإن كان تقدم ص ٢٦٧ .

(٢) « أبو علي الهجري وإجماعه في تحديد المواضع » : ١٨٢ .

(٣) ١٦ - ١٠٥ ط : الساسي .

مَصْبُوغَاتٍ بِالزَّيْتِ ثُمَّ لِأَشْعَلْنَهُ بِالنَّارِ . ١

فقال رجل من الناس : جَهْلٌ مُرْتَمَى بَيْنَ مَدَاخِلِ سَبَلَاتٍ .

فلما بلغ محرِّقًا قال : لَأَقْدَمَنَّ عَلَيْكَ قَرِيْبَتَكَ ! . ثم إنه أتاه رجل

فقال : إنك إن تقدم القرية تهلك .

فانصرف ولم يقدم . ١١ هـ

وقال البكري : مُوَأْسِلٌ بضم أوله وكسر السين ، جبل تقدم ذكره

في رسم الريان قال زيد الخيل :

كَأَنَّ شُرَيْحًا خَرَّ مِنْ مَشْمَخِرَةٍ وَجَارِي شُرَيْحٍ مِنْ مُوَأْسِلٍ فَالْوَعْرُ

وقال واقد بن الغطريف الطائي فصغره :

لِئِنْ لَبِنُ الْمِعْزَى بِمَاءِ مُرَيْسِلٍ بَغَانِي دَاءٍ إِنِّي لَسَقِيمٌ

هكذا قال ، والصحيح أنهما موضعان مختلفان ^(٢) . انتهى .

وقال في « معجم البلدان » :

مُوَأْسِلٌ : كَأَنَّهُ مِنْ مَسِيلِ الْمَاءِ إِذَا سَالَ - بضم أوله وسين مهملة

مكسورة : اسم قننة جبيل أجبا ، قال زيد الخيل :

أَتَتْنِي لِسَانٌ لَا أُسْرُ بِذِكْرِهَا تَصَدَّعَ عَنْهَا يَذْبُلُ وَمُوَأْسِلٌ

وَقَدْ سَبَقَ الرَّيَّانُ مِنْهُ بِذِلَّةٍ فَأَصْحَى وَأَعْلَى هَضْبَةٍ مُتَضَائِلُ

فَإِنَّ أَمْرًا مِنْكُمْ مَعَاشِرَ طِيءٍ رَجَا فَرَجًا بَعْدَ ابْنِ حِيَّةٍ جَاهِلُ

وقال ياقوت ^(٣) أيضا : مواسل قننة بأجبا ، وأورد قول لبيد -

(١) « معجم ما استعجم » .

(٢) هذا صحيح وانظر (مواسل) في كتاب « شمال الملكة » ص ١٢٨٤ و ١٢٩١ .

(٣) رسم أجبا من « معجم البلدان » .

يصف كتيبة النعمان بن المنذر - .

كَارَكَانَ سَلْمَى إِذْ بَدَتْ ، أَوْكَانَهَا

ذُرَى أَجْبَا إِذْ لَاحَ فِيهِ مُوَاسِل

وهذا البيتُ يفهم منه أنَّ مواسل من أبرز قِمَمِ أَجْبَا وأقرب ما تنطبق عليه الأوصاف المتقدمة من قممه ما يُتَرَفَّ بِاسْمِ الرَّعِيْلَةِ .

وقد سبق توجيه القول بأنَّ الرِّيَّانَ هو الرعيْلَةُ ، ولكن يلاحظ أنَّ القممة التي يطلق عليها هذا الاسم تُشَاهِدُ عَنْ بُعْدِ مَجْتَمَعَةٍ وَكَانَهَا رَأْسَ وَاحِدٍ ، وعند القرب منها تبتدئ ذات رؤوس ، وهذا فيمكن القول بأنَّ اسم الرعيْلَةُ يجمع ما كان يعرف قديماً بجبل الرِّيَّانَ وبجبل مواسل . على أنه سبقت الإشارة إلى أن الريان يطلق على واد تنحدر أعلى فروعها من الرعيْلَةُ .

٤٢ - نبتل :

شاهده في الصَّهْو -

وأورد المحقق هناك قول ياقوت : جبل في ديار طيء قريب من أجبا . والواقع أنَّ نَبْتَلَ يطلق الآن على مَنْهَلٍ يقع في الجنوب من أجبا - شمال قرية الغزالة بقرب الْغَمْر ، يفصل بينه وبين أجبا جبل الحفصن ، وبقرب ذلك الماء جبال ، ليست معروفة الأسماء .

فيظهر أنَّ اسم الجبل كان يُطلق على ماء بقربه ، ثم نسي الجبل وبقي اسم الماء للحاجة المتكررة إليه ، ومثل هذا يحدث في أسماء المواضع كثيراً

٤٣ - نقيب :

تقدم شاهده في الكلام على ثَرْمَدَ وقول ياقوت : إنه شعب من أجبا . وتقدم القول بأنَّ ثَرْمَدَ من الشعاب التي يصب سيلها في مشار . ومن تلك الشعاب شِعْبٌ يدعى الرفاعي أعلاه يسمى النقيب - بالتعريف مع فتح النون مصغراً - فلعله الوارد في الشعر .

٤٤ - وادي القرى :

ص ١٧٩ - جاء في شرح قول حاتم - في الهامش . رمآن من وادي القرى لأربع .

نقلها عن ياقوت : وادي القرى وادي بين الشام والمدينة ، وهو بين تيماء وخيبر .

وادي القرى : اسم كان يطلق على واحة ذات قرى وأودية أشهرها الآن وادي العلاء ، ووادي الحجر ووادي الجزل ، وتلك الواحة تقع بين المدينة وبين الحجاز ، ولكنها لا تقع بين تيماء وخيبر ، إذ تيماء تقع بالنسبة لخبيبر شمالا ، ووادي القرى يقع بالنسبة لخبيبر غربا بميل نحو الشمال ، والمتجه من تيماء إلى وادي القرى لا يمر ببلاد خيبر بل يدعها ويدع حرة خيبر كلها جنوبه ، وعلى هذا فإن القول بأن وادي القرى واقع بين تيماء وخيبر قول غير مستقيم ، ويمكن تخريجه بأن الطرق - في القديم - تخضع لوجود الأمن ، ولا يراعى فيها الاتجاه للقصد دائما ، وبلاد خيبر بلاد مسكونة وهي أقرب إلى وادي القرى من تيماء ، وأقرب إلى تيماء من وادي القرى .

ولهذا كان المسافرون من تيماء يتحاشون قطع المفازة الواقعة بينها وبين وادي القرى ، فيتجهون إلى خيبر المأهولة بطريق كثير المياه ومن خيبر يتجهون مع طريق معمور بالقرى إلى وادي القرى .

٤٥ - وقران :

تقدم ذكره في نقيب عند ذكر ثرمد :

وقال ياقوت : وقران شعاب في جبال طيء .

واراه شعبا من شعاب أجا ، مثل ثرمد ونقيب ، وإن كنت على غير

ثقة من صحة الكلمة .

هذا عَرَضٌ قَصِيدٌ به تحديد المواضع الواردة في شعر حاتم ، وهي

تقارب ٤٤ - موضعا ، منها ٢٨ موضعا لانزال معروفة وهي :

١٦- رَحَّة	١- أَبَايِر
١٧- الرِّيَّان	٢- أَبْيَضَةٌ
١٨- سَمْف	٣- أَجَا
١٩- الشَّتْمِيق	٤- أَطَايِف
٢٠- شُوط	٥- بُسَيْطَةٌ
٢١- الصَّهْو	٦- بُلْطَةٌ
٢٢- العَمْر	٧- بُوَاعَةٌ
٢٣- قُرَاقِر	٨- تَيْمَاء
٢٤- مُتَالِع	٩- ثَرَمَد
٢٥- مِسْطَح	١٠- جُدِيَّة
٢٦- مِشَار	١١- جَوَّ
٢٧- نَبْتَل	١٢- حَالَةٌ
٢٨- نَقِيب	١٤- حَامِر
	١٥- حِيَّة

واحدى عشر موضعا لا أعرفها وهي :

٧- عَوَالِص	١- تَنْعَةٌ
٨- الْقَرْيَةُ	٢- حَقْل
٩- الْمَزَاج	٣- دَبَاب
١٠- مَضَاخِر	٤- الرِّدَاه
١١- مَوَاسِل	٥- سَفِيرَةٌ
	٦- سَلَامَان

مع أن أكثر الجهات التي تقع فيها هذه المواضع معروفة .

أضاخ : ما هو تاريخها؟

... صاحب مجلة « العرب » .

عانتكم بتاريخ الجزيرة كلها تدفعني إلى سؤالكم عن بلدة (أضاخ) التي لا شك أنكم تعرفونها لقربها من بلدتكم ، ففيها آثار تدل على أن لها تاريخها قديماً ، فهل تفصلون بأن توضحوا لقراء مجلتنا الكريمة ما تعرفون منه ؟

أضاخ : محمد بن عبد الله بن سبيل

العرب : تاريخ بلدة أضاخ كتاريخ غيرها من كثير من بلدان قلب الجزيرة لا يجد الباحث عنه سوى معلومات موجزة ، لاتنير الطريق إلى معرفته معرفة تامة . ولا شك أن بلدة أضاخ من أقدم ما هو معروف من قرى عالية نجد ، فقد كانت معمورة قبل الإسلام ، واشتهرت بوجود مصنع للأواني (معدن البرم) إلى زمن غير بعيد .

وكانت معمورة مشهورة في صدر الإسلام ، ففي سنة ٢٣١ ولى الخليفة المأمون العباسي رجلاً من أهلها هو اسحاق بن ابراهيم بن أبي حميصة الأضاحي اليمامة والبحرين وطريق الحج^(١) . ويذكر البلاذري في « فتوح البلدان » أن إسحاق هذا بنى مسجداً جامعاً في الحديقة التي قُتِلَ فيها مسيلمة في عقر بقاء ، بقرب الجبيلة .

وقد تحدث عن ماضي أضاخ الأستاذان الشيخ محمد بن ناصر العبودي في كتاب « بلاد القصيم » والشيخ سعد بن عبد الله بن جنيدل في كتاب « عالية نجد » وهما من أجزاء « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » وسيصدران قريباً عن (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) ونجدها مناسبة طيبة لإتحاف القراء بما كتبه الأستاذ العبودي^(٢) . قال

(١) : « تاريخ ابن جرير » . (٢) بلاد القصيم ١ - ٣٥١ .

أضاخ : بضم الهمزة أوله ، فضاء معجبة مفتوحة ، فألف ، ثم
حاء معجبة آخره : قرية قديمة العمران ، إلا أن عمرانها القديم كان
قد اندثر ، وقد بدأ عمارتها بعض أهل البادية .

وتقع جنوباً من الأثلة شرقاً من نبي مطلع الشمس من دحنة .
وقد يصحح أن يكتب وضاح بالواو وهكذا ذكره ياقوت باللفظين
أضاخ في حرف الألف و(وضاخ) في حرف الواو كما أن العامة تلفظ
به بما يكون صالحاً للفظين .

قال نصر الإسكندي : أضاخ سوق بها بناء وجماعة ناس وهي معدن البرم^(١)
أقول : من شواهد ما ذكره نصر من أن (أضاخ) هي معدن البرم :
جمع برمة بمعنى القدر .. وانها سوق يشتري الأعراب وغيرهم منها
الطرف والحاجات التي يحتاجونها ما ذكره أبو عبيدة من أن بني فقيم
مروا (بأضاخ) فاشتروا براهما - جمع برمة - وطرفاً^(٢) فعدلوا ، فقدموا
بها على أهلهم فقال الفرزدق :

آب الوفد وفد بني فقيم بأخييب ما يؤوب به الوفود
فسأبوا بالبرام معدليها وفاز الجدُّ بالجسد السعيد
وزاحمت الخُصوم بني فقيم بلا جدِّ إذا زحم الجلود^(٣)

وكان في (أضاخ) حرث وعبيد يعملون فيه ممن يتكلمون بغير
العربية مما يدل على ازدهاره قديم ، كما في النص التالي الذي ذكره
صاحب كتاب «المناسك» عن قرة بن جابر من أهل (أضاخ) قال : كنا
ننضح^(٤) على حرث بناحية (أضاخ) ولنا غلام ، ونحن نعمل في
حرثنا ، وكان يلحُّ على رطانة بالزنجية ، حتى روينا ما قال ، ووقف علينا

(١) الأمانة ١٨ - ١ . (٢) طرفاً : جمع طرفة . (٣) النقاظ ج ١ ص ٢١٥ .

(٤) ننضح : أي نسق الماء بمعنى نخرجه من البئر على النواضح وهي السواقي .

زنجي قد استعرب وفهم ، فقلنا له : ما يقول هذا ؟ قال : تفسير الذي يقول :

فقلت لها أني اهتديت لفتية أناخوا بجمعاج قلائص سهما
فقلت : كذاك العاشقون ومن يحف

عيون الأعادي يجعل الليل سلما^(١)

بل كانت (أضاخ) مركزاً للحكم بين المتخاصمين وكان فيها مشايخ يتولون الحكومة في المنازعات ، كما في هذا الشاهد الذي نقله السهمودي حيث قال :

أدنى مياه بني تميم إلى (أضاخ) ماء يقال له أضيخ لبني الهجيم .
وقد دفن منذ دهر ، فقال ناس من بني عبدالله بن عامر لأصهار لهم من بني الهجيم : نحن نستسقي لكم آل عثمان بنفي ، فرغبوا في ذلك فأجابهم آل عثمان ، فاستظمن الهجيميون قومهم إليه فلقبهم رعاء غني ، فسألوهم فقالوا : إن بني عثمان ولونا أمره ، وبلغ الخبر من يليهم من غني ، فتواعدوا أن ينزلوا أدنى منازلهم من نفي ، فاجتمع منهم جمع كثيف ، وعلم بنو الهجيم أنهم إن ثبتوا يعظم البلاء فظعنوا ليلاً إلى بلادهم ، وخاف بعضهم أن يدركوا فتركوا به أرحاء^(٢) وما ثقل ، وبهما في أرباقه^(٣)
يعني العرى التي يشدها البهم ، فغضب أصهار الهجيمين ، واستغضبوا آل عثمان ، فلما قدم الحسن بن زيد المدينة ومعه بعض أصهار الهجيمين فقالوا لآل عثمان : نجيء لكم بخيار ومشايخ (أضاخ) يشهدون لكم فاستعدى آل عثمان الحسن بن زيد على غني ، وسألوه المحاكمة (بأضاخ) لقربها من بني تميم ، ووكل آل عثمان عبدالله بن عمرو بن عنبسة العنابي ،

(١) المناك ص ٢٢١ .

(٢) جمع رعا .

(٣) جمع ربق وهو رباط البهم ، صغار الغنم .

فاجتمعوا عند أبي المطرف عامل الحسن (بأضاخ) وولى الخصومة من غنيّ الحسين بن ثعلبة أحد بني عمرو ... فصار كلما جاء العثماني بشاهد من بني تميم جاءه الغنوي بشاهدين يجرحانه من قيس .. فلحق العثماني بأهله . وهذه الخصومة في سنة إحدى وخمسين ومائة (٢) .

وقال البكري : أضاخ : بضم أوله وبالحاء المعجمة ، على وزن فُعَال قال ابن دريد : هو جبل بالحاء المعجمة ... قال غيره : ويقال في الجبل وضاخ بالواو بدلاً من الهمزة :

أقول : لا يوجد جبال عالية تسمى أضاخ وإنما يوجد صفاة وضاخ وتسميها العامة صفاة وضاخ العليا وهي الجنوبية الغربية وصفاة أضاخ وهي الشرقية الشمالية وهما مرتفعتان كأنهما الجبلان المتطامنان .

قال البكري : قال ابن قتيبة : وجد بدمشق حجر مكتوب فيه : هذا من ضلع (أضاخ) والضلع : الجبل الصغير . ثم أنشد قول الجعدي :
تواعدنا (أضاخهم) صباحا ومنعجهم بأحساء غضاب
فقرن ذكره بذكر منعج الذي هو دخنة ، ولا يبعد عن أضاخ إلا بمسافة ٣٥ كيلا إلى جهة الشمال من أضاخ .

أقول : البيت لطفيّل الغنويّ من قصيدة سيأتي ذكرها .
أقول : ضلع : أضاخ هو الذي يسمى الآن صفاة وضاخ العليا . أو قد يكون هو المسمى (العرف) (١) وهو سنافٌ صخري أحمر متطامن قصير أي مرتفع صخري متقاد الا أن ارتفاعه قليل جداً ، وأعتقد أنه جزء من حزيز أضاخ الذي ذكره المتقدمون وسننقل النصّ في ذلك فيما بعد .

وقال ياقوت : أضاخ : بالضم وآخره خاء معجمة - : من قرى اليمامة

(١) وفاء الوفاء في الكلام على حمى ضرية ، وهو ما نقل عن الهجري كما صرح بذلك في أول الكلام .

(٢) بفتح العين والراء ثم فاء ولعل الأصل فيه إسكان الراء تشبيها بعرى الديك .

لبني نمير . أقول : هذا وهم دفعه إليه كونه قد صار لبني نمير في زمن من الأزمان وظن أنه من بلاد بني نمير التي في اليمامة ودليل كون ما ذكره وهما قوله بعد ذلك : وذكره ابن الفقيه في أعمال المدينة فأعمال المدينة المنورة لم تصل إلى قرى اليمامة كما هو معروف .

أما كونه من أعمال المدينة في وقت من الأوقات فذلك صحيح وواضح لأنه قريب من الحمى حمى ضرية والحمى كان في القرون التالية لظهور الإسلام تابعاً للمدينة : لأنه لم يكن في القصيم مراكز إدارية في ذلك الوقت .

ثم قال ياقوت : وأضاخ : سوق ، وبها بناء ، وجماعة ناس وهي معدن البرم إلى أن قال : وقد نسب الحافظ أبو القاسم إليها محمد بن زكريا أبا غانم النجدي ويقال اليمامي الأضاحي من قرية من قرى اليمامة .

أقول : ظاهر أن السبب في أنه قد يقال له اليمامي إلى جانب نسبه إلى نجد راجع إلى من ظن أن اليمامة ونجد موضع واحد .

وقال الأستاذ حمد الجاسر : أضاخ قرية لا تزال معروفة ، تقع في عالية نجد يدعها المتجه إلى ضرية من بلدة نفاء (نفي) على يساره قال نصر في كتابه وعنه نقل ياقوت : برم : معدن البرم بين ضرية والمدينة ، وهناك (أضاخ) موضع مشهور . كذا قال نصر ، وأضاخ لا يقع بين ضرية والمدينة ، بل يقع شرق ضرية ، ولا يزال معروفاً ، ويظهر أن شهرة هذا المعدن بلغت حداً عظيماً ، بحيث أصبح المنتسب إلى هذه البلدة يكون قد بلغ غاية الذم من الضعة ، كما يفهم من قصة بشار الشاعر مع شخص ينتسب إلى أضاخ^(١) وقال أيضاً : أضاخ كان مضافاً إلى أعمال المدينة عندما كان حمى ضرية تابعاً لها ، أما الآن فهو تابع لإمارة القصيم^(٢) .

(٢) مجلة العرب ٦ م ص ٤٦١ .

(١) مجلة العرب ٢ م ص ٩٩٩ .

أما البرم فقال الأستاذ حمد : البرم - كما يفهم من كلام المتقدمين نوع من الصخور الهشة اللينة ، تصنع منه البرم - جمع برمة ، وهي أواني للطبخ كالتدور ، وقد تتخذ من نوع الطين من وهذه الأواني كانت إلى عهد قريب يستغنى بها عن الأواني المصنوعة من الحديد ، ولا يزال بعضها مستعملاً في بعض جهات الجزيرة (١) .

وقد شهد أوضاع حادثة تاريخية كانت مؤلمة تتجلى فيها القسوة التي كانت طابع الأحداث في زمن الجاهلية وتتلخص في كون نعل لشراجيل بن الأسود الكندي بعد قتله - وجدت في الشربة عنه قوم من بني محارب بن خصفة فكان جزاؤهم أن أحصى لهم صنفاً (أضاخ) بمعنى أنه أوقد فوقه حطباً جزلاً حتى أصبح حامياً وأجبرهم على أن يسيروا فوقه حتى تساقط لحم أقدامهم .

وهذا قول أبي عبيدة في ذلك : ووجد نعل شرحبيل عند أضاخ ، وهو من الشربة في محارب بن خصفة بن قيس عيلان ، وقال : فأحصى لهم الأسود الصفاً التي بصحراء أضاخ ، وقال لهم : إني أحذبكم نعلاً ، فأمشاهم على الصفا المحمى ، فتساقط لحم أقدامهم ، فلما كان الإسلام قتل جوشن الكندي رجلاً من بني محارب ، فأقيد به جوشن بالمدينة وكان الكندي من رهظ عباس بن يزيد الكندي ، فهجا بني محارب فغيرهم بتحريق الأسود أقدامهم ، فقال :

على عهد كسرى نعلتكم ملوكنا صفاً من (أضاخ) حامياً يتلهب (٢)
إلا أن في النص أن أضاخاً من الشربة وهذا مشكل إذ الشربة معروف أنها ما بين خط وادي الرمة ووادي الجرير (الجرير قديماً) حتى يلتقيا

(١) المصدر نفسه ٢٢ ص ٩٩٨ . (٢) الأغاني ج ١١ ص ١١٠ (دار الكتب) .

وأورد المهجري لرجل من نمير وباع ناقة له (بأضاخ) فلما أدخلت
الدرب حنت فشاقه حنينها فقال :

حلفت ميمناً (للوضاخي) بتسلة
لقد راعني ترجيع عجلي^(١) ودونها
من الدرب باب موثق وسقايف
يفغنيك بالأسحار ديك قراقف
أبانين ما غنى الحمام الهواتف
وذي كربة جنبته وهو خائف
فكل المطايا بعد عجلي^(١) ذميمة
قلاندها والمقربات الطرائف^(٢)

ولا نعرف تاريخ هذا الشعر لأننا لو عرفنا تاريخه لأفادنا في معرفة
تاريخ (أضاخ) إذ هو يدل على أن أضاخاً في عهد هذا الشاعر كان قرية
للحاضرة يدل على ذلك قوله : من الدرب باب موثق ،

وقوله : يغنيك بالإسحار ديك النخ والمفهوم لي أنه من شعر القرن
الثالث المهجري إذ سميت ذلك القرن تلوح لي عليه والله أعلم .

ولئن لم نعرف زمن هذا الشاعر الذي ذكر المهجري شعره فإننا
نعرف شعراً أقدم منه عهداً ، وأسير منه ذكراً يدل على أن (أضاخ)
كان في قديم العهد مجتمعاً للناس يشتهر ما يحدث فيه وتنتشر أخباره
في بلاد العرب وبين قبائلها ، وهو شعر أشار إليه الفرزدق من شعراء
القرن الأول وذلك الشعر الذي نشير إليه له قصة نلخصها فيما يلي^(٣) :

كان عمرو بن عمران الصيداوي^(٤) جاراً لِحريّ بن ضمرة فأخذ
رجل يقال له قيس بن حسان بكراً من إبل عمرو ، فضرب حريّ قيس

(١) عجل اسم ناقة المباشرة . (٢) مجلة العرب م ٥ ص ١٠٧٩ - ١٠٨٠ .

(٣) نخصتها من النقائص وهي بكاملها في ج ٢ ص ٩٤٣ - ٩٤٦ .

(٤) الطهوي : نسبة إلى طهية من بني تميم وبني مجاشع وبني نهل أيضاً من تميم .

ابن حسان ضرية بالسيف فقطعت أحد زنديه وأخذ من إبله ثلاثين
بعيراً . فغضب بنو مجاشع أخوال قيس بن حسان ، وقالوا لبني نهشل :
أصحاب حرّي بن ضمرة : إما أن تردوا على قيس إبله ، وإما أن تجعلوا
حرّي بن ضمرة خليعاً ، فجمعوه خليعاً فأخذوه فضربوه (بأضاخ) وأخذوا
من إبله ثلاثين بعيراً . ففي ذلك وقال شماس الطهوي ^(١) :

يا وِجَحَ حَرَّيْ عَلَيْنَا وَرَهْطَهُ بِيْطُنْ (أضاخ) إِذْ يُجْرُ وَيَسْحَبُ
قَضَاءَ لِنَوَاسٍ بِمَا الْحَقُّ غَيْرُهُ كَذَلِكَ يَخْزُوكَ الْعَزِيزُ الْمُدْرَبُ
فَادَّ إِلَى قَيْسِ بْنِ حَسَانَ ذَوْدَهُ وَمَا نَيْلُ مَنْكَ التَّمْرُ أَوْ هُوَ أَطِيبٌ ^(٢)

والدليل على شهرة (أضاخ) أن جيلة الهضبة العالية المشهورة التي
وقع فيها يوم جيلة قد عرفها بعضهم بأضاخ قال البكري : جيلة :
مفتوح الثلاث : جبل ضخيم على مقربة من أضاخ .

أقول : تقع جيلة في جهة الجنوب الغربي من (أضاخ) بينهما
مسافة ٥٥ كيلا وهي ترى من أضاخ إذا كان الجو صافياً رغم بعد
المسافة بينهما ، لأن جيلة عالية وهي في أرض مرتفعة .

ولشهرة (أضاخ) أيضاً حددت بعض الأماكن والطرق بقربها منه ،
أو بعدها عنه أو انطلاقها من جهته كما قال البكري في مياه ثلاثة شرق
جيلة : وماء آخر عال لبني نعيم يقال له سقام على طريق (أضاخ) إلى
مكة وإلى ضرية ، بينه وبين (أضاخ) ثمانية أميال ، (وأضاخ) كانت
الحد بين قيس و نعيم وأضاخ قيسية ^(٣) .

وقال في الكلام على حمى ضرية : وبين نفاء وبين (أضاخ) نحو من

(١) يهان أضاخ وهو شعيب أضاخ والنقريه الآن إلى الجنوب منه .

(٢) يريد أنه حاول على النفس كما أن التمر حلو طيب للأكل .

(٣) رسم : « جيلة » .

خمسة عشر ميلا وابنتى عمال عثمان عند العين قصرأ يسكنونه وهو بين
(أضاخ) وجبله قريباً من واردات .

أقول : قست المسافة بين نَفء الذي يسمى الآن (نفي) ويأتى ذكره
في حرف التون إن شاء الله - وأضاخ فإذا هي ٢٧ كيلا .

وفي الكلام على (قاع الخرما وخريمان) الذي كان يسمى في
القديم (قاع القمرا) قال البكري : فيفضي - يعني وادي الرشا الذي
كان يسمى قديماً بالتسرير - إلى قاع القمرا ... وبين هذا القاع وبين
(أضاخ) خمسة عشر ميلا . وإنما يرد التسرير - يعني وادي الرشا - العقار -
وهو جبل رمل عظيم - يعني بذلك رمل الشقيقة - عرضه ثمانية أميال
وهو على طريق أهل (أضاخ) إلى النجاج ^(١) والنجاج هو الأسياح كما
تقدم قريباً ، والمسافة بين أضاخ وبين قاع الخرما حوالي ٢٧ كيلا أى
كما ذكره البكري .

وكذلك عُرِف موضع (منعج) ^(٢) الذي هو دخنة في الوقت الحاضر
بأنه واد خارج عن الحمى ، في ناحية دار غني ، بين (أضاخ) وإمرة ^(٣) .

أقول : هذا هو الواقع لأن وادي دُخنة هو بين أضاخ وإمرة .
والرجام - الجبل القريب جداً من جبل طخفة المشهور وهو الذي
تغير اسمه فأصبح يسمى (الشعب) قد وصف بأنه جبل مستطيل في
الأرض بناحية طخفة ليس بينه وبينها إلا طريق يدعى العرج ^(٤) وهو
طريق أهل (أضاخ) إلى ضرية .

(١) البكري رسم « ضرية » ص ٨٧٢ .

(٢) سيأتى الكلام عليه في رسم « ملنج » في حرف الميم .

(٣) البكري ص ٨٧٦ . (٤) البكري ص ٨٧٧ .

(٥) كذا فيه واعتقد أنه صحته العرج ، من الانفراج .

وذكر الأصمعي الرئيس ثم الإراطة وقال : بينها وبين (أضاخ) ليلة . نقله عنه ياقوت في رسم (أضاخ) .

بل إن شهرة (أضاخ) تعدت كتب معاجم البلدان إلى كتب اللغة الأخرى كما في قول أبي حاتم - السجستاني - : حَجَرُ اليَمامة ^(١) يذُكَّرُ ويؤنَّثُ وَقَلَجٌ مُذَكَّرٌ على كل حال . وعمان : الغالب عليها التانيث ، وقباء ^(٢) و (أضاخ) يذكران ويؤنثان ^(٣) .
متى خرب (أضاخ) ؟ :

هذه النصوص الكثيرة المتعددة تدل كلها على عمارة قديمة بل ازدهار اقتصادي وعمراني في (أضاخ) إلا أننا نعرف أنه دثر وبار بعد ذلك ، ومع أسفنا الشديد أننا لا نعرف متى كان ذلك لأن الغموض بل الظلام قد أحاط بتاريخ هذه المنطقة من الجزيرة العربية في خلال العصور الوسيطة .

ولكن النصين اللذين سنوردهما فيما بعد عن ابن فضل الله وعن ابن بسام - ولا أدري مصدر ابن بسام في نقله ذلك - يدلان على أن أضاخ كان قد دثر وبار قبل القرن الثامن الهجري لأن العبارات التي وردت فيهما تدل على ذلك ولا تقال عادة إلا في المواضع التي هي موارد للبادية أو ليس فيها عمران حضاري مزدهر . وإن لم يكن ذلك نصاً صريحاً فيها .
قال ابن بسام في حوادث سنة ٨٦٠ (ستين وثمانمائة) :

في هذه السنة تناوخوا ^(٤) عنزة والظفير على (وضاخ) ورؤساء

(١) هي مدينة الرياض القديمة ، راجع كتاب « مدينة الرياض عبر التاريخ » للشيخ خدام الحاسر

(٢) البكري ص ١٤٠٦ . (٣) قبا : هي التي يقرب المدينة المنورة .

(٤) هكذا كان ابن بسام رحمه الله يستعمل كثيراً لفظ (أكلوني البراغيث) وهي لغة ضعيفة .

لكنها فصحة .

عنزة إذ ذاك مصلط بن وضيحان ، وملحى بن ضيغم بن شعلان ، وصنيتان
ابن بكر ، ورئيس الظفير حينئذ صقر بن راشد بن صويط ومع الظفير
بنو حسين .

وأقاموا في مناخهم ذلك تسعة أيام كل يوم يغادون القتال ويرأوحونه
طراداً على الخيل ، وكان ابن صويط قد أرسل إلى بوادي حرب يستنجدهم
فأتى إليه عبدالله بن سالم بن مضيان ومناحي آل غرم (؟) ومن تبعهما
من بوادي حرب ، فلما علم بذلك عنزة خافوا من الهزيمة فقدموا إليهم
وأغذاهم مع الرعاة من أول الليل ، فلما أصبحوا مشى بعضهم على بعض
واقتملوا فصارت الهزيمة على عنزة ، وتركوا ما ثقل من بيوتهم وأمتعتهم :
فغنمها الظفير وأتباعهم^(١) .

وذكر ابن فضل الله (أضاحا) في منازل بني خالد في زمنه القرن الثامن
الهجري فقال : خالد ودارها التثومة ، وضيده ، وأبو اليدان (أبالدود)
والقريع (القرعا) وضارج والكواراة (القواراة) والنبوان (الصوال) إلى
ساق العرفة (ساق الجوا) إلى الرسوس (الرس والرسيس) وموضع
أو مواضع حولهما) إلى عنيزة ، إلى وضاح إلى جبلة^(٢) .

ولكننا إذا كنا نجهل تفصيل ذلك فإن الآثار التي في (أضاح)
تدلنا على أن الذين وصفوا الحضارة التي كانت مزدهرة وذكروا صناعته
الواسعة إنما كانوا مقتصدين في ذلك .

فقد زرته في أول عام ١٣٩٨ هـ لمشاهدة آثاره وكان معي الأستاذ
صالح بن سليمان العمري والأخ عبدالله بن إبراهيم بن حماد الباهلي من
الباهليين سكان قرية الأثلة المجاورة له .

(١) نزهة المشتاق ١٠-١ .

(٢) مسالك الأبصار ٤ ورقة ٩١ ونقل العبارة منه معرفة في قلائد العيان ص ٨٩ .

فتفقدنا آثار البلدة القديمة التي تسميها العامة الآن بالمنزلة أي الحلة ويريدون بذلك أنها التي كانت مسكونة في القديم وهي تبعد عن هجرة (أصاخ) حوالي ٤ أكيال جهة الشمال الغربي .

فوجدنا فيها آثاراً قديمة كثيرة ، منها قطع متناثرة بشكل غزير من الزجاج الأسود والأبيض والأزرق والأخضر ، ومنه عنق زجاجة كاملة وذلك من نوع الزجاج القديم الذي يوجد بعضه في المتاحف ، ومعروف أنه من مخلفات القرون الإسلامية الوسيطة كالقرنين الثالث والرابع .

كما وجدنا لبنا كثيراً من الفخار الأحمر وكسراً من الفخار الملون المتعدد الألوان مما يجزم أنه كان من بقايا آنية للشرب أو للأكل قديمة ، وهناك جص كثير قوي من مخلفات البناء القديم بعضه ربطت به حجارة البناء .

كما وجدنا نصف رحا صغيرة ويدل شكلها على أنها كانت لم تستعمل كثيراً إلا أن ذلك هو النصف الأسفل من الرحا الذي لا يسرع إليه التآكل من الاستعمال كما يسرع إلى النصف الأعلى .

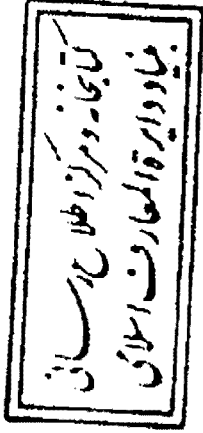
أما معادن البرم ومصانعه فان بقاياها ظاهرة بل هي مدهشة .

إذ الحفائر لا يزال بعضها باقياً تتجمع فيه مياه الأمطار ، ولم تتم السنون طمره حتى الآن ، وهناك خنادق محفورة تحت الأرض مطوي بعضها بالحجارة طياً مما لا يدع مجالاً للشك بأنها كانت مناجم قديمة وقد أخبرني الأخ عبدالله الحماد أنهم وجدوا فيها برماً كاملة وأن أهل الأتلة لا يزالون يجدون فيها مثل ذلك عند البحث .

وهناك آثار رماد كثيرة ربما كان من آثار مطابخ البرم أي الطين الذي يستعمل في صناعة البرم وهي الأواني الفخارية . ويوجد بقربها

بقايا أكوام من الرماد الذي في بعضه عظام قد اسودت ولم تحترق تماماً مما يدل على أنهم كانوا يستعملون بعض عظام الماشية في حرق الفخار توفيراً للحطب أو مع الحطب لغرض غير ذلك .

أما ما يتعلق بآثار القصور والمسكن والحوانيت التي ذكرها الأقدمون فإنها لا تزال واضحة وإن لم تكن قائمة ، ولا يمكن التمييز بينها بالطبع إلا لأناس مختصين ومزودين بالأجهزة اللازمة للحفر وللحفص ، ولكن هنالك قصور واسعة أساساتها بالحجارة ، ومنها آثار مسجد كبير في غربي الجنوب من المنزلة مبني بحجارة قد وضعت على جهتي الجدار وعلى ما بينها بالحجارة الصغيرة والطين .



هذا إلى جانب آثار بعض البيوت الطينية والفخارية التي بقيت على وجه الأرض .

وهناك بقايا مقبرة كبيرة قديمة ظهرت بعض بقايا العظام فيها لأن أهل الأتلة كانوا يأخذون في بعض الأحيان سهاداً من مخلفات هذه المنزلة التي هي مدينة (أضاخ) القديمة للزرع ، فلا يفرقون بين بقايا نفايات المناجم وبقايا المقابر لأنها كلها قد درست في رأي العين التي تنظر إليها من وجه الأرض .

وأكثر عظام القبور قد اسودت ولم أر فيها جثثاً متميزة وهذا طبيعي بسبب سوء جرفها بالحفر وبسبب القدم .

والواقع أن مشاهدة آثار (أضاخ) تقنع المرء بأنه قد شهد مدينة أوسع وأرقى مما كان يظنه من يقرأ النصوص القديمة فيه لأول وهلة .

العدد ٢٥٥
٢٥ ريلاً الألفية و ٧٥ ريلاً ألفاً
١٩٧٩ م : يتفق عليها مع الإدارة
شعبان ١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩ م

العرب

مجلة شهرية تعنى بتاريخ العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها، محمد الجاسر

العدد ٢٥٥
دار الجامعة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هانت ٢٢٩١٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ١٠ و ٩ س ١٣ - الربيعان ١٣٩٩ هـ - آذار / نيسان (مارس / ابريل ١٩٧٩) م

مِنْ ذِكْرِيَاثِ الرِّحَلَاتِ

- ٣ -

وحدثت الحرب العالمية الثانية : وكنت في القاهرة ، في البعثة العلمية السعودية : في كلية الآداب ، وكان من جراء حلوث تلك الحرب عودة البعثة إلى المملكة ، وحين وصولي إلى مكة أشار علي الصديق الأستاذ الشيخ عبدالله الخيال أن ننزل في ضيافة الأمير فيصل رحمه الله ، وكان الأستاذ الخيال قد عمل في إحدى شعب ديوان سموه ، فكان أن أنزلنا في الضيافة العامة ، بينما أنزل زملاؤنا من أعضاء البعثة في (فندق بنك مصر) حتى عاد كل واحد منهم إلى بلدته ، وكانت عودتي مع زميلي في إحدى سيارات البريد إلى الرياض ، والوصول قبل فجر اليوم العاشر من رمضان سنة ١٣٥٨ هـ ، ومبيني تلك الليلة في حوش في محلة القرى يدعى (حوش البرقية) حتى الصباح ، حيث ذهبت إلى القصر فسجلت ضمن ضيوف الملك ، وكان النزول في الضيافة الممتازة ، أما صاحبي فنزل في بيته عند أهله ، وقد أمضيت في مدينة الرياض أحد عشر يوماً حدث لي في أثناءها ما لم يكن في الحسبان ، فقد نقلت إلى ضيافة أخرى لأسباب لا داعي لذكرها ، ولكنني بشفاعة الشيخ محمد بن ابراهيم رحمه الله نجوت ، فقادرت الرياض متوجهاً إلى الأحساء .

كان بيني وبين الشيخ محمد علي النحاس - رحمه الله - مدير مدرسة الأحساء صداقة ، فقد شاركته العمل حينما كان مديراً للمدرسة ينبع ، ثم حلت محلّه ، وتنقلت به الأحوال حتى صار مديراً للمدرسة الأحساء ، وكان قد اقترض مني مبلغاً من المال لما كان في ينبع ، أصبحت بحاجة إليه ، فكان هذا من دواعي السفر إلى تلك البلاد ، ولقيت في الرحلة إليها كثيراً من المشقة ، إذ لا عهد لي بركوب الإبل منذ زمن ، وكانت الرحلة قَعُوداً صَعْباً ، مع رجل من أهل بلدة الزُّنْفِي يدعى ابن بَرَجَس ، وكان إصلاح حالة قعوده أحبّ إليه من ارتياح صاحبه الذي كان طيلة الرحلة لا يسميه إلا باسم (محمد الحجازي) أو (المُلأ) وكان علي الحجازيُّ هذا - وهو أنا - بعد أن يتعب من مشقة السير على القدم . ويحين وقت النزول أن يتولّى إعداد الطعام لأن صاحبه ابن برجس لا يهमे إلا أن يجد شيئاً يُوسِّكَلُ مهما كانت درجته من النظافة : (ما أَنبَتَ الوَادِي ، وما حَسَّ المَحَسَّر) بخلاف صاحبه الذي كان حديث عهد بحياة فيها شيءٌ من اللين والرفاهية .

كان الوصول إلى بلدة الأحساء ، ثم الاشتغال في التعليم في مدرستها بضعة شهور ، اضطرت بعدها لترك العمل ، ومع قِصَرِ الزمن الذي أمضيته في هذه البلاد ، فقد كان ذا أثر عميق في نفسي ، فقد عرفت كثيراً من أهلها ، وامتدت الصلة بيني وبين كثير من تلاميذي في المدرسة إلى هذا العهد ، وحاول كثير من وجهاء أهل البلاد بقائي في المدرسة ولكنني لم أستجب لذلك .

وكنت اتفقت مع وجل يدعى ابن ماجد ، يجيد اللغة الانجليزية

على فتح مدرسة خاصة ، وضعنا لها منهجاً ، وتقدمنا بطلب إلى أمير البلاد ليسمح لنا بفتحها ، فلم تتحقق رغبتنا بعد طوال الانتظار .
وكانت العودة إلى مكة المكرمة ، حيث عملت في التعليم مدرساً في المعهد وتحضير البعثات .

و ذات يوم دعاني وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان ، وعرض عليّ فكرة الإشراف على تعليم أبنائه وإنشاء مدرسة خاصة بهم وبأتباعهم ، إذ كانوا في ذلك الوقت يدرسون مع أبناء عمهم حمد السليمان وكيل وزارة المالية ، في مدرسة يديرها الشيخ محمود مرزا رحمه الله ، فقبلت العمل وأنشأت المدرسة ، وكانت متنقلة بين مكة ، والخرج ، والطائف وجملة نحو ثلاث سنوات .

ثم كانت الرحلة الثانية إلى المنطقة الشرقية ، كنت مساء يوم من أيام ذي القعدة سنة ١٣٦٣ في زيارة صهري الكريم الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله العنقري رحمه الله ، في بلدة الطائف ، وكان إذ ذاك يشرف على الشؤون الخاصة بالأمير فيصل ، فما شعرنا إلا بالشيخ صالح العباد رئيس ديوان سمو الأمير يدخل ، ويعد أن استقر به المجلس سأل الشيخ عبد العزيز عني وكان لا يعرفني فعرفه بي ، فقال لي : إن سمو الأمير يريد أن يراك غداً الساعة الخامسة ، فأفهمته أنني موظف أتولى إدارة (المدرسة الوزيرية) مدرسة أبناء عبد الله السليمان ، ولا أستطيع في ذلك الوقت ترك عملي قبل الساعة السابعة ، فكان أن وافق على هذا الوقت ، وأن آتبه فيه في الديوان .

وكانت مقابلة الأمير فأخبرني أن الملك أمر بأن أتوجه إلى الرياض ولما استوضحت من سموه عن الغاية ، قال : قد تقرر فتح مكتب

في الظهران لمراقبة مدارس أنشأتها الشركة والإشراف على المطبوعات التي ترد لها ، وملاحظة بعض أمور أخرى ، ولما أفهمت سموه أن الأمر يتطلب إجادة اللغة الانجليزية ، وأنا لا أعرف شيئاً منها ، قال : أنت ستكون رئيساً لهذا المكتب ، وتختار الموظفين الذين فيهم كفاءة ، فوعدت سموه بأنني غداً سأحضر وأوضح لسموه ما يستقر عليه رأيي ، لأن الأمر بالنسبة لي يتطلب التفكير .

كنت لم أستحسن البتة في الأمر قبل إخبار الشيخ عبدالله السليمان الذي أشرف على تعليم أبنائه ، وكان قد أظهر لي رغبته في بعث بعضهم إلى مصر ، وأنه يود أن أسافر معهم ، وكنت متردداً ، فلما أخبرته بمقابلي لسمو الأمير قال : أنا سأبرق الآن للملك ، وأطلب بقاءك ، غير أنني قلت له : أنا أفضل الاستجابة للأمر ، ومن الممكن أن تجدوا من يحل محلي ، فكان ذلك .

وكان السفر إلى الرياض في سيارة البريد ، والرفيق هو الأستاذ عبدالله بن عبد الرحمن الملحق ، الذي طلبت من سمو الأمير أن يذهب معي ، فوافق ، وأمرني بإبلاغه ذلك ، فوافق هو أيضاً . والوصول إلى الرياض في اليوم الرابع ، وكان أول ذي الحجة سنة ١٣٦٣ .

وفي صبيحة يوم وصولنا إلى الرياض كان السلام على جلالة الملك ، وكان استقبالاً حسناً ، وبدأ رحمه الله - الحديث بقوله : الشيخ ابراهيم ابن جاسر - الله يغفر له - عالم زاهد ، كاف عن الناس ، ولكن أهل الشر ما يخلون أحد . واسترسل في الثناء على الشيخ حتى قلت : ما بيني وبينه صلة إلا بالآسم ، ونجتمع في (آدم) أنا من الكتمة من بني علي من حرب وهو لا أعرف نسبه . فقال : الله يرحمه ! الله يرحمه !! وسكت .

وبعد خروجي قال لي ابن جبيعة : ليتك ما استعجلت بالكلام . وفي صبيحة اليوم الثاني دُعيتُ إلى الديوان ، وأُخبرت بأن الملك أمر بتوجهي إلى الخرج ، فكان ذلك أنا وصاحبي ، وأنزلنا في بيت واسع ، وفي المساء أنزل معنا فيه قاضي الرياض الشيخ سعود بن رشود رحمه الله ، وكان من خيرة من عرفت من العلماء ، خُلُقاً ، وَعَقْلاً ، ورحابة صدر ، ورغبةً في المباحث الأدبية .

وفي صباح اليوم الثاني دُعينا لمقابلة الملك في الشعبة السياسية ، وكان الحضور ثلاثة من رجال الخاصة منهم رشدي ملحص ، وبشير السعداوي ، ونسيت الثالث . وكانت مقابلة كريمة . وقد روى الأستاذ خير الدين الزركلي رحمه الله أن أحد الإخوة لما استقرُّ بنا الجلوس نهض واقفاً وقال : أستاذن جلالكم بالقاه قصيدة ، فأجاب جلالته (ما يخالف) فابتدأ صاحبنا قصيدته بصوت جهوري :

أنتَ آمأنا وفيك الرجاء .

فقاطعه الملك بحدة قائلاً : الله وحده هو الذي يرزجني ، وأمره بالجلوس ، ووجه إليَّ الكلام قائلاً ما معناه : لماذا لم تعلم صاحبك التوحيد ؟ فأردت أن أعتذر عنه قائلاً : إن بعد هذا البيت ما يوضح المقصود منه ، ولكن جلالته كان متأثراً فلم يقبل هذا . والواقع أنني ما كنت أعرف شيئاً عن هذه القصيدة ، قبل سماعي مطلعها ، ومحاولة الاعتذار عن صاحبي .

وتمَّ ترتيب السفر إلى الظهران من الخرج عن طريق الأحساء ،

حيث كان النزول على الأمير سعود بن جلوي ، وتقديم كتاب له من الملك عن العمل الذي سنقوم به في الظهران ، ولم تزد الإقامة في مدينة الأحساء على يوم واحد ، كان السفر فيه بعد العصر بعد تناول العشاء مع الأمير ابن جلوي ، وكان الوصول إلى الظهران في الساعة الخامسة ليلاً ، وفيه كان المبيت .

وفي الصباح كان المرور بمدينة الخُبر ، حيث كانت إذ ذاك مقرَّ الإمارة ، والأمير هو محمد بن عبد العزيز بن ماضي . وكان ممثل الحكومة لدى الشركة السيد سامي كتيبي وكان يقيم في الدمام ، وبه كان اتصالنا لتنظيم شؤون العمل ، وكان رجلاً فاضلاً ، ذا أدبٍ جَمِّ .

امتدت الإقامة في الظهران ما يقرب من خمس سنوات . وما كان العمل فيها منتظماً ، فقد كان في أول الأمر مرتبطاً بالشعبة السياسية بدبوان جلالة الملك ، ثم أصبح تتنازعه جهات أخرى منها (مديرية المعارف) وإمارة المنطقة .

وأذكر أنني كتبت تقريراً مطولاً عن حالة التعليم في مدارس الشركة ، وعن بعض الأمور الأخرى ، وأشارت إلى ضرورة ربط جميع شؤون التعليم بإدارة المعارف ، وربط الإشراف على أمور المطبوعات برئاسة القضاة التي تشرف على هذا العمل في جميع أنحاء المملكة ، ولما قرىء التقرير ملخصاً على الملك عبد العزيز رحمه الله استحسنته ، فاستدعيت إلى الرياض : وكان الأمير خالد السديري قد عُيِّن في تلك الأيام أميراً للدمام ، فصدر الأمر بأن أسافر معه ، وأبلغ الشيخ يوسف ياسين ، وكان من المقرر سفره مع الأمير خالد السديري ، وأبلغ بشأن ذلك التقرير : ولكن بعد الوصول إلى الدمام

جرت الأمور خلاف ذلك ، مما اضطرني بعد نقاش طويل بيني وبين الشيخ يوسف ياسين إلى أن أرسل برقية للملك ، أطلب إقالي متعللاً بضعف صحي ، وعدم قدرتي على القيام بالعمل ، فلم أشعر في اليوم السابع إلا بالشيخ إبراهيم الشؤري ، وكان إذذاك يعمل مستشاراً للأمير خالد السديري يأتي إلي من الدمام ، وكنت أقيم في الخبر ، فيطلعني على برقية من الملك إلى الأمير خالد السديري مضمونها : (خيروا فلان بين أحد أمرين الاستمرار في عمله أو أدخلوه الحبس وأخبرونا) .

فاخترت الأمر الأول لاسيما والعمل لا يتطلب مني المواظبة ، وإنما هو إشراف عام لا ضابط له ، ولست مسؤولاً أمام أحد ، فأمضيت سنوات في تلك البلاد ، ولم تطل مدة إقامة الأمير خالد السديري^(١) فقد أسندت إمارة الجهة كلها إلى الأمير سعود بن عبد الله بن جلوي ، فعين أخاه الأمير عبد المحسن أول الأمر ، ثم أصبحت الدمام قاعدة لإمارة المنطقة ، فانتقل إليها الأمير سعود .

سار الأمير سعود في إدارة كثير من أمور المنطقة بحل جميع ما ينشأ من المشكلات بطريقة تكليف هيئة تدرس المشكلة وتقرر ما تراه ، ثم تقدم التقرير لسموه . وعلى ضوءه يتخذ ما يراه .

و كنت كثيراً ما أُنذِبُ من بين أعضاء تلك الهيئة التي كانت كثيرة التنقل بين مدن المنطقة وقراها ، كل ما حدث ما يستدعي ذلك .

(للحديث صلة) . حمد الحامر

(١) كان خالد - رحمه الله - من خيرة الرجال ، خلقاً وأدباً ومروءة ، وقد تنقل في طائف الدولة حتى توفي في محرم ١٣٩٩ وهو أمير على بلاد نجران .

منازل القبائل العربية القديمة في منطقة القصيم

(وهذا أحد مباحث كتاب « بلاد القصيم » من مقدمته الضافية التي قدمت مجلة « العرب »
لقراءتها فصولاً منها)

نقصد بالقصيم هنا منطقة القصيم الإدارية أي : كل ما هو داخل
إدارياً تحت منطقة القصيم كما سبق وسوف نذكر منازل العرب القدماء
التي ذكرها العلماء أو البلدانيون الإسلاميون .

ومما هو جدير بالملاحظة بل التذكّر دائماً أنهم يقولون : إن الماء الفلاني
لبنى فلان أو أن جبل كذا واقع في ديار بني فلان وإنما يريدون بذلك
في الأغلب الأعم وعلى القاعدة المتبعة ديار أولئك القوم عندما ظهر الإسلام
وسطعت شمسُه على جزيرة العرب .

وإلا فإن القبائل العربية في تحرك دائم شأن غيرها من القبائل
بل إن ظهور الإسلام وانتشار الفتوحات ساعد على تحول العرب عن
بلادهم إلى بلاد أخرى إما في عواصم الإسلام ، أو في البلاد التي فتحت
زمن الخلفاء الراشدين ، أو في البعوث التي استمرت بذلك في حمل
رسالة الإسلام فاتحة متقدمة ، فاستوطن العرب في تلك البلاد يعلمون
الناس الخير ، ويواصلون الجهاد في سبيل الله .

ولذلك نجد كثيراً من القبائل لا يوجد منهم في جزيرة العرب حسب
ما يعرفه الناس اليوم أحد مثل بني أسد وبني كلاب بل لا يوجد أحد
من يدعى أن نسبه يتصل بنسبهم .

كما أن بعض القبائل العربية لا يوجد منها في البدو أحد بل تحضر جميع أفرادها المعروفين في الجزيرة العربية مثل بني تميم .

وهذا شيء طبيعي لأن المدة التي تفصل بيننا وبين بدء تدوين التاريخ العربي الإسلامي هي ١٣ قرناً .

لذلك لا عجب أن نعرف أن بعض الجهات تداولت سكنها على مر العصور قبائل شتى .

إلا أننا بحاجة ماسة إلى ضابط يضبط لنا مواقع البلدان التي تتشابه أسماءها أو التي لم يميزها الاخباريون والبلدانيون الأولون بتمييز واضح .

وبخاصة إذا عرفنا أن أوائل الذين وصلت إلينا كتبهم منذ بدء عصر الطباعة إلى وقت قريب من أولئك البلدانيين ، إنما ألفوا كتبهم على طريقة المعاجم وعلى رأسهم العلامة الموهوب ياقوت الحموي رحمه الله .

ومعلوم أن تلك الطريقة تجعل المرء ينتقل من ذكر مكان في غرب الجزيرة إلى مكان آخر في شرقها . وتلك طريقة مفيدة للباحثين والمراجعين ولكنها تحتاج إلى تحلية الرسم المذكور بحلي واضحة محددة كوصفه بالنسبة إلى ناحية معينة معروفة أو ذكر قربه أو بعده من مدينة مشهورة أو واد مذكور ، أو جبل لا يلبس اسمه بغيره .

ولكنهم هم أنفسهم أناس غرباء عن الجزيرة وجُلُّهم إن لم يكونوا كلهم لم يزوروا الجزيرة العربية أصلاً ، وإنما نقلوا ما وجدوه عنها من معلومات نقلاً وجمعوه من بطون الكتب جمعاً ، وقد تكون تلك المعلومات غير كافية ولا وافية ، ولكنهم لا يستطيعون استيفاءها من معلوماتهم

الخاصة ، لذلك جاءت النعوت التي خلعوها على بعض الأماكن ناقصة عن المطلوب .

وما من منصف يلومهم على ذلك ، بل إنهم يستحقون على عملهم الشكر الجزيل . إذ لولا جهودهم تلك وبالأخص جهود ياقوت الحموي رحمه الله - لضاعفت ثروة عظيمة من المعلومات عن أنحاء جزيرتنا العربية . وعن المنطقة التي نتحدث عنها بوجه خاص فننصر الله وجهه ، وجزاه عنا خير الجزاء .

إلى أن قبض الله أستاذنا البحاث الضليح الشيخ حمد الجاسر فنصّب نفسه ، وحبّس وقته لنشر كتب ألفت أعضاء قوية على كثير من غوامض الأمكنة . وزاد أعضاؤها سطوعا ما علقه عليها من فوائد جمّة ، وفرائد قلّند لا تقدر بثمن ، وناهيك بكتاب «بلاد العرب» للغدة الاصفهاني «وكتاب المناسك» المنسوب لأبي إسحق الحربي ، و«المغانم المطابة» للفيروزآبادي و«أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع» .

تلك الكتب ألفت أعضاء على مواقع مسميات لم تكن نعرف عنها أشياء كثيرة لولاها .

من تلك الكتب من ذكر بلاد القبيلة بما نشتمل عليه من مياه وجبال ووديان وقيعان وقور ونحوها مثل «بلاد العرب» .

ومنها من ذكر طرق الحج إلى مكة المكرمة وعرف الأماكن التي تمر عليها ككتاب المناسك لأبي إسحاق الحربي .

فجز الله أستاذنا حمد الجاسر على جهوده تلك خير الجزاء . فلقد أصبح بذلك ياقوت الجزيرة العربية في هذا العصر .

وفي كل هذه الكتب وغيرها من الكتب والمراجع القديمة لا نستطيع أن نعرف المكان معرفة صحيحة إلا إذا عرفنا القبيلة الذي يقع في بلادها .

لذلك لأمفر من اتخاذ قولنا : إنه واقع في بلاد بني فلان قاعدة مع تذكرنا أن المراد بذلك أنه عند ظهور الإسلام - وبمعنى أدق عند بدء التدوين - كانت تلك القبيلة تسكنه أو تسكن الناحية التي تشمل عليه . إن البحث العلمي يوجب علينا أن نذكر منازل القبائل العربية في المنطقة التي هي مدار بحثنا وهي الداخلة في الحدود الإدارية لمنطقة القصيم . وأن نتبع التسلسل التاريخي لذلك مبتدئين من ظهور الإسلام حتى يومنا هذا .

ولكن الذي يقف عقبة في طريقنا إلى هذه الغاية وهي عقبة لا يمكن تجاوزها هو انعدام المعلومات عن منطقتنا خلال عدة قرون يصح بحق أن نسميها عصور الظلام ولانتعدى الحقيقة قيد شعرة . إذا أطلقنا عليها ذلك .

ففي تلك العصور ظلام فكري ران على تلك المنطقة . وأهلها القليلون ممن يبقون فيها فترة حتى ينتهياً لهم أسباب الهجرة والانتشار منها إلى البلاد المجاورة وبخاصة في الهلال الخصب - عادوا إلى حالة الجاهلية الأولى الأ أن الفرق بين حالتهم تلك وحالة الجاهلية الأولى كان شيئاً مفرجاً مؤملاً لنا حقاً ذلك بأن المؤرخين الإسلاميين كانوا يتلقفون أي خبر عند الجاهلية الأولى فيبادرون إلى روايته ثم تدوينه .

أما في جاهلية العصور الوسطى المظلمة في جزيرة العرب فإن المؤرخين

المسلمين قد تجاهلوا إلى درجة تشعر الباحث المنتقب أنه قد استقر في أذهانهم أن الجزيرة العربية قد انتهت دورها في حياة الأمة الإسلامية ، وأن أهلها لن يعود لهم من الأهمية بعض ما كان لأسلافهم .

إن عملهم ذلك قد يكون له ما يبرره من جهة أن لغة أهل الجزيرة وهي التي كانت اللغة الفصحى المثلى قد فسدت ، وأن أذهان أهلها وهم الذين كانوا في الصدر الأول حملة الإسلام قد جمدت . لأن الجهل قد عم فيها وطم ، وما في الجزيرة العربية - بعد - من ثروة يتنافس فيها المتنافسون ، ولا من خراج يطمع به الطامعون .

ولكننا من جهة أخرى لانعذرهم بل إننا نلومهم على إهمال الأم الكبرى من العناية ، وترك المنبع الأصلي تتأصل فيه الرواسب وتملؤه الشوائب . وإذا كانوا لا يجدون فيها اللغة الفصحى ، فليدونوا لنا إذن أية لغة كانت لغة الجزيرة في تلك العصور ، وما هي درجة الفساد المذكور وما هي تصاريف لغتهم ، وحالة بلادهم .

ولكن الواقع أنهم هم في الحواضر الإسلامية في تلك العصور بدأت حماستهم لتدوين الجديد تفتت ، وطموحهم للابتكار يتلاشى .

بقي أن نحدد تلك العصور الوسطى المظلمة ، في جزيرة العرب التي عينناها في إشارتنا هذه وإن كانت لائخني على كل مشتغل بالبحث ، أو معني بالتاريخ .

فنقول: إنها من إنقضاء القرن الرابع الهجري حتى انقضاء القرن الحادي عشر ، إنها سبعة قرون مظلمة حقاً .

والغريب في الأمر أن الذين دونوا أحوال بعض البلدان في الجزيرة
في تلك القرون كانت ينقلون عن أناس كتبوا معلوماتهم قبل تلك
الفترة ، أي : قبل انقضاء القرن الرابع الهجري .

فياقوت - على سبيل المثال - ينقل معلوماته جلها عن كتب قديمة
ولانجد في كتابه من المعلومات الحية أي التي حصل عليها بنفسه أو عن
شخص معاصر أخبر بها إلا أقل القليل مع أنه لن يعدم في الحواضر
الإسلامية القريبة من الجزيرة كالعراق والشام من يحصل منه على
معلومات تكون مفيدة بل نفيسة ثمينة لنا نحن الذين جئنا نقرأ كتابه
بعد تأليفه بثمانية قرون .

وكل مانجده من أخبار هذه المنطقة في العصور المظلمة إنما هي
لمحات خافتة لانغني شيئاً إلا كما يغني ضوء براءة في ليل بهم في صحراء
واسعة .

ومع ذلك فسوف نحرض على تدوينها بحذافيرها إن شاء الله .

إن تلك المنطقة والحدود الإدارية لمقاطعة القصيم كانت تشتمل في
القديم على منازل أربع عشرة قبيلة عربية .

وهذا بيانها تاركين بيان مراجعنا فيها إلى ما سيراه القارىء إن شاء
الله موضحاً في رسوم تلك الأماكن في تضاعيف الكتاب موضحين هنا
فروع القبيلة إذا كانت لها منازل خاصة دون سائر القبيلة .

بعض منازل القبائل

بنو أسد^(١) :

أبان الأسود لبني والبة منهم .

الحبس : جبل يسمى الآن سمير بقيعها .

القنان (الموشم حالياً) لبني فقعس منهم .

أبان الأبيض (واقع في ديارهم) .

أبرق العزاف (أبرق الضيآن) .

أكبرة (أكبرا حالياً) .

البطاح لبني والبة منهم .

الترمس .

التين .

ثادق (ثادج حالياً) أعلاه لهم .

الجريبر (بتشديد الياء) صيغة التصغير : أعلاه لهم .

جرثم (الجرثمي حالياً) لبني فقعس منهم .

حبشى .

الربائع (الخداز حالياً) .

(١) لم نذكر هنا من المواضع إلا ما عرفنا اسمه الحديث أو ما ترجح لدينا أننا عرفنا اسمه سواء أكان باقياً على اسمه القديم أم تغيرت تسميته . أما الموضع الذي نعرف من كلام المتكلمين يقيناً أنه في تلك المنطقة ، ولكننا لم نهد إليه أو إلى تسميته في الوقت الحاضر فإنا لا نذكره هنا . وإذا أردت الرجوع إلى موضع من هذه الأمكنة فإنك تجده في مكانه من المعجم وفقاً لما يلفظ به اسمه حالياً إذا كان يختلف اسمه القديم عن اسمه الحديث بمض الإختلاف .

- خصلة لبني أعيان من بني الحجاج بن منقذ منهم .
- رقد (الرحا حالياً) . لبني وهب بن أعيان منهم .
- الرس لبني منقذ بن أعيان منهم .
- الرسيس لبني كاهل منهم .
- الرمث (الرمثية حالياً) .
- ساق لبني وهب منهم .
- السليل : واد .
- السليلة : لبني برثن منهم .
- الشبكة (الشباكية حالياً) ماء .
- شطب : جبل .
- شيفان (شوفان حالياً) جبل وبه ماء .
- صارة : جبل .
- صبيغ (صبيح حالياً) لبني أبي الحجاج بن منقذ منهم .
- النبوان (الصوان حالياً) ماء .
- ضارج (ضاري حالياً) لبني الصيذاء منهم .
- العبد : جبل صغير .
- مُحيّاة (محيوة في الوقت الحاضر) : هضبة ومائة .
- الحبس (سهار بقيعا في الوقت الحاضر) .
- القنة (القحصا في الوقت الحاضر) .
- الناتعان (النابع والنويح حالياً) : جبلان ، لبني كاهل منهم .
- النبهانية : قرية ضخمة لبني والية منهم .
- ذو نجب (النجة في الوقت الحاضر) .
- ناصرفة الغراء (منيصفة في الوقت الحاضر) : قويرة .

باهلة :

- الأرطاة (الأرطاوية حديثاً) لغني بن أعصر منهم .
- الرددة (أم ردهة حالياً) لغني بن أعصر منهم .
- إمرة لبني عميلة بن عتريف منهم وقيل لغني بن أعصر منهم .
- خزاز جبل لغني بن أعصر منهم .
- خزازة ماء بقرب خزاز لغني بن أعصر منهم .
- سواج جبل لغني بن أعصر منهم .
- منعج (ملعج حالياً أو وادي دخنة) لغني بن أعصر منهم .

بنو نميم :

أجارد (الأجردي) .

- السمينة (البيضية حالياً) لبني الهجيم منهم .
- القوارة : ماء لبني يربوع منهم .
- الجعلة : لبني أسيد منهم .
- حفير : لبني الهجيم منهم .
- الحناظل (حنيظل واحدها حالياً) لبني الهجيم منهم .
- خف (الخضيات حالياً) لبني يربوع منهم .
- الروضتان (الروضة والروضة حالياً) لبني أسيد منهم .
- روضة الخيل (رياض الخيل حالياً) لبني يربوع منهم .
- رحب (المدوية حالياً) لبني مازن منهم .
- عجلز (الزريب حالياً) لبني مازن منهم .
- زنقب (الساية حالياً) لبني يربوع منهم .
- الصريف : بلد لبني أسيد منهم .

- صلاصل : ماء لبني أسمر من بني عمرو بن حنظلة منهم .
 الخبراء (خبراء الينسوعة) (أم عشر في الوقت الحاضر) لبني العنبر
 ضارج (ضاري حالياً) لبني السبيع من بني حنظلة منهم .
 النبقية (النبقية في الوقت الحاضر) لبني طُهبة منهم .
 الهدية : لبني أسمر بطن من حنظلة منهم .
 الينسوعة (بريكة الأجردي في الوقت الحاضر) لبني العنبر .
 بنو خالد (في القرن السابع الهجري) :
 أبا اللود (أبو الديدان) في الأسياح .
 القرع (القرعا) .
 التنومة .
 ضيدة .
 ضارج (ضاري حالياً) .
 الكوارة (الفوارة) .
 البنوان (الصوال حالياً) .
 ساق العرفة (ساق الجوا) .
 الرسوس (الرس والرسييس وموضع آخر حولهما) .
 عنيزة (مدينة عنيزة) .
 أضاخ .
 جبلة .
 الجناح .
 بنو ضبة :
 عجلز (الزريب حالياً) .

رحب (المدوية حالياً) .

عبس :

أبان الأبيض لهم : جبل مشهور .

أبلق الشمالي وأبلق الجنوبي (الأبلقان) .

أنال : ماء ويقال حصن .

مرامر : (القرعا) وكان يقال لها «جو مرامر» .

قطن : «جبل مشهور» .

تياس (التيس حالياً) .

ثادق (ثادج حالياً) وادٍ : أسفله لهم .

الجرير (بصيغة التصغير) وادٍ أسفله لهم .

الخيمة (خيمة قطن) .

الديلم (الدليمية حالياً) ماء .

سنيح (الوسري حالياً) : جبل .

شرح (شري حالياً) : ماء .

ضلفع (الضلفعة حالياً) : ماء .

عمود العمود (عمودان حالياً) : جبل .

جو مرامر (القرعاء حالياً) .

كبير : جبل .

ناظرة : جبل من الرمل وماء :

وبال : (الوبالية في الوقت الحاضر) : ماء .

عطشان :

ذات الأصبع (الأصبعة حالياً) .

أريك (ريك حالياً) لبني الصارد منهم .
الأكوام .

الحاجر .

الركبات (الركبة حالياً) لبني المرقع منهم .

مبهل أحد مبهلين (الطرفاوي حالياً) لبني عبد الله منهم .

كتيفة (كتيفان حالياً) لبني عبد الله .

ذو العشرة (المباري حالياً) : واد لبني عبد الله منهم .

مبهل (المحلاني في الوقت الحاضر) واد لبني عبد الله .

النشاش : واد وجبل في الوقت الحاضر واد لبني عبد الله منهم .

الوندات : هضبات .

فنزارة :

أبان الأبيض لبني جريد منهم .

أظفار (أظفير حالياً) .

الأكوام .

بدن : جبل .

الصلعاء (البيضة حالياً)

طمية : جبل مشهور .

المجيمر (المجيمير في الوقت الحاضر) : جبيل .

النقرة : ماء .

قريش :

الثنومة : لبني عبد الله بن عامر بن كريب منهم .

الفؤارة : قرية لعيسى بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس .

قرية ابن عامر (القرية حالياً) لبني عبد الله بن عامر بن كريز .
معدن القرشي (المُصَيِّنِع في الوقت الحاضر) : معدن وحصن .
مطرق (مطارق في الوقت الحاضر) : روضة لبني عبد الله بن عامر
ابن كريز .

العسكرة (العيارية في الوقت الحاضر) قرية لبني العباس منهم .
بنو كلاب :

إصبع (الإصبعة) لبني أبي بكر منهم على أحد الأقوال .

الجثوم : لبني ربيعة بن الأصبط منهم .

حسلات : للضباب منهم .

حليت : للضباب منهم .

الحمة : (الحميمة حالياً) لبني أبي بكر منهم .

الزحيف : للضباب منهم .

سويقة : جبل . للضباب منهم .

الشبيرمة (شبيرمة حالياً) : ماء للضباب منهم .

شعبا : جبال وماء للضباب منهم .

السخيرة (سخيرة حالياً) لبني الأصبط منهم .

الصفوة (الصفوية حالياً) ماء لبني الأصبط منهم .

ضرية : قرية .

طخفة للضباب ، ويقال لبني جعفر .

عسوس : جبل لبني جعفر منهم .

العمود (العميد حالياً) : جبل صغير للضباب .

غول : جبل وواد ، للضباب منهم .

كبشات : هضبات لبني جعفر وللضباب .
المضيح : جبل لبني ربيعة بن الأصبط منهم .
الجريب (الجريز في الوقت الحاضر) وادٍ كبير .
وسط (وسط حالياً) : جبل لبني جعفر منهم .
كندة :

الثريا (بقرب ضرية) .

بنو محارب :

أفبعية .

التوياد (تويان حالياً) .

الثريا .

أديمة (ديم) .

أريك (ريك حالياً) .

سنام .

شعبا (جبال) جزء منها .

الصفرة : هضبة جبلية .

ذوعاج (عاج حالياً) . جبل .

ماوان : جبل .

وادي المياه : أسفله لم .

مزينة :

الحاجر (لآل أبي سلمى رهط الشاعر زهير خاصة) .

ومما سبق يتبين أن أكبر القبائل في صدر الإسلام في القصيم هي بنو أسد إذ كان لها حوالي ثلث الأماكن المعروفة في ذلك الوقت

ومواضعها هذه الكثيرة هي أقرب من غيرها من حيث عدد المساكن القريبة من مراكز الإدارة والأماكن المعمورة في القصيم في الوقت الحاضر مثل بريدة والرس والبكيرية والخُبُوب والنبهانية ، وطبيعي أنه ليس كل الأماكن في هذه المناطق لبني أسد ولكن بني أسد كانوا أكثر المالكين لها ، أو لنقل بتعبير أدق - : المختصين بها : وإلا فإن بني عيس لهم أماكن أقرب إلى مدينة بريدة من أماكن بني أسد مثل الضلفة وأبلق وأثال ، وعيس مع بني أسد تعتبران أكثر القبائل وجوداً في القديم بالقرب من بريدة .

ولبني أسد معظم الأماكن في غرب القصيم الشمالي مثل ما حول (الفؤارة) بالفاء ومنطقة الرس ومنطقة ساق الجواء وما كان من ذلك شمالاً حتى تصل في أماكنها إلى ما هو الآن تابع لمنطقة حائل كالكهفة ويزانحة .

أما بنو عيس فإن أكثر بلادهم كان بالإضافة إلى ناحية الجواء التي ذكرنا بعض أماكنها في أبان الأبيض (الحمر في الوقت الحاضر) وأماكن قريبة منه من جهة الجنوب الغربي ولهم قطن وثادق . وهم بذلك وغيره يشتركون في الحدود مع بني أسد .

أما بنو كلاب فلهم أماكن كثيرة ولكنها لإفنائهم وهم أفخاذ عديدة وأكثر بلادهم واقع في الجنوب الغربي من القصيم في منطقة حمى ضرية وما كان منها غرباً وجنوباً . وليس لهم أماكن بقرب مراكز الإدارة في القصيم في الوقت الحاضر إذ لم يكن لهم بلاد حول مدينتي بريدة أو عنيزة أو البكيرية .

وبنو تميم الذين - كان يضرب المثل بكثرتهم^(١) - وكانت بلادهم في صدر الإسلام في الدهناء والصحان إلى سيف كاظمة قرب الكويت فإنه كان لهم أماكن - أو نقل بلاد على حد تعبير الأقدمين - لا يستهان بها في منطقة القصيم وهي في أماكن متفرقة منه وتكاد تقف عند حد معين في ارتفاعها مع القصيم غرباً إذ لا تتعدى (أصاخ) وبعضهم قال : إنها لا ترتفع بعد رامة .

وهي متفرقة في أقصى شمال القصيم مثل - الفوارة وخف . . وفي وسطه مثل ضارج الذي كان بعضه لبني السبيع من عمرو بن حنظلة ، منهم وفي وسط القصيم الجنوبي مثل رحب . وعجلز في غربي الخُجُوب وهما لا يبعدان عن مدينتي بريدة وعنيزة كثيراً .

أما شرقي القصيم فيكاد يكون خالصاً لبني تميم والدليل على ذلك في النبقية والجعلة والصريف : والروضة .

وهناك قبيلة باهلة ولها أماكن في القصيم في منطقة محدودة ، فلها منعج (دخنة في الوقت الحاضر) وأماكن شرقي حصى ضرية كسواج وإمرة .

ويلاحظ أن قريشاً كانت من سكنة القصيم في تلك الأماكن ولقريش أماكن هامة أكثرها أماكن زراعية أصبحت بلاداً حضارية مثل (النجاج) و (الفوارة) والقريتين (القرية والعيارية في الوقت الحاضر) قرب عنيزة بل إن عنيزة ذاتها كانت لقريش ولكنها لم تكن بلداً معموراً في ذلك الوقت ، وكان ابتداءً سكنى قريش في القصيم في القرنين الأول والثاني من الهجرة .

(١) ذكرنا شيئاً من الأقوال القديمة عن كثرة تميم في كتاب « الأشكال العامية في نجد » .
صند المثل : من ضبع نسه قال : أنا تميمي . .

في رحاب الحرمين

من خلال كتب الرحلات إلى الحج

- ٢١ -

ونستمر في استعراض ما اطلعنا عليه من رحلات علماء المغرب ،
لتلخيص ما يتعلق بطرق الحج ووصف المشاعر المقدسة منها ، لعرضه على
القراء .

وقد عرضنا - فيما تقدم - خلاصة أهم تلك الرحلات وهي رحلة ابن
رشيد الأندلسي ، ورحلة التجيبي ورحلة العبدري ورحلة العياشي ورحلة
أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي ، ورحلتنا ابن عبد السلام الدرعي ،
وهذه الرحلات الست أوفى ما اطلعنا عليه من كتب الرحلات - باستثناء
رحلتي ابن بطوطة وابن جببير وهما مطبوعتان متداولتان .

وعرضنا أيضاً ملخص رحلات أخرى لا تبلغ مستوى الرحلات
المتقدمة من حيث الامتاع والفائدة . ولكنها لا تخلو من إشارات موجزة
تعتبر مكملة لوصف بعض المواضيع أو الآثار الوارد ذكرها في كلام
الرحالة المتقدمين . ونواصل عرض ما اطلعنا عليه في رحلات أخرى .

رحلة التامراوى :

هو محمد بن محمد الزوارى التامراوى قال عنه صاحب كتاب
« المصول » ج ٨ ص ١٩٧ : حج سنة ١٢٤٢ واستورد كتباً كثيرة
بخط المشاركة ، وله باع طويل في الفقه ، توفي حوالي سنة ١٢٨٥ ويظهر
أنه صغر طويلاً . قدم حاجاً بطريق البحر من السويس إلى جدة ، وعاد بطريق

البر ، ماراً بينبع ، فالحوراء إلى العقبة فمصر، ودخل مصر ١٣ صفر
سنة ١٢٤٣ وأقام في القاهرة عشرة أيام ، وعاد بطريق طرابلس إلى
المغرب فبلغ مراکش يوم ٢١ ذي القعدة سنة ١٢٤٣ .
ووصلت بلده ٩ شعبان سنة ١٢٤٣ .

ورحلته أوردتها كاملة صاحب كتاب « المعسول »^(١) وهو كتاب
يقع في أجزاء كثيرة . مطبوع في المغرب ، ولكنه نادر في المشرق .
وما هو ما يتعلق بموضوعنا منها : -
جسدة :

دخلنا جدة يوم الإثنين ٣٠ القعدة سنة ١٢٤٢ ، وجدة حاضرة
بساحل البحر بينها وبين مكة مرحلتان ، ومنها تكون أعطية الحرير
التي تجعل على قبور الصالحين ،^(٢) رخيصة ، وكذا الكتان . ومنها
اشتريناه ، وذهبنا به لمكة . وطفنا به تبركاً ، وزمزمناه ، رجاء البركة
والرحمة لمن كُفِّنَ فيه . وتكون في مرساها مراكب أهل اليمن والهند
ومصر والمغرب . وتخرج منها بسلع نفيسة ، لا توجد في غيرها ،
وجواهر لا توجد في المغرب ، ومنها يخرج المسلك ويشترى منها ، ويؤتى
به للمغرب : ويشترىه الحجاج لخفته ، ويفسده الماء ، وعليك بحفظه
إن اشتريته ، و تضر رائحته البهائم في زمان الحر ، وكذا الناس
يضرهم في وقت الحر . وقد رأيت باعته بمكة يسئلون أنوفهم^(٣)
بالقطن ، في سوق العطارين وقد تغيرت

(١) ج ٨ ص ١٩٧ .

(٢) لا يجوز تغطية القبر بالحرير ولا غيره . ولم يرد عن أحد من السلف الصالح الطواف
بالكفن أو غسله من ماؤ زمزم .

(٣) انظر « رحلة البتانون » و « ما رأيت وما سمعت » للزركلي .

ألوانهم ، ومالت إلى الصفرة والضعف البين ، وغيرهم من أهل مكة أشد قلقاً . وفي خارج جدة قبر أمنا حوأة رضي الله عنها زرتها : بساحل البحر ، عليها ثلاث قبب : واحدة على رأسها ، والثانية في وسطها ، والثالثة عند رجليها إلا أن التي عند رجليها هدمها الوهابي . ولم يبق أثرها (١) .

ذو طوى :

فعمزنا على السفر للمدينة فبرزنا خارجها - يعني مكة - بندي طوي بعد طواف الوداع . فنزلنا فيه حتى اجتمع ركب أهل المغرب والتواني (٢) فقفلنا مع الركب المغربي .

بدر :

وصلنا بَدْرًا مفتح محرم ١٢٤٣ وبتنا وزرنا فيه شهادة بَدْرٍ وهم في خارج بدر ، دارت بهم المقابر ، معلمون بحائط دار بهم . وفي قبرهم غار صغير فيه أثر رجل وقدم النبي صلى الله عليه وسلم يزور فيه الناس ، وفيه صخر استند إليه النبي صلى الله عليه وسلم أخبرني بذلك ملازم قبورهم .

وبدر قرية كبيرة جامعة ، ذات عيون ونخيل وفيها مسجد يقال له مسجد الغمامة ، يزور فيه الناس ، وزرناه ، سمي بذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم أظلته الغمامة في موضعه .

(١) كل ذلك حديث خرافة ، وذلك من ظن الجهال أن جدة هي بفتح الجيم ، ولم يعلموا أنها بضم الجيم - أي فرضة البحر - ولا أثر اليوم لتلك القباب «المسؤول» ج ٨-١٩٨ .
(٢) يقصد ركب أهل تواتة - من بلاد المغرب .

الجديدة :

هبتنا في الجديدة^(١) ، قصر كبير ذو عيون ، وعيون بين جبال
عظام سود

عالم مغربي مقيم في المدينة :

ولم يذكر التامراوي من علماء الحرمين سوى شيخه الحبيب الفلالي ،
قال عنه في كلامه على المدينة : -

ووجدت فيها شيخي . . . أبا عبد الله محمد الحبيب بن عبد
القادر الفلالي أصلاً ، وجدته متوطناً بالمدينة بأهله وأولاده ، وذهب
بي لداره وهي مجاورة للمسجد النبوي لم يفصلها إلا السكة وكان ملازماً
للحرمين مدرساً بهما مفتياً لأهل المغرب . وناولني نظمه العجيب القريب
الذي يعرف به قدره ، بخطه في اصطلاح القاموس المسمي به الأنفس
المانوس .

ينبع النخل - الحوراء :

نزلنا في (ينبوع النخل) فيه عيون ونخيل ، وعساكر المخزن وقتنا
فيه يوم الخميس .. ثم قفلنا يوم الجمعة (١٦ محرم سنة ١٢٤٣)
ونزلنا يوم الأحد نصفه^(٢) ، وهي عظمة كثيرة الماء الطيب ، ثم يوم
الاثنين في الحوراء ، فيها آبار ونخيل ، وماؤه رديء يضر الحجاج
ضراً كثيراً لما شربناه ، فقلنا فيه ، فحملنا الماء لأربعة أيام لامة فيها .

(١) الجديدة من عيون وادي الصقراء لا تزال مرروقة .

(٢) كذا نقله والصواب (نبط) ولعل ما هنا (تطبيع) أى غلط مطبعي ، مع أن
التامراوي لا يفتق ضبط الأسماء .

الوجه :

فوصلنا (الوشي)^(١) ضحى يوم السبت ، وفيه دار للمخزن وآبار ، وأصعب مراحل الدرب بين الحوراء و (الوشي) إذ لاء بينهما فيموت الناس والبهايم فيه من العطش ، ويتركون فيه الضعفاء والبهايم كثيراً ولتحمل الماء من (نصفه)^(٢) قبل الحورا بيوم إذ ماءه طيب حلو ، وماء حورا خبيث رديء يضر بالناس ، ولتحمل في (النصفه) ما يكفيك من الماء خمسة أيام .

بئر السلطان :

ثم قفلنا من (الوشي) يوم الأحد (٢٥ محرم سنة ١٢٤٣) فوصلنا بئر السلطان ليلة الثلاثاء ٢٧ فيه ماء طيب في ساحل البحر ، ولا دار للمخزن فيه .

المويلح :

فرحلنا منه - بئر السلطان - يوم الثلاثاء فنزلنا في (أميح)^(٣) يوم الاربعاء الثامن والعشرين من الشهر (المحرم ١٢٤٣) وفيها دار للمخزن مع حراسها من العسكر ، وماءه طيب ، وهي في ساحل البحر ، تكون فيها السفن لمن أراد السفر في البحر وأعياء سفر البر بينها وبين مصر ١٤ مرحلة .

(١) يقصد الوجه والماء يخرجون الجيم مثقلة من مخرج الشين ، ويحذفون الماء (الوشي) .
(٢) ذكرنا أن الصواب (نبط) وماءه أطيب مياه درب الحج الساحل .
(٣) يقصد المويلح ، والرحالة كما ذكرنا لا يني بضبط الأسماء فينبع (ينبوع) ونبط : (نصفه) والوجه : (الوشي) والمويلح (أميح)

عين القصب - غار شعيب :

فرحلنا زوال الخميس - من أملج - وقلنا يوم الجمعة في عين القصب فيه ماء طيب بارد ، ثم قفلنا بعد صلاة الظهر وقلنا يوم السبت مفتح صفر في غارسيدنا شعيب عليه السلام . فيه عيون وماء طيب حلو .
وبتنافيه :

ظهر الحميرة :

ثم قفلنا بعد زوال يوم الأحد - من غار شعيب - فقلنا يوم الثلاثاء في ظهر الحميرة^(١) ، ماؤه رديء وعلى ساحل البحر فسافرنا بعد الزوال .

العقبة :

فسافرنا بعد الزوال - من ظهر الحميرة - فدخلنا ليلاً بندر العقبة فيه دار المخزن قرب العقبة وأطيب مياه بندر العقبة ماء البئر التي في وسط قصبة المخزن ، فسرنا بعد زوال يوم الاربعاء إلى تحت العقبة فبتنا وهي أصعب طريق الحجاز وعرًا وخوفًا ، فعليك بالسبق فلا تكن آخر الركب ، فإن العقبة لا تخلو من المحاربين غالبًا ، ليس مثلها في الدرب .



(١) في المطبوع (الحميدة) والصواب : ظهر الحمار ، ولا يزال معروفًا ، يشرف على وادي حقل .

أجواهر المعدة في فضائل جدة

- ٣ -

وفي أوائل سنة ١٢١٨ سادس شهر محرم الحرام سافر أمير مكة الشريف غالب بن مساعد من مكة إلى جدة خوفاً من طائفة الوهابيين^(١) حين أقبلت على مكة بعد خرابهم للطائف وقتلهم لأهله بغيا وعتوا^(٢) ، فترك مكة ونزل جدة للحصار ، وبقيت الرعايا بمكة لا يقر لها قرار ، وقد استسلم أهلها للشهادة ، وطلبوا من الله الحسنَى وزيادة ، حتى قال قائلهم .

مَسَاكِينُ سُكَّانِ أُمِّ الْقُرَى فَكُلُّ يَنْوُحٍ عَلَى نَفْسِهِ
يُقْضُونَ أَيَّامَهُمْ كُلَّهَا عَلَى أَسْفٍ أَوْ عَلَى عَكْسِهِ

وذلك بعد أن دافع أشد المدافعة وقاتل أعظم المقاتلة ، ولكن زحف عليه هذا الخارجي^(٣) بالتغلب والأعراب ، وهم كالبهائم والوحوش إلا أنهم أحزاب . وقد ذكرت القصة تفصيلاً في الجزء الثالث من تاريخنا المسمى « نزهة الفكر في الحوادث والعبر » وكان لما استولى سعود الوهابي على مكة وما جرى له في عرصاتها من كل طريق وسكة ، بدّل حرم الله بالخيفة بعد الأمان ، وخالف في أفعاله ما جاء به القرآن^(٤) ، أرسل إلى جدّة عليّ بن عبد الرحمان شقيق المضايقي عثمان ، بكتاب لأهل جدة يطلب منهم الدخول في طاعته ، وانخراطهم في سلك جماعته ، فأجابوه استهزاء بعقله ، وسخروا من حماقته وجهله وقالوا : بآننا رعية لمولانا الشريف

(١) أنظر التعليق على هذه الشتائم آخر البحث

فطاعتنا من طاعته ، ولا نكون إلا من جماعته ، وعلى كُلِّ حال هَبْ على
 الفرض والتقدير لو فرض أننا نطيعك ونعصيه ، ونقربك ونُقْصيه ،
 وندخل معك في هذا الدين ، ونُقِرَّ على زعمك أننا من المشركين . هل
 تطلب منا شيئاً من الدراهم ؟ أم يصح الدخول في دينك بدونها ؟ . فلما
 قرأ الكتاب ، فرح بما فيه من الجواب . وظن من قلة عقل هذا الأحمق
 أن هذا الكلام حق ، وهم يسخرون من حماقته ، ويعجبون من رقااعته ،
 فأرسل يطلب مائتي ألف ريال ، وستين ألف مشخص عتيق . وبسته
 آلاف ريال من القماش الرقيق ، فتوجه لقبض الأموال في الحال وركب
 متن الطريق . بكل فاجر زنديق ^(٥) وتوجه إلى جدة . وفي قلبه لقبض
 الدراهم حدة . وكان يوم الجمعة الثاني والعشرين من محرم سنة ١٢١٨ .
 فخرج قبل صلاة الجمعة . معه المنافقون والكافرون (وسَيَعْلَمُ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) وكان مدة إقامته بمكة أربعة عشر يوماً ، ولما
 أنَاخَ بساحل جدة ، وقد استعد له الشريف بالسلاح والعدة ، فتبسم
 له فَمُ المدفع بالقلل ، وصار يُشْتَتَهُمُ من محل إلى محل . فحملوا حَمَلَةً
 رجل واحد على السور ، وراموا يَنْقُزُونَ وينهبون القصور ، فتشتتهم المدافع
 حتى يهزمون ، وما زالوا على هذا الحال مدة بلياليها ثلاثة أيام ، ولحومهم
 يَشْوِيهَا البارود ، وسعود يَزِينُ لهم الأمانى والوعود ، وابليس يقول له المال
 هنا لا نعود ، فكانوا لا يصلون إلى المخيم ، إلا وقد شاهلوا نار جهنم ،
 وما زال هذا الشقي يقاتل تَجَبُّراً وعناداً ، حتى مضى له ثمانية أيام ، ثم
 ارتحل عنها بالخزي وقام ، فمَلَأَتْ قَتْلَاهُمُ السهل والوهاد ، حتى شبعت
 الوحوش من تلك الأجساد وجاء تاريخه (منقلبه سعود مغلوب) فارتحل
 هذا المعكوس ، وقد رأى من الشريف بجدة حرب البسوس ، فتوجه

الشي من أشرف مكان إلى حيث يطلع قرن الشيطان^(٦) .

وفي يوم من بعض الأيام ورد عبد الوهاب أبو نقطة وظن أنه يهجد بمكة سعود ، ويقاثل معه بجيش ويعود ، فما وجده إلا وقد خذل فلم يدخل مكة المحمية ونزل بجيوشه على عين الحسينية ، وخطر ببال هذا المرقد^(٧) ، أنه يقاثل بندر جدة ويحقد ، فأقام بالحسينية بياض يومه بقومه - وأرسل للشريف عبد المعين كتاباً ومعه خمسة عشر ريال ، وكتب فيه فاسد العقل فقال - وكان الشريف عبد المعين من عمال سعود بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الوهاب أبو نقطة إلى عبد المعين بن مساعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - اعلم أن قصدي آخذ جدة واستعديت لما بالسلاح والعدة . ومذ حلت بهذا النادي . نفذ زادي ، فخذلي بخمسة ريال دقيق وخمسة ريال عليق ، وخمسة ريال سمن ، فلربما يطول علينا زمن الحصار . يلحقنا من عدم الزاد مضار . وأرسل لنا قدر مئة سلّم ننقز عليها السور ، ونهجم على البندر المذكور^(٨) . فقرأ الشريف عبد المعين كتابه بمحضر من أهل مكة ، وأناس من جماعته فأخذهم العجب من غباوة عقله وحماقته ، فأرسل له مع رسوله كل ماطلب وفاض به الأمر إلى العجب ، فتوجه من الحسينية إلى أن وصل نصف طريق جدة ، وحرّض على القتال جنده ، ولم يتجاوز (الركاني) بجنوده ، حتى خفق ريح النبور بينوده ، فنأى عن الكفاح ، وامتنع عن الرواح ، ورجع ثانياً القهقري ، ونزل بفناء أم القرى ، فسأله لم رجعت عن القتال أيها الأمير وأنت من رجال الحروب ، وأهل التدبير؟ فقال : قد أسلم على يدي كل من كان بجدة وأطاع ، ولم يبق بيننا قتال ولا نزاع فانظر لهذا الكذوب الأضعف كيف يروم هؤلاء الاوغاد أمراً دونه خرط

القتاد ، كيف وهو يعلم أن سعود ما قام عنها ، ورجع ، إلا به - ما نضع؟
مع أنه أحد جبابرة العالم ، ولكن كما قيل :
ذُو الْجَهْلِ يَفْعَلُ مَا ذُو الرَّأْيِ يَفْعَلُهُ

في النَّائِبَاتِ ، وَلَكِنْ بَعْدَ مَا افْتَضَحَا

وفي شهر محرم أيضاً من سنة ١٢١٩ أقبِلوا لقتال أهل جدة المسلمين
أعداء المؤمنين ، فأحاطوا بجدة وأطرافها أراذل الأعراب وأجلافها فنادي
شريف مكة سيدنا الشريف غالب - وكان قد ملكها - على سكان البلد
الحرام بحمل السلاح ، والخروج إلى الزاهر (نفسير عام) فخرج الناس
على طبقاتها إلى الزاهر ، حاملين السلاح ، يبيتون من وقت المساء إلى
الصباح . حتى مضى لهم سبع ليال ، فتحقق انكسار فرقة الضلال ،
بوصول السيد عبد الله بن شنبر مبشراً بتحقيق الخبر على [أن] أنني
عشر ألف مقاتل ، أناخت بذلك الساحل ، وأحاطوا بالسور ، وفي كل
يوم يحملون على البلد حملة واحدة ، ولم يجدوا من الله مساعدة ،
فيعودون إلى الخيام ، فإذا قتل منهم خلق كثير ، ينفرون كنفرة الحمير ،
ويقع عليهم في اليوم التالي كالأول من زيادة أعمال القنبرة والمدفع ، حتى
أفنى منهم جملة ، حتى مضى لهم ثلاثة أيام فارتحلوا بالويل ، في جنح
ليل ، وامتلات من قتلاهم الحضر فتوجه ابن شقبان على طريق الوادي
وأصبح بالمضييق ، وأخذ عثمان طريقاً غير هذا الطريق .

وفي ثمانية عشر من شعبان سنة ١٢٢٠ في أوان الترحيم أناخ على
ساحل جدة المارق من الدين المضايقي عثمان ، بجملة من العربان ، وكان
وروده إليها غدرًا واختلاس ، قبل أن تهب أعين الحراس من النعاس ،
لكن أخطأت استه الحضرة وما رجع منها إلا بالخيبة والحسرة ، فقسم

قومه من ثلاث جهات ، وجعل خلفهم الخيل حتى التصقوا بسور البلد وقد صبحوا ومعهم كثير من السلالم وقربوها ، ومعاول من الحديد لأحجار السور لينقبوها ، ثم صعد جانب منهم على تلك السلالم فرقى ، ولم يكن الا كلمحة قبل أن يتكاملوا عليها حتى ضربت عليهم المدافع والقناير ، حتى انهزمت الفشة الظالمة - ومات كثير منهم - إلى مخيم عثمان بالخبيبة والخسران .

ثم عاد عثمان العنيد بجيشه إلى قرية المدرة : وأعمل رأيه في مكيدة مبتكرة : فجعل يرأسلُ العربان من كل مكان ، فكروا عليه حتى امتلأ الوادي . وكلما اجتمع عليه ناس في هذه المدة يرسله إلى طريق جدة ، وأبقى لمحاصرة جدة ، واهس شيخ زبيد ، فكم قتلوا حولها من الفقراء والمساكين . حتى وقع الفناء منهم في التكارنة الذين يجمعون الحطب والحشيش كما قيل :

يَعْدُونَ قَتْلَ الْمُسْلِمِينَ تَقَرُّبًا وَهَيْهَاتَ [هَيْهَاتَ] التَّتَرُّبُ بِالْبُعْدِ
وكان قد اشتد الحصار على مكة وغلت الأسعار وُعِدِمَ القوت وفي الموجود . حتى أكل الناس الجلود ، فبغت بمكة الكيلة مشخصين ، من الحب والرز وقس على ذلك .

ثم إن الشريف غالب أمير مكة وَسَطَ ناساً للصلح ، وأن يدخل تحت أمر سعود . وراى في ذلك إحياءً لأهل مكة من الهلاك والجوع والحصار ، فتم ذلك وكان . ثم فرَّق جنده الأتراك وغيرهم على ممالكة كالينبع واليمن وسواكن ومُصَوِّعٍ وغيرها : ونزل هو وعبدى باشا والى جدة ، وأرسل مصطفى كنعخدا جدة نائبا على البندر يجمع العشور .

ثم في تسع وعشرين محرم سنة ١٢٢١ أرسل إلى بندر جدة أربعين

خيالاً من الأتراك مع تفججى باش ، وعين لهم ماقوره من المعاش : فما ذالوا بساحتها مقيمين ، خمسة أشهر بشغرها مرابطين : ثم لما اطمأن على رعيته من الفتن ، وسكن روعهم من المحن ، عن له أن يتوجه لإصلاح بندر جدة وتحصينه بالخندق والسور ، فتوجه من مكة إليها في غرة صفر وفي اليوم الثاني صبح البندر فنزل في دار الوزارة ، ومستقر الإمارة .

وفي يوم الجمعة رابع شهر صفر نهى عن شرب الدخان بجدة في الأسواق ، وأمر بمنع بيعه في الدكاكين على الاطلاق ، لأنه كان من جملة مذهب الوهابيين .

ثم أمر بعمارة الخندق ورآى أن عمله بالمساحي صعباً على الفعلة يحتاج إلى مدة مطولة ، فاختر بنيانه بالبقر أسهل وأيسر ، واشترى ثمانين ثور ، لنفي التعب والجور ، وجمع المعلمين أهل الهندسة والصناعة ، وجعل أربعين يشتغلون من جهة الشام ، وأربعين من جهة اليمن : فشرعوا في تعميره كما أمر ، من أول شهر صفر ، وما زالوا عليه مجتهدين شمالاً ويمين ، إلى شهر جماد الثاني ، وهم آخذون في تشييد تلك المباني ، ثم لم يبق للشغل بالبقر محل ، لفشيان الماء باطن الخندق : ووجدوا حجراً جهة الشام قدر مائة ذراع يقال له المنقبة لصلابة أحجارها متصعبة : فأمر الحجّارين أن يفتقشوها بعمول الحديد ، ويحرقونها بالنار ، وما زالوا مجتهدين الاجتهاد التام ، إلى آخر العام ، فجاء كما تراه خندقاً يروق الخاطر ويشوق الناظر .

أقول : والآن قد انسدت وانهار عليه التراب ، ولم يبق له إلا الآثار ، وكانت قد تحصنت البلاد به غاية التحصين وتمكنته نهاية التمكين ،

وانقطعت آمال العدو عن المطامع كما هو نص في الواقع .

وفي يوم الأحد ثاني جماد الثاني سنة ١٢٢١ أمر ببناء برج على نفس باب (البغاز) المسمى بالعلم يمنع الداخل إلى المرسى إن قصده عنوة ، فبنوا الأساس حتى اعتلى عن وجه الماء ثم تركوه إلى ما .

وفي ثمانية عشر صفر كان وصول حمد بن ناصر ومعه أهل الدرعية من رؤساء الفئة الوهابية . فلما وصلوا إلى مكة بكتاب من سعود ، وكان صاحب مكة بجدة فنزلوا إليها للافاة الشريف ، ولإظهار ما جاؤوا به من الافك والتزييف ، فانهقد الصلح بينهما ، وزال الایهام واتضح الأمر انضاحاً تام ، ونزل حمد بن ناصر إلى مسجد عكاش في الحال ، وقرأ رسالة جدّه التي يكتمر فيها المسلمين^(٩) ، وأمر الناس وتجار البلد ، وسكانها وساداتها وأعيانها ، وما زالوا يحضرون قراءتها حتى أتمها ، وخلط فيها ابن عبد الوهاب ، وآثر الخطأ على الصواب ، وهي في الحقيقة هذيان ، يضحك منها الصبيان ، تلخيص ما فيها : تكفير جميع من في الأرض بالطول والعرض .

وفي يوم خمسة وعشرين من شهر صفر أمر بهدم قبب الصالحين ، لتطيب نفوس أولئك المعاندين ، وأمر على أهل جدة بالإمساك عن شرب التنباك ، وكل ذلك تسترا ، ومداراة لإخماد نار الفتنة ، وما أخرج الناس على طاعتهم على مثل هذا المقدار ، غير ماوقع لبلد الله من الحصار ، وإلاً فمعاذ الله أن يرتضوا بالدخول في دينه المعوج ، والخروج من الدين الحنيف الأبلج^(١٠) .

وأمر الشريف بإبطال نذب نوبته^(١١) ونوبة والى جدة حتى يفرج الله هذه الشدة .

وفي سنة ١٢٥٢ كان أول وصول قنصل الانكليز بجدة وتوطنه بها ،
ونصب له بها (بنديرة) وهي أول بنديرة ^(١٢) نصبت بجدة ، ولم
يعهد توطنهم بها قبل ذلك .

وفي سنة ١٢٧٤ كان بها فتنة عظيمة وهو أن أبناء ابراهيم جوهر
تخاصموا مع صالح جوهر ، كانوا رعية الانكليز فأحب صالح جوهر أن
يكون رعية للدولة العلية لقول الله تعالى « وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّ مِنْهُمْ)
وأدار (بيري) ^(١٣) سفينته عثماني ، ضداً في أبناء ابراهيم جوهر ، والحاج
فرج يسر ، كونه كان معضداً لهم ، فأشار الحكومة في ذلك أي على علامة
سلطان الاسلام ، وحامي حى بلد الله الحرام ، ومدينة النبي عليه الصلاة
والسلام ، فحين رأى القنصل ما ذكر ، أرسل لأحد قباطنهم ، وأمره أن
ينزل البيري ويضع بيري الانكليز محله ففعل ، فغضب حينئذ القنصل ،
وأرسل إلى صالح جوهر . وحبسه لتعديده وخروجه على حكومتهم بغير
أصول عنده : فاغراض قائم مقام جدة لذلك وأرسل لكبير الحضارم :
حيث لم يكن عندي بجدة عساكر بكثرة : فخلت جملة من الحضارم ،
بالسلاح يعمرون على بيت القنصل ترهيباً له ، وهذا من سخافة عقل القائم
مقام . وعدم درايته بأصول الأحكام وأن العامة والرعايا إذا قامت لا يرد لها
شيء وكان ذلك القنصل المذكور أحمق من هبنة ، وأشأم من طويس ،
حين مديده للبيري وقلعه ، ودعسه وقد زام . وما خشى الحجة والالتزام .
وفي الحديث : « الفتنة نائمة . ولعن الله من أيقظها » أو كما قال - فحين
سمع الرعايا من الناس . والغوغاء هذه الفعل . أخذتهم دائرة الغفلة ،
وربما كانت تتداوى هذه الأمور بأقل من ذلك . ولكن المقدر يدور ،
ولله عاقبة الأمور كما قيل :

إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا بَأَمْرٍ ۖ وَكَانَ ذَا عَقْلٍ وَسَمْعٍ ، وَبَصَرٍ
أَصَمَّ أُذُنَيْهِ وَأَعَمَّى قَلْبَهُ وَسَأَلَ عَقْلَهُ ؟ سَأَلَ الشَّعْرَ
حَتَّى إِذَا أَنْفَسَدَ فِيهِ حُكْمَهُ رَدَّ إِلَيْهِ عَقْلَهُ لِيَعْتَبِرَ
فَلَا تَقْلُ فِيهَا جَرَى كَيْفَ جَرَى؟ فَكُلُّ أَمْرٍ بِتَمَاضٍ وَقَدَرٍ

فاحتزم أهلُ جدة والحضارم ، وبعض من المولدين الأجارم ، وصاروا
قتلا ونهباً في كل جنس يخالف دين الاسلام . ولم يدروا عن شروط
المستأمنين وأهل الذمة والمعاهدين ، في دار الاسلام ، أنه لا يجوز التعدي
عليهم شرعاً ، وإن كان المذنب واحداً فما ذنب الجنوس الأخر ، (إن
هم إلا كالأنعام) فثارت الفتنة ونهبت أموالهم بعد الذبح كأن لم يكونوا
وكان الباشا والي جدة وهو محمد نامق باش مكة المشرفة ، حتى خلت
جدة من الفرنج أجمع منهم من أسلم ، ومنهم من أسير ، ومنهم من تردى
وقتل الجميع ، ثم بعد شهر أو أزيد : أتى مركب فرنج حربي ، ورمى
بالقنبل على جدة فني ذلك اليوم كم من هارب ، وكم من خارج من محلته
وصفصفت أهلُ جدة : هاربين على مكة ونحوها ، ولم يصب البلد من
قلهم شيء غير صهريج أنت عليه قلة ، ولأن قلعة جدة لم يكن عندهم أمر
بالرمي على المركب المذكور ، وإلا كان أهل كجوههم من أول وهلة ، ثم
انصرفوا بعد نزول الوالي ، وبعض من أكابر أهل مكة ورؤسائها ، وساسوا
الأمر ، وأخذوا عليهم مكاتبة بفعلهم وتعديمهم ، وذهبوا إلى حال سبيلهم .

ثم بعد أيام قلائل أتى أمر من مولانا السلطان عبد المجيد ، برّد أموالهم
والقصاص ممن فعل بهم ، سياسة شرعا لكونهم من أهل الذمة ، فأخذ الوالي
المذكور من أهل جدة ، والمولدين بها ، اثني عشر رجلا ، قطع رؤسهم ثم
الشيخ سعيد العمودي ، لكونه شيخ الحضارم ، وعبد الله أغا قران محتسب

جدة ، كذلك قطعت رؤسهما بالبنت ، وأخذ جمعٌ من أهل البلد والعامّة نحواً من أربعين رجلاً سَفَرُوا إلى (الاستانة) ثم أطلقوا بعد مدة ورجعوا سالمين ، ثم أخذ تجار جدة وشيخ السادة والقاضي وسُفّر ، فرجع القاضي بعد سبع سنين ، وبعضهم توفوا بتلك البقاع ، والحكم لله يفعل ما شاء ، وكانت أحوال مزعجة لا يطيق القلب سماعهما ، تحتاج إلى مجلدات وإنما ذكرت هذه زبديتها والله الأمر من قبل ومن بعد .

وفي سنة خمس وسبعين ومائتين وألف كان أول سنة مجيء محمل أهل مصر ، من طريق البحر على جدة ، ثم يطلع من البحر بموكبه من جدة إلى مكة ، وهذا لم يُعهد سابقاً أبداً مطلقاً ، وذلك بأمر والي مصر محمد سعيد باشا ، حتى أهلكه الله بعد ثلاث سنوات سنة تسع وسبعين ، رجع المحمل من البر على عادته من مصر إلى مكة .

وفي تلك المدة كثرت مراكب (بوابير) البحر في بحر القلزم من جدة إلى السويس ، حتى بلغت إلى ثلاثة عشر بابوراً ، وهي للحجاج من أعظم المنن : لأنّ الغالب لمن ركب فيها السلامة ^(١٤) [فجعيل والي مصر وكيل (الكبانية) بيندر جدة المحمية رئيس التجار ، معدن الفخار الذي رفعه الله بأعلى بساط : الأمير عليها الشيخ أحمد المشاط ، حفظه الله فكان يسوس أوامرها ، وخصوصاً يرأف ببضائع التجار مع شدة أمره على المتوكلين ، وبالحجاج المسافرين ، بخلاف غيره من الأمراء فإنهم لما أمروا أكلوا البراطيل والرشا ، وزادوا على حجاج بيت الله بحيث لهم جواسيس على الحجاج : (إن كان تبغا تنزل قبل غيرك وتسلم ، هات النفر دينارا زايد على الكرا) فتجارهم نحاسرة ، وبيعتهم بائرة ، ولقد مدحت الشعراء هذا الأمير بقصائد أرسلت إليه من مكة ومن جدة ^(١٥)

ليس يحويها هذا السفر ، فأجاز الوفاة ، وأنجز السداد . أئمننا الله وإياه الرشاد .
وفي سنة ١٢٨٠ جددت عمارة المسجد الذي على البحر المعروف بمسجد
عكاش لأنه من المساجد القديمة ، وأتقن وأحكم ، وكذا الميضاة التي هي
بجانبه ، وكذلك جدد ما اندرس من المسجد الذي بالقلعة ، ويعرف بمسجد عمر .
وفي سنة ١٢٨١ في شهر صفر ورد إلى جدة عساكر مصرية عزيزية ،
وأقاموا في محل (القشلة) الخارجة ، فقل الماء على أهل جدة وضاق بهم
ذرعاً كما قيل .

من غَصَّ دَاوَى بِشْرِبِ الْمَاءِ غُصْتَهُ فَكَيْفَ يَعْمَلُ مَنْ قَدُ غَصَّ بِالْمَاءِ
 واحتياج أهل جدة والقاطنين بها ذلك فأبعدهم عنها في محل بينهم
وبين جدة ساعة ونصف عند آبار عذبة .

وفي سنة ١٢٨٣ كان قائم مقام جدة (نوري أفندي) رجل أصله
من (الارانطة) كان كاتباً على (العرضي) وقيل على القرارية الارانطة
ثم صار على شونة مكة كاتب ، وكان في ضيق من العيش فساعده الأقدار
فتولّى قائم مقام الوالي جدة ثم جمعت له نظارة شونتها مع القوائم مقام
فمكث بها مدة سنوات فظهرت صولته وهابه الناس ، ثم إنه انقطع لتمدن
البلد فقطعها من الأرض طول ذراع (؟) من سائر البلاد . وشغل فيها
أهلها ، والذي لم يشتغل يؤجر بدلاً عنه وسدّ شيئاً من ساحل البحر . من
ناحية (الكمرك) حيّ إنه دخل في البحر نحو خمسة عشر ذراعاً من كل
ناحية من الطول ، وأما العرض فجعلها نظير (مينة اسكندرية) وأتقن
بناؤها وكانت أولاً (السنابيك) تلاصق في الزلّة ^(٥) ، والبضايح تصير
متراكمة وربما يتلف بعضها وفي وقت الحج يضيق على الحجاج العبور ،
ثم من الجهة الشامية هدم السور وأدخله إلى جهة البحر ، وسدّ من تلك

الناحية وساوى بين الأرض . ثم إنّه سقّف جميع أسواقها حتى صار
الانسان لا عشي إلا في ظل ، وأمر بهدم العشش من الدكاكين والقهاوي ،
وجعله كلاء ، صندوقاً . فصارت من قبيل (غورية مصر) والسكرية ، وجعلها
ميزانا واحداً ، وكان قبل ذلك دكان خارج ، والآخر داخل ، فوسع في
الصنادق كل ذلك بالقوة القهرية ، وبالمداواة السياسية ، وأمرهم بنقش
الأخشاب ، وكفّ أهلها عن المقاتلة مع بعضهم ، وطار صيته ، ودخلت
هيئته في قلوب الرعية . حتى صاروا يخوفون به الأطفال ، وأمر بقطع
(كدأوي) من القمامة على بعضها كأمثال الجبال ، فسدّ بها البحر من
ناحية الفرضة ثم من ناحية المعمار . عمل سوقاً وبني فيه دكاكين صغيرة
وسقّفه بالأخشاب ورونقه يعرف بالنورية . وجعله للخضرية والجزارة ،
وجعل فيه قهوة لطيفة وكان طلب مني تاريخاً لهذا السوق فقلت :

عَرَّجَ عَلَى أَرْجَاءِ جِدَّةٍ يَأْتِنِي	وانظر إلى السوق الجديد المُنْتَبِتَا
طَالَعِ سَعُودَ الْيَمَنِ فَوْقَ بَسَاطِهِ	ياحسبه لما رَنَا متلفتنا
قَدْ أَسَّسَ الْبِنْيَانَ (نورينا) الَّذِي	مامثله في جِدَّةٍ أَبَدًا أَنِي
(قائم مقام) يالهِ مِنْ هَمَّةٍ	في فعلهِ الخيرات صيفا والشتا
في مَدَّةِ السُّلْطَانِ عَزَّ نَصْرَهُ	(عبد العزيز) الْبَرُّ ، لِي كُنْ مَنْصَتَا
وَأَمِيرِ مَكَّةَ وَالْحِجَازِ بِأَسْرِهِ	مولانا عبد الله سيدنا الفسّي
(ووجيهِ باشا) واليا شيخ الحرم	من نال بالتحقيق قسولا مثبتا
نورية ميمونة في بلدة	تحوي رموز الدهر في رسم متي
يحبوه ربي من مزيد عطائه	بعد الوفاة من الحسان الموقنا
لما أتموا غرسه أرخ يقف	(نوري أفندي) قَدْ جناه وما عني

ثم جعل سوقاً خارج باب مكة من الصندوقة الأخشاب بقهاوي ، وغير

القشاع .

وفي الحقيقة كانت جدة تَبِل هذه العمارة لا يطبق الانسان في مدة الصيف أن يخرج من بيته من رائحة الندأ الكريهة والزناخة والشمس المحرقة والعشاش . والقشاش ، وغير ذلك فصارت كأحد المدن الفائقة . ثم إنه شَغَلَ الناس في عين أدخلها لها ، وكانت قديماً ثم بطلت ، ثم انهدم مجراها ، فأمر على الناس وأهل الحواير في الشغل فيها حتى أدخلها إلى البلد ، وجعل لها (بازانا) للسماوية في ناحية العلوي ، ثم أجراها إلى الفرصة حتى نصب في البحر . ثم ضعفت وقل ماؤها لكنه يجري قليلا ، فانتفعت به البلدة وأهلها . وإن كان ماؤها غير عذب . لكنه يعين على المهنة والغسيل وغير ذلك .

ثم في سنة ست وثمانين ومائتين وألف عمل صهريجا كبيراً للدولة العلية باسمها أكبر ما يكون في صهاريج جدة . وكل محبوس يشتغل فيه ، وأتمه ، والحاصل أن الرجل لما اجتهد في عمارة البلد ذل له أهلها وهابه رعاها ، لسطوته وتجبهره وتكبره - ترادفت عليه الرتب . وساعفته الأقدار ، حتى صار في رتبة (ميرميران باشا) فكان يتمال له (نوري باشا) ونودي باسمه وخوطب بذلك وصار له معارف من رجال الدولة ومكانة وذلك لسبب كل قادم إلى الحج وغيره يجري عليه الضيافات . ووضع يده مع التجار على سائر المباحات ، حتى نمت ماله . وترقى في حاله وجلبت إليه الهدايا والخيل المسومة والعربة وغير ذلك إلى أوائل سنة ١٢٨٨ عزل عنها وتولى محله (قاسم باشا) والياً عليها قال تعالى (وتلك الأيام نداولها بين الناس) ومع ذلك كان لا يوقر كبيراً ولا يرحم صغيراً فبهذا ترقى في أسرع مدة ولكنه صنع بعض خيرات بجدة ، وكف العامة عن التعرض لبعضهم ولغيرهم ، وسوى بين غنيها وفقيرها في المقام . حتى تم العام ^(١٥)

وبجلة من خارجها قشلة مُتسعة قريبة من ضريح السيدة حواء ،
للعساكر الشاهانية ، ، كان بناها محمد على باشا والي الديار المصرية وهي
مكينة في البنا ، وطواحين الهواء ثلاث كان بناها المذكور أيضاً .

وأما سقيها فمن ماء المطر ، ولهم خارجها صهاريج للتجار ، تمتلئ
من ماء المطر وبها حفر أيضاً تجمع الماء أيضاً .

(واسكاتها) يمر عليها من بضايح الهند واليمن ومصر وسواكن ومصروع
وبلاد السين (؟) والصين والجاوى ، قيل إنها اكبر أسكلة في بلاد
الاسلام بعد اسكلة اسكندرية . وللبغاز باب لا يمكن دخول مركب بغير
ربان من أهلها ، محكم بابها بين شعبتين عليهما علمان لمعرفة الدخول ،
بصناعة يعرفها أهلها ، فهي للتجار دار مقام ، وللمفالس سجن لايرام
كما قيل .

وَجَدَّةٌ لِذَوِي الْأَمْوَالِ كَيْسَةٌ وَلِلْمَفَالِيسِ دَارُ الْأَهَمِّ وَالضِّيْقِ
أَقَمْتُ فِيهَا مُضَاعًا بَيْنَ سَاكِنَيْهَا كَانَتْ فِي مَضْحَفٍ فِي بَيْتِ زَنْدِيقِ

وإلا ففي الحقيقة فهي أعظم ثغر من ثغور الاسلام ، فكم من ولي
وعالم وفاضل يريد الحج وقضاء المناسك يمر عليها ، ويدخل من (اسكاتها)
كما هو الغالب لأن الحجاج كلهم أضياف الله تعالى وفي كنفه وأمنه ،
فهي ممرٌ للأبرار ، ومقرٌ للتجار ، ضاعف الله فيها البركات ، وأظهر فيها
الخيرات .

(للكتاب بقية)



الحواشي

تدبيسه :

ترددت كثيراً عندما قرأت كلام الخضر اوى في رسالته هذه عن الدعوة السلفية ، وما نسب إلى القائمين بها من أمور باطلة حتى هممت بعدم نشر بقية الرسالة ولكن هل عدم نشرها يحول دون اطلاع القراء على ما فيها من الزور والبهتان ؟ !

إن الرسالة يوجد منها نسخ كثيرة وكل المهتمين بتاريخ بلدة جسدة لا بد أن يكونوا قد اطلموا عليها

ثم إن روى دعاء الإصلاح - أتباع الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله - ومبهم بما هم منه براء شنيئة قديمة ، وقد أظهر الله زيفها وبطلانها ، فالضح لكل منصف أن تلك الدعوة هي حقيقة الدين الإسلامى ، المستقاة من ينابيعه الصافية كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

ولئن كان علماؤنا يحذروننا من الاطلاع على كتب أهل البدع والأهواء والزيف والصلال فإن ذلك التحذير كان في محله عندما كانت تلك الكتب حبيسة المكتبات الخاصة ، وكان الحصول عليها لا يفتى لسكل أحد ، وكان انتشارها في دائرة ضيقة ، أما الآن فإن وسائل النشر يمرت لسكل قارىء الاطلاع على كل كتاب يريده ، وهيات لسكل كتاب أن ينتشر حسب رغبة ن يجههم أمر ذلك الكتاب .

لهذا أصبح لا معنى لعدم نشر الكتب التى تحوى أموراً لا تتفق مع رغبة كل قارىء ، أو التى تتضمن أموراً باطلة - كما في هذه الرسالة وأمثالها من مؤلفات أعداء الدعوة الإصلاحية .

وخبر لنا أن نوضح ما فى تلك الكتب من آراء باطلة بالهجة والبرهان من أن نحاول إخفاها عن أعين القراء ، وهذا أمر ليس فى استطاعة أحد فى هذا الزمن الذى أصبح من الميسور لسكل قارىء الاطلاع على أى كتاب يريده الاطلاع عليه .

(١) كلمة الوهابيين ألصقها بدعاة الإصلاح أعداؤهم للتفجير من قبول تلك الدعوة ، ولكنها أصبحت تطلق على كل من دعى إلى تطهير العقيدة السلفية من البدع والخرافات . والله در الملا عمران صاحب لنجة حيث يقول :

إن كان تابع أحمد متوجهاً فأنا المقسر بأنسى وهابى

(٢) ما حدث فى الطائف أكثره إن لم يكن كله من البوادى القريبة منه ، وقد أوضح ذلك الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى رسالة له مطبوعة معروفة فى كتاب « الهدية السنية » .

(٣) وصف أتباع الشيخ محمد أنهم خوارج أصله أن الدولة التركية وأنصارها لكى ينفروا الناس من قبول تلك الدعوة السلفية وصموا أهلها بالخروج ، وقد تصدى علماء الدعوة الرد على هذه الفرية ، وأوضحوا أنهم براء من كل مذهب يخالف الكتاب والسنة .

(٤) بل الأمر بعكس ذلك ، فقد طهر الإمام سعود بيت الله بما كان يجري حوله من البدع والخرافات وأمور الضلال ، وهذا بما اعترف به كل إنسان منصف حتى من علماء مكة أنفسهم ، كما أوضح ذلك الإمام الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالته التي سبقت الإشارة إليها .

(٥) لا نحب الإطالة بالتعليق على الكلمات البذيئة التي لا تليق بمساائل ، فضلا عن عالم ، ويظهر أن الحضراوي استقى كثيراً مما ذكرنا هنا من مؤلف ابن عبد الشكور الذي نشرت مجلة « العرب » خلاصته .

(س ١٠ ص ٨٠١ إلى ٨٦٨) .

(٦) يشير إلى حديث معروف ، إلا أن العلماء المحققين قد أوضحوا أن المقصود به بلاد العراق لا بلاد نجد ، فتلك شرق المدينة .

(٧) كلمة المرقدة سيئة استقاها الحضراوي من سلفه ابن عبد الشكور .

(٨) لا شك أن هذا الكتاب مختلق وليس صحيحاً ، يدل على ذلك أسلوبه وهو منقول عن كتاب ابن عبد الشكور .

(٩) يقصد رسالة من الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وهو لم يكفر إلا من كفره الكتاب والسنة ، كما يعرف ذلك من اطلع على مؤلفاته ومؤلفات أنصار تلك الدعوة السلفية والقول بأنه يكفر المسلمين فرية قديمة ، تصدى الرد عليها علماء الدعوة الإصلاحية منذ عهد الشيخ رحمه الله ، إلى هذا العهد .

والشيخ حمد بن ناصر بن معمر الذي تولى قراءة تلك الرسالة من كبار علماء الدعوة السلفية وهو الذي تولى مناظرة علماء مكة في ذلك العهد حتى أقنمهم بالحجة والبرهان بصحة تلك الدعوة الإصلاحية ، وأنها حقيقة الدين الإسلامي كما أوضح ذلك في رسالته « الفواكه المذابة » المنشورة في كتاب « الهدية السنوية »

(١٠) الحضراوي من أولئك الجهال بحقيقة دعوة الشيخ محمد رحمه الله ، فهو لم يأت بدين جديد ، وإنما جاء مجدداً للدين الإسلامي الحنيف الذي ألصق به الجهال من الخرافات والبدع وأمور الضلال ما جعله يبدو غريباً على الحضراوي وأمثاله ، كما جاء في الحديث الشريف « بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ » .

(١١) يقصد الموسيقى التي تدق له أو الوالى جدة .

(١٢) البتديرة : العلم .

(١٣) البيرق : العلم .

(١٤) كلمة غير واضحة في الأصل .

(١٥) الكلام الذي بعد هذا ليس متصلاً به ، وهذا آخر صفحة ٢٣ وما بعده من صفحة أخرى .

تُونِيَّةُ الكُمَيْتِ بن زَيْدِ الأَسَدِي
وشرحها لأبي رِيَّاشِ اليمَامِي

شعر الكميت :

يعتبر الكميت من مكثري الشعراء ، ومع ذلك فما وصل إلينا من شعره قليل ، وهو قسمان « الهاشميات » وما جمعه الدكتور داود سلوم في جامعة بغداد بعنوان « شعر الكميت بن زيد الأسدي » وقد طبع سنة ١٣٩٠ (١٩٦٩ م) بمطبعة النعمان في النجف في أقسام ثلاثة صفحاتها نحو ٦٢٦ يحوي القسم الأول من الشعر ما جُمع قديماً ، وأضاف الدكتور داود في القسم الثاني ما يرى صحة نسبه للشاعر وخصص القسم الثالث لما نسب للكميت وغيره من الشعراء .

نونية الكميت :

ولا يدركُ جُهدَ الدكتور داود في الحرص على جمع ذلك الشعراء إلا من طالع بإمعان كل صفحات ذلك الكتاب .
يَعُدُّ الكميت من أقدم مُثِيرِي بواعث العصبية وموقدي نار الشقاق بين العدنانيين والقحطانيين ، بل يعتبر أول من شبَّ أوارها على ما ذكر المسعودي في « مروج الذهب » من أنه بعُد أن اتصل ببعض بني هاشم وأنشدهم ما قاله فيهم من المدح في « الهاشميات » قال له أحدهم : (إن رأيت أن تقول شيئاً تغضب به الناس ، لعل فتنة تحدث ، فيخرج من بين أصابعها بعض ما نحب ، وابتدأ الكميت وقال قصيدته التي

يذكر فيها مناقب قومه بيبي نزار ، وأنهم أفضل من قحطان) ثم ذكر
المسعودي غضب اليمانية وتحزب الناس وثورة العصبية في البدو والحضر ،
ثم انحراف اليمانية عن الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية . وأورد
المسعودي مطلع القصيدة :

أَلَا حَيْثُ عَنَا يَا مَدِينَنَا وَهَلْ بَأْسٌ يَقُولُ مُسْلِمِينَا
وَأَبْيَاتًا مِنْهَا .

كما أورد طرفاً من ذلك الأصفهاني في « الأغاني » وسَمِّيَ تلك
القصيدة « المذهبة » وذكر بعض من عارضها من الشعراء .

وهذه القصيدة تقارب ثلاث مئة بيت ، لم تصل إلينا كاملة ،
وقد رجع الدكتور داود سلوم إلى أمهات كتب اللغة والأدب فجمع
سبعة وثمانين بيتاً ، اتضح لي أن ثمانين بيتاً^(١) منها من تلك القصيدة ، فهي
تتفق مع أبيات القصيدة : (١٩٩ - ٥٠ - ٦٤ - ٢٥ - ١٨٧ - ١٦٦ -
٢٨٣ - ٧٠ - ٤٨ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ١٩٢ - ١٩٦ - ١١٤ - ٢١٥ -
٢١٦ - ١٧٩ - ١٩٧ - ١٦ - ٥ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨٣ -
٨١ - ٢٥٢ - ٢٥٣^(٢) - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٠ - ٢٤٨ - ١٤٤ -
١٤٥ - ٩٠ - ٩١ - ١٢ - ١٣ - ١٧٦ - ٢٦٧ - ٢٧٣ - ١١١ - ٩٢ -
١٥٩ - ٢٠٣ - ١٠٠ - ٤٧ - ٦ - ٧ - ٨ - ١٠٧ - ٩٧ - ٢٦٢ - ٢٤٧ - ٧٤ -
١٦٩ - ٢١٧ - ٢١٢ - ١٧١ - ١٥٧ - ٥٦ - ١٣٤ - ٤٦ - ١٦٠ -
٩٥ - ١٤٣ - ٢٠١ - ١٠٨ - ١١٧ - ١١٨ - ٢٠٥ - ١٨١ - ١٢٠ -
٢٠٢ - ١٠٣ - ٠ - ٠ - ١٦١ - ٠ - ٣٠^(٣) .

(١) تقع في الجزء الثاني من « شعر الكيت » من ص ١٠٩ إلى ١٢٤ .

(٢) هذا البيت كرر الدكتور ذكره لاختلاف روايته

(٣) قابلت ما أورد الدكتور من القصيدة بحسب ترتيبه هو - بما هو موجود في القصيدة
بحسب ترتيبى لأبياتها الموجودة في الأصل الذي لدى ، وما لم أجد مقابله وضعت مكانه نقطة سواء . -

وثمانية أبيات لا توجد فيما اطلعت عليه منها ، ولا شك أن واحداً منها هو مطلع القصيدة مما سقط من الأصل الذي اطلعت عليه ، فقد سقط من أوله صفحات نحوي ذلك المطلع وغيره من أول القصيدة والأبيات الأخرى هي :

وشطاً ولي النوى إنَّ النوى قُدْفُ تِيَّاحَةٍ غَرِيبة بالدار أحياناً
وهذا يخالف وزن القصيدة ورويها ولا أدري لِمَ أقحمه الدكتور داود بين أبياتها :

إِيَادُ حِينَ تُنْسَبُ مِنْ مَعَدٍ وَإِنْ رَغِمَتْ أُتُوفُ الرَّاعِمِينَا
وَكَانُوا فِي النَّوَابِيَةِ مِنْ نِزَارٍ وَأَهْلٍ لِيَوَائِهَا مَتَنَزِّرِينَا

ويكاد يجزم المرءُ بأنَّ هذين البيتين من القصيدة ، ولكن يعترض هذا علم وجودهما فيها . والقول بأنَّهُمَا قد يكونان مما سقط من الأصل الذي وصل إلينا بردهُ أنَّ الساقط من أول القصيدة مما يتعلق بمخاطبة (مَدِينَا) ووصف الديار .

وكذا يقال في الأبيات الأخرى وهي :

وَضَمَّ قَوَاصِيَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ فَقَدْ رَجَعُوا كَحَيٍّ وَاحِدِينَا

ولعل المقصود به قصي بن كلاب ، وهذا لم يرد له ذكر في

القصيدة :

كَانَ بَنِي ذُوَيْبَةَ رَهْطَ قِرْدٍ فَرَّاشَ حَوْلَ نَارٍ يَصْطَلِينَا
يَطْفَنَ بِحَرِّهَا وَيَقَعْنَ فِيهَا وَلَا يَدْرِينَ مَاذَا يَتَّقِينَا

هذان - إذا صَحَّتْ نَسَبَتُهُمَا لِلْكَمَيْتِ - كما في « المستقصى »

للزمخشري فلعلمهما من غير هذه القصيدة التي هجا فيها بطون القبائل

الكبيرة هجاء عاماً ولم يتعرض للأفخاذ وكذا البيت :
 وَلَا تَلْجِزْ بِيوتَ بِنِي سَعِيدٍ وَلَوْ قَالُوا وِرَاعِكَ مُصْفِحِينَ
 وليس من المستبعد أن تكون القصيدة رُوِيَتْ من أوجهٍ أخرى
 غير ما وصل إلينا ، وفي تلك الأوجه زيادات على ما في النص المذكور ،
 الذي نجد فيه إشارات إلى روايات أخرى ، فرواة شعر الكميت كثيرون ،
 وكثير من قصائده تختلف الروايات فيها . ومن أمثلة ذلك قصيدته
 التي مطلعها :

أَلَا لَا أَرَى الْأَيَّامَ يَفْنَى عَجِيهَا

فهي في مخطوطة (مكتبة الحرم المكي) من كتاب « جمهرة
 أشعار العرب » تزيد أبياتاً كثيرة على ما ورد في النسخ المطبوعة من هذا
 الكتاب. ويؤيد القول باختلاف روايات القصيدة أن الهمداني في قصيدته
 « الدامغة » التي ناقض بها قصيدة الكميت هذه أشار إشارات موجزة
 إلى أبيات منها ليست موجودة في الأصل الذي وصل إلينا ومنها ما نجزم
 بأنه من أول القصيدة فيما نقص من أول الأصل كقول الهمداني :

لَقَدْ سَرَقَ ابْنُ عَبَّاسٍ بَعْضَ شِعْرِ : (قَفُوا بِالْأَدَارِ وَقَفَّةَ حَابِسِينَا)
 فهو يذكر أن عجز هذا البيت للكميت سرقه من شعر امرئ القيس
 ابن عباس :

قَفِ بِالْأَدَارِ وَقُوفًا حَابِسِ وَتَأَنَّ إِنَّكَ غَيْرُ أَبِيسٍ (١)
 وكفوله (٢) :

فَكَيْفَ نَكُونُ فِي زَعْمِ ابْنِ زَيْدٍ عَلَى هَذَا (كَشْحَمَةَ مُشْتَوِينَا)
 وَلَمْ أَجِدْ - فيما لدى من قصيدة الكميت بيتاً بهذه القافية .

(٢) « شرح الدامغة » : ١٦٩

(١) « شرح الدامغة » : ٥٨

ويظهر أن الهمداني اطلع على أصل آخر للقصيدَة ، ويُسْتَأْنَس لهذا بكونه روى بعض ما يتعلق بالكميت من غير طريق راوي الأصل الذي وصل إلينا فقد جاء في « شرح الدامغة »^(١) ما نصّه : (الكيمت - على ما خبّرني مولاه محمد بن ابراهيم بن الأسد - : من بني دُودان مالكي) .

أما ما وصل إلينا من القصيدة فهو برواية أحمد بن أبي رياش عن الهمداني - فيما يظهر - ويبرز إشكال آخر هو: لماذا لم يعتمد الهمداني رواية ابن أبي رياش ، ولماذا لم يستفد من شرحه للقصيدة ، بل لماذا لم ترد إشارة إليه في « شرح الدامغة » ؟ هذه أسئلة لم أجد لها جواباً أطمئن إليه .

أما نَقْصُ ما وصل إلينا من القصيدة فهو - في رأيي - منحصر في أولها ، في مخاطبة (مدينا) وفي وصف آثار الديار ، وقد لا يتجاوز عشرة أبيات أو نحوها مما يقع في ورقة واحدة من ورق المخطوطة التي هي أصل ما سنشره .

أثر قصيدة الكميت من الناحية الأدبية :

بصرف النظر عن كون الكميت أججَ بشعره - ها شميّاته وقصيدته هذه - أججَ نار العصبية بين القحطانية والعدنانية ، ولكنه بهذه القصيدة أثار في نفوس شعراء الشّعبيين العظميين من كَوَامِنِ البُغْضِ والحقد ما ظلَّ أوارُهُ يشتعل إلى عصرنا الحاضر ، وهو على سُوءِ بَوَاعِثِهِ وَخُبْثِ مَقْبَلَتِهِ أمدُّ الأدب برفادٍ مستمر الجريان منذ عهد الكميت إلى عصرنا الحاضر .

فقد عارض الكميت شعراء كثيرين منهم حكيم بن عياش الأعور

الكلي وسراقة البارقي - وقد وردت إشارات إليهما في شرح قصيدة الكميت وهما معاصران له .

كما عارضه دعبل بن علي الخزاعي الشاعر المعروف بقصيدته التي مطلعها :

أَفْتِي مَنْ مَلَامِكِ يَاظَعِينَا كِفَاكِ اللَّوْمِ مَرُّ الْأَرْبَعِينَا
ومحمد بن أبي عيينة المهلبي - من معاصري دعبل - على ما ذكر الأصبهاني في «الأغاني» وعاصره شاعر يدعي أبا الذلفاء الحسن بن زيد فناصر الكميت ، على ما ذكر «صاحب الأغاني»^(١) بقصيدة سماها «الدامغة» مطلعها :

أَمَا تَنْفَكِ مَتَبُولَا حَزِينَا تَحِبُّ الْبَيْضَ تَعْصِي الْعَاذِلِينَا
وجاء الهمداني - أو كما وصف نفسه (لسان اليمن) - فعارض الكميت بقصيدته التي تجاوزت ست مئة بيت ، افتتحها بقوله :

أَلَا يَا دَارُ أَوْلَا تَنْطَقِينَا فَيَانَا سَسَائِلُونَ وَمُخْبِرُنَا
وقال فيها :

وَدَامَغَةُ كَمِثْلِ الْفَهْرِ تَهْوِي عَلَى بَيْضٍ فَتَتْرَكُهُ طَحِينَا
تَرْدُ الطُّوْلَ لِلْأَسْدِيِّ عَرْضَا وَتَقْلِبُ مِنْهُ أَظْهَرُهُ بَطُونَا
وقد نشرها - مع شرحها - صديقنا الأستاذ الشيخ محمد بن علي الأكوغ^(٢) . وكثرت (الدوامغ) بعد ذلك . فقد ردَّ علي الهمداني شاعر يدعى زيد بن محمد العمري العدوي بقصيدة مطلعها :

طَرِبْتُ وَقَدْ هَجَرَتِ اللَّهْوُ حِينَا وَهَاجَ لِي الْهَوَى دَاءُ دَفِينَا

(١) ٢٠-١٨٦

(٢) طبعت في معرسة ١٣٩٧ في ٦١٣ صفحة .

وقد رأيتها مشروحة مع دامة أخرى لرجل يدعى ابن حنش الصنعاني
في مجلد كتب عنوانه كتاب « الدوامع » من كتب الشيخ عبد الله العمودي
الذي كان قاضياً في مدينة جازان .

وقد ردّ على العدوي محمد بن الحسن الكلاعي المتوفي سنة ٤٠٤
بقصيدة دعاها « الدامة » أولها :

أَبَتْ دِمْنُ الْمَنَازِلِ أَنْ تُبَيِّنَا إِجَابَةَ سَائِلِينَ مُعْرَجِينَا
واستمرّ التّهاجي - على هذا النمط - وخاصةً بين شعراء اليمن ،
وكان آخر من قرأنا له شعراً من هذا القبيل وزير خارجية آخر أئمة
اليمن الأستاذ أحمد بن محمد الشامي فقد نشر قصيدة في سنة ١٣٨٦
دعاها « دامة الدوامع » مطلعها :

أَنْدَضِي فِي سَبِيلِ الْأَوْلِيَانَا فَنَمْدَحُ تَارَةً وَنَذْمُ حِينَا
ناصر فيها الإمام البدر وقومه . وهجا مخالفيهم ، وهي مطبوعة .
فردّ عليه - من الجانب الآخر - الأستاذ مطهر بن علي الارياني
بقصيدة مطلعها :

أَيَا وَطَنِي جَعَلْتُ هَوَاكَ دِينَا وَعَشْتُ عَلَى شَعَائِرِهِ أَمِينَا
وهي مطبوعة معروفة أيضاً ^(١) .

وهناك قصائد أخرى في محاكاة قصيدة الكمييت مناقضة لها أو مؤازرة
من بحرهما وروبيّها ، وأخرى تخالفها في البحر أو القافية ، لا نرى
الإطالة بذكرها ، إذ الغرض إدراك جانب من أثر هذه القصيدة يتضح
بما تقدم .

(١) رجعت هنا إلى مقدمة كتاب « الدامة وشرحها » للقاضي الشيخ الأكوخ في بعض
ما ذكرت هنا .

ولكن مع ما لقصيدة الكميت من أثر ، وما بلغته لدى الشعراء من شهرة لم تصل إلينا كاملة .

الأصل الذي وصل إلينا :

حفظت خزائن علماء اليمن نفائس من المؤلفات القديمة في مختلف العلوم ، كمؤلفات قدماء المعتزلة ، ومؤلفات علماء الزيدية في الفقه والحديث ، وغيرها من الكتب .

وما يُحمد لعلماء الزيدية ولأئمتهم - وهم يشترطون أن يكون الإمام عالماً - مما يُحمد لهم رحابة صدورهم ، والإبقاء على مؤلفات مخالفيهم .

ومن تلك المؤلفات القصيدة التي هجأ بها الحمداي^١ العدنانية وردَّ بها على الكميت . ودعاها « الدامغة » وشرحها فتداه حُفظت في خزائن القوم وعي في هجوهم . ولم يَصِفِيَقُوا ذَرْعاً بِهَا ، ووصلت إلينا في مجلد يَضمُّ معها قصائد أُخرى لشعراء من اليمن . ومعها قصيدة الكميت .

كانت (جامعة القاهرة) أرسلت بعثة إلى اليمن قبل عشرين عاماً وفي البعثة الدكتور سليمان حزين والدكتور خليل يحيى نامي والأستاذ فؤاد السيد ، لتصوير تراجم المخطوطات . فكان مما صورت من (مكتبة الإمام يحيى) مُجلداً يحوي .. فيها يحوي -

١- قطعة من قصيدة نونية مشروحة تقع في صفحتين .

٢- قطعة من قصيدة رائية تقع في صفحة واحدة .

٣- قصيدة نشوان الحميري الحاثية :

لأمر جد وهو غير مزاج فاعمل لنفسك صالحاً يا صاح

٤- قصيدة البحر النعامي في ذكر الشهور الحميرية - التي نشرتها
« العرب » (١)

٥- كتاب « الدامغة » قصيدة الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني .
المجانب بها الكمييت بن زيد الأسدي بتفسيرها ومعانيها .

ويقع هذا المجموع في ١٨٤ (مئة وأربع وثمانين ورقة) ويظهر أنه
مختل من حيث ترتيب الورق ، وفيه نقص في القطعتين اللتين في أوله
وفي قصيدة البحر النعامي . وفي آخر شرح « الدامغة » .

والمجموع من مخطوطات القرن السابع . فقد جاء في آخر القصيدة
الرائية الموسوعة في أوله ما نصه (تمت القصيدة وهي ثلثمائة واثنان عشر
بيتاً ، وذلك في يوم النصف من شهر جمادى الأول (٢) من شهور سنة
ثلث وعشرين وستماية سنة . بقرية مسلت من ظاهر بلاد همدان .
بحمد الله ومنه . . .) .

وقد اقتنيت نسخة مصورة من هذا المجموع ، وعُنيت بدراسته
فاتضح لي أن القطعة التي في أوله من قصيدة الكمييت . دل على ذلك
بيته في قبيلة بارق وهو بيت مشهور ، مما جعلني أتوقع وجود القصيدة
في إحدى مكتبات اليمن ، إذ من المستبعد أن يُبقي علماءه على قصيدة
قيلت في هجائهم محفوظة متوارثة ، ولا يهتمون بالقصيدة التي قيلت
في مدحهم .

ولما قدمت مدينة القاهرة سنة ١٣٩٧ وجدت مورخ اليمن الأستاذ
الجليل القاضي محمد بن علي الأكوخ يقوم بنشر « الدامغة » بشرحها

(١) س ١٢ ص ٥١٠-٥٢٠ .

للهمداني وما أشدُّ سرورى حينما رأيت عناده أصلاً ثانياً لتلك القصيدة ،
 في مجموع يماثل المجموع الأول ، إلا أن نَقْصَهُ يَسِيرٌ في أوله ، حيث
 توجد القصيدة الكمية مشروحة لا ينقصها سوى أبيات قليلة ، وزاد
 سرورى أن شارحها عالم لغوي مشهور هو أبو رياش أحمد بن أبي هاشم
 اليمامي المتوفى في منتصف القرن الرابع الهجري ^(١) ، والذي وُلِدَ في
 قرية الخضرة ^(٢) ، التي درست ، وكانت تقع في الشمال الشرقي من
 بلدة منفوحة غير بعيدة عنها ، وكان يطلق على أطلالها اسم (المنفوشي)
 و (قصر المنفوشي) و (قصر الأعشى) إلى عهد غير قريب .

فأشرت على الصديق الأستاذ الأكوخ بأن ينشر القصيدة الكمية
 مع القصيدة « الدامغة » للصلة بين القصدين ، فوعد بذلك ، ويظهر
 أن ما قاساه من تعب أثناء الطبع ، مع طول الوقت الذي أمضاه للإشراف
 على ذلك دفعه إلى الاختصار على نشر القصيدة « الدامغة » مع شرحها .

وقد تحدث الأستاذ الأكوخ في مقدمة « الدامغة » عن المخطوطة التي
 توجد فيها القصيدة الكمية ^(٣) ، فذكر أنها لدى أحد الأدباء اليمانيين ،
 مشرف بن عبد الكريم المحراني الجبلي - من مدينة ذي جيلة - .

(١) مترجم في « إنباء الرواة » للقطبي و « معجم الأدباء » لياقوت و « بنية الوعاة »
 للسيوطي وغيرها .

(٢) ذكر ياقوت أنها مشهورة بعظم البصل ، وهي تقع بقرب ملتق وادي البطحاء (الوتر
 قديماً) بوادي الباطن) العرض قديماً ، حيث يتجمع الغريف الذي يجرفه وادي البطحاء من أعالي
 مروع .

(٣) ص ٧٢ .

وقد صورها (معهد المخطوطات) التابع لـ (الجامعة العربية)
وهي تقع في ٢٠٤ من الورق ، وتضم :

١- القصيدة الكميتية وشرحها (١-٢٩) ٤٦ صفحة تبدأ بالبيت

- من الصفحة الثانية - :

أَلَمْ تَتَعَجَّبِي مِنْ رَبِّبِ دَهْرٍ رَأَيْتَ ظُهُورَهُ قَلْبَتِ بَطُونَا

وتنتهي بما هذا نصه :

كَبَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ وَجَدْتُ بَيْتًا يُمَدُّ عَلَى قُضَاعَةٍ أَجْمَعِينَا

نسب قضاة إلى قاة العدد ، كما قال الطرماح بن حكيم الطائي

في هجو بني تميم :

وَلَوْ أَنَّ أُمَّ الْعَنْكَبُوتِ بِنْتُ لَهُمْ مَظَلَّتْهَا يَوْمَ اللَّقَاءِ أَظَلَّتْ

تمت القصيدة الكميتية بحمد الله ومنه .

قال في نسخة الأصل : وكتبها الحسن بن يعقوب .

قرأتها على أبي رياش أحمد بن أبي هاشم القيسي .

والحمد لله وحده ، وصلاته على محمد وآله وسلامه ، وكان القراع

من نساخته يوم الجمعة الثاني من شهر المحرم ، أول شهر سنة ست

وعشرين وست مئة سنة .

بخط الفقير إلى رحمة ربه ، علي بن زيد بن أحمد بن علي

ابن عبد السلام بن أبي يحيى ، وهو يسأل الله المغفرة له ولوالديه ولجميع

المسلمين ، إنه قريب مجيب .

نسخ لخزانة الفقيه الأجل الأوحـد الفاضل العالم العامل الكامل ،

الورع الزاهد ، تقي الدين أحمد بن موسى بن سعيد السحاري (؟) أدام

الله سعادته .

للحسين بن علي التميمي يهجو طبيياً بنا داراً فأوسع بابها :
 ما طَوَّلَ الْبَابَ الطَّوِيلُ لَ لِأَنَّهُ شَيْءٌ يَزِينُهُ
 لَا كُنْهَ رَامَ الدُّخَانَ لَ فَلَمْ تَطَاوَعُهُ قَرُونُهُ

٢- وتبدأ الصفحة الثانية من الورقة ال (٢٩) مما هذا نصه :

وقال محمد بن الحسن الكلاعي ^(١) قصيدته المفحمة يجيب الفضل

بن تاروح الرومي :

خَلِيلِي هَلْ رُبَّ بَحْفَاتٍ مُتَمَفِّرٍ يَرُدُّ لِشَكْوَى ذِي الْجَوَا أَوْ يُخَبِّرُ

وفي الصفحة الأولى من الورقة ال (٤٠) :

فَدُونُكَ ذُقْ غِيبَ الَّذِي أَنْتَ صَانِعُهُ سَتَحْصُدُ كَفَّ الْمَرْءِ مَا كَانَ يَبْدُرُ

سَيَكْشِفُ عَنْ عَيْنَيْكَ شِعْرِي دُجِّي الْعَمَى

وَتُصْبِحُ مِنْ حَرِّ الْوَسْمِ تُحَسَّرُ

وَلَمْ يَنْهَ ذَا بَغْيٍ كَمِثْلِ جِزَائِهِ

وفي البطش لإصحاء لمن هو مُسْكِرُ

وعندي أمثال لها لا تعزني

وغيري يعيي دون ذلك ويحصر

تمت القصيدة وهي ثلثماية واثنا عشر بيتاً وذلك في اليوم الرابع من

شهر المحرم أول شهور سنة ست وعشرين وستماية ، بقرية حوث ^(٢)

بحمد الله ومنه ، وصلى الله على خاتم النبيين محمد وعلى أهل بيته

الطيبين الطاهرين .

وتقع هذه القصيدة في ٢٢ صفحة ، يتخلل بعض أبياتها شروح .

(١) مترجم في كتاب « المهدون من الشعراء » للقطبي . طبع (دارالهيمنة) .

(٢) حوث في بلاد حائل من همدان « صفة جزيرة العرب » ص ٢٤٥ - طبع « دار الهمامة

طبعت والترجمة والنشر)

٣- وفي الصفحة الثانية من الورقة الـ (٤٠) بعد البسمة والحمدلة :
(قال الشيخ الأجلُّ نشوانُ بن سعيد في الزهد :

الأمرُ جِدٌّ وهو غير مزاح . فاعمل لنفسك صالحاً يا صاح^(١)
في ست صفحات والصفحة الأولى من الورقة الـ (٤٣) تنتهي بهذا البيت :
كَلًّا ولا بعساكر ودَّساكر وجحافل ومعامل وسِلاح

٤- وتبتدئ الصفحة الثانية من الورقة المذكورة - بعد البسمة والحمدلة والصلاة على النبي وآله بما هذا نصه : (وقال البحر النعامي من آل ذي نعمة . وهو حَمِيرِيٌّ من سكن صنعاء يذكر الشهر ، ويذكر فيه (؟) الكروم ، وما يصلح لفصول السنة من الأغذية :

أقامتْ كرومك في شهر (آب) من المَاءِ تَفَهَّقُ مثل الجواب^(٢)
وتقع في سبع صفحات حيث تنتهي في الصفحة الثانية من الورقة الـ (٤٦) وقد أكملت الصفحة بأبيات من الشعر في معانٍ مختلفة لا ارتباط بينها .

٥- وفي الصفحة التي بعدها أبيات لمحمد بن زياد الماربي المازني ، في هجو الأمير يحيى بن حمزة بن وهاس وأخرى لما قُتِل علي بن محمد الصليحي .

وأبيات للأمير علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس إلى الأمير هاشم ابن فليته بن قاسم الموسوي لما حبس قوماً من الزيدية أهل صعدة بمكة ، وهي سبعة أبيات بعدها : (وهي طويلة ، فأخرجهم من السجن ، ووهب له جرمهم) .

(١) هي القصيدة الحميرية المعروفة وقد نشرت مع شرحها

(٢) نشرت في مجلة « العرب » - كما تقدم

٦- وفي الصفحة المتصلة بها ، وهي الثانية من الورقة ال(٤٧) ما هذا
نصه :

(كتاب الدامغة ، قصيدة الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ،
المجاب بها الكعبت بن زيد الأسدي بتفسيرها ومعانيها). وبقية^(١) الصفحة
خالية من الكتابة ويبدأ الكتاب بالصفحة الأولى من الورقة ال(٤٨) وتنتهي
بما نصه :

وَحَسْبُكَ أَنْ جَهْلَ الْمُرُو يَضْحَى عَلَيْهِ لِلْعِدَاةِ لَه ، مُعِينَا
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الْأَيْمَةِ الْأَطْهَارِ وَسَلَّم .

ثم قصيدة للهمداني هذا نصها - في الصفحة الثانية من الورقة ال(٢٠٣)
وفي الأولى من الورقة ال(٢٠٤) .

وهذا نصها : (ولما كان من أمر الحسن ما كان ، وكثر عدوة ولائمه .
أنشأ يقول^(٢) :

لَيْسَ لِأَمْنِي قَوْمٌ وَلَمْ أَكُ مُجْرِمًا	لَأَجَلَ جَوَابِي إِذْ أَجَبْتُهُمْ لَمَّا
أَمَادُوا عَلَيْنَا الْأَرْضَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ	وَلَا قَطَرَتْ فِينَا السَّمَاءُ لَهُمْ دَمًا
وَلَا نَانَثَرَتْ مَعَهَا عَلَيْنَا أَكْفُهُمْ	إِذَا مَا ارْتَقَتْ فِي سَلْمِ الرِّيحِ أَنْجَمًا
لَهَاتَتْ عَلَيْنَا فِي الْجَوَابِ أُمُورُهُمْ	جَمِيعًا سِوَى مَا كَانَ مِنْهُمْ تَعَشَّمًا
وَهُمْ بَدَأُوا بِالظُّلْمِ أَوَّلَ مَرَّةٍ	فَارَكَبَهُمْ فِينَا عَقُوقًا وَمَأْتَمًا
فَقَلْنَا لَهُمْ : مَهْلًا أَلْسَنَا وَكُورَةً	لَكُمْ يَا بَنِي عَدْنَانَ فِيمَا تَقْدَمَا ؟

(١) وقع خطأ في ترقيم صفحات المجلع حيث وضع هنا (٤٩) والصواب (٤٨)
(٢) آثرت إيرادها لصلتها بشرح الدامغة ، ولا أدري لماذا لم يوردها صديقنا الأستاذ الأكرم
في محلها من الشرح المذكور .

ونحن نراكم بَعْضَنَا بَلْ نراكمُ
 فَلَا تصدعوا الشَّعْبَ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا
 ولا نركبونا بالعظيم فإنسا
 فلم بأخبار الزَّمان وما جرى
 (٢٠٤) وما كان فيكم ذوشبابة مُفَوِّه
 فمهلاً دَعُوا بَحْثَ الثَّرَى بِأَكْفُكُمْ
 فَلَاقَى بِنَابِيهِ مِنَ الْمَرْءِ كَفَّهُ
 فَلَمَّا أَبْرَ إِلَّا الْغَوَايَةَ صَادَفَتْ
 فَكَلْتُ لَهُمْ بِالصَّاعِ صَاعِينَ ظَالِمًا
 بِدَامِعَةٍ كَالنَّجْمِ خَرَّ عَلَيْهِمْ
 وما من قَتِيٍّ أَرَبِيٍّ عَلَى ظَالِمٍ لَهُ
 مَتَى لَامَهُمْ مِنْهُمْ عَلَى الشَّعْرِ وَاحِدٌ
 وَإِنِّي لِلْقَرْمِ الَّذِي حَضَرَتْ لَهُ
 وَحَاذَ لِيَوَاءَ الشِّعْرِ عَنْ كُلِّ شَاعِرٍ
 وَكُلُّ خُرُوجِ الْبَيْتِ حَدًّا فَقَدَحَتْ
 يَفُوتُ بِهَا فِي الشَّأْوِ مَنْ كَانَ غَابِرًا
 وَإِنِّي مِنْ هَمْدَانَ فِي سِرِّ سِرِّهَا

لِقُرْبَاكُمْ مِنَّا أَشْقَاءَ وَإِنَّمَا
 فيصبح ذاقُفُصْلِينَ فِي الْقَوْمِ أَتْلَمَا
 مَتَى تُرْكِبُوا تُرْكِبُكُمْ مِنْهُ أَعْظَمَا
 بِهِ فِي بَنِي حَوَاءَ مِنَّا بِأَعْلَمَا
 فَصَادَفَ فِينَا مِنْذُ كُنَّا مُضْحَمَا
 قُرْبُ ثَرَى أَبْدَى لَدَى الْبَحْثِ أَرْقَمَا
 فَاتْلَفَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَكَلَّمَا
 جِبَاهُهُمْ عِنْدَ التَّصَادُمِ صَلْدَمَا
 وَكَانُوا ابْتَدُوا بِالظُّلْمِ ، لِاشْكُ أَظْلَمَا
 مِنَ الْحَجْرِ ، أَوْ مَوْتِ أَنَاهُمْ مُصَمَّمَا
 يَظْلَمُ فَنَاضِحِي فِي الْأَنَامِ مُلَوَّمَا
 فَالْفَيْتَهُ ، إِلَّا لَدَى الْبَدْرِ أَلْوَمَا
 قُلُوبِ بَنِي عَدْنَانَ لَمَّا تَزَعَمَا
 بِشِعْرِ يَقْدُ الصَّخْرَ ، أَوْ يَفْلَحُ الْقَدَمَا
 أَوْابِدَ تُبْقَى فِي قَفَا الدَّهْرِ مِسَمَا
 وَتُلْحِقُهُ يَوْمًا يَمَنْ قَدْ تَمَدَّمَا
 إِلَى (آلِ عَبْدٍ) مِنْ (بِكَيْلٍ) وَ(أَذَهَمَا)

نَمَّ الْكِتَابَ بِعَوْنِ اللَّهِ وَمَنْهُ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَصَلَوَاتِهِ عَلَى
 سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ وَسَلَامِهِ . فَرَّغَ مِنْ نَسَاجَتِهِ الْعَبِيدِ

النفقير إلى رحمة الله عز وجل وثوابه : علي بن زيد بن أحمد بن علي
أحمد بن إسحاق بن يحيى بن أبي يحيى . في شهر ربيع الأول من شهر
سنة ست وعشرين وستماية سنة . حامداً لله تعالى . ومصلياً على سيد المرسلين
محمد وآله الأكرمين) .

ما تقدم يتضح أن قصيدة الكعبت بقيت محفوظة في بلاد اليمن
وفي بلاد همدان خاصة . في (مسئلت) وفي (حوث) ومعروف ميل قبيلة
همدان إلى الهاشميين منذ بدء الخلاف بين علي بن أبي طالب ومعاوية
ابن أبي سفيان وقول علي :

فَأَوْ كُنْتُ نَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ نَقَلْتُ لَهُمْ دَانَ إِذْ خَلِي بِسَلَامٍ
وبني ولاؤهم للهاشميين إلى عصرنا الحاضر .

ويظهر أن الهمداني صاحب كتابي «الإكليل» و«صفة جزيرة العرب»
وغيرهما من المؤلفات هو الذي أدخلها إلى اليمن كما يتضح من جملة :
(قال في نسخة الأصل : وكتبها الحسن بن يعقوب : قرأها علي بن أبي
رياش أحمد بن أبي هاشم القيسي) .

فالهمداني هو الحسن بن يعقوب . إذ ينسب إلى جده يعقوب لأنه
أشهر من أبيه . ورد هذا في كثير من الكتب التي تُرجم فيها^(١) .

ولعله اتصل بأبي رياش أثناء مجاورته بمكة .
ويعترضنا إشكالٌ وهو أن الهمداني لما رجع إلى اليمن وأقام في صعدة
حدث بينه وبين شعرائها ما دفعه إلى تأليف كتابه «شرح الدامغة» وكان

(١) انظر ترجمته وافية في مقدمة كتاب «صفة جزيرة العرب» طبع (ودار الإمامة للبحث
والرحمة والنشر) .

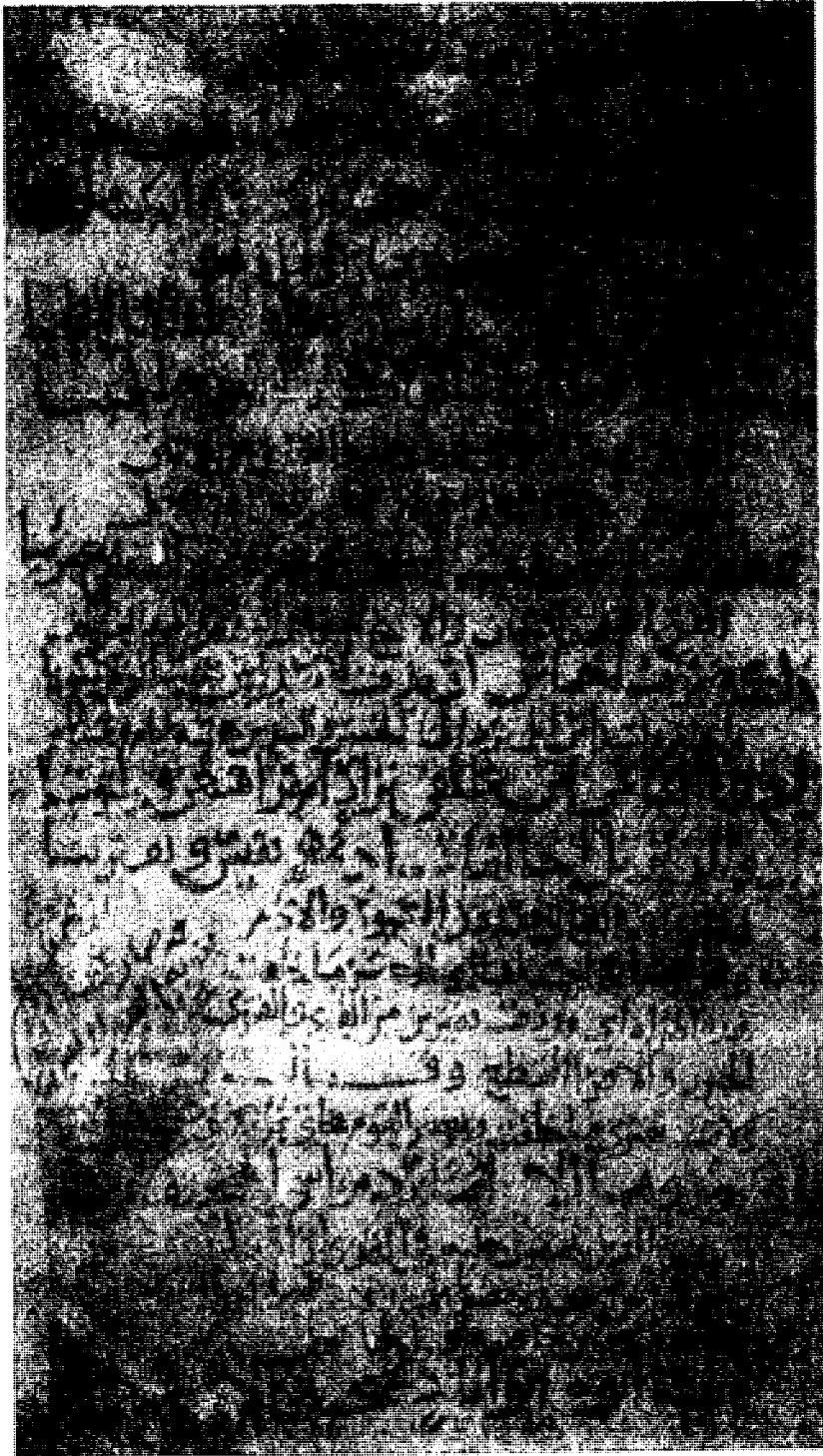
الفه سنة ٣١٦ - ولكننا لانجد في هذا الشرح ما يشير إلى صلته بأي رياش . ولانجد لشرح أبي رياش لقصيدته الكميت ذكراً في كتاب «شرح الدامغة» بل ذكر فيه ما يفهم منه أن مؤلفه استقى معلوماته عن الكميت من مصدر آخر - كما تقدمت الإشارة إلى ذلك .

كل ما يعيننا هنا أننا ظفرنا بأصل للقصيدته الكميتية يضيف جديداً إلى ما وصل إلينا منها ، وعثرنا على ما يقرب من ثلاث مئة بيت من شعر أحد فحول شعرائنا المتقدمين ، وبشرح لهذا الشعر لعالم لغوي كان ذا عناية بشعر الكميت خاصة ، مع عنايته بشعر غيره ، وفي هذا الشرح نصوص لغوية على جانب من الفائدة للمعنيين بالدراسات اللغوية .

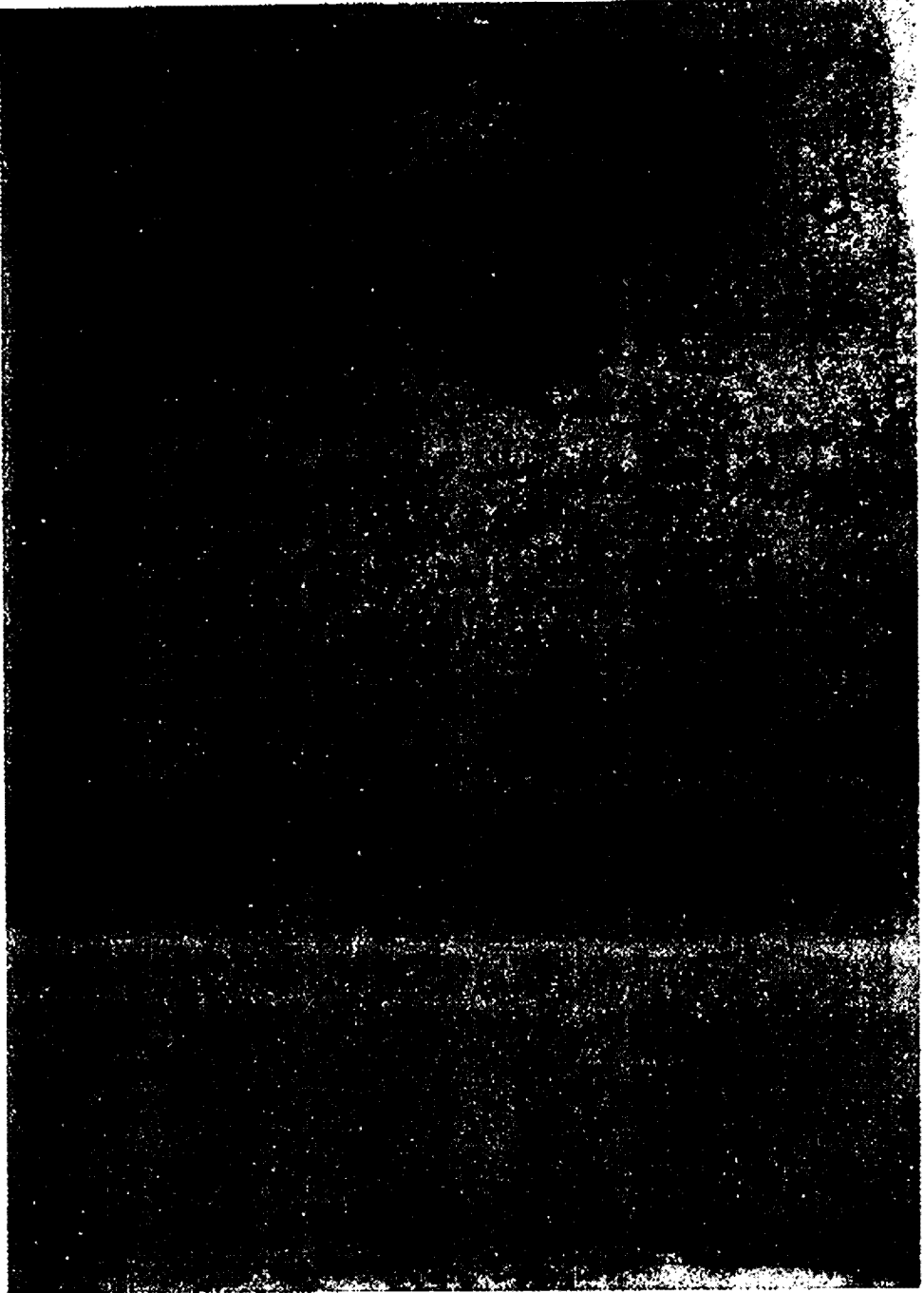
كتابة الأصل :

سأكتفي بإيراد صور ثلاث صفحات من المخطوطة مكتفياً عن الإطالة بوصفها ، ولرداءة التصوير ، وعدم إتقان الخط ، وردت كلمات كثيرة في الأصل لم أستطع قراءتها وضعت بعدها علامة استفهام (?) كما أبحث لنفسني زيادة حروف أو كلمات يسيرة لا يستقيم الكلام إلا بها وضعتها بين مربعين [...] .

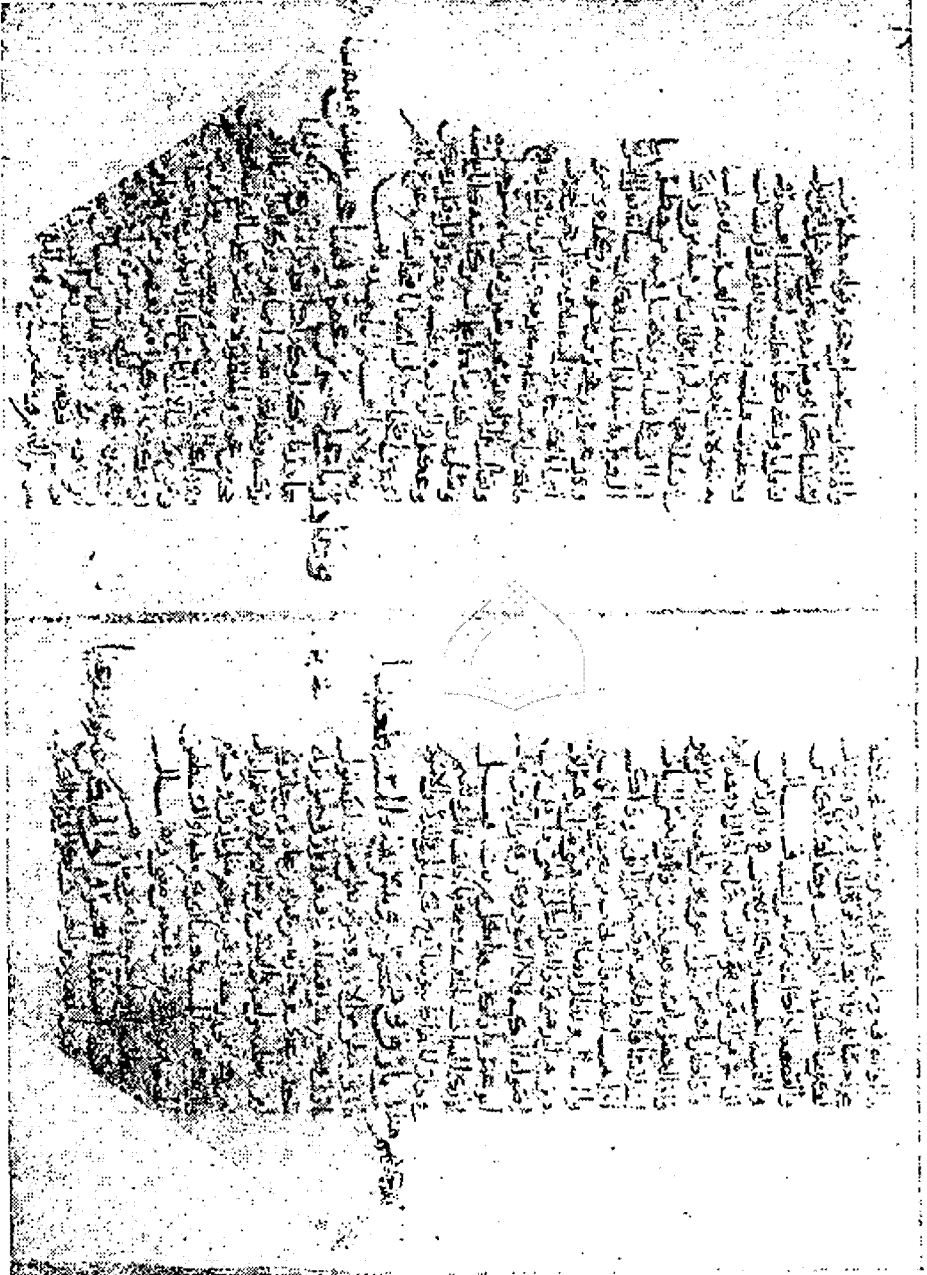
ولم أجهد نفسي بمراجعة كتب الأدب لمقابلة أبيات القصيدة أو الاستزادة من أبيات لم ترد ، لأن الدكتور داود سلوم - الذي عني أشد عناية بجمع شعر الكميت ونشره ، لم يترك زيادة لمستزيد ، حسبما ذكر من المؤلفات التي رجع إليها - لهذا اكتفيت بالإشارة في (الهوامش) إلى ما جمع من أبيات القصيدة ، ورمزت لذلك بحرف (د) وهو جدير بأن يذكر عمله مقروناً بالشكر والتقدير .



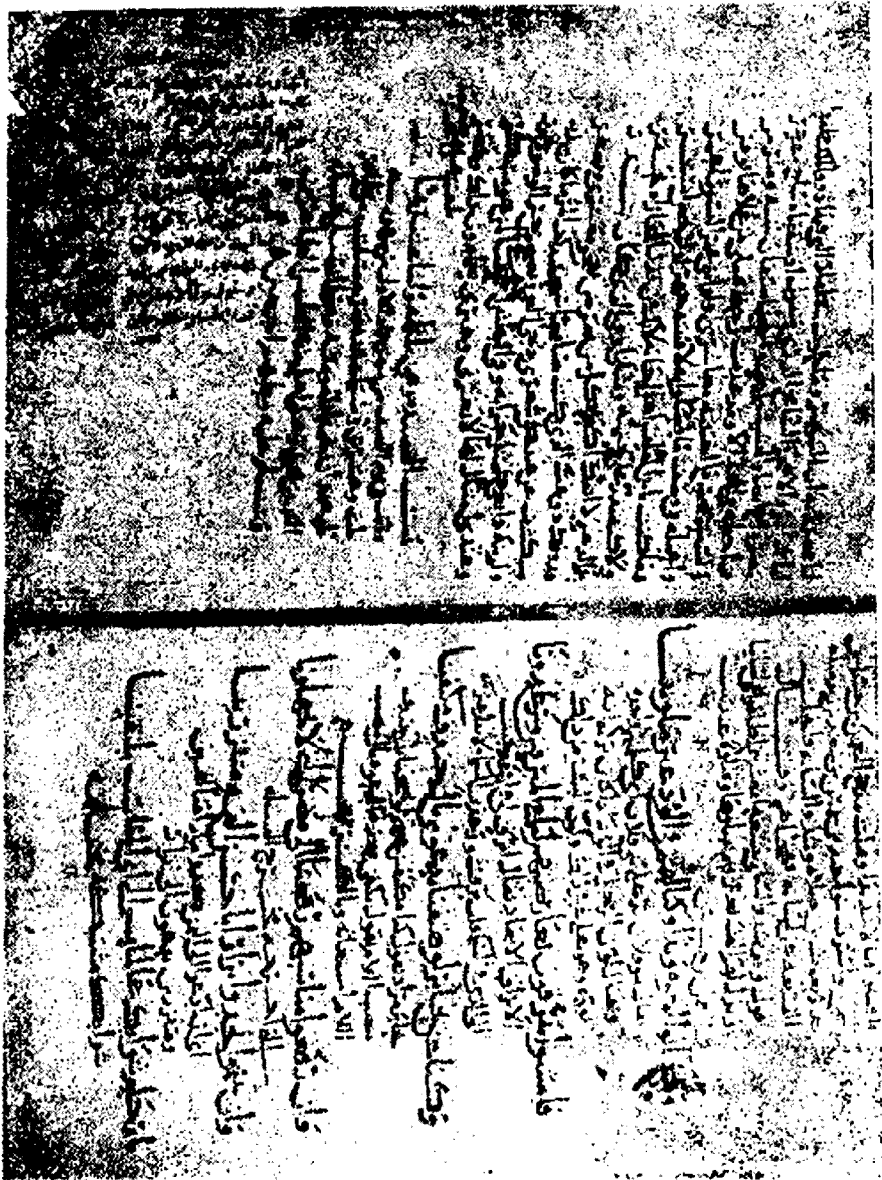
الصفحة الأولى من مخطوط الأصل



الصفحة الأخيرة من مخطوطة الأصل



صفحتان من مخطوطة الأصل



صفحتان من المخطوطة الثانية

وهذا نص الموجود من القصيدة

١- أَلَمْ تَتَعَجَّبِي مِنْ رَبِّ دَهْرٍ رَأَيْتَ ظُهُورَهُ قَلْبَتْ بَطُونًا

٢- فَإِنَّكَ قَدْ رَأَيْتِ وَإِنْ تَعِيشِي تَرِي [ويري] عَجَائِبَ مَا رَأَيْنَا

أي تَرِي أَنْتِ ، ويري غَيْرُكَ مَا رَأَى قَبْلِي ^(١) (٢) ذلك

٣- رَأَيْتِ الْخُرْسَ تَنْطِقُ فِي زَمَانٍ يُكَلِّفُ أَهْلَهُ الْإِبِلَ الطُّحِينَا

٤- وَبُذِلَتْ الْحَمِيرُ فَمَا فَرَعْنَا لِذَلِكَ مِنَ النَّهْيِ بِهِ الْحَنِينَا

النهيق للحمير ، والحنين [للإبل] يقول : حملوا الفصيل على الأنان

والجحش على الناقة . أي تَحِنُ الحمير كما تَحِنُ الإبل .

٥- وَعَظَّمْتَ الضَّبَابَ أَكْفُ قَوْمٍ عَلَى فَتْحِ الضَّفَادِعِ مُرْمِينَا

الفتخ : المنفخة السمان . والأفتخ : العريض . المرئم . والمرئمة

العاطف

٦- وَذَلِكَ ضَرْبُ أَخْمَاسٍ أُرِيدَتْ لِأَسْدَاسٍ ، عَسَى أَنْ لَا تَكُونَا

وأخماس وأسداس : إبل ترد الماء ، الخمس والسدس ، خمسة أيام

وسنة أيام .

٧- أَرَادُوا النَّاسَ مِنْ سَلَفِي نِزَارٍ أُمُورًا يَمْتَنِعَنَ وَيَمْتَرِينَا

٨- أَرَادُوا أَنْ تَزِيلَ خَالِقَاتٍ أَدِيمُهُمْ يَقْسَنَ وَتَفْتَرِينَا

الخالقات اللواتي يُقَدِّدْنَ السُّيُورَ وَالْأَدَمَ ، وهن الصانعات ، يُقال .

مَا أَحْسَنَ مَا خَلَقْتَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ ، أَي قَدَّدْتَ .

يَفْتَرِينَ : من الْفَرْي ، وَالْفَرْيُ الْخُرْزُ ، وَالْإِفْرَاءُ الْقَطْعُ . وَقَالَ :

وَلَأَنْتَ تَفْسِرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْسِرِي

٩- فَمَا وَجَدُوهُمْ إِلَّا أَدِيمًا يَرُدُّ مَوَاسِيَ الْمُتَحَرِّفِينَا

(١) لعل الصواب : ما رأينا قبل ذلك

المتحيفون الذين يحيفون عليه في القَدِّ . وأرادوا أن يفرقوا بين
ربيعة ومُضَر ، فوجدوهم [ألبا واحدا] مُتَحِيفٌ : يأخذ من حافيته ،
أي الجانبين .

١٠- عُكَاطِيًّا أَبُوهُ أَبُو إِيَادٍ صَحِيحًا لَا عَوَارَ وَلَا دَهِينَا
لعوار [ضد] الصحيح ، ويقال : دهين أحمر : مدهون ، ولا يحمر
حتى يدهن .

١١- لَهُ جَمَعُوا اللَّتِيَّ إِلَى اللَّتِيَّا فَلَا حَلْمًا لِقُوَّةِ وَلَا عَطِينَا
ويروي :

له جمعوا اللتان إلى اللتيا .

واللتان : أمر ، واللتيا : أصغر منه . والحلم : المثقب ، والحلمُ
القردان ، الواحدة حلمة ، له : لها لنزار . والعطين : مدهون يعطن حتى
يذهب وبره .

١٢- وَكَانَ يُقَالُ : إِنَّ ابْنَ نِزَارٍ لَعَلَّتْ فَأَمَسُوا تَوَامِينَا
العَلَاتُ الواحدة علة ، وهي الأمة ، وأراد بها الضرائر . تَوَامِينًا :
كانهم ولدوا في بطن واحد ، الواحد توأم .

١٣- نَبِيَّةٌ بَعْدَ نَوْمَتِهِ نِزَارٌ لَمْ بِالْمُلْحِقَاتِ مُعَانِدِينَا
أي أَلْحَقَهُمْ بِالْمُعَانِدِينَ وهم المخالفون . يقول : تنبه بالملحقات
بالخصال التي تُلْحِقُهُمْ وتُنْمِيهِمْ إلى أبيهم . يقول : لحق من عانا منهم
بانتألف في حلف اليمن .

١٤- فَضَمَّ قَوَاهِي الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ فَقَدَّ أَمَسُوا كَحَيٍّ وَاحِدِينَا

١٥- وَقَدْ سَخَطَ ائْتِلَافُهُمْ رِجَالًا أَطَالَ اللَّهُ رَغَمَ السَّخِطِينَا

يعني ائتلاف ربيعة ومُضَر ، واجتماعهم .

١٦- تَوْلَفَ بَيْنَ ضَفْدَعَةٍ وَضَبٍّ وَتَعَجَّبُ أَنْ نَبَرَ بَنِي أَبِينَا

١٧- لَعَمْرُهُمْ لَقَدْ وَجَدُوا نَزَارًا عَلَى أَعْلَى الشَّوَاهِقِ مُبْتَنِينَ

الشواهيق روس الجبال ، الواحد شاهق .

١٨- لَخَيْرِ أَبْوَةٍ عُلِمَتْ فَعَالًا وَسَابِقَةً ، وَخَيْرِهِمْ بَنِينَا

١٩- [ونحن] أَوْلَاكَ أَنْجَمُ كُلِّ لَيْلٍ يَوْمُهَا ، وَأَبْحَرُ مُظْمِئِنَا

يَوْمُ : يُهْتَدَى . مُظْمِئِينَ : عطشت إبلهم .

٢٠- بَلَّغْنَا النَّجْمَ مَكْرَمَةً وَعِزًّا وَفُتْنَا أَيْدِيَ الْمُتَطَاوِلِينَ

٢١- وَنَلَقَى فِي الْجُدُوبَةِ أَهْلَ خَضْبٍ وَفِي ظِلِّمِ الْحَنَادِسِ مُقْمِرِينَ

٢٢- وَجَاوَزْنَا رَوَاسِيَ شَاهِقَاتٍ بِلَا تَعَبٍ ، وَلَا مُتَطَاوِلِينَ

يعنى رواسي الجبال ، أي ثوابتها . يقول : أدر كناها بلا كلفة

ولا مشقة ونحن تعود لم نتناول .

٢٣- وَإِنْ يَعْظُمَ مِنَ الْحَدَثَانِ خَطْبٌ تَجِدْنَا فِيهِ غَيْرَ مُقْلَمِينَ

خطب : أمر . غير مُقْلَمِي الأظفار ، أي معنا سلاح ، وأظفار :

يريد السلاح .

٢٤- تَجِدُ أَسْيَافَنَا مُتَالِقَاتٍ يُحَاكِينُ الْبُرُوقَ إِذَا انْتَضَيْنَا

متألقات : يبرقن . والمتالق : البراق . وقوله : انتضين : يقال :

انتضى سيفه ، إذا سلّه .

٢٥- عَلَيْنَا كَالنَّهَاءِ مُضَاعَفَاتٍ مِنَ الْمَاضِيٍّ لَمْ تُؤِدِ الْمُتُونَا

مضاعفات : [الدروع] النهاء : الغدران ، شبهها بها في صفاتها وبياضها

والواحد نهى . لم تؤد : أي ثقيل ، يقال : آده ، يؤوده : أنقله ،

أي ضعه (٢) والمتون : الظهور ، الواحد متن ويقال : متنة ومتن .

٢٦- فَذَحْنُ فَوَارِسَ الْهَيْجَا إِذَا مَا أَبَالَ الْحَاصِنَ الْحَدَثُ الْجَيْنِيْنَا

الحاصن : المرأة ذات زوج ، والجنين : الولد في بطن أمه . يقول :
هذا الأمر شديد ، يُسْقِطُ الحبل . وقوله : الهيجا : فإنها تُمَدُّ وتُتَصَّرُ ،
يعني الحرب . يقول : نحن فوارس الحرب إذا ناب هذا الأمر التضييع .

٢٧- وَلَمْ نَفْتَأْ غَدَاةَ (هَب) وَ(هَال) لِيَخَيْرَاتِ الْكَوَاعِبِ مُجْذَلِينَا

٢٨- مَتَى نَنْزِلُ بِعَقْوَةِ أَهْلِ عَزْ نَطَأَهُمْ وَطَاءَةَ الْمُتَشَاقِلِينَا

نَفْتَأُ : نزال . وَ(هَب) وَ(هَال) لِيَزْجِرِ الْخَيْلِ . وَعَقْوَةٌ : ساحة ،

يقال : نزلنا بعقوة دار فلان .

٢٩- إِذَا غَضِبْتُ سُوْفُ بَنِي نِزَارٍ عَلَى حِي رَجَعْنَ وَقَدْ رَضِينَا

٢٠- بِضَرْبِ تَتْبِيعِ الْأَلْبِيِّ مِنْهُ فَتَاةُ الْحَيِّ وَسَطَهُمُ الرَّئِينَا

أَلْبِي : حكاية صوت المرأة إذا فزعت فولدت (؟) وَالرَّئِينُ الصَّوْتُ

أَي تَتْبِيعُ ؟ الرَّئِينُ بِالْأَلْبِيِّ .

٣١- وَنَمْنَعُ بِالْأَسِنَّةِ مَا سَخِطْنَا مُكَابِرَةً وَنَأْخُذُ مَا هَوِينَا

الْأَسِنَّةُ : الزُّجَاجُ ، الْوَاحِدُ سِنَانٌ .

٣٢- وَمَنْ يُضْرِفُ عَلَى الْأَقْدَاءِ وَهْنَا وَيُغْضِ عَلَى تَجَلْجُلِهَا الْعَيْوَنَا

الإطراف : استرخاء الجفون . وَالتَجَلْجُلُ : التحرك : يَقَالُ : جَلَّجَلَ

الشيء . إِذَا حَرَكَهُ . وَهْنَا : فِي اللَّيْلِ .

٣٣- فَإِنَّ الْأَكْرَمِينَ بَنِي نِزَارٍ عَلَى الْأَقْدَاءِ غَيْرُ مَعْمُضِينَا

ويروى : عَلَى سَوَاهِكِهَا الْعَيْوَنَا . سَهَكَت : ذرقت .

٣٤- نَدَاوْنَا الْأَفَاصِيَّ مِنْ بَيْتِهِ . وَقَلْنَا أَخَافِرُ مَنْ يَلِينَا

٣٥- وَأَخْجَرْنَا أَسْوَدَ كُلِّ حِيٍّ وَأَسْكُنْنَا نَوَابِحَ مُوسِدِينَا

أساود : جمع أسود وهي الحيات موسدون . أي هُرَّار يوسدون كلابهم
يقال : آسدت الكلب على الصيد .

٣٦- إِذَا مَا نَحْنُ بِالشُّفَرَاتِ يَوْمًا عَلَى حَيٍّ وَإِنْ كَرُمُوا عَصِينَا
الشفرات : السيوف . يقول : جعلنا السيوف عَصِيًّا . والواحد من
الشفرات . شفرة .

٣٧- رَجَعْنَا بِالظَّعَانِ مُرْدَفَاتٍ وَتَوَزَّنَا النَّوَادِي وَالْعُطُونَا
أراد جمع عطن ، وهي مبارك الإبل .

٣٨- وَلَمْ نَمَكِّنْ قَدَادَتَنَا لِلْمَيْسِ وَلَا سَلَمَاتِنَا لِلْعَاصِيَيْنَا
قتادة : شجرة مشوكة ، الجمع القناد ، سلمات : جمع سَلْمَةٍ ،
وهي شجرة . ومنه : لَأَعْصِبَنَّكَ عَصَبَ السَّلْمَةِ .

٣٩- وَيَوْمًا بِاللَّدَانِ (٩) بَعْدَ يَوْمٍ عَلَيْنَا اللَّامُ فِيهِ مُدَجِّجِنَا
الحبرات : البرود ، واحدهن حبرة (٩) واللام الدرع ، جمعه لامة ،
والمدجج : الداخِل في سلاحه .

٤٠- لَنَا الْمِسْكُ الْفَتِيْتُ نَعْلُ مِنْهُ جُلُودًا مَا تَفْلِنَ وَمَاعِرِينَا
٤١- فَنِي هَذَاكَ نَحْنُ لِيُوثُ حَرْبٍ وَفِي هَذَا ثِمَالُ مُعْصِبِينَا
يقول : نحن في الدروع ليوث حرب ، وفي المسك والمجالس غيوث
الضعاف والمحاييج .

٤٢- تَرَى الْجُرْدَ الْعِتَاقَ إِذَا فَرَعْنَا وَأَطْرَافَ الرِّمَاحِ لَنَا حُصُونَا
٤٣- وَنَجَلُو عِظْلِمَ الْهَبْوَاتِ عَنَا بِغُرٍّ بِالْفَعْسَالِ مُعْجَلِينَا
العظلمُ : الظلمة ، والهبات : الواحدة هبوة ، وهي الغبار . بِغُرٍّ :
خبيا سنام (٩) ، أو بخيل .

٤٤- لَنَا الْجُرْدُ الْعِتَاقُ مُسَوِّمَاتٍ مَعَادِنُهَا لَنَا الْأَوَّلَىٰ وَفِينَا
الْجُرْدُ : الخيل القصار الشعور ، وهي علامة العتق . وقوله :
مُسَوِّمَاتٍ : أي فحلها من الخيل الموسومة .

٤٥- غَرَائِبُ حِينَ تَخْرُجُ مِنْ نِزَارٍ لِكُلِّ إِنْ وَهْبِنَ وَإِنْ شُرِينَا
يقول : نحن أهلها ، فإذا خَرَجَتْ عِنَّا فَهِيَ غَرِيبَةٌ .

٤٦- نَعْلَمُهَا (هَب) وَ(هَلَا) وَ(أَرْحَب) وَفِي أَيْبَانِنَا وَكُنَا افْتُلِينَا
هذه كلمات زَجْرٍ لِلخَيْلِ ، وَافْتُلِينَ : أي فُصِّلْنَ عَنِ الْأُمَهَاتِ
لِلْفَطَامِ .

٤٧- تَرَىٰ أَبْنَاءَنَا غُرْلًا عَلَيْهَا وَنَسْكَأَهُمْ بِهِنَّ مُخْتَنِينَا
الغُرْلُ : جمع أغرل ، وهو الغلام لم يُطَهَّرْ بَعْدَ ، أي يُرَكَّبُونَهَا
الغلمان وهم صغار .

٤٨- نَعْلَمُهُمْ بِهَا مَا عَلَّمْتَنَا أُبُونُنَا ، جَوَارِي أَوْ صُفُونَا
أي نَعْلَمُ الْأَبْنَاءَ مَا عَلَّمْتَنَا آبَاؤُنَا مِنَ الرُّكُوبِ . وَالصُّفُونَ : الْوُقُوفُ ،
يُقَالُ : خَيْلٌ صُوفَانٌ ، أَي وَقُوفٌ .

٤٩- نُرِيهِمْ مِنْ مَحَاسِنِهَا وَمِمَّا نَخَافُ مِنَ الْمَسَاوِي مَا أَرِينَا
٥٠- وَأَيْسَارٌ إِذَا الْأَبْرَامُ أَمْسُوا لِعُتْنَانِ الدَّوَاخِنِ آلِفِينَا
أَيْسَارٌ : جَمْعُ يَسْرٍ ، وَهُوَ الْمَقَامَرُ . وَالْأَبْرَامُ : جَمْعُ بَرَمٍ وَهُوَ الَّذِي
لَا يَدْخُلُ فِي الْمَيْسِرِ ، وَالتُّعْنَانُ : تَفْعَالٌ مِنَ الْعُتْنَانِ وَهُوَ الدِّخَانُ .

٥١- كَشَفْنَا الْجُوعَ ذَا الْهَبَوَاتِ عَنْهُمْ وَأَطَعْمْنَا ضَرَائِكَ تَعْتَرِينَا
الهبوات : أَرَادَ الْغُبْرَةَ وَالْقَمْحَ ، وَالضَّرَائِكَ : الضُّعَافَ الْوَاحِدَ ضَرِيكٌ
وَتَعْتَرِينَا : تَطْلُبُ مَا عِنْدَنَا .

٥٢- كَانْ جِنَانَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ لِوَاعِدِهَا جَوَابِي مُتْرَعِينَا

الجوابي : الحياض ، الواحدة جابية . ومُتْرَع : مُمْتَلِي .

٥٣- تَكَلَّلُ بِالسَّدِيفِ كَمَا فِيهَا إِذَا وَضَعْتَ أَنْفِاحَ مُلْبِثِينَا

السديف : قطع السنام . والأنفاح جمع إنفحة ، وهو الجدي والمُلْبِيءُ : الذي يطبخ اللبأ .

٥٤- تَرَى الْمَلَكَ يَنْتَجِعُونَ مِنْهَا دَوَاءَ الْجُوعِ غَيْرَ مُؤَبِّبِينَا

المَلَكُ : الضعفاء ، الواحد هالك . مُؤَبَّبٌ : عاذل ، من التأنيب .

٥٥- وَأَجَّجْنَا بِكُلِّ يَمَاعِ أَرْضِ وَقُودَ الْمَجِيدِ لِلْمُتَنَوِّرِينَا

أَجَّجَتِ النَّارُ : أوقدتها . واليَمَاعُ : المرتفع من الأرض .

٥٦- وَبِالْعَدَوَاتِ مَنِّبِنَا نُضَارُ وَنَبْعُ ، لَأَفْصَافِصَ فِي كُبِينَا

الْعَدَوَاتُ : أَرْضُونَ طيبة ، الواحدة عذاة . نُضَارُ : خيار الشجر ،

وفصافص : رطبة . وَكُبِينُ : سماء .

٥٧- فَتَلِكُ نِيَابُ إِسْمَاعِيلَ فِيْنَا صِحَاحًا مَا دَنَسَنَ وَمَا بَلِينَا

٥٨- وَإِنَّ لَنَا بِمَسَكَةِ أَبْطَحِيهَا وَمَا بَيْنَ الْأَخَاشِبِ وَالْحُجُورِنَا

٥٩- وَبَيْتُ اللَّهِ نَحْنُ لَهُ وِلَاةٌ وَخُزَانُ عَلَيْهِ مَسَلَطُونَا

٦٠- وَزَمْزَمُ وَالْحَطِيمُ وَكُلُّ سَاقٍ يَرَى أَهْلَ الْخِصَاصِ لَهُ قَطِينَا

الْخِصَاصُ : من الخصاصاة ، وهي الحاجة . والقطين : الجار .

٦١- وَمُطَرَّدُ الدَّمَاءِ وَحَيْثُ تَلَقَى ضَمَائِرَ مَا دُهِنًا وَمَا فُلِينَا

مُطَرَّدُ الدَّمَاءِ : بمكة . والضمائر : الغدائر من الشعر .

٦٢- وَأَطْنَابُ الْقِيَابِ مُمَدَّدَاتٍ بِخَيْفٍ مِثْنِي عَلَى الْمُسْتَأْذِنِينَا

٦٣- عَلَى شَمِّ الْأَنْوُفِ أَبُو إِيَادٍ أَبُوهُمْ مُتَلِفِينَ وَمُخْلَفِينَا

إِيَادُ : ابن معد . يتلفون المال ، ويخلفون : من الخلف .

٦٤- وَجَمَعًا حَيْثُ كَانَ يُقَالُ: (أَشْرِقُ ثَبِيرٌ) أَمَا لِدْفَعَةٍ (؟) وَأَقْنِينَا
 ثَبِيرٌ: جبل كانوا يقفون عليه ، فيقولون : أشرق ثَبِير ، كَيْمَا نُغَيِّرُ
 حَتَّى يَأْتُوا مِنِّي ، فيقضون مناسكهم ، وهذا في الجاهلية . وروي عن
 قيس بن الربيع ، عن أَبِي حُصَيْنٍ عن أَبِي صَالِحٍ عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ :
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «خَزَاءَةٌ عَمْرُو بْنِ لُحَيْمٍ» ، دَفَعَ مِنْ مُزْدَلِفَةَ
 قِبَلَ الشَّمْسِ ، فَكَانَ يُسَمَّى ذَلِكَ الشَّرْقُ ، فَلِذَلِكَ يَقُولُ الَّذِي يَدْفَعُ مِنْ
 مُزْدَلِفَةَ : أَشْرِقُ ثَبِيرٌ ، كَيْمَا نُغَيِّرُ ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ -
 رَدَّ الْمِيَقَاتَ إِلَى مَا كَانَ فِي أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا .

٦٥- وَمَوْقِفُهُمْ لِأَوَّلِ دَفْعَتَيْهِمْ عَلَيْنَا فِيهِ غَيْرُ مُخَالَفَتِنَا
 أَي لَا يَخَالِفُونَنَا فِي ذَلِكَ لِأَنَّا أُنْمِتُهُمْ فِي ذَلِكَ ، لَا يَدْفَعُونَ حَتَّى نَدْفَعُ
 نَحْنُ ، وَدَفَعْتُهُمْ دَفْعَةَ عَرَفَاتٍ وَدَفْعَةَ الْمُزْدَلِفَةِ ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ فِي الْإِسْلَامِ
 كَذَلِكَ .

٦٦- وَقُوْفًا يَنْظُرُونَ بِهِ إِلَيْنَا لِقَائِنَا الْمَوْقِيَ مُنْصِتِينَ
 بِهِ : الهاءُ للمقام ، يَنْظُرُونَ بِذَلِكَ الْمَوْقِفِ . وَالْقَائِلُ : الْخَطِيبُ ،
 وَالْمُنْصِتُ : السَّاكِتُ .

٦٧- وَتَجَدُّ حَيْثُ أَوْرَقَ كُلُّ عُوْدٍ وَأَنْقَ نَبْتُهُ الْأَمْسَانَفِينَا
 يُقَالُ : تَأَنَّقْتُ تَأَنَّقًا ، وَهُوَ الْإِعْجَابُ ، إِذَا أَعْجَبَكَ الشَّيْءُ وَاشْتَهَيْتَهُ
 فَقَدْ أَنْقَكَ .

٦٨- وَوَجًّا ، وَالَّذِينَ سَمَوْا لِوَجٍّ لِآلَاتِ الْحُرُوبِ مُظَاهِرِينَ
 كَانَتْ وَجٌّ - وَهِيَ مِنَ الطَّائِفِ - لِلْيَمَنِ ، فَأَخْرَجْنَاهَا ثَقِيفُ فِي
 الْجَاهِلِيَّةِ عَنْهَا ، فَهِيَ الْيَوْمَ لِثَقِيفٍ ، وَهِيَ الطَّائِفُ وَمَا يَكْلِبُهَا . وَالَّذِينَ سَمَوْا
 لِوَجٍّ : يَعْنِي ثَقِيفًا أَي ارْتَضَعُوا لَهُ وَأَتَوْهُ .

وقوله : لآلات : يعني متاعَ الحرب من الدروع وغيرها من السلاح
مظاهرين : قد ظاهروا له - السلاح .

٦٩- فَحَلُّوْا دَارَ مَكْرَمَةٍ وَعِزٍّ نَفَّوْا عَنْهَا أَعَادِي شَانِيْنَا
أي نفوا عنها .. الشانية (٩) وشانين : مبغضين ، من شئتُ الرجلُ
أي أبغضته .

٧٠- وَبَرُّ الْأَرْضِ بَعْدُ ، وَكُلُّ بَحْرٍ أَقَلُّ الْفُلْكِ مَرْكَبَهُ الشَّحِينَا
يقول : أقل مركبه : أي استقله . ومركبه : مركب الفلك من
البحر ، والشحين : المملوء .

٧١- وَأَبْطَحَ ذِي الْمَجَازِ وَحَيْثُ تَلَقَى رَجَالَ عِكَازٍ لِلْمُنْتَبِئِينَا
دو المجاز : قريب من مكة . والمتنبئين : المخبرين يتذاكرون الفعال
يقول : كانت آباؤنا تفعل كذا وكذا ، وكان كذا وكذا .

٧٢- وَبَيْعَاتُ الْهُدَى مُتَابِعَاتُ إِلَيْنَا وَابْنُ آمِنَةَ الْأَمِينَا
قال : كان النبي صلى الله عليه يدعو الناس إلى البيعة ، فيقولون :
على ما في أنفسنا فجاء أبو سنان بن محصن الأسدي يوم بيعة الرضوان
فقال : يا رسول الله ابسط يدك أبايعك على ما في نفسك ، فبسط يده
صلى الله عليه فبايعه ، ثم تبعه المهاجرون والأنصار .
وبيعاتُ الهدى : بيعة الرضوان .

وابنُ آمنة : هو النبي صلى الله عليه . وأمه آمنة بنت وهب
ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب
ابن فهر .

٧٣- وَكُلُّ خَلِيفَةٍ وَوَلِيٍّ عَهْدٍ وَمُنْتَظَرٍ لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِينَا
٧٤- وَفِي أَيَّامِ (هَاتِ) بِ(هَالِكِ) يَلْتَقَى إِذَا رَزَمَ النَّسْدَى مُتَحَلِّينَا

يقول : من قال لنا : (هات) . قلنا له : (هالك) يلقي ذلك هو القائل
(هات) اعطنا . فنقول : (ها) خُذْ في أيام الشدائد وعند الحاجة .

ورزم الندى : انقطع المطر . ومنه حديث النبي صلى الله عليه حين
بال عليه الحسين بن علي فقال : « دَعَى ابْنِي لَا تُرْزِمِيهِ » أي لانقطعي عليه
بوله . وقال بعضهم : وفي أيام . يقول : وفي أيام الشدائد التي لَا يُفْضَلُ
فيها أحدٌ على أحدٍ إِلَّا مَكافَأَةً ، كُنَّا حِينَئِذٍ مُتَحَلِّبِينَ كما تحلب الشاة ،
أي تدر .

٧٥- نُبَارِي الرِّيحَ مَا بَرَدَتْ وَفُئِنَّا لِأَمْرَالِ الغرائب ضَامِنُونَ
وفينا : من لم يهمز قال : ضامنون ، ومن همز قال : ضامنينا ،
وبلاهمز أجود .

نباري : نُظِعُ فيها . وفئنا : رجعنا لأمرال الغرائب ضامين حال ،
يريد غرائب النساء ، إذا كانت غريبة ضَمَمْنَا مَالَهَا . قال ابن أنس : كان
أهل مكة يقسمون الرياح ، الصَّبَا لِقَوْمِ ، والجنوب لقوم ، والشمال
لقوم .

وفئنا : من فئتُ أفيءُ ، فَيئًا وفِيئًا .

٧٦- لَنَا قَمَرَا السَّمَاءِ وَكُلُّ نَجْمٍ تُشِيرُ إِلَيْهِ أَيْدِي الْمُهْتَدِينَ

قمر السماء : الشمس والقمر ، فَغَلَّبَ القمر على الشمس ، والعرب
تفعل هذا كثيرا ، كقولهم : (القمرين) و(العَمْرَيْنِ) يعنون أبا بكر وعمر ،
وقمر السماء : الخليفة وولي العهد .

وكلُّ نجم : أي رجل معروف ، يُضِيءُ كَضَوْهِ النُّجْمِ في علمه
وذكره ، وأنشد لِأبي الجوزاء : .

لَنَا قَمَرَا السَّمَاءِ وَكُلُّ نَجْمٍ يُضِيءُ لَنَا إِذَا الْقَمَرَانِ غَارَا

وَمَنْ يَفْخَرُ بِغَيْرِ ابْنِي نَزَارٍ . فليس بأول الخطباء جارا
أي متكلم بالجور .

٧٧- وَجَدْتُ اللَّهَ إِذْ سَمَى نَزَارًا وَأَنْزَلَهُمْ بِمَكَّةَ قَاطِنِينَ
يقول : وجدت آيات الله ، كما يقال : قد قال القول . وعمل
العمل ، إذا رأيت بعض ذلك . قاطنين : أي ساكنين .

٧٨- لَنَا جَعَلَ الْمَكَارِمَ خَالِصَاتٍ وَالنَّاسَ الْقَفَا وَلَنَا الْعَجِيُنَا
يقول : للناس الإديار وانا الإقبال ، يقول : لهم ما أذبر ، ولنا
ما أقبل .

٧٩- وما ضربت هجانَ بني نزارٍ فوالجُ من فحول الأعبمينا
يعني اليمن والحبشة والفرس ، كانوا دخلوا عليهم . يقول : ما نكحت
كرائم نساهم فحول الأعاجم ، وذلك أن كسرى كان أخرج إلى أهل
اليمن وهرز في ست مئة رجل من أهل السجُن ، فقال : إن غرقوا ففتح (؟)
فنجنا منهم وغرق منهم .

والفالج من الإبل ذو السنامين . قال أبو عثمان : عنى بهذا البيت
الحبشة والفرس الذين تزوجوا منهم .

٨٠- وَمَا حَمَلُوا الْحَمِيرَ عَلَى عَتَاقٍ مُطَهَّمَةٍ فَيُلْتَمَعُوا مُبْغِلِينَ
ضربه مثالا لهم ، أي زوجتم الحبشة والفرس فخرج من بينهم بغالٌ
ونزارٌ لم يحملوا العبيد على كرائم النساء كما تحمل الحمير على الخيل .
والمطهمة : العظام من الخيل ، ومنه سمي الرجل طهمان .

والمبغيلين : الذين ينتجون البغال ، يقال : أبغل فلانا إذا أنتج
له البغال ، يقول : لم يضرب فيهم غير جنسهم فيختلف نجرهم ،
كما أن الحمار إذا نزا على الفرس خرج بينهما بغل .

٨١- وَمَا وَجَدْتُ بَنَاتُ بَيْتِي نَزَارٍ حَلَالَةَ أَسْوَدِينَ وَأَحْمَرَ بِنَا

يقول : كذلك ما افترشتهم السودان ، يعني الحبشة ، والحممران :
الفرس . والأحمر في كل شيء عند العرب الأبيض وأنشد الأصمعي :
وَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَلَيْهِ النَّسُورُ ، وفي صدره ثَعْلَبٌ مُنْكَسِرٌ
يعني بالأحمر الأبيض .

٨٢- أَبِي آبَاؤُهُمْ فَلَمْ يَشُوبُوا بِسَمْنِهِمْ إِهَالَةَ حَاقِنِينَا

يريد أبي آباء البنات - يريد نزار - فلم يشوبوا - أي لم يخلطوا
بسمنهم الإهالة ، وهي الودك . يقول : لم يَغْشُوا حَسْبَهُمْ بغيره كما
يُغْشُ السَّمْنُ بِالْإِهَالَةِ ، وهو وَدَكُ الْأَلْيَةِ . والحاقن الذي يصب في السقاء .
احقن في سقائك أي صب فيه . يقول : لم يخلطوا بخلصهم كثيراً .
ويقال في المثل : أنا من هذا الأمر كحاقن الإهالة . أي أنا عالم به ،
كعلمها (٢) بما تحقن في السقاء .

٨٣- وَمَا سَمَّوْا أَبَا بَرَهَةَ اغْتِبَاطًا بِشَيْنٍ خُتُونَةَ مُتَزِينِنَا

أبرهة بن الصباح ، ملك من ملوك اليمن ، وكان ملك الحبشة -
واسمه أبرهة الأشرم ، وكان يكنى أبا يَكُومَ ، وهو الذي قاتل الفرس ،
وكان النجاشي وجه به لينصر النصرانية ، حين وثب على النصارى
ذو نواس - وبه سمي أبرهة بن الصباح .

يقول : فلم نسّم بنينا بما سميتم أنتم بنيكم ، بالذي يشينكم تريدون
التزين به وهو عليكم شين ، لأن أبرهة نكح فيهم ، وغصبهم على
أنفسهم .

٨٤- بَنَى الْأَعْمَامِ زَوْجَنَا الْإِيَامِي وَبِالْأَعْمَامِ سَمِينَا الْبِنِينَا

الأيامي اللواتي لا أزواج لهن ، واحدهن أيم ، قال عمر بن الخطاب :

لَمَّا تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُدَاقَةَ السَّهْمِيِّ . وَمِنْهُ حَدِيثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « الْأَيْمُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا ، وَالْبِكْرُ نُسْتَاذُنٌ فِي نَفْسِهَا ، وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا » - أَي سَكُوتُهَا .

٨٥- وَلَمْ نَمْلِكْ بِغَيْرِ بَنِي نِزَارٍ وَلَمْ نَعْطِ الْإِنَاوَةَ مُجْتَبِيَنَا الْإِنَاوَةَ : الْخِرَاجُ ، أَي لَمْ يَمْلِكْنَا أَحَدٌ مِنْ غَيْرِ قَوْمِنَا ، كَمَا مَلَكَتْهُمْ الْحَبِشَةُ ، وَالْإِنَاوَةُ : الرَّشْوَةُ ، يُقَالُ : أَتَوْتُ الرَّجُلَ آتَوْهُ آتَوًّا ، قَالَ الشَّاعِرُ :
فَفِي كُلِّ أَشْرَاقِ الْبِلَادِ إِنَاوَةٌ وَفِي كُلِّ مَا بَاعَ امْرُؤٌ وَكَسَ دِرْهَمَ
وَيُرْوَى : مَكْسٌ ، وَهُوَ الْجَبَايَةُ . يُقَالُ : مَكَسْتُهُ مَكْسًا .

٨٦- فَتِلْكَ قَنَاتُنَا لَمْ تُبَلَّ ضَعْفًا وَلَا خَوْرًا ثِقَافُ الْغَامِزِينَا
يَقُولُ : لَمْ نَعْطِ الثَّقَافَ خَوْرًا أَي لَيْنًا . وَقَنَاتُنَا : عُودُنَا . أَي لَمْ نَلِينْ وَلَمْ نَعْمَزْ كَمَا تَلِينُ الْقَنَاةُ لِلثَّقَافِ يُقَوْمُهَا كَيْفَ شَاءَ . يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا لَمْ يَهْدِيدهُ (٩) الْكَبِيرَ أَوْ الْهَمُومَ : إِنَّهُ لَصَلْبُ الْقَنَاةِ .

يَقُولُ : قَنَاتُنَا لَمْ تُبَلَّ ضَعْفًا ، أَي لَمْ يَوْجَدْ فِيهَا ضَعْفًا .
وَالْخَوْرُ : الرِّخَاوَةُ .

وَالثَّقَافُ : أَنْ تَقُومَ الْقَنَاةُ بِالْعُودِ الْمُثَقَّبِ وَالنَّارِ .

٨٧- وَكُنَّا فِي الْحُرُوبِ مَتَى نُوَجِّهُهُ إِلَى قَوْمٍ كَتَابِينَا الشُّبِينَا
الشُّبِينُ : الْجَمَاعَةُ ، الْوَاحِدَةُ شُبَّةٌ ، وَقَالَ زُهَيْرٌ :

وَقَدْ أَعْدُوْا عَلَيَّ شُبَّةَ كِرَامٍ .

شُبَّةٌ وَثُبَاتٌ وَثُبِينٌ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : (انْفِرُوا ثُبَاتٍ) .

وَالْكَتَابُ : الْجَمَاعَاتُ ، يُقَالُ : تَكْتَبُوا إِذَا اجْتَمَعُوا وَكَثُرَ عَدَدُهُمْ ،

ويقال للقوم إذا كانوا كثيراً : لا يُكْتَبُونَ ولا يُحْصَوْنَ ، وقال الهذلي :

لا يُكْتَبُونَ ولا يُكْتَبُ عديدهم .

يكت : أي ينقص .

٨٨- بِيضٌ يَنْتَمُونَ إِلَى نِزَارٍ مُهَيَّبِي سَاسَةَ وَ مُؤَيِّهِنَا

بيض : رجال ينتسبون إلى نزار .

مُهَيَّبِي : أي دُعاة إلى ملك ، يقال : أهابَ به ، دعاه إليه ، قال
عدي بن زيد :

يَوْمَ ينادون بآل بَرَبِرٍ واليكسوم لا يُفْلِحُنَّ هائِبًا ومُؤْتِهِيَا .

أي يقول : أهي أهي ، إذا دعاه ، من أَيْهتُ به إذا دعوته ، وأبئة
به ، أي هم أمراء ، يأمرُون وَيَنْهَوْنَ .

٨٩- عَلَوْا شُعَبَ الرَّحَالِ عَلَى الْمَطَايَا بِأَسْمَالِ الْمِلاءِ مُعَصِّبِنَا

بغى البيض . والشعبتان قادمَتَا الرَّحْلِ ومُؤخِرُهُ ، وأكثر كلام العرب :
آخر الرَّحْلِ ، والأسمالُ الخِلْقَانُ ، الواحد سَمَلٌ ، مُعَصِّبِينَ : مُعْتَمِنِينَ ،
أي طَالَ بهم السفر ، فاخْتَلَقَتْ عمامتهم ، صارت خِلْقَانِ (٤) .

٩٠- تَضِيقُ بِنَا الْفِجَاجِ وَهَنْ فُتْحُ وَنُجْهَرُ مَاءِهَا السَّلِيمِ الدَّفِينَا

الفجاج : الطرق في الجبال ، واحدها فِجٌّ ، والفتْحُ الواسِعَةُ ، يقال :
أَفْتَحَ ، وَنُجْهَرُ نُظْهَرُهُ وَنُخْرِجُهُ بعد مكثه حِينًا لا يُسْتَنِي منه يقال :
جهرت [الماء] إذا استخرجته وشاة جَهْرَاءَ : لا تُبْصِرُ بالنهار . والاجتهار
من الرِّكْبِيِّ إذا كانت عميقة لا يُقْدِرُ عليها من عمق أو ضيق (٥)
أخَلَوْا حَجْرًا فَقِيلًا فشدده في حَبْلٍ ، وَضَرَبُوا به قَعْرَها أَبَدًا حتى تَشْوَرُ
حَمَاتُها وكلُّ شَيْءٍ فيها ، ثم ينزحونها . فهذا الاجتهار .

والسَّلِيمُ : المياه المنغيرة المندفنة .

أبو عمر [و]: هو الماء المتغير الطعم ، المصفر ، يقال : ماء سَدَمٌ ، ومياه أسدام .

أبو عمرو : جهرت الماء : شربته كله .

٩١- وَنَارِمٌ كُلٌّ نَابِتَةٌ رِعَاءٌ وَحَشَاشًا لَهْنٌ وَحَاطِرِينَ
أَرِمُهُ ، يَأْرِمُهُ أَرْمًا ، إِذَا أَكَلَهُ رَعِيًّا . ويقال : يَأْرِمُ : يستأصل ،
ومنه أروم الرجل أصله .

حشاشا : من الحشيش للخيول ، وخطاباً للقدور .

٩٢- يَرُونَ الْجَدْبَ مَا تَرَكَوهُ خَضِبًا مُحَافِظَةً ، وَكَالْأَنْفِ الدَّرِينَا

يقول : هاؤلاء البيض الذين عكوا شَعَبَ الرَّحَانِ ، يرون ما أقاموا فيه
(وما) في معنى (الذي) ينزلونه خضبًا ، محافظة على أحسابهم ، والأَنْفُ :
أول الرعي الذي لم يُرْعَ ، ويقال لكل ما استقبله الرجل أنف ، وكذلك
الكأس والقصة إذا كانتا ممتلئتين أنف قال :
وَالْقَيْنَةُ الْحَسَنَاءُ ، وَالْكَأْسُ الْأَنْفُ .

والدَّرين : اليابس من النَّصي ، وهو نبات كانه الحلفاء دقيقة العود
فإذا كان أخضر قيل له نصي ، وهو من الحصة ؟ فإذا يبس فهو (الدَّرين)
فإذا اخضر يابسه فهو الخليس ، يقال : قد أخلص التنبات إخلامًا ، فإذا
طالت خصوصته فهي السهنة ، وذلك إذا تحب (?) أعاليه ، فإذا تحات فوق
على (الأرض) فهو الهني ، والسال (?) ويقال أيضًا : أتى عليه هني من الدهر
أي حين من الدهر ، فإذا أكل أعالي الحلي قيل : بقي من أصوله الركبه ،
فإذا أسود وعفن فهو الدرين . قال أبو عمرو : إذا كان قد أكل ثم نبت
قيل لذلك النبات الخلفة وجدها خلف ، قال :

وَنَقَمٌ فِي دَارِ الْحَفَاطِ بِيُوتَنَا رَتَعَ الْحَمَائِلِ (?) فِي الدَّرِينِ الْأَسْوَدِ

٩٣- نَدَعُهُمْ مُثْلَ بَارِقٍ أَوْ كَجَرْمٍ وَيُبْسُ بَقِيَّةَ الْمُسْتَظْعِنِينَ

بارق : بطن من الأزد ، وجَرم بطن من قضاة يقول : بارق وجرم
بُئْسَ بَقِيَّةَ الْمُوتَى ، ويقال : بارق جبل نزله سعد بن عَدِيّ بن حارثة
ابن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مراد (٩)
ابن الأزد ، فَسُمُوا بِذَلِكَ .

يقول : كُنَّا مَتَى نُوْجِهْ إِلَى قَوْمِ نَدَعُهُمْ مُثْلَ بَارِقٍ أَوْ جَرْمٍ . قال :
بُئْسَ بَقِيَّةَ الْمُسْتَظْعِنِينَ أَي هُمْ مَضُوا . وَالْمُسْتَظْعِنُ الْمَيْتُ . يَقُولُ : فَجَرْمٌ
بُئْسَ بَقِيَّةَ مَنْ مَضَى : وَيُقَالُ : الْمُسْتَظْعِنِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ .

٩٤- [كَمَا] خَطَرْتُ أَسْتُنُّنَا بِعَمْرٍو أَبِي الْمَلِكِينَ ، غَيْرَ مُدَّعِدِينَا
عمرو بن المقصور بن الحارث ، آكل المُرَّارِ - الكندي : والمكان
شرحبيل وحجر .

وقوله : كَمَا خَطَرْتُ أَسْتُنُّنَا ، هو مردود على : (ندعهم مثل بارق)
يقول : نَفْعَلُ بِأَوْلَئِكَ كَمَا فَعَلْتُ أَسْتُنُّنَا بِعَمْرٍو .

وخطرت : قتلت وذهبت به . يقول : قَد شَالَتْ بِهِ شَوْلَانُ الْبَعِيرِ
بذنبه . والعرب تقول في كلامها : خَاطِرُ فُلَانٍ بَيْنَ قَتِيلَيْنِ : وَذَلِكَ إِذَا
أَقَى عَلَى قَتِيلَيْنِ ، فَالْأَصْلُ فِيهِ مَنْ خَطَرَ الْبَعِيرَ بِذَنْبِهِ ، إِذَا شَالَهُ ، فَكَانَ
سَنَانَهُ فَعَلَ بِالْقَتِيلِ ذَلِكَ وَهُوَ عَمْرٍو بْنُ حُجْرٍ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ كِنْدَةَ ،
وَهُوَ أَبُو الْمَلِكِينَ الْحَارِثُ ابْنُهُ مَلِكٌ مَعْدًا ، وَحُجْرُ بْنُ الْحَارِثِ مَلِكٌ
بَنِي أَسَدٍ .

وكناية غير مُدَّعِدِينَا : أَي لَمْ يُقَمِّلْ لَنَا : (دَعَّ دَعَّ) .

ويقال : بَلْ أَرَادَ غَيْرَ مَحْبُوسِينَ .

وقتل ابنه شرحبيل وسلمة ، وكان ملكاً على تميم .

ابن كنانة : كانا على ضبة وعكل والرياب وتغلب وبكر وايل .

وقيل : مددعين : أي نحن أصحاب خيل ، لسنا بأصحاب غنم

يُدْعَعُ بِالْبَهْمِ وهو أولاد الغنم ، الواحدة بهمة .

٩٥- وغادرنا على حُجْرِ بْنِ عَمْرٍو قَشَاعِمَ يَنْتَهَشِنَ وَيَنْتَقِينَا

غادرنا : تركنا وكذلك الْغَدِيرُ إنما سمي غديراً لأن الماء تركه ،

وكذلك الغدر إنما هو ترك الوفا .

وإنما أراد حُجْرَ بْنَ عَمْرٍو المقصور - لأنه قصر على ملك أبيه -

أي حبس - وهو آكلُ المُرَارِ - بن عمرو بن معاوية بن ثور بن مُرْتَعِ .

وسمي مُرْتَعَاً لأن الناس كانوا يقولون له : أَرْتَعْنَا مِنْ أَرْضِكَ كَذَا وَكَذَا ،

فِيَرْتَعُهُمْ ، ومُرتِع هو ابن معاوية بن كندة بن عَفِيرِ بْنِ الْحَارِثِ

ابن مرة بن أدد بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

والقشاعم النسور الكبار .

ينتهشن اللحم ، وينتقين المخ ، وهو النقي . العظم ، ونقيته ونقوته

إذا استخرجت ما فيه من المخ ، يقال له النقا ونقوان . والجمع أنقاء ،

ولما توجه حُجْرٌ إِلَى بَنِي أَسَدٍ وَرَدَ مَاءَ الْحَلْبَةِ (٢) رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ ،

يقال له فضالة بن كلدة بن عبد مرارة بن سواة بن الحارث بن سعد

ابن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد ، وأخذ حُجْرٌ أَكْفًا مِنْ حَمَصٍ

فرمى به في الماء ، ثم قال : يا عوف أورد مالك ثلاث مرّات يردّها -

فركب فضالة بن كلدة بن عبد مرارة بن سواة بن الحارث بن سعد

ابن مالك فألقى بني أسد ، فأخبرهم أن حُجْرًا قد سار إليهم بجمع كثير

من اليمن ، وكانت بنو أسد بتهمة ، وكانت تهامة منزل ولد معدّ

ابن عدنان ، فاجتمعت بنو أسد إلى عوف الكاهن . فقالوا : ما عندك ؟ قال : تَزَوَّدُوا ما قدرتُمْ وارتحلوا ، ففعلوا ، فلما ساروا ثلاثاً جَمَعَهُمْ فقال : لمن الصلهب ؟ - فرس كان لحُجْر - الغالب غير المغلَّب ، قالوا : هولك . قال : لمن العتاق ، وهي غَدًا تُساق ؟ قالوا : هي لك . قال : لِمَنْ سَلِمَى ، ذات الفم الأظْمَا ، غَدًا أول من يُسَبِّي ؟ قالوا : هي لك ، وسَلِمَى قَيْنَةٌ كانت لِحُجْر . ثم قال : لِيَتَمُّ رجل من بني مالك ابن ثعلبة : فقام إليه رجل منهم فقال : اجلس أنت ابن سوداء ذَفِرَة ، حملت به في ليلة غير مُقْمِرَة ، وهي من الرجال مُكثِرَة . ثم قال : يا ابن السموقة - وهو رجل من بني مالك بن ثعلبة - فعقد له ، فقال من القوم يعقد له وهو فاجر . فقال عوف لابن السموقة ، وكان قصيراً دَحْدَاحًا ، عظيم الرأس والبطن - : أنت ابن بيضاء عَطِرَة ، حملت به في ليلة مُقْمِرَة ، وهي من الرجال غير مُكثِرَة ، له رأس كالدبَّة ، وبطن كالأقربَة . فأتى على محوره أحنه (؟) فعقد له ، ثم قال : سِرَّ بني مالك ابن ثعلبة : حتى تأتي موضع ما ، فإنك تجد عليه مقدمة حُجْرٍ ومطابِخَهُ وقبَابَهُ ، فَخُذْ ما قدرت وأقِمْ ، فإنني في أشرك ، ونحن ظافرون بالرجل فسار ابن السموقة حتى وافى ذلك الموضع ، فوجد الأمر على ما أخبره به عوف ، وتبعه سائر بني أسد ، وأقبل حُجْرٌ حتى التقوا بذلك الموضع ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فأسرت بنو أسد حُجْرًا وانهزم أصحابه ، بعد ما قُتِلَ مَنْ قُتِلَ منهم ، فستر في فسطاط وأقعد معه من يحفظه . وقال لهم عوف الكاهن : لاتحدثوا فيه حادثة حتى أصعد هذا الأبرق - جبيل - فأنظُر . فقال له : ربيط خُلُوا سبيله ومُنُوا عليه ، فإنكم إن فعلتم ذلك كان لكم الملك فيكم إلى يوم القيامة ، وكان عليّ بن الحارث الكاهن

قاتل حُجْرٌ قد قُتِلَ له أخ في المعركة ، فدخل على حُجْرٍ وقد غَفَلَ
 الحُرَّاسُ فضربه بسيفه حتى سكت ، وَضَحَّ النَّاسُ ، فسمع عوفُ الصَّوْتِ
 فانحدر مُقْبِلاً ، فقال : ما هذا ؟ فقبل : علباءُ بن الحارث قتل حُجْرًا .
 فأقبل على رأسه يَضْرِبُهُ ، وَيَنْتِفِ لِحِيَّتُهُ ، ثم قال : يا بني أسدِ ،
 مُلْكُ شَهْرٍ ، وهلاك دهرٍ ، أما إنكم لا تكونون ملوكًا ولا ذوي يدٍ عند
 الملوك ، فبنو أسد كذلك وانصرف الناس بالغنائم .

٩٦- يُشَارِكُنَ الذَّنَابَ وَأُمَّهَاتٍ جُمِعْنَ بِعَامِرٍ لَمَّا كُنِينَا
 يقول : القشاعم يشاركن الذناب .

بعامر : يعني الضَّبَاعَ ، أراد أن الضَّبُعَ تُكْنَى بِإِمٍّ عامرٍ .

٩٧- سَقِينَا الْأَزْرَقَ الْبِزْنَ مِنْهُ وَأَكْعَبَ صَعْدَةَ ، حَتَّى رَوِينَا
 منه : أي من حُجْرٍ ، ووصف السنان بصفاء الحديد وصقاله .

والبِزْنِيُّ والأَرْنِيُّ : منسوب إلى بَزْنٍ ، وهي أرض باليمن .

والصعدة القناة ، وقيل : التي ليس فيها السنان ، وأكعبها أنابيبها

روينا : رَدَهُ عَلَى الْأَكْعَبِ .

وذلك أن رجلاً من بني أسد ، وهو علباءُ بن الحارث بن جحيش

الكاهن طعن حُجْرًا في رجله بعكازه ، فمات ، وكان حجر أبو امريء

القيس في أسد يأخذ من كل رجل في كل عام جزتي صُوفٍ وجزتي

شعر ، وجزتي [وبرا] ونحيين من سمن ، وفرقاً من أقط ، وكبشا .

وحبل (؟) بذلك دَهْرًا ثم بعث إليهم جابيه الذي كان يجبيهم ، فمنعوه

ذلك ، وبلغ ذلك حُجْرًا وهو يومئذ بتهامة ، فسار إليهم بجند من ربيعة

وجند من أحنة (؟) قيس ، فأتاهم فأخذ رؤسائهم فجعل يقتلهم

بالعصي ، فَسُمُوا عَيْدَ الْعَصَا ، فبأباح الأموال ، وسيرهم من تهامة

والحجاز ، وآل أليّة أن لا يساكنهم في بلد أبداً ، وجلس عمرو بن مسعود بن كلدة الأسديّ ، وكان سيّداً ، وعبيد بن الأبرص ، وكان شاعراً ، فسارت بنو أسدٍ ثلاثاً ، فقام عبيد بن الأبرص فقال : اسمع أبها الملك مقالتي فقال :

يا عين ما فات ضحى بني أسدٍ فهم أهل الندامة

في شعر له طويل ، فلما فرغ منها رق له حُجْرٌ ، فبعث في أثرهم فأتوا حتى إذا كانوا على مسيرة ليلة من تهامة تكهن كاهنهم ، وهو عوف بن ربيعة بن عامر بن سواقة بن سعد فقال : يا عبادي ! قالوا : لبيك ربنا ! قال : لمن الصلح ؟ فرس كان لحُجْرٍ - قالوا : من هو ربنا . قال : الغلاب غير المغلب ، في الإيل كأنها الريرب ، لا يعلق رأسها الصهب ، هنادمه يشعب ، وهو غداً أول من يُسلب . قالوا : من هو ؟ قال : لولا أن تهجيش جائشة لنسيانكم أنه حُجْرٌ صاحبه . فركبوا كل صعب وذلول ، فما أشرق لهم النهار حتى انتهوا إلى عسكر حُجْرٍ ، فهجموا عليه قبته ، وكان حُجْرٌ ناساً من بني كاهل يقال لهم بنو حرار .

أبو عمرو : خدار بن جشم .

فأقبل علباء بن الحارث ، وكان حُجْرٌ قتل أباه ، فلما أخذوه قتلوه ، وقالت بنو أسد : يامعشر كنانة وقيس أنتم إخواننا وبنو أعمامنا والرجل بعيد النسب منا ومنكم ، وقد رأيتم ما يصنع بكم ، فانتهبوه ، وشدوا على هجائننه ، قال : فلفوه في ريطّة ، وطرحوه في الطريق ، فلما رآته قيس وكنانة اغتنموا أسلابه ، ووثب عمرو بن مسعود فضم إليه عماله ، وقال : أنا لهم جار .

قال ابن الكلبي : وبلغني الحديث من وجه آخر ، أَنَّ حُجْرًا أَنَاهُمْ
 مِنْ مَعَهُ ، فَلَمَّا كَثُرُوهُ قَالَ : فَإِنِّي مَرْتَحِلٌ عَنْكُمْ ، مُخَلِّيكُمْ وَشَانِكُمْ ،
 فَوَادَعُوهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَمَالَ مَعَ خَالِدِ بْنِ حُدَانَ أَحَدَ بَنِي سَعْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ،
 تَارِكًا لِعَسْكَرِهِ ، فَأَذْرَكَهُ عَلِبَاءُ بْنُ الْحَارِثِ أَحَدَ بَنِي كَاهِلٍ ، فَقَالَ :
 يَا خَالِدُ اقْتُلْ صَاحِبَكَ لَا يَعْرُوكَ وَإِيَانَا بِشَرِّ فَمَجَّلَ خَالِدٌ يَمْتَنِعُ ، وَيَمُرُّ عِلْبَاءُ
 بِقِصْدِهِ بِرُمَحٍ مَكْسُورٍ ، فِيهَا سِنَانُهَا ، فَأَخَذَهَا ، فَطَعَنَ بِهَا فِي خَاصِرَةِ
 حُجْرٍ وَهُوَ غَافِلٌ ، فَقَتَلَهُ ، فَبَيَّنَّا ذَلِكَ يَقُولُ الْأَسَدِيُّ :

وَأَقْصَدَ عِلْبَاءُ بْنُ قَيْسِ بْنِ كَاهِلٍ مَنِيَّةَ حُجْرٍ فِي جَوَارِ ابْنِ خُدَانَ
 وَكَانَ حُجْرٌ طَرَدَ امْرَأَ الْقَيْسِ فِي حَيَاتِهِ ، لِلشَّعْرِ ، قَالَ : لَا يَقُولُ
 شِعْرًا ، فَإِنِّي فَأَخْرَجَهُ وَكَانَ يَسِيرُ فِي الْعَرَبِ ، فَإِذَا انْتَهَى إِلَى رَوْضَةٍ ذَبَحَ
 لَهُمْ وَجَلَسَ يَشْرَبُ ، وَتَغْنِيهِ قِيَانُهُ ، فَأَنَاهُ خَبْرُ أَبِيهِ بِدَمُونٍ فَقَالَ :
 تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْنَا بِدَمُونٍ دَمُونٌ إِنَّا مَعَشَرٌ يَمَانُونَ
 وَأَنْنَا لِأَهْلِنَا مُحِبُونَ

وقال : ضيعني صغيراً ، وحملني دمه كبيراً ، لاصححو اليوم ،
 ولاسكركم ، اليوم خمر ، وغداً أمر . وقيل : إنه آلى لما بلغه قتل أبيه :
 لا يشرب خمرًا ولا يأكل لحمًا حتى يدرك بشأ أبيه ، فقصد إلى بني
 أسد ، يريد علباء سرًا ، ولم يظهر ذلك لجل الناس ، فلما كانت الليلة
 التي صبحهم فيها بادر قبل أن يخبروا ، فقتل وأكثر القتل في بني كنانة
 وهو يظن أنهم بنو أسد ، فلما عرف كف وقال :

أَلَا يَا لَهْفَ نَفْسِي إِثْرَ قَوْمٍ هُمُ كَانُوا الشِّفَاءَ فَلَمْ يُصَابُوا
 ٩٨ - وَخَضْنَا بِالسُّيُوفِ إِلَيْهِ خَوْضًا وَسُرَّ الْخَطُّ كِنْدَةَ وَالسُّكُونَا

خُضْنَا : سِرْنَا ، في كِنْدَةَ والسكون ، معناه قطعناهم بسيفنا وأرمأنا
والسكون : بطن من كِنْدَةَ .

٩٩- وَوَجَّهْنَا ظَمِينَتَهُ هَدِيًّا نُلُونُ لِأَمْرِيءِ الْقَيْسِ الْبُرَيْنَا

الْبُرَيْنُ : الخلاخيل . نُلُونُ : نُلَمَّعُ له بيدها . هَدِيًّا : أي عروسًا .

١٠٠- إِذَا أَحَدْتُ لَهُ فِي مَا شَرِيطِ (٩) رَأْنَا بِالْإِسَاءَةِ مُحْسِنِينَا

له : لامرئ القيس ، امرأة حُجْر ، وشريطة : سَفَطٌ فيه طيبها

واجفاسا (٩) . قال عمرو بن معدى كَرِب :

فَهَمَّكَ فِي شَرِيطِكَ أُمَّ عَمْرُو وَذُو النُّونَيْنِ وَالْمَرْزُوقُ زَيْنِي

أَي إِنَّا عَلَى إِسَاءَتِنَا إِلَيْهِ بِقَتْلِ أَبِيهِ يَرَى أَنَا أَحْسَنًا إِلَيْهِ ، إِذْ زَوْجَنَا [هـ]

لامرأة أبيه .

١٠١- فَمَا أَهْوَى بِأَهْرَاجٍ مَن يَعِيدُ لَنَا إِلَّا التَّكْهُمُ يَبْتَغِينَا

يعني امرأ القيس ، ما أهوى إلينا بهم يقائلنا به ، والتكهم :

التواعد ، والإيعاد بالشر .

١٠٢- وَمَا سَمِي بِقَتْلِ أَبِيهِ مِنَّا قَتِيلًا فِي عَضَائِهِ مُفْتَرِينَا

أي لم يستطع أن يسمي فينا قَتِيلًا قتلته بِأَبِيهِ ، فيما يفترى ويكذب

حيث قال : قتلت من بني أسد ، والافتراء الكذب ، وَعَضَائِهِ جمع

عَضِيهَةٌ وهي الكذب .

١٠٣- وَنَحْنُ وَجَنْدِلُ بَاغِ تَرْكِنَا كَتَائِبَ جَنْدَلٍ شَنِ عَزِينَا

جندل : ملك من ملوك عَسَّان ، أي تركنا كتائبه حين بغى علينا ،

قتله بنو سعد بن ثعلبة ، رهط الكَيْث .

وعزِين : مُفْتَرَقَةٌ ، الواحدة عِزَّةٌ .

١٠٤- أَطْرُنَا الْحَشْوُ وَالْعَسْفَاءُ عَنْهُ وَأَقْعَصْنَا جَبَابِرَ مُنْزَفِينَا

عنه : عن جندل ، أطرناهم ، والحشو : السفلة ، والعسقاء : الأجرأء
والاسفاء : العبيد .

وأقصنا : قتلنا . يقال : قعصه وأقصعه بمعنى .

١٠٥- كَفَيْنَا مَنْ تَغَيَّبَ مِنْ نِزَارٍ وَأَحْنَنَّا أَلِيَّةَ مُقْسِمِينَا
يقول : قُمتنا به من نزار كلَّها ، وكفيناهم يقتل جندل من غاب
من نزار .

وقوله : أَحْنَنَّا يَمِينَ جَنْدَلٍ ، كان قد حلف أن لا يرجع حتى يُطْفئ
نار مُضَرٍ ، فأطفأ نارَ هوازن وغطفان ، ثم قتلته بنو سعد بن ثعلبة من
بني أسد . وأليَّة : يمين ، والجمع أليابا .

١٠٦- وَأَضْحَكْنَا بَوَاكِيَ أَهْلِ خَوْفٍ وَأَبْكَيْنَا ضَوَاحِكَ آمِنِينَا
يقول : أجزناهم فأمِنُوا من خوفهم ، وذلك رحاهم (٩) في جمع كبير
فهابته ، فبكت نساؤهم وكن نساؤه آمِنات فقتلوه ، فضحكت نساؤهم ،
وبكت نيك .

١٠٧- بِضَرْبٍ لَا كَفَاءَ لَهُ وَطَعْنٍ تُرَى مِنْهُ الْأَسَاءُ مُوَلِّينَا
لا كفاء له : أي مثل له . والأساءة : الأظباء ، الواحد آس ،
وموَلِّين : من الويل .

١٠٨- وَنَحْنُ غَدَاةَ سَاحِقٍ تَرَكْنَا حُمَاةَ الْأَجْدَلِيِّنِ مُجْدَلِينَا
ساحوق : موضع وقعة كانت لبني أسد ، والأجدلين : ملكان من
عَسَّانٍ . ومُجْدَلِين : مُضَرَّعِين في الجدالة ، وهي الأرض ، يقال : جدله ،
ونظيره وقطره وحمله ، بمعنى .

١٠٩- أَتَوْنَا عِنْدِنَا فَلَاقُوا ظَعَائِنَ مَا هَرَيْنَ ، وَلَا سِيْنَا
١١٠- ظَعَائِنَ مِنْ بَنِي الْحَلَّافِ تَأْوِي إِلَى خُرْسِ نَوَاطِقِ ، كَأَلْفَتِينَا

الحلاف : الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان ، وبنو ضبة بن الحارث
وسواءة بن الحارث ، ومالك بن الحارث ، وجشم بن الحارث ومرة
ابن الحارث .

والخرس : الكتاب . موطن : ما صنعت وما لقيت ، ومثله :

وَكُنَّا أَناسًا أَنْطَقْتَنَا سِيُوفُنَا

والفتين : الحرّة ، جمع لا واحد له ، شبه الجيش بحرّة سوداء .
١١١- ظَعَانٍ لَمْ تَزَلْ مِنْ مُسْتَمَاتٍ غَنَائِمَ ، يَضْطَبِحْنَ وَيَدْوِينَا
ظعان : نساء على الهوادج ، مستمات : إبل عظام الأسمّة . لم
تزل تضطبح ، وتدوي : من الدواية ، وهو ما يعلو اللبن البائت (؟)
كالجليدة .

١١٢- وَيَجْزُونَ النّواصِي مُنْعَمَاتٍ غَوَائِيَّ عَنِ ثَوَابِ الْمُعْرِضِينَا
يجزون : اللفظ للنساء ، والمعنى للرجال ، أي رجالهن يجزون النواصي
فلما كان في ذكر النواصي اجزوهن . يقول : لا يُرِدْنَ مِنْهُمْ جِزَاءً وَلَا ثَوَابًا
ومثله قول بشر الأسدي :

وَمَامَسَهَا مِنْ مُنْعِمٍ يَسْتَنْبِيهَا

١١٣- مُدَلَّاتٌ يَسِرْنَ بِكُلِّ ثَغْرِ إِذَا أُرْزِفْنَ مِنْ ثَغْرِ حُمَيْنَا
مدلات : من الإذلال ، ويقال : جاء فلان مدلاً ، إذا جاء به قوة ،
أي لا يخفن شيئاً .

وأرزن : أسرع ، يقال : أرزف يرزف إرزافاً ، إذا أسرع .

١١٤- وَقُرْصًا قَدْ تَنَاوَلْنَا فَلَاقِ بَيْتِي ابْنَةَ مَعِيرٍ وَالْأَثُورِينَا

قرص : من بني الحارث بن كعب ، قتلته بنو سعد بن ثعلبة .

مَعْبَرِ وَالْأَقْوَرِينَ : دَاهِيَتَانِ ، يُقَالُ : لَقِيتَ مِنْهُ الْأَقْوَرِينَ وَالْبُرْحَاءَ .
ويقال : قايد (؟) لقد لاقيت قيد (؟) والأقورين .

١١٥- صَبَّحْنَاهُمْ * أَسْتَنَا وَبِيضًا قَوَاعَ يَعْتَمِدْنَ وَيَضُّ طَفِينَا
يَعْتَمِدْنَ : أَي يَخْتَرْنَ الْعَمَدَ مِنَ الْقَوْمِ ، الَّذِينَ يُعْتَمِدُ عَلَيْهِمْ فِي
الْأُمُورِ . وَقَالَ : يَقْضُونَ .

١١٦- إِذَا الْجَبَّارُ كَانَ هُنَّ نَضْبًا فَرَجْنَ إِلَيْهِ حَوْمَةً مَا غَشِينَا
هُنَّ : لِلسُّيُوفِ ، نَضْبًا : كَأَنَّهُ شَيْءٌ يَنْصَبُ لِلسُّيُوفِ وَالْأَسْنَةِ .
وحومة كل شيء : كثرتة ومعظمه ، وغشين : ما غشيننا منهم .

١١٧- وَخَضْنَا بِالْقُرَاتِ إِلَى عَدِيٍّ وَقَدْ ظَنَنْتُ بِنَا مُضْرُ الظُّنُونَا
القرات : موضع بالشَّامِ ، وعدي : رجل من غسان ، أسره مطر
ابن سلمة الشيباني ، قتلوه بابن أُرطاة . وقال رجل من بني شيبان :

قَتَلْنَا عَدِيًّا بَابِنِ أُرطَاةَ إِنَّنَا كَذَلِكَ إِذَا مَا الْحَرْبُ شَبَّ سَعِيرُهَا
ظَنَنْتُ مُضْرَ : قَالَتْ : عَسَاهُمْ لَا يَنَالُونَ الظُّفْرَ بِهِمْ ، فَظَنُّوا أَنَّا سَنُهَلِكُ

١١٨- بِحَارٍ يَهْلِكُ السَّبْحَاءُ فِيهَا تَرَى الْجُرْدَ الْعِتَاقَ لَهَا سَفِينَا
الجرْد : الخيل القصيرة الشعور ، أَي هُنَّ سَفَائِنٌ وَهَذِهِ الْبِحَارُ
وَالغمرات ، وَالسَّبْحَاءُ : أَرَادَ الْفَرَسَانَ .

١١٩- بِمُعْتَرَكٍ مِنَ الْأَبْطَالِ ضَنْكَ تَرَى فِيهِ الْجَمَاجِمَ كَالْكُرَيْنَا
مُعْتَرَكٌ : مَوْضِعُ الْقِتَالِ .

وَالْكُرَيْنِ : جَمْعُ كُرَّةٍ ، وَالْبَطْلُ : فَوْقَ النَّجْدِ ، وَقِيلَ لَهُ بَطْلٌ ، أَي دَمٌ
القتيل يبطل عنده ، لَا يُؤْخَذُ ، لِعِزَّةٍ .

١٢٠- وَلَمْ نَفْتَأْ كَذَلِكَ كُلِّ يَوْمٍ لِشَاقَةِ وَاعِرٍ مُسْتَأْصَلِينَا

نَفْتًا : نزال ، يقال : ما قَتِيَء يفعل كذا .

والواغر : الحاقِد ، والوغر : الحقد ، أي نَسْتَأْصِلُ شَأْفَتَهُمْ .

١٢١- وَيَوْمَ الْجَرِّ مَنْ ظَلِمَ وَجِدْنَا كَطَعْمِ الصَّابِ لِلْمُتَطَعِّينَا

الجرُّ : ثنيةٌ يقال لها الجرُّ ، التقت ابنا أسدٍ والحارث بن كعب ،

فانهزمت بنو الحارث . ويقال : الجرُّ هو أسفل الجبل .

وظلم جبل ، وهو يوم كانت فيه وقعة لبكر بن وائل .

١٢٢- حَضَانَا نَارَ مَكْرَمَةٍ وَعِزُّ نَشْبٌ وَقُوْدَهَا لِلْمُضْطَلِّينَا

حضانًا : أي ألقينا الحطب فيها حتى عظمت ، والمحضاً والشعر

العود الذي تحرك به النار .

١٢٣- [ونحن] الرَّافِدُونَ غَدَاةَ مَرْ خَزِيمَةَ بِالَّذِي لَا يُنْكِرُونَا

غداة مَرٌ : وهو من مكة على مرحلة من طريق المدينة .

ويقال : رفدته وأرفدته : أعنته .

يقول : رفدنا قومنا في تلك الغداة بالذي لا ينكرون .

١٢٤- تَبَاشَرَ إِذْ رَأَى أَهْلُ مَرْ فَكَذَّبْنَا مَنِى الْمُتَبَاشِرِينَا

١٢٥- مَلَانَا حَوْضَ مَكْرَمَةٍ وَعِزُّ وَأَرْوِينَا حَوَائِمَ قَدْ صَدِينَا

الحائم الذي يدور حول الحوض عطشاً .

وصدين : أي عطش ، والصدى العطش .

١٢٦- وَقَدْ آكَلَتْ قَبَائِلُ لَاتَوَلِي مَنَابَةَ ظُهُورِهَا مُتَحَرِّفِينَا

آكَلَتْ : يعني غَسَّان ، يقول : حلفوا بمناة ، وهو صنمٌ ، أن لا يولوا

عنه ، وأن يجعلونه وراء ظهورهم ، ويقائلون عنه . وقال عمرو بن شاس :

وَقَدْ أَقْسَمَتْ أَفْنَاءُ عَمْرٍو بِنِ عَامِرٍ بَغْسَانَ لَا يَعْرِى مَنَابَةَ وَلَا يَحُلِي

١٢٧- فَبِالْحَقِّ نَبَا رَوَّافِضَهُمْ بِيُعْمَرِي حُقْفَاةَ كَالرِّثَالِ ، وَنَا عَلِينَا

رَوَافِضُهُمْ : ما افترق منهم . كالرثال : أولاد النعام ، أي شردوا كما
شرد الظليم ، والرثال أولادها الواحد رأل ، ورثلان .

١٢٨- وَيَوْمًا بِالْمَعَا لَمْ نُلْفَ فِيهِ عَلَى دَهَشٍ وَلَا مَتَحَاذِلِينَا
وهذا اليوم غدا فيه أبو جبلة ، وهو جبيلة ، وهو سويد بن ربيعة ،
فأخذ ابن سهلة الطائي فقال : دُلْنِي وَأَنْتَ آمِنٌ عَلَيَّ حَتَّى تُعْمَلَ ، فَذَكَرَهُ
عليهم ، فَأَصَابَ الْحَيَّ بِأَسْرِهِمْ ، فَأَقَامَ ابْنُ سَهْلَةَ عِنْدَ أَبِي جَبِلَةَ ، وَيُقَالُ
جَبِيلَةَ ، وَتَرَكَ حَيَّةً ، لَمَّا دَلَّ عَلَيْهِمْ .

١٢٩- صَبْرْنَا فِيهِ أَنْفُسَنَا بِيَيْضٍ يُفْلَقْنَ الرُّؤُوسَ وَيَخْتَلِينَا
أي الزمنا أنفسنا الصبر ، ويقال : صبرنا : حبسنا ، ومنه : قُتِلَ
فُلَانٌ صَبْرًا .

١٣٠- وَمَا دَمُ الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍّ إِلَى نَجْرَانَ غَزَوْتَنَا الْحَجُّونَا
هذا يوم غزت بنو تميم نجران ، فقتلوا من أهلها مقتلة عظيمة ،
ومنه قول الفرزدق :

سَمَوْنَا لِنَجْرَانَ الْيَمَانِيَّ أَرْضَهُ وَنَجْرَانَ أَرْضَ لَمْ تُدْبِنُ مَقَاوِلُهُ
وَالْحَجُّونُ : البعده .

١٣١- صَبَحْنَاهُمْ كَتَائِبَ مَنْ نَزَارِ كَأَسْدِ الْغَابِ خَالَفَتِ الْعَرِينَا
الكتائب : الجماعة ، يقال : يكتب الناس أي يجمعها .

والغاب : الأجمة . والعرين مثلها . يقال : أتيناهم صباحاً ، بمعنى
صبحناهم .

١٣٢- كَتَائِبَ تَخْسِرُ الْهَبَوَاتُ عُنَا عَوَالِي مَا حُدِدْنَ وَمَا عَلِيَدْنَ
الهبوات : جمع هبوة ، وهي الغبار . عوالي : أي تعلقوا ولا تعلقوا .

حُدُنْ : يقال : حُدَّ فلان عن حاجته إذا رُدَّ عنها ، والمحدود المحروم .
ما عُليْن : ما قُهرن .

١٣٣- أَفَانُ مِنَ الْكَوَاعِبِ مُرَدَفَاتٌ عَقَائِلُ يَتَّصِلْنَ وَيَعْتَرِضْنَ
أَفَانٌ : من الفياء أي غَنَمَنَ ، والعقائل : الكرام . يتصلن : ينسبن
أنفسهن ، والاتصال الإدعاء إلى القبيلة ، وعزوتُ الرجل إلى أبيه -
أي نسبته إليه .

١٣٤- وَغَادَرْنَا الْمَقَاوِلَ فِي مَكْرٍ كَخُشْبِ الْأَثَابِ الْمُتَغَطَّرِ سِينَا
غادرنا : تركنا . والمقاويل : الملوك ، ويقال : أقوال أيضًا .
في مكرٍ : في موضع الكرّ والجملة .

وقوله : الْأَثَابُ : وهو شجر - أي الملوك مصرعين كالخشب ،
والمتغطرس : المتغضب .

١٣٥- وَعَبِيدٌ يَغُوثٌ قَدْ لَاقَى نِزَارًا غَدَاةَ التَّيْمِ غَيْرَ مَهْلِيْنَا
عبد يغوث بن سلامة الحارثي ، وكان سيدهم ، أسره النعمان بن حسان
قتله تيمُّ الرباب .

١٣٦- أَرَادَ لِيَحْقِنُوا دَمَ غَيْرِ ثَارٍ وَذَكَرَهُمْ مَعَ الْحَلْبِ الْحَقِينَا
أرادوا حقنَ دمِ عبد يغوث بأن يعطيهم الإبل ، ولم يكونوا طلبوه
بِثَارٍ ، فلذلك قال : غير ثار .

ويقال : أراد قوله : بغير ثار أي لم يكن لهم عنده ثار يطلب .
والحقين : اللبن المجموع في السقاء ، فلم يفعلوا في أخذ الإبل شيئًا ،
وقتلوه .

١٣٧- فَكَانَ دَمٌ أَحَبُّ إِلَى نِزَارٍ شَوَارِعَ مِنْ وَطَائِبِ مُعْجَلِينَا
أي كان دمه أحبُّ إلى رماحهم الشوارع للطنن من أخذ الإبل .

والوطاب : الرقاق ، الواحد وَطْبٌ ، وهو زِقُّ اللبن .

المُعْجِلُ : الذي يبعث إلى أهل اللبن الإعْجَالَةَ ، كأنه أول اللبن .

١٣٨- فَصَادَفَ أَسْرَةً مِنْ آلِ مُرٍّ بِأَعْلَاقِ الْمَكَارِمِ مُثْمِنِينَ

صادف عبد يغوث . والأسرة : الحي والقوم ، ومُرٌّ : أبو تميم .

والأعلاق : جمع علق ، وهو النفيس من المال . مثمينين : أي يعطون به

ثمناً .

١٣٩- وَمَا طَلَبُوا إِلَيْهِ دَمًا وَلَكِنْ أَثَاثَ الْمَجْدِ وَالْحَسَبِ الْمَصُونَا

ويروى : أثيث المجد ، وهو الكثير . والأثاث : المتاع . وإليه :

أي إلى عبد يغوث .

يقول : طلبوا بقتله الذكر ، لالِشَارِ كان لهم عنده ، قتلوه لشرفه

طلباً للمجد والنباهة والشرف .

١٤٠- تَرَكْنِ مَلُوكَ حَمِيرٍ وَمِي صَرَعِي كَخُشْبِ الْأَثَلِ ، غَيْرِ مُدْفَنِينَا

١٤١- وَنَحْنُ غَدَاةَ ذِي قَارِ صَبَحْنَا مَلُوكَ الْأَعْجَمِ الْأَلَمِ الرَّصِينَا

ملوك الأعجم : الهامرز ، صاحب كِسْرَى ، وجهه إلى بكر بن وائل ،

ومعه من العرب تغلب وبهراء وإياد ، وكانوا في طاعة كِسْرَى ، فقتلته

بكر ، وهو يوم ذي قار ، بين البصرة والكوفة ، على طريق الطَّفِّ .

١٤٢- أَتُونَا بِالطَّعَانِ وَأَقْفَاتٍ فَأَيُّ ذَوِي طَعَانٍ إِذْ أُبِينَا

هذا يوم جمعت بكر بن وائل الأعاجم ، ورئيسهم حنظلة بن سيَّار -

شيبان (٤) وكان يكنى أبا معدان ، فشد الحوفزان بن شريك على الهامرز ،

وقتل بنو عجل الحبايرين (٥) وضرب الله وجوه الفرس بالذلة ،

فانهزموا .

يقول : أتونا ونساؤنا واقفات لم يبرحن .

بنياد واديرة المعارف اسلامی
کتابخانه و مرکز اطلاع رسانی

١٤٣- فَجَجَعْنَا بَيْنَهُ وَكَانَ ضَرْبًا تَرَى مِنْهُ جَمَاعَتَهُمْ فُئِينَا
جمعنا : الزمانهم الأرض ، والجمعاج : التراب .

وقوله: فُئِين : أي مشققة ، يقال : فَاهُ ، يَفَاهُ ، وَفَاوْتُ رَأْسَهُ بالسيف
ويقال فَايْتُ أَيضًا . ويقال : فِئَة وفئِين : أي جماعة .

١٤٤- فَأَيُّ عِمَارَةٍ كَالْحَيِّ بَكْرٍ إِذَا الْمُرَبَاتُ لَقِبَتِ السِّنِينَ

أي : تَعَجَّبُ . أراد أي أصحاب . والعِمَارَة : القبيلة العظيمة التي
تطبق الانفراد ، والجمع العمائر . لقبت : يقول : لم يكن للسنين اسم
من شدة الحال . والالزبة وسنة يقال : أراد به عام الرمادة ، وعام الحطمة
ونحو ذلك .

١٤٥- وَأَيُّ عِمَارَةٍ كَالْحَيِّ بَكْرٍ إِذَا مَا الْبَيْضُ زَايَلَتِ الْجُفُونَا

البيض : السيف ، أي أَخْرَجَتْ مِنْ غَمْدِهَا .

١٤٦- أَكْرَّ غَدَاةَ إِبْسَاسٍ وَنَقَرَ وَأَكْشَفَ لِلْأَصَايِلِ إِذْ عَرَيْنَا

يعني بكرين وائل ، والإبساس : التسكين للخيل في الحرب ، ويقال :
أَبْسَ الناقة للحلب .

والنقر : صُوِيْتُ مثل التَّمَطُّقِ . يقال : نقر ينقر ، معناه : أي حي
في ذلك الوقت .

والأصايل : العشيات .

وعرين : بَرَدَنَ . وَعَرَيْنَ مِنَ السَّحَابِ ، أي انجردن ، يعني السماء .

وأكشف : أي يطعمون الضعاف فَيُكْشَفُ ضُرُّهُمْ .

١٤٧- وَأَغْضَبَ عِنْدَ مَنَدَبَةِ قِيَامًا وَأَحْلَمَ فِي الْمَجَالِسِ مُحْتَبِينَا

منهم : من بكر بن وائل . والمندبة : الفضيحة ، وجمعها مندبات
أي لا يُنطق عندهم بالفحش .

١٤٨- وأطيبَ في المغارسِ نابتاتٍ وأفضلَ في التقايسِ للديننا

أفضل : أي في المقايسة . واللدين : يعني الأترابُ والواحدة لدة .

١٤٩- وأسيرَ باللوامعِ خافقاتٍ إلى الغمراتِ حتىَّ ينجلينا

أسير باللوامع : وهي الألوية ، وهي تلمع وتخفق .

١٥٠- وأقدحَ في ثواقبِ وارياتٍ وأنجحَ في المكارمِ طاليننا

أي يقدحون في زنادِ ثاقبة مضيئة ، أي يكشفون عن الظلم برأيهم .

يقال : أثقب نارك ، أي أشعلها .

١٥١- ونحنُ على شراحيلِ بنِ عمرو شهرنا البيضِ غيرِ محلليننا

يريد شرحبيل بن عمرو المقصور ، وهو أخو حُجَير ، وقُتل شرحبيل

يوم الكلاب ، قتلهُ عُصيم بن النعمان من تغلب .

محللين : يقال : حلل وهلل إذا جبن ، وكاع .

١٥٢- أرادَ لكيَّ يدوقَ بني نزارٍ ولمْ يسألْ - فيخبرَ - عالميننا

أراد : لم يسأل عالمين فيخبر بنا .

١٥٣- فصادفَ تغلبَ الغلباءَ لما تمطَّقَ فوهُ شربةَ ذائقيننا

تغلب : هم الذين غزوا شراحيل ، وكلُّ غليظ : أغلب .

وقوله : ذاق حربه (؟) .

١٥٤- أطاروا فحفَ هامتهِ بعُضِبِ كانَ سنأه شُعلةَ قابسيننا

١٥٥- وقالوا : خذْ نحيبك ابنَ عمرو كما ذاقَ أخاكَ بنو أبيننا

خذْ نحيبك بهذا العُضْبِ كما تقول : خذها مني ، تهزأ به أي كما

قتل أخاك بنو أبينا ، أي كما قد حياه بالسيف .

١٥٦- أُبَيَّتَ اللَّعْنُ دُونَكهَا فَإِنَّا كَذَاكَ نَحِيَّةُ الْأَمْلَاكِ فِينَا

أبيت اللعن : كلمة كانت تقال للملوك في الجاهلية .

١٥٧- وَرَاجَ لَيْنَ تَغْلِبَ عَنِ شِطَافٍ كَمُتَدِنِ الصَّفَا حَتَّى يَلِينَا

شطاف : يقال شظف الشيء إذا يبس .

وقوله : كمتدن الصفا : يقال : ودنت الشيء بلته ، فأنا أدنؤه ، ودننا

أي من يرجو لينا كمن يبيل الصخر . مُتَدِنٌ : مُفْتَعَلٌ من وَدَنْتُ : ومثله مُتَعَدٌ .

١٥٨- وَقَدْ لَاقَى لِصَعْبَتِهِ نِزَارًا شَرَا حَيْلُ بِنِ أَصْهَبَ رَائِضِينَا

يعني شراحيل بن الشيطان بن الحارث بن الأصهب : قتلته بنو عامر

ابن صعصعة .

يقول : لاقى لصعبته : يعني لناقته الصعبة . أو لفرسه الصعبة ،

وأراد : نفسه ، وهو مثل : قتله الورد بن عمرو . ويقال في مثل :

وَاللَّهِ لَأَرْوِّضَنَّ صَعْبَتَكَ .

١٥٩- كَانَ الْأُمُّ أُمَّ صَدَاهُ لَمَّا جَلَوْا عَنْهَا غَطَاةَ حَابِلِينَا

يعني أم رأسه ، يريد الدماغ . وعنهما : أي عن الأم ، وشبهها

بغطاة وهي القطة في اجتماعها ، يريد دماغه حين أطاروا عنه القحف ،

فَبَدَّتْ قَطَاةَ جَائِمَةٍ ، والحابلين : أي أصحاب الجبال .

١٦٠- وَسَيْفُ الْحَارِثِ الْمَعْلُوبِ أَرْدَى غُصِينًا فِي الْجَبَابِرَةِ الرَّدِينَا

يعني الحارث بن ظالم ، كان يقال لسيفه المعلوب ، سيفه - كان

مشدوداً بالغلباء ، كما تشد اليوم بالسير .

وغصين : لم يعرف .

والردين : المالكين ، الواحد : رد ، وأرديته أنا أي أهلكته .

١٦١- وَأَتْلَفَ وَاحِدَ النُّعْمَانِ لَمَّا أَرَادَ [بِهِ] الْجَرِيرَةَ أَنْ يَشِينَنَا
أَتْلَفَ الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ : قَتَلَ ابْنَ النُّعْمَانِ .

وقوله : أراد به ، أي بالحارث . وَالْجَرِيرَةُ : الدَاهِيَةُ . ويشين : من
الشين .

١٦٢- أَرَادَ بِهِ لِيَرَامَ بَوَّغَدْرٍ فَهَيَّجَ لَأَلْفٍ وَلَا مَهِينًا
أي أراد النعمان بالحارث بن ظالم أن يعطفه على [أمر] فيه سببة
وعيب .

وَبَوَّغَدْرٍ : والبوُّ جِلْدٌ يُحْشَى تَبْنًا ، يوضع بين يَدَيِ النَّاقَةِ لِتَرَامَهُ .
وقوله : هَيَّجَ : حَرَّكَ مِنْهُ . وَالْأَلْفُ الضَّعِيفُ ، وَالْمَهِينُ مِثْلُهُ .

١٦٣- وَهَاشِمٌ مُرَّةٌ لِمُفْنِي مَلُوكًا بِلَا ذَنْبٍ إِلَيْهِ ، وَمُذْنِبِينَا
يعني هاشم بن حرملة المرِّي ، شريف غطفان .

قوله : بِلَا ذَنْبٍ إِلَيْهِ ، وَمُذْنِبِينَا : يقول : يقتل من له ذنب ، وَمَنْ
لَا ذَنْبَ لَهُ . كما قال :

أَخِيَا أَبَاهُ هَاشِمٌ بِنُ حَرْمَلَةَ يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ
١٦٤- وَيَوْمَ ابْنِ الْهَبُولَةِ قَدَأَقَمْنَا خُدُودَ الصُّعْرِ ، وَالْأَوْدَ الْمُبِينَا

ابن الهبولة : ملك من ملوك غسان ، قتله حُجْرٌ آكِلُ الْمُرَارِ .
وَالصُّعْرُ : المائِلةُ ، الواحدُ أَصْعَرُ ، وهو المائلُ الخَدُّ ، في شين ،
يوصف به الْمُتَجَبِّرُ .

وَالْأَوْدُ : الْعِوَجُ ، يقال : أَوْدَ يَأْوِدُ أَوْدًا .

١٦٥- وَآلُ الْجَوْنِ قَدْ وَجَدُوا لِقَيْسَ أَفَاعِي لَا يُجِينُ إِذَا رُقِينَا

الجون : ملك في حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم قتلته عبس
وعامر . وقوله : أفاعي أي رجال كأنهم الأفاعي ، لا يقبلون الخديعة والمكر ،

كالحِجَةِ تَمْنَعُ عَلَى الرَّاقِي وَيُقَالُ : هُوَ حَسَانٌ وَمَعَاوِيَةُ ابْنَا الْجَوْنِ الْكِنْدِيِّانِ
قِتْلًا يَوْمَ رَحْرَحَانَ .

١٦٦- هُمُ تَرَكَوْا سَرَائِهِمْ جِيئًا وَمَادُونُ السَّرَاةِ مُغْرَبِلِينَا
يقول : جثوا على الركب صرعى . يقول : تركنا خيارهم ، وهم
السراة مغربلين : مقتول ومجروح وناج .

جِيئًا : أي جثوة . ويقال : غربلوا السراة ، اختاروهم للقتل ، ومنه :
تَرَى الْمُلُوكَ حَوْلَهُ مُغْرَبِلَةً

١٦٧- وَآلُ مُزَيْقِيَاءَ غَدَاةَ لَأَقْوَا بَنِي سَعْدِ بْنِ ضَبَّةَ مُؤَلِّفِينَا
ولما سمي مزريقياء لأنه عاش ثمان مئة سنة [سوقة] ، وأربع مئة سنة
ملكًا على خزاعة وقوله : مؤلفين : من العدد ألف ، وقد ألقوا : صاروا
ألفًا ، وأماؤا : صاروا مئة . وكان ابن مزريقياء غزا بني سعد بن ضبة ،
فقتله عامر بن صامر (؟) الضبي .

١٦٨- أَتَوْهُمْ يَحْسِبُونَهُمْ جِنَاةً فَأَقْلَصَ أَيْدِيًا مَا يَجْتَنِينَا
يعني آل مزريقياء أتوا بني سعد يحسبونهم شيئًا يجتنى سهلًا ،
عسلًا أو شهدًا ، فلما جنوه كان شوكا ، تنبو عنه الأيدي أقلص :
أي فاتهم ؟

١٦٩- وَأَضْحَكَتِ الضَّبَاعُ سَيْوْفُ سَعْدٍ بِقَتْلِي مَا دَفَنُ وَمَا وَدِينَا
أضحكت : لأنها تأكل الحصى ، وإذا رأت الضبع قتيلا ضحكت
وهي تحدع وجارها ، فيقال لها : أبشري أم عامر برجال قتل ، فتستخذي
وتلين .

١٧٠- سَيْوْفٌ مَا تَزَالُ ظِلَالٌ قَوْمٍ يَهْتَكُنَ الْبُيُوتَ وَيَبْتَنِينَا

١٧١- يَرَى الرَّازُونَ بِالشَّفَرَاتِ يَوْمًا وَقُوْدَ أَبِي حُبَابٍ ، وَالظُّبَيْنَا

الشفرات : السيوف ، والشفرة حدُّ السُّيوف ، يقول : يرون بحدِّها
تأراً كمنار الحُبَّاحِبِ ، وهي النار التي تقدح من الحوافر في الحصا .
والظُّبَيْنُ : جمع ظُبة . وهي الظُّبَا للجمع أيضاً وهو حدُّ السيف .
١٧٢- وَلَا قَيْنَا فُضَاعَةَ يَوْمَ كَلْبٍ بِطَلْحَةَ ، وَالْكَمَاةِ مُقْنَعِينَا
ويروى : بِطِخْفَةَ .

أراد طلحة بن خُوَيْلِدِ الفقعسي . هزمه خالد بن الوليد ، في يوم الرِّدَّةِ
مَرَّ بِكَلْبٍ فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ . وقتل وسبا .
والكَمَاةِ : الأَشْدَاءُ .

وَفَقَعَسُ بْنُ طَرِيفٍ بِنَ عَمْرٍو بِنَ قُعَيْنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ ثَعْلَبَةَ
ابن دُودَانَ بْنِ أَسَدٍ .

١٧٣- عَلَى الْجُرْدِ الْعِتَاقِ مَسُومَاتٍ نَشَبَهَا ضِرَاءُ مُكَلَّبِينَا
الْجُرْدُ : الخيل القصار الشعور ، يقال : فرس أجرد .

مَسُومَاتٍ : معلمات ، وَالضَّرَاءُ : الكلاب ، واحدها ضِرْوٌ ، وَالْأُنثَى
ضِرْوَةٌ ، وَمُكَلَّبِينَ : أصحاب كلاب .

١٧٤- غَوَامِضٍ فِي الْعَجَاجَةِ مُصْعَبَاتٍ بِكَذَّانِ الْأَمَاعِزِ يَرْتَمِينَا
أراد بغوامض قد دخلت في الغبار ، مصعبات : مائلات من السِّياطِ
وَالكَذَّانُ : حجارة رِخْوَةٌ ، وَالْأَمَاعِزُ : حصا صغار ، أَي تَرْمِي الْحَصَا
بحوافرها .

١٧٥- عَوَابِسُ يَتَخَذْنَ بَنَاتَ كَلْبٍ خَوَادِمَ يَحْتَطِبْنَ وَيَحْتَسِينَا
عوابس : كوالج : يحنسين : يستقين الماء من الْحِصْنِ ، وهو ماء
يكون تحت الرمل ، فوق أرض صلبة .

١٧٦- وَيَنْصَبْنَ الْقُدُورَ مُشْمَرَاتٍ يُحَالِسْنَ الْعَجَاهِنَةَ الرَّئِينَا

العجاهنة : الطباخون ، الواحد عجاهن .

والرئين : جماعة الرئة . أي يستلبن الرئة من الطباخين إذا غفلوا عنهن .

١٧٧- وَلَا يُذْنِبِينَ (؟) مَنْ حَضَرَ حَيَاءً عَلَى أَعْقَابِهِنَّ إِذَا رُمِينَا
يقول : ليس لمن حياء ، يرسلن الثياب على أعقابهن إذا رمين ،
يريد دم الحيض نسبهن إلى البذاء وقلة الحياء .

١٧٨- وَلَا يَرْضَى بِهِنَّ بَنُو قُعَيْنَ لِأَوْلَادٍ ، وَلَا مُنْتَمِعِينَا
بنو قعين : من بني أسد ، لا يتخذون أمهات أولاد ، ولاللمتعة .
١٧٩- مَعَ الْعَضْرُوطِ وَالْعُسْفَاءِ الْقَوَا بَرَادِعُهُنَّ غَيْرَ مُحْصَنِينَا
العضروط : التابع . والعسفاء : الأجراء .

يقول : فبنات كلب القوا البراذع مع هاؤلاء الأجراء ، يفجرون

٣٠

والمُحْصَنَاتُ : العفافُ وذوات الأزواج .

١٨٠- أَلَا أَبْلَغُ ذَوِي يَمَنٍ رَسُولًا فَإِيَّاكُمْ وَعُورَةَ مُجْرِبِينَا
أراد الرؤساء منهم . أي لاتقربوني ، فإني أغدبكم بالجرب . والعورة :
الجرب ، والمُجْرِبُ : صاحب الإبل الجرباء .

١٨١- فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ لَكُمْ صُدُودًا وَتَحَسَاءَ بِعِلَّةٍ مُرْتَغِينَا
هذا كله مثل ، أي يظهرون لنا خلاف ما يضمرون من العداوة كالذي
يحسو اللبن في الارتغاء ، يريد الرغبة ، يقال : إنه يُسْرُ حَسَوًا في الارتغاء .

١٨٢- تَجَاوَزْتُمْ إِلَى بَغِيرِ ذَنْبٍ شُبِينَا وَالْأَحْصَ مُوتَرِينَا
شبيث والأحص : ماء ان بالحيرة ، ويقال : إنهما جبلان ، ومنه قول

جَسَاسٍ لِكَلْبٍ : تَجَاوَزَتْ الْأَحْصَ وَشُبَيْثًا ، أَي صرّت إلى هذا المكان بغير ذنب .

١٨٣- رَجَاءٌ أَنْ أَكُونَ لَكُمْ مِجْنًا وَتَرْمُونِي بِأَسْهُمٍ آخِرِينَ
أَي تَرْجُونَ أَنْ أَكُونَ لَكُمْ تَرَسًا تَنْقُونَ بِهِ ، وَتَرْمُونِي بِأَسْهُمٍ غَيْرِكُمْ تَظْهَرُونَ أَنَّكُمْ أَوْدَاءٌ ، وَأَنْتُمْ تَحْتَ ذَلِكَ تَغْرُونَ بِي . وَمِثْلُهُ : تَصِيدُ الْعُقَابُ بِيَدِي .

١٨٤- وَأَقْصِدُ إِنْ رَمَيْتُ إِلَى سِوَاكُمْ بِنَبِيٍّ حَكِيمٍ (؟) يَحْكُمُونَا
أَي إِنْصَافٍ (؟) هَذَا أَنْ تَكُونُوا أَعْدَائِي وَأَرْمِي غَيْرَكُمْ .

١٨٥- فَلَيْسَ كَذَلِكَ أَمْرُكُمْ وَأَمْرِي فَيَأْيَاكُمْ وَمُذْيَبَةٌ بَاحِثِينَ
يَقُولُ : لَيْسَ كَالَّذِي ذَكَرْتَ لَكُمْ فِيهَا مَضَى . أَي رَأَيْتَ لَكُمْ صَدُودًا وَحَيْثُ يَقُولُ : تَجَاوَزْتُمْ أَي أَنَا لَسْتُ مِمَّنْ تُضْرَبُ لَهُ الْأَمْثَالُ ، لِأَنَّ الْقَرَابَةَ قَرِيبَةً ، وَالرَّحْمَ وَالشَّجَّةَ ، فَيَأْيَاكُمْ أَنْ تُشِيرُوا مِنِّي مَا فِيهِ حَتْفُكُمْ ، كَالْبَاحِثِ عَنِ مُذْيَبَةٍ ذُبِحَ بِهَا .

١٨٦- نَيْمَنْتُمْ بِمُؤْتَشِبِ حَمِيلٍ لَعَلَّكُمْ بِهِ تَتَشَاءُ مُونَا
نَيْمَنْتُمْ : مِنَ الْبَيْمَنِ ، وَالْمُؤْتَشِبُ : الْمَخْتَلِطُ ، يَقَالُ : أَشْبَهُ بِأُشْبِهِ
أَشْبَاً : خَلَطَهُ بِشَيْءٍ وَرَمَا بِهِ ، وَيَقَالُ لِلْمَخْلِيطِ مِنَ النَّاسِ : أَشَابَهُ .

أَرَادَ بِمُؤْتَشِبِ : خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ ، وَيَقَالُ : أَرَادَ حَكِيمُ بْنُ هَبِاشٍ الْكَلْبِيُّ الْأَعُورَ ، وَالْحَمِيلُ : الَّذِي لَا يُدْرَى مِنْ أَبَوَيْهِ ، يَحْمَلُ مِنَ الْأَرْضِ الشَّرْكَ .

أَي لَعَلَّكُمْ سَيَسْتَشْتَمُكُمْ . وَيُرْوَى : حَمِيلٌ : خَامِلٌ .

١٨٧- رَكِبْتُمْ صَعْبِي أَشْرًا وَحِينًا (؟) وَلَسْتُمْ لِلصَّعَابِ بِمُقَرَّرِينَ
أَي رَكِبْتُمْ أَمْرِي . أَشْرًا : بَطْرًا . وَالْمُقَرَّرُ : الْمَطْبُوقُ .

١٨٨- مَرَاكِبُ صَعْبَةٌ لَسْتُمْ عَلَيْهَا إِذَا غَبَّ الْحَلِيثُ بِمُنْقَضِينَا
أَيُّ إِذَا تُحَدَّثَ بِهَا لِاتْقَدِرُونَ عَلَى الْكَفِّ مِنْهُ ، لِأَنَّهَا سَارَتْ فِي
الْأَمْصَارِ .

وغب الحليث : صار إلى العاقبة . وغب كل شيء آخره .
يقول : الدوابُّ التي ركبتموها ليست بما ينقض بها كما ينقض
بالدواب ، والإنقاض : زجرٌ وصوت .
١٨٩- فَقَدْ لَفَحْتُمْ وَأَبَى أَيْبِنُكُمْ حَوَائِلَ ، فَانظُرُوا مَا تُنْتَجِبُونَا
لفحتم : يعني حُرُوبًا حَوَائِلَ : أَي عن حِيَال ، بعد طول السلم ، وهي
أشدُّ ما تكون ، الواحد من الحوائل حائل ، إذا لم تحمل .
ونتجت الناقة تُنتِجُ نِتَاجًا ، وَنَتَجْتُهُنَا أَنَا .

١٩٠- إِذَا قَبِضَ الْأَكْفُ مَذْمُورُكُمْ عَلَى الْيَتَنِ الَّذِي تَنْظُرُونَا
قبض : أَي رَدُّ يَدِهِ ، يعني المذمَّر ، وهو الذي يضرب يَدَهُ إِلَى الْوَلَدِ
فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، فيعرف ذكره من أنشاه .

يقول : أنتم تعرفون غيب أمركم ، بعد ما انقلب فصار يتنا ، واليتن
أن تخرج رجلًا المولود قبل رأسه .

١٩١- وَالْقَيْتِمُ إِلَى دِلَاءِ قَوْمٍ بِمَا رَفَعَتْ دِلَاؤُكُمْ عَمِينَنَا
القيتم : يريد أَلْقَيْتِمُ إِلَى كَلَامًا لَمْ تَدْرُوا مَا فِيهِ .
ضربه لهم مثلاً ، لِأَنَّ الدِّلَاءَ إِذَا خَرَجَتْ لَمْ يُدْرَ أَمَاءُ فِيهَا أَمُ أَفْعَى ،
أَم دَمِ أَمُ غَيْرِهِ .

لأنكم حين تعرضتم لي كقوم قدفوا دلاءهم في قليب يغرفون منها ،
وهم جهلاء بما يغرفون منها ، عمون بذلك ، كما قال الله تبارك وتعالى :
(بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ) . فيقول (؟) في هذا القول : زيد عمى القلب ،

فعمى القلب ذكره (؟) فلذلك نصب الياء ، وهذان الزيدان عميا القلوب وهؤلاء الزيدون عمى القلوب ، الميم مكسورة ، وذهبت الياء الثانية لالتقاء الساكنين ، وكان أصله (عميين القلوب) وهذا رجل عمى القلب ساكنة الياء ، ورجلان عميا القلوب ، ورجال عمو القلوب ، هذا فيمن قرأ: (وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمَى) فإنه اسمٌ تقديره صَدَى ، وهو صفة ، وهو فعلٌ منه تقول رجل عم ، ورجلان عميان ، ورجال عمون ، قال الله جلَّ وعزَّ: (وَكَانُوا قَوْمًا عَمِينَ) . وتقول : امرأة عمية ، وامرأتان عمياتان (؟) ونساء عميات ، ومن قرأ : (وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمَى) بفتح الميم فإنه مصدر من قولك : عمى يعمى عمى ، ولا يُثنى ولا يُجمع ، تقول : هو عليهم عمى ، وهما عمى ، وهُم عمى ، ولا يقال : هو عمى القلب ، لأن المصدر يوصف به الواحد والاثنين والجمع ، والمره والمرتين (؟) والنساء على لفظ واحده وهو كقولك هما سواء ، وهم وهي وهُنَّ سواء. وليس الوجه أن تقول : هذا زيد أمره عليه عمى ، وهؤلاء الزيدون أمورهم عليهم عمى : فانهم .

١٩٢- سَتَانِيكُمْ بِمُتْرَعَةٍ دِفَاعًا حِبَالِكُمُ الَّتِي لَا تُمْرِسُونَ أَي سَتَانِيكُمْ دَلَاؤَكُمْ الَّتِي أَلْقَيْتُمُوهَا إِلَيَّ وَهِيَ مُتْرَعَةٌ سُمًّا ذِعَافًا ، وَالذُّعَافُ : [السَّمُّ] وَالْإِمْرَأُ أَنْ يَقَعَ الْحَبْلُ بَيْنَ الْقَعْوِ وَالْبِكْرَةِ . وَيُقَالُ : أَمْرِسُهُ ، أَي أَخْرِجُهُ .

١٩٣- فَمَهْلًا اتْرُكُوا مِنْكُمْ عِيُونًا وَأَفْتِدَةً يَنْمَنَ إِذَا كَرِهْنَا مَهْلًا : أَي لَا تَفْعَلُوا وَكُفُّوا وَاقْلُوا الْعَافِيَةَ ، وَدَعُوا قُلُوبَكُمْ وَأَعْيُنَكُمْ تَنَامَ ، وَتَهَدَأُ .

يقول : إذا التبس بن (؟) يعني بالأفتدة والأعين فانتر كوهن ينمن ، وإنما هذا مثل .

يقول : اتركوا أعينكم تنام لا ترى ما تكره وما يسوءها ، لأن الرجل إذا سهر ألزم نفسه المشقة .

يقول : قروا على أمنكم قبل أن أقع بكم . قال رؤبة :

فأبها الموعد أن يريسا عرس ولم تمنع (٤) التغرينا
أي كفوا قبل أن أقع بكم بما ينقر النوم عنكم .

وكرين : يعني من الكرى .

١٩٤- فَإِنَّ الْحَرْبَ تَبَعَتْ رَاسِيَاتٍ وَتَقَطَّعُ مِنْ قَرِينَتِهِ الْقَرِينَا

يقول : الحرب إذا هاجت أثارت ما كان ساكنا ، وفرقت بين

القرينين في الحبل .

١٩٥- وَلَا يَصِبُ الْقَتِيلُ ثِيَابَ قَوْمٍ بِنَضْحِ دَمٍ فَتَنْظِفَ سَالِمِينَا

١٩٦- وَإِيَّاكُمْ وَدَاهِيَةَ تَأْدَى نُجْدُ بِهَا ، وَأَنْتُمْ تَلْعَبُونَا

أي احذروا داهية تأدى : أي شديدة منكرة .

وقوله : وإياكم : [أي] أن تقربوه .

وقوله : ولا تصب القتيل . ينهاهم ، يقول : إذا أصاب القتيل

إنسانا أنظفه . بقول : لا يكون السقيم غيركم ، وتتهمون أنتم . ضربه مثلا .

كأنه رجل سليم مر بقتيل فأصابه دم القتيل ونزده ، وقد علقتم دم

بتبرا من دم القتيل ازارها (؟) ، هذا مثل .

إذا قتل الرجل قبل : دم فلان في ثوب فلان ، أي هو قتله .

والنضح : هو ما ينضح ، والنضح أكثر من النضخ . يقول : نحن

جأدون وأنتم تلعبون .

وقوله : ينظف : أي يلطخهم وهم براء . ويقال : رجل نظف من ذلك

الشيء إذا كان قد فعله .

ويقال : قد أنظفني فلان ، وقد نطفَ البعير إذا وصلت دَبْرَتُهُ
إلى جَوْفِهِ فقتلته .

ويقال أيضًا : ما نطفت من هذا الأمر شيئًا ، أي ما تعلقت منه بشيء .
ونطف الأمر : فسد . والنطف : الريبة .

١٩٧- فَتَلَكَ غَيَابَةُ النَّقَمَاتِ أَمَسَتْ تَرَهِيئًا بِالْعُقَابِ لِمُجْرِمِينَا
الغيابة : سحابة رقيقة ، والغيابة : الجماعة من الطير ، يقال غيابة
وغيابة جميعًا في معنى واحد ، فضربه مثلاً . يقول : أَرَى مِنَ النَّقَمِ
أُمُورًا قَدْ اجْتَمَعَتْ عَلَيْكُمْ كَمَثَلِكِ .

وَتَرَهِيئًا : أي تتهيئًا وتنحرك لكي تصيبكم بعقاب . وقيل : ترهياً
تمثيل ، يقال : قد ترهيات لأخذه ، وهو أن تشب إليه .
والمجرمون : الذين أصابوا الذنوب .

١٩٨- صِهْ لِحُجُوبِ مَا قَلْتُمْ وَأَوْكَتْ أَكْفُكُمْ عَلَى مَا تَنْفُخُونَا
يقول : أنصتوا واسمعوا جوالي .

وأوكت : هذا مثل للعرب ، تقول : يَدَاكَ أَوْكَتَا وَفُوكَ نَفَخَ .
يقول : أنتم جلبتم على أنفسكم هذا فاستمعوا مني جواب ما قلتم ، ضرب
هذا مثلاً لرجل ركب البحر على زق ففرق ، ولم يستوثق من الشد .
والوكاء : الرباط ، وأوكت : شدت .

١٩٩- وَمَا أَعْنِي بِقَسْوِي أَسْفَلِيكُمْ وَلَكِنِّي أُرِيدُ بِهِ الدُّوِينَا
الدُّوِين : يريد الأشراف منهم ، مثل ذي يَزَن ، وذي كلاع ، وذي
جَدَن وذي نُوَاس .

٢٠٠- إِذَا كَانَتْ جُلُودُكُمْ لِسَامًا (؟) فَأَيُّ نِيَابٍ مَجْدٍ تَلْبَسُونَا

٢٠١- فَإِنْ أَدَعِ اللُّوَاتِي مِنْ أَنَاسٍ أَضَاعُوهُنَّ لَا أَدَعُ الدُّنِينَا

اللواتي : يعني النساء ، لا أدع الرجال . يقول : إن تركت نساءكم اللاتي لم تحموهن لم أدعكم أنتم .
 ٢٠٢- وَلَا أَرْمِي الْبُرْيَةَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ وَلَا أَقْفُوا الْحَوَاصِنَ إِنْ قُفِينَا
 أَقْفُوا : أقف : أي لا أفترني ، ولا أقصد إلى من لا ذنب له إلى
 فأنال منه .

إِنْ قُفِينَا : أي إن أفترني عليهن بالباطل والكذب .
 والحواصن : العفاف وذوات الأزواج .

٢٠٣- وَلَا أَسْكُوِي الصَّحَاحَ بِرَاتِعَاتٍ بَهْنِ الْعُرِّ ، قَبْلِي مَا كُونَنَا
 يقول : لا أشتم من لا ذنب له ومن لم يُجرم إلي ، والذي يشتمني
 قد شتمته قبلي أناس ورموه بالذي أرميه .

والعُرُّ : الجربُ . والعُرُّ : فرحة تخرج على مشفر البعير ، وكان أهل
 الجاهلية بجهلهم يعترضون بعيراً من الإبل الذي لم يقع عليه ذلك ،
 فَيُكْوَى مَشْفَرُهُ ، ويروي أنه يُذهب القروح من إبلهم .
 قال خالد : العرُّ داءٌ غير الجرب ، يَتَمَعَطُ لَهُ وَيَرُّ البعير .
 يقول : لا أَلْزِمُ الذَّنْبَ لِإِصْحَابِهِ . ومثله :

كَذِي الْعُرِّ ، يُكْوَى غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعٌ

٢٠٤- سَتَتَّخِمُونَ أَخَذَ مَا حَلَبْتُمْ لَبُونُ الْحَرْبِ إِنْ هَا لَبُونَا
 يقال لِلْبُنِّ إِذَا أَخَذَ فِيهِ طَعْمُ الحَمُوضَةِ ، والغروض أخذ ، وقيل :
 اللبن إذا أخذ طعم الزُّقِّ . ومعناه :

يقول : تتخمون بما تكلمتم وما جنيتم . وجعل للحرب لبوناً ،
 واللَّبُونُ من الإبل إذا وضعت ، وأتى على فصيلها ثلاثة أعوام ، إِذْ حَمَلَتْ
 أُمَّهُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ ، فإذا أرضعته من لبن غيره فهو ابن لبون .

٢٠٥- وَيَبْلُغُ شُخْبَهَا الْأَقْدَامَ مِنْكُمْ إِذَا أَرْتَانِ هَيْجَتَنَا إِرِينَا
 الشُّخْبُ : اللين ، والشخب : العَصْرُ بِيَدِكَ . يقول : تبلغ منك
 ما يبلغ الشخب إذا عَصَرَ فسأل حتى ينتهي إلى أطراف الشاة وأخفاف
 البعير . ويقال : لَا يَبْلُغَنَّ شُخْبَهَا قَدَ مِثْلِ أَيِّ لَاهِيْنٍ الْعَصْبِ (٩) قِيدَ (٩)
 من قَرْنِكَ إلى قدمك .

أَرْتَانِ : حُفْرَتَانِ تَوْقَدُ فِيهِمَا النَّارُ ، وَالإِرِينُ : جَمَاعَةُ الأَرَةِ ،
 يعني نار الحرب أي حَرْبَانِ هَيْجَتَنَا حَرْوِبًا .

٢٠٦- رُوَيْدٌ وَعِيدِكُمْ وَرُوَيْدٌ، إِنَّا وَإِيَّاكُمْ وَأَخِرُّ أَوْلِيَانَا
 رُوَيْدٌ : يقول : أَقْلُوا وَعِيدِكُمْ للعرب ، وَرُوَيْدٌ تنصب به بغير
 تنوين على تأويل : رُوَيْدًا . يقول : ارفقوا ببعض تهديدكم وأقصروا
 منه ، فَأَنَا مَنْ قَدْ عَرَفْتُمْ ، كَانَ آبَاؤُنَا لِآبَائِكُمْ أَعْدَاءً ، ومثله :

سَنَ العداوة آباءٌ لنا سلفوا فلن تسيّد و للآباء أبناء .

٢٠٧- نَحْتُمُ بِالْمَعَاوِلِ صَخْرَتَيْنَا فَابَسْتَا أَكْفُ النَّاحِيَتَيْنَا
 هذا مثل ضربه ، أراد بالصخرتين ربيعة ومُضَرَ ، أخذه من الأَعشى :
 فَلَسْتُ مُنْتَحِيًّا عَنْ نَحْتِ اثْلُنِنَا وَلَسْتُ ظَائِرَهَا مَا أَطَّتِ الإِبِلُ
 أي نَحْتُمُ فلم تجدوا عِيًّا ، فَابَسْتَا أَكْفُكُمْ ، يقال : أَبَسَ في
 المحائط ، أي أَثْرَفِيهِ .

٢٠٨- عَجَمْتُمْ عُوْدَنَا وَعَجَمْتُمُونَا فَانْبِيْنَا ضُرُوسَ الْعَاجِمِيْنَا
 عجمتم : مَصَّعْتُمْ ، ثم عُدْتُمْ فيه ثانية ، أردتم أن تغضوا منا فلم
 تجدوا فينا وقية .

فَانْبِيْنَا : أي رددناها كما ينسب الشيء عن الشيء ، ومنه قول المحكم

الصدق بنبي عنك [لا] الوعيد . يقول : إن صدقك ربما كان الذي يدفع
عنك المقال سوء .

٢٠٩- بَيَّ مَشِيئَةً فِي ابْنِي نِزَارٍ تَهْمِي أَكْفُ اللَّامِسِينَا
أَي بَيَّ إِرَادَةً تَطْلِبُنِي . وَالمُتَهَمُّ : المِلمَس .

وقال خالد : تهمني : تلمسني . والتهمم والتهمهم واحد ، وهو شبه
الفلي ، يقال : همميتني في رأسي ، أي أدخيتي يدك في رأسي .
يريد : بَيَّ مَشِيئَةً تَنَاوَلَنِي وَتَلْمَسُنِي .

٢١٠- وَلَوْ أَنِّي بَسَطْتُ قَبَضَتُ عَنْهُمْ وَعَنِّي أَيْدِي المُتَهَمِينَا
يعني لو أني مددت يدي أو بسطت لساني كففت عني وعن بني نزار
أَيْدِي المُتَهَمِين أَي المِلمَسِينَ الَّذِينَ يَطْلِبُونَهُمْ بِسُوءِ .

٢١١- أَي الجفنين وَبِحَكَ تَبْتَعِي ضَفَادِعُ فِي وَقَائِعَ يَنْتَحِينَا
الجفنان : بكر وتميم ، قال : هما الحلفان أسد وغطفان ، وجف
الشيء معظمه ، يقول : هم في عظم هذين الجفنين أي الحيين . تطلبني
كأنها الضفادع فالجف هو عظم الشيء وجميعه ، قال ابن عباس : لا نفل
حتى يقسم جفه .

أَي شَبَّهَهَا بِالضَفَادِعِ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الدَّوَابِّ ، لَهَا أَظْفَارٌ وَمَخَالِبٌ
فَتَنْتَصِرُ .

والوقائع : النَّقْرُ الَّتِي تَكُونُ فِي الصَّخُورِ ، يَسْتَنْقِعُ فِيهَا مَاءَ المَطَرِ .
وينتحين : بِصِحْنٍ ، وَعَنَى بِالضَفَادِعِ أَهْلَ اليَمَنِ ، جَعَلَهَا ضَفَادِعَ
فِي مَاءٍ قَلِيلٍ .

أَي تَبْعَنِي وَأَنَا فِي بَكْرٍ وَتَمِيمٍ ، لَا يُقَدَّرُ عَلَيَّ ، وَيُقَالُ لِابْنِي تَمِيمِ الجُفَيْنِ
لِكَثْرَتِهِمْ .

٢١٢- ضفادع جِيَّة حَسِبَتْ أَضَاءَ مُنْضِبَةً سَمَّعُهَا وَطِينًا
الجِيَّة : الماء يكون في الحفيرة ، يستنقع فيها . والأضأة : الغدير .
منضبة : ذهبت إلاقبلا .

يقول : حسبت هذه الضفادع أنَّ هذه الأضأة وهذا الطين يمنعها من
يريدها ، فضربه مثلاً لهؤلاء .

يقول : ظنوا أن الماء والطين حصن لهم مما يكرهون . والمعنى أنصارهم
ضعفاء ، والأضأة جمعها أضءات .

٢١٣- أَنْفَغِرُ أُمَّ نَعَائِبُ إِذْ أَتْنَا جِنَادِعُ مِنْ قَوَارِصٍ يَحْتَدِينَا
يقول : أَنَحَسْنُ أُمَّ نُسِيءُ ، ويروى :
أَتْنَا قَوَارِصٍ مِنْ كَلَامٍ يَحْتَدِينَا .
من قوله : يقرص أي يوجع .

وجنادع : أوائل كل شيء ، عن الأصمعي . قال رُوْبَةُ :
وَعَطَّعْتُ مِنْ نَقْضِهِ الْجِنَادِعَا (٩)

أي أوائلها ، أراد الثور وأوائل الكلاب . وعطعت : فَرَّتْ .
ويحتدينا : يسألنا ذلك ، يقال : احتديت الرجل ، أي سأله
الحذي وهو العطية .

قال غير الأصمعي : الجنادع التي ترتفع فوق رأس الماء إذا صببته ،
وما فوق الشراب كالحبيب . ويحتدينا .: يعتمدنا .

٢١٤- جِنَادِعَ مِنْ قَوَارِصٍ لَمْ تَجَاوِزْ أَغَانِيَّ الذُّبَابِ وَلَا الطَّنِينَا
أغاني : جمع أغنية مثل أدعية وأداعي ، يقول : هو كلام ضعيف
الحس ، كأنه صوت الذباب ، وهو أضعف الأصوات . والطنين :
طنين الذباب .

٢١٥- فَأَيَا مَا يَكُنْ بِكَ وَهَوَ مِنَّا بِأَيْدٍ مَا وَبَطْنٌ وَمَا يَدِينَا
يريد العقاب أو التجاوز ، أي الأمرين كَانَ يَكُنْ بِأَيْدٍ غَيْرِ ضَعِيفَةٍ
ولاساقطة .

وقوله : وَبَطْنٌ : الوابط الضعيف . ويقال يَدِي الرَّجُلُ مِنْ يَدِهِ ،
إذا خرج فيها قرح أو خراج .

وقوله [يدينا] : أي يشتكين أيديهن .

٢١٦- فَإِنْ نَعْفُو فَنَحْنُ لِذَلِكَ أَهْلٌ وَإِنْ نُرِيدِ الْعِقَابَ فَقَادِرِينَمَا (؟)
أي أما العفو والعقاب فنحن نتناوله بِأَيْدٍ مَا بَطْنٌ ، فنحن نقدر على
ما نختاره .

٢١٧- عَلَامٌ تَقُولُ هَمْدَانُ أَحَدِينَا وَكِنْدَةٌ بِالْقَوَارِصِ مُجَلِبِينَمَا
عَلَامٌ : في معنى استفهم ، أي أرادتنا همدان أو استعظمتنا . والقوارص
الأذى من الكلام الذي يوجع . والمُجَلِبُ : المُعِينُ ، من قولك : أَجَلَبَ الرَّجُلُ
صاحبه ، أي أعانه .

٢١٨- وَلَمْ نَقْدُدْ لَهُمْ أَدْمًا صِحَاحًا وَلَمْ نَهْتِكْ حِجَابَهُمْ الْكِنِينَا
أي علام يُعِينُ بعضهم بعضًا ، ولم نشتم لهم عرضًا ، ولا كشفنا حجابًا
عن سوء آتئهم ، ولم نذكر لهم عيبًا فَعَلَامٌ يَتَعَمَلُونِي بِذَلِكَ ؟
الكنين : السّير ، أي لم نهتك سترهم الشخين الذي كان يستر
معابهم .

يقول : حين عتبوا علينا أرادوا أن يستعتبونا .

٢١٩- فَلَاهُمْ عِنْدَ مَعْتَبَةٍ رَأُونَا كَأَهْلِ أَخُوَّةٍ مُسْتَعْتَبِينَمَا

٢٢٠- فَتَنْظُرُ كَيْفَ نُعْتَبِيَهُمْ وَإِلَّا فَادِمَةٌ عَلَى بِلَلٍ طُوبِينَا

أي نرجع لهم إلى ما يحبون ، أي إنا نبالغ في الرجوع إلى ما يُحِبُّونَ ،

وَالْأَفْهَمُ مِثْلَ الْأَدِيمِ يُطَوَّى عَلَى فُسَادِهِ . أَيِ اعْتَبْنَاهُمْ (؟) وَلَا فَإِنَّ قُلُوبَنَا
فَاسِدَةٌ لَهُمْ ، كَمَا يَطَوَّى الْأَدِيمُ عَلَى فُسَادِهِ .

يقول : لم يفعلوا فينتظروا أَنْعَبَهُمْ أم لا ، فَإِنْ أَعْتَبْنَاهُمْ وَلَا طَوَّوْنَا
عَلَى مَا فِينَا ، وَاعْتَفَرُوا ذَلِكَ ، كَمَا تَفْعَلُ الْإِخْوَةُ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ : طَوَّيْتُ الْأَدِيمَ
عَلَى بَلَلِهِ وَبَلَّتِهِ وَبِلَالَتِهِ .

٢٢١- وَمَا أَرْضَى بِغَيْرِ بَلَاءٍ سَوْءٍ لِهَمْدَانَ التَّرْبِصِ وَالْأَيْنِنَا
يقول : وَمَا أَرْضَى لَهُمْ إِلَّا الْأَيْنِينَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصِيبَهُمْ مَنَا أَمْرٌ يَسُوءُهُمْ
وَيَبْلُغُ مِنْهُمْ .

يقول : نَحْنُ أَعْدَاؤُهُمْ كَمَا يَزْعُمُونَ فَلَا نَرْضَى لَهُمْ إِلَّا الْبِلَاءَ .

وقال غيره : بِمَعْنَى يَرْضُونَ فَلَا يَظْهَرُونَ لِي الشَّيْءَ (؟) .

٢٢٢- وَمَا أَرْضَى لَهُمْ إِلَّا يَضُرُّوْا عَدُوَّهُمْ ، وَالْأَيُّ يَنْفَعُمُونَا
يقول : وَمَا أَرْضَى لَهُمْ إِلَّا يَضُرُّوْا مِنْ عَادَاهُمْ ، وَالْأَيُّ يَنْفَعُوا مِنْ صَادِقِهِمْ
فَلْيَضُرُّوْا وَلْيَنْفَعُوا ، إِنْ قَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ ،
بِهَذَا ٣٣ .

٢٢٣- أَصَادِقُ الْأَقْوَامِ مِنَّا وَمِنْهُمْ بِلَا نَسَبٍ إِلَى الظَّرْبَانِ نُؤْنَا
أَصَادِقُ : جَمْعُ صَدِيقٍ ، يَقُولُ : هُمْ هَكَذَا كَانُوا أَصْدِقَاءَنَا . فَالْتَمَّوْا
مِنَّا : جَمَعُوا مِنَّا وَمِنْهُمْ إِلَى الظَّرْبَانِ ، وَهُوَ دُوَيْبِيَّةٌ تَكُونُ فِي الْبَادِيَةِ ،
أَنْتَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ رَيْحًا ، فُوَيْقَ ابْنِ عَرَسٍ .

يقول : أَلْفَمَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِيعَةٍ كَمَا يُؤْلَفُ بَيْنَ الظَّرْبَانِ وَالتُّونِ ،
وَهُوَ السَّمَكُ ، وَهَذَا بَحْرِيٌّ وَذَلِكَ بَرِّيٌّ ، وَكَذَلِكَ نَحْنُ بَرِّيُّونَ وَالْيَمَنُ مِنَ
الْبَحْرِ ، فَكَيْفَ اجْتَمَعْتُمْ أَنْتُمْ وَهُمْ !؟

٢٢٤- وَأَزْدُ شُرُوعَةِ ابْتَدَرُوعُوا إِلَيْنَا بِجُمٍّ يَحْسِبُونَ هَا قُرُونَا

الأزْدُ : حيٌّ من اليمن . وشنوءة : موضع . وابدرعوا : تقدموا .
ويقال : ابدرع بين يدي .

وابدرعوا : وثبوا إلينا كأنها كباش لها قرون ، وليس هم كذلك ،
هم جُمٌ ، جمع أجْمٌ أي برجال جُمٌ ، يظنون أن عندهم غناء .
٢٢٥- فَمَا قَلْنَا لِبَارِقٍ قَدْ أَسَأْتُمْ وَلَا قَلْنَا لِبَارِقٍ : أَعْتَبُونَا
بارق : حيٌّ من اليمن . يقول : لم نقل لهم قد أسأتم ، فنكون في
حال من يستزيد : ولا قلنا لهم : أعتبونا ، فنسترجمهم بذلك .

أي كانوا أهون علينا من أن نقول لهم ذلك .
٢٢٦- وما إن بارق فأنال منهم بأعراب ولا بمهاجريننا
نقاهم من العرب ، ليسوا ممن يسكن البادية ، ولا ممن هاجر ، فأتوا
العراق فسكنتها .

٢٢٧- وَلَكِنْ بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ أَنَاسٍ بَلْبِلَى فِي الْغَنَاءِ مُوَكَّلِينَا
يقول : هم بين الأعراب والمهاجرين ، هم نبطٌ بليلي غني بالنبطية ،
والأنباط عند جذفهم تسمهم يقولون : ليلي أليلى !! وُكِّلُوا بِهِذَا .

٢٢٨- وَمَذْحِجٌ قَدَرَأَيْنَاهُمْ حَدِيثًا لِأَطْفَالِ الْأَذَاةِ (٤) مُرْشِحِينَا
يقال : إن مذحج بلغت ثلاثين ألفاً ، فأرادوا بني تميم والرَّبَابَ ،
ويبلغ الخبر بني تميم ، فاجتمعت بنو تميم والرَّبَابَ وَضَبَّةً ، فلقوهم بالكلاب
وهو الثاني ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتلت مذحجُ النعمانَ بنَ جَسَّاسِ
التيمي ، وأسرت بنو عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، عبدُ
يغوث بنَ صَلَاةٍ ، وشدوا لسانه ، فأنحلت النسعة عن لسانه فهجاهم
وقال :

أَقُولُ - وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنَسْعَةٍ أَمْعَشَرَ تَيْمٍ أَطْلَقُوا لِي لِسَانِيَا

ويذل لهم ألف بعير ، فلم يقبلوها ، وقتلوه عند بيت النعمان
ابن جساس .

٢٢٩- وَكَانُوا إِخْوَةً وَبَدَا وَكُنَّا لَهُمْ فِي الْوُدِّ غَيْرَ مُلُونِينَ
يقال : بنو فلان يدُّ على بني فلان ، أي كلمتهم واحدة .

ويقال : لَوْنُ الرَّجُلِ فِي الْوُدِّ ، إذا كان يُرِيه أَنَّهُ يَوَدُّهُ . وهو على غير
ذلك ، وَلَوْنُ الْبَشْرِ مِنْ ذَلِكَ .

٢٣٠- فَأَمْسُوا يُبْرِقُونَ بِعَارِضِهِمْ لَنَا فِي الْمُبْرِقِينَ ، وَيُرْعِدُونَا
الإبراق : الإبعاد ، يقال : أَيْرَقَ لِي وَأَرَعَدَا ، [فإذا جئت إلى] الذي
في السماء قلت : برقت ورعدت السماء ولا يقال غير ذلك .

٢٣١- وَكُنَّا عَنْ يَحَابِرَ لَوْ هَتَفْنَا بِدَعْوَى يَالَ خِنْدِفٍ مُكْتَفِينَ
يحابر : مُرَاد . يقول : كُنَّا مُكْتَفِينَ عَنْهُمْ لَوْ صَحْنَا : يَالَ خِنْدِفٍ ،
بنصب اللام - يقول : نكتني بهذه الدعوة - يال : بنصب اللام استئانة
وبالكسر تعجب .

٢٣٢- وَإِنْ رَفَعُوا مَنَاسِبَهُمْ رَفَعْنَا إِلَى مُضَرَ الَّتِي لَا يَجْهَلُونَا
التي : أخرجها مخرج القبيلة .

٢٣٣- وَإِنْ يَتَّبِعُنَا يَجِدُوا نِزَارًا بِأَحْسَنِ إِفَّةٍ مُتَنَزِّرِينَ
أي ان ادعوا إلى اليمن وجدوا نزارا متآلفين ، ومتنزرين : يدعون
إلى نزار .

٢٣٤- بِأَرْحَامِ شَوَابِكِ عَالِمَاتٍ إِلَى أَيِّ الْمَنَاسِبِ يَلْتَقِينَا
شوابك : مشتبكة ، مختلفة .

٢٣٥- لَهْنٌ مَنَارٌ عَلَنَانِ بْنِ أَدُّ بَيْنَهُ إِلَى ابْنِ آجَرَ يَهْتَلِينَنَا

يقول : لهن - الأعلام التي بين معدة وبينها من الآباء ، كل ان (؟) معروف كالمنار على الطرُق ، بهن : أي بالمنار إلى ابن آجر - ويقال : هاجر - وهي أم إسماعيل بن إبراهيم صلى الله عليهما .

٢٣٦- وَقَدْ مَلَأَتْ عَلَيْكَ الْأَرْضَ قَيْسٌ وَخِنْدِفٌ دَعْوَةَ الْمُتَمَضِّرِينَ

يعني قيس بن عيلان بن الياس بن مُضَر .

والمُتَمَضِّرُونَ : الذين ينتمون إلى مضر .

٢٣٧- تَجِدُ كَلْبًا هُنَاكَ وَآلَ تَهْدٍ شُهُودًا فِي الْحَفَائِظِ غَائِبِينَ

كلب : ابن وبرة بن تغلب بن حلوان .

والحفائظ : جمع الحفيظة . ويقال : ما يحافظ عليه من حسب .

والحفيظة : الغضب بعينه ، يقال : أحفظني فلان ، أي أغضبني .

يقول : هم شهود كأغياب ، لا عندهم غناء ولا نفع .

٢٣٨- وَإِنْ بَلَغَتْ رَبِيعَةٌ جَاءَ مِنْهَا أَسْوَدُ الْغَابِ حَوْلِي مُوقِفِينَ

أي انتهت الدعوة إلى ربيعة جاءني أنصار كأسود الغاب ، وهو

الأجمة ، ومثله الغريف والخيس والعريس وقوله : موفقين ، أي أوفقوا (؟)

سهامهم في الوتر ، وجاءوني على استعداد الآله (؟) .

٢٣٩- بِأَكْثَرِ مَنْ نَفِيرِ بَنِي أَرِيْشَ إِذَا جَمَعُوا الْهَنَاتِ إِلَى الْهَنِينَا

أريش : تصغير إراش ، وهي حي من بجيله بن أنمار بن إراش .

ومضر وربيعه نقول : بجيله من أنمار بن نزار .

والهنات إلى الهنين : أي مجهولين ليسوا بمعروفين ، من هاهنا
وهنا .

والنفير : الذين يتقدمون بين أيدي القوم ، فيأتونهم بأخبار
ما قدامهم .

وأريش : فخذ خالد بن عبد الله الذي ينتمي إليها .

ويقال : بجيلة بن إراش بن أنمار ، فمن نسبه إلى نزار قال . إراش
ابن أنمار .

وقيل : الهنات إلى الهنين : يقول : إذا جمعوا الرجال إلى النساء .
وبجيلة بنت صعّب بن سعد العشيرة ، وكانت امرأة إراش فغلبت
عليهم ، فقالوا بجيلة .

٢٤٠- إذا زحرت إليّ بحور قيسٍ بخيرِ عمومة المتعممينَا
زحرت : ارتفعت واشتدت وجاشت . ويقال للعرق إذا طال : قد
زخر . وقال :

جوادُ بقوتِ البطنِ والعرقِ زاخِرُ

٢٤١- يملء تهامة ويملء نجد كاسد الغاب حول الأندرينَا

تهامة : مكة . ونجد : مادون مكة ، بمنزلة ، العراق كله نجد (٢) .

والأندرين : قرية بالشام ، يقال لها أندر ، فجمعها بما حولها ، وهذا

في كلامهم كثير ، ومثله قول أبي ذؤيب :

فالعينُ بَعْدَهُمْ كَأَنَّ حِدَاقَهَا

ولها حَلَقَةٌ واحدة .

أي يملأون تهامة ونجدًا من كثرتهم .

٢٤٢- وَصَلْتُ بِخَنْدِفِ الْجُلِيِّ كَأَنِّي أَصُولُ بِجِنِّ عَبَقَرٍ مُغْضِبِينَا

الْجُلِيُّ : الكبري ، تَأْنِيثُ أَجَلٍ ، يعني العظيمة ، وليس للجلِّي واحد وَعَبَقَرٌ : وادٍ كثير الجن .

٢٤٣- وَجَاءَتْنِي رَيْبَعَةٌ فِي لُهَامٍ تَفْقِيءُ أَعْيُنَ الْمُتَشَاوِسِينَا
اللُهَامُ : الجيش الكثير ، يلتهم كل شيء .

وقوله : متشاوسين : أي يتشاورس في نظره ، إذا نظر شزراً .
يقول : لا يديعهم يلاؤن طرفههم منه . وَتَفْقِيءُ وَتَسْمَلُ بمعنى واحد ،
أي تُغْمِيهَا .

٢٤٤- وَطِطْتُ النَّاسَ مُقْتَدِرًا وَكَانُوا عَلَي رَغْمِ الْعِدَا لِي مُقْتَوِينَا

العدا : الأعداء . يقال : هؤلاء قوم عداة وعدا وأعداء ، والعاذي العدو .
وَمُقْتَوِينَ : خَدَمٌ ، من قولك : قَتَوْتُهُ أَقْتَوُهُ ، إذا خدمته .

وقال الأصمعي : لا أعرف مقتويننا .

٢٤٥- وَتَرَكِي حَضْرَمَوْتَ وَلَمْ تَدْعِنَا شَجًّا أَعْيَا أَكْفَ مُسَوِّغِينَا

حضرموت : من اليمن . معناه : إنما تركتهم لأنهم لا يدعونني شجًّا
لقوم يبغضوني ، يريدون قتلي ، فتركي إياها لذلك .

والشجا : العارض في الحلق ، والمُسَوِّغُ : الذي تدفعه بماء أو بغيره ،
يقال : ساغ رُبْقِي ، وساغ الشراب إذا وصل إلى جوفه .

يقول : حضرموت لم تدعني في حلق قومي ، وأنقذتني من القتل ،
حين هرب من السجن .

٢٤٦- وَلَيْكِنِّي تَرَكْتُهُمْ لِقَوْمٍ أَبَوْا لِإِخَائِهِمْ أَنْ يَتْرَكُونَا

أي عفوت عنهم لغيرهم ، لقوم علقمة ، الذي استتر عنده لما خرج
من الحبس . ومثله :

فَإِنْ يَنْجُ مِنْ أَخْشَرِمٍ فَبِغَيْرِهِ نَجَا خَشْرَمٌ تَحْتَ السُّيُوفِ الصَّوَارِمِ
٢٤٧- وَلَوْلَا آلُ عَلْقَمَةَ اجْتَدَعْنَا بَقَايَا مِنْ أَنْوْفِ مُصَلِّمِينَا

يقول : لولا علقمة لاجتدعت بقايا أنوف أهل حضرموت . واجدعنا

[قطمنا] .

وَالْمُصَلِّمُ : الْمُسْتَأْصَلُ .

٢٤٨- فَأَمَّا الْأَسَدُ أَسَدُ أَبِي سَعِيدٍ فَأَكْرَهُ أَنْ أَسْمِيَهَا الْمَرْوَنَا

أبو سعيد : المهلب بن أبي صفرة . والمَرْوَنُ : قرية بعمان ، أهلها
ملاحون ، وهي قريتهم التي [هم] فيها وأهل المهلب يكرهون أن ينسبوا
إليها ، فهزأ كميث منهم وقال : أكره ، وذكرهم في شعره .

٢٤٩- وَأَذْكُرُّ مِنْ أَوْاصِرِهِمُ إِلَيْنَا وَقُرْبَاهُمْ طَوَائِفَ مَائِسِينَا

أَوْاصِرُ : قرابات ، الواحدة آصِرَةٌ ، وطوائف : أي جوانب .

٢٥٠- هُمْ أَبْنَاءُ عِمْرَانَ بْنِ عَمْرٍو مُضِيعِي نِسْبَةٍ ، أَوْ حَافِظِينَا

عمران بن عمرو بن أسد بن خزيمَةَ .

يقول : منا من أبناء عمرو بن عمران ، لاعمران بن عمرو بن

ابن حارثة بن امرئ القيس ، الذي هو اليوم جدُّهم فيما يزعمون ،

يقول : هم أبناؤه ، ضيعوه أو حفظوه . كما قال :

وَاسْطَى نِسْبَةَ لِهَامٍ فَهَامِ

٢٥١- فَإِنْ يَصِلُوا قَرَابَتَنَا نَصِلُهُمْ وَإِنْ يَغْنُوا فَإِنَّا قَدْ غَنِينَا

٢٥٢- وَمَنْ عَجَبَ بِجَبَلِ لَعْمَرٍ أَمْ غَدَّتْكَ وَغَيْرَهَا تَتَامِينَا

يقول : من العجب أيضًا بجيلة ، وتنتمين إلى غيرنا .

وتأممين : تتخذين أمًا ، وهذا مثل ضربه لهم .

يقال : تأمت أمًا ، وتأبيت أبا ، وتأخيت أخًا ، وتخولتُ خالا ،
وتعممتُ عمًا ، وعبدتُ عبدًا ، وتعبدتُ مثله ، وتأيمتُ أمةً ، وعبدُ بينُ
العبودة ، ويقال : العبودية والتعبد ، وأمة بينة الأمة والتأمي ، قال :

العجاج :

يرضون بالتعبيد والتأمي .

ويقال : غلام بين الغلومة ، ويقال الغلامية ، وجارية بينة الجراء

والجري ، ويقال : الجراية ، ووصيف بين الابصاف ، وذكر بين الذكورة
وحرُّ بين الحرِّية ، والحرورية ، ورجل بين الرجولة ، ودعِي بين الدعوة .

٢٥٣- تَجَاوَزَتِ الْمَنَارَ بِلَا دَلِيلٍ وَلَا عِلْمٍ بِعَسْفٍ مُخْبِطِينَا
المنار : العلم في الطريق . ويعسف : أخذ على غير الاستقامة ، أي

خسلت منار الأرض .

٢٥٤- فَإِنَّكَ وَالتَّحْوُلَ عَنْ مَعْدُ كَهَيْلَةَ قَبَلِنَا وَالحَالِيَيْنَا

شاة كان اسمها هيلة ، لامرأة في الجاهلية ، من أساء إليها ، أو ضربها

دَرَّتْ له ، ومن أحسن إليها نطحته ، فضرها مثلاً لبجيلة .

يقول : اختارت على من كان يرفق بها إذا حلبها ويحسن إليها .

٢٥٥- تَخَطَّتْ خَيْرَهُمْ حَلْبًا وَمَسًّا إِلَى الْوَالِي الْمُغَادِرِهَا حَضُونًا

الحضون : التي أحد خلفيها أصغر من الآخر .

٢٥٦- كَمَنْزِ السُّوءِ تَنْطَحُ عَالِفِيهَا وَتَرَأْمُهَا عِصِي الدَّائِحِينَا

يقول لهم : أنتم كمنز السوء تنطح من يعلفها ولا تعطف عليه ،

وتعطف إذا أصابها العصي .

والدائح : الطارد ، السائق . يقال ذاح بذوح ذياحًا .

يقول : أنتم كذلك تركتمونا ونحن ولو باكم (٢) وكنا أرفق
ويعصركم (٢) .

وقال خالد : الذايح الذي يأخذ غنمه على طريقتين ، فيقوم هو على
طريق ينظر إليها حتى يجمعها والش : المسح (٢) .

٢٥٧- وأوَدُّ أَجْلَبَتَ وَأَظُنُّ أُوْدًا بِمَيْسَمٍ بَارِقٍ سَيَمْلُطُونَا
أود : من اليمن ، دعاهم الكميت فقال : أنتم منا .
وأجلبت : أعانت .

وقوله : وَأَظُنُّ أُوْدًا . يقول : لذا إني سَأَسِمُهُمْ بِالسِّمَةِ الَّتِي وَسَمْتُ
بِهَا بَارِقٌ ، وَالْعِلَاطُ : سِمَةٌ فِي الْعُنُقِ ، مِثْلُ عِلَاطِ الْحِجَامَةِ ، وَقِيلَ : مِثْلُ
مَا يَكُونُ فِي الْعُنُقِ مِثْلُ أَثَرِ الطُّوقِ .

وَالْمَيْسَمُ : الْحَدِيدَةُ الَّتِي يُوسَمُ بِهَا ، وَالْوَسْمُ : الْفَعْلُ .
٢٥٨- كَرَاكِيٌّ بَعَثَنَ إِلَىٰ أَعْمَىٰ لِيَهْدِيَهُنَّ إِذْ لَمْ يَهْتَدِيْنَا
هذا مثل ، شبههم بالكراكي ، بعثن بواحد منها وقد خيطت عينه
وهكذا يصنع بالطير ، يوضع لها واحد ، قد خيط عينه .

وقوله : لِيَهْدِيَهُنَّ ، أَي لِنَهْدِي بِهِ وَهُوَ بِن ، أَي كَيْفَ يُهْتَدَىٰ بِأَعْمَى
أَي أَنْتُمْ مِثْلُ ذَلِكَ ، سَأَقُومُ ذَلِكَ الْأَعْمَىٰ لِحَيْنِكُمْ .

فَأَمَّا أَبُو عَمْرٍو فَكَانَ يَقُولُ : الْأَعْمَىٰ سُرَاقَةُ الْبَارِقِي ، جَاءَ إِلَى
الْكَمِيْتِ فَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا أَنْتَ دِيْكُ آخَذُكَ فَأَذْبَحْكَ وَأَنْتِفِكَ وَأَشْوِيكَ .
قَالَ لَهُ الْكَمِيْتُ : وَلِمَ لَا أُمُّ لَكَ ؟

وقيل : أَرَادَ بِكَرَاكِيٍّ أَي لَاعْقُولٍ لَهُمْ ، هُمْ بِمَنْزِلَةِ الْبَهَائِمِ . قَالَ لَيْبَيْدٌ :
... .. فَإِنْسَا عَصَافِيرَ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسَخَّرِ

أَي بَهَائِمِ .

٢٥٩- لَشِنٍ أُوذَتْ مِنَ الشَّنَانِ أُوذٌ لَقَدْ لَقِيَتْ ثِقَافًا مُقَوِّمِينَ
يقول : إن أُوذًا عرجت علينا للبخض والعداوة ، فقد لامت رجالاً
بِقَوْمُونَهَا ويردونها إلى القصد .

وَالثَّقَافُ : خشبة فيها [ثقوب] تُقَوِّمُ بها الرِّمَاحُ .
٢٦٠- فَمَا أُوذٌ بِأَكْثَرَ مِنْ قَلِيلٍ وَمَا أُوذٌ بِأَطْيَبِ أَخْبِيثِنَا
يقول : هم قليل لا يزيدون على القليل شيئاً ، أي إنهم لا يكثرون ،
وما هم بأطيب أخبثين ، أي ليس لهم فضل على الخبيث ، هم مثله .

٢٦١- فَمَا ابْنُ الْكَيْسِ النَّعْرِيُّ فِيكُمْ وَمَا أَنْتُمْ هُنَاكَ بِدَغْفَلِينَا
أراد عبید بن مالك الذي من ولد الكيس ، والكيس زيد بن جارية
النَّعْرِيُّ ، والكيس لقب ، وكان يأتي باب النعمان ومن كان مثله من
الملوك ، فيسألونه عن العرب الذين يقدون إليهم عن أنسابهم فهذا
الكيس ، ثم بعده ابنه عبید ، نسبة ، وهو الذي عنى الكبيث ،
وكل من جاء به في شعره فإنما يعني عبیداً قال خالد بن كلثوم : بن زيد
الكيس أو ابن الكيس نسبة .

يقول : لستم بعلماء مثل هؤلاء .

٢٦٢- أَلْقَطَةُ هُدُودٍ وَجَنُودٍ أَنْثَى مُبْرِشِمَةَ ، أَلْحَمِي تَأْكُلُونَا ؟
يقول : لقطهم الهدد لقلهم ، وكانوا لا يعرفون ، يعني همدد
سليان بن داود عليه السلام .

وقوله : مُبْرِشِمَةَ : أي تنظر نظر البازي أو الصقر .

٢٦٣- كَلُوءٌ ، لَا يَكُنْ لَكُمْ هَنِئًا وَلَا حُلُوءًا فَيُمْسِكِن قَارِمِينَا
أي كلوا لحمي لا استمرأتموه ، يعني نيممة ، والقرم إلى اللحم :
الشهوة إليه . يقال : رجل قرم إلى اللحم ، وعيمان إلى اللبن ،

ويستعمل القَرَم في الضَّرَاب ، يقال : فحل مقروم ، أي شهوان ،
والقَرَم أيضاً : الشهوان إلى النظر إليك ، يقال : قَرِمْتُ إلى لقائك .

٢٦٤- سَلَبْنَا عَرْشَ رَبِّتِكُمْ قَبْتَنَا بِهَا وَسَطَ الْأَسِنَّةِ مَعْرِسِينَا

العرش : السرير ، وكل ما ارتفع فهو عرش ، والرِّبَّةُ الصَّاحِبَةُ ، ومنه
رَبُّ الدار ، وَرَبُّ الضَّيْعَةِ ، يعني ربا الملسكة (?) ويقال : أعرس الرجل
بأهله أي بنى بها ، يُعْرِسُ إِعْرَاسًا ، وهو مَعْرِسٌ . وقال امرؤ القيس :

وَبَاتَ إِلَى أَرْطَاةٍ قُحِفَ كَأَنَّهَا إِذَا لَثَقْتَهُ عَنِبَةٌ بَيْتَ مَعْرِسٍ

ويقال : عَرَسَ القوم : إذا نزلوا للتعريس سوية ثم يرتحلون .

٢٦٥- يَمْلِكُ تَرَكُضُ المُرَادَاءِ فِيهِ مِنَ الجِنِّ العُتَاةِ مُسَخَّرِينَ

المُرَادَاءِ : جمع أمرد . يقال شيطان مرید ومارد .

تركض : أي تخوض فيه .

والعُتَاةُ : جمع عات ومنه : « وَعَتَوَا عُنُوتًا » . والجنُّ العُتَاةُ : المردة

الخبيثاء .

٢٦٦- تَرَقَيْتُمْ إِلَى صُعودِ عِزٍّ سِيَّهْرِكُمْ ، وَقَلْتُمْ : قَدْ هُجِينَا

يقول : قد شغلنكم . يقال : قد بهره ، إذا غلبه . ويقال : بهر

القمرُ النجوم ، أي غلبَ ضَوْءُهَا ضَوْءَهُ ، ويقال ظنبيءٌ بهيرٌ ، أي مُبْتَهَرٌ .

وبهراء : قبيلة . و البهار بقلة : عَرَّارُ البَرِّ .

٢٦٧- فَلَوْ جَهَّزْتُ قَافِيَةَ شُرُودَا لَقَدْ دَخَلْتُ بِيُوتَ الأشْعَرِينَا

يعنى قافيةً أهجوكم فيها . شُرُودًا : قد شردت أو تشرد في البلاد ،

ومنه : بَعِيرٌ شَارِدٌ : نَفُورٌ .

وأراد بيوت الأشعرين : أبا موسى الأشعري ورهطه .

٢٦٨- وَفَتَحَتْ العِيَابَ عِيَابَ قَوْمٍ عَلَى نُطْفِ العَوَارِبِ مُسْرِجِينَا؟

أي فتحت الكتاب وأظهرت ما كتموه من العيب ، أي أنا عارف
بمعيبتكم وما تُجنُّهُ الأَوْعِيَّةُ ، ونُطِفُ الغوارب : فسادُ فيها مِنَ الدَّبْرِ ،
وضَغَطُ الحملِ . وغارِبُ كُلِّ شَيْءٍ أعلاه .

٢٦٩- وَلَا اتَّخَذَتْ إِلَى هَمْدَانَ نَهْجًا مِنْ اللَّقْمِ الْمَحَجَّةِ مُسْتَيِّنًا
اللَّقْمُ : الطريق الواضح ، ويقال : اللقم . والنهج البين .

٢٧٠- وَلَا اتَّلَجَتْ بِيُوتَ بَنِي سَعِيدٍ وَلَوْ قَالُوا : وَرَأَاكَ مُصْفِحِينَ
اتَّلَجَتْ : وَلَجَتْ ، أي دخلت . والوالج : الداخِل ، يعني القوافي .

٢٧١- وَمَا تَرَكَتْ لِدِي مُرَانَ بَيْتًا وَلَمْ تَذْعُرْ حَمَائِمَهَا السُّكُونًا
مران : موضع ، وتذعر : تفزع .

وقوله : حمائمه السكونا : أي طيرها الواقع .

٢٧٢- وَلَا اقْتَعَدَتْ غَوَارِبَ ذِي رُعَيْنٍ وَلَا ارْتَحَلَتْ ظُهُورَ الْأَشْعِينَا
اقتعدت : تتخذها قعودًا تقعد عليها . وغواربها أعاليها [الأشعينا] :
يعني رهط الأشعث بن قيس .

٢٧٤- وَلَا ارْتَحَلَتْ مِنَ الْغُرَيَانَ نَضْوًا غَنِيًّا عَنْ رَحَالَةِ مُنْطَفِينَا
الغريان : رجل من النخع ، صاحب شرط خالد بن عبد الله القسري .
ومنطف : مدبر من الدبر ، وهو العقر في ظهر البعير .

٢٧٥- يُكَلِّفُهُ الرَّسِيمَ عَلَى حَفَاهُ إِذَا مَالَفَ بِالْحَقَبِ الْوَضِيئَنَا
الرسيم : ضرب من السير سريع . والحقب والوضين : من حبال
الرجل ، أي يعلق فيلتي الحقب والوضين .

٢٧٦- يَبِينُ لِلْمَلُكِّفِ مَنْ أَبْوَهُ وَيَنْشُرُ عَنْ مَقَابِرِ مَيِّتِينَا
يعني القوافي ، اسرح في الهجاء بنسب كل إنسان فيعرف حينئذ أبو
اللفيف من الناس .

أي ينشر الدفين .

٢٧٧- وَجَدْتُ النَّاسَ غَيْرَ ابْنِي نَزَارٍ وَلَمْ أَرِ مِنْهُمْ ، شَرَطًا وَدُونًا

الشرط : رذال المال ورديئته ، يقول : لم أجدهم كذلك .

٢٧٨- وَإِنَّهُمْ لِأَخْوَتَنَا وَلَسَكُنْ أَنَامِلُ رَاحَةٍ لَا يَسْتَوِينَا

٢٧٩- هُمُ أَبْنَاءُ آدَمَ لَمْ أَجِدْهُمْ إِلَى نَسَبِ سِوَاهُ مُجْمَعِينَا

٢٨٠- أَنُوَامُ تَقُولُ (؟) بَنِي لُؤَيٍّ قَعِيدَ أَبِيكَ أُمَّ مَتْنَاوِمُونَا

قعيد أبيك : يقول : عمر أبيك . وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

قَعِيدَكُمَا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمَا لَهُ أَلَمْ تَسْمَعَا بِالْبَيْضَتَيْنِ الْمُنَادِيَا

٢٨١- عَنِ الرَّائِي الْكِنَانَةَ لَمْ يَرِدْهَا وَلَكِنْ كَادَ غَيْرَ مُكَابِدِينَا

الْكِنَانَةَ لِلْسَّهَامِ ، وَالْجَفِيرِ لِلنَّبِيلِ .

وكنانة وأسد أخوان . يقال : إن رجلاً جاء إليهما وهما ينزعان

جلدَ بعير قد عقراه ، وأراد أن يسألها شيئاً من لحم الجزور فلم يعرف

اسميها ، فعمس إلى رجل قاعد حجرة ، فقال له : ما اسم هذين ؟ فقال :

محقة النبيل ، وهصار الأقران ، فعلم السائل أنه الغرّ عليه ، فقال :

يا كنانة ويا أسد أطمعاني من لحم جزوركما .

٢٨٢- رِمَارَبُ الْكِنَانَةَ يَبْتَغِيهَا (؟) كَكَلْبِ السُّوءِ هَرَّ لِمَوْلِينَا

يقال : ولغ الكلب في الإناء يَلْغُ وَلَغًا ، إذا شرب منه ، وأولغهُ

صاحبه .

٢٨٣- كَبَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ وَجَدْتُ بَيْتًا يُمَدُّ [عَلَى] قُضَاعَةَ أَجْمَعِينَا

نسب قضاة إلى قلة العدد ، كما قال الطرمح بن حكيم الطائي في

هجوني تميم :

وَلَوْ أَنَّ أُمَّ الْعَنْكَبُوتِ بَنَتْ لَهُمْ مَظَلَّتْهَا يَوْمَ اللَّقَاءِ أَظَلَّتْ

تمت القصيدة الكينية ، بحمد الله ومنه .

(الحواشي)

- (٥) : د :
- (٦) : د : ألا يكونا
- (٧) : د : أراد ... من خلق نزار ضللا لا يمتنع .
- (٨) : د : أن تزايل ويمترينا .
- (١٢) : د :
- (١٣) : د : عن كتاب « المعاني الكبير » ... بالملحفات .
- (١٦) : د : يؤلف ويعصب أن نبرئى آيينا .
- عن « المعاني الكبير » .
- (٢٥) : د : لم تؤذ .
- (٣٠) : د : عن « اللسان » : الألى : التكل .
- (٤٦) : د : وفى « التاج » نعلمها هى وأورد البيت .
- (٤٧) : د : وننكؤهم
- (٤٨) : د :
- (٥٠) : د : .. لغثيان .
- (٥٦) : د :
- (٦٤) : د : ونحن غداة يقال أتى لدقمة واقفينا .
- (٦٠) : د : الكين : جمع الكيا وهو كساحة البيت من الزبالة . ويقال : الكيا بالكسر . والقصر أيضا . وفى « اللسان » : الكيا : جمع كبة وهى البئر ، وقال ، هى المزبلة .
- (٧٠) : د : يمول الفلك .
- (٧٦) : د :
- (٧٧) : د :
- (٧٨) : د :
- (٧٩) : د :
- (٧٩) : د : أبو عثمان - لعله الجاحظ -
- (٨٠) : د : مطهرة .
- (٧٢) : د : فى الأصل : (أبو سنان بن محكن) وانظر « الإصابة » .
- (٧٤) : د : « التهذيب » .
- (٨١) : د :

(٨٣) : د : بشر شتونة مزينينا .

(٨٨) بيت عدى بن زيد - كما في « ديوانه » - ٤٧ - :

يوم يقولون يا البربر واليكسوم لا يفلتن هوادها

ولعل الصواب : لا يفلتن هوائبها .

(٩٠) : د : فصح ونهجر .

(٩١) : د : ويأرم

(٩٢) : د : والقينة الحساء ، قبله : إن الشواء والنسيل والزعف .

وبعده : وصفوة القدر وتمجيل الكتف . للطاعتين الحليل والحليل قطف .

ونسبه الصغاني للقيط بن زرارة - كما في « تاج المروس » .

(٩٤) كلمة (قتيلين) غير ممجدة الحروف في جملة (خاطر الرجل بين قتيلين) .

(٩٧) :

المعروف في بيت عبيد بن الأبرص :

يا عيين بكى ما بنى أسد ، فهم أهل الندامة

خدان : في كتاب « الإيناس » لابن الوزير المغربي : خدان في أسد بن خزيمية خدان -

بين عامر بن هر بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد . ثم نقل عن البلا ذري :

بنو خدان هم الذين أكبوا على حجر بن الحارث ليمتموه من القتل . وانظر « تاج المروس »

خدان -

(١٠٠) بيت عمرو بن معدى كرب - على ما في « التاج » :

فزينك في شريطك أم بكر وسابقة وذو النونين زهني

(١٠٣) : د :

(١٠٧) : د : الاساة مولينا .

(١٠٨) : د : عن « معجم ما استعجم » .

(١١١) : د : عن « المعاني الكبير » .

البائت : مهملة الحرف ، ولعل الصواب : الرائب ، مع أن البائت لها وجه .

(١١٤) : د :

(١١٧) : د : عن « معجم ما استعجم » وقال : عدى ملك من ملوك اليمن غزا بني أسد .

والقرات موضع بالشام وقد صفحه بعض العلماء فقال : -

(وخضنا بالقرات) وإنما أوهمه وأوقمه في هذا التصحيف قوله (خضنا) ولو تدبر البيهت

الكتابي لسم من التصحيف .

وأورد بعده : بجوراً تفرق السبحاء فيها

- (١١٨) : د : مجوراً تفرق .
- (١٢٠) : د :
- (١٣٤) : د :
- (١٤٦) في كتب اللغة : نقر بلسانه نقرأ : ضرب به حنكه ليسكن الفرس .
- (١٤٣) وفي « التاج » : أنشيد الجوهري للكعبية : - وكان ضرب الحج .
- (١٤٥) : د : عن « المعاني الكبير » .
- (١٤٦) : د : عن « المعاني الكبير » .
- (١٥٧) : د : كجاييلنا .
- وهو في التاج حتى يلينا .
- (١٥٩) : د : عن « المعاني الكبير » .
- (١٦٠) : د : حصينا .
- (١٦٦) : د : وهم دون السراة .
- (١٦٩) : د : وهو في « التاج » .
- (١٧١) : د :
- (١٧٦) : د :
- (١٧٩) : د : عمصينا .
- (١٨١) : د : عن « مجمع الأمثال » .
- (١٨٧) : د : وحينما في الأصل بدون إجماع .
- (١٩٢) : د : زعاقا .
- (١٩٦) : د : فإياكم .. نأدى .
- (١٩٧) : د : التفتات عن « مختصر تهذيب الألفاظ » .
- (١٩٩) : د : بذلك أسفليكم .
- (٢٠١) : د : أصافرهن لا أدع الذينا - عن « فصل المقال » .
- (٢٠٣) : د :
- (٢٠٣) كذى المر - من قصيدة للنايفة الذبياني . وصدرة :
- وجعلني ذنب امرئ وتركت .
- (٢٠٣) في كتب اللغة أخذ اللهن أخوذة - حمض - بالحاء المعجمة - لا بالحاء المهملة كما هذ .
- (٢٠٥) : د : سخطها : عن « مجمع الأمثال » : لأبلغن منك سخن القدمين ، أى لآتين إليك أمراً يبلغ حره قديمك .
- (٢١٢) : د : « التهذيب » حياة : الحياة الحفرة العظيمة يجتمع فيها المطر .
- (٢١٥) : د : فأيا ما يكن يك هنا منا بأيدي ما ويطن وما يدينا . وهو في « التاج » - وربط -
- بدي - بلغظ : فأى ما يمكن ولا يدينا .

- (٢١٦) : د :
- (٢١٧) : د : احتدينا .
- (٢٢٣) : من شرح هذا البيت يبدأ الموجود في النسخة الثانية من القصيدة وينتهي بشرح البيت (٢٣٤) .
- (٢٤٠) والعرق زاخر - صدره : صناع ياشفاها حصان بشكرها .
- (٢٤١) فالعين بعدهم . من قصيدة أبي ذؤيب : أمن الخون وريها تتوجع ؟ .
- (٢٤٧) : د :
- (٢٤٨) : د : فأما الأزد أزد أبي سعيد .
- (٢٥٠) : د : هم أولاد .
- (٢٥٢) : د : ومن عجب على لمر أم تأيينا .
- عن « الأغاني » ثم أعاده صحيحا عن الصحاح وأشار إلى ذلك (رقم ٦٤٥ و ٦٧٥) .
- (٢٥٣) : د : تجاوزت المياه تصف مخطينا .
- (٢٥٤) : د : من معد وهو في « التاج » .
- (٢٥٥) : د : حلبا وتسنأ إلى الوالى المغادر هارينا .
- (٢٥٦) : د : وقرمها عصى .
- (٢٦١) : د : ولا انتم هناك .
- (٢٦٢) : د : وهو في « تاج العروس » - برشم - .
- (٢٦٣) - كذا في الأصيل (يعنى ربا الملكة) ولعل الصواب : (يعنى بالحبة الملكة ملكة سبأ) .
- (٢٦٧) : د : ولو جهزت . قال يهجو العريان بن الهيثم وكان على شرط الحجاج « المعاني الكبير » وأورد بعده (٢٧٤) .
- (٢٦٨) في الأصل تنرجينا .
- (٢٧٠) كذا ومفهوم البيت أن الشاعر لم يقصد مران الموضع وإنما أراد الحى المعنى المعروف في حمير المسمى إلى ذى مران أحد أذواء حمير . كما لم يرد بالسكون الحمام الواقع ، وإنما أراد القبيلة المعروفة .
- (٢٧٤) : د : عن « المعاني الكبير » .
- (٢٧٦) : د :
- (٢٧٧) : د :
- (٢٨٢) يبتئها : مهلة الحروف .
- (٢٨٣) : د :

بِلَادُ الْأَحْسَاءِ

في هذا الجزء حديث عن رحلتي الأول إلى الأحساء ، ذكرني بمقال كنت كتبه عن هذه البلاد بعد عودتي منها ، وفيه تمييز عما بقى في نفسي من انطباعات عن تلك البلاد .

وقد نشرته مجلة « المنهل » في جزء (رجب - شعبان) سنة ١٣٦٠ في سنتها الخامسة (١) لى منذ ما يقرب من أربعين سنة .

وقد رأيت المناسبة تدعو إلى إعادة نشره ، عل ما هو عليه ، مع تغير أحوال تلك البلاد ومع احتواء المقال على معلومات اتضح لى فيها بعد أنها بحاجة إلى تصحيح أو إكمال ، حين شرعت بتأليف القسم المتعلق بهذه البلاد من « المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية » الذى آتمته ، وأمل أن أقدم للقراء بعض أبحاثه .
وها هو نص ذلك المقال :

في الأحساء أمكنة هي من أجل مصايف البلاد العربية لتوفر الأمور التي يتوقف صلاح المصيف فيها ، ولا ريب أن من أهم تلك الأمور ملائمة المناخ ، ووفرة المياه وصلاحها وجمال المناظر وبهجتها ، فأما المناخ فإن القسم الغربى من تلك البلاد ، الذي يقع في وسطه أكبر مدينة هناك مرتفع عن سطح البحر ، وواقع في أرض منبسطة ليس فيها جبال ، ولا آكام صخرية - مما يسبب اشتداد الحر . أو منع تجمج الهواء والبلدان الواقعة في هذا القسم تكون على مرتفع من الأرض ، وتتكون من طبقتين غالباً وذلك مما يزيد في صلاحيتها للسكنى وقت الصيف ، ودرجة الحرارة وإن كانت في بعض المدن تقارب درجة حرارة مكة -

(١) نشرته « المنهل » بعنوان : (معلومات لم تنشر عن مصيف : - الأحساء : مناخها ، بعض قراها ، مياهها ، ووفرة فواكهها ، جمال مناظرها ، صيفها ، تاريخها قايماً وحديثاً) من ص ٢ إلى ص ١٩ .

لا تتجاوز الأربعين بالميزان المثوي ، في كثير من القرى . وليس من المبالغة القول بأن بعض الأماكن في حمارة القيظ لا يحس الإنسان فيها للحر أكثر مما يحس به حينما يكون في بلاد معتدلة المناخ من بلدان المملكة

وإنني لأذكر أنني ذهبت مرة إلى جبل قريب من قرية (القارة) فيه مغارات أصلية فشعرت وشعر من معي - بما يشعر به كل زائر لذلك الجبل - من البرد ورقة الهواء بما يذكر ببرد الشتاء ، وما يضايق الإنسان في تلك البلاد اشتداد السموم ولكنه لا يحس به إلا من تعرض له ، أما من استعمل الوسائل التي تحول بينه وبين السموم - وما أكثرها في تلك البلاد الكثيرة المياه والبساتين ! - فإنه لا يشعر بشدته ، ومن الوسائل : الاصطيف في إحدى القرى المحفوفة بالبساتين من كل جهاتها ، وأغلب القرى الواقعة في الجهة الغربية هناك والصالحة للاصطيف فيها هذه الصفة - ومنها ما يمتاز بجمال الموقع وارتفاعه ورقة هوائه وعذوبة مائه .

ومن تلك القرى قرية (المنيرة) الواقعة في الجنوب الشرقي من (المفوف) بمسافة لا تزيد عن ساعتين مشياً على الأقدام ، وقرية (الفضول) الواقعة في الجنوب الغربي من (المنيرة) والقريبة منها وقرية (الشهارين) القريبة من (المفوف) وغيرها من القرى الكثيرة .

ومن الظواهر الغربية أنك قد تحس في النهار بشيء من الحرارة وسرعان ما يزول ذلك إذا أقبل الليل ، حيث يكون الهواء رقيقاً ، والجو صافياً ، والنسيم منعشاً .

ولقد اصطفيت في الطائف وفي ينبع النخل وفي ظبا وفي القاهرة وفي كثير من بلدان نجد ، وكلها أمكنة صالحة للاصطيف ، ولكني

وجدت الصيف في الأحساء لا يقل طيباً وحسناً عن أجمل تلك البلدان صيفاً ، - إن لم يفق الكثير منها - ولعل هذا الحكم مني من قبيل قول الشاعر: (وعين الرضا) ولكنني أقول ذلك عن اطمئنان وثقة بما أقول مؤكداً أن الليل هناك أجمل بكثير من البلدان التي ذكرتها .

أما المياه وغازاتها ، وعدوبتها وصفاتها فتلك البلاد تمتاز عن بقية بلدان المملكة بها ، وما سمي آباؤنا ذلك القسم من بلادهم باسم (البحرين) و (الأحساء) إلا لكثرة مياهه . فعينه الثرة ، وأنهاره الجارية وآباره الغزيرة ، أقوى مؤيد لصحة تلك التسمية ، ولعل بعض القراء يفهم من كلمة الأنهار شيئاً من المبالغة في التعبير ، والحقيقة أن في الأحساء أنهاراً ، منها نهر عظيم - عظيمة نسبية - يسمى (الخلود) لِخَدِهِ^(١) الأرض بِقُوَّة جريانه ، يزيد عرض مجراه عن عشرين متراً ، ويجري ماؤه جرياناً قوياً ، بحيث لا يستطيع الإنسان حيناً يقف قريباً من منبعه أن يملك توازنه ، وذلك النهر يسير متجهاً نحو الجنوب الشرقي ويسقي نخيلاً كثيرة ، وهو واقع في الجهة الشرقية عن الهفوف ، ولا يبعد عنه أكثر من مسيرة نصف ساعة سيراً على القدم وبقربه في الجهة الشمالية منه يقع نهر آخر يسمى (الحقل) منبعه يشبه البحيرة ، ومجراه عريض ، وماؤه غزير ، ويتفرع منه - كالخلود - عدة جداول تسقي كثيراً من النخيل ومزارع الأرز والبساتين ، وماء هذين النهرين يزيد عن حاجة الأهالي فيتركون الزائد تبتلعه الأرض ، ويكون مستنقعات في أراض قفراء ، ومن الأنهار نهر الجوهريّة ويقع مجاوراً لموقع بلدة الأحساء القديمة

(١) في كتب اللغة ومعاجم الأمكنة اسمه (خدد) يضم الحاء وياء نداء .

بين « المبرز » وقرية « البَطَّالِيَّة » ويقع في الشمال الشرقى من الهفوف مسيرة ساعة ، ويتفرع من ذلك النهر عند منبعه جداول غزيرة المياه وكثير من المزارع والنخيل القريبة من « البطالية » تسقى من ذلك النهر ومن عين قريبة تسمى « القُحَيَّبَات » وغيرها .

ومنها نهر يسمى « أم سبعة » يقع في الجهة الشمالية من الهفوف مسافة ساعة ونصف ، يتفرع منه سابقاً سبعة جداول وخمسة في الوقت الحاضر ، ومنظر ذلك النهر من أجمل المناظر وأبهاها رونقاً تحف به النخيل من الجهة الشرقية وجهته الغربية عبارة عن كثيب من الرمل فيه نخيلات قليلة ، وشدة نبع الماء من ذلك النهر مما يسترعي النظر ويدهش اللب بقوته .

وبقرب « المبرز » نهر أشبه ببحيرة تزيد مساحتها عن أربعين متراً مربعاً يسمى « الحارة » ولعله هو ما يسمى في كتب التاريخ بنهر « محلم » فكثير من صفات نهر « محلم » التي ذكرها المؤرخون تنطبق عليه ومنه يستعذب أهل المبرز الماء لقربه وعذوبة مائه مع وجود آبار كثيرة عذبة في داخل البلدة ، وماء ذلك النهر حار وقت نبعه وسرعان ما يبرد .

وفي (الأحساء) عيون كثيرة كبيرة وصغيرة والماء في كثير من المواضع التي لا عيون فيها قريب من سطح الأرض .

ولقد ذهبت أنا والأستاذ عبد الرحيم الأهدل إلى قرية « جوائى » القريبة من المبرز ذات الشهرة العظيمة في تاريخ الإسلام ، والتي لم يبق منها سوى أطلالها ، وما أشد دهشتي حيناً رأيت تلك الأرض الرملية نَدِيَّةَ التربة ، وبمجرد حفرها بيدي جَمَّ ماء عذب من تلك الحفرة التي لا تزيد عن شبر ، وكثير من العيون في تلك البلاد تنبع بقوة لا تحتاج

معها إلى حفر السواقي ، لأنها ترتفع في الغالب حتى تساوي سطح الأرض أو ترتفع عليه ، ومن المدرك بالبداهة أن كثرة المياه مما يلطاف الجو ، وأن ذلك من أهم الأمور التي يحب توافرها في المصايف ، وما أجمل منظر الأنهار الجارية بين بساتين قد كسيت أرضها بحلل سنسبة ، من النبات المظلل بظلال وارف من أشجار النخيل والفواكه المثمرة ، والنباتات الكثيرة الأزهار ، العطرة الروائح المختلفة الألوان !!

أما الفواكه - وهي مما لا غناء للمصطاف عنه - فمتوفرة وقيمتها زهيدة ، من أكثرها الرطب وهو مما امتازت به الاحساء على كثير من البلدان وفي الأمثال العربية « كمستبضع التمر إلى هجر » وهو رخيص جداً ، يوضع في أفصاص من الجريد يبدو ما في داخلها من خلال الجريد ويباع القفص الذي فيه ما يزيد على أربع أقات تقريباً بأقل من عشرة قروش إذا كان رطباً فاخراً .

ويوجد في الأحساء أنواع كثيرة للنخيل ومنها : الأشهل والطيبار والمجناز والغر والحليلي والخنيزي والخلاص والرزيزي والشيشي والشيشي والحامي والخصاب والتناجيب والبرحي والصبوة والجبجباب والحلاوي والهلالي وأم رُحيم ومرزيان البحرين ، ومرزيان الحساء ، والكاسبي والوصيلي والزاملبي والحريزي ، ونبتة سيف والمجمي والسكيملي والبُرَيْكي والزنبور والبريم واللؤلؤي والعذابي وغير ذلك من الأنواع الكثيرة وموسم الرطب في الاحساء يمتد أكثر من نصف السنة .

وفيها من الفواكه العنب والرمان والتين والخوخ وغير ذلك من الفواكه والخضروات التي لا يوجد مثلها كثرة في كثير من بلدان المملكة

وبما يوجد هناك بكثرة الأترج والأهالي بكثرون من غرسه ولكنهم يبيعونه بثمان بخس ، ومن المعلوم أن كثرة المياه وصلاح التربة مما يساعد على وجود الثمار ووفرتها والاحساء هي هذه الصفة .

ومتى هياً الله لها رجالاً جمعوا بين العلم والعمل ، وانصفوا بالجد والنشاط والقوة واهتموا بوسائل اصلاحها في جميع مرافقها الحيوية - أصبحت أخصب بقعة في البلاد العربية ، وأوفرها إنتاجاً وأكثرها خيرات ، وقامت بمد حاجات الأقطار المجاورة لها كما كانت في عهدها الماضي المجيد .

تاريخ الأحساء :

ولعل القارىء بعد أن جلوت عليه صورة لها في هذا العهد اشتاق إلى معرفة شيء من تاريخها ، الذي يعد حلقة مفقودة من تاريخ بلاد العرب في كتب التاريخ التي بين أيدينا - وذلك ما يدفعني إلى إيراد نبذة ملخصة في هذا الموضوع .

العهد الجاهلي :

إن ما نعبر عنه في هذا البحث بالأحساء هو ما يعبر عنه متقدمو المؤرخين باسم (البحرين) ويقسمونه إلى قسمين .

(الخط) ويعنون به القسم الساحلي وما قرب منه ومن مدنه (القطيف) و (العُقَيْر) و (عَيْنَيْن) التي ينسب إليها الشاعر خُلَيْد .

و (هجر) ويقصدون به القسم الغربي من ذلك الإقليم ومن مدنه (الأحساء) التي صارت في عهد القرامطة العاصمة ، والتاريخ الجاهلي لهذه البلاد مجهول لا يستطيع الباحث أن يهتدي إلى شيء من معالنه إلا بعض

حوادث يذكرها بعض المؤرخين عَرَضاً وهي مشوية بما يبعدها عن الحقيقة. أو يجعلها غير صالحة للاستنتاج والتعليل .

وقد كان من الأمم التي سكنت هذه البلاد على قول المؤرخين (العمالقة) و (الجرامقة) و (الحثيون) و (الفينيقيون) وقد عثر للأخريين على آثار في الساحلي كما أن بعض المواضع لا يزال محتفظاً بالإسم الفينيقي « كالجبل »^(١) و « القيصرية » و « الكوت » وبعض الباحثين يرجح كون أصل الكلمة الأخيرة كلدانياً والبعض يقول بأنها من آثار البرتغاليين الذين استولوا على ساحل الخليج الفارسي في القرن العاشر الهجري ، والرأى الأخير مرجوح .

وذكر المؤرخون أن الفرس استولوا على تلك البلاد . وأول من استولى عليها من ملوكهم أزدشير الذي أسر ملكها (سنطوق) وقتله نغريقاً في البحر ، وقد امتدت سلطة الفرس عليها حتى جاء الإسلام فأسلم من مرازبتهم اسيخب وأسد آباد كما أسلم الملك العربي من قبلهم لتلك البلاد المنذر بن ساوى « ومن آثار الفرس التي ذكرها المؤرخون بسا ازدجرد مدينة « الخط » بناها أحد ملوكهم و « المشقر » الحصن ذو الشهرة العظيمة في كتب التاريخ الذي بناه كسرى أنوشروان .

أول عهد الإسلام :

بعث النبي صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي - قبل فتح مكة - إلى المنذر بن ساوى بكتاب يدعو فيه إلى الإسلام ، وبكتاب إلى كسرى

(١) بدليل أن الفينيقيين لما ارتحلوا إلى سواحل البحر الأبيض أسسوا مدينة سموها بالجبل .

ليرسله المنذر إليه . فأسلم المنذر وأسلم من تحت ولايته من العرب ومن لم يسلم من المجوس وغيرهم رضخ لأحكام الإسلام ، ودفع الجزية والخراج ، وأسلم بعض مرازية الفرس ، وأرسل المنذر كتاب كسرى إليه ، وبعث وقدأ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم : من عبد القيس وقد بقي العلاء أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم لدى المنذر . وفي سنة تسع من الهجرة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أبان بن سعيد بن العاص الأموي مكان العلاء ، وكان أول خراج جبي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأكثره خراج تلك البلاد الذي بعث به العلاء مع أبي عبيدة وهو مائة ألف درهم وكان لتلك البلاد في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة فقدمهم بإقطاعها الأنصار وروي الترمذي بسند غريب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله تعالى أوحى إلى أي هؤلاء الثلاث نزلت فهي دار هجرتك المدينة أو البحرين أو قنسرين » .

وفي السنة التي توفي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي المنذر ابن ساوى فارتد كثير من عرب تلك البلاد إلا بني عبد القيس ، فترد قام فيهم الجارود بن المملى ، أحد وفدهم مقاماً محموداً حتى أقنعهم بالحجة ، فبقوا على اسلامهم في قريتهم (جوثي) التي لها ذكر مجيد في التاريخ الإسلامي ، والتي لا تزال أطلالها باقية إلى الان وأطلال مسجدها الذي هو ثالث مسجد عبد الله فيه حين ارتدت العرب ، وثاني مسجد أقيمت فيه أول جمعة قال شاعرهم :

والمسجد الثالث الشرفي كان لنا والمنبران وفصل القول في الخطب
أيام لا مسجد للناس نعرفه إلا بطيبة ، والمحجوج ذي المحجب

وقد حوصروا في تلك القرية ، وأصابهم بسبب الحصار أذى شديد ،
حتى جاءتهم الامدادات من أبي بكر رضي الله عنه بقيادة العلاء بن الحضرمي
ومعه قيس بن عاصم سيد أهل الوبر ، فقاتلوا المرتدين ، وطهروا تلك البقاع
منهم وأصبح العلم الإسلامي يرفرف على تلك البقاع وبني العلاء أميراً فيها
ولما تقدمت الجيوش الإسلامية لفتح بلاد الفرس بعد وفاة أبي بكر ،
اغتم العلاء القرصة فأرسل جيوشاً عبرت الخليج إلى ما والاها من سواحل
الفرس وبلدانهم ، واستولت على قسم عظيم منها ، وصارت من أعظم
الأسباب التي ساعدت الجيوش الإسلامية التي يقودها سعد بن أبي وقاص
على التقدم والتوغل في الأراضي الفارسية ، ولكن أمير المؤمنين عمر
رضي الله عنه حينما بلغه أن الجيش الذي أرسله العلاء قد هُزم في إحدى
الوقائع ، غضب عليه وولى مكانه أبا هريرة رضي الله عنه فمكث سنة
ثم قدم على عمر بالخراج فقال له عمر ما جئت به ؟ قال خمسمائة
ألف درهم . فاستكثره عمر وقال أتدري ما تقول ؟ قال نعم . مائة
ألف خمس مرات فصعد عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها
الناس قد جاءنا مال كثير ، فإن شئتم كلنا لكم كَيْلاً ، وإن شئتم
عددنا لكم عدداً . فقام إليه رجل وقال يا أمير المؤمنين : رأيت الأعاجم
يدنون ديواناً فَدُونُ لنا ديواناً . فوضع عمر الديوان وهو أول من وضعه
في الإسلام . ثم إن عمر رضي الله عنه في تلك السنة أخذ نصف أموال
عماله ومنهم أبو هريرة . ثم بعد أن تبين له نزاهة أبي هريرة أراد
إرجاعه في عماله ولكنه أبي فولى على الأحساء قدامة بن مظعون القرشي
وبعد سنة عزله وولى مكانه عثمان بن أبي العاص الثقفي ولعثمان أثر حميد

في الفتح الإسلامي فقد سير الجيوش العظيمة إلى ما يليه من أرض الفرس حتى اكتسح كثيراً منها .

قال ياقوت : وأما فتح فارس فكان بدؤه أن العلاء بن الحضرمي عامل أبي بكر ثم عامل عمر على البحرين وجه عرفجة ابن هرثة البارقي في البحر فعبّر إلى أرض فارس ففتح جزيرة مما يلي فارس فأنكر عمر ذلك لأنه لم يستأذنه وقال غررت بالمسلمين . وأمره أن يلاحق بسعد بن أبي وقاص لأنه كان واجداً على سعد . فأراد قمعه بتوجيهه إليه ، فسار نحوه فلما بلغ ذا قار مات العلاء ، وولى عمر عثمان بن أبي العاص على البحرين وعمان فوجه أخاه الحكم في البحر إلى فارس بجيش عظيم ففتح جزيرة (لافيت) وهي (بركوان) ثم سار إلى (توج) ففتحها . وكتب عمر إلى عثمان بن أبي العاص أن يعبر إلى فارس بنفسه فاستخلف أخاه المغيرة ، وعبر عثمان على أرض فارس فتتابعت إليه الجيوش حتى فتحت - انتهى .

وقد ذكر بعض المؤرخين أن الربيع بن زياد الحارثي قد تولى الأحساء في عهد عمر رضي الله عنه ^(١) وليس لتلك البلاد في عهد عثمان وعلي رضي الله عنهما من أثر مهم في التواريخ التي بين أيدينا .

عهد بني أمية :

وأما في عهد بني أمية فقد أصبحت الأحساء مسرحاً للفتن والقتال ، وملجأ لكثير من الخوارج على تلك الدولة ، لعدم الاهتمام بها ، ومن ذلك العهد ^(٢) أصبحت مرتبطة في الإدارة ببلاد اليمامة ، ومن ولايتها

(١) وذكروا أن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه تولى خراجها .

(٢) بل من عهد عمر (العرب) .

في عهد معاوية : الأحوص ابن عبد بن أمية وزياد بن أبيه ومن مشاهير الخوارج الذين استولوا عليها نجدة بن عامر الحنفي فقد استولى عليها سنة ٦٧ هـ وقطع الميرة عن الحجاز حتى كتب إليه عبد الله بن عباس قائلاً : إن ثامة بن أثال لما أسلم منع الميرة عن مكة وأهلها يومئذ مشركون ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بتركها ، ، وإنك قطعت عنا الميرة ونحن مسلمون . فتركها ، وبقيت تحت ولايته إلى سنة ٧٢ هـ فبها قتله أبو فلديك الخارجي وتولى مكانه حتى قتل سنة ٧٣ هـ على يد عمر بن عبید الله ابن معمر ، الذي وجهه عبد الملك بن مروان وحاصر أصحابه في (المشقر) وقتل منهم ستة آلاف بعد نزولهم على حكمه وأسر ثمانمائة .

ومن الخوارج الذين استولوا عليها في العهد الأموي مسعود بن أبي زينب العبدي فقد استولى من سنة ٨٦ هـ إلى سنة ١٠٥ هـ حيث سار إليه سفیان بن عمرو العقيلي ببني حنيفة فقتله وفي ذلك يقول الفرزدق :

ولولا سيرف من حنيفة جردت ببرقان أضحى كاهل الدين أزورا
 ترکنن لمسعود وزینب أخته رداءً وجلباباً من الموت أحمرأ

عهد بني العباس :

حالة هذه البلاد في أول عهد بني العباس ، لم تتغير عما هي عليه . ومن أمرائها من قبل العباسيين - داود بن علي عم السفاح ثم زياد ابن عبد الله ابن عبد المدان خال السفاح أيضاً وسليمان بن علي بن عبد الله ابن عباس من سنة ١٣٣ إلى سنة ١٣٩ وقثم بن العباس بن عبد الله سنة ١٤٣ وتميم بن سعيد بن دعلج في عهد المنصور وعمار بن حمزة الكاتب في آخر عهده وأول عهد المهدي وسويد القائد الخراساني في عهد المهدي

وعبدالله بن مصعب في عهده أيضاً وفي عهد الهادي - وهو قبل المهدي -
محمد بن سليمان إلى سنة ١٦٣ وصالح بن داود سنة ١٦٤ هـ ومن بعده
النعمان مولى المهدي وفي سنة ٢٣١ تولاها من قبل الخليفة العباسي اسحاق
ابن ابراهيم بن أبي حَمِيْضَة من أهل أضاخ القرية المعروفة بنجد .

وقد استولى عليها في هذا العهد ثوار كثيرون منهم سليمان بن حكيم
العبيدي الثائر سنة ١٥١ وقتل في هذه السنة على يد عقبة ابن مسلم الذي
أغزاه المنصور .

وقد أصبحت تلك البلاد آونة تحت حكم العباسيين الإسمي ،
وأخرى تحت حكم ثوار ليسوا من أهلها . وثالثة تحت حكم أناس من
أهلها حتى سنة ٢٤٩ حينما اتخذها صاحب الزنج مقراً لثورته ثم سار
منها إلى البصرة . ثم استقل بحكمها أناس من أهلها يقال لهم آل العياش
وآخرون يقال لهم آل العريان ، ثم وقع فيهم ضعف واختلاف وشقاق
أدى إلى زوال حكمهم على يد القرامطة .

عهد القرامطة :

وفي سنة ٢٨٧ هـ استولى على الاحساء أبو سعيد الحسن بن بهرام
الجنابي القرمطي انتزعها من أمير من أهلها سماه ابن جرير (ابن بانو)
وقد بقيت تحت حكم خلفائه إلى سنة ٤٧٠ هـ ومن مشاهير القرامطة
أبو طاهر صاحب الفعلة النكراء الشنعاء التي أذارت سخط العالم الإسلامي
وقد تولى الحكم بعد قتل أبيه الحسن سنة ٣٠١ هـ وبقي إلى سنة ٣٣٢ هـ
ثم من بعده إخوانه الثلاثة الفضل ، وسعيد ، ويوسف وكانوا على حالة
غريبة من الوثام والتآلف حتى توفي آخرهم يوسف سنة ٣٦٦ هـ فقام

بالأمر ستة من قومه وقد اتفقوا على تدبير أمرهم أيضاً ومن قواد القرامطة الحسين بن أحمد بن بهرام المتوفي سنة ٣٦٦ هـ فهو من مشاهير القواد العظام والشعراء المجيدين له وقائع مع العبيديين في الشام وعلى حدود مصر ومن شعره :-

إني امرؤ ليس من شأني ولا أربي
ولا اعتكاف على خمرٍ ومخمرة
ولا أبيت بطينَ البطن من شبع
ولا تسامت بي الدنيا إلى طمع
طبسلُ يرُّ ولا نايٌّ ولا عُرْد
وذات دَلِّ لها غنجٌ وتفنيد
ولي رَفِيقٌ خَمِيصُ البطن مجهود
يوماً ولا غرني فيها المواعيد
وقوله :-

ياساكنَ البَلَدِ المُنِيفِ تَعَزُّزاً
لا عَزْ إلا للعزيرِ بنفسه
وبِقُبَّةِ بيضاء قد ضَرَبْتَ على
قرم إذا اشْتَدَّ الوَغَا أَرْدَى العَدَى
لم يَجْمَعِ الشُّرْفَ التَّلِيدَ لِنَفْسِهِ
يقلامه وحُصونه وكهوفه
وبخيارٍ وبرجله وسيوفه
شرف الخلالِ بجاره وضيوفه
وشفى النفوسَ بضربه وزخوفه
حتى أفادَ تليده بطريفه

ومن آثار القرامطة (قصر قَرِمَط) الواقع بين البطالية والمبرز ومسجد كبير قريب من آثار ذلك القصر بني في آخر عهدهم . ومن غريب أمر هذا المسجد أنه لا محراب له .

عهد العمونيين :

وفي سنة ٤٧٠ هـ وثب الأمير عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد العموني العبقي على القرامطة بعد أن ضعفت دولتهم وتضعض أمرهم فاستولى على تلك البلاد وبقيت تحت حكم بنيهِ إلى أول القرن السابع ،

ولم تسلم في عهدهم من ثورات داخلية وإغارات خارجية من الأعراب
الذين حولها .

ومن مشاهير ولاية العيونيين الفضل بن عبد الله بن علي وابناه أبو الحسن
أحمد . وأبو سنان محمد الذي يقول في رثائه أحد شعراء عصره : -

عزيز أن أعاتب فيك دهرًا قليلٌ همهُ بِمَعْنَفِيهِ !
وأن أجد الملوك ولست منهم وأن أطأ التراب وأنت فيه

وفي أول القرن السابع ضعفت تلك الدولة ، وتسلبت الأعراب على
البلاد بالنهب والسلب وعجزت الولاية عن المدافعة حتى قال شاعر الأخصاء في
ذلك العصر علي بن مقرب العيوني . يخاطب أبناء عمه الولاية :

قد بان عجزكم وكلكم يدُ عنهم فسكف وأنتم حزبان ؟
لا تحسبوا شرَّ العدو تكفُّهُ عنكم مصانعة وحمل جفان !
والله ما كفَّ المعادي عنكم من دون سلب معاجر النسوان
أخذوا الحماة من الكتيب إلى محا ديث العيون إلى نقا حلوان ^(١) !
و(المخط) (من صفواة) حازوها فما أبقوا بها شبراً إلى الظهران !
ومنازل العظماء منكم أصبحت دوراً لهم تُكْرَى بلا أثمان !
والله لو نهرٌ جَرَى بدمائكم وشربته غيظاً لما أرواني !
فاجلُّوا فما أنتم بأولٍ من جلا واختسار أوطاننا على أوطان !
إني لأخشى أن تُسَلِّقوا مثلما لاقى بنو (العياش) و (العريان) !
كرهوا الجلاء عن الديار فأهلِكوا بالسيف عن عَرْضِ وبالنييران

(١) علق الأستاذ خالد الفرج - رحمه الله - على هذا بما نصه : (المحدث بالدال موضع
لا يزال معروفًا بهذا الاسم بقرب بلد العيون .

وكان زوال العيونيين قريباً من ذلك العهد . وفي الاحساء قرية تدعى
البطالية منسوبة إلى بطلال بن مالك من أوائلهم وأخرى تدعى « الفضول »
منسوبة إلى آل فضل^(١) منهم .

وعاصمة ملكهم « الاحساء القديمة » التي « البطالية » في القديم محلة
من محلاتها وهم ينسبون إلى « العيون » قرية كثيرة العيون في شمال الاحساء
وباقية إلى الآن .

حكومات أخرى :

ليس لدي من المصادر ما أعتمد عليه في تعيين الحكومة التي ورثت
العيونيين . وكل ما أعلم هو أنه في الفترة التي بين زوال حكمهم وبين
استيلاء دولة الأجاودة امتدت سلطنة دولة (أتابكية فارس السلغرية) في
عهد الاتابك أبي بكر بن سعد بن زنكي في سنة ٦٢٠ هـ تقريباً ثم زالت
سلطنتهم بوفاته سنة ٦٣٣ هـ وحكم تلك البلاد رجل يقال له عصفور
ابن عامر من بني عقيل . ومن بعده بنوه على مانقل ابن خلدون والقلقشندي
عن أبي سعيد المؤرخ أنه قال : سألت أهل البحرين حين لقيتهم بالمدينة
سنة ٦٥١ هـ فقالوا الملك لعصفور وبنيه .

وفي أول القرن الثامن كان ملك الاحساء سعيد بن مغامس بن سليمان
ابن رميثة وفي سنة ٧٠٥ هـ انتزع الملك منه رجل يدعى جروان من
بني مالك بن عامر ثم لما مات خلفه ابنه ناصر ثم ابن ابنه ابراهيم بن ناصر
وكان موجوداً سنة ٧٢٠ هـ .

ومن المرجح أن بلاد الاحساء في ذلك العهد مقسمة إلى أقسام عديدة كل

(١) هم غير آل فضل اللامين الذين من طي .

قسم له حاكم مستقل وأن القسم الساحلي لا يسلم من إغارة خارجية ،
واستيلاء بعض ملوك العجم المجاورين له .

دولة آل أجود :

قام الأمير سيف بن زامل بن جبر النجدي العقيلي فانتزع الملك من
بقية الجراونة ، ولما مات خلفه في الملك أخوه أجود ، وقد اتسع ملكه حتى
استولى على كثير من سواحل الخليج الفارسي ، وأخذ الجزية من بعض
ملوك العجم المجاورين له وبعد عهده من أزهر اليهود التي مرت على تلك
البلاد ، فقد سار بالعدل ونشر العلم وعامل الأهالي معاملة أبقت له من
حميد الذكر ما لا يزال أهل الأحساء يلهجون به إلى هذا الوقت ، وقد كان
بينه وبين السيد السهمودي - مؤرخ المدينة - صداقة وطيدة ، واتصال
وثيق .

وفي عهده انتقل الشيخ نصر الله من آل جعفر الطيار المدينيين إلى
الأحساء ليتولى إمامة مسجد أسسه أحد الجبريين وقد استوطن هناك وخلف
عائلة تتكون من أفراد كثيرين ، مرموقين من أهل تلك البلاد بعين
الاحترام والإجلال لانصاف كثير منهم بالعلم والفضل والأدب .

ولا يبعد أن يكون انتقال عائلة آل عبد القادر في ذلك العهد أيضاً .
وهي عائلة من أعرق العائلات في العلم والفضل والأدب تنتسب إلى الخزرج
من الانصار ومن تلك العائلة علماء أفاضل نشروا العلم وتولوا بعض الأعمال
وقاموا بها خير قيام ومنهم شعراء مجيدون كالشيخ عبد الله بن علي آل عبد
القادر بلبل الأحساء الغريد الذي توفي في العقد الخامس من هذا القرن
في أوله وله ديوان شعر

ثم بعد وفاة الملك أجود وقع الشقاق بين بنيه وكان آخرهم مقرن ابن أجود وفي عهده زالت دولتهم في سنة ٩٦٢ هـ .

ومن آثارهم في الأحساء مسجد الجبري وهو من أعمر المساجد وأوسعها في داخل الكوت في الهضوف . وقصر قريب من المنيزة إحدى قرى الأحساء لم يبق منه سوى أطلاله يسمى (قصر أجود) كما أنه في أول القرن الثاني عشر استولى على جزيرة (أوال) أحد بقايا الجبريين المذكورين وفي المبرز عائلة تدعى عائلة الجبر^(١) .

وبعض المؤرخين يذكر أن زوال دولة الأجود تأخر إلى سنة ٩٩٩ هـ والبعض يقول أن زوالهم في سنة ٩٢٦ هـ والرأي الأخير لا يبعد عن الحقيقة وفي آخر هذا القرن استولى « البرتغاليون » على بعض السواحل .

عهد الترك الأول :

استولت حكومة الترك على الأحساء في القرن العاشر ومن أول ولايتهم في عهد السلطان سليمان محمد باشا الملقب بفروخ (أو فاتح) ومن آثاره مسجد في الكوت يسمى مسجد الدبس لوقوعه جوار سوق التمارين سابقاً وتاريخ عمارة ذلك المسجد مكتوب في حجر بهذا النص « بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله أجمعين . قد بني وعمر هذا المقام الشريف في زمان السلطان العادل سليمان خان . حضرة الحاكم الاجل قدوة الحكام كهف الأنام صاحب السيف والقلم والي بلد الحسا محمد باشا أيد الله ظلاله في سنة ١٥٩٦٢ هـ وبنى مدرسة ومسجداً أمام باب الكوت اندرسا .

(١) ذكر الشيخ محمد بن عبدالقادر أن آل جبر هولا . من عربنة ، فلا صلة لهم بأهل جبر أمراء الحساء - عل هذا (العرب) .

ثم تولى من بعده علي بن أحمد باشا البريكجي ومن آثاره مسجد بداخل
قصر ابراهيم في الكوت وهو مسجد فخم رائع العمارة عمره سنة ٩٧٤ هـ
وبني بجواره مدرسة وعمر رباطا ومدرسة خارج القصر وقد أوفد الوالي
المذكور ابنه محمداً إلى السلطان العثماني فزور الابن علي أبيه رسالة ضمنها
طلب تعيينه في الولاية ، فأجيب طلبه ولما رجع اتفق مع رؤساء الجنود
وهم بحبس أبيه وأخويه يحيي وأبي بكر ولكنه عدل عن ذلك لما علم
بانهم لا ينازعونه ، ورحلهم إلى المدينة المنورة .

ومن آثار محمد هذا المسجد الذي يؤدي أمير البلاد في هذا العصر
الصلوات فيه عمره سنة ١٠٤٦ هـ .

وقد بقيت الأحساء تحت حكم الترك إلى سنة ١٠٨٠ هـ وكانت في
هذا العهد عرضة لنهب الأعراب وسلبهم ، لضعف الولاة عن الدفاع عنها
ولا سيما القرى التي في الأطراف .

وفي هذا العهد قدم جده عائلة (آل ملا) من عيتاب البلدة المعروفة
مع أحد الولاة إماماً وواعظاً فاستقر في الأحساء وأعقب أبناءاً تناسلوا
وكثروا ، وصار من بينهم من امتاز بالعلم والأدب في تلك النواحي ، وأهل
الأحساء يجلونهم إجلالاً عظيماً ولا سيما عميد العائلة في هذا العصر الشيخ
أبو بكر .

ومن أفراد تلك العائلة الآن الشيخ أحمد بن الشيخ عبد اللطيف الملا
وهو عالم فاضل والاستاذ عبد الله بن عبد الرحمن الملا أحد خريجي (جامعة
ديوبند الإسلامية) وهو شاب مهذب حر التفكير ، متصف بكثير من
الأخلاق الفاضلة .

عهد آل حميد :

في سنة ١٠٨٠ هـ استولى آل حميد وهم عرب من بني خالد على الاحساء وبقية تحت سيطرتهم إلى سنة ١٢٠٧ هـ وقد أصبحت البلاد في عهدهم بحالة اضطراب وفلاقل ، لعدم حسن سياسة أمرائهم ولبعض الشعراء في تاريخ استيلائهم :

رأيت البدو آل حميد لما تَوَلَّوْا أَحَدْتُوْا فِي الْخَطِّ ظُلْمًا
أَي تَارِيخَهُمْ لَمَّا تَوَلَّوْا - وَقَانَا اللَّهُ شَرْمَ - (طغى الما)

وذيلها بعضهم قاتلا :

وتاريخ الزوال أتي طباقا (وغار) إذ انتهى الأجل المسمى

عهد آل سعود والمصريين وابن عريعر والأتراك :

انتزع آل سعود ملك تلك البلاد من آل حميد في عهد الامام عبد العزيز بن محمد ثم ابنه سعود بن عبد العزيز وبقية تحت حكمه وحكم ابنه عبد الله إلى سنة ١٢٣٣ هـ فانتزعها المصريون وبقية دولة بينهم وبين ابن عريعر الخالدي وبين الأتراك وآل سعود ، وقد انتعشت حالتها في عهد آل سعود ثم تقهقرت بعدهم .

ومن آثار آل سعود فيها قصر ابراهيم المنسوب إلى أحد أمرائهم ابراهيم ابن عفيصان ^(١) ويقال إن من آثارهم أيضاً قصر خزام ، وقصر صاهود .

وفي سنة ١٢٥٠ هـ استعاد ملكها الإمام فيصل بن تركي (جد جلالة

(١) علق الشيخ خالد الفرج على هذا : هذا غلط نشأ من أن ابراهيم بن عفيصان سكن هذا القصر ، أما الذي أنشأه فهو باني قصر الكوث . (العرب) .

الملك عبد العزيز) وبقيت تحت حكمه وحكم ابنه الإمام عبد الله إلى سنة ١٢٨٨ هـ وقد أمر الإمام فيصل بتشيد جامع فيها يعد من أفخم المساجد هناك وهو أوسع مسجد في تلك الجهات ، وأكبر جامع تصلى فيه الجمع .

وفي شهر شوال من السنة المذكورة استولى عليها الاتراك ، وبقيت تحت حكمهم إلى سنة ١٣٣١ هـ .

ومن أشهر ولاتها الذين يزيدون على سبعة عشر^(١) والياً الفريق محمد نافذ باشا الذي نقل إلى بغداد فمكة ومدحة باشا وقد أناب عنه أحمد عزة العمري ، وهو شاعر فاضل له شعر مطبوع ومن ولاتها السيد طالب النقيب العراقي المعروف ، والحكومة التركية في عهدهما الأخير في الاحساء آثار عمرانية منها (المدرسة الرشدية)^(٢) . والمستشفى الذي هو مقر المالية الآن وقصر الإمارة ويسميه أهل الاحساء (السراج) محرفاً عن كلمة السراي - أي الصرح - وكثير من المباني .

عهد جلالة الملك عبد العزيز . :

في سنة ١٣٣١ هـ استولى جلالة الملك عبد العزيز آل سعود المعظم على الاحساء وعين ابن عمه سمو الأمير عبد الله بن جلوي أميراً عليها ومكث

(١) وهم محمد نافذ باشا ثم صالح باشا إلى سنة ١٢٩٢ هـ ثم مدحة باشا إلى سنة ١٢٩٥ هـ ثم عاكف باشا إلى سنة ١٣١٠ هـ ثم سعيد باشا أبو النبات إلى سنة ١٣١٤ هـ ثم سعيد باشا الموصل للمرة الثانية إلى سنة ١٣١٦ هـ ثم ابراهيم باشا الشامي إلى سنة ١٣١٨ هـ ثم موسى كاظم باشا إلى سنة ١٣٢٠ هـ ثم السيد طالب النقيب إلى سنة ١٣٢٢ هـ ثم السيد طالب محمد نجيب أبو سهيل إلى سنة ١٣٢٥ هـ ثم رشيد باشا أقل من عام ثم محمود ماهر باشا إلى سنة ١٣٢٧ هـ ثم السيد محمد إلى سنة ١٣٢٧ هـ ثم السيد محمد عارف إلى سنة ١٣٢٩ هـ ثم علي باشا سعاد إلى سنة ١٣٣٠ هـ ثم أحمد نديم باشا إلى سنة ١٣٣١ هـ ثم قوضت .

(٢) من تعلم في هذه المدرسة الصحن العراقي الفسحة نوري ثابت صاحب جريدة « سبوز » وقد توفي سنة ١٣٥٤ تقريباً (العرب) .

إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى سنة ١٣٥٤ هـ مخلفاً عدة أبناء منهم
الأمراء سعود وعبد المحسن ومنصور ومحمد وسعد وعبد العزيز وتركي
وأكبرهم فهد الذي قتل في حياة والده وله من الأبناء الأمراء خالد ومحمد
وفیصل .

وبعد وفاة الأمير عبد الله تولى الإمارة ابنه سعود الأمير الحالي .

وقد تقدمت الاحصاء في هذا العهد في شتى المسائل الحيوية تقديماً
محسوساً ومن مشاريع الإصلاح التي جرى تنفيذها تأسيس عدة دوائر
لأجراء الأعمال على طريقة تكفل صلاحها وموافقتها لما فيه النفع العام
كالبلدية والمالية والمعارف وغيرها كما هي الحال في الحجاز ، وقد اهتمت
حكومة جلالة الملك بإصلاح البلاد في مختلف مرافقها الحيوية اهتماماً
تدريجياً ، وفق النواميس التي جعل الله جميع الأمور لانتجاوزها وإن
الأمل في الله وطيد بان يجعل عهد هذا الملك الميمون عهداً زاهراً .

مكة المكرمة : حمد الجاسر

حول ذكريات الرحلات :

الصَّفْعَبِيَّ لِقَرَزَعِي

ورد في الحلقة الأولى من مقال (ذكريات الرحلات) ص ٣٢٨ من هذه
السنة أن أخي جاسراً - رحمه الله - ادخلني في مدرسة لمعلم يدعى (القرزعي)
والقرزعي هنا سبق قلم ، والصواب : يدعى (الصَّفْعَبِيَّ) وهو صاحب كتاب
مشهور في بلدة بُرَيْدَةَ في ذلك العهد ، وأذكر من زملائي في مدرسة الصَّفْعَبِيَّ
العظاميَّ وابنَ رِزْقَانَ وأنا أنقل عن ذاكرة ضعيفة أخباراً مضى لها نحو
٥٦ عاماً .

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم

مَرَّانُ : مَا هُوَ أَضَلُّ تَسْمِيَةً؟!!

... حصل بيني وبين أحد الإخوان نقاش حول اسم مران المنهل المعروف في عالية نجد ، هو يقول : إن اسمه مشتق من مرارة مائه ، وأنا أخالفه في هذا . وقد اتفقنا على أن نقتنع برأيكم الذي نرجو أن نطلع عليه في مجلتنا « العرب » ...

الخرومة : فالح بن سعد

العسرب : القول بأنه سمي بذلك الاسم لمرارة مائه قول غير صحيح ، فماؤه معروف قديماً وحديثاً بأنه من أعذب المياه وأصفها وأنعمها - أقطعها للظلمة - كما يتضح من البحث الممتع الذي كتبه الأستاذ الشيخ سعد بن عبد الله بن جنيدل ، عنه في كتاب « عالية نجد » أحد أجزاء « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » الذي تقوم (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) بإصداره - ونأمل أن يكون بين أيدي القراء قريباً .

ونكتفي ببحث الأستاذ سعد عن مَرَّان ، وفيه مانعتقد أنه يُقنعُ السائل الكريم :-

مَرَّانُ : أوله ميم مضمومة ثم راء مهملة مشددة بعدها ألف ثم نون موحدة ، من المرارة ، كأنه للمبالغة : ماء قديم ، عذب وفيه الماء مشهور بهذا الاسم قديماً وحديثاً ، وقال ياقوت : هو بالفتح والتشديد ، وكسان فيه قرية قديمة فاصبحت لم يبق إلا آثارها ، وقد تأسست فيه هجرة حديثة لأسرة الرباعين من ذوي تُبَيْت من عُتَيْبة .

وهذا الماء من أطيب موارد البادية وأشهرها ، وقد أكثروا من ذكره في أشعارهم ، وهو واقع في الناحية الجنوبية لحره كشب ، يمر به طريق حاج البصرة القديم يردونه بعد قباه في تصعيدهم ، وسنأتي على مذكره المؤرخون في وصفه وتحليله .

ويقول الشاعر الشعبي بخيت بن ماعز العطاوي الروقي من عتبية ، وقد تجاوز قومه وربعواهم وقبيلة البقوم جماعة ابن جرشان في أسفل بلاد القصيم :

مِرْبَاعَنَا بِأَسْفَلِ بَرِيدِهِ وَالْأَسْيَاحِ يَمُّ النَّفْسُودِ وَيَمُّ هَاكِ الزُّبَارِ
وَأِنْ صَرَّصَرَ الْجَنْدُبُ وَوَقَّتِ الْحَيَا رَاحَ

ظَمُونُنَا وَظَمُونَهُمْ جَبَتْ نَبَارَا
لِيَا جَالَنَا مَعَ خَشْمِ الْإِكْمُومِ مِسْرَاحِ حِنَا تِيَامُنَا وَرَاحُوا بِسَارَا
مِيرَادَنَا عَدُّ بِهِ الْجِسْمُ قِيَاخِ مَرَّانَ عَدُّ مَشْرَهَبَاتِ الْعَشَارَا
وَمِيرَادَهُمْ فِي وَادِي غَرْدَقِهِ فَحَاخِ عَلَيْهِ مَدْيَانُ وَمَحَالِ تَسَارَا

وقال شاعر من قبيلة هنيم كان يقطن في مران ، فنزحت به ظروف الحياة منه وتذكر مقامه فيه ووفرة مائه ويسر منزعه :

أَنَا وَرَأْيَ مَا بَكِي وَتَبَكِي ضَمَائِرِي عَلَى مَنْهَلِ قَيْدِ الْقَعُودِ رَشَاةِ
أَبَكِي عَلَى مَرَّانَ عَدُّ بِهِ الرَّوْيَ وَالْجَفْرَ يُعْنَى اللَّعْلِيلُ بِمَاءِ

ويقول محمد بن بليهد في قصيدة له (١) :

ذَبْنُ غُرُوبِ الشَّمْسِ مَعَ خَشْمِ الْأَصْفَرِ أَصْفَرَ حَفِيفَ وَجْنَيْنِ الْخَفْصَاةِ
وَيَرِدُنْ عَدُّ يَارِدَهُ بَكْلٌ مِنْ مَرَّانَ جَعَلَ الْمِزْنَ يَسْتَقِي حَرَارَةَ

(١) تقدم شرح هذين البيتين في رسم الحضارة .

وقال الأستاذ يوسف ياسين في وصفه وتحديده : وفي الواحد والعشرين
أي من الرحلة - ٣. جمادى الأولى صلينا الصبح وسرنا من البادية في
أرض الحرّة وبعد أن طلعت الشمس أشرفنا على آثار بيوت خربة في واد
مريع كثير الخضرة وفيه نبات يسمونه الحلفا وأشجار تشبه النخيل
يسمونها الدوم ، أما المسكان هذا فهو مران من أشهر الأماكن التي مررنا بها ،
وفيه آبار ماؤها عذب طيب ، وفي شرق مران سهل فسيح لا يدرك الطرف
مداه ، وفي غربه سلسلة جبال سميت لنسا باسم كشب .

أما قرية مران التي كانت عامرة بأهلها فأنها اليوم لم يبق من
آثارها إلا رسومها ، والهواء الطلق يخفق في جنباتها إن مر بها راحل تمتع
بمنظرها الجميل وشرب من مائها - إذا حمى من الأوساخ - العذب السلسيل
والأفهي مهملة متروكة ليس فيها غير خفق الرياح . لم نقم على مران
الأريثما طعمنا طعام الضحى وشربنا وملأنا قربنا ، وخرجنا من مران وقطعنا
أرض الحرّة (١) .

قلت : قد أجاد الأستاذ يوسف في وصفه لجغرافية مران وفي وصف
آثار قريتها القديمة لأنه وصفها عن مشاهدة وتأمل . أما الهجرة التي تأسست
فيها حديثاً والتي لا تزال عامرة فإن بناءها كان يعد زيارته بسنين عديدة
وهي تابعة لإمارة مكة المكرمة .

وقال عرام بن الأصبح : مران : قرية غناء كثيرة العيون والآبار
والنخيل والمزارع ، وهي على طريق البصرة لبني هلال ولبني ماعز ، وبها
حصن ومنبر وينزلها ناس كثير ، وفيها يقول الشاعر :

(١) الرحلة الملكية ٧٩ - ٨٢ .

أبعد الطُّوال الشم من آل ماعز يرجي بمران القرى ابن سبيل
مررنا على مران ليلا فلم نعج على أهل آجام به ونخيل

ومن خلفه قرية يقال لها قباء كبيرة عامرة لجسر ومحارب وعمار
ابن ربيعة من هوازن^(١) .

وقال ياقوت : مران : بالفتح والتشديد ، وآخره نون ، يجوز أن
يكون من مرّيم من المرور ، قال السكري : هو على أربع مراحل من مكة
إلى البصرة ، وقيل : بينه وبين مكة ثمانية عشر ميلا ، وفيه قبر تميم
ابن مرّ بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان
وقبر عمرو بن عبيد ، قال جرير يعرض بابن الرقاع :

قد جربت عركي في كل معترك غلب الرجال فما بال الضعافيس
وابن اللبون إذا مالز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس
إني إذا الشاعر المفرور حربتي جار لقبر علي مران مرموس

قال : أراد قبر تميم بن مر ، إذا حربتي أي أغضبني ، يموت فيصير
جاراً لمن هو مدفون هناك ويصدق ذلك قوله :

قد كان أشوس أباء فأورثني شغباً على الناس في أبنائه الشوس
نحمي ونغتصب الجبار نجبه في مخصد من جبال القد مخموس

وقال الحازمي : مران بين البصرة ومكة لبني هلال من بني عامر ،
ثم أورد ما ذكره عرام في كتابه ، وقال عن ابن قتيبة ، قال المنصور أمير
المؤمنين يرثي عمرو بن عبيد :

صلّى الإله عليك من متوسد قبراً مررتُ به على مران

(١) أسماء جبال تهامة وسكانها ٧٦ - ٧٧ .

قبراً تضمين مؤمننا متحنفاً صدق الآله ودان بالقسران
لو أن هذا الدهر أبقى صالحاً أبقى لنا عمراً أبا عثمان

وقال ابن الاعرابي على هذا النمط من جملة أبيات :

أيا نخلفي مران هل لي إليكما على غفلات الكاشحين سبيل
أمنيكما نفسي إذا كنت خالياً ونفعكما ، لولا الفناء قليل
ومالي شيء منكما غير أنني أحن إلى ظليكما فاطيل

وقد علق محمد بن بليهد على ما ذكره ياقوت عن السكري فقال :
مران في رواية ياقوت : أزه على أربع مراحل من مكة إلى البصرة ،
والصحيح أنه على ست مراحل لحاملات الأثقال ، وموقعه في جبل كشب
على طريق الحاج ، وهو مشهور ، منهل كثير الماء لو أجرى على ظهر
الأرض لجرى ، ولكن المحيط به من الأرض سبخة لا تصلح للزراعة ،
وبه آثار إلى هذا اليوم وأصول نخل ودوم ولم يبق به غير البوم .^(١)
وذلك في الوقت الذي ألف فيه كتابه .

وقال الأصفهاني : مران وهو ماء وقرية غناء كبيرة ونخيل ثم تجوز
فترد الشبكة وهي ماء عليه تجارة ثم ليس دون وجرة الأمتعشى يقال
له ببيان^(٢) .

وقال أبو علي الهجري : كشب عن مران بأميال ، ومران عن أربع
مزالف من مكة ، من طريق البصرة^(٣) .

(١) صحيح الأخبار ٢ - ٣٩ .

(٢) بلاد العرب ٣٧٢ - ٣٧٣ .

(٣) أبحاث الهجري ٣٦٠ .

وقال : الخارج من ضرية يريد مكة : يشرب بالجديلة ثم فلجة
ثم الدثينة ثم قباء ثم مرّان ثم وجرة ثم ذات عرق ثم البستان ،
ثم مكة ^(١) .

وقال الحرّبي ، في ترتيب منازل الحاج ومواردهم من البصرة إلى
مكة : قباء في الحرة ومن الدثينة إلى قبا (٢٧) ميلاً ، وبقباء أبار قريبة
الماء وماء كثير ، وعلى ثمانية أميال من قبا متعشا يقال له بلد ، فيه أبار
عذبة ، ثم مرّان ، وقبر تميم بن مرّ بن مرّان ، وذكر بيت جرير المتقدم ،
وقال : وبها قبر عمرو بن عبيد ، وقال : مات عمرو بن عبيد بمنزل من
طريق مكة يقال له مرّان وهو دون الشبيكة ودفن بالمنزل فمرّ بقبره
أبو جعفر المنصور ، ووقف عليه ثم أتشأ يقول ، وذكر شعره المتقدم
وزاد فيه بيتاً واحداً قبل الأخير ، هو قوله :

كان الرّجال إذا تنازع بعضهم فصل الحديث بحكمة وبيان

وقال الشيخ حمد الجاسر في تعليقه : عمرو بن عبيد بن باب البصري
شيخ المعتزلة توفي سنة ١٤٤ هـ قلت : مران والمواضع التي ذكرها
المؤرخون قريبة منه الدثينة وقباء وغيرها ما زالت معروفة بأسمائها .
ومرّان لا يزال مضرب المثل بوفرة مائه ويسره وسهولة الشرب منه ،
وفي ذلك يقول الشاعر الشعبي فهيد بن سكران :

ذَا قَوْلٍ مَنْ هُوَ لِلشَّاعِيرِ مَاقَرٌ عَدَّ إِلَى ضَكَّوَا بِهِ الْوَرْدِ طَاشِ
عَدَّ مَصَادِيرَهُ عَلَى الْحَيْدِ الْأَسْمَرِ مَرَّانُ بِهَاجِ الْكَبُودِ الْعَطَاشِ

(١) أبحاث المجرى ٢٢٢ .

الجواب : أين يقع

[. . ذكرنا مجلة « العرب » المجلة الوحيدة بين المجلات العربية في العناية بالأبحاث الجغرافية وتحديد المواقع التاريخية - ذكرناها في الكلام على الحديث المنسوب للنبي عليه الصلاة والسلام « أينكن تنبهما كلاب الحوآب » وبالرجوع إلى كتب غريب الحديث لم يتضح لنا فيما أطلعنا عليه منها موقع الحوآب .

فهل من كلمة تحده ، نطالها على إحدى صفحات مجلتنا الأثيرة في نفوسنا ؟ !

سعيد المسلم

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

العرب : نكتب- الآن - بحث للأستاذ الشيخ سعد بن جنيد ، من كتابه عن (عالية نجد) الذي سيصدر قريباً ، ونعم السائل الكريم بالعودة إلى الموضوع [.

مَشْقُوقُ الْخَلْفِ : بيم مفتوحة وشين معجمة ساكنة ثم قاف مثناة مضمومة ، ثم واو ساكنة ثم قاف ثانية ، من الشق ، كأنه شُقٌّ في الأرض ، والخلف جمع خَلْفَةٍ ، وهي الحلوبة من الأبل ، وهو اسم واد يشقُّ بلاد العَبِلَةَ (المِطْلَى) من الغرب إلى الشرق ، تبدأ أعاليه من عبلة البرة ومن عَبَلٍ وَطَيْفٍ ومن الحمام ، ويسير شرقاً بميل يسير صوب مطلع الشمس ، ومجره واسع فيه محام وقرار كثير ، وينتهي سيده وينصرف في محام واسع بجانب جبل البِنُونِي ، ولهذا الوادي شهرة عند البادية لوقوعه في بلاد طيبة المراعي ، ولكثرة أنواع الحمض فيه ووفرته وجوده مراعية ، وفيه يقول الشاعر الشعبي شامان بن نشا من قبيلة العُصَمَة من عَنَيْبَةَ :

حَلُو حَلْبِيئِهِ كِنُّ ذَوْبِ الْعَسَلِ فِيهِ

وَالْأَيْشَادِي دَرْعَرِبِ أَبَا هَيْلٍ^(١)

(١) كن : كأن . يشادى : يشبه . اباهيل : بهلة .

يُرْعَنُ بِالْمَشْقُوقِ وَإِنْ سَأَلَ وَادِيَهُ
 تَلْقَى لِهِنَّ يَمَّ الْيُنُوفِيِّ مَدَاهِيلٍ^(١)
 فَلَنْ بِنُورَةٍ وَخَاصَّنَ خَيْبَارِيَّةً
 وَيَازِينِيَهْنَ لِعِيَالِهِنَّ مَقَابِيلٍ^(٢)
 وهذا الوادي واقع في بلاد أبي بكر بن كلاب قديماً .

أما في هذا العهد فانه واقع في بلاد قبيلة المقطة من عنيبة التابعة لإمارة عفيف ، ويبعد عن بلدة عفيف جنوباً خمسة وأربعين كيلاً .
 ويبدو لي أن هذا الوادي هو الذي كان قديماً يدعى الحوآب ، لأن ما ذكره المؤرخون في تحديد الحوآب ينطبق عليه ، وسنأتي على ذكر ما قالوه في تحديد الحوآب .

قال الأصفهاني : البقرة : ماء ابني عبد بن كعب ، وهو على يمين الحوآب .

وقال أيضا : العنابُ وخنثلُ جميعا لبني أبي بكر ، والحزير عن يسار ضريبة ، وهو من جوانب الحوآب ، والحوآب ماء لبني أبي بكر .
 قلت : ذكر الأصفهاني أن البقرة ماء على يمين الحوآب ثم ذكر الحوآب في سياق ذكر خنثل والعناب والواقع أن ماء البقرة يقع كما ذكره ، وهو ما زال معروفاً باسمه وكذلك خنثل والعناب فهما أقرب المواضع إلى وادي المشقوق من ناحية الجنوب ومن قوله : الحزير من جوانب الحوآب يتضح لنا الوصف الجغرافي لهذا الوادي وهو في الواقع منحرف من جانبيه بحزير من الأرض .

وقال الصاغاني : الحوآب واد في وهدة من الأرض واسع .

(١) بم الينوق : صوب الينوق . مداهيل : مراتع تترادها .

(٢) فلن : رهين في فلاته . نواره : زهره . يازينهن : ما أجلهن .

وقال ياقوت : الحَوَاب : بالفتح ثم السكون ، وهنزة مفتوحة
 وباء موحدة ، والحَوَاب : الوادي الواسع في هذه (؟) والحَوَاب موضع في
 طريق البصرة محاذي البقرة ماءة أيضاً من مياههم قال أبو زياد : ومن
 مياه أبي بكر بن كلاب الحَوَاب ، وهو من المياه الأعداد وقديم جاهلي
 والحَوَاب والعناب والحزير جبال سود أظنها في ديار عوف بن عبد
 ابن أبي بكر ابن كلاب أخي قريظ بن عبد . وقال نصر : الحَوَاب من
 مياه العرب على طريق البصرة ، وقيل : سُمِّي بالحَوَاب ابنة كلب
 ابن وبرة ، وهي أم تميم وبكر المعروف بالشعيراء والغوث وهو الربيط ،
 وهو صوفة وثعلبة وهو ظاعنة وغيرهم من ولد مر بن أد طابخة وبالحوَاب
 حصن لعبد العزيز بن زرارة الكلبي^(١) . انتهى .

بجاء ومرزا اطلاع
 ياد ويرة المعارف السلي

نلاحظ فيما ساقه ياقوت في خير الحوَاب أنه أدمج ما ورد في الحوَاب
 الواقع في عالية نجد المحاذي لماء البقرة في بلاد أبي بكر بن كلاب
 فيما ورد في الحوَاب الواقع في أسفل البلاد في طريق البصرة ، في بلاد
 كلب ، فقال فيما قاله : موضع في طريق البصرة محاذي البقرة ماءة أيضاً
 من مياههم . والواقع أن الحوَاب المحاذي البقرة هو الواقع في عالية
 نجد ، أما الواقع في طريق البصرة فهو غير محاذ لها ، وهو أكثر شهرة
 في كتب التاريخ وهو الوارد في خبر عائشة رضي الله عنها ، وهو الذي
 سُمِّي بالحوَاب بنت كلب ابن وبرة ، وقد أطل ياقوت في ذكره ،
 وذكره البكري في معجمه ولم يذكر غيره .

وبهذا يتضح أن الحوَاب اسم لوضعين مشهورين في كتب المؤرخين
 أحدهما واقع في عالية نجد ، في بلاد أبي بكر بن كلاب وهو مشقوق
 الخلف ، والثاني واقع في أسفل البلاد في طريق البصرة ، في بلاد كلب .

(١) الصواب (الكلاب) فهو من بني كلاب (انظر هامش « بلاد العرب » ص ١٥٢)

من ذكريات الرحلات

(٤)

وفي الفترة التي تلت نقل الأمير خالد السديري - رحمه الله - من الإمارة تولاها - وكالة - أحدُ خدام الأمير الذي سيخلفه ، فتحبّد صاحبي الذهاب للسلام على هذا الأمير الجديد ، على ماجرت به العادة ، فكان ذلك ، وعند الدخول عليه قال أحد الواقفين على باب المجلس : (سلّموا واسكتوا تترى الأمير ما يحب الكلام) ولعله كان يعرف عني أنني (ثرثارٌ) وهكذا كان ، فبعد أن استقرّ بنا المجلس ، ورأيت من مظهر الرجل ووجهته ووسامته وحسن مظهره مادفعني إلى أن أقول - موجّهاً الكلام إليه - وكان في جلسته منحرفاً عن الجهة التي أجلس فيها أنا وصاحبي (كيف حالكم طال عمرك ؟ !) فاتجه إلينا محققاً النظر قائلاً : (وش انتم يا حبيبي ^(١) ؟ !) وسكن الحياء وفجّم الباء . فقالتُ : طال عمرك ! أنا فلان

ما أوسع أبواب الاعتذار ! ولكن عتّب الأحيّة بتجيل عن كل
اعتذار ، إذ هو تعبير عن صادق المودّة - كما قيل - :
إذا ذهب العتّاب فليس ودٌ ويبتقى النود ما بقي العتّابُ
فإلى أولئك الإخوة الذين أعادوا لنفسي من لذيذ الذكريات قبل
أربعين عاماً - ما كان من أقوى الحوافيز لأتّجه لدراسة تاريخ هذه المنطقة -
إلهم بعود الفضل ، في إصدار هذا الجزء الخاص .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) : وش أنت : أي شيء أنت ؟ من أنت ؟ - استفهام تامل - حبيبي : تصغير تحقير حبيبي .

وصاحبي فلان . نعمل في (مراقبة التعليم) . فقال : (تَعْلُومَ الْعَسْكَرِ) ؟ فقلت : لا ! تعليم المدارس ! . فما كان منه إلا أن انحرف بجسمه قائلاً : (معلّمة وغدّان) !! .

فقلت في نفسي : (على نَفْسِهَا جَنَّتْ بَرَاقِشَ) . وانصرفت خجلاً .

ولما تولى الأمير عبد المحسن بن عبد الله بن جلوي الإمارة كنت أتمتع منه برعاية خاصة ، فكان كثير التفقد لي في كثير من المناسبات ، ولما زار الملك عبد العزيز - رحمه الله - البلاد عرض عليّ أن ألقى كلمة في حفلة الاستقبال ، فكان أن أنشدت أبياتاً من النظم أولها :

احْتَلُّ عَلَى الرَّحْبِ فَأَلَا حِدَاقُ أَوْطَانُ
بِأَمِّنْ بِمَقْدَمِهِ الْأَوْطَانُ تَزْدَانُ
مَا غَبَّتْ عَنْ أُمَّةٍ قَدْ ظَلَّ بِمَطْرُهَا
مِنْ فَيْضِ جُودِكَ بِالْإِحْسَانِ هَتَانُ

ويظهر أنّ لي حُسْنَ الإلقاء من الأثر ما يخفي عوَارَ القول ، فكان الاستحسانُ وكانت الجائزة .

في أحد أيام الخميس ذهبت إلى القطيف ، وهو يوم السوق في تلك البلدة ، فمررت بدكان رجل كان يبيع الكتب القديمة ويدعى - إن لم تخني الذاكرة - علي الفار ، وكان دكانه واسعاً مملوئاً بالأنواع التي تجلب ذلك اليوم ، أقصاه فيه قلال التمر التي يتسرب منها الدبس ، ومن دونها مختلف الأواني القديمة ، وبجانب منه كتب مخطوطة مركوم بعضها فوق بعض على الأرض ، وفي المدخل أنواع الخضر والأسماك وكان أميماً ، ولهذا فهو يقدر ثمن الكتاب بأمرين : رغبة المشتري وحرصه ، وحسن مظهر الكتاب ، وثقله في اليد ، وقد اشتريت منه في ذلك اليوم كتابين ، وسمكة بطول الذراع ، طرية ، وقفّة صغيرة ، وضعت فيها ما اشتريتُ وكان الجوُّ بارداً ، والوقتُ ظهراً ، وقد أحسست بالجوع ، فاستروضحت منه عن مكان عين ماؤها حاراً ، يذهب إليها أهل البلدة للاستحمام تدعى (حَبَاقَةَ) فوصف

لي موقعها ، فحملت قُفَّتِي ، وذهبت إليها ماشيا ، ولما وصلتها ، وكان الجوع قد أخذ مني مأخذه ، جلست غير بعيد عن قُبَّة الحمام ، وجمعت من الكَرَب وَعَسْبَان النَّخْل كومةً ، أشعلت فيها النار . ثم وضعت السمكة قبل أن يُجَمَّرَ الحطبُ ، فانطلقت النَّارُ ، وثار منها دُخانٌ دخل في منافذ القبة ، فما شعرت إلاّ بعدد كبير ممن كان داخل الحَمَّام يخرجون شِبَهَ عُرَاةٍ مسرعين نحوي ، بعد أن أشرفهم الدخان ، فلما رأيتهم أقبلوا عليّ أسرعت في الهَرَب . فما كان منهم إلا أن أتوا بماءٍ وأطفأوا به النارَ ، وتركوا السمكةَ والقُفَّةَ ، فاحتملتهما وعدت إلى القُطَيْف .

وعلى ذكر صاحبنا الكُتَيْبِي الأُمِّيُّ — كان الأستاذ الشيخ خالد الفرج ، مقيما في القُطَيْف ، وكانت صلاتي به قوية ، وقد اقتنى مجموعة من المخطوطات اشتراها من صاحبنا الكُتَيْبِي الأُمِّي ومن غيره ، وله مقطوعة من الشعر ، لا أحفظ شيئا منها ، ولكنها تدور حول وصف مدينة (حاكمها) أُمِّيُّ . و (رئيس المجلس البلدي) فيها أُمِّيُّ ، ولا يقف الأمر عند هذا الحد . بل حتى (بائع الكتب) فيها أُمِّيُّ . ومعذرة للإخوة من أهل هذه البلاد . فأنا أتحدث عن زمن مضى له الآن نحو ٣٥ سنة وقد تغير كل شيء الآن .

كان مما اشتريت من المخطوطات كتاب « الرموز » في اللغة ، ومؤلفه معاصر لصاحب « القاموس » وكنت في إحدى رحلاتي للقاهرة أخذته معي للبحث عن نسخة أخرى منه ، وكانت نسختي بخط المؤلف .

وقد طالت إقامتي في القاهرة حتى احتجت إلى شيء من النقود ، ففكرت في تقديمه لدار الكتب ، لكي أحصل على بعض حاجتي ، ولكي يبقى الكتاب محفوظا في مكان أستطيع — فيما لو احتجت إلى الرجوع إليه — أن أجده . وفعلت قدمته لقسم المخطوطات في الدار المذكورة . وكتبت تقريراً عنه قلت فيه : إنه مسودة المؤلف .

وقد علم أحد الإخوة بذلك . وكان قد طلب مني أن أبيعها إياه فلقت له : إنني أريد أن أضعه في مكان أتمكن من الاطلاع عليه متى أردت . وعندك لا يتسنى ذلك في كل وقت ، وقد يخرج من يدك .

وبعد أسبوع قال لي صاحبي : أتعرف ماذا قَدَّرَ (قسم المخطوطات) ثمناً للكتاب ؟ إنه أربعة عشر جنيهاً .

ذهبت إلى (دار الكتب) فاطلعت على تقرير (قسم المخطوطات) عن الكتاب وعن تقدير قيمته ، فإذا في التقرير : (وقد أخبرنا فلان - وهو صاحبي - بأن مسودة المؤلف من هذا الكتاب في مكتبة شيخ الإسلام في المدينة المنورة) .

فأخذت الكتاب ، واضطرتتني الحاجةُ إلى أن أبيعهُ على صاحبي - بمئتي جنيه - وما كان هذا المبلغ قيمةً له . لقد أخذته بدافع الغضب من جهل كاتب التقرير ، الذي قلت له : كيف تعتمد على مجرد قولٍ قيل لك ، لا تعرف مبلغه من الصدق؟! وكانت الدولة قد بدأت باقْطاع الأرض في الدمام لمن يعمرها ، فكان أن تقدمت بطلب إلى (الإمارة) أحيل إلى (البلدية) فأقْطِعتُ أرضاً مساحتها ٨٠ قدماً طولاً و ٤٠ قدماً عرضاً ، في ناحية من البلدة ، وكانت صغيرة إذ ذاك ، ففكرت في بناء بُويْتٍ في تلك الأرض ، وكُنْتُ عرفت رجلاً يدعى (أبو دحيم^(١)) وكان ممن يتَّسمُ بسببِ أهل الصَّلاح والخير ، وكان حَمَّاراً لديه ثلاثة أحمره ، يتنقل عليها الحصا من البحر إلى السوق لبيعه ، فلما علم بما فكرت فيه أبدى استعدادهُ للقيام ببناء البُويْتِ ، على طريقة بناء مَسَاكن البلدة في ذلك الوقت ، تبنى جدران المنزل بالأواح رقيقة من حجر البحر (فُرُوشٌ واحِدُها فَرُشٌ) تكون طويلة وعريضة ورقيقة ، ويقام بعضها فوق بعض ، ويحشَى ما بينها من الخلل بِكيسِرٍ صغيرة من الحصا وتُبَلَطُ بالحص ، ويقام في ملتقى الجدران سوارى مربعة بالحجر والحص ، والسقف يكون بالحشب ، يوضع فوقه نوع من الحصر الحشنة تدعى (بَوَارِي) واحدها بارية ، معمولة من قصب الحلفاء .

تمَّ الاتفاق مع (أبو دحيم) على بناء بُويْتٍ خَطَطْتُ أمكته وحددتها . والأجرة سبعة آلاف ريال ، ولها وزنها في ذلك العهد .

وكنْتُ حين أعود ظهراً من عملي آخذٌ معي بعض الطعام وآتي إلى العمَّال فنشرك

(١) القاعدة (أبا دحيم) ولكن كذا ينطبق الاسم في جميع حالات الاعراب .

بما أحضرته ، وأذكر أنني في إحدى المرات وقد جلسنا في ظل جدار قريب من البيت نأكلُ تَمْرًا ، إذا بسيارة تقف غير بعيدة عنّا وإذا بداخلها رجل يدعو باسمي ويضيف : (يا إقطاعي يا إقطاعي) ! ! وإذا به الشيخ عبد الله الطريقي ، فدعوته للأكل معنا ، فقابلني بضحكة عريضة . وكان يذكرني بذلك كل ما رأي .

انتهى بناء المترل ، ودفعت للرجل الذي بناه حقّه كاملاً . ولكنني فوجئت وأنا أتأهبُّ للانتقال إليه ، عندما شاهدت في الجدار الخارجي ميلاً ، وبصدع (شدخ) مستطيل باستطالة البيت ، فاتصلت بـ (البلدية) فأرسلت معي مهندساً قرّر أن البيت سيسقط ، وينبغي أن تهدمه (البلدية) لئلا يسقط على أحد ، وهكذا كان .

ذهبت إلى صاحبي (أبو دحيم) فوراً فأخبرته ، فكان جوابه : (سلمته لك وهو ما فيه عيب) ! ثم تراضينا على الحضور عند أحد الإخوان . فقال أبو دحيم : أنا سلمته البيت وهو ما فيه خال ، والذي حدث قضاء من الله ! فوجه إلي الأخ سؤالاً : أنت إن شاء الله تؤمن بقضاء الله وقدره ؟ ! فقلت نعم . ولكن . . غير أن الأخ الذي رضينا بحكمه - أمرنا بالقيام من عنده قبل إكمال جملة (ولكن) . . وانتهى الأمر عند هذا الحد . فاضطرت لإعادة بنائه على الطريقة الأولى . ولا يزال - والله الحمد قائماً - غير أنني منذ عام مرت به ، فلم أدخله خشية أن لا أخرج منه ، ومع ذلك فقد كان مسكوناً - على ما قيل لي - ! ! .

ومن أمتع الذكريات وأبقاها في النفس ، وأجدها فائدةً رحلةً قمت بها مع أخويّ الجليلين ، الأستاذين الشيخ محمد بن ناصر العبّوديّ والشيخ سعد بن عبد الله بن جُنَيْدٍ في شهر صفر من عام ١٣٩٥ في عالية نجد من الرياض فاللداوميّ ، فعنيف ، فحيميّ الرّبذة ، فواديّ الرّمّة ، فآلعلّم ، فالحرّة ، فبلدة الحويّط (يدّيح) في حرّة خيبر . فبلدة الحائط (فدك) فبلاد الجليلين (حائل) فطريق الحج الكوفي إلى منتهاه من ناحية العراق ، ثم الاتّجاه نحو الشمال إلى (عرعر) فرجوعاً إلى الجوف فتيّماء . فالمدينة المنورة .

وليهذه الرحلة آثارٌ طيبةٌ منها تحقيق موقع (الرّبذة) البلدة التي توفي فيها

الصحابيُّ الجليلُ أبو ذَرٍّ - جُنْدَبُ بنُ جُنَادَةَ الغِفَارِيُّ - رضيَ اللهُ عنه -
 وتحقيقَ مواضع تاريخيةٍ أُخرى - أرجو أن اتحدتَ عنها بتفصيلٍ ، بعدَ الحديثِ عن
 رحلتهِ دعتُ مناسبةُ إصدارِ هذا الجزءِ الخاصِّ إلى تقديمها ، وهي الرحلةُ إلى
 المنطقةِ الشرقية .



صورة رقم (١)

رفاق رحلة عام ١٣٩٥ . يشاهدون حجراً بقرب قرية بديع (التحويَّط) فيه
 أبيات من الشعر كتبت بالخط الكوفي البديع مؤرخة في اليوم الثالث والعشرين من
 شهر شعبان سنة تسع وثلاثمائة - أي قبل ألف وتسعين عاماً . ونص الكتابة :

بَادِرُ زَمَانِكَ قَبْلَ وَقْتِ رَحِيلِهِ
 وَاغْمَلْ لِيَوْمِكَ يَا أَخَا الْإِسْرَافِ

(١) انظر عن الريذة « العرب » السنة الأولى ص ٤١٨ / ٤٦٥ / ٤٦٢٥ / ٧٢٤ والسنة العاشرة ص ٤/١

والسنة الحادية عشرة ص ١٦١ / ١٦٧ .

فَكَأَنَّ يَوْمَكَ قَدْ أَتَاكَ بِغُصَّةٍ فَأَزَالَ عَسْكَ لَذِيذَ عَيْشِ صَافٍ

وكتب محمد بن يعقوب يوم الاربعاء لسبع بقيت من شعبان سنة تسع وثلاثمائة .

إلى المنطقة الشرقية أيضاً : وحينما هُيِّئَتْ جميع وسائل الرحلة من قبل (وزارة الاعلام) حرصتُ بأن أحظى بمرافقة الأخوين الكريمين الأستاذين الشيخ محمد العبودي والشيخ سعد بن جُنَيْدَل . وهُمَاهُمَا في دراسة النصوص الجغرافية المتعلقة ببلادنا ، وفهمها وتطبيقها على المشاهدة فيما قاما بتأليفه من أقسام « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » وفي الإلتزام التام بتلك النصوص في مختلف مصادرها ومواقعها ، وبهما تُصَيِّحُ الأسفارُ وسيلةً لِإِمْتَاعٍ ونُزْهَةٍ ، بما يتصَّفان به من أدبٍ جمٍّ ولطفٍ وظرفٍ ، وطولٍ معاناةٍ لها ، مكتهما من التغلب على ما يحدث فيها من عناءٍ وتعبٍ ومشقةٍ .

وقد أفضلاً - أدام الله لهما المزيدَ مِن فَضْلِهِ - فأُسْعِدَني بتحقيقٍ رغبي .

فكان السفر في صباح يوم الأحد المكمل لشهر جمادى الأولى سنة ١٣٩٨ .

وقد رأيتُ الأَخْوَانَ - وَحَسَنًا مَا رَأَيْتُ - أَنْ تَبْدَأَ الدِّرَاسَةَ مِنْ طَرِيقِ الْحِجِّ البصريِّ القديم ، الذي يخترق الدَّهْنَ ، فيما بين شقيقِ النَّبَاجِ والأسياحِ غرباً ، حيث تقع السُّمَيْنَةُ قديماً (البَيْصِيَّةُ الآن) وبين أسفلِ وادي الأجرديِّ شرقاً ، حيث توجد بُرَيْكَةُ الأجرديِّ (البَيْسُوعَةُ قديماً) .

فكان السير مع طريقِ سُدَيْرٍ ، والقيلولة بقرب مدينة المجمع ، قاعدته ، ثم المرور ببلدة الأرطاوية^(١) ، ومنها تفترق الطرق ، وتتشعبُ ، وحينئذٍ فلابدُ من دَكِيلٍ . يعرف أسهلها سَيْرًا ، وأقصدها لبلوغ الوجهة . فقصدنا مقرَّ الإمارة ، واتجه أبو ناصر - حيَّاه ورعاه - وهو عميد الرحلة ووجهها ، بل (جُدَّ بِلْهَافَا الْمُحَكِّكُ ، وَعُدَّ بِلْهَافَا الْمُرَجَّبُ) في جميع أمورها - انجِه لمقابلة الأمير .

(١) انظر عن هذه البلدة « معجم اليبامة » أحد أقسام « المعجم الجغرافي » ج ١ ص ٧٢/٧٣ تأليف

الأستاذ الشيخ عبد الله بن خبيس .

وسرعان ما أتيا معاً ، فرحّب الأمير وألحّ بطلب التزول ، مبالغاً في الاكرام ،
ولما رأى حرصنا على مواصلة السير . أنعمَ لنا بالدليل . وأتبع ذلك بضيافة
سخيئة . على حدّ قول الشاعر :

وَتُكْرِمُ ضَيْفِنَا مَا دَامَ فِينَا وَتُتْبِعُهُ الْكِرَامَةَ حَيْثُ سَارَا



صورة رلم (٢)

عند باب (مركز إمارة الارطاوية) ويبدو في الصورة من اليمين : أحد أبناء
الأمير ثم الشيخ محمد العبودي ثم حمد الجاسر فالأمير سلطان بن عبد الرحمن
الدويش ، فالشيخ سعد بن جُنَيْدِل فبعض الاخوة من موظفي الامارة .
وكان السير - بإرشاد الدليل - نحو الشمال ، حتى جُزْنَا الأَرْض السهلة ،
واعترضتنا كُثبان الرمال (نفود السِّيَّارِيَّات) الممتدة من الدهنا ، فكان المبيت ،

وما أهنأ النوم بافتراش ناعم الرمل النقي . والنسييم العليل يعطّر الجو بأريج
الشجيرات الغضة الريانة غيب القطر أو الندى :

كَمْ ضَجَعَةٌ فِي الْقَاعِ فِي غَلَسِ الدُّجَا

بَيْنَ الرِّمَالِ الْعُفْرِ . وَهِيَ وَسَادِي^(١)

ومقبل يوم الاثنين غرة شهر جمادى الآخرة ١٣٩٨ تحت ظلال الأثل ، على
مقربة من قرية (الطِّراق) - بكسر الطاء المهملة وفتح الراء بعدها ألف فقاف -
ويظهر أن الموضع سمي بهذا الاسم لأنه أرض منخفضة بين مرتفعين الجنوبي منها
حبال رمال الدهنا . والشمالى آكام وحزون وأرض خشنة مرتفعة تدعى
(التيسية) والطراق منخفض ممتد من الغرب نحو الشرق ، فيه مجرى وادي
(الأجردي) الذي هو امتداد لوادي الرمة ، لو لم تحجز رمال شقيق النباح (عروق
الأسياح) ذلك المجرى من جهة الغرب ثم رمال الجرّع من الشرق ، وتلك
الرمال ألسنة ممتدة من حبال الدهنا .

وكانت المسافة التي قطعناها من الرياض إلى الطراق ٤٣٧ من الأكيال ؛ (من
الرياض إلى المجموعة ٢٢٧ ومن المجموعة إلى الارطاوية ٧٠ كيلا ومن الارطاوية إلى
الطراق ١٤٠ كيلا) .

رغب الإخوة في زيارة هجرة (قبّة) - بضم القاف وفتح الباء مخففة بعدها ها -
وتبعد عن قرية (الطِّراق) نحو ٢٦ كيلا ، وتقع في الشمال الغربي منها غرب
مرتفعات التيسية ، التي هي قديما من الحزن ، حزن بني يربوع ، وتقع
(قبّة) في وهدّة من الأرض ، حيث تفيض أودية التيسية الغربية في براح واسع ،
يلبُّ به من الغرب رمال الدهنا ، ومن الجنوب منخفض وادي الأجردي ، ومن
الشمال والشرق آكام وحزون هي امتداد التيسية .

وتقع البلدة على أوسط الطُّرُق التي تتجه من شمال الجزيرة ووسطها إلى

(١) البيت لفؤاد الخطيب . وكلمة (القاع) لاتتلاءم مع (الرمال) فلو قال : (في البيد) .

الكويت والعراق ، كما أنها تقع متوسطة بين الدهناء وبين الأرض التي كانت تعرف قديماً باسم (الحزن) والدهناء والحزن من أطيب مواضع الجزيرة من حيث جودة المراعي ، ووفرة النبات ، متى جاد الغيث تلك البلاد ، ومن هنا كانت الرغبة الدافعة إلى اتخاذها هجيرةً في أول الأمر . ومن مآثور العرب قديماً : (مَنْ تَشْتَى الدَهْنَأَ وَتَرَبَعَ الحَزْنَ فَقَدْ أَصَابَ المرعى) وقيل : (لَأَبْصُلِحَ العَرَبَ ، إِلَّا مَا بَصُلِحَ إِبِلُهُمْ) والقرية الآن حَضْرِيَّةٌ بَدْوِيَّةٌ في مظهرها ، ونُمُوها بَطْيِيءٌ ، وذلك يرجع إلى قلة الماء فيها .

ثم كان السَيْرُ من (الطَّرَاق) باتجاه الشرق ، مع مجرى وادي الأجردي ، والمرور بروضة واسعة في ملتقى وادي يأتي من الشمال ، منحدرًا من مرتفعات التيسبية ، يدعى شَعِيبَ السَّهْلِ ، وتُدعى هذه الروضة التي يكثر فيها شجر العُشْرَ (أمَّ عُشْرٍ) العُلْيَا ، و (أمَّ عُشْرٍ الأجردي) للتفريق بينها وبين موضع آخر سيأتي ذكره قريباً .

والاسم القديم لهذه الروضة هو (الخَبْرَاءُ) وقد تضاف إلى منهل كان يقع بقربها فيقال : (خبراء اليَنْسُونُوعَةِ) . وتبعد عن (الطراق) سبعة عشر كيلاً . ولا أدري لِمَ لَمْ تُحْيَ هذه الروضة ! ولعل هذا يرجع إلى عدم العثور على الماء الكافي .

ويدل على هذا وجود آثار حفر بالآلات الحديثة ، وبجواره طين يابس ، مستخرج من جوف الأرض ، وفوهة ما حُفِرَ مَغْطَاةً .

وكان مبيت ليلة الاثنين (ثاني جمادى الآخرة ١٣٩٨) بقرب هذه الروضة .

وكان السير صباحاً من (أمَّ عُشْرٍ) هذه - الخبراء قديماً - إلى بُرَيْكَةِ الأجردي تصغير بركة - مضافة إلى وادي الأجردي ، والبركة من آثار طريق الحج القديم ،

(١) انظر وصفا لهذا الموضع في كتاب « بلاد القصيم » أحد أقسام « المعجم الجغرافي » للأستاذ الشيخ محمد العبدوي و « شمال المملكة » لكاتب هذا .

وموقعها يدعى (اليَسْوَعة) . بالياء المثناة التحتية والنون الساكنة بعدها سين مهملة مضمومة . فواو ساكنة فعين مهملة مفتوحة فهاء - ويَصْحَفُ هذا الاسم لغرابته وتشابه بعض حروفه .

والمسافة بين الخبراء (أمُّ عَشْرٍ) وبريكة الأجردي (اليسوعة) ستة عشر كيلا .

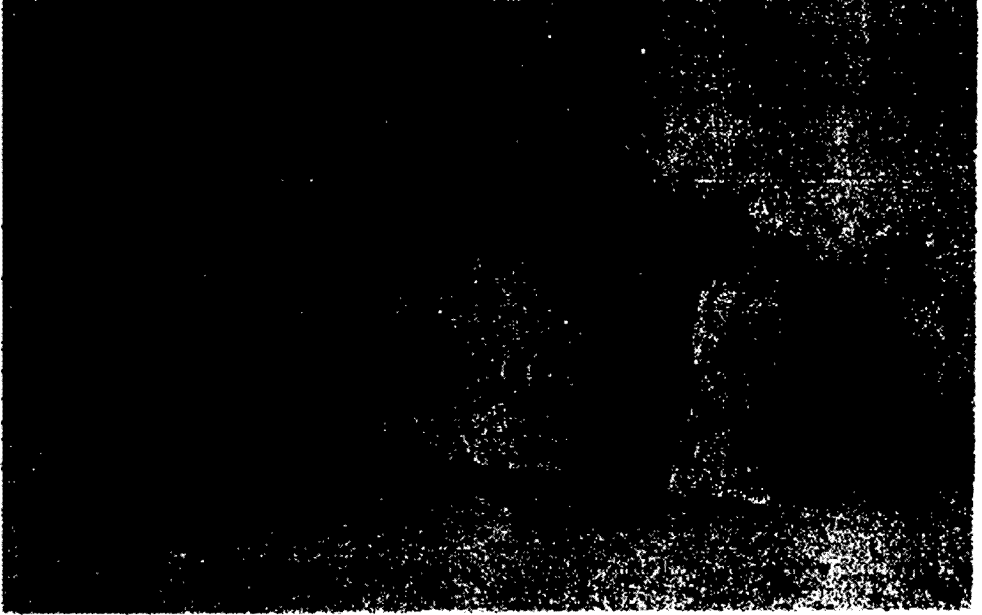
وتقع (بُريكة الأجردي) في جَوِّ واسع من الأرض . في مفيض الوادي . وما يرفده من شعاب تأتيه من الجهة الشمالية . من مرتفعات التَّيْسِيَّة . ويكثر السدُرُ في الجهة الغربية منه . حيث يستريض السيل . فَيُكْوَنُ مُسْتَنْقَعَاتٍ واسعة (رياضا) أما البركة فهي في الجانب الشرقي مرتفعة عن تلك المنخفضات ، لثلاث تَمَثَلِيَّة بما يحرفه السيل من الطين الناعم (الخرين) والماء يصل إليها من مجارٍ تمتد من الخبَّاري التي تجتمع فيها سيول وادي الأجردي ، ومن شُعَبٍ أخرى .

وقد تهدمت جوانب البركة ، وامتلاً جوفها بالطين ، وكثر نبات السدُرِ بقربها .

وتقع البركة في الجانب الشمالي الموالي لمفيض الوادي ، من ذلك الجَوِّ الواسع . وبقربها آبارٌ قديمة ، لا يزال بعضها مستعملا ، وتلك آبار اليسوعة إحدى منازل طريق الحج البصري التي قال عنها الأزهرى صاحب كتاب « تهذيب اللغة » - قبل ألف عام : (يَسْوَعةُ القُفِّ : منهل من مناهل مكة ، على جادة البصرة ، بها ركابا عَذْبَةٌ ، عند منقطع رمال الدهن ، بين مَأْوِيَّةَ والنَّبَّاج ، وقد شربت من مأها) . انتهى . وقد وصف ماءها بالعذوبة قبل الأزهرى وهب ابن أبي حازم من أهل القرن الثاني الهجري فقال في أرجوزته في وصف طريق الحج (١) :

فَأَوْرَدُوا الْمَطِيَّ عَذْباً بَارِدَا ثُمَّ ارْتَوَوْا ، وَقَرَّبُوا الْمَسْرَارِدَا
ولن أطيل - عند وصف الاماكن والمناهل - بذكر أقوال المتقدمين ، بل سأكتفي

(١) انظر تلك الأجوزة الفريدة في بابها في كتاب « المناسك ومواضع طرق الحج » من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .



صورة رقم (٢) بركة الأجردي (البنسوة قديماً)

بإشارات موجزة ، ومن رغب الاستزادة فليرجع إلى « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » .

تَفَرَّقَ الإخوة في مفيض الوادي بحثاً عن موقع البركة ، وهذا المفيض روضة من أوسع ما رأيت من الرياض ، وأكثرها أشجاراً ، وقد جرفت السيول التي تأتي من الوادي ومن الشعاب المنحدرة من المرتفعات الواقعة شمالها جرفت من الطين الناعم (الغرين) ما كَوَّنَ طبقة سميكة غطَّت أرض هذه الروضة الواسعة . ويستغرب المرء بقاء هذا المكان الخصب بدون إحياء .

وبعد أن بلغ أحد الإخوة موقع البركة أَخْبَرَ الباقين ، وكان بعضهم قد أعياه

اكثر المشي فاستظل تحت شجر السُدر ، إذ السيارة يصعب سيرها داخل الروضة لكثرة الأشجار ، ولوجود كثير من الآكام الصغيرة المتكونة من تراكم الطين حول جذوع تلك الأشجار .

فكان الاجتماع عند البركة . ثم أبصرنا على مقربة منها آثار الآبار ، ورأينا إبيلاً غير بعيدة عنا تبين لنا أنها مجتمعة على ماء يمتحه لها صاحبها من إحدى الآبار - آبار ينسوعة - .

ولما بلغناها بادر بعض الاخوة للشرب من الماء ، فناولهم الماتح الدلو . ولعلمهم أرادوا التأكد من وصف المتقدمين لماء ينسوعة بالعدوبة . وللاقتداء بفعل عالم جليل شرب من هذه الآبار ، ولكن هذا العالم في حالة أسر^(١) ، والأسير قد يستعذب ما ليس عذبا ! ولهذا بدا طعم ماء هذه البئر مقبولا ، مُستَسَاغاً في الشرب وإن لم يكن عذبا ، فهو - بتعبيرنا اليوم (دَبَّج^(٢)) . ويظهر أن طعم الماء تغير خلال هذه السنين الطويلة . أو أن الآبار العذبة الماء قد درست .

وبعد الاستراحة كان الاتجاه شرقاً . وبعد اجتياز حبال الدهنا ، كان الاتجاه إلى ذات العُشْر . ابتداء من أعلى وادي الباطن (فلَج قديما) ولتشعب الطرق في الرمال لم يكن سيرنا قصدا ، بل امتدّ شرقا بدون قصد منا ، ثم عدنا للاتجاه نحو الجنوب الغربي ، حتى خرج بنا الطريق على منهل الشُمَامِي (المجازة قديما) فجزناه ولم نقف ولم نَقِيل إلا في أمّ عشر - وهذه أمّ عشر الباطن - وهي (ذات العُشْر) قديما - وفيها مزارع ، وآثار عمران قديم ، وبيوت وسكان من قبيلة مُطَيِّر .

كان الحجاج قديما يقطعون ما بين المجازة (الشُمَامِي الآن) وبين ينسوعة (بركة الأجردي) من رمال الدهنا بأقل من مرحلة ، إذ المسافة بينهما تقارب ثلاثة عشر ميلا . فالمرحلة عندهم من ذات العشر إلى ينسوعة ، أما المجازة فكانت المتعشّى بعد رحيلهم من ذات العشر ، ومنها إلى ينسوعة نحو عشرة أميال .

(١) انظر ما سيأتي عن الأزهر في مقدمة كتاب « المنطقة الشرقية » أحد أجزاء « المعجم الجغرافي »

(٢) لعل هذا الوصف للماء مما فات علماء اللغة تدوينه فلم أره فيما اطلعت عليه من كتبهم .



صورة رقم (٤) عند إحدى آبار الينسوعة (بركة الأجردي)

ولكن السَّيْرَ فيها شاقٌ حيثُ تَعْظُمُ رمالُ الدهنِ ، فيصعبُ قطعها . وأهلُ السيارات
الآنُ يتحامونُ السَّيْرَ فيها ، فَيَسْكَبُونَها ذاتَ اليمينِ أو ذاتَ اليسارِ ، إلى الجوانبِ
التي يمكنُ اجتيازها .

كان المقيِلُ في بستانِ ، في أمِ عشرِ (ذاتِ العشرِ قديما) صاحبهُ مُطَيَّرِي
يُدعى الحُمَيْدَ أَنِيَّ ، والمسافةُ بينها وبينِ الثماميِ (المجازة) سبعةُ عشرِ كيلا .
ولم يَضُقْ صاحبُ البستانِ ذرْعاً بنا ، فقد تظللنا بشجرِ بستانه وانتفعنا بمائه ، وقابلنا
بمُحِيَّاتٍ طلقَ ، ورَحَّبَ بنا .

ويعتَلل صاحب كتاب « المناسك » الاسم قائلًا^(١) : سميت ذات العُشْرِ لأنها كانت منابت العُشْرِ ، وذكر أن فيها آبارا .

وقد شاهدنا آثار بناء قريب من مقلنا . على الجانب الشمالي للوادي . يظهر أنه من الحصون التي بُنِيَتْ لتكون مَقَرًّا لحراس منازل طرق الحج . وقد نقلت أحجاره لاستعمالها أثناء عمران القرية في هذا العهد ، ورأينا صخورا عظيمة بقرب موقعه عند مَبْرَئِنَة (محطة بنزين) بقربه .

وادي الباطن (فَلَج) قديما . يتضح مجراه من غرب منهل الثمامي غير بعيد ، حيث يبدو جانبا الوادي مرتفعين ، ومجراه غَوْرٌ منخفض انخفاضا عميقاً . وقم الوادي من أعلاه قد سَدَّتْهُ رمال الدهنا ، وحفَّتْ بجانبَي المَجْرَى جنوبا وشمالا ، منخفضة بانحدار الوادي إلى قرب (أمُّ عَشْر) حيث انقطعت الرمال . وبرزت جوانب الوادي مرتفعة ، ذات أرض صلبة .

ويظهر أن الوادي من أعلاه إلى قرب مفيضه كان في العهود القديمة مَمْلُوءًا بالآبار ، كما تدل على ذلك الآثار ونصوص المتقدمين .

وكان وادي الحَقْفَرِ هذا من منازل بني العنبر ، من بني تميم ، ويجاورهم بعض فروع من تميم من بني مازن وغيرهم . وكان الوادي يُسَمَّى (فَلَجًا) بالفاء مفتوحة واللام ساكنة وآخره جيم .

يقول الراجز :

إِنَّ بَنِي الْعَنْبَرِ أَحْمَرُوا فَلَجًا مَاءَ رُؤَاةٍ وَطَرِبِقًا نَهَجًا^(٢)

وكانت مياهه عَذْبَةً . قال أحد الشعراء :

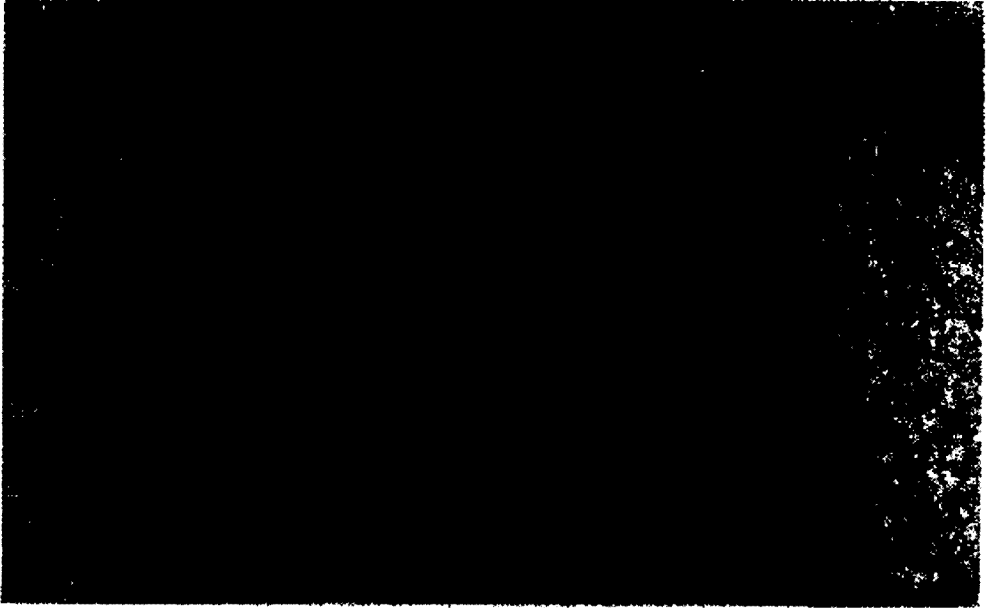
لَا شَرْبَةَ مِنْ مَاءِ مَزْنٍ عَلَى الظَّمَا حِدِيثَةٌ عَهْدٍ بِالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ

عَلَى رَضْفٍ مِنْ بَطْنِ فَلَجٍ كَأَنَّهَا إِذَا ذُقْتُمَا بَيُّوتَةَ مَاءِ سَكَّرِ

— لنُدع الحديث عن هذا الوادي في محله من « المعجم » ولنَسِرُّ على بركة الله

من ذات العُشْرِ —

(١) : ٥٨١ . (٢) ويروى : من يك ذا شك فهذا فلج ماء رواء وطريق نيج .



مراجعة وتقديم من

صورة رلم (ه) آثار بناء لديم في (ذات العشر) - أم العشر

بعد أن قطعنا نحو ٣٠ كيلاً قاربنا قريةً حديثة ، سيئة الاسم ، فاستحسن
الإخوةُ المبيتَ قبل بلوغها ، وتدعى (ذبحة) وتجاوزناها في الصباح ، وكناً مررنا
بعد مسيرنا من أم العُشر بروضتين واسعتين ، متجاورتين في بطن الوادي تدعيان
(القراين) وقد تحدثتُ عنهما في قسم (شمال المملكة) وظننتهما (الرقمتين)
اعتماداً على نصٍّ أوردتهُ هناك . غير أنني بعد مشاهدة هذه المواضع ، والمسير في
هذا الوادي ، بدّأ لي وللأخوين رأيٌ آخر . هو أن الرقمتين الواقعتين في هذا الوادي
هما أقرب إلى الحَقَر من روضتي (القرائن) ويدل على هذا نصٌّ أورده صاحب

« المناسك » (١) : (وكان في البطن من وراء ماوية عند التواء الوادي) - وذلك
الموضع يسمى العَوَصَاءِ لِأَلْتِوَائِهِ - الرقمتان ، وفلج يضيق في ذلك الموضع .
وهما قربتان على شفير الوادي من جانبيه ، والقُفُّ في ذلك الموضع مرتفع ، كانت
إحدهما بإزاء الأخرى ، وهي منزل مالك بن الرب (٢) . قال :

فَلَيْلَهُ دَرِيٌّ يَوْمَ أَتْرَكُ طَائِعاً بَنِيَّ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ وَمَالِيَا

ثم ذكر بعد ذلك الْمُتَعَشَّى لِلْمُتَّجِهِ مِنْ مَآوِيَةَ ، والمنزل الذي يلي ماوية ذات
العشر ، والقراين شرق ذات العشر بنحو ستة أكيال ، فهي بعيدة عن الموضع الذي
حدده صاحب « المناسك » للرقمتين .

بعد أن أقبلنا على قرية (أمَّ العَوَاقِيلِ) الواقعة غرب ماوية بنحو ثلاثة أكيال
شاهدنا روضتين واسعتين تتجاورتين على الجانب الشمالي من الوادي ، على مقربة
من التواءه وارتفاع جانبه ، وهو قفّ - أرض خشنة - لم يداخلنا شك في أنهما
الرقمتان ، وتعمان غرب (أم العواquil) التي هي ماوية في القديم . التي تبعد عن أم
عشر ٣٨ كيلا .

وقد حدد صاحب « المناسك » المسافة بينهما ٢٩ ميلا وهي تقارب التحديد الأول .

كان علينا أن نتحقق من انطباق موقع (أم العواquil) على موقع ماوية .

وماوية هذه من أشهر منازل طريق الحج البصرى ، بل من أشهر المناهل في
هذا الوادي (فلج) . نقل صاحب كتاب « المناسك » : كان من وراء الحفر
منازلُ للعرب قديمة ، في بطن فلج . مياهها عذبة ، وزعمت العرب أنهم لم يشربوا

(١) ص : ٥٨٠ .

(٢) مالك هذا من بني مازن وكان من مشاهير اللصوص في أول أمر ثم ترك ذلك وانضم إلى النزاة أثناء
الفتوحات الإسلامية في القرن الأول الهجري ، فلدغته حية وهو في بلاد فارس ببلدة (طيس) التي تحرف
في أخبار (إيران) هذه الأيام إلى (تاباس) فرثى نفسه بقصيدة من عيون الشعر أوردتها صاحب كتاب
« جمهرة أشعار العرب » كما أوردتها ياقوت مجزأة في « معجم البلدان » ولما كان هذا ترجمة في « الأغاني »
١٦٤/١٩ ط السامي .

أعذب من ماء ماوية ، غاباً في السقاء . وكان الحجاج^(٢) لما سار في طريق البصرة منصرفاً من الحج ، أمرَ بالمياهِ فَوُزِنَتْ ، فيما بين البصرة ومكة . فلم يجدْ أخفَ من ماء ماوية . انتهى .

لقد شاهدنا آثارَ عمّرانِ قديم ، من آبارِ دارسة ، وبركة واسعة ، رأينا بوسطها كِسْرَةَ حجرٍ من رخام بقيت بعض حروف كتابة فوقه بارزة ، وهذه البركة على شفير الوادي من الناحية الجنوبية .

ومن شاهد موقع (أمّ العواقل) وما حولها وقرأ ما ورد من النصوص القديمة عن (ماوية) يجزم بأن الاسمين يتطابقان على موضع واحد ، أي أن (أمّ العواقل) أحدثت مكان (ماوية) القديمة . مع ملاحظة اتساع موقع ماوية في القديم ، لكي يسع عشرات الآلاف من قوافل الحجاج ، في العهود القديمة .

فالبركة وآثار الآبار تقع شرقاً من القرية الحديثة (أمّ العواقل) بنحو ثلاثة أكيال . وهذه تقع في بطن الوادي وعلى ضفتيه ، وبشرها ارتوازية حديثة ، وماؤها ليس عذبا ، واسم القرية حديث ، والعواقل : العاقول ، وهو شُجَيْرَةٌ شَاكَّةٌ . يجود نباتها في التبعان ، فتكاثرت في روضة هنا عرفت بالاسم . ثم حفرت فيها آبار ، فأصبحت قرية .

والآن وقد انتهينا من مشاهدة المواضع الواردة في النصوص التي اطلعنا عليها في كتب المتقدمين ، مما هو واقع في بطن وادي فلج (الباطن) ولم يبق بيننا وبين بلدة (الحفر) ما هو جدير بالمشاهدة ، ومواصلة السير في بطن الوادي شاقة ، فلنعدل ذات اليمين لسلك الطريق المعبّد . الممتد من المطار العسكري الحديث إلى بلدة الحفر ، وفيها كان المقيّل .

(للحديث صلة)

حمد الجاسر

(١) : ٥٨٠ .

(٢) هو الحجاج بن يوسف الثقفي المعروف .

المنطقة الشرقية (البحرين قديماً)

[مقدمة كتاب « المنطقة الشرقية » أحد أجزاء « المعجم الجغرافي » الذي سيصدر قريباً]

لَنْ يَبْلُغَ الدَّرَجَةُ الكَمَالَ ، فِي أَيِّ عَمَلٍ مِنَ الأَعْمَالِ ، مَهْمَا بَلَغَ مِنَ القُوَّةِ .
عَقْلاً وَعِلْماً وَعَمَلًا ، والأَعْمَالُ — فِي هَذِهِ الحَيَاةِ — تَنْمُو وَتَقْوَى بِتَطَاوُرِ
العَامِلِينَ وَتَعَاوُنِهِمْ عَلَى كَثْرَةِ العَصُورِ ، وَلِهَذَا فَإِنَّ عَلَى المَرْءِ أَنْ يَعْمَلَ مَا فِي اسْتِطَاعَتِهِ
عَمَلَهُ ، وَأَنْ يَدْعَ لغيرِهِ مِنَ العَامِلِينَ أَسَاسًا لِدَلِكِ العَمَلِ ، وَأَنْ لَا يَتَّقَاعَسَ عَنِ فِعْلِ
مَا يَسْتَطِيعُ فِعْلَهُ فِي سَبِيلِ الخَيْرِ وَالنَّفْعِ العَامِّ ، عِنْدَمَا يَتَرَى عَدَمَ قُدْرَتِهِ عَلَى بَلُوغِ
الغَايَةِ ، فَالعَمَلُ النَافِعُ — مَهْمَا بَلَغَ — ذُو فَايِدَةٍ ، وَالعَامِلُ — وَإِنْ قَصُرَ — خَيْرٌ
مِمَّنْ لَا عَمَلَ لَهُ .

وعلى هذا سأحاول القيام بتأليف ما يتعلق بالمنطقة الشرقية من كتاب « المعجم
الجغرافي للبلاد العربية السعودية » — بعد أن أنهيت ما استطعت عمله مما يتعلق منه
بشمال المملكة .

ولقد عُنِيَتْ — منذ شهر رمضان سنة ١٣٥٨ — حين قدمت المرة الأولى إلى مدينة
الأحساء ، وأقيمت فيها أعمال في التعليم — بالبحث في تاريخ هذا الجزء الحبيب من
بلادنا ، وحاولت الكتابة فيه ، وأعددت بعض الأبحاث عنه ، مما نشر بعضه في
جريدة « أم القرى »^(١) وفي مجلة « المنهل »^(٢) .

ثم لما أَلَّفَ الشيخ محمد بن عبد القادر كتابه « تحفة المستفيد » بتاريخ الأحساء
في التقديم والجديد . . . رغب مني الإشراف على تصحيحه عند طبعه ، ولم يكتمف بذلك

(١) انظر عدد ٨٦٣ تاريخ ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٠ (٤ يوليو سنة ١٩٤١ م) .

(٢) انظر جزء رجب وشعبان سنة ١٣٦٠ (٥ يوليو أغسطس ١٩٤١ م) .

بل طلب أن أضيف إليه ما أراه ، فكان أن أدخَلْتُ في الجزء الأول من ذلك الكتابِ معلومات في صلبه وفي هوامشه ، وفي لواحقه . ومنها ما استقيته من مخطوطات لم يطلع عليها المؤلف وقد أُشْرْتُ في المقدمة إلى ذلك .

ثم علمت بأن الشيخ عبد الله بن سليمان المزروع - رحمه الله - وهو من قَوَيْتُ صِلتي به فترة من الزمن تقارب أربعين عاماً ، علمت بأنه يُعْنَى بتأليف كتاب عن تاريخ تلك البلاد ، فقدَّمْتُ له - بعد طلبٍ منه وإلحاحٍ في الطلب - ما كنت جمعته من المعلومات ، مما لم يسبق نشره ، وانصرفت عن الاهتمام بهذا الجانب من تاريخ بلادنا .

ولما فكَّرْتُ في تأليف « المعجم الجغرافي » قبل عشر سنوات ، دَعَوْتُ في مجلة « العرب » إلى الإسهام فيه وأوضَحْتُ أن الأمرَ يتطلب تظافر جهودٍ كثيرة من الباحثين من أبناء البلاد ، وأن يتولى الكتابة عن كل منطقة من مناطق المملكة من أبنائها ذوو الكفاءة والقدرة على الكتابة ذمهم أقدر من غيرهم كما قيل في المثل : (أَهْلُ شُعْبِي أَدْرِي بِشُعَابِيهَا) (١) .

وقد استجاب لتلك الدعوة نُخْبَةٌ طَيِّبَةٌ من أبناء البلاد ، وسارَ العمل في ذلك المعجم سيراً حَسَنًا ، وطُبِعَتْ بعض أجزائه .

وكان مِمَّنْ أظهرَ استجابته لتلك الدعوة الأستاذ عبد الرحمن بن عبد الكريم العُبَيْدُ ، فقد بعث إلى كتاباً مطولاً قال فيه (٢) : (تلقيت دعوتكم الكريمة منذ أكثر من عام على صفحات مجلة « العرب » لكتابة معجم جغرافي لبلادنا . أستاذي : إن الذي يشفع لي في تأخير المبادرة للكتابة إليك هو مشاغلي الخاصة من ناحية . بالإضافة إلى أنني فكرت في كتابة هذا المعجم منذ ثلاثة عشر عاماً .

(١) لعل هذا أصل المثل : (أهل مكة أدري بشعابها) .

(٢) انظره بنصه في مجلة « العرب » س ٧ ص ٦٦٨ - شهر محرم سنة ١٣٩٠ هـ .

في خلال الأشهر القليلة الماضية تمكنت من تنسيق المعجم الخاص بالمنطقة الشرقية . بحيث يشمل جميع المدن والقرى وحقول الزيت بما في ذلك المياه والجبال والأمكنة .

لا أدري هل تُفضّل نشر المعجم بصورة متسلسلة في المجلة أم تتركه لتفاجيء به القراء ضمن المجموعة؟! أما أنا فسيان عندي ، (والأمر في ذلك راجع لتقديركم) هذه جملة من ذلك الكتاب .

ولقد سرّرتُ حقاً باستجابة هذا الأئخ ، وأظهرت له - عندما جاء إلى بيروت - لطبع كتابه عن قبيلة « العوازم » الذي وضعت مقدمته - أني مستعد للقيام بمساعدته بما أملك في جميع النواحي . فأخبرني بأنه قد انتهى من التأليف . ولم يبق سوى إعادة النظر في بعض مواضع منه .

وقبل بضع سنوات ذهبت إلى الدمام ، فلما قابلته ، علمت منه أنه أكمل الكتاب وبعث به إلى الدكتور عبد الرحمن الأنصاري - عميد كلية الآداب في جامعة الرياض - ولكنني لم أرَ منه من الرغبة والاهتمام بالموضوع ما رأيته في أول الأمر ، والظاهر أنه شُغِلَ عن الكتاب بأمرٍ أخرى ، بعد ذلك بعثت إليه ثلاث رسائل ، لم أتلقَ جواب واحدة .

ولمّا قدمت بلدة الجُبَيْل - وهي مسقط رأس الأستاذ ابن عبّيد - في شهر ذي القعدة من عام ١٣٩٧ - عند افتتاح مصانعها ومشروعات تعميرها - حرصت على مقابلته عندما ذُكِرَ لي أنه من بين الحاضرين فلم أرَهُ ، فكان أن فكّرت منذ ذلك الوقت بالقيام بكتابة هذا القسم من « المعجم » وأنا واثق بأن الأمر يتطلب مزيداً من العناية ، فلا ما سأكتبه رلا ما كتبه الأستاذ ابن عبّيد ، مهما بلغا من الشمول والصحة ، بمُؤفِيسِنِ على الغاية ، ولا بمشارِقِينِ لها ، ، وما هما سوى لبِيسَتَيْنِ صغيرتين : يمكن وضعهما في أساس بناء صرح عظيم .

فهذه البلاد من أوسع أجزاء المملكة ، والحديث عن جغرافيتها لا يفي به كتاب

أو كتابان . بل يحتاج إلى مجلدات (١) . فضلاً عن كثرة المواضع من قرى ومياه قديمة ، كان العثور على حقول النفط فيها حدثاً عظيماً في تطوّر عمرائها . وكثرة ما أنشئ فيها من المدن والقرى ، وحقول النفط .

يُضَافُ إلى هذا أنَّ التَّشَارُكَ - في عملٍ ما - من الأسباب التي تعين على إتقان ذلك العمل .

من هنا بدأت في الكتابة بعد أن رَسَمْتُ الطريقة التي سأسير عليها . وهي التي سرت عليها فيما سبق أن كتبت من أجزاء هذا المعجم :

١ - مراجعة ما أستطيع مراجعته من المؤلفات القديمة والحديثة مما يتعلق بالموضوع .
لجمع المعلومات وتنسيقها وترتيبها .

٢ - الاطلاع على ما أمكن من الاطلاع عليه من تقارير وبيانات رسمية : حول أسماء المدن والقرى وموارد البادية .

٣ - القيام برحلات أزور فيها تلك المنطقة ، وأقوم بجولة في جهاتها لمشاهدة ما أحتاج إلى مشاهدته من الأماكن التي سيشملها الحديث في هذا الكتاب . لمحاولة الثبت من صحة ما جمعته من معلومات عنها .

٤ - والحديث في « المعجم الجغرافي » لا يقف عند حدٍّ وصف الأمكنة على ما هي عليه ، بل يتعدى ذلك إلى محاولة تحقيق المواضع القديمة ، الواردة في الأخبار أو الأشعار القديمة ، وربط الحاضر بالماضي كما وضحت ذلك في مقدمة (٢) المعجم .

وهذا ليس من الأمور اليسيرة ، أو التي يمكن لكاتب أو باحث أن يوفيقها حقها من البحث والتحقيق . فإذا كان أحد الشعراء القدامى ، ممن مضى لهم ما يبلغ ثلاث مئة وألف من السنين ذكر في شعره مواضع تزيد على الثمانين في هذه المنطقة وحدها . لا يتجاوز المعروف الآن منها عدد أصابع اليد ، والباقي على درجة من الغموض تتطلب

(١) قدر الأخ ابن عبيد ما كتبه من ١٥٠ إلى ٢٠٠ صفحة على أكثر تقدير .

(٢) ص ٦٠ .

دراسة وبحثاً جاداً ، لا في بطون الكتب وحدها بل في السير في مساحة من الأرض لا تقدر بمئات الأميال بل بألافها - تمتد من الدهناء غرباً حتى جزائر البحرين (أوائل قديماً) شرقاً ومن عمان جنوباً إلى مشارف البصرة شمالاً - أي ما يطلق عليه اسم (البحرين) قديماً ... إذا كان هذا بالنسبة لشاعر واحد عاش في غرب هذه المنطقة عيشة البداوة ، وهو ذوالرمة^(١) ، فأَيُّ جُهدٍ يتطلبه تحقيق مئات المواضع الأثرية الواردة في أشعار غيره كالفرزدق وجرير وغيرهما من شعراء تميم وعبد القيس وغيرهما من القبائل التي عاشت في هذه البلاد ؟ !

ولقد أقمْتُ في الأحساء مدرساً في مدرستها الأولى من شهر شوال سنة ١٣٥٨ حتى صفر سنة ١٣٥٩ وقويت صلاتي بعلماؤها وأدبائها ، ومنهم الشيخ محمد بن عبدالله آل عبد القادر ، مؤلف كتاب « تحفة المستفيد » والشيخ يوسف بن راشد آل مبارك وأخوه الأستاذ أحمد ، وكان شاعراً وكاتباً وغيرهم .

ثم عيَّنتُ في شهر ذي الحجة سنة ١٣٦٣ رئيساً لمراقبة التعليم في الظهران ، التي كانت تشرف على المدارس التي أنشأتها (شركة الزيت) وبقيتُ هناك حتى نُقِلْتُ إلى وظيفة مدير للتعليم في نجد سنة ١٣٦٨ وكنت في خلال تلك المدة كثير التنقل بين مُدُن المنطقة فعرفت كثيراً من الأدباء في القطيف كمخالد الفرج ، وعبد رب الرسول الجشي ومحمد سعيد الدُّسُلم وآل الخُشَيْري وغيرهم .

ثم لما بدَّأتُ في كتابة هذا القسم من المعجم قمت برحلة استغرقت نحو شهر قطعت خلالها بالسيارة ٤٢٣٤ كيلاً من الرياض حتى حدود العراق والكويت شمالاً وشرقاً ، ثم إلى حدود قطر جنوباً ورمال بيرين ، وتجولت في أغوار الأحساء^(٢) وأجوافها^(٣) وفي الصمَّان ، وشرق الدهناء ، وكانت الرحلة في أيام الصيف . اعتباراً من أول شهر جمادى الآخرة ١٣٩٨ .

(١) ورد في شعره من أسماء المواضع نحو ١٤٣ منها ٨٧ في البلاد التي عاش فيها أو بقربها و ٢٨ خارجة عنها وهي مشهورة و ٢٩ مواضع ليست في بلاده وليست مشهورة وإن كان بعضها معروفاً .
(٢) هي الأرض المنخفضة المعروفة باسم (النوار) .
(٣) الأجواف ما يعرف قديماً باسم الجوف و (دار) و (الستار) و (السودة) .

وقد حرصتُ في خلال هذه الرحلة أن أشاهد ما أستطيع مشاهدته من المواضع القديمة التي لا تزال معروفة بأسمائها مثل ثاج ونطاع وعيَنيّ متّاليع ومَعْقَلَة والنِقَار ، وصلّاصيل وغيرها ، مشاهدة تحدثت عنها عند ذكر هذه المواضع ، كما بذلت الجُهْدَ لمعرفة ما تغير اسمه من المواضع مثل طُوَيْلَع ، واليَنْسُوَعَة ، وماويّة والخَرْجَاء . وغيرها من الأسماء التي وردت في المؤلفات القديمة ، على قِلَّتِها ، وعدم العناية بضبط تحديدها . كما حرصت على تسجيل جميع ما استطعت معرفته من أسماء المواضع المعروفة من قرى وآبار وأودية وجبال وغيرها ، مع ضبطها وتحديد مواقعها .

لقد جمعت ما استطعت جمعه من المعلومات المتعلقة بالموضوع مما وقع تحت يدي من المؤلفات ، وحرصت على أن أريح القارئ من مطالعتها للبحث عن نصوص لها صلة بهذه البلاد ، ومن تلك الكتب :

- ١ - « معجم البلدان » لياقوت الحموي .
- ٢ - « معجم ما استعجم من أسماء المواضع » لأبي عبيد البكري الأندلسي .
- ٣ - « مختصر كتاب البلدان » لابن الفقيه الهمداني .
- ٤ - « صفة جزيرة العرب » للهمداني .
- ٥ - كتاب « المناسك » للحربي أو تلميذه القاضي وكيع (محمد بن خلف بن حيّان) .

٦ - كتاب « تهذيب اللغة » للأزهري .

ومن الكتب المخطوطة :

١ - كتاب « الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها المذكورة في الأخبار والأشعار » لأبي الفتح نصر بن عبد الرحمن الاسكندراني .

٢ - كتاب « الأماكن » للحازمي .

ومن دواوين الشعر :

١ - ديوان ذي الرُّمَّة - تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح - طبع (مجمع اللغة العربية بدمشق) .

٢ - ديوان جرير - شرح محمد بن حبيب . تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه - ص ١٢٦٦ طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١ من سلسلة (ذخائر العرب - ٤٣) .

٣ - ديوان الفرزدق بشرح الصاوي .

٤ - ديوان العجاج .

٥ - ديوان ابن مقرب الأحسائي ، في طبعته الهندية الأولى سنة ١٣٠٩ هـ وغيرها . وَعَوَّلْتُ - في أسماء القرى والبلدان والمياه في العصر الحاضر على مصادر (رسمية) هي : -

١ - كتاب « حصر المباني والسكان » وضع مصلحة الإحصاءات العامة بوزارة المالية والاقتصاد الوطني - المملكة العربية السعودية - البيانات الأولية - سنة ١٣٨٣ (١٩٦٣ م) .

٢ - دليل مسميات المدن والقرى والهجر ، بالمملكة العربية السعودية من عمل مصلحة الإحصاءات العامة في وزارة المالية - جمادى الأولى سنة ١٣٩٠ .

٣ - « دليل القرى والقبائل في المملكة » عمل وزارة الداخلية سنة ١٣٩٤ .

٤ - بيان إحصائي بسكان المنطقة الشرقية .

قدم لي نسخة منه الاستاذ محمد الهلالي المدير العام للأمن في المنطقة .

٥ - « دليل الخليج »^(١) الذي نقل إلى العربية من اللغة الإنجليزية من قبل (مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر) وطبعته حكومة قطر في ١٤ جزءاً وهو قسمان : قسم تاريخي وقسم جغرافي .

(١) اسمه : Gazetteer Of The Persian Gulf, Oman And Central Arabia :
J. G. Lorimer. C. I. E. ومؤلفه : ج . ج . لوريمر

وقد طالعت القسم الجغرافي - ويقع في سبعة أجزاء - ويحوي معلومات واسعة عن هذه المنطقة وغيرها من مناطق الجزيرة .

ولكن الترجمة العربية سيئة بدرجة تحمل على عدم الوثوق بها ، وخاصة في تحريف الأسماء .

ومع ذلك نقلت جُلَّ ما فيه من معلومات عن تلك الترجمة (١) .

كما طالعت كتاب « تحفة المستفيد ، في تاريخ الأحساء في القديم والحديث » تأليف الشيخ محمد بن عبد القادر - رحمه الله - .

وكان الدكتور جورج رنس رئيس قسم البحث والترجمة والنشر في (شركة الزيت العربية الأمريكية) جمع أبحاثاً تتعلق ببعض قبائل المنطقة الشرقية ، وبعض مناطقها الجنوبية في كتاب لم يطبع دعاه : « المناطق الشرقية من مقاطعة الحساء » . وقد رجعت إليه .

ورجعت إلى مصورات جغرافية (خرائط) نشرتها (المديرية العامة لشئون الزيت والمعادن) في وزارة المالية والاقتصاد الوطني . تحت عنوان (أبحاث جيولوجية مختلفة) طبعت سنة ١٩٥٨ م في واشنطن -

فاقتبست من الخرائط الجغرافية الموضوعة لهذه المنطقة (٢) .

ومما تجب ملاحظته وقوع تحريف في الأسماء في تلك المصورات غير أن الذي يشفع في الاقتباس منها أنها تتعلق بمنطقة عرفها الذين رسموا تلك الخرائط معرفة مشاهدة أكثر من معرفتهم غيرها من الجهات الأخرى ، وأن كثيراً من المياه والمواقع لم أجد لها مصدراً غير هذه الخرائط .

- واطلعت على بيان موجز عنوانه : (أسماء أمكنة عربية) Names Arabian Places

باللغتين العربية والإنجليزية ، يقع في نحو ٢٨ ورقة ، ويحوي نحو ٥٠٠ اسم من

(١) مع الإشارة إلى الأسماء التي لم تتحقق من صحتها بلامه الاستفهام (؟) .

(٢) أرقامها (٢٠٣ / ٢٠٧ / ٢٠٨ / ٢٠٩ / ٢١٣ / ٢١٤) .

أسماء المدن والقرى والمواضع . في جميع أنحاء المملكة . من وضع (شركة الزيت العربية الأمريكية) لاستفادة موظفيها وعمَّالها .

- واطلعت على أوراق عنوانها : -

(بيانات تشمل جميع المواقع الجغرافية الهامة ، من مدُنٍ وقُرَى وهُجْرٍ مهجورة ، بمنطقة الأحساء - إعداد مكتب الرئاسة العامة لرعاية الشباب في الأحساء) .

ولقد حرصت على إيراد كل ما وقع عليه نظري في تلك الكتب من أسماء المواضع الواقعة في هذه المنطقة ، بل ذكرت بعض المواضع التي ذكر المتقدمون أنها في بلاد البحرين ، والمواضع التي ذكروها بقرب البحرين أو بين البحرين وبين غيرها من الجهات ، فقد تكون داخلية ضمن ما أتحدث عنه وقد أردت بهذا التقريب لِمَنْ يُعنى بعدي بالدراسة والتعمق في الاستقصاء . بل قد أورد من أسماء المواضع ما أراه خطأً للتنبيه على هذا الخطأ .

وبالاجمال فقد حاولت أن أقدم للقارئ خلاصة ما في تلك الكتب التي طالعناها لأوفر من جهدهِ وأقدم له ما يستعين به على مواصلة البحث والدراسة ، ووضعت أمامه طائفة كبيرة من أسماء المواضع ، لم أهتم إلى معرفة مواقعها في هذه المنطقة ، مع محاولة التوفيق بين متضارب النصوص ، وتطبيق كثير منها على مواضع لا تزال معروفة ، وأوردت نصوصاً لم أجد المواضع المذكورة فيها تحديداً تاماً . بل اكتفيت بذكر الجهة التي ترجح عندي وقوعه فيها ، بمعنى أنني حصرت في جهة معروفة وأرحت الباحث من أمثال : (بين البصرة ومكة) أو (بين اليمامة والبحرين) .

ونظراً لأن هذا الكتاب يعتبر قسماً من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » فقد استطردت عند ذكر بعض المواضع ، فذكرت بعض ما يماثلها في الاسم مما هو خارج عن هذه المنطقة ، خشية أن يكون فات ذكره من عني بالكتابة عن المنطقة التي هو فيها .

كما ذكرت مواضع قريبة من المنطقة ، وإن لم تكن معدودة فيها لذلك السبب ، فقد أورد أسماء مواضع في الدهناء وبقربها ، لارتباط ذكرها بمواضع تحدثت عنها .

ويلاحظ أنني لم أعن بوصف المُدُن والقُرَى ، إذ الحركة العمرانية على درجة من القوة لا يتمكن الكاتب من مجاراتها فما أصفه اليوم أجده متغيراً بعد زمن قصير .

ومن المعروف أن هذه المنطقة تسمى قديماً (البَحْرَيْن) فتقلص هذا الاسم حتى انحصر في جزيرتين من جزرها هما (المتامة) و (المُحرَّق) وكانا يسميان (أوال) . وقد رأيت الابقاء على اسم (البحرين) إذ هو الاسم الذي تعرف به هذه البلاد في المؤلفات القديمة ، الممتدة من قرب البصرة حتى أطراف عُمان الشمالية الغربية ، فدخل فيها منطقتا (قطر) و (الكويت) .

وقد حرصت على ذكر جميع المواضع التي عدّها المتقدمون من بلاد البحرين وإن كانت في إحدى منطقتي قطر أو الكويت مثل (أواره) المعروف الآن باسم (وارة)^(١) ولكنني لم أتطرق لذكر المواضع الحديثة في المنطقتين المذكورتين ، إذ الغاية مما ذكرت محاولة معرفة ما ورد في النصوص القديمة من المواضع ، لا حصر جميع أسماء المواضع مما هو خارج عن مسمى هذا المعجم .

ومن يدري ؟ ! فقد يتصدى أحد الباحثين من أهل المنطقتين المذكورتين لتأليف معجم جغرافي عنهما ، فيتكامل ليكل هذه البلاد معجم جغرافي شامل .

إنّ دراسة النصوص العربية القديمة من أخبار وأشعار لا تتم بدون معرفة مواقع المواضع المذكورة فيها ، وهذا لا يتم ما لم يتصد العلماء لتأليف معجم جغرافي عربي يحوي كل أسماء تلك المواضع محدّدة ، مذكورة كل النصوص المتعلقة بها . ولا يقتصر هذا على قطر من الأقطار العربية ، بل يشمل جميع تلك الأقطار ، وجزيرة العرب - وإن كانت مهد مشاهير الشعراء في العصور القديمة ، وفيها نشأ العرب ، ومنها امتد الإسلام فحفلت جميع أجزائها بحوادث وأخبار قام عليها أساس

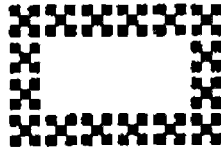
(١) وكذا رقاد - الذي ينسب إليه حقل النفط في الكويت .

تاريخ الأمة العربية ، فكانت بهذا أولى الأقطار العربية بالدراسة ، إلا أن دراستها وحدها لا تكمل إلا بدراسة الأقطار المجاورة لها ، والجهات التي انساح إليها العرب ، واستقروا بها من جرّاء هجراتهم المتتابعة منذ عصورهم القديمة .

وَتَحَدُّ مَثَلًا : تلك القبائل التي استقرت في العراق أو الشام ممن لا تزال جذورها وأصولها في الجزيرة - إذا عمدت إلى دراسة شعر أحد شعرائها كالفرزدق ، أو الأخطل أو عدي بن الرقاع العاملي أو غيرهم فإنك لن تستطيع تحديد كل ما ذكر في شعر أحدهم من المواضع ، ما لم تكن عارفاً بمواطن تلك القبائل المتصلة بالعراق أو بالشام من أطراف الجزيرة . ومعرفة ذلك لا تتم إلا بقيام باحثين متخصصين بالدراسات الجغرافية من أهل الجهات التي تحتاج إلى دراسة بتأليف معاجم جغرافية عنها .

وَأَعْيِدُ الْقَوْلَ بِأَنَّ هذا الكتاب ما هو سوى محاولة أولي لتحديد المواضع الجغرافية المعروفة ، مع الاستئارة بما ورد في المؤلفات القديمة مما يتعلق بالموضوع .

وهناك مواضع كثيرة بحاجة إلى دراسة أوفى وأعمق مما جاء في هذا الكتاب ، ومواضع أخرى لم يتعرض لتحديدها ، وخاصة ما يتصل بصحارى الجافورة وببَيْنُونَةَ وكل منطقة الرُّبْع الخالي مما يقع جنوب واحة يبرين ، وجنوب شبه جزيرة قطر ، مما هو معدود من (المنطقة الشرقية) التي خصّص هذا الكتاب للحديث عنها .



هذه البلاد في المؤلفات التاريخية

لا نُكثِرُ أنْ لِمَا لمتقدمى العلماء من عناية بتدوين ما عرفوه من المعلومات المتعلقة بهذه البلاد ، في مختلف جوانب الحياة فيها ، إلا أنها معلومات على جانب من الإيجاز والقلة .

لا يجد الباحث منها سوى نُتف مقتصبة مفرقة في المؤلفات القديمة من حيث تحديد المواضع ، تنحصر بما في المؤلفات والمعجمات المعروفة ، وهي معلومات يمكن إرجاع كثير منها إلى شعراء عاشوا في نواحي المنطقة أو وفدوا عليها ، وإلى علماء تطرقوا للحديث عن بعض مواضعها عَرَضاً ومن أبرز هؤلاء :

١ - الحفصيُّ اليمامي ، وهو محمد بن إدريس بن أبي حفصة^(١) ، من أهل القرن الثالث الهجري ذكره المرزباني في « معجم الشعراء » والصفديُّ في « الوافي بالوفيات » ونقل عنه صاحب « الأغاني » .

وآل أبي حفصة استوطنوا اليمامة منذ القرن الأول الهجري في عهد عبد الملك بن مروان ، وعرفوا فيها إلى القرن الرابع ، ولهذا عُنِيَ ابن أبي حفصة هذا بهذه البلاد .

فقد ذكر ياقوت في « معجم البلدان » وفي « المشترك » أن الحفصيَّ أَلَّفَ كتاباً عن اليمامة . ونقل عن هذا الكتاب نصوصاً كثيرة ، ويظهر أنه تحدث عما حولها ، ولهذا فقد نقل ياقوت عنه معلومات موجزة عن بعض المواضع الواقعة في منطقة البحرين مثل : البحرين ، الحنبلي ، سويقة ، الصَّمْبَان ، سمس ، السُّودة ، طُوْبَلَع . عينين ، القارة ، القطيف ، المعاء ، المعرفة ، المقاد ، ملج ، نطاع ، والنغ ، وغيرها كما

(١) انظر بحثاً عن الحفصيين في مجلة « العرب » س ١ ص ٧٧٩ .

تحدث عن طرق اليمامة إلى البلاد المجاورة لها كطريقها إلى مكة (١) :

وطريق اليمامة إلى هجر (٢) .

وطريق اليمامة إلى البصرة (٣) .

أما اسم كتاب ابن أبي حفصة فقد جاء في كتاب « المشترك وضعا ، المختلف صقعا » لياقوت ما نصه : (ذو مرخ : قال الحفصي في كتاب « اليمامة » : الخارجة قرية لبني يربوع ، وفيها يَمْرُؤُ ذُو مَرَّخ - ثم أورد قول الحطيئة فيه .

على أنه قال في مقدمة « معجم البلدان » عند ذكر ابن أبي حفصة : (وقفت له على كتاب سماه « مناهل العرب » وذكر في رسم (روضة القطا) اسمه « مناهل اليمامة » .

فأنت ترى أن ياقوتا سمي الكتاب ثلاثة أسماء ، وأراها لِمُسَمَّى واحد .

العالم الثاني : الأزهري (٢٧٢ - ٨٣٧٠) العالم اللغوي مؤلف كتاب « التهذيب » الذي طبع حديثاً في مجلدات ، وليس منسوباً إلى الجامع الأزهر ، بل إلى أحد أجداده فهو أبو منصور محمد بن أحمد بن طلحة ابن نوح بن الأزهر الأزهري الهروي الشافعي المولود سنة ٢٨٢ (١) . لقد جاء هذا العالم من أقصى الشرق من بلاده هراة في خراسان حاجاً سنة ٣١١ إبان استيلاء شرّ القرامطة الذين نهبوا الحجاج ، فوقع هذا العالم في أسرهم - وكما قيل : (رَبِّ ضَارَّةٌ نَافِعَةٌ) . قال : (وكنت امتحننت بالإسار سنة عارضت القرامطة الحاج بالهبير (٥) ، وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عرباً ، عامتهم من هوازن ، واختلط بهم أصرام من تميم وأسد ، بالهبير ، نشؤوا في البادية ، يتتبعون مساقط الغيث أيام الشُّجَع ، ويرجعون إلى

(١) انظر « معجم البلدان » : الخنظلة - قرما .

(٢) انظر « معجم البلدان » : الوحيد ، المما .

(٣) انظر « معجم البلدان » : الخربة روض القطا .

(٤) مقدمة كتابه « التهذيب » : ٧ / ١ .

(٥) انظر تحديد موقع الهبير في (قسم شمال المملكة) من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السودية » .

أعداد المياه ، ويرعون النعم ، ويعيشون بالبانها ، ويتكلمون بطبايعهم البدوية وقرائحهم التي اعتادوها ، ولا يكاد يقع في منطقتهم لَحْنٌ ، أو خطأ فاحش ، فبقيت في إسهامهم دَهْرًا طويلًا وَكُنَّا نَشْتَتِي الدهناء ، ونتربّع الصَّمَانَ ، وننتقيظ السَّارِيْنَ ، واستفدت من مخاطبتهم ومحاوره بعضهم ألفاظًا جَمَّةً ، ونوادير كثيرة ، أوقعت أكثرها في مواقعها من الكتاب . انتهى .

ويظهر أن الأزهرى مكث مع القرامطة ما يقارب ستين من الزمان فقد نصَّ في كتابه « التهذيب » (١) على أنه أقام في الصَّمَانِ شتوتين .
وأنه أقام في بيضاء بني جذيمة قَبِيْظَةً مع القرامطة (٢) .

وذكر أن الأسباب التي دعت إلى تأليف كتابه « تهذيب اللغة » (٣) ثلاثة ، عدَّ منها تَقْيِيْدَ نَكْتِ حَقْظِهَا ووعاها عن أفواه العرب الذين شاهدتهم ، وأقام بين ظهرانيهم سُنِيَّاتٍ .

ويظهر أن الأزهرى لَمْ يَدْوْنْ في كتابه « تهذيب اللغة » كل ما عرفه عن هذه البلاد ، وإنما ذكر فيه ما له صلة باللغة ، ولهذا لا نجد في كتابه توضيحاً لمعنى اسم (القرامطة) الذي اختلف المتقدمون في سبب إطلاقه على تلك الطائفة ، مع أنه أورد كلمة (قرمط) وأوضح معناها اللغوي (٤) .

ومع ذلك ففي كتابه معلومات قيمة ، لا في تحديد مواضع في هذه البلاد تحديداً لا يوجد في كتاب غيره أو عمن نقل عنه ، فالباحث لا يعدم في كتاب الأزهرى معلومات وإن كانت ناقصة ، ولمخاتٍ موجزة ، عن مختلف مظاهر الحياة في هذه المنطقة .

(١) ٣ / ٣٤ ومن الطريف أنه يفرق بين شتونا وشتينا ففي التهذيب : ٣٩٧ / ١١ :
(ويقال شتونا بالصمان أي أتنا في الشتاء ، وشتينا الصمان أي رعيناها في الشتاء ، وهذه مشتاتنا ومصايفنا ومرابنا ، أي منازلنا في الشتاء والصيف والربيع) .

(٢) ٨٨ / ١٢ .

(٣) « التهذيب » : ٦ / ١ .

(٤) « التهذيب » : ٤٠٨ / ٩ .

فيجد الأزهرى يشير إلى وجود بعض القبائل التي خالطت سكانها المعروفين كعبد القيس وبنو نعيم ، فهو يكثر النقل عن أناس من بني عقيم من بني مُضَرَسٍ منهم ، وعن رواية من بني كلاب ، مما يدل على قدم تغلغل هؤلاء في هذه البلاد .

وهو يقيّد بعض اللهجات التي لا تزال مستعملة في هذه المنطقة مثل السّخّين التي هي المسنّحة ، فينصّ على أنها من لغة بني سعد ، والكتّار عند بني عبد القيس ، وهو النّبئ^(١) .

بل قد يصحح بعض أغلاط اللغويين . فيقول :

قال الليث : الكشْمَخةُ بقلة تكون في رمال بني سعد ، طيبةٌ رخصّةٌ .

قلت : قد أقمت في رمال بني سعد دَهْرًا ، فما رأيتُ بها كَشْمَخَةً ، ولا سمعتُ بها . وأحسبُها نبطيةً وما أراها عربية . انتهى^(٢) .

ويصف أنواع النَّبَاتِ وصف العليم عن مشاهدة ومعرفة .

قال في « التهذيب » : قال الليث : الطرثوث نبات كالقنطريون مستطيل دقيق يضرب إلى الحمرة يبيّس وهو دباغ للمعدة ، منه مرٌّ ، ومنه حلو ، يجعل في الأدوية .

قلت : رأيت الطرثوث الذي وصفه الليث في البادية وأكلت منه ، وهو كما وصفه ، وليس بالطرثوث الحامض الذي يكون في جبال خراسان لأن الطرثوث الذي عندنا له ورق عريض ، منبتهُ الجبال ، وطرثوث البادية لا ورق له ولا ثمر ، ومنبتهُ الرّمال وسهولة الأرض ، وفيه حلاوة مُشْرَبَةٌ عفوصة ، وهو أحمر مستدير الرأس كأنه ثومة ذكر الرجل .

والعرب تقول : طرائث لا أرطى لها وذآنين لا رمث لها ، لأنهما لا ينبتان

(١) وفي الأحساء نوع من النبق لا توى له ، ولهذا فلا غرابة أن يكون من بين الهدايا التي تجلب إلى البصرة انظر « الأغاني » : ١٣ / ٢٥٠ ط : (دار الكتب) .

(٢) « تهذيب اللغة » : ٧ / ٦٣٥ .

إلا معهما ، يضربان مثلاً للذي يُسْتَأْصَلُ فلا تبقى له بقية بعد ما كان له أصل
وقدّرُ ومال .

وأنشد الأصمعي :

فَأَلْطَيْبَانِ بِهَا الطَّرِثُوثُ وَالضَّرْبُ^(١)

انتهى .

كما يصف السَّحَّالِي والحشرات عن خبرة ومعرفة ، ولا يكتفي بما يذكره من
تقدمه من اللغويين . فيقول^(٢) - مثلاً : قال الليث : الورل شيء على خلقة
الضَّبِّ إلا أنه أعظم منه ، يكون في الرمال والصحارى ، والجمع : الوُرْلَانُ ؛
والعدد : أورال . قلتُ : الورل سَبِطُ الخَلْقِ طويل الذنب ، كأن ذنبه ذئب
حية . ورُبَّ وِرْلٍ يُرْبِي طوله على ذراعين وأما ذنب الضَّبِّ فهو ذو عقْدٍ ،
وأطول ما يكون قدر شِيسِر . والعرب تستخبث الورل وتستذره ، فلا تأكله .

والضَّبُّ أحرش الذئب خشنه مُفَقَّرُهُ ، ولونه إلى الصُّحْمَةِ ، وهي غبيرة
مُشْرَبَةٌ سواداً ، وإذا سمن اصْفَرَّ صدره ولا يأكل إلا الجنادب والدَّبَّاءَ ، والعُشْبَ
ولا يأكل الهوام . وأما الوِرْلُ فإنه يأكل العقارب والحياتِ والحرايبي والخنافس ؛
ولحمه دِرْيَاقٌ ، والنساء يتسمنن بِلَحْمِهِ .

ويورد - عن الوِرْل - جملة لا يزال أهلُ البادية يُعَايُونَ بها من حيث
الإسراع في النطق مع إخراج الحروف واضحة ، إنهم يطلبون منك أن تقول بِسْرُوعَةَ
كما يقولون : (الوِرْرُ^(٣) يُمَرْمِرُ المَرَوَةَ ، والمَرَوَةُ تمرٌ مِرِّ الورد) . ولكن
الأزهري يقول سمعت أعرابياً يقول في كلام لهم : وِرْلٌ وِرْلٌ^(٤) يُمَرْمِرُ
مَرَوَةَ وَيَلْوُكُهَا . انتهى .

(١) ٢١٢ / ١٣

(٢) ٢٢٣ / ١٥

(٣) العامة يبدلون اللام راء في كلمة الورل .

(٤) ٢٠٠ / ١٥ في المطبوع : (وذل وذل) خطأ .

وبالإجمال فإن كتاب « تهذيب اللغة » للأزهري ذخيرة من أنفس الذخائر
لدارسي اللغة ، ولبعض الباحثين في أحوال هذه المنطقة بصفة عامة .

وتجدر الإشارة إلى أن كثيراً من المواضيع القديمة في هذه البلاد لم أرها ذكراً في
ذلك الكتاب ، كما أن تحديد الأزهري للمواضع الخارجة عن هذه المنطقة لا يصح
الاعتماد عليه ، لإيجازه ولوقوع التصحيف في كثير من الأسماء التي يوردها ، إذ هو
ينقلها عن مؤلفات غير متقنة . بل ليس من المبالغة القول بأن الأزهري إذا خرج عن
هذه البلاد لا يبصير موضوعاً قدّمه .

وقد نقل ياقوت في « معجم البلدان » والحازمي في كتابه « الأماكن » وكذا
الطغائني في كتاب « التكملة » جُلِّ ماورد في كتاب الأزهري في تحديد المواضع .
وقد لاحظتُ اختلافاً يسيراً بين ما نقلوا وما في الكتاب ، أشرت إليه في مواضعه .
وأعود للقول بأن النصوص الواردة عن الحفصي والأزهري تعتبر الأساس
لتحديد كثير من المواضيع في هذه المنطقة .

بمناويزة المعارف السنية
لإياد و مرزا اطلاع
الكتاب

وما عدا ما ورد عن هذين العالمين فمعلومات مبشرة في معجمات الأمكنة ،
وبعض الرحلات وفي الكتب المؤلفة عن « الممالك والمسالك » وأخبار عن سكان هذه
المنطقة قبل الإسلام وإبان ظهوره - وفي زمن قصير بعد ذلك - في الكتب التاريخية
المطولة المعروفة .

إلا أن في الشعر العربي القديم من أسماء المواضع ، وفي شروح ذلك الشعر
ما يعتبر مصدراً هاماً من مصادر الدراسات الجغرافية لاهذه المنطقة وحدها ، بل
لجميع مناطق الجزيرة .



موقف الباحث في المصادر القديمة

وأكرر الإشارة إلى أن الباحث في المصادر القديمة من تاريخ هذه المنطقة وجغرافيتها - مع شهرتها - يعترضه كثير من المشكلات ؛ منها :

١ - أن تحديد الموضع أيّاً كان - بأنه من بلاد البحرين ، أو في البحرين ، أو نحوهما من عبارات المتقدمين ليس كافياً ولا مؤصلاً للغاية التي هي معرفة موقعه على وجه التحديد ، فالمنطقة طويلة عريضة ومعالمها القديمة تغيرت ، وجهلت أكثر الأسماء القديمة .

٢ - أن هناك من أسماء المواضع التي وردت في كتب المتقدمين ما لم تُبيّن جهته ، ومهمة الباحث المدقق إيضاح تلك الجهة متى استطاع إلى ذلك سبيلاً .

وقل لي بربّك - أيها القارئ الكريم - كيف تستطيع تحديد موقع هذا الجبل الذي قال عنه ياقوت - رحمه الله تعالى - في « معجم البلدان » : تَلَيْلٌ - تصغير التلّ - جبل بين مكة والبحرين . عن نصر ، وهو يقصد نصر بن عبد الرحمن الاسكندراني صاحب كتاب « الأمكنة والمياه والجبال والآثار » . وياقوت نقل عبارة نصر بنصّها ، كما وردت في كتابه ^(١) . ومثل هذا قوطم : شُرَيْب بلد بين مكة - حرسها الله - وبين البحرين ^(٢) .

(١) الورقة ٣٣ مخطوطة المتحف البريطاني ، قال : باب تليل وليل ، أما بضم التاء وفتح اللام جبل بين مكة والبحرين . وأما بياءين مفتوحين ، بينهما لام ساكنة - وادى الصفراء بين مكة والمدينة . انتهى . وجاء الحازمي - الذي اتخذ كتاب نصر مصدراً له نقل جبل ما فيه إن لم يكن كله ولكنه بعد أن أوفى الكلام على ليليل أورد عن تليل ما نصه : (بضم الياء ؟) تحبها نقطتان ثم بعدها لام مفتوحة وأما الثالث - ليليل - بالياء الموحدة المضمومة بعدها لام مفتوحة ثم ياء ساكنة : شريفة صفيين في الشعر) انتهى بنصه الورقة ١٩٨ مخطوطة لاله لى .

(٢) « التكملة » الصغاني : ١ / ١٦٨ .

وقولهم : الصعاب : جبل بين اليمامة والبحرين (١) .

٣ - ان التحريف والتصحيف في الأسماء دأعان قديمان في المخطوطات القديمة ، منذ مصادرها الأولى . ولهذا فإن ورود الاسم في أحد المؤلفات ليس كافياً للحكم بصحته ، ما لم تتوافر النصوص على صحة ضبطه ، وما ليس كذلك فعلى الباحث تصريف الاسم على عدة وجوه حتى يهتدي إلى الوجه الذي يراه قريباً من الصواب . فإذا كان اسم (النبير) الجبل المشهور في عالية نجد ، الوارد في كثير من الأشعار والأخبار يرد في كتاب أحد أئمة الأدب واللغة هو كتاب « الأمالي » للقالبي بصور مختلفة متعددة ، ومن تلك الصور : (النير) و (الثبر) و (البتر) في رواية البيت المشهور :

وَسَمِئْتُ الْبَارِقَاتِ فَحَمَلْتُ : جِيَدَتُ جِبَالُ النَّبِيرِ أَوْ مُطِيرَ الْقَلْبِيِّبِ (٢)

ثم يأتي عالم من أشهر علماء الجغرافية ليصحح أوهام القاليء فيقرر في اسم هذا الجبل صورة أبعد ما تكون عن الصواب (٢) . فكيف بكثير من أسماء المواضع التي لا شهرة لها ، ولم يتكرر ذكرها في المؤلفات القديمة مما سير بالقرىء من أسماء مواضع هذه البلاد ؟ !

٤ - متى صحَّ الاسم واتَّضَحَ وَقُوعُهُ في المنطقة التي يتعلق البحث بها فمن الصعب تطبيق كل النصوص التي يوردها المتقدمون عن ذلك الموضع عليه ، إنهم كثيراً ما يوردون أقوالاً متضاربة ، وهذا ناشيء عن كون الاسم الواحد قد يطلق على عدد من المسميات مثل (متالع) فهو يطلق على جبال أشهرها واقع شمال حيمى ضريبة بمنطقة القصيم يعرف الآن باسم (أم سنون) وآخر غرب جبال أجا ، بمنطقة حايل ، لا يزال معروفاً ، وثالث في المنطقة الشرقية ، وهو معروف أيضاً . ومثل (قوّ) فهناك واد يقع بين خيبر وبين تيماء لا يزال معروفاً ، وقوّ أيضاً في شرق

(١) « التكملة » لمصناني : ١ : ١٨١ .

(٢) هو أبو عبيد البكري مؤلف كتاب « التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه » وصاحب « معجم ما استعجم من أسماء المواضع » .

القصيم على طريق الحج البصري غرب النباج ، وقوْثالث يضاف إليه اسم (الفروق)
فيقال فروق قوْ وهذا في المنطقة الشرقية .

ومثل (النَّبَاج) فهناك تَيْتَلُ والنَّبَاج ، وهذا نباج بني سعد ، في المنطقة الشرقية
وهو أحد القريتين (قرية العليا) و (قرية السفلى) المعروفتين الآن . والنَّبَاجُ في شرقي
القصيم ويعرف الآن باسم (الأسياح) والنَّبَاجُ الثالث من مناهل وادي السَّرْحَانَ
المعروفة .

والأسماء التي من هذا القبيل كثيرة ، فكيف يُسْتَطَاع تطبيق وَصْف ماوردَ
عن المتقدمين عن مكان على موضعه الحقيقي ؟ وهم غالباً يوردون الأوصاف بدون
تمييز .

كان بعض العلماء يَتَّخِذُ من ورود الاسم في شعر شاعر من قبيلة ما دَلِيلًا
على وقوع ذلك الموضع المسمَّى في بلاد قبيلة الشاعر ، ولكن هذا لا يصحُّ دائماً ،
فكثيراً ما يرد اسم الموضع في شعر أحد الشعراء وذلك الموضع بعيد عن بلاد قوم ذلك
الشاعر ، وأمثلة ذلك في كتب المتقدمين لا تحصى .

وبعضهم يجعل من ورود الاسم مقروناً باسم موضع آخر قربه من هذا الموضع ،
ولكن هذا لا يصدق على جميع أسماء المواضع ، فقد يقرن الشاعر اسْمِي مَوْضِعَيْنِ
وهما متباعدان أشدَّ التباعد .

وينبغي أن يدرك الباحث أن العلماء الذين أَلْفَوْا معاجم الأمكنة ، فاتتهم أسماء
مواضع كثيرة ، مع شدة عنايتهم وحرصهم على تسجيل كل ما يطلعون على ذكره في
الكتب التي وقعت لهم ، فرجعوا إلى دواوين الشعر وإلى كتب التاريخ ، وإلى معاجم
اللغة ، وإلى غيرها من الكتب ، ولكن من المعروف أن طاقة المرء محدودة ، وأن
أسماء المواضع الواردة في الأخبار والأشعار القديمة من الكثيرة بالدرجة التي لا يمكن
المرء - مهما بلغ من القدرة - من حصرها .

وخذُ مثلاً على ذلك : لقد حرص ياقوت على أن يُدَوِّنَ في كتابه معجم

البلدان» من أسماء المواضع أوفى عددٍ وصل إلينا مُدَوَّنًا في كتاب وكان مما رجع إليه كتاب «التكملة» للصغاني . ومع ذلك فقد عثرت أثناء مطالعتي أجزاء من هذا الكتاب على أسماء مواضع كثيرة ، ذكرها الصغاني في كتابه ، ولم أرها في كتاب «معجم البلدان» ومنها – على سبيل المثال لا الحصر – : بَيْسَانُ : الوادي الواقع قرب الطائف المشهور بالحنطة الجيدة ، وهو لا يزال معروفًا .

حَسُومَةٌ : ذكره الصغاني ولم يحدده وهو جبل لا يزال معروفًا مُطِيلٌ على موقع بلدة جَرَشُ القديمة بمنطقة بلاد عَسِير .

دَغَبِجٌ : ماء يعرف الآن باسم دُغَبِجَةَ – بالتصغير – بقرب مَرَّانَ ذكر الصغاني أنه وَرَدَهُ .

ومواضع كثيرة أوردها علماء اللغة في مؤلفاتهم . ولهذا يحسن الرجوع إلى هذه المؤلفات باعتبارها من مصادر تحديد المواضع ، ولا ينبغي القول بأنَّ الموضوع الفلاني لم يذكره المتقدمون بمجرد عدم ذكره في معاجم الأمكنة .

ولما خصَّ الله هذه المنطقة من بلادنا بنعمة العثور على النقط في جميع جهاتها كانت مقصدًا لطلاب النعمة والخير ، لامن أهل البلاد وحدهم ، بل من جميع الناس ، فأصبح سكانها من أهلها بين غيرهم من سائر الخلق عُرُوضَةً للتغيُّر في عاداتهم ، وفي لهجتهم مما كان سببًا لتحريف كثير من أسماء المواضع ، فمثلاً :

١ – اسم (بُقَيْق) بضم الباء ينطق ويكتب بزبادة ألف في أوله (أبقيق) ويكتب في الصحف والكتب ولوحات الطرق والمصورات الجغرافية (أبقيق : ABQAIQ) .

٢ – متالع الجبل المعروف الذي أصبح بجواره قرية تسمى بهذا الاسم يكتب (مثاله) بالهاء بدل العين ، محاكاة لنطق الإفرنج الذين لا يحسنون النطق بالعين .

٣ – مَعْقَلَةُ الاسم القديم الوارد في الشعر ومعاجم الأمكنة كثيراً – يُنطق ويكتب الآن خطأ (أم عقلة) و (مَعْقَلًا) .

٤ – نَطَاع اسم الموضوع الذي أصبح الآن قرية مسكونة يكتب وينطق (انطاع)

محاكاة للعامة الذين يبدأون بإسكان الحرف المتحرك فيقولون في (محمد) :
(مُحَمَّد) فيتوهم السامع الجاهل وجود ألف قبل الاسم فيكتب الاسم بهذه الصورة .

٥ - الْهَلَيْسِيَّة - اسم قرية في وادي المياه ، يحار المرء في هذا الاسم هل هو
بالهاء - كما هو مكتوب في لوحات الطريق ، أم بالهاء ، كما يسمع من أهلها .

هذا من الأسباب التي سببت تحريف بعض أسماء المواضع ، ويُخْشَى أن يزداد
الأمرُ سوءاً فيشمل التحريف كثيراً من أسماء مواضع هذه المنطقة .

ومن أسباب تغير الأسماء القديمة طغيان الأسماء الحديثة واستعمالها بدل الأسماء
القديمة ، فكثير من المواضع والمناهل القديمة حُفِرَتْ فيها آبار (ارتوازية) عُرِفَتْ
بأسماء أناس متأخرين ، وتركت الآبار القديمة ، فنُسِيتْ أسماؤها ، وحلَّتْ
الأسماء الحديثة محلَّها ، وهذا كثير في جهات الصَّمَّان ، حيث تكثر الرياض التي
كانت مراتع للبادية ، فحُفِرَتْ فيها آبار ليردوها ، بقرب الآبار القديمة ثم مُنِحَتْ
هذه الآبار رجالاتاً عُرِفَتْ بأسمائهم مثل (شَوَيْة) .

وهناك من عوامل دروس كثير من قرى هذه البلاد ما أشار إليه المتقدمون ، وهو
أن بلاد البحرين منهالة الكثبان ، جارية الرمل ، حتى يسكروه بسعف النخل ،
وربما غلب عليهم في منازلهم ، فإذا أعيانهم حملوا النُقُوضَ وَ تَحَوَّلُوا - كما جاء
في « الروض المعطار » (١) .

هذه أمثلةٌ لبعض ما يعترض الباحث في تحقيق أسماء المواضع أو تحديد
المُسَمَّيات في هذه المنطقة ، فيحول بينه وبين ما يُرِيدُ .

غير أن الأمرَ يَتَطَبَّبُ بِذَلِكَ الجُهْدِ في البحث ، وإيضاح جوانب الرأي ،
بعد إيراد ما يمكن إيراده من النصوص ، وتهيئة ذلك لمن يُعْنَى بدراسة هذا الجانب
المُهْمِّ من أحوال بلادنا ، وعدم الاستسلام لوسائل التشبُّط وصرف الهمم عن العناية

به .

(١) : ٨٢ ومثله في « المسالك والمالك » للبكري مخطوطة (لا له لي) .

لمحة موجزة عن هذه المنطقة

تعرف هذه المنطقة من الجزيرة قديماً باسم (البحرين) وللمتقدمين في إطلاق هذا الاسم عليها أقوال كثيرة سيأتي ذكر بعضها في موضعها .

ولعل أقرب تلك الأقوال إلى الصواب كثرة المياه من العيون الجارية والبحيرات الراكدة في واحاتها القريبة من البحر ، كواحة الأحساء وواحة القطيف وواحة وادي المياه . ثم تقلص اسم البحرين في العصور الماضية حتى انحصر إطلاقه على جزيرة كانت تعرف قديماً باسم (أوال) وهي جزء من المنطقة التي عرفت بعد ذلك باسم الأحساء .

والأحساء اسم كان يطلق على مواضع منها ثم شملها كلها لكون مدلول هذه الكلمة من أبرز الظواهر في هذه البلاد ، لقرب مياهها من سطح الأرض فأينما حفر المرء - في كثير من جهاتها - وجد الماء .

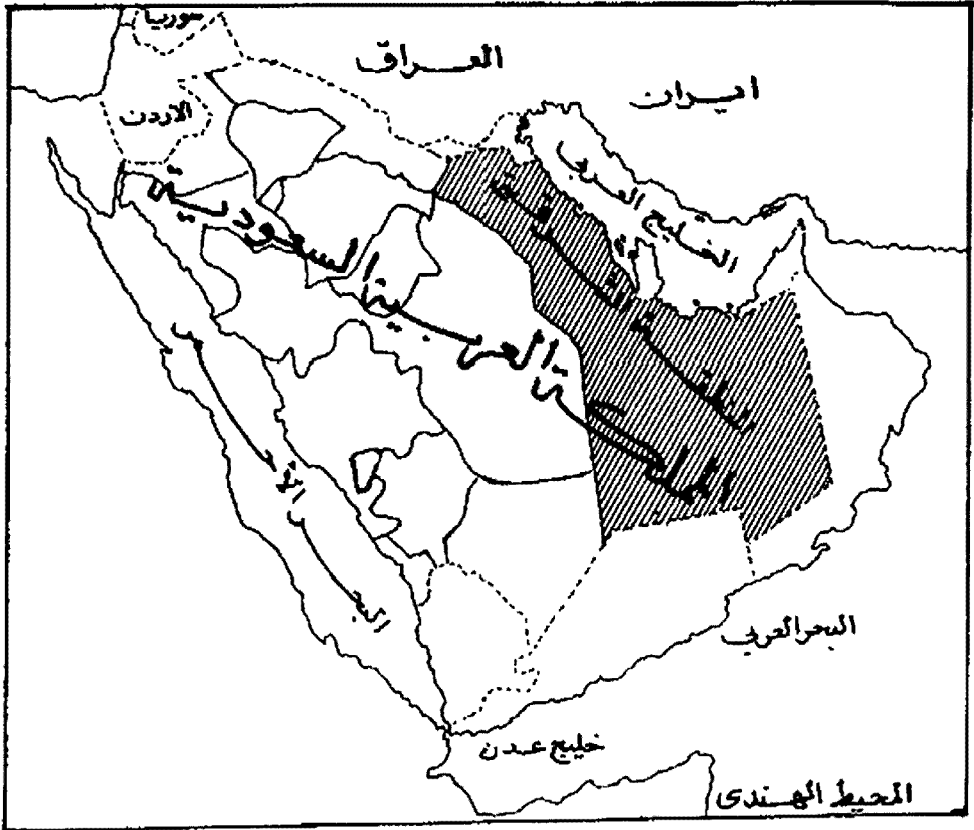
وقد يطلق عليها أيضاً اسم (هجر) وهو اسم كان يقصد به قديماً مدينة كانت قاعدة هذه البلاد ، وقد درّست ولكن الاسم ظلّ حياً يطلق على واحة الأحساء .

وقد ظلّ اسم الأحساء يُطلقُ على جميع هذه المنطقة إلى ما بعد منتصف القرن الرابع عشر الهجريّ حيث عُثِرَ على النّفْط في عشر السنين منه ، فكان العنور عليه من الأمور التي غيرت مجرى الحياة لا في هذه المنطقة وحدها بل في جميع العالم .

ولتوسط منطقة (الظهران) بين حقول النفط ، ونشوء عدد من المدن فيها أصبحت القاعدة هنالك في مدينة الدمام ، وصارت الأحساء تابعة لها من الناحية الإدارية ، واستلزم هذا إطلاق اسم (المنطقة الشرقية) على هذه البلاد ، وذلك في سنة ١٣٧٠ هـ .

وتمتاز هذه المنطقة على بقية النواحي الإدارية الأخرى بأمور :

المنطقة الشرقية (موقعها في المملكة)



خريطة (١)

منها : امتداد ساحلها البحري من قرب الكويت حتى ساحل إمارة (أبو ظبي)
وفي هذا الساحل عدد من المواني ، وبقربه جزر كثيرة .

ومنها : وجود واحات صالحة للزراعة . تتوفر مياهها ، وسعة أراضيها كواحة
الحسا وواحة القطيف ، وواحة الجوف وواحة وادي المياه (الستاران قديماً) وواحة
بيّرين ، وواحة الحن* ، وواحة العُقل ، جنوب شرق جزيرة قطر .

ومنها : اتصال حدودها بحدود دول وإمارات مجاورة ، كالعراق في الشمال .
والكويت والبحرين وقطر و (أبو ظبي) فهي مركز اتصال بين هذه الجهات .

ومنها وجود حقول النفط فيها ، وهذه أهم الميزات . إذ عليها تقف في هذا
العصر - حياة الأمم .

ومنها : وفرة الأراضي التي تجود بالمراعي الجيدة الخصبية . التي تتوقف عليها
حياة البادية - كالصَّمَان والدَّهْنَاء - بقربها - والربع الخالي والسودة . وغيرها .

والمنطقة الشرقية ، أوسع المناطق الإدارية (الإمارات) في المملكة .

وتأتي من حيث عدد السكان الثالثة بعد إمارة مكة المكرمة التي يبلغ سكانها
١٧٦٠٢١٦ وإمارة الرياض (١٢٥٩١٤٥) وعدد سكان المنطقة الشرقية (٧٦٢٠٣٧)
حسب إحصاء سنة ١٣٩٧ (١٩٧٧ م) .

والمنطقة مقسمة إلى ٢٧ قِسْماً إدارياً كل قِسْم يطلق عليه اسم (إمارة) ها هو
بيانها مع بيان عدد ما يلحق بها من القرى والموارد ، مع ذكر عدد السكان ، على ما جاء
في البيان الذي أصدرته (مصلحة الإحصاءات العامة) ، في وزارة المالية والاقتصاد
الوطني (عام ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م))^(١) :

(١) وهناك إمارتان تحت الإنشاء إحداهما في (العيون) والأخرى في الصقيري .

أولا - التقسيم الإداري
للمنطقة الشرقية

عدد الموارد	عدد القرى	اسم الإمارة	العدد
٢	١	الدمام	١
—	٣	الحبر	٢
—	٢	الثقيبة	٣
—	٣	الظهيران	٤
٤٠	١٠	بقيق	٥
٢٧	٣	عين دار	٦
٢٩	٤٧	الأحساء	٧
—	٧	العيون	٨
٩	٣	العقير	٩
٧٥	٣	سلوا	١٠
٦	٢	المضيبية	١١
١	٢	الخنيجي	١٢
٦٤	١٩	حرض	١٣
١	١	خريص	١٤
٩	١٩	القطيف	١٥
—	٣	سيهات	١٦
٥	١٤	صفوا	١٧
—	٥	رحيمة	١٨
٦	١٥	الجيسل	١٩
٥٣	١	التعيرية	٢٠
٥٦	١٥	نطاع	٢١

(تابع) للمنطقة الشرقية

عدد الموارد	عدد القرى	اسم الإمارة	العدد
٢٢	٣	قرية	٢٢
١	٢	معقلة	٢٣
٣٢	٤	السفانية	٢٤
١٠	٣	الحفقي	٢٥
٢	١٣	الرقعي	٢٦
٨	٦	الحفصر	٢٧
—	١	الصقيري	٢٨
—	٢	القيصومة	٢٩
٤٥٨	٢١٢	الجملة	



تمثال من الحجر يقدر عمره بخمسة آلاف عام ، عثر عليه قرب قلعة « تاروت »

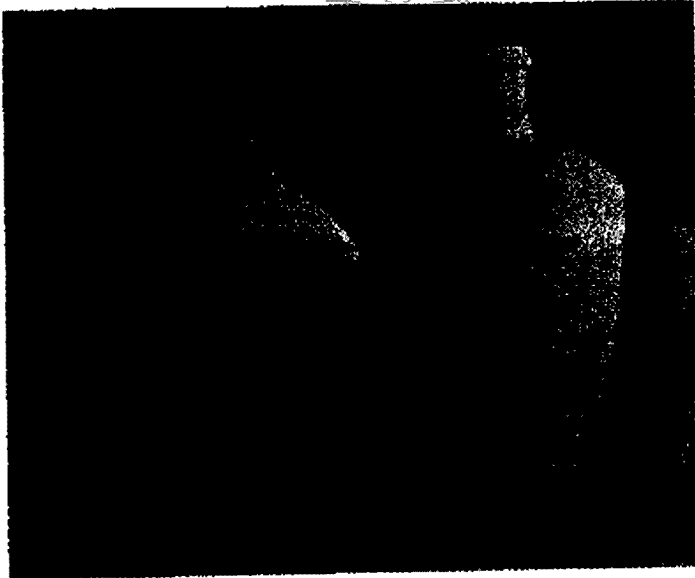
ثانياً - سكان إمارات المنطقة

الجملة	عدد السكان		الإمارات	العدد
	إناث	ذكور		
١٢٥٣٣٥	٤٧٥٣٤	٧٧٨٠١	الدمام	١
٤٣٤١٦	١٥١٨٦	٢٨٢٣٠	الخبر	٢
٢٧٣٣٤	١١٦٤٩	١٥٦٨٥	الثقبة	٣
١٦٢٧٨	٣٧٤٧	١٢٥٣١	الظهران	٤
٢٤٧٩٦	٨٧٧٨	١٦٠١٨	بقيق	٥
٩٦ ٨	٤٤٩٤	٥١٨٤	عين دار	٦
٢٤٤٣٠٧	١١٩٧١٠	١٢٤٥٩٧	الاحساء	٧
٢٨٩	٣٢٦	٣٦٣	العقير	٨
٨٢٦٢	٣٥٧٣	٤٦٨٩	سلوا	٩
٢٨٢١	٢٥١	٢٥٧١	العضيلية	١٠
١٩٠٧	٨٧٨	١٠٢٩	الحسني	١١
٩٣٨٩	٣٩٦٣	٥٤٢٦	حمرض	١٢
٥٦٦٩	٢٤٠١	٣٢٦٨	خريص	١٣
٨٨٥٨٨	٤٥١٢	٤٦٠٧٦	القطيف	١٤
٢٢٣٣١	١٠٨١٢	١١٥١٩	سيهات	١٥
٢١٠٠٠	١٠٣٣١	١٠٦٦٩	صفوا	١٦
٢١١٧٣	٧١٨٨	١٣٩٨٥	رحيمة	١٧
٨٧٢٤	٤٠٠١	٤٧٢٣	الجبيل	١٨
٨١٢٩	٣٦٠٥	٤٥٢٤	النعيرية	١٩
٨٧٦٠	٤٢٢٨	٤٥٣٢	نطاع	٢٠
١٠٩٣٩	٥٤٠٩	٥٥٣٠	قرية	٢١

(تابع) ثانياً - سكان إمارات المنطقة

الجملة	عدد السكان		الإمارات	العدد
	إناث	ذكور		
١٧٢١	٨٣٤	٨٨٧	معقلة	٢٢
٧٠١٤	٢٨٥٦	٤١٥٨	السفانية	٢٣
١٣٥٥٠	٥٤٠٠	٨١٥٠	الخفقي	٢٤
٣١٨٢	١٢٨٤	١٨٩٨	الرقمي	٢٥
٢٣٤٢٢	١٠٩٣٥	١٢٤٨٧	الخفر	٢٦
٣٦٢٢	١٦٣٩	١٩٨٣	القيصومة	٢٧
٧٦٢٠٢٧	٣٣٣٥٢٤	٤٢٨٥١٣	جملة سكان المنطقة الشرقية	

تنبيه : أرجعنا بعض الأسماء إلى أصولها الصحيحة مثل (معقلة) و (الخفقي) .



فلتان من الفخار لهما نحو ٤٥٠٠ من السنين عثر عليهما بقرب منجم
الملح جنوب (بقيق)

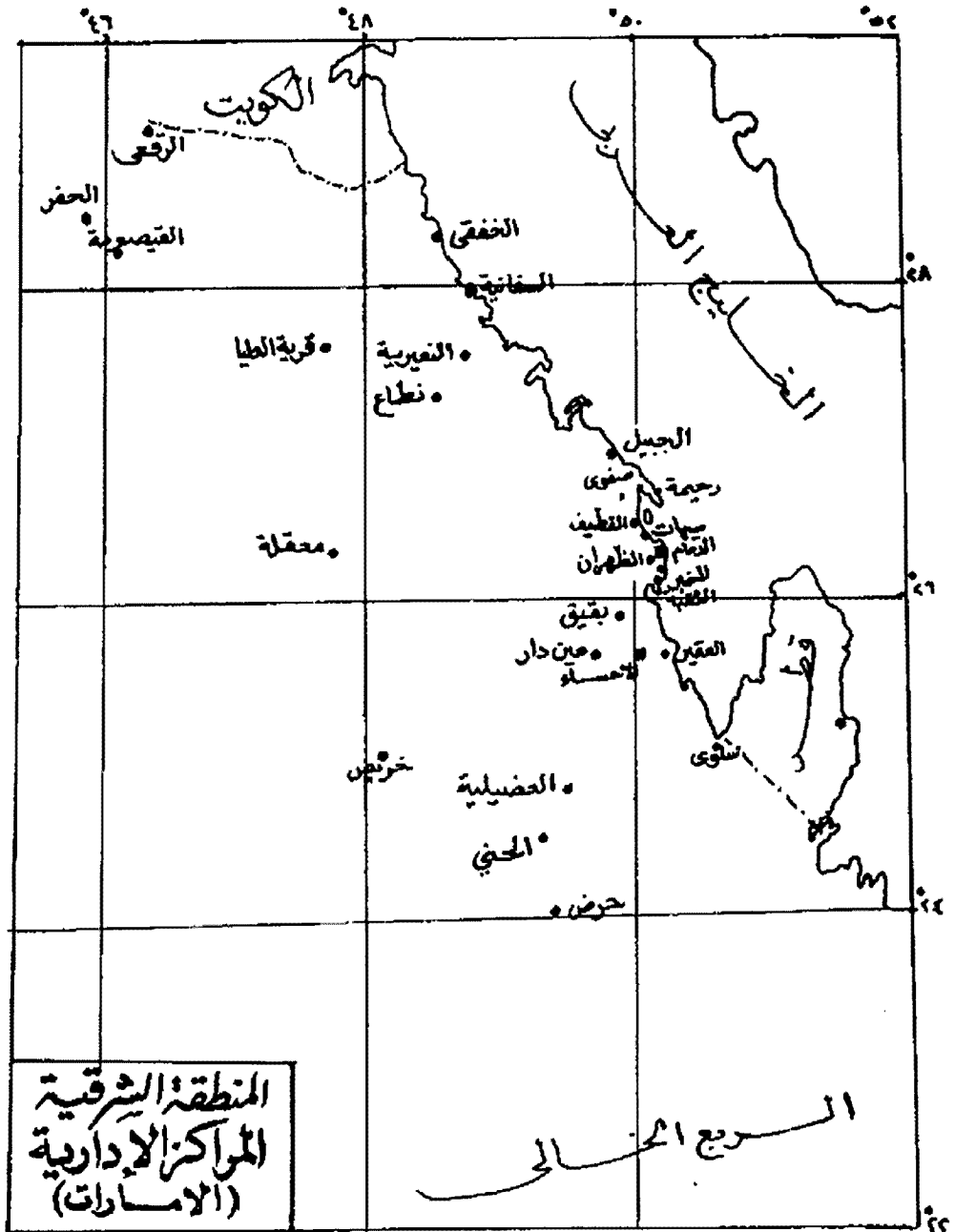
ثالثاً - تعداد سكان مراكز

الإمارات في المنطقة الشرقية

الجمعة	عدد السكان		
	إناث	ذكور	
٥٠٩	٢١٢	٢٩٧	حرض
٢٠٠١	٨٧٢	١١٢٩	خريص
٢٥٥١٠	١١٩٨٦	١٣٥٢٤	القطيف
١٦١٦٧	٧٦٥٩	٨٥٠٨	سيهات
١٣٢٣٧	٦٥٨٨	٦٦٤٩	صفوا
١٩٣٩٥	٦٥٣٩	١٢٨٥٦	رحيمة
٧٢٢١	٣٢٨٠	٣٨٤١	الجبيل
١٥١٧	٥٣٨	٩٧٩	النعيرية
٦٦٨	٢٩٧	٣٧١	نطاع
٢٢٣٤	١١٤٢	١٠٩٢	قرية العليا
٣٢٩	١٥٥	١٧٤	معقلة
١٢١٠	٣٢٢	٨٨٨	السفانية
١٢٥١٩	٤٩٥٢	٧٥٦٧	الحفقي
١٢٤٣٤٦	٤٧٣٢١	٧٧٠٢٥	الدمام
٤٣٢٩٢	١٥١٣٥	٢٨١٥٧	الخبر
٢٥٥٣٦	١٠٩٠٤	١٤٦٣٢	الثقبة
١٦٢٦٥	٣٧٤٢	١٢٥٢٣	الظهران

(تابع) الإمارات في المنطقة الشرقية

الجملة	عدد السكان		
	ذكور	إناث	
١٨٠٨٩	١٢١٩٩	٥٨٩٠	بقيق
١١٠٦	٦١٦	٤٩٠	عين دار
١٠١٢١٣	٥٢٥٦٩	٤٨٦٤٤	الهفوف
٨٨	٦٩	١٩	العقير
٤١٥	٣٢٤	٩١	سلوا
٢٢٢٦	٧٨٠٨	١٤٨	العضيابة
٧٣	٣٩	٣٤	الحنيني
١٣٠٢	٧٨٨	٥١٤	الرقعي
١٢١٩٠	٦٦٥١	٥٥٣٩	الحفر
٢٨٦٨	١٥٥٦	١٣١٢	القيصومة
٤٥١٥٢٦	٢٦٧١٠١	١٨٤٤٢٥	جملة مراكز الامارة



الحالة الاقتصادية :

من المعروف - منذ أقدم العصور - أن هذه البلاد - بلاد (البحرين) كانت بالنسبة لمختلف مناطق الجزيرة أزهاها حضارة ، وأخصبها أرضاً ، وأغزرها مياهاً ، وأكثرها خيرات ، وأقواها صلة بالأقطار المجاورة للجزيرة ، شرقاً وشمالاً ، ولهذا كانت العرب الجزيرة مصدرًا لقضاء حاجاتهم على اختلاف أنواعها ، فمنها يستمدون غذاءهم في ذلك العهد ، وكساءهم ، وسلاحهم ، وتوابلهم وآيتهم .

فكان التمر - وهو غذاؤهم مع الحليب - يُجلبُ من تلك البلاد ، ويضربُ المثل بوفرتة : (كستبضع التمر إلى هجر) وكانت الحُللُ الظَهْرَانِيَّة - وهي منسوبة إلى الظَهْرَان - ذات شهرة بينهم مما يدل على كثرة انتشارها ، وقُلٌ مثل ذلك في قُللِ هَجَرَ ، من الأواني التي تصنع من الفخار أما الأسلحة فالرماح السُخْطِيَّة والدُرُوعُ الحُطْمِيَّة^(١) والسيوف الهندية كلها مما يرد من تلك البلاد ، أو عن طريقها . وكذا العطور والروائح التي يُستطَبُّ بهما كالمسك الدَّارِي ، المنسوب إلى دَارِيْن ، والعنبر الهندي .

بل إن كثيراً من الصناعات انتشرت بين العرب من جراء صلتهم بهذه البلاد . كصناعة الدَّبَابَة - وهي من آلات الحرب القديمة - وغيرها^(٢) .

وكما كانت هذه المنطقة بالنسبة للجزيرة - في العصور الماضية - مصدرَ خيرٍ ونعمة ، فقد أصبحت في عصرنا أعظم مصدرَ للثروة والغنا ، حين عُثِر في كثير من جهاتها على بحار من النِّقَطِ ، الذي هو عَصَبُ حياة الأمم في هذا العصر ، فأحدث في البلاد عامَّةً أعظمَ تطوُّرٍ حضاري غيرَ مَجْرَرِ الحياة العالمية عامَّةً ، وأصبحت بلادنا - بما حباها الله من وفرتة - مَضْرِبَ المثل في سعة الغنا ، ووفرة أسباب الثروة بين أقطار المعمورة كلها .

(١) منسوبة إلى سطمة بن محارب بن عمرو بن وديعة من عبد القيس ، سكان البحرين ، مما يدل على انتشار الصناعة في هذه البلاد في الوقت الذي كان العرب يرونها من الأعمال المحترقة .

(٢) ذكر صاحب « الأغاني » : ٢٤/٥ (طبع دار الكتب) أن عبد الله بن جمدة أول من صنع الدبابة حين اتجع البحرين .

والحديث عن النفط وآثاره في حياة هذه البلاد أوسع وأشمل من أن يتسع له هذا الكتاب .

وقد أُلّف فيه من المؤلفات في مختلف اللغات فيما يخص هذه المنطقة وحدها مالا يدخل تحت الحصر . فلنكتفِ بإشارة موجزة إلى تاريخ العثور عليه ، مع سرد أسماء أهم حقوله .

ففي سنة ١٣٥٢ اتفقت الحكومة مع إحدى الشركات الأمريكية للتنقيب عن النفط في هذه المنطقة ، فتم حفر عدد من الآبار التي عشر فيها على النفط الجيّد بمقدار كبير ، وكان ذلك فيما بين سنتي ٥٥ و ١٣٥٨ ، فكان أن هُيئت الوسائل من مصانع وآلات ومساكن لبدء العمل في الاستثمار .

وفي سنة ١٣٥٩ أقيم احتفال في منطقة الظهران - التي تتوسط آبار النفط برئاسة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود ، للبدء بتصدير النفط .

ثم استمرّ حفر الآبار ، والعثور على مقادير عظيمة من النفط في جهات كثيرة من هذه المنطقة ، وكان من أثر ذلك في تطوير حياة سكان المملكة ما هو معروف .

وقد أُلّفت المؤلفات الكثيرة عن النفط ، شملت جميع جوانب أعمال استخراجة وتصفيته وتصريفه ومقاديره ، وبيان حقوله ، وأكتفي الآن بسرد أسماء المواضع التي عُثِر فيها على النفط ، مرتبة على الحروف ، بصرف النظر عن مقادير ما يستخرج منها أو يُقدَّر فيها من النفط .

أَبُو حَسَدْرِيَّة :

سيأتي الكلام عليه في موضعه من هذا الكتاب - ، وكذا كل موضع لم يُحدّد موقعه - .

أَبُو سَعْفَةَ :

في البحر ، شرق رأس تنورة .

السُّبْرِي (١) :

شَمَالُ شَرْقِ القَطِيفِ ، فِي السَّحْرِ .

بَقَّةُ :

الْمِنْطَقَةُ الشَّمَالِيَّةُ مِنْ عَقْلِ نَفْطٍ بِقَبِيحٍ .

الجُثُومُ :

بِشْرٍ نَفْطٍ ، غَرْبُ عَرَبِ بَعْرَةَ .

جُرَيْبِيَّعَاتُ :

غَرْبُ (أَبُو حَدْرِيَّةِ)

جَنَّا :

جَزِيرَةٌ فِي الْبَحْرِ شَمَالِ القَطِيفِ ، وَهِيَ غَيْرُ جَزِيرَةِ جِنَّةِ الَّتِي بِقَرْبِ الْجَبِيلِ .

الْجَوْفُ :

الْحِيَالُ :

مَوْضِعٌ ، فِيهِ بِشْرٌ نَفْطٍ ، فِي الرِّبْعِ الْخَالِيِّ .

الْحَرْمَلِيَّةُ :

شَمَالُ يَبْرِينَ ، وَشَرْقُ حَقْلِ الْغَوَارِ .

الْحُرْسَانِيَّةُ :

شَمَالُ الْفَاضِلِيِّ وَجَنُوبُ شَرْقِ (أَبُو حَدْرِيَّةِ) .

خُرَيْصُ :

الدَّمَّامُ :

السَّقْمَانِيَّةُ :

(١) لعل أصل السكلمة (البرج) فأبدلت الجليم ياء كمادة سكان هذه الجهات .

على ساحل البحر ، في المنطقة المحاذية لحدود الكويت .
شَدَقَم :

جزء من حقل نَقَط الغَوَار .
شبية :

موضع في الشمال الشرقي من الربع الخالي فيه حقل نَفَط .
طخمان :

موضع في الربع الخالي ، فيه حقل نَفَط ، تحت التجربة .
الظلوف :

في البحر ، متصل بمرجان ، شرق السفانية .
العمد :

موضع في الربع الخالي ، فيه بئر نَفَط .
عَيْن دَارِ :
الغَوَار :

يمتد من الجنوب من حدود الربع الخالي إلى الشمال على مقربة من بُشَيْق
وهو أعظم حقول النفط .

الفاضلي :

غرب بلدة الجُبَيْل .

فَزْرَان :

منطقة من حقل الغوار .

القرضي :

شرق (أبو جيفان) في الصَّمَّان .

القطيف :

كَرَّان :

جزيرة في البحر شمال الجبيل . وشمال جزيرة جَنَّا .

مَحَارَّة :

شرق السفَّانية . في البحر بالقرب من مرجان .

المحاكيك :

في الربع الخالي .

المحراض :

في الربع الخالي .

مرجان :

على شاطئ البحر ، غير بعيد عن الظلوف ، شرق السفَّانية .

مَزَالِيح :

في شرقي الدَّهْنَاء ، غرب حَرَّض وجنوب خُرَيْص .

مَعْقَلَة :

مُنِيْفَة :

على شاطئ البحر ، جنوب السفَّانية .

وهناك آبار نفط وحقول ، لا تزال تحت التجربة . .

وأخرى اتضح أن مقدار نقطها ليس على درجة من القوة التي تمكن من الاستفادة منه .

وفي التقارير التي تصدرها شركتنا النفط العاملتان في هذه البلاد تفاصيل وافية عن هذه الحقول .

سكان هذه البلاد

إنَّ آيَةَ بلاد تَتَوَقَّرُ فيها وسائلُ الحياة بدون مشقةٍ وكبير جهدٍ ، تشتدُّ الرغبةُ في سكنها ، ويتهافت إليها الناس ، وهكذا حال هذه المنطقة ، فقد حباها الله بأمرٍ امتازت بها على جلِّ أقطار الجزيرة من الخصب ووفرة المياه والسعة ، والصلة بالبلاد الأخرى ، ومجاورتها للبحر بحيث يتوفر فيها من متطلبات الحياة ما قلَّ أن يتوفر في غيرها .

ولهذا فقد كانت مطمحا للراغبين منذ عصور التاريخ الأولى ، إلا أنَّ تاريخها القديم - كغيرها من مناطق الجزيرة - لا يزال غامضا ، لا يصل الباحث فيه إلا إلى عبارات موجزة في المؤلفات القديمة ، فمع ما أشار إليه المتقدمون من أنَّ من سكانها الأقدمين من العمالقة ، - أبناء عمليق ابن لاوذ بن سام بن نوح - أمه تدعى جاسم^(١) وأن قوم عاد سكنوها في غابر الدهر ، على ما ذكر ابن خلدون في تاريخه^(٢) وغيره ، وأن نفوذ طسّم امتدَّ إلى البحرين ، إذ كان يشمل كل بلاد العروص - اليمامة والبحرين - ومن آثارها في الأحساء حصن المشقر - على ما ذكر الهمداني^(٣) ولا يمكن لتلك العبارات الموجزة أن تجلو ما يكتنف تاريخ هذه البلاد من غموض ، ولا أن تميد الباحث بقدر من المعرفة يدرك من خلاله أحوال تلك الأمم البائدة .

وقد انحصر أمل المتطلعين إلى معرفة جوانب من تاريخها الغامض المجهول في التنقيب عن الآثار ، فقد عُثِر في الجزر القريبة من الأحساء والكويت وفي جزيرة

(١) « تاريخ ابن جرير » : ١ / ٢٠٣ ط دار المعارف بمصر و « الاكليل » الهمداني ج ١ ص ٧٣

. ٧٥٠

(٢) « تاريخ الأحساء » ١٥ / ٥٣ .

(٣) « صفة جزيرة العرب » .

البحرين (أوال) وفي رأس تنورة وفي (ثاج) على كثير من الآثار العمرانية التي تدل على رسوخ قواعد الحضارة في هذا الجزء من الجزيرة .

وتتطلع أنظار الباحثين إلى المزيد من الدراسة والتنقيب عن الآثار ، حتى يتوفّر من المعلومات ما يمكن أن يحلّو بعض جوانب الغموض في تاريخ هذه البلاد^(١) .

وبعد تلك الشعوب التي ورد ذكرها في عبارات قدماء المؤرخين كان من سكان هذه البلاد :

١ - فُرُوع من قبيلة الأزدي على ما نقل ابن جرير^(٢) عن ابن الكلبي ، وأورد الهمداني في « صفة جزيرة العرب »^(٣) لشاعر يمني :

وَأَزْدٌ لَهَا الْبَحْرَانِ وَالسَّيْفُ كُلُّهُ وَأَرْضُ عُمَانَ بَعْدَ أَرْضِ الْمُشَقَّرِ

٢ - تَشُوخ : ونقل ابن جرير^(٤) عن ابن الكلبي أيضاً أن قبائل من أولاد معدّ بن عدنان أقبلوا من تهامة حتى نزلوا البحرين على الأزدي ، وهؤلاء الذين أقبلوا من تهامة من بني وبرة من تغلب من قضاة^(٥) قنص بن معد كلها ، ومن إياد بن نزار بن معد ، فاجتمعوا بالبحرين فتحالفوا على التَشُوخ وهو المقام ، وتعاقدوا على التناصر فصاروا يداً على الناس ، وضمّهم اسم تشوخ ، فكانوا بذلك الاسم كأنهم عمارة من العمائر ، وتنخ عليهم بطون من نُمارة من لَحْم ، وتنخ عليهم من الأزدي في البحرين بعض بني فهم بن غانم بن دوس قوم جذيمة الأبرش .

ونقل البكري في « معجم ما استعجم » عن كتاب « الأغاني »^(٦) فسارت تيم اللات بن أسد بن وبرة ، وفرقة من بني ربيعة بن ثور بن كلب ابن وبرة - من

(١) عن الآثار انظر (الآثار في المنطقة الشرقية) : كرنوال - معرب - « العرب » ٨٠٤/١٢ و (حلة يهرش على شرق الجزيرة) الدكتور خالد السلي « العرب » : ٨٢ / ٣٥ .

(٢) « تاريخ ابن جرير » : ٦٠٩ / ١ .

(٣) ٣٦٩ .

(٤) ج ١ ص ٦٠٩ ٦٦١ ط : دار المعارف بمصر و « الأغاني » ٨/١٣ ط : دار الكتب .

(٥) على القول بأن قضاة من معد .

(٦) ص ٢١ .

قضاة - وفرقة من الأشعرين نحو البحرين حتى وردوا هجر ، وبها يومئذ قوم من التبط فأجلوهم .

فلما نزلوا بهجر قالوا للزرقاء بنت زهير - وكانت كاهنة - : ما تقولين يا زرقاء ؟
فقلت : سَعَفٌ وإهان^(١) ، وتمر وألبان ، خير من الهوان . وأنشدت تقول :

وَدَعَّ نِهَامَةٌ لَا وَدَاعَ مُخَالِقٍ بِنِمَامَةٍ ، لَكِنْ قِيلاً مَكْرَامٍ
لَا تَسْكَرِي هَجْرًا مَقَامَ غَرِيبَةٍ لَنْ تَعْلَمِي مِنْ ظَاعِنِينَ تَهَامٍ
قالوا : فما نرين يا زرقاء ؟ قالت : مَقَامٌ وَتَنُوحٌ ، مَا وَلَدَ مَوْلُودًا وَأُنْقِصَتْ فَرُوحٌ .
فسميت تلك القبائل تنوخ .

٣ - كِنْدَةٌ : وذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب^(٢) ، أن كِنْدَةَ سكنت حضرموت بعد جلائها عن البحرين والمشقر وغمرذي كندة في الجاهلية بعد قتل ابن الجحون ، وكان الذي نقل منهم عن هذه البلاد إلى حضرموت نِسْفًا وثلاثين ألفاً . انتهى .

وهذا القول على جانب كبير من الغرابة فالمعروف في اتجاه هجرات القبائل في الجزيرة الانحدار من اليمن أو الحجاز شمالاً أو شرقاً إلى بلاد الريف في جوانب الجزيرة . لا (العكس) .

وقد أشار ابن الكلبي في « جمهرة النسب » إلى أن قبيلة كندة كانت تسكن في الحجاز حول القمر ، الذي عرف بها ، وهو وادي من روافد وادي نخلة الشامية لا يزال معروفاً .

٤ - إِيَاد : وذكر المتقدمون أن قبيلة إِيَاد - وهي قبيلة عدنانية هاجرت من الحجاز حتى استوطنت البحرين .

(١) الإمان : عرجون التمر .

(٢) ١٧٥ .

(٣) إل ص ٦٠ .

٥ - وقبيل ظهور الاسلام كانت فروع من قبيلة ربيعة ، من بكر ابن وائل وغيرهم تحتل هذه البلاد حتى ظهر الاسلام ، وهم فيها .

ومن أشهر هؤلاء بنو عبد القيس :

فقد ذكر البكري في «معجم ما استعجم»^(١) أن حربا وقعت بين قبائل ربيعة : (فارتحلت عبد القيس ، وشن بن أفضى ومن معهم فاخترأوا البحرين و هجر ، وضاموا من بها من إباد والأزد ، وشدوا خيلهم بكرانيف النخل فقالت إباد : أترضون أن توثق عبد القيس خيلها بنخلكم ؟ فقال قائل : (عَرَفَ النَّخْلُ أَهْلَهُ) فذهب مثلا . وأجلت عبد القيس إباداً عن تلك البلاد وكانت إباد يقال لها الطبق لشدهم ولإطباقهم على الناس بغيرهم وشدهم فقال الشاعر :

لقيتُ شنَّ إباداً بالقنسا طبقتاً وافق شنَّ طبقتَه

وقال عمرو بن أسوى الليثي (؟) من عبد القيس بعد ذلك بزمان :

شحطنا إباداً عن وقاع^(٢) فقلصت وبكرا نفينا عن حياض المشقر

فغلبت عبد القيس على البحرين واقتسموها بينهم فنزلت جذيمة الخطأ وأعباءها (؟) ونزلت نكرة وسط القطيف وما حوله .

وقال ابن شبة : نزلت نكرة الشفار^(٣) والظهران إلى الرمل ، وما بين هجر إلى قطر وبينونة - وإنما سميت بينونة لأنها وسط بين البحرين وعمان .

ونزلت بنو عامر - العمور - وهم بنو الدليل بن عمرو ومحارب بن عمرو وعجل بن عمرو بن وديعة بن لكيز ومنهم عميرة بن أسد بن ربيعة حلفاء لهم - الجوف والعيون والأحساء حذاء طرف الدهناء ، وخالطوا أهل هجر في دارهم . انتهى .

(١) : ٨١ .

(٢) لعله (نطاع) .

(٣) لعله (السار) .

وقال الميداني في «مجمع الأمثال» (١) : عَرَفَ النَّخْلَ أَهْلُهُ : أصله أن عبد القيس وشنَّ بنَ أفصى لما ساروا يطلبون المتَّسَعِ والرَّيفَ ، وبعثوا بالرواد والعيون ، فبلغوا هَجَرَ وأرض البحرين ، ومياهاً ظاهرة ، وقرى عامرة . ونخلاً وريفاً ، وداراً أريفاً من البلاد التي هم فيها ، ساروا إلى البحرين وضامواً من بها من إياد والأزد ، وشدواً خيولهم بكرانيف النخل ، فقالت إياد : عرفَ النخلَ أَهْلُهُ . فذهبت مثلاً يضرب عند وُكُولِ الأمرِ إلى أهله . انتهى .

٦ - تميم وضيبة :

نقل البكري في «معجم ما استعجم» (١) عن كتاب «افتراق القبائل» لابن الكلبي ما ملخصه : (وظهرت تميم بن مُرِّ بنِ أدٍ ، وضيبةُ بن أدٍ إلى بلاد نجد وصحاريها ، ثم مضوا حتى خالطوا أطراف هجر ، ونزلوا ما بين اليمامة وهَجَرَ .

وفذت بنو سعد بن زيد مناة إلى يَبْرِينَ وتلك الرمال ، حتى خالطوا بني عامر بن عبد القيس في بلادهم قطر ، ووقعت طائفة منهم إلى عُمَانَ ، وصارت قبائلُ منهم بين أطراف البحرين إلى ما يلي البصرة ، ونزلوا هنالك إلى منازل كانت لإياد فساروا عنها إلى العراق .

عناصر غير عربية :

تميزت هذه البلاد عن غيرها من مناطق الجزيرة بأمر منها :

١ - وفرة مياهاها من الأنهار والعيون الجارية مع خصوبة أرضها ، فازدهرت الفلاحة فيها .

٢ - صلتها بأقوام على جانب من الحضارة ، ورغبة في تعاظم أسبابها كالتجارة والفلاحة والصناعة .

٣ - مجاورتها لحدود دولة كانت من أقوى دول العالم في عهدها وهي دولة الفُرس .

لهذه الأسباب ولأخرى غيرها تَسَرَّبَتْ إليها طوائف وأمم غير عربية النَّجار للاستيطان فيها ، وللاشتغال بالأعمال والحرف التي كانت القبائل العربية تأنف وترفع عن تعاطيها كالصناعة والفلاحة . فاستقرت في حواضرها . وامتدَّ نفوذ دولة الفُرس عليها حتى ظهر الإسلام .

فمن تلك الطوائف التي عاشت في تلك البلاد في عصورها القديمة ، وكانوا عَوْنًا لسكانها لصدِّ النفوذ العربي حتى أثناء حروب الردَّة في صدر الإسلام .

١ - الزُّط - وهم على ما في « القاموس » وشرحه - : جيل من الناس . وجاء في البخاري في صفة موسى عليه السلام - كأنه من رجال الزُّط - واختلف فيهم فقيل هم السبائية . وقال القاضي عياض : هم جنس من السودان طوال . ونقل الأزهري عن الليث أنهم جيل من الهند . قال : وهو معرَّب (جَتَّ) بالهندية - الواحد زُطِيٌّ . وأورد قول الشاعر :

فجئنا بِحَيِّيِّ وائِلٍ وبلِغَتُها
وجاءت نَمِيمٌ زُطُها والأساور
وقد ساعد الزُّط المرتدين أثناء حروب الردَّة - على ما ذكر ابن جرير (١) وغيره .
(ب) السَّبَّائِجَة - بالموحدين وآخره جيم .

قال في « تاج العروس » : وفي « الصحاح » : السبائية قوم من السند ، كانوا بالبصرة جلاوزة وحراس السجن ، والماء للعجمة والنسب ، قال يزيد بن مفرغ الحميري :

وطماطيم من سببيع خزر يلبسوني مع الصباح القيودا (٢)
وفي كتاب « النقااض » (٣) في شرح قول عرهم بن عبد الله - من بلَعَدَوِيَّة :
وتُغْنِي الزُّطُ عَبْدَ القَيْسِ عَنَّا
وتكفِينَسَا الأَساورَةَ المَزُونَا

(١) « تاريخ ابن جرير » ج ٣ ص ٣٠١ - ٣٠٢ ط : دار المعارف بمصر .

(٢) رسم (سيج) وفي بعض الكتب السبائية .

(٣) ص ١١٥ .

الرُّطُّ : السيابيَّةُ - قوم من السند بالبصرة ثم قَدَمُوا وكانوا يحفظون بيت المال في الدهر ، والمزون مدينة عُمَان - انتهى .

وهؤلاء ممن انضموا إلى المرتدين أيضاً .

(ج) النَّبْطُ - الأنباط - وعرف هؤلاء بنشاطهم العمراني في الفلاحة فقد ذكر صاحب « الأغاني »^(١) والبكري في « معجم ما استعجم »^(٢) أن فروعاً من قبيلة قضاعة وغيرها وردوا البحرين فأجلتوا عنها النَّبْطُ وسكنوها . ويظهر أن هؤلاء ممن بقيت لهم بقايا في البلاد إلى عصور متأخرة .

(د) الجرامقةُ : وهؤلاء قوم من العجم كان منهم من يقيم في البحرين^(٣) ومنهم جرامقة الشام ، وهم من الأنباط الذين عرفوا بالاشتغال بأعمال الفلاحة ، كالرُّطُّ أيضاً .

(هـ) الفُرسُ : وانتشار هذه الأمة في هذه البلاد منذ عصور ما قبل الإسلام إلى عهدنا الحاضر معروف . ولهذا قوي نفوذهم أثناء قوة دولة الأكاسرة ، فكانت لهم معارك وحروب مع العرب ، كيوم الصفقة ويوم الزارة .

وكانت ملوك الفُرس في ذلك العهد تستعين ببعض القبائل العربية على بعضها . فقد ذكر المتقدمون أن سابور ذا الأكتاف أنزل بني عبد القيس وطوائفاً من تميم ببلاد هجر^(٤) .

وذكر ابن جرير في تاريخه^(٥) أن أَرْدَ شير سار إلى البحرين فحاصر ملكها سنطرق ، واضطره الجهد إلى أن رمى بنفسه من سور الحصن فهلك .

وأن أَرْدشير بنى بالبحرين (فنياذ أَرْدشير) وهي مدينة الخط .

(١) ١٣ - ٨٠ ط دار الكتب .

(٢) ٢١ .

(٣) انظر رسم (علم) و (هجر) .

(٤) « تاريخ ابن جرير » ٢ - ٥٧ .

(٥) ج ٢ ص ٤١ ط دار المعارف بمصر .

وذكر أن كِسْرَى (١) أنوشيروان ملكك على ما بين عُمان والبحرين واليمامة إلى الطائف وسائر الحجاز رجلاً من لحم يقال له المنذر بن النعمان .

وكان عامل كسرى على البحرين يدعى آذفروز بن جُشْنَس ، الذي سمّته العرب المَكْعَبِير ، لأنه كان يقطع الأرجل والأيدي ولما أخذ بنو تميم لطيمة كِسْرَى كتب إليه أن لا يدع من بني تميم عيناً تطرف ، فكان يوم الصفقة .

وعند ظهور الإسلام كان للدواة الفارسية عامل على البحرين من العرب من بني تميم غير (مرزبتم) وهم رؤساء الجند ، في بعض مدن هذا الإقليم كمرزبان هجر ، ومرزبان الزّارة (في القطيف) (٢) .

ولوقوع هذه المنطقة متاخمة للدنهاء التي تعتبر من أجود مراتع الإبل والغنم ، ولوقوع بلاد الصَّمَّان وهي من أفضل البلاد في حياة البادية ولقربها من المياه والأرياف ووفرة خيراتها ، كانت ميداناً للصراع بين القبائل التي كثيراً ما اضطرتّها الجذب وطلب المرعى إلى مزاحمة سكانها ، مزاحمة تنتهي بسيطرة القبيلة القويّة ، واستسلام القبيلة الضعيفة استسلاماً يضطرها للانضواء تحت سيطرة القبيلة الغالبة أو التزوح عن هذه البلاد إلى ما يجاورها من أرياف العراق .

وجاء الإسلام ، وسكان هذه البلاد طوائف من ربيعة ، عبد القيس ، ومن بكر بن وائل ، وفروع من قبيلة بني تميم وضبّة ، وأخلاق من بقايا السكان القدماء من أصول مجهولة ، أو غير عربية ، وهكذا شأن البلاد العريقة في التّحضُّر ، تزول عن سكانها المميزات القبلية ، وما لبثت القبائل بعد ظهور الإسلام تتدفق على هذه البلاد ، وتنازع سكانها البقاء ، وتمتزج بقبائلها ، فكان من سكانها بَطُونٌ من بني عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر هوازن ، من بني عَقَيْل ، وبني كلاب وغيرهم ، على ما يفهم من كلام الأزهريّ وابن خلدون ، وما جاء في « شرح ديوان ابن مقرب »

(١) ج ٢ ص ١٤٩ .

(٢) من غريب ما ذكر عن هذا ماجاء في « معجم البلدان » في الكلام على المدينة : (وكان على المدينة

وتامة في الجاهلية عامل من قبل مرزبان الزارة يجسي خراجها) . انتهى .

الذي صَوَّرَ جوانب كثيرة من تطاحن القبائل في هذه المنطقة في القرن الخامس الهجري وما بعده .

وقد تكرر اسم بني عامر بين سكان هذه البلاد وهم في الأصل من بني عبد القيس^(١) غير أن انضواء بطون من بني عامر بن صعصعة إلى هذه النواحي واتفاق اسم القبيلتين سبب اختلاطهما .

وتكون من ذلك بروز بطون من مختلف تلك القبائل عرفت باسم بني عامر ، ثم ببني خالد ، في عصور متأخرة ، منذ القرن الحادي عشر الهجري إلى منتصف القرن الثالث عشر^(٢) ، وكان هؤلاء نفوذ قوي في هذه البلاد ، وسيطرة واسعة ، كما يفهم تاريخها الحديث .

السكان في العهد الحاضر :

لقد تحضرت فروع كثيرة من القبائل التي كانت تقيم في هذه البلاد فاندمجت مع أهل المدن والقرى ، واختلطت بالسكان القدماء ، ولم تعد تهتم بما كان أبناء البادية يحافظون عليه من عادات وتقاليد أبرزها الاعتزاز بالأنساب ، غير أن كثيراً من الأسر المتحضرة تنتمي إلى أصول القبائل القديمة كتميم وعبد القيس وبني عامر - مثلاً - بدون استطاعة إثبات هذا الانتماء بذكر اتصاله بفرع معروف من فروع إحدى القبائل المذكورة ، وليس هذا الأمر خاصاً بسكان هذه المنطقة ، بل هي صفة عامة من صفات التَّحَضُّر والاستقرار ، في جميع البلاد .

ومن القبائل التي لا تزال تتمسك بالمميزات القبليَّة القديمة ، من سكان هذه البلاد :

١ - آل مُرَّة والعجمان ، وعند ضعف قبيلة بني خالد انساح إلى هذه البلاد ، من جنوب الجزيرة بطنان من قبيلة يام من همدان من قحطان ، هما آل مُرَّة والعُجْمَانُ

(١) ويعرفون باسم العمور ، ثم العماير الآن .

ونجد نصاً مريحاً ذكره الحمداني في الكلام على عرب البحرين ؛ ونقله عنه ابن فضل الله العمري في « مسالك الأبيصار » وعن هذا نقل القلقشندي والسويدي أنهم غير عامر المنتفق وغير عامر بن صعصعة .

(٢) انظر عن بني خالد مجلة « العرب » ص ٥٧٨ .

فأزاحوا سكانها من البادية ، إلاّ من رضح لسيطرتهم ، وانتشروا فيها ، فحلت قبيلة العجمان في وسطها في أريافها ، ونزلت قبيلة آل مرة في ناحيتها الجنوبية ، في أطراف الرمال ، وفيما بين الأحساء وشبه جزيرة قطر .

٢- وانتشرت فروع من قبيلة مُطَيِّر في الجانب الغربي منها : في الصَّمَان ونواحي وادي الباطن (فلنج) قديماً ، في القريتين وفي اللَّهَابَةِ واللِّصَافَةِ وما حولهما .

٣- وحلَّت بطون من بني هاجر بجوار قبيلة العجمان من الجنوب في الجوف وأطراف وادي المياه (الستار قديماً) وعَيْنِ دَار ، وتلك النواحي ، وامتدت بطون منها إلى شبه جزيرة قطر .

٤- وفي الجانب الشمالي الموالي لحدود الكويت تحلُّ أفضاخٌ من قبيلة العَوَازِم في النَّقَّار - (التَّقْيِرَة ونُقَيْسِر) وثَاج وتلك الجهات .

٥- وفي الجانب الشمالي الواقع بقرب حدود العراق شمال وادي الباطن (فلنج قديماً) استوطنت فروع من قبيلة الظفير ، في هجرة الصُّقَيْسِرِي الواقعة شمال مدينة الحُفَيف ، بنحو ١٥ كيلاً .

٦- زِعْبُ - بالزاي المكسورة بعدها عين مهملة فباء موحدة - وهؤلاء بطن من قبيلة سَلَيْم ، كان ذا ثروة في العدد ، وقوة ونفوذ ، إلاّ أن الضعف أدركه ، فحل بجوار بلاد قبيلة مطير ، فيما بينها وبين بلاد قبيلة العجمان .

٧- سُبَيْعُ : وبعد منتصف هذا القرن حلَّت بطون من قبيلة سُبَيْع - من بني عامر بن صعصعة - غرب بلاد مُطَيْر ، في شرق الدَّهْنَاء في مَعْقَلَة وحُزْرَا والسَّبِيَّة وما حولها (١) .

(١) نجد في كتاب « دليل الخليج » - القسم الجغرافي ج ٢ ص ١٠٠٨ تقديراً لعدد السكان من أبناء البادية قبل ثمانين عاماً على هذا النحو :

١- العجمان ٣٥,٠٠٠ .

٢- بنو خالد بدون المتحضرين منهم ١٠,٠٠٠ .

٣- آل مرة ٧,٠٠٠ .

وما عدا هذه القبائل الثلاث اعتبر مؤلف الكتاب إقامتهم غير دائمة كالعوازم ومطير وغيرها .

ومما تجب ملاحظته أن كل قبيلة من القبائل متى ضُمَّتْ ، وزاحمتها في بلادها قبيلةً أقوى منها تعتمد كلها أو بعض فروعها إلى أحد أمور ثلاثة : الانضواء تحت سيطرة القبيلة القويّة ، أو الهجرة إلى بلاد أخرى تستطيع العيش فيها ، أو الركون إلى سكنى القرى ، والتحصُّر ، وترك مظاهر البداوة ، فيزول اسم القبيلة من بلادها ، ولو بقي منها بعض الفروع الضعيفة التي تنتسب إليها ، ولهذا فإنّ كثيراً من الأسر المتحضرة في هذه المنطقة تنتمي إلى قبائل كانت تسكنها .

فالدَّوَّاسِرُ — مثلاً — وكانوا من أكثر سكان الدمام والخُبَرِ وجزيرة البحرين قد يكونون من بقايا بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، فقد ذكر الأزهرِيُّ في « التهذيب »^(١) وغيره من علماء اللغة أن بني سعد ، يقال لهم دَوَّسِرٌ^(٢) .

وبنو سَلَيْطِ (السُّلْطَنَة) المعروفون في هذه المنطقة يَمْتَنُونَ بنسبهم إلى بني سَلَيْطِ بن يربوع ، من تميم وكانوا يسكنون هذه الجهات .

والجُبُلَانُ الذين يُعَدُّونَ الآن من قبيلة مُطَيَّرِ ، وبلادهم في شمال الصَّمَانِ في اللصافة وما حولها يرجع نسبهم إلى بني تميم ، سكان هذه الجهة في القديم .

والجلاهمة الذين تنتمي إليهم أُسْرٌ كثيرة متحضرة في سواحل هذه البلاد ، في البحرين والكويت والدمام وغيرها ، يرجع نسبهم إلى الجلاعمة من وائل من ربيعة .

والعمور (العماير) المعدودون الآن من بني خالد المتتمين إلى بني عامر من نزار ، هم المعروفون قديماً باسم العمور من بني عبد القيس ، من ربيعة .



(١) : ٣٦٥ / ٥ .

(٢) أما الدواسر الذين في الوادي المعروف بهم فيرجعون إلى جذمين همدان وتغلب من قحطان .

من تاريخ هذه البلاد

إنّ هذا المُؤَلَّفَ مخصّص لتحديد المواضع ووصفها من الناحية الجغرافية مع إيراد ما يتعلّق بها من الأخبار أو الأشعار ، أما التوسّع في ذكر الحوادث والوقائع المتعلقة بها فمحلّه المؤلّفات التاريخية ، ولما لم يؤلف - فيما أعلم - من الكتب ما يعالج هذا الجانب باستثناء كتاب « تحفة المستفيد ، في تاريخ الأحساء في القديم والجديد » للشيخ محمد بن عبد القادر الأنصاريّ وهو على إيجاز مباحثه وعدم استيفاء كثير من الجوانب التاريخية فيه - فإنّ نسخته أصبحت نادرة ، ولا يتيسّر لكل باحث الاطلاع على هذا الكتاب - فقد رأيت إيراد لمحة مختصرة عن تاريخ هذه البلاد ، قد يُمتهدّ لمن يعنى بدراسة الجانب التاريخي الطريق للتوسع في الدراسة والبحث .

في العهود القديمة : هذه البلاد - كغيرها من أجزاء الجزيرة - لم يُدرّس تاريخها القديم ، إذ لم تتوفر بعدُ مصادر دراسته ، التي تعتمد - أول ما تعتمد - على الآثار ، وهذه لم يتجرّب بحثٌ عنها ، مع كثرة ما يشاهدُ منها بارزاً للعيان في مواضع كثيرة ، مما يدل على عراقة حضارتها ، وقِدَمِ عُمُرِهَا ، ولا غرو فكل بلاد تتوفر فيها وسائل الحياة من الخِصْبِ والاتصال بالعالم الخارجيّ تكون محلّ استيطان وعُمران منذ قديم الزّمان .

جاء في كتاب أصدرته (إدارة الآثار والمتاحف) في (وزارة المعارف) سنة ١٣٩٥ (١٩٧٥ م) مانصه :

تكاد تكون آثار الاستيطان البشري في المنطقة الشرقية من المملكة أكثر وضوحاً منها في أيّ جزءٍ آخر من المملكة . وسبب ذلك يرجع إلى عدة عوامل : أهمها اشتهار المنطقة لتوسطها بين مراكز الحضارات القديمة وإشرافها على جزء كبير من ساحل الخليج العربي ، الذي سبق أن لعب دوراً هاماً في مجال الاتصالات البشرية والتجارية

والعسكرية بين شعوب تلك الحضارات منذ أكثر من خمسة آلاف سنة . فقد انطلقت من شرق الجزيرة إسهامات ثقافية امتزجت مع ثقافات الأقطار المجاورة ، فتكونت منها دوائر حضارية كانت ذات شأنٍ في تاريخ الشرق القديم .

مواقع عصر العبيد (بضم العين) : تعتبر هذه من أقدم دلائل الاستيطان في المنطقة الشرقية حيث يعود تاريخها إلى ما قبل ٧٠٠٠ سنة سابقة .

والعبيد هو فترة من عصور ما قبل التاريخ تم التعرف عليها أولاً في بلاد ما بين الرافدين (العراق) وأبرز دلائل هذا العصر هو الفخار الملون ذو الطابع الفريد به ، وقد اكتشف هذا الفخار في عدة مواقع بالمنطقة الشرقية أهمها موقع الدوسرية جنوب الجبيل .

جزيرة تاروت : تقع على الخليج العربي مما يلي القطيف بالملكة ، وتصل بالقطيف بحسر طبيعي يتراوح عرضه بين ١٠ ، ٢٠ متراً في طول أربعة أكيال وتقع مدينة تاروت التاريخية في قلب الجزيرة ومن أهم مرافئها : سنابس في الشرق ودارين في الطرف الجنوبي . وقد اكتشفت بالجزيرة آثار هامة يرجع بعضها إلى فترة عصر فجر السلالات الأولى لبلاد ما بين النهرين (أي قبل مدة تتراوح بين ٤٠٠٠ و ٥٠٠٠ عام) أما البعض الآخر فيعود إلى فترات زمنية مختلفة معاصرة للحضارة العيلامية الفارسية ، وحضارة (الموهنجودارو) على نهر السند ، وحضارة (أم النار) التي قامت بالمنطقة الجنوبية من الخليج العربي والتي تم اكتشاف بقاياها في (أبو ظبي) .

بقايا العصر الهليني : وجاء هذا العصر في أواخر الألف الأول قبل الميلاد وامتد إلى أوائل العصر الميلادي وذلك إثر غزوة الاسكندر المقدوني للشرق ، وتأسيس الامبراطورية السلوقية في العراق . وهناك العديد من المدن التجارية الهامة التي تعود إلى هذا العصر والتي تنتشر في أرجاء المنطقة الشرقية .

وأهم هذه المدن هي : تاج والحنا والجرحاء (العقير) بالإضافة إلى الضريح الذي تم اكتشافه في عين جاون شرقي رأس تنورة .

وتعتبر ناج أكثر تلك المدن الهلينية حجماً حيث يظهر من أطلالها أن سوراً ضخماً ، يبلغ طوله حوالي ٣ كم ، كان يحيط بها .

آثار العصر الإسلامي الأول : وهناك العديد منها ، خصوصاً في واحة الأحساء . أهمها آثار مسجد جنوآنا القديم الذي يعتبر أول مسجد أسس في شرق الجزيرة . ويحتمل أن يعود تاريخه إلى العشر السنوات الأولى من الهجرة . ولم يبقَ من البناء القديم سوى قوسين متداعيين .

وفي مدينة الهفوف بالأحساء أيضاً توجد قصور تاريخية ضخمة أهمها قصر إبراهيم وبداخله مسجد القبة ، الذي أسس في القرن العاشر الهجري . كذلك هناك قصر خزام الذي شيّد في عصر الإمام سعود بن عبد العزيز الكبير سنة ١٢٢٠ . انتهى .

ومن المواضع الأثرية في هذه المنطقة :

أبا الدلايس : شرق بُرق أبا الدلايس ، شمال قرية الجلدية .

ولاتزال آثار برفا (أبو الدلايس) وتاروت وناج وجاوان والحناة والقفيلة وغيرها بارزة للعيان ، تنتظر اليوم الذي يكشف فيه عنها لتخبر بما تخفى من أسرار .

والدأر لو كلّمنا ذات أسرار !

في العهد الإسلامي : جاء الإسلام والدولة الفارسية مُستبصرة على منطقة البحر الشرقي ، من حدود عمّان جنوباً حتى أطراف العراق الغربية ، وكانت تتخذ من موالة بعض القبائل العربية لها مايردُ عنها عادية القبائل الأخرى غير أن تلك البلاد المشمولة بسيطرتها كانت على حالة من الفوضى وعدم الاستقرار من جرّاء ضعف تلك الدولة ، وعجزها عن ضبط الأمور في كثير من أجزاء البلاد التي تحت نفوذها .

ومن هنا كان سكان هذه البلاد يتحينون الفرصة التي تخلصهم من الحكم الفارسي وهو - في ذلك العهد - حكم مُشهارٌ ، يقوم على أساليب من العنف وجهل ما جبّلت عليه الطبيعة العربية من كثير من الأخلاق ، ولهذا سارع أهل هذه البلاد يبعث وقدهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب وآلى البحرين المنذر بن ساوى العبدى إليه مظهر الطاعة ، ومتطعاً إلى ماأمر به .

ويروي بعض المؤرخين^(١) أن صلة بني عبد القيس - سكان هذه البلاد - برسول الله صلى الله عليه وسلم كانت قبل الهجرة ، وأن الأشجَّ العبديَّ كان صديقاً لراهب ينزل في (دَارِين) فلقبه في إحدى المرَّات ببلدة الزَّارة . فعرف منه صفات النبي الذي سيخرج في مكة . فبعث الأشجَّ ابن أخوت له ومعه تمر وملاحف ليبيع ذلك في مكة . فأناها عام الهجرة فلقى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسلم ، ولما عاد أخبر خاله الأشجَّ فأسلم أيضاً وكنتم إسلامه . حتى كان في طليعة وفد قومه عبد القيس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة سبع من الهجرة^(٢) .

وفي السنة السادسة من الهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء ابن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين من قبل الفرس ، بكتاب يدعو إلى الإسلام ونصّه : (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبيّ ، رسول الله . إلى المنذر بن ساوى . سلام عليك ، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإن كتابك جاءني ورسُلك ، وإن من صلّى صلاتنا وأكل ذبيحتنا ، واستقبل قبلتنا فإنه مسلم . له ما للمسلمين . وعليه ما على المسلمين^(٣) .

ومن أبي فعليه الجزية .

وقد أسلم المنذر وحسن إسلامه ومات قبل الردّة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد ولى الرسول صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي^(٤) على البحرين بعد إسلام المنذر وبقي والياً ، فانقاد له جميع السكان ، فكان يأخذ الزكاة ممن أسلم ، والجزية من المجوس ممن بقي على دينه .

وكان العلاء ذا حنكة وسياسة ، فاستمال بحسن معاملته قلوب أهل هذه البلاد ،

(١) : « الإصابة » لابن حجر - ترجمة صحاح العبدى .

(٢) قد فصل خبر الوفد ابن سعد في « الطبقات الكبرى » .

(٣) « تاريخ ابن جرير » ج ٢ ص ٦٤٥ و ج ٣ ص ٢٩ .

(٤) انظر بحثاً عنه نشرته في جريدة « أم القرى » سنة ١٣٦٠ عدد ٨٦٣ و ٨٦٤ و ٨٦٥ في شهر

جمادى الآخرة سنة ١٣٦٠ (١٩٤١ م) .

مع تنافر أحوالهم واستفاد من بعض أساليب الحكم ، فكان - على ما ذكر المؤرخون - هو الذي أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم باستعمال الخاتم ، ليختم به الكتب التي كان يبعثها إلى الملوك وغيرهم ، لئلا يدخلها العبث والتزوير .

وكان لانضواء هذه البلاد تحت لواء الإسلام أثر كبير لا في الحياة الاقتصادية في الدولة الإسلامية التي كانت في دور النشوء ، وكانت محدودة الموارد ، بل في تنظيم شؤون تلك الدولة بصفة عامة .

لقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي والياً على البحرين وبعث أباً عبيدة ، ليأتي بجزيتهما وخراجها ، فقدم بمال من البحرين ، فسمعت الأنصار بقدمه ، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرضوا له : فبسم وقال : « أظنكم سمعتم أباً عبيدة قدم بشيء » ؟ قالوا : أجل - يارسول الله - فقال : « فأبشروا وأمّلوا ما يسركم ، فوالذي نفسي بيده ما الضعف أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تُبْسِطَ عليكم الدنيا كما بُسِطَتْ علي من كان قبلكم ، فتتافسوها تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم » .

وفي « صحيح البخاري » عن أنس رضي الله عنه ، قال : أتني رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين فقال : « انثروه في المسجد » وكان أكثر مال أتني به النبي صلى الله عليه وسلم - إذ جاءه العباسُ فقال : يارسول الله أعطني فإني فاديت نفسي وعقبيلاً . قال : فخذ ! فحشا في ثوبه ، ثم ذهب يُقِلُّهُ فلم يستطع ، فقال : مُرُّ بَعْضِهِمْ يرفعه إلى . قال : لا ! قال : فارفعه أنت علي ! . فقال لا . قال : فشر منه ، ثم احتمله على كاهله ، ثم انطلق ، فمزال النبي صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى خفي علينا عجباً من حرصه . وما قام النبي صلى الله عليه وسلم وثم منها درهم . رواه البخاري (١) وفي « نيل الأوطار » (٢) أنه كان مئة ألف ، وبلغ في إحدى السنوات مئة وخمسين ألفاً .

(١) « معجم ما استمع » .

(٢) : « نيل الأوطار » ٥ - ٢٣٤ .

ونكتفي بالإشارة إلى أن الحالة الاقتصادية في قاعدة الإسلام الأولى في عهد النبي عليه الصلاة والسلام بعد انضواء هذه البلاد تحت لوائه تغيرت تغيراً عظيماً ، فقد قامت على قاعدة قوية من حيث وفرة أموال الخراج والحزبة^(١) . ووجد المسلمون فيها من وسائل الرزق والرخاء مالا عهد لهم به مما أثمر في حياتهم أبلغ تأثير في عهد الخلفاء الراشدين .

ومع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عزل العلاء عن ولاية البحرين وولى مكانه أبان بن سعيد بن العاص الأموي القرشي - لأسباب نجعلها - وذلك في سنة تسع من الهجرة . إلا أن أبان بكر الصديق حين آلت إليه الخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وحزبته الأمور بارتداد أكثر قبائل العرب ، رأى في العلاء الرجل الذي يمكن التعويل عليه ، فلما أخرج أهل البحرين أبان بن سعيد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، طلبوا من أبي بكر أن يرد عليهم العلاء ففعل^(٢) ، وولاه قيادة الجيوش لمحاربة أهل الردة في تلك الجهة .

قال ابن جرير^(٣) :

ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد أهل البحرين فيمن ارتد فأما عبد القيس ففأتم وأما بكر فتمت على ردتها ، وكان الذي تسمى عبد القيس الجارود .

فبعث أبو بكر العلاء بن الحضرمي لقتال المرتدين سنة ١١ وكانت ربيعة في البحرين قد ارتدت واجتمعت على المنذر بن النعمان بن المنذر فملكوه ، وكان يسمى الغرور قال ابن جرير : وخرج الحظم بن ضبيعة أخو بني قيس بن ثعلبة فيمن اتبعه من بكر بن وائل على الردة ، ومن تأشب^(٤) إليه لن غير المرتدين ممن لم يزل كافراً حتى نزل

(١) في « الأغاني » ١٧ - ٣٢٥ ط (دار الكتب المصرية) أن النبي صلى الله عليه وسلم أنطع فرات بن حيان أرضاً بالبحرين تغل ألفاً ومئتين .

(٢) « معجم البلدان » - البحرين .

(٣) « تاريخ ابن جرير ج ٣ ص ٣٠١ - ٣٠٥ » .

« الأغاني » : ١٥ - ٢٥٦ - ٢٦٠ - ٢٥٧ طبعة دار الكتب .

(٤) تأشب : تجمع .

القطيف وهجر ، واستغوى الخط ومن فيها من الرُّطِّ والسباجية . وبعث إلى دارين فأقاموا له ليجعل عبد القيس بينه وبينهم ، وكانوا مخالفين لهم ، يمدُّون المنذر والمسلمين ، وأرسل إلى الغرور بن سويد أخِي النعمان بن المنذر . فبعثه إلى جوائى وقال : اثبتْ فإني إن ظفرت ملكتك البحرين حتى تكون كالنعمان في الحيرة . وبعث إلى جوائى فحصرهم فألحوا عليهم ، فاشتد على المحصورين الحصر ، واشتد عليهم الجوع حتى كادوا أن يهاكوا وفي ذلك يقول عبد الله بن حذف أحد بني أبي بكر بن كلاب :

ألا أبلغُ أبا بكرٍ رسولاً وَفَتِيانَ المَدِينَةَ لِمَجْمَعِينَا
فَهَلْ لَكُمْ إلى قومٍ كرامٍ فَعُرُودِ جَوَائِنَا مُحْصَرِينَا
كَأَنَّ دِمَاءَهُمْ في كلِّ فَسْجٍ شِعَاعُ الشَّمْسِ يُعْثِي النَّاطِرِينَا
تَوَكَّلْنَا على الرَّحْمَنِ إِنَّا وَجَدْنَا الصَّبْرَ للمُتَوَكِّلِينَا

فسار العلاء إلى البحرين ولما مرَّ باليمامة انضم إليه ثمامة بن أثال في مسلمة بني حنيفة ، كما تلقاه قيس بن عاصم وسار معه إلى قتال أهل البحرين .

فلما نزل العلاء هجر أرسل إلى الجارود وإلى رجل آخر وأمرهما بالمسير إلى الحُطَم مما يليهما . وخرج العلاء بمن معه نحو الحطم ليزل عليه مما يلي هجر . وتجمع المشركون إلى الحُطَم إلا أهل دارين ، وتجمع المسلمون كلهم إلى العلاء ، وخذق المسلمون والمشركون ، وكانوا يتراوحن القتال ، ويرجعون إلى خندقهم ، فكانوا كذلك شهراً . فبينما الناس ليلة إذ سمعوا في عسكر المشركين ضوضاء شديدة . فقال العلاء : من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال عبد الله بن حذف - وكانت أمه عَجَلِيَّةً - أنا أتيتكم بخبرهم . فخرج حتى إذا دنى من خندقهم أخذوه ، فقالوا له من أنت ؟ فانتسب لهم . وجعل ينادي : يا أبجراه ! فجاء أبجر ابن بُجَيْر ففرقه ، فقال : ماشأنك ؟ . فقال : لا أضيعنَّ اللبنة بين اللهازم ! على مَ أقتلُ وحوالي عساكر من عجل ونيم اللات وقيس وعتره ؟ ! أبتلاعِبُ بي الحطم ونزاع القبائل وأنتم شهود ؟ !

فخلَّصه ، وقال : والله إني لأظنك بشس ابن الأخت لأخوالك الليلة ! فقال : دعني من هذا وأطعمني فإني قد ميتٌ جُوعاً . فقرب له طعاماً فأكل ثم قال : زودني واحملي وجوزني أنطلق إلى طيِّبتي - يقول ذلك لرجل قد غلب عليه الشراب - ففعل ، وحمله على بعير وزوده . فخرج عبد الله حتى دخل عسكر المسلمين فأخبرهم أن القوم سكارى . فخرج المسلمون فاقتحموا عليهم عسكرهم ، فوضعوا السيوف فيهم . فاقتحموا الخندق هُرَّاباً ، فمَسَّرَدٌ ونَاج ودَهَش ومَقْتول أو مَأْسُور ، واستولى المسلمون على ما في العسكر . وقُتِلَ الحُطَم ، وأَسِيرَ الغرورُ بنُ سُويد .

وقصد عظيم الفلَّال لِدارين . فركبوا فيها السفن ، ورجع الآخرون إلى بلاد قومهم .

وذكر أبو هلال العسكريُّ في كتاب « الأوائل » (١) والمأوردِي في كتاب « الأحكام السلطانية » أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من وضع الديوان في الإسلام . قال الماوردي : واختلفت الناس في سبب وضعه ، فقال قوم : سببه أن أبا هريرة قدم عليه بمال من البحرين . فقال له عمر : ماجئت به ؟ قال : خمس مئة ألف درهم . فاستكثره عمر . وقال : أتدري ما تقول ؟ قال : نعم ، مئة ألف خمس مرآت . فقال عمر : أطيِّبٌ هو ؟ قال : لا أدري ! فصعد عمر المنبر . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أَيُّهَا النَّاسُ قد جَاءَنَا مال كثير . فإن شئتم كِلْنَا لَكُمْ كَيْلًا ، وإن شئتم عَدَدْنَا لَكُمْ عَدَدًا . فقام إليه رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين : رأيتُ الأعاجم يدوِّنون ديوانًا . فدوَّن لنا ديوانًا (٢) .

وقد وُضِعَ الدِّيوَان - وهو السجل الذي يتضمن أسماء مستحقي العطاء من بيت المال - في عهد عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، ويظهر أن أهل البحرين لم يبرزوا من الأعمال في ذلك العهد ما يحمل الخليفة على أن ينظر إليهم نظرة ترفعهم عن أن يكونوا في أنزل مراتب العطاء في ذلك الديوان (٣) .

(١) « صبح الأعيى » : ١٣ / ١٠٦ .

(٢) « صبح الأعيى » : ١٣ / ١٠٦ .

(٣) انظر « تاريخ ابن جرير » : ج ٣ ص ٦١٤ (طبعة دار المعارف بمصر) .

من ولاية البحرين في عهد الخلفاء الراشدين

كثيراً ما يُصيب القائد المظفر من نشوة الانتصار والظفر ما يدفعه إلى الاستمرار في المغامرات ، وهكذا كان شأنُ بطل جوانا والزّارة ودارين العلاء بن الحضرمي . فبعد أن افتتح مدينة الزّارة آخر معقل للمرتدين ، في القطيف بعد وفاة أبي بكر . بزمن يسير ، عزم على مواصلة الجهاد ، وكانت بلاد فارس متاخمة لبلاد البحرين . بل كان الفرس - في ذلك العهد - إحدى القوتين العظيمتين اللتين تتصدّيان لإيقاف انسياح الجيوش الإسلامية خارج الجزيرة . وللمساعدة على عدم الانقياد للدعوة الإسلامية ، لهذا وجّه العلاء عزمه لغزو بلاد فارس القريبة منه ، والتي التجأ إليها فلول من هزمهم في حروب الردّة .

ومن بلاد البحرين غزا المسلمون بلاد فارس وفتحوا كثيراً من جهاتها^(١) :

وكان رؤساء قبيلة عبد القيس - أبرز القبائل التي كانت تسكن البحرين في ذلك الوقت - أرادوا أن يعبروا للمسلمين وللخليفة عن صدق إخلاصهم وحسن بلائهم فأظهروا للعلاء رغبتهم في محاربة من يليهم من الأعداء ، فأذن لهم في ذلك فعبروا البحر إلى (اصطخر) في بلاد فارس ويظهر أن العلاء لم يرجع بذلك إلى الخليفة - القائد الأعلى - وانضاف إلى هذا أن الفُرس جمعوا للغزاة من القوة مالا قبيل لهم به ، فلما التقى الجمعان كان الظفر للفرس الذي طوقوا جيش المسلمين ، وحالوا بينه وبين السفن التي عبر بها البحر ، فهزم المسلمون ، وقتل كثير منهم ، ونجا بقيتهم حين أمّدَّهم أمير البصرة بجيش فكَّ عنهم الحصار ، وذلك بأمر الخليفة .

أثار هذا الأمر غضب الخليفة ، فعزل العلاء عن ولاية البحرين . وأمره بأن

(١) « تاريخ ابن جرير » : ٧٩ / ٤ - حوادث سنة ١٧ .

يذهب إلى البصرة ليكون تحت إمرة واليها الذي كان العلاء يساميه وينافسه في بسط رقعة الإسلام في بلاد الفُرس ، ولكن الله اختار للعلاء أن يموت في الطريق في منطقة العدان ، بقرب تياس ، في حدود الكويت .

قال ياقوت في « معجم البلدان »^(١) : وأما فتح فارس فكان بَدْوُهُ أن العلاء بن الحضرمي وجّه عرفجة بن هرثمة البارق في البحر ، فعبر إلى أرض فارس ففتح جزيرة مما يلي فارس ، فأنكر عمر ذلك لأنه لم يستأذنه ، وقال : غرّرت بالمسلمين وأمره أن يلحق بسعد بن أبي وقاص — لأنه كان واجداً على سعد ، فأراد قمعه بتوجيهه إليه ، فسار نحوه فلما بلغ ذا قار^(٢) مات . انتهى .

وذكر بعض المؤرخين أن عمر عين العلاء أميراً على البصرة بعد وفاة أميرها عقبه بن غزوان ، وأنه مات في طريقه إليها .

وقد ولي البحرين في عهد عمر — رضي الله عنه — ولاية منهم عثمان ابن أبي العاص الثقفي وقدامة بن مظعون ، وأبو هريرة^(٣) ، والربيع ابن زياد الحارثي ، من قبيل والي البصرة ، إذ كانت ولاية البحرين في آخر خلافة عمر ضمّت إلى والي البصرة بينما كانت قبل ذلك هي اليمامة ولاية واحدة :

فقد ذكر بن جرير — في حوادث سنة ١٦ أن العلاء كان والياً للبحرين واليمامة^(٤) .

كما ذكر أن والي اليمامة والبحرين في سنة ١٧ عثمان بن أبي العاص الثقفي .

وفي سنتي ٢٠ و ٢١ كان واليهما أبو هريرة — ولاية جباية الخراج — إذ ولاية عثمان بن أبي العاص استمرت إلى أن تولى عثمان بن عفان الخلافة في سنة ٢٤ فأقره في ولايته .

وقام عثمان بن أبي العاص الثقفي بغزو بلاد فارس فاستولى على جوانب من تلك

(١) فارس .

(٢) انظر (تياس) ففيه مات العلاء على ما ذكر أكثر المؤرخين .

(٣) على الصلاة والخراج ، لا الأمور الإدارية .

(٤) « تاريخ ابن جرير » ٤ - ٣٩ ط دار المعارف بمصر .

البلاد ، وكان - في عمله ذلك - ردةً للجيوش الإسلامية الزاحفة إلى تلك البلاد من العراق .

وفي عهد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه - كان من ولاية البحرين عمر بن أبي قتادة ، ثم النعمان بن العجلان^(١) الزرقي الأنصاري ، ثم عبید الله بن عباس وضمَّ إلى ولايته اليمن^(٢) .

بعض ولائها في العهد الأموي :

كان معاوية بن أبي سفيان ذا اهتمام عظيم بشؤون العمران ، وخاصة الزراعة^(٣) فلا بدَّ أن ينتج بنظره إلى هذه البلاد ، فكان أن عيَّن في ولايتها رجلاً من أسرته الأحوص بن عبد بن أمية ومروان بن الحكم^(٤) .

وعبد الملك بن مروان ، على ما ذكر ابن قتيبة تولى هجر^(٥) ، ولعل ذلك أثناء ولاية أبيه البحرين لمعاوية وزياد بن أبي سفيان ، مع الهند وغمان^(٦) .

ولما استقرَّ الأمر لعبد الملك بن مروان وولَّى الحجاج بن يوسف العراق أضاف البحرين إلى ولايته ، فكان يولى عليها من قبله ، ومن ولائها حسان بن سعيد وقطن بن مدركة الكلابي^(٧) .

كما تولاهما لعبد الملك الأشعث بن عبد الله بن الجارود من عبد القيس أهل هذه البلاد .

ولم ترسخ أقدام الأمويين في البحرين لبعدها عن مقر الخلافة ولكثرة مناوئتهم .

(١) انظر « مختصر جمهرة النسب » مخطوطة راقب ياشا ١٩٨ و « فرحة الأديب » مخطوطي ٣٨-٣٩ .

(٢) « تاريخ ابن جرير » .

(٣) بسطت الحديث عن هذا في بحث بمنوان (العمران في عهد معاوية بن أبي سفيان) من كتاب « ابن عربي ووطد الحكم الأموي في نجد » .

(٤) « المعارف » لابن قتيبة - طبع دار المعارف بمصر ص ٣٥٢ ، والبلاذري أيضاً ، واورد في مدحه : وبناديرين من قريش أمير عيشمي نفاعه ضرار .

(٥) : ٣٥٥ .

(٦) « الشعر والشعراء » لابن قتيبة - ١٥٠ .

(٧) : « ديوان الفرزدق » : ٧٠٠ .

الخوارج في البحرين

وَجَدَ الْخَوَارِجَ - بعد أن وقع الاختلاف بين المسلمين بوفاة معاوية سنة ٥٩ - في هذه البلاد خير مكان يسيطرون منه على معظم أنحاء الجزيرة ، ولولا أنهم أصيبوا من أنفسهم باختلافهم ووقوع الشقاق والتنافس بينهم لتغير مَجْرَى التاريخ .

لقد خرج من بني حنيفة - في اليمامة - نَجْدَةُ بن عامر ، وكان معاوية بن أبي سفيان قد اتجه إلى الاستفادة من المياه الغزيرة والأرض الواسعة الحصبة في إقليم الْخَرْج . في جَوَّهَا المعروف بجوّ الخضارم ، فأتى بأربعة آلاف رجل من الفلاحين من أهل الشام بأهلهم وهبأ لهم الاستقرار والاشتغال في الزراعة ، فلما اختل الحكم بوفاة معاوية قام نجدة بنهب ما جمعه أولئك الفلاحون ، بل إنه استرقهم ، وباعهم كما تباع العبيد . وقسم كل ذلك على أصحابه ، وذلك في سنة ٦٥هـ (١) .

فاستولى نجدة على اليمامة . ثم سار إلى البحرين ، فاستولى عليها ، بعد حروب يطول ذكرها ، وامتد نفوذه إلى اليمن وغيره .

ولكن الخلاف بينه وبين أتباعه في مسائل من أصول مَذْهَبِهِم دفع كثيراً منهم إلى أن ينحازوا عنه ، وَوَلَّوْا أمرهم أَبَافُدَيْكٍ حيث قتل نجدة سنة ٧٢هـ (٢) ولكن الأمر لم يستقم لأبي فُدَيْكٍ هذا ، فقد استعادت الدولة الأموية قوتها بولاية عبد الملك

(١) « تاريخ ابن جرير » : ٣ - ٣٥٢ .

(٢) انظر تفصيل أخبار نجدة في « تاريخ ابن جرير » ٦ / ١١٧ ط المعارف بمصر .

بن مروان ، الذي جهّز جيشاً لقتاله ، فتمكن هذا الجيش من محاصرة الخوارج في
المُشَقَّر ، حتى تمَّ الاستيلاء عليهم بعد قتل رئيسهم أبي فُدَيْك سنة ٧٣ (٣) .

غير أن الخوارج أعادوا الكرّة - أثناء ضعف الحكم الأموي - فاستولوا على
البلاد سنة ٨٦ بقيادة سعيد ومسعود ابني زينب الخارجيين وهما من أهل هجر ،
ومدّوا نفوذهم إلى اليمامة (١) حيث سار إليها من هجر هلال بن دُمْلُجٍ أحد
ولاّتهم . وكان والي الأمويين فيها سفيان بن عمرو العُقَيْلي . ولكن هذا الوالي استطاع
أن يهزم الجيش الخارجي وأن يقضي على حركة الخوارج في تلك البلاد . وفي ذلك
يقول الفرزدق (٢) :

وَلَوْلَا سُبُوفٌ مِّنْ حَنِيفَةٍ جَرَّدَتْ
بِإِزْقَانٍ (٣) أَضْحَى كَاهِلَ الدِّينِ أَزُورًا
تَرَكَنَ لِمَسْعُودٍ وَزَيْنَبٍ أَخْتَيْهِ
رِدَاءً وَجِلْبَابًا مِّنَ الْمَوْتِ أَحْمَرًا



(٣) « تاريخ ابن جرير » و « الكامل » لابن الأثير ٤ / ٢٨ .

(١) « ديوان جرير » : ١ : ٥ .

(٢) « معجم البلدان » - برفان .

(٣) برفان : بقرب مدينة الكويت فيه حقل نفض معروف ولكنهم يسمونه (البرفان) .

البحرين أثناء الحكم العباسي

يدل على عدم اهتمام الدولة العباسية بهذه البلاد أنهم صَيَّرَوها مع اليمامة وعمَّان وجنوب العراق (كُور دِجْلَةَ) عَمَلًا واحِدًا^(١) . يتَّصَلُ ولاتُها بولاية البصرة لا بقاعدة الخلافة . ووالي البصرة - كان في الغالب - من رجال الدولة المَقَرَّبِينَ إليها ، وهو الذي يختار ولاية الأقطار التي تحت ولايته .

ومنهم داود بن علي عمُّ الخليفة السفاح ، وزياذ بن عبد الله ابن عبد المَدَّان خاله ، وسليمان بن علي بن عبد الله بن عباس^(٢) والسَّرِي ابن عبد الله الهاشمي . وقنُثم بن العباس^(٣) بن عبد الله بن علي بن عبد الله ابن عباس ومحمد بن سليمان بن علي^(٤) وهؤلاء كلهم من بيت الخلافة . ومن رجالها الآخرين تميم بن سعيد بن دعلج^(٥) . وعمارة بن حمزة الكاتب . وسويد الخراساني القائد ، وعبد الله بن مصعب ، وصالح^(٦) ابن داود والنعمان مولى المهدي والمُعَلِّي مولاة^(٧) وداود بن ماسجور ومحمد ابن اسحاق بن ابراهيم بن مصعب^(٨) . . وآخرون لا نطيل بذكرهم ممن تمرُّ أسماؤهم على القارىء في المؤلفات القديمة على أنهم من ولاية البحرين .

(١) ابن جرير حوادث سنة ١٣٣ و « معجم البلدان » - البحرين .

(٢) من سنة ١١٣٣ إلى ١١٣٩ .

(٣) سنة ١١٤٣ .

(٤) سنة ١١٦٣ ومن ١٧٠ إلى ١١٧٣ .

(٥) سنة ١١٦٤ .

(٦) ١١٦٥ إلى ١١٦٩ .

(٧) من ١١٦٥ إلى ١١٦٩ .

(٨) سنة ١٢٣٦ .

والواقع أن ولايتهم اسمية ، وأن أكثرهم - إن لم يكن كلهم - كانوا يقيمون بقرب دار الخلافة ، ويبعثون بولاة من قبلهم إلى البلاد المنوطة بهم ولايتها .

ولا تفوت الإشارة إلى بعض ولائها في العهد العباسي .

ففي عهد المنصور - في سنة ١٥١ - خرج في البحرين سليمان بن حكيم العبدي ، من عبد القيس ، فولى المنصور لحره أمير البصرة عُقْبَةَ ابن سَلْم الهُنَائِي الأزدي (١) وذلك إبان اشتعال أوار العصية بين القحطانية والعدنانية ، فلم يكتفِ سَلْمُ بالقضاء على الخارجين على الخلافة ، بل فعل في تلك البلاد ما لا يجوز فعله مع أشد الأعداء ، فقد قتل من قدر عليه من الرجال ، وسب النساء والأطفال ، وأسر كثيراً من أهل البلاد وأتى بهم إلى دار الخلافة (بغداد) كأنهم غنائم دار حرب وكفر ، يتحكم فيهم الخليفة (المنصور) فيقتل بعضهم ، ويهب بعضهم لبعض رجال حاشيته كولي عهده الذي عدَّ من مناقبه أنه منَّ عليهم وأعتقهم وكَسَا بعضهم (٢) .

وفي عهد المأمون ولي البحرين رجل من أهل اليمامة (نجد) هو اسحاق بن ابراهيم بن أبي حميصة (٣) القيسي ولاء ، من أهل أضاح - إحدى قرى نجد التي لا تزال معروفة - وقد ذكر البلاذري في «فتوح البلدان» أن اسحاق هذا بنى في أيام المأمون مسجداً جامعاً مكان الحديقة التي قُتِل فيها مُسَيْلَمَةُ ، في عقر بآء ، في وادي حنيفة .

وذكر ابن جرير (٤) - في حوادث سنة ٢٣١ - أن محمد بن عبد الملك الزيات عقد لإسحاق هذا - في دار الخلافة - على البحرين واليمامة وطريق مكة .

(١) انظر عن سلم هذا «المنتالون» لابن حبيب ص ١٩٦ هـ «تاريخ الموصل» للازددي حوادث سنة ١٥١ هـ «تاريخ ابن جرير» و «مروج الذهب» ٣ - ٢٤٣ هـ و «مجمع الأمثال» أجراً من قاتل عقبة .
(٢) انظر «تاريخ ابن جرير» : ٨ - ٣٩ طبع المعارف بمصر .
(٣) في كثير من الكتب ورد اسم (خبيصة) بالخاء المعجمة ، ولكن جاء في مخطوطة (دار الكتب) من «نوادير المحررى» : (حميصة) بإهمال الخاء وإعجام الضاد ، وهذا الاسم يكثر في نجد بخلاف الأول .
(٤) «تاريخ ابن جرير» ٩ - ٢٣٠ طبع دار المعارف بمصر .

وذكر أيضاً أن المتوكل ولّى الشاعر مروان ابن أبي الجنوب - من آل أبي حفصة أهل اليمامة - ولاة البحرين واليمامة .

والظاهر أن إعجاب المتوكل بشعر مروان دفعه إلى أن يسخو له بولاية إقليمين من أوسع أقاليم الخلافة ، وقد يكون باعث هذا السخاء - فيما يظهر - الامتهانة بقدر هذين الإقليمين ، وضعة منزلتهما في نفس هذا الخليفة . ويدل على هذا أنه اتخذ أحدهما منتمى يبُعيد إليه من غضب عليه من حاشيته أو رجال دولته .

ذكر ابن جرير - في حوادث سنة ٢٤٤ أن المتوكل غضب على بختيشوع . وقبض ماله ، ونفاه إلى البحرين . فقال أعرابي^(١) :

بَا سَخْطَةَ جَنَاحَتْ عَلَى مِقْدَارِ
ثَارَ لَهُ اللَّيْثُ عَلَى اِقْتِسَادِ
مَنْسَه وَبَخْتِيشُوعَ فِي اغْتِرَارِ
لَمَّاسَعَى بِالسَّادَةِ الْأَقْمَارِ
وُلَاةَ عَهْدِ السَّيِّدِ الْمُخْتَارِ
وَبِالْمَوَالِي وَبَنِي الْأَحْرَارِ
رَمَى بِسَهْ فِي مَوْحَشِ الْقَفَارِ
بِسَاحِلِ الْبَحْرَيْنِ لِلصَّغَارِ

ومثل هذا - وإن كان متأخراً عنه في الزمن - ما ذكره الفاسي في « العقد الثمين » في ترجمة قاسم بن محمد بن جعفر بن هاشم العلوي المتوفي سنة ٥١٨ أن ابن الأثير ذكر في « الكامل » أن في سنة ٥١٥ ظهر بمكة إنسان علوي وأمر بالمعروف ، فكثرت جمعه ونازع أمير مكة ابن أبي هاشم فظفر به ابن أبي هاشم ، ونفاه إلى البحرين عن الحجاز . وكان هذا العلوي من فقهاء النظامية ببغداد . انتهى .

لقد كان النفي إلى هذه البلاد التي هي بدون مبالغة من أنصب بقاع الجزيرة وأكثرها خيرات ، وأوفرها في وسائل المعيشة ، فلم كان هذا ؟

(١) كان طيبياً . وقد غذب سنة ٢٤٥ وحبس بالمطبخ وكان يمرض ببعض رؤساء زمنه (انظر ابن جرير : ٩ - ٤٣٩) .

كانت المياه العظيمة البخارية المتفجرة من العيون تكوّنُ مستنقعات في بعض الجهات فيتولد عليها البعوض المسبب لداء الحمى (الملاريا) وكان سكان هذا الإقليم يصابون بهذا الداء . بدرجة تؤثر في أروانهم فتحيلها إلى الصفرة ، وتحدث تَضَخُّماً في بطونهم حتى عَدَّ بعض المتقدمين من خصائص هذه البلاد انتفاخ البطن .

نقل الثعالبي عن الجاحظ : (من أقام بالبحرين مُدَّةً رَبَّاطِحَالَهُ وانتفخ بطنه :
وَمَنْ يَسْكُنُ الْبَحْرَيْنِ يَعْظُمُ طُحَالَهُ

وَيُغْبِطُ عَلَى مَا فِي بَطْنِهِ وَهُوَ جَائِعٌ ^(١)

وقال ابن الفقيه ^(٢) : الناس يقولون : حُمَى خَيْبَرِ ، وطواعين الشام ،
ودماميل الجزيرة ، وطحال البحرين .

أبعدنا عن الموضوع ، فَلْتَعُدُّ إِلَيْهِ :

لقد انصرفت الدولة عن هذه البلاد - وإن شئت فقل : شَغِلَتْ بنفسها عنها فلا غَرَوَ أَنْ يَحْدُثَ فِيهَا مِنَ الثورات والفتن ما يحدث عادة في بلاد يُحَسُّ أهلها من الخواطر والرغبات ما يدفعهم إلى تَطَلُّبِ حياة أكثر استقراراً وسعادة .
أربأ كان مصدرها .

ففي سنة ٢٤٩ ^(٣) خرج فيها خارجي عُرِفَ عند المؤرخين بـ (صاحب الزنج) لأن أكثر من استجاب له في أول أمره من العبيد السود ، الهاريين من الرق ، وقد انتقاد له أهل البحرين ، ولكن لم يطل زمنه فقد هزمته جيوش الخليفة العباسي المعتمد سنة ٢٥٨ هـ وقد فَصَّلَ أخباره ابن جرير ومن جاء بعده من المؤرخين . ولا يكاد الباحث يجد ما يدلُّ على صلة هذه البلاد - بعد ذلك - بالدولة العباسية ^(٤) التي أدركها الضعفُ ، فبدأها التمزُّقُ ، فاستولى على الإمامة بنو الأَخِيضِرِ في منتصف القرن الثالث ، وانفصلت اليمن بعد ذلك كما انفصلت هذه البلاد في سنة ٢٨٦ .

(١) « الحيوان » للجاحظ : ٤ - ١٣٩ و « ثمار القلوب » للثعالبي : ٣٥٢ .

(٢) « مختصر البلدان » : ٩١٨ .

(٣) حوادث سنة ٢٤٩ هـ .

(٤) في سنة ٣٨١ هـ حدث بين أحمد بن ثور وبين الأباضية أهل عمان معركة انتصر فيها ابن ثور وقومه من أهل البحرين على العمانيين ، وقتل كثير منهم حمل بعض رؤوسهم إلى بغداد .

القرامطة في البحرين

قام القرامطة بانشاء دولة في بلاد البحرين في سنة ٢٨٦^(١) وبقيت نحو ١٨٠ سنة وبلغت من القوة ما جعلها تهدد الخلافة في بغداد بعد أن هزمت جيوشها التي وجهت للقضاء عليها . بل لقد طمعت بأن تتجاوز العراق ومن فيه للقضاء على دولة العبّاسيين في الشام وفي مصر ، وفي ذلك يقول الحسين بن أحمد بن بهرام القرمطي المتوفي سنة ٣٦٦ وكان من القواد العظام^(٢) :

زَعَمَتِ رِجَالُ الْغَرْبِ أَنِّي هَبْتُهَا
فَدَمِي إِذْ نَ مَسَا بَسِيْنَتَهُمْ مَطْلُوْلُ
يَا (مِصْرُ) إِنْ لَيْمَ أَسْقِ أَرْضَكَ مِنْ دَمِ
بُرُوي تَرَاكِ فَلَآ سَقَانِي (النَيْلُ)

ولقد سار هذا القائد حتى نزل بعسكره في (عين شمس) فحاصر المعز الفاطمي في مصر ، ولكن هذا عمد إلى حيلة فرّق بها جيش القرمطي حتى هزمه .

وقد استولى القرامطة على الجزيرة باستثناء بلاد اليمن ، في سنة ٣١٧ فأزالوا إمارة الأخيضريين عن اليمامة واستولوا على مكة المكرمة ، وفعلوا فيها من الأفعال

(١) انظر « تاريخ ابن جرير » وغيره حوادث هذه السنة .

(٢) انظر ترجمته في « وفيات الأعيان » لابن خلكان و « تاريخ دمشق » لابن عساكر ١٤٨/٤ .

المنكرة ما طفحت بذكره كتب التاريخ ، ولكن الباحث حين يحاول البحث عن مصادر لأخبارهم يُعوزُه وجودها في غير مؤلفات مخالفيهم ، وتكاد تلك المؤلفات تُجمَعُ على إبرازهم بأبشع صورة باستثناء إشارات موجزة في مؤلفات أناس زاروا بلاد البحرين أثناء حكمهم ، كناصر خسرو في رحلته «سفر نامه» والمقدسي في «أحسن التقاسيم»^(١) وينبغي إدراك عدم الصلة بين قرامطة البحرين ، وقرامطة اليمن ، وإن اتفقوا في بعض الآراء - كالإباحية مثلا - فقرامطة اليمن ذوو صلة بالعبديين ولاة مصر في ذلك العهد ، بخلاف قرامطة البحرين .

وقد خيّمَ على تاريخ هذه البلاد منذ آخر القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن العاشر ظلام من الجهل ، لا يتبين الباحث فيه معالم سيره ، ولكنه يستنتج من إشارات موجزة وردت في بعض المؤلفات استنتاجات لا يصح الجزم بصحتها في جميع الحالات ، ولكنها هي كل ما أمكن الوصول إليه .



(١) ص ٩٣ ط ليدن سنة ١٩٠٦ م .

العيونيون حكام البحرين

بدأ الضعف في حكم القرامطة في القرن الخامس الهجري ، فاستولى على القطيف وعلى جزيرة أوال آل عيَّاش من بني عبد القيس ، وتخلصت أجزاء أخرى من مملكتهم الواسعة من حكمهم . فقام عبد الله بن علي العيوني العبّسي (١) في سنة ٥٤٦٦ هـ بالإجهاز على بقيتهم بمساعدة من الدولة العباسية ، وتوارث الحكم في هذه البلاد رجال من أسرته إلى منتصف القرن السابع الهجري ، حيث وقع الشقاق بين رجال الحكم فضعفوا حتى تحكّم أعداؤهم من رجال البادية في البلاد ، وأزالوهم عن حكمها .

وأهمّ متصدّر يمكن الرجوع إليه لمعرفة حالة تلك البلاد في ذلك العهد هو « ديوان ابن مقرب » الشاعر الأحسائي ، وهو أحد الأمراء العيونيين ومن عاصر بدء زوال حكمهم .

وفي كتاب « أزهار الرياض » (٢) لابن شدّ قَم المَدني — من أهل القرن العاشر — بيان عن تسلسل حكم أمراء العيونيين وكان بدء انحلال الحكم بسبب ضعف العيونيين مدعاة لمحاولة تدخل اليد الأجنبية لسط نفوذها في هذه البلاد حيث حاولت (الأتابكية السلغرية) في بلاد فارس بسط نفوذها على أطراف السواحل وما بقربها في عهد الأتابك أبي بكر ابن سعد بن زنكي في سنة ٦٢٠ تقريباً إلى سنة ٦٣٢ وبعدها في فترات متقطعة أخرى كما أشار إلى ذلك صاحب « أزهار الرياض » وغيره .

ولكن نفوذهم انحصر في المدن القريبة من السواحل .

(١) نسبة إلى العيون الناحية المروقة في الاحساء وهم من عبد القيس .

(٢) لا يزال مخطوطاً ، ومنه أجزاء مفرقة في المكتبة التيمورية (في دار الكتب المصرية) وفي (المتحف

البريطاني) ويقال : إن في إحدى مكنتات النجف في العراق نسخة كاملة منه في ثلاثة مجلدات .

بَنُو عَقِيلٍ يَحْكُمُونَ الْبِلَادَ

تَسَلَّطَ بَنُو عَقِيلٍ^(١) مِنَ الْبَادِيَةِ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ بَعْدَ أَنْ عَاقَبُوا فِيهَا فِسَاداً ، وَتَوَلَّى إِدَارَهُ شُؤْنَهَا أَنَاثُ فِي فِتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ تَقْرِبُ مِنْ ثَلَاثَةِ قُرُونٍ ، وَهِيَ فِتْرَةٌ حَالِكَةٌ السَّوَادِ لَا يَكَادُ الْبَاحِثُ يَتَبَيَّنُ شَيْئاً مِنْ مَعَالِمِهَا يَهْتَدِي بِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ شَيْءٍ مِنْ تَارِيخِهَا ، فَالْإِشَارَاتُ الْمَوْجُزَةُ الْوَارِدَةُ فِي كِتَابِ ابْنِ خَلْدُونَ وَابْنِ فَضْلِ اللَّهِ الْعَمْرِيِّ وَابْنِ زَمَاجِ الْحَمْدَانِيِّ وَابْنِ حَجْرٍ ، لَا تَحْوِي سِوَى أَسْمَاءِ أُسْبِرٍ أَوْ أَمْرَاءِ مِثْلِ آلِ عَصْفُورٍ سَنَةِ ٦٥١ وَآلِ جَرَّوَانَ مِنْ سَنَةِ ٧٠٥ إِلَى سَنَةِ ٨٢١ .

وَكَانَ آخِرُهُمْ آلُ جَبْرِ ، ثُمَّ آلُ مَغَامِسَ .

وَلِأَجُودِ بْنِ زَامِلِ بْنِ جَبْرِ مِنَ الصَّيِّتِ وَالشَّهْرَةِ فِي عَهْدِهِ مَا دَفَعَ مُؤَرِّخِي عَصْرِهِ - كَالسَّخَاوِيِّ وَالسَّمْعُودِيِّ وَابْنِ فَهْدٍ - إِلَى الْإِشَادَةِ بِذِكْرِهِ ، وَقَدْ اتَّسَعَ حُكْمُهُ حَتَّى شَمَلَ نَجْدًا ، وَيُعَدُّ عَهْدُهُ مِنْ أَزْهِمِ الْعُهُودِ الَّتِي مَرَّتْ بِهَذِهِ الْبِلَادِ ، عَدْلًا وَإِصْلَاحًا وَانْتِشَارَ عِلْمٍ^(٢) .

وَقَدْ انْتَرَعَ آلُ جَبْرِ حُكْمَ الْبِلَادِ مِنْ آلِ مَغَامِسَ ، وَهَؤُلَاءِ انْتَرَعُوهُ مِنْ آلِ جَرَّوَانَ مِنْ أَبْنَاءِ عُمُومَتِهِمْ مِنْ بَنِي عَامِرٍ فِي مِتْتَصِفِ الْقَرْنِ الثَّامِسِ . وَامْتَدَّ عَهْدُهُمْ إِلَى سَنَةِ ٩٣١ بَعْدَ امْتِدَادِ نَفُوذِ (الْبَرْتَغَالِيِّينَ) إِلَى سِوَا حِلِّ الْبِلَادِ ، وَقَتْلِ مُقَرِّنِ بْنِ جَبْرِ سَنَةَ ٩٢٨ وَوَقْعِ الْخِلَافِ بَعْدَ ذَلِكَ بَيْنَ آلِ جَبْرِ فَانْتَقَلَ الْحُكْمُ إِلَى آلِ مَغَامِسَ مِنْ بَنِي عَامِرٍ^(٣) أَيْضًا .

(١) بَنُو عَقِيلٍ هَؤُلَاءِ كَانُوا مِنْ بَادِيَةِ الْأَحْسَاءِ مِنْ الْقَرْنِ الثَّلَاثِ الْمَجْرِيِّ كَمَا يَفْهَمُ مِنْ نِصُوصِ نَقْلِهَا الْأَزْهَرِيِّ .

(٢) انظُرْ عَنِ «الدَّوْلَةِ الْجَبْرِيَّةِ» مَجْلَدِ «العَرَبِ» مِنَ الْأَوَّلَى ٦٠١ - وَمَجْلَدِ «الْمَنْهَلِ» ج ٥ ص ١٤٨ سَنَةِ ١٣٦٠ هـ - فِي مَقَالِ الْكَاتِبِ هَذَا .

(٣) بَنُو عَامِرٍ هَؤُلَاءِ يَظْهَرُ لِي أَنَّهُمْ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْقَيْسِ مِنْ كَانُوا يَدْعُونَ (الْعَمُورَ) ثُمَّ عَرَفُوا أَخِيرًا بِاسْمِ =

وكان آل مغامس حكم في هذه البلاد . في أول القرن السابع ، فانترعه آل جروان سنة ٧٠٥^(١) . ثم استعادوه من آخر البجريين غصيب بن زامل بن هلال بن زامل سنة ٩٣١ وكان أول أمراءهم في هذه الفترة راشد بن مغامس^(٢) . غير أن عهدهم لم يتطَّل ، فقد استولى الأتراك على البلاد .



أطلال مسجد جواتا الذي أنشئ منذ ١٣٨٩ عاما

= (العمائر) ومنهم بنو عقيل وهم غير بني عقيل الذين من بني عامر بن صعصعة من هوازن، ولكن الاتفاق حصل بالاسم .

(١) انظر « الدرر الكامنة » لابن حجر ١ - ٧٣ الطبعة الأولى و « الدرر الفوائد المنظمة » للجزيري مخطوطة (دار الكتب) - المكتبة التيمورية ص ٥٢١٦ .

(٢) الدرر الفوائد المنظمة ص ٣١٦ مخطوطة التيمورية في (دار الكتب المصرية) .

الدولة العثمانية في الأحساء

ليس صحيحاً ما جاء في كتاب « عنوان المجد في تاريخ نجد » لابن بشر من أن استيلاء الأتراك على هذه البلاد على رأس الألف من الهجرة . بل كان قبل ذلك حيث يوجد من آثارهم في الأحساء مسجد يدعى مسجد الدبس ، بناه أحد ولائهم في عهد السلطان سليمان القانوني . في سنة ٩٦٢ - كما هو مسجل في حجر في جدار ذلك المسجد (١) .

وَضَمُّوا وِلايَتَها إلى ولاية بغداد والبصرة .

وامتد حكمهم إلى سنة ١٠٨٠ (نحو ١٢٠ سنة) حيث استعادت البادية سيطرتها على هذه البلاد بسبب ضعف الدولة التركية ، فحاول آل معامس استعادة نفوذهم ولكن آل حُمَيْد منافسيهم على النفوذ كانوا أقوى منهم فاستولوا على البلاد ، وكان مقدمهم بَرَكَ بن غُرَيْر ، الذي امتدت سيطرته إلى بلاد نجد .

ولاية آل حميد :

كانت ولاية هؤلاء قائمة على العنفِ والشدة كما قال أحد الشعراء :

رَأَيْتُ البَدْوَ (آل حُمَيْدَ) لَمَّا

تَوَلَّوْا أَحَدُهُمْ في (المَخْطَا) ظُلْمًا

أَتَى تاريخُهُمْ لَمَّا تَوَلَّوْا

وَقَانَا اللهَ شَرَّهُمْ : (طَغَى الما (٢))

(١) انظر نص ما هو مكتوب في مجلة « المنهل » عدد رجب وشعبان سنة ١٣٦٠ هـ ص ١٦ .

(٢) كلمة (طغى الما) تماثل ١٠٨٢ من العدد ، ط = ٩ ، غ = ١٠٠٠ ، ي = ١٠ ، ا = ١

ل = ٢٠ ، م = ٤٠ ، أ = ١ المجموع : ١٠٨٢ = ١ + ٤٠ + ٢٠ + ١ + ١٠ + ١٠٠٠ + ١٠٨٢ .

وقد استمر حكم آل حميد إلى أن استولت الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام سعود بن عبد العزيز الأول سنة ١٢٠٧هـ ولم يزل إلاّ بزوال تلك الدولة ١٢٣٣ حيث سيطرت الجيوش الغازية عليها كغيرها من أجزاء البلاد ، ولكن القوّضى عادت إليها باضطراب الأمن واستشراء شرّ البادية حتى سنة ١٢٥٠ حيث حكم البلاد الإمام فيصل بن تركي - رحمه الله - .

ولما وقع الخلاف بين ابنه عبد الله وسعود بعد وفاته امتدّ إليها نفوذ الدولة التركية بعد واقعتي الوجّاج وجودة سنة ١٢٨٧ حيث استولى سعود على الأحساء وهزم أخاه عبد الله ، فاستعان بوالي بغداد ، فأرسلت الدولة جيشاً تمكّن من احتلال البلاد . وظهر للإمام عبد الله بن فيصل طمع الدولة في الاستمرار بحكمها . وأنها تُبَيِّتُ له أمراً فترك البلاد سراً ، وعاد إلى الرياض . وامتدت فترة الحكم التركي في تلك الحقبة نحو ٤٣ عاماً (من سنة ١٢٨٨ إلى سنة ١٣٣١) .

وأغرّت خصوبة أرض هذه البلاد وكثرة مياهها ومزروعاتها ونخيلها كثيراً من ولاية الأتراك في هذه الحقبة إلى الاستفادة من هذه الناحية . فأنشأوا فيها قرعاً من (الدائرة السنيّة) أو (دائرة الأحوال المدنية) التي وُصِفَتْ في كتاب « دليل الخليج » بما نصّه (١) :

الدائرة السنيّة : أو دائرة الأحوال المدنية . وهي تلعب دوراً هاماً في اقتصاديات العراق التركي ، ومنذ ظهورها في الحسا منذ حوالي عشرين سنة سابقة . وكانت تملك في واحة الحسا زراعات في قرية باب الحفر ، وكانت تُغِلُّ ما يتراوح بين ٢٠٠٠ إلى ٢٥٠٠ نخلة من التمور ، وإنتاجها السنوي من التمور في القطيف يبلغ حوالي ١٦,٠٠٠ قلة من التمر ، ويبلغ قيمة الإنتاج السنوي من تمورها في كلا الواحيتين حوالي ٣٠٠٠ جنيه استرليني ، وفي قرى الحبييل ، وجليجلة ، والحليلة ، والمنيزلة ، والمطير في والمزاوي ، والشقيق ، في واحة الحسا توجد أراضي أرز مملوكة للدائرة السنية ، تُغِلُّ ١٠٠٠ موسمية (٢) من الأرز سنوياً وتملك أيضاً الدائرة حوالي ٢٥ متراً في

(١) دليل الخليج : القسم الجغرافي ص ١٠٢٥ .

(٢) هي نحو الكيس من الأرز .

مدينة القطيف ، كانت مملوكة في السابق للشيخ ابن غانم من شيوخ البحارنة .
ويوجد بالحسا مدير أملاك (الدائرة السنية) ولكن بصورة غير دائمة ، وكذلك
رئيس (الجندرية) في الهفوف ، وواحة القطيف لا زالت منحصرة في (حاجي
منصور باشا ابن جمعة) في مدينة القطيف انتهى .
وكانت الدولة التركية جعلت هذه البلاد لواء . له حاكم يدعى المتصرف .
وهذا اللواء مؤلف من قضاء القطيف وقضاء قطر وقضاء الهفوف وهو المركز .
ولكن في هذا العهد كانت السلطنة العثمانية - في البلاد العربية - قد أشرفت على
الزوال ، وتم ذلك بالنسبة لهذه البلاد في منتصف عام ١٣٣١ هـ .

إحدى قواعد تأسيس الدولة السعودية

في اليوم الخامس من شهر جمادى الأولى من سنة ١٣٣١ تمّ استيلاء الملك
عبد العزيز - رحمه الله - على الأحساء قاعدة البلاد ، وإزاحة كابوس الحكم
الأجنبي عنها وفي آخر تلك السنة طهرها من عبث البادية التي كانت قد اتخذت منها
مسرحاً للنهب والسلب ، فأصبحت بانضوائها تحت لواء الحكم السعودي إحدى
القواعد الصلبة القوية التي قام عليها - فيما بعد ذلك - تشيد صرح هذه المملكة العظيمة
في مختلف النواحي من عمرانية وسياسية واقتصادية .

هذه لمحات موجزة عن تاريخ هذه البلاد في مختلف أطوارها ، لن تشيخ
نهم الباحث المتعمق ، ولكنها قد ترسم معالم طريقه لبلوغ الغاية التي يسكن
بلوغها ، حتى تتضح معالم أخرى قد تنتهي إلى غايات أخرى ، وما أصعب
اتّضح هذه المعالم ! !

البحرين

— على لفظ مُسْتَنَى بَحْرٍ — وهكذا يتلفظُ به في جميع حالات الإعراب ، لأن الكلمة صارت اسماً لهذه البلاد المعروفة . فأشبهه الأسماء المفردة . قال ياقوت : ولم يُسْمَعْ على لفظ المرفوع إلا أن الزمخشري حكى أنه بلفظ التثنية فيقولون : هذه الْبَحْرَانِ وانتهينا إلى البحرين ولم يبلغني من جهة أُخْرَى . كذا قال ياقوت مع أن البكري في « معجم ما استعجم » أورد الاسم مبتدئاً مرفوعاً بالألف قال : الْبَحْرَانِ — تثنية بَحْرٍ — وهو بلد مشهور بين البصرة وعمان . وفي قصيدة الأحنس بن شهاب التعلية :

لُكَيْزٌ لَهَا الْبَحْرَانِ وَالسَّيْفُ دُونَهَا
وَإِنْ يَأْتِيهَا بِأَسْرٍ مِنَ الْهِنْدِ كَارِبٌ
تَطَايَرٌ عَلَى أَعْجَازِ حَوْشِ كَأَنَّهَا
جَهَامٌ هَرَّاقَ مَاءَهُ فَهُوَ آيِبٌ

والأحنس شاعر جاهلي ، ولكن رواة الأشعار من المتأخرين قد يتصرفون فيها في تغيير بعض الكلمات والبكري قبل ياقوت وكذا ورد في « لسان العرب » وفي « المصباح المُسْتَبْرَ » ولكن الإمام الأزهري — وهو أقدم منهم وأعرف بهذه البلاد اقتصر على لزوم الياء في جميع حالات الإعراب .

والنسبة إلى البحرين — هذه البلاد — بَحْرَانِي لثلاث تشبه بالنسبة إلى الْبَحْرِ . قال النَهْجَرِيُّ : وَإِذَا نَسَبْتَ إِلَى عَيْسِينَ قُلْتَ عَيْنَاوِيٌّ وَإِلَى الْبَحْرَيْنِ : بَحْرَانِيٌّ وَإِلَى السَّرَيْنِ سِرَانِي . انتهى .

وجرى بين عالين لغويين هما الكسائي واليزيدي بحضرة الخليفة المهدي قصة في موضوع النسبة إلى البحرين ، أوردها ياقوت في « معجم الأدباء » وأشار إليها في « معجم البلدان » .

ولا تزال كلمة (البحراني) التي هي في الأصل نسبة إلى البحرين مستعملة ، ولكنها لا يُقصد بها معناها الصحيح ، بل تطلق - في تلك الجهة - على الشيعي ، بصفة عامّة ، وسبب ذلك يرجع إلى كون كثير من سكان تلك الجهة منذ عهد قديم من الشيعة ، قال في « معجم البلدان » في الكلام على عُمان :

عُمان : في شرق هَجَرَ . وأكثر أهلها في أيامنا خوارج إباضية ليس بها من غير هذا المذهب إلا طائفة غريب ، وهم لا يخفون ذلك .

وأهل البحرين بالقرب منهم بضدّهم ، كلهم روافض سبائيون ، لا يكتفون ولا يتحاشون ، وليس عندهم من يخالف هذا المذهب إلا أن يكون غريباً - انتهى .

وقد تغيرت الأحوال في القطرين المذكورين ، وانتشر العلم ، وعمّ التآخي بين جميع المسلمين وزالت الفوارق السيئة والله الحمد .

أما أصل تسمية هذه البلاد بالبحرين فلعلماء اللغة فيه آراء أوردها ياقوت طائفة منها وقال بعد ذلك : هذا كله تعسف لا يشبه أن يكون اشتقاقاً للبحرين ، والصحيح عندنا ما ذكره أبو منصور الأزهري .

ولكن بعض العلماء لم يطلع عليها ياقوت - فيما يظهر - ولهذا يحسن عرضها :

١- وهذا قول الأزهري الذي ارتضاه ياقوت . قال في كتاب « تهذيب اللغة (١) » :
وإنما سُمّوا (٢) البحرين لأنّ في ناحية قُراها بُحَيْرَة على باب الأحساء وقري هَجَرَ ، بينها وبين البحر عشرة فراسخ وقدّرتُ هذه البُحَيْرَة ثلاثة أميال في مثلها ، ولا يغيض ماؤها ، وماؤها راكِدٌ زُعَاقٌ - وسيأتي ذكر هذه البحيرة .

(١) : ٥ - ٤٠ .

(٢) في « معجم البلدان » : وإنما سموا البحرين .

٢- وقال الهمداني - وهو معاصر للأزهري^(١) - : والبحرين إنما سُميتِ
البحريْن من أجلِ نَهْرِيْهَا مُحَلَّمٌ ، ولنهر عين الجريب . انتهى .

٣- وقال الإدريسي في « نزهة المشتاق »^(٢) : وسميت الجهة بالبحرين بجزيرة
أوال ، وذلك أن جزيرة أوال بينها وبين فارس مَجْرَى ، وبينها إلى بَرِّ العرب
مجرى ، وهي ستة أميال طُولاً ، وعرضاً كذلك .

وبلاحظ أن الإدريسي (٤٩٣ - ٥٦٥) عوّل على كتاب العذري الذي ألفه
وهو في مكة سنة ٤١٧^(٣) .

ويظهر أن مؤلفي « دائرة المعارف الاسلامية » وهم من المستشرقين - استأنسوا
بهذا الرأي ، على ما سيأتي .

٤- وفي كتاب نصر^(٤) : قال الأصمعي : إنما سُميتِ البحرين لأنهما عينانِ ،
بينهما مسيرة ثلاث ، إحداهما مُحَلَّمٌ ، والأخرى قَضْبَاءٌ ، وهي خبيثة الماء ، على
أحدهما هَجَرَ والأخرى قطيف وهي الخلط .

ومثل هذا في كتاب الحازمي^(٥) إلا أن قَضْبَاءَ عنده (قَضْبِي) .

وهذا الكلام كان ينبغي تقديمه على كلام الأزهري ، لقدّم الأصمعي في الزمن
والعلم ، ويكاد يتفق مع قول الهمداني .

٥- وفي كتاب ابن المجاور^(٦) رأى طَرِيْفٌ بحسن إيرادِه لطرافته لا لصحته ،
قال - على ما تقدّم في الكلام على أوال - : سمي البحرين بحرين لأجل البحر ،
وأهلها العرب شبه البحر في كرمهم ، أي بلاد تسمى البحرين بَحْرُ ماءٍ ، وبَحْرُ

(١) : « صفة جزيرة العرب » : ٢٨١ .

(٢) : « العرب » ص ٥٥ ص ٥١٩ .

(٣) انظر عن العذري « العرب » ج القعدة ص ١٢ .

(٤) : ١٤٥ .

(٥) : ١٨٧ .

(٦) ابن المجاور هذا رجالة فارسي - وليس ابن المجاور الشيباني الدمشقي فهذا متأخر عن زمن الأول
الذي قدم من الديبل سنة ٥٦١٨ وزار جدة ومكة وعدن وكتابه مطبوع .

خُلِقَ . وقال عن جزيرة أوال (البحرين الآن) : ويقال إنها جزيرة في بحر مالخ فوق بَحْرٍ عَدْبٍ فلأجل ذلك سميت البَحْرَيْنِ (٧) .

٦- وفي كتاب « نخبة الدهر في عجائب البر والبحر » : بحيرة هجر في بلاد البحرين وبها وبالبحر الكبير سُمِّيَتْ أرض هجر بالبحرين ، وقيل : بل سمي البحرين لأن هناك دخلة من الأرض في البحر الكبير كالجزيرة وسمي ذلك الموضع بالبحرين . انتهى .

أما الدخلة من الأرض في البحر فغير مفهوم المراد بها ، هل شبه جزيرة قطر وهي معدودة من البحرين قديماً ؟ إنها أبرز رأس من البر داخل البحر ، وهناك رؤوس أخرى صغيرة .

٧- وفي « دائرة المعارف الاسلامية » (٢) : يظهر أن اسم البحرين مُشتقٌ من شبه الجزيرة التي تمتد من الحساء ، وتقسّم البحر شطرين . انتهى .
ولكن أين شبه الجزيرة الممتدة من الحساء ؟ !

هل أرخبيل البحرين كان في المهود القديمة يكون شبه جزيرة تمتد من رأس البرّ الواقع شرقي الظهران ، ثم انفصلت ، وتكونت جزر البحرين وما بينها وبين الساحل الغربي من الجزر ؟ .

٨- وقال الأستاذ رشدي ملحس (٣) - بعد إيراد أقوال المتقدمين في اشتقاق كلمة البحرين وأنه تسمية بحر : (هذا تعليل فاسد) ، لا يعدو الحدس والتخمين والصواب أن البحرين لفظة حِمِّيْرِيَّة قديمة ، اصططلحت عليها القبائل الحميرية التي نزلت في هذه المنطقة وهي مشتقة من (بحر) وهو اليَمُّ ، و (ين) أداة التعريف في اللغة الحميرية . ومعناها اللغوي (البحر) .

(١) ص ١٢١ .

(٢) ج ٣ ص ٣٩٣ . الترجمة العربية .

(٣) : جريدة « البلاد السعودية » عدد ٦٥٠ في ١٢ ٥ ١٣٦٦ .

وأما في الاصطلاح الجغرافي فهو المقاطعة البحرية لأنها واقعة على ريف البحر ،
أو لأنها تشبه البحر في غزارة مياهها وكثرة عيونها -

وقد أسماها الأشوريون (مات تتمم) أي الأراضي البحرية .

أما أداة التعريف الأولى فزائدة ، أضافها المتأخرون ، والفرنجة يكتبونها بحذف
الألف واللام ، وهو أقرب إلى الصحة .

وأما صواب لفظها وكتابتها فهو (BAHRIN) على وزن فَعْلَيْن ، بإشباع الياء
التحتية . انتهى .

هذا مُجْمَلٌ ما اطلعت عليه من الآراء حول تعليل تسمية هذه البلاد باسم
(البحرين) أوردته ليكون القارئ له رأياً حيالته .

وفي رأيي يرتكز على ما ألمح إليه كثير من المتقدمين من كثرة عيونها التي يشبه
بعضها الأنهار في غزارة الماء وقوة الجريان - وهو أن المنطقة الممتدة من القطيف إلى
نهاية واحة الحساء في الجنوب تكاد تشبه بَحْرًا من الماء ، لكثرة أنهارها ، وهذا
في القديم ، وهي تجاور البَحْرَ أيضاً . ومن هُنَا سميت البَحْرَيْنِ .
وهذا الرأي لا يبعد عن أقوال الأصمعي والأزهري والممداني .

موقع البحرين من أقسام الجزيرة .

يقسّم المتقدمون جزيرة العرب إلى أقسام هي تهامة والحجاز ونجد والعروض
واليمن^(١) .

ثم يقسمون العروض إلى قسمين هما اليمامة والبَحْرَيْنِ^(٢) .

ومن هنا يتضح خطأ من عدّ البحرين من نجد إلا إذا كان المراد أنّهما
في بعض الأزمان كانت ولاية واحدة .

(١) كتاب « المناسك » : ٥٣ ٥٤ « صفة جزيرة العرب » : ٥٩ .

(٢) كما في كتاب « المصباح المنير » وكتاب « تاج العروس » .

ويحسن أن نورد بعض نصوص المتقدمين في تحديد بلاد البحرين قديماً ، وتكاد تشمل جميع ما يعرف الآن باسم المنطقة الشرقية إلا من الناحية الشمالية فهي تشمل بلاد الكويت أيضاً حيث أن مواضع هناك مثل : أواراة (وارة حديثاً) وبرقان وغيرهما معدودة من بلاد البحرين .

قال ابن الفقيه في « مختصر كتاب البلدان »^(١) : قال أبو عبيدة : - بين البحرين واليمامة مسيرة عشرة أيام ، وبين هجر مدينة البحرين وبين البصرة مسيرة خمسة عشر يوماً على الإبل .

وهي الخط والتطيف والآرة وهجر وبينونة والزارة وجوانا والسابور ودارين والغابة .

وقصبة هجر الصفا .

والمشقر والشبعان ، والمسجد الجامع في المشقر .

وبين الصفاً والمشقر نهر يجري يقال له العين .

ومن قرى البحرين : الجوس^(٢) والكثيب الأكبر ، والكثيب الأصغر ، وأرض نوح ، وذو النار ، والمالحة والذرائب والبدى ، والخرصان ، والسهلة والحوجر ، والوجير ، والطربال ، والمنسلخ والمزري ، والمطلع والشط والقرحاء والرُميلة ، والبحرة والرجراجة والعرجة ، فهذه قرى بني محارب بن عمرو بن وداعة .

وقرى بني عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وداعة أضعاف هذه . انتهى .

ويلاحظ أن كثيراً من أسماء القرى دخله التحريف ، وكتاب ابن الفقيه الذي هو الأصل لم يصل إلينا ، ومختصره لم يطبع طبعة محققة ، وقد حرصت على اقتناء نسخ مصورة منه يرجع أقدها إلى القرن الخامس الهجري ، ومع ذلك لا تخلو من التحريف .

(١) ص ٣٠ .

(٢) لعله : (الجوزين) .

وقال الإصطخريُّ في « المسالك والممالك » (١) : وأما البحرين فإنها في ناحية نجد ، ومدينتها هجر ، وهي أكثر تمورا . . وهي على شط بحر فارس . وهي ديار القرامطة ، ولها قرى كثيرة ، وقبائل من مضر . ذوو عدد قد احتفوها . انتهى .

ويلاحظ أن مدينة البحرين - أي قاعدتها في عهد الاصطخري كانت الأحساء بعد إحراق هجر في أول عهد القرامطة .

وقال ابن خرداذبة : قُرَى الْبَحْرَيْنِ : الْخَطُّ وَالْمَقْطِيفُ وَالْآرَةُ وَهَجْرُ وَالْفُرُوقُ وَبَيْنُونَةُ - قال النابغة الجعديُّ :

عَلَيْهِنَّ مِنْ وَحْشٍ بَيْنُونَةُ نِعَاجٌ مَطَافِيئِلُ فِي رَبْرَبٍ

والمشقر والزارة وجوانا . قال الشاعر :

مَاضِرًا أَشْتَأَسَ لَا يَكُونُ لِسَهْ يَتَوْمُ جَوَانًا وَيَوْمُ ذِي قَب - ار

وسابون ، ودارين والغابة والشنون انتهى (٢) .

وقال المسعودي (٣) : - في كلامه على ما كان من أبي طاهر القرامطي . وفتحها سائر مدن البحرين : وكان أهلها في نهاية العدة والقوة . كالمقطيف . وكان بها علي بن مسنار واخوته ، وهم من عبد القيس . وقتله عليًا . والزارة وكان بها الحسن بن العوام من الأزدي ، وصفوان (٤) وكان بها بنو حفص وهم من عبد القيس أيضاً . والظهيران : والأحساء وكان بها بنو سعد من تميم .

وجوانا وكان بها العوام بن الحيثم الريمي . وهجر وكانت أعظم مدن البحرين ، وكان بها عياش المحاربي ، وكان أعظمهم عدةً ، وأسدهم شوكة .

(١) ص ١٩ طبعة لندن سنة ١٩٢٧ م .

(٢) « المسالك والممالك » : ١٥٢ الطبعة الأولى وابن خرداذبة من أهل القرن الثالث الهجري قبل

الاصطخري .

(٣) « التنبيه والإشراف » : ٣٩٢ مطبعة بريل (لندن) سنة ١٩٦٧ .

(٤) الصراب : (صفوا) .

وقال ابن حوقل (١) : وأمّا البحرين ومدنها وهي هَجْرٌ والأَحْسَاءُ والقَطِيفُ
والعُقَيْرُ وبيشة (٢) والخَرْجُ وأوَالُ ، وهي جزيرة كان لأبي سعيد الحسن بن
بَهْرَام ولولده سُلَيْمَانَ بها الضَّرْبَةُ العَظِيمَةُ على المراكب المجتازة بهم ، وإلى
وقتنا هذا هي لِمُسْخَلَفَيْهِمَا ونَسِيلَيْهِمَا . ويكون نسلُ أبي سعيد لظهره بين مرّةٍ
ورَجْلٍ نحو الأربع مئة نسمة . وبها أموال وعشورٌ ووجوهٌ مرافقٌ ، وقوانينٌ
ومراصد ، وضروب مرسومة من الكِلْفِ ، إلى ما يصل إليهم من بادية البصرة
والكوفة وطريق مكة بعد إقطاع ما بالبحرين من الضِّيَاعِ بضروب ثمارها ومزارعها
من الحنطة والشعير والنخل لأتباعهم المعروفين كانوا بالمؤمنين ، ومبلغها نحو ثلاثين
ألف دينار ، وما عدا ذلك من المال والامر والنهي والحلُّ والعقد ، وما كان يصل
إليهم من طريق مكة ومال عُمَانَ ، وما وصل إليهم من الرَّمْلَةِ والشام فَمُتَسَاوٍ
فيه آراءُ ولد أبي سعيد الباقي ، ومفاوضةُ أبي محمد سنبر (٣) بن الحسن بن سنبر .
وكان أكمل القوم وأشدّهم ثمَّ تَمَكَّنَا من نفسه . فإذا همَّوا بِقِسْمَةِ ما يصل
إليهم من مال السنة كان ذلك ليوم معلوم مذ لم يزالوا ، فَيُعَزَّلُ مِنْهُ الخُمْسُ
بهم صاحب الزمان ، والثلاثة الأُخماس لولد أبي سعيد ، على قوانين وضعوها
بينهم ، وكان الخمسُ الباقي للسنابرة مُسَلَّمًا إلى أبي محمد . ليفرقه في ولد أبيه
وولده ، ويكونون نحو عشرين رجلاً .

وكان والد أبي طاهر فيهم يُعَظَّمُونَ وَيُكْرَمُونَ ، وكان أجَلُّهم سابور
لما قتله أعمامه تشتت كلمتهم ، وتغيرت أحوالهم . وكان لهم من الثلاثة الأُخماس
مالٌ معلوم دون الجِرايات عليهم من الغنائم بحسب منازلهم ، دون ما لهم من
الضِّيَاعِ والنَّعْمَةِ المَخْتَصَةِ بهم إلى سنة ثمان وخمسين (٤) . فلأنهم لما فتكوا بسابور
استوحش بعضهم من بعض وانقبضوا عن الالتقاء بالجرعاء وغيرها .

(١) سورة الأرض : ٣٣ ٣٤ - طبعة (دار الحياة) في بيروت .

(٢) ورد في بعض الكتب المخطوطة ومنها كتاب الإدريسي (سه) بدون نقط .

(٣) يرد هذا الاسم في بعض المصادر (سنبر) بالشين المعجمة .

(٤) أي وثلاث مئة .

وكان من رسومهم ركوب مشائخهم وأولادهم فرادي فيجتمعون إلى قبيلة الاحساء بالمكان المعروف بالجرعاء ، ويلعب أحداهم بالرماح على خيولهم وينصرفون أفذاذاً بغاية التواضع ، وقد لبسوا البياض لا غير .

وكان من رسومهم أن تقع سُوراهم بالجرعاء فيمن يخرجونه لما فدحهم وأهدتهم ، فإن اتفق رأيهم على خروجهم بأجمعهم لم يتخلفوا ونفذوا وتركوا في البلد أوثقهم وأشفقهم منزلةً عندهم .

ولما أنفذوا قديماً أبا علي بن أبي المنصور إلى عسّان وتعدّر عليه فتتحها ساروا بأجمعهم إليها فافتحوها .

ولما أنفذوا أبا علي بن أبي المنصور إلى الشام وعاد عنها ظننت به خيانةً فيما صار إليه من الغنائم ، فردّ إليها كسرى بن أبي القاسم وصخر بن أبي اسحاق ، فكان منهم مع أبي محمد الحسن بن عبيد الله بن طنجج ماسبرد في مواضعه من أخبارهم . وبالله القوة . انتهى

ويظهر أن ابن حوقل نقل هذا الكلام ، من كتاب يتعلّق بالتاريخ ، إذ كتابه وهو « صورة الأرض » لا يتضمن أخباراً مفصلةً عن القراهطة . وفي هذا الكلام ما يدلّ على أن أخبارهم سترد في مواضعها .

ويلاحظ على هذا الكلام - أياً كان مصدره - :

١ - أنه ذكر من مدُن البحرين (بيشة) وهذا الاسم ورد في كتاب الإدريسي وعصره متأخراً عن عصر ابن حوقل ، وجلّ معلوماته عن بلاد العرب نقلها - فيما يظهر - عن العُدريّ أحمد بن أنس . الذي أقام في مكة من سنة ٤٠٨ إلى سنة ٤١٦ وجمع معلوماته عن هذه البلاد خلال هذه الفترة . كما نصّ على ذلك في كلامه على (البحار ^(١)) .

(١) انظر مجلة « العرب » من ١٢ ص ٢٢٣ .

وبَيْشْتَةُ المعروفة بعيدة عن البحرين ، فهي في الجنوب الغربي من الجزيرة .
ولا أَشْلُكُ في أَنَّ الاسم غير صحيح .

ولا أستبعد أن يكون تحريف بِنِيُونَه ، وهذا اسم صحراء معدودة من البحرين ،
غير أَنَّ بعض الجغرافيين الذين سَبَقُوا عهد الاصطخريّ ومن بعده عَدُّوْهَا
من مُدُنِ الْبَحْرَيْنِ ، وسيأتي الكلام على (بينونة) .

٢- أمّا الْخَرْجُ فليس من مُدُنِ الْبَحْرَيْنِ ، ولكنه من أَقَالِيمِ الْيَمَامَةِ
وكانت قاعدتها (الْخِضْرِمَةُ) تقع في هذا الإقليم الذي يضمُّ عددًا من الْقُرَى .
وقد استولى عليه القرامطة سنة ٣١٧هـ وأزالوا حكم (بني الأَخِيضِرِ) من
اليمامة^(١) .

وَلَعَلَّ ذِكْرَ (الْخَرْجِ) بين مُدُنِ الْبَحْرَيْنِ ناشيءٌ عن كونه دَاخِلًا في
ولاية القرامطة ولاية البحرين في ذلك العهد ، فَظُنُّ أَنَّهُ من مُدُنِ الْبَحْرَيْنِ .

٣- وفي هذا الكلام نصٌّ صريحٌ يحدّدُ موقع الجرعَاء ، ويوضّحُ بعض
ما كان يجري فيها ، ويورخُ زَمَنَ إهمال ذلك الموضع ، وهو سنة ٣٥٨ .

وقال البكري^(٢) : ذكر البحرين^(٣) وأعمالها وهي بلاد واسعة شرقها ساحل البحر ،
وغربها متصل باليمامة ، وشمالها بالبصرة ، وجنوبها متصل ببلاد عمان ، وهي
بلاد سهلة كثيرة الأنهار من العيون ، عذبة المياه ، ينسبطون الماء على القامة والقامتين .
والحنأ والقطن على شطوط أنهارها بمنزلة السوسن ، وهي كثيرة النخل والفواكه ،
ولهم ثمر يسمى المانجي إذا نُبِدَ وشرب اصْفَرَّتْ الثياب من عرقه ، وبساتينهم
على نحو ميل منها ، ولا يأتونها إلا غُدُرًا أو رواحًا لإفراط حرّ الرمضاء ، وأن
حوافر الدواب تسقط فيها إذا احتدمت من حرّقه .

وهي مخصوصة بعظم الطحال ، ولذلك قال بعض الشعراء :

(١) انظر عن الأخيضرين كتاب « عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب » .

(٢) « جزيرة العرب » من كتاب « الممالك والمسالك » تحقيق الدكتور عبد الله الغنيم ص ٣٨ .

كتاب تجارة ومركز اطلاع ريسان
فيما واديرة المعارف اسلاقي

وَمَنْ يَسْكُنِ الْبَحْرَيْنِ يَعْظُمُ طُحَالُهُ
وَيُغْبَطُ بِمَا فِي بَطْنِهِ وَهُوَ جَسَائِعٌ

ولما سبغ مدن . فعلى ساحلها منها القطيف والزارة والعقير .

وأوال وهي جزيرة بينها وبين الساحل مجرى يوم ، وهي كثيرة النخل والموز
والجوز والاترنج والأشجار والزرع والأنهار . ومما يلي أوال جبل في البحر أسود
يسمى الحازم (١) . يقيم به الغواصون الأشهر .

وبلاد البحرين مُنْهَالَةٌ الكُتبان جارية الرمال حتى يُسَكَّرُوهُ بِسَعْفِ النَّخْلِ ،
وربما غلب [عليهم] في منازلهم ، فإذا أعيامهم حملوا النُقُوض وتحولوا .

وفي البحر جزائر على مسيرة يوم ويومين (وثلاثة) وفيها آبار .

وقال ياقوت في « معجم البلدان » : البحرين اسم جامع لبلاد على بحر الهند ،
بين البصرة وُعْدَان . قيل : هي قصبه هجر ، وقيل : هَجْرُ قصبه البحرين ، وُعْدَاهَا
قوم من اليمن ، وجعلها آخرون قصبه برأسِهَا ، وفيها عيون ومياه وبلاد واسعة ،
وربما عُدَّ بعضهم اليمامة من أعمالها ، والصحيح أن اليمامة عمل برأسِهَا ، في
وسط الطريق بين مكة والبحرين .

روى ابن عباس (٢) : البحرين من أعمال العراق ، وُحْدَهُ من عُمَّانَ نَاحِيَةُ
جُرْفَار (٣) ، واليمامة على حياطا ، وربُّمَا ضُمَّتِ اليمامة إلى المدينة ، وربُّمَا
أفْرِدَتْ هذا كان في أيام بني أمية ، فلما ولى بنو العباس صَيَّرُوا عُمَّانَ والبحرين
واليمامة عملاً واحداً قاله ابن الفقيه .

وقال أيضاً (٤) : والغالب على أهل البحرين عبد القيس ، وهم أصحاب المشقر
والصفا - حصنين هناك - انتهى .

(١) لعله الحارم فشرق جزيرة البحرين صخور مرجانية تدعى فشت الحارم (انظر هذا الاسم) .

(٢) كذا وأرى الصواب (ابن عياش) وهو أبو بكر بن عياش .

(٣) هي جلفار : من بلاد عمان .

(٤) رسم أسد .

وأقول : بنو عبد القيس كانوا يتزلون جانباً ضيقاً من المنطقة هما واحتا الحساء والقطييف وما بينهما وبين البحر ، ولعل باقورتا يقصد الأحساء التي كانت قاعدة البلاد .

وأما صلة اليمامة بالبحرين فقد كانتا ولاية واحدة قبل استيلاء القرامطة على ما جاء في كتاب « بلاد العرب ^(١) » : جاني اليمامة يجنبي البحرين . ومنبر الأحساء أحساء هجر يدعى عليه لصاحب اليمامة ، واليهما من قبل عامل اليمامة . انتهى .

وقال ابن فضل الله العمري في « التعريف بالمصطلح الشريف ^(٢) » : وأما عرب البحرين فهم قوم يصلون إلى باب السلطان وصول التجار ، يجلبون الخيل وكرام المهارى واللؤلؤ ، وأمتعة من أمتعة العراق والهند ، ويرجعون بأنواع الحياء ، والإنعام والقماش والسكر وغير ذلك ، ويكتب لهم بالمساحة فيردون ويصدرون . وبلادهم بلاد زرع وضرع وبر وبتحجر ، ولهم متاجر مربخة وواصلة إلى الهند ، وبلادهم ما بين العراق والحجاز ، ولهم قصور مبنيّة ، وآكام عليّة ، وريف غير متسع ؛ إلى ما لهم من النعم والماشية والحاشية والغاشية ، وإنما الكلمة قد صارت بينهم شتى والجماعة متفرقة : ورسم المكتبة إلى كبرائهم بالسامي - بالياء - والعلامة الشريفة (أخوه) ثم مادون ذلك لمن دونهم . انتهى .

وهو في كلامه هذا يقصد البادية - فيما يظهر - ويزيد هذا إيضاحاً ما ذكره في « مسالك الأبصار » ^(٣) في كلامه على آل عامر وذكر مقدمتهم ووفوده على السلطان بيبرس قال : وتوالت وفادتهم وبرز الأمر السلطاني إلى آل فضل بتسهيل الطريق لوفودهم . وتأمينهم في صدورهم ورودهم - إلى أن قال - : ودارهم الأحساء والقطييف وملح وأقطاع ، والقرعاء واللاهبة والجود ومبالغ ^(٤) انتهى على ما فيه من تصحيف في الأسماء .

(١) : ٣٢٥ .

(٢) ص ٨٠ - مطبعة الناصرة بمصر سنة ١٣١٢ هـ .

(٣) لا يزال مخطوطاً .

(٤) اقطاع صوابه : نطاع . الجود : جودة . مبالغ : متالع .

وفي « رحلة ابن بطوطة »^(١) : ثم سافرنا من سيرا ف إلى مدينة البحرين ، وهي مدينة كبيرة حسنة ، ذات بساتين وأشجار وأنهار ، وماؤها قريب المؤنة(?) يحفر عليه بالأيدي فيوجد .

وبها حدائق النخل والرمان والاترج .

ويزرع بها القطن .

وهي شديدة الحر ، كثيرة الرمال ، ورُبَّما غَلَبَ الرمل على بعض منازلها . وكان فيما بينها وبين عُمان طريق استوائت عليه الرمال ، وانقطع ، فلا يوصل من عُمان إليها إلا في البحر .

وبالقرب منها جبلان عظيمان يسمى أحدهما بـكُسَيْر . وهو في غربيها ، ويسمى الآخر بعُوَيْر ، وهو في شرقيها . وبهما ضُربَ المثل فقيل كُسَيْرٌ وعُوَيْرٌ ، وكلُّ غَيْرٍ خير . انتهى بنصه .

وبلاحظ على هذا الكلام :

١ - أن البحرين إقليم وليس مدينة كما ذكر هنا وكما سيأتي عن ابن خلدون . ولعله يقصد بكلمة (مدينة البحرين) قاعدة البحرين التي هي الأحساء في ذلك العهد .
٢ - وقوله : (وبالقرب منها) ليس المقصود البحرين - كما هو ظاهر الكلام ، بل عُمان ، فالجبلان المذكوران عُوَيْرٌ وكُسَيْرٌ معروفان في بحر عمان إلى هذا العهد .

وقال ابن خلدون^(٢) : البحرين بلاد واسعة على بحر فارس ، من غربيه ، وتتصل باليمامة من شرقيها ، والبصرة من شمالها وبعمان من جنوبها . وتعرف ببلاد هجر .

ومنها القطيف وهجر والعقير^(٣) وجزيرة أوال والأحساء وهجر .

(١) : ١ / ١٧٧ طبة مصر .

(٢) : « العبر » ج ٢ ص ٣٠١ - الطبة الأولى . (٣) في الأصل المسير .

وهي باب اليمن من العراق .

وكانت أيام الأكَاسرة من أعمال الفرس وممالكهم ، وكان بها بشر كثير من بكر بن وائل وتميم في باديتها .

فلما نزل عليهم عبد القيس زاحموهم في ديارهم تلك وقاسموهم في الموطن .

وقال أيضاً^(١) : البحرين إقْلِيمٌ يُسَمَّى باسم مدينته ، ويقال هَجْر ، باسم مدينة أخرى منه ، كانت حاضرة ، فخر بها القرامطة ، وبنوا الأحساء وصارت حاضرة . انتهى .

وقد ظلَّ اسم البحرين يطلق على هذه الناحية حتى القرن الثامن ففي « الدرر الكامنة »^(٢) : إبراهيم بن ناصر بن جروان المالكي من بني مالك بطن من قریش^(٣) ، انتزع جدُّه جروان الملك من سعيد بن مغامس ابن سليمان بن رميثة القرمطي^(٤) سنة ٧٠٥ وحكم في بلاد البحرين كلها ، ثم لما مات قام ولده ناصر مقامه ، ثم قام إبراهيم مقام أبيه وكان موجوداً في العشرين وثمان مئة ، وهم من كبار الروافض . انتهى .

ثم إن اسم البحرين انحسرت إلى جزيرة أوال ، التي كانت تدعى جزيرة البحرين بإضافتها إلى القطر ، ثم انحسرت التسمية بها .

وتجد ابن مقرب الشاعر الأحسائي المتوفى سنة ٦٣٠ تقريباً يُعبّر بكلمة الأحساء عن هذه البلاد أكثر من تعبيره بكلمة البحرين التي يستعملها غالباً عند التحدث عن الماضي . فهو لَمَّا ذكر تسلط البادية حين ضعفت الإمارة العيونية قال :

(١) المصدر : ٤ - ٩٢ .

(٢) : ٨٣ / ١ .

(٣) ليس من قریش بل من عبد القيس .

(٤) القرامطة انقرضوا منذ القرن الخامس ، فلم يدركوا القرن الثامن .

أَخَذُوا الْحَسَاءَ مِنَ الْكُثِيبِ إِلَى مَحَا دَيْثِ الْعُيُونِ إِلَى نَقَا حُلُوَانِ
وَالْحُطَّ مِنْ صَفْوَاءِ حَارُوهَا فَمَا أَبْقَوْا بِهَا شَيْبَرًا إِلَى الظُّهْرَانِ
وابن المُجَاوِر - وهو معاصر لابن مُقَرَّبٍ لما ذكر البحرین قَصَدَ بها الجزیرة .
وتقدم كلامه في أوال .

وابن شدِّ قَمِ الْحَسَنِيِّ - من أهل القرن العاشر - عَبَّرَ بهجر والحُطَّ وقال :
البحرين هي الجزيرة مما يدل على شهرتها بالاسم أكثر من شهرة المنطقة ، وتقدم كلامه .
ولعل ماورد من إطلاق كلمة البحرين بعد القرن السادس كان ناشئاً من التأثير
بشهرة هذا الاسم بخلاف (الحساء) الواردة في شعر ابن مقرب لغرابته .
ثم منذ القرن العاشر كان يطلق على هذه البلاد اسم الحساء ، والأحساء واستمر
ذلك إلى ما بعد منتصف القرن الرابع عشر - أي بعد سنة ١٣٧٠ . حين انتقلت
القاعدة إلى مدينة الدمام ، وصارت الشهرة لمنطقة الظهران ، منطقة صناعة النفط
فأطلق على البلاد اسم (المنطقة الشرقية) .

لا يملأ الأمر صدري !! . . .

قال عبد العزيز بن زُرارة الكلابي^(١) :

قَدْ عِشْتُ فِي الدَّهْرِ أَطْوَاراً عَلَيَّ طَرِيقُ
شَتَّى ، فَصَادَقْتُ مِنْهُ اللَّيْنَ وَالْفَنَظَعَا
كُلًّا بَلَوْتُ فَلَا نَعْمَاءَ تَبْطُرُنِي
وَلَا تَخَشَعْتُ مِنْ لَأْوَائِهِ جَزِعَا
لَا يَمَلَأُ الْأَمْرُ صَدْرِي قَبْلَ مَوْعِيهِ
وَلَا أَضِيقُ بِهِ ذَرْعًا إِذَا وَقَعَا

(١) انظر عنه : « بلاد العرب » هامش ص ١٥٢ و « أبو علي المجري » ص ٢٢٥ وهما من مطبوعات
(دار الهمامة للبحث والترجمة والنشر » .

والأبيات في « العقد الفريد » ج ٦ ص ١٠٣ مطبعة الاستقامة بمصر سنة ١٣٧٢ هـ .

الأحساء

بفتح الألف وإسكان الحاء المهملة وفتح السين المهملة بعدها أَلِفٌ ممدودة - :
اسم كان إلى عهدنا يطلق على ما يعرف الآن باسم المنطقة الشرقية ويقال الحَسَاءُ -
بفتح الحاء والكلمة فَصِيحَةٌ كما سيأتي في حرف الحاء .

والمعنى اللغوي لكلمة الأحساء قد أوضحه صاحب « معجم البلدان » بقوله :
الأحساء : بالفتح والمد ، جمع حِسْنِي - بكسر الحاء وسكون السين ، وهو الماء
الذي تَنْشَفُهُ الأرض من الرمل ، فإذا صار إلى صلابة أمسكته فتحفر العرب عنه
الرمل فتستخرجه . قال أبو منصور : سمعت غير واحد من بني تميم يقول : احْتَسَيْنَا
حِسِيًّا أَي أَنْبَطْنَا ماء الحِسْنِي والحِسْنِي الرمل المتراكم أسفله جبل صَلْدٌ ، فإذا
مُطِرَ الرمل نشف عنه ماء المطر ، فإذا انتهى إلى الجبل الذي تحته أمسك الماء ومنع
الرمل وحرَّ الشمس أن يُنْشِفَا الماء فإذا اشْتَدَّ الحرُّ نُبِثَ وَجْهُ الرَّمْلِ عن الماء
فنبع بارداً عَدْبًا ، يُتَبَرَّضُ تَبَرَّضًا . انتهى .

وهذا من كلام الأزهري في « التهذيب » (١) وواحد الأحسَاءِ حِسْنِيٌّ -
بكسر الحاء وإسكان السين بعدها مثناة تحتية - ولا تزال الكلمة مستعملة في نجد ،
ولكن أبناء البادية يبدلون الياء واوًا فية ولون (حِسْوُ) . ويجمعه العامة على حِسْيَانٍ
وأحسية وحساوة بالواو أيضًا مع أن أصله يائيٌّ .

والأحسَاءُ في بلاد العرب كثيرة ، كما قال الأزهري في « التهذيب » (٢) وقد
رأيت في البادية أحساء كثيرة على هذه الصفة ، منها :

(١) - ١٦٩ - ٥

(٢) : ٣٤٣ .

لأحساء بني سعد بحذاء هَجَرَ وقراها ، وهي اليوم دارُ القرامطة وبها منازلهم .
ومنها : أحساء خِرْشَاف . وأحساء القطيف .

وبحذاء حاجر في طريق مكة أحساء في وادٍ منظمٍ ذي رملٍ (١) ، إذا رويت
في الشتاء من السيول الكثيرة لم ينقطع ماء أحسيتها في القبط . انتهى .

وقال صاحب « بلاد العرب » وهو من أهل القرن الثالث في الكلام على بلاد بني
سعد بن زيد مناة تميم : وأما سعد فأقصاها يَبْرَيْن بحذاء عُمَان ، ثم هم مُتَّصِلُونَ
بالأحساء .

والأحساء من هَجَرَ على ميلين ، ينزلها أخلاطهم ، وبها سَيْدُهُمْ
وعاملُهُمْ إبراهيم بن موسى . انتهى .

وليس في النصوص التي بين أيدينا ما يحدد لنا موقع الأحساء القديم ونعني التي
أخذت هذه المنطقة منها هذا الاسم ، فالقسم الأكبر منها الممتد من الجبيل شمالاً إلى
العقير جنوباً ، ومن البحر شرقاً إلى الآكام الصخرية الممتدة غرب الأغوار والأجواف
ووادي المياه ، كل هذا القسم تكون المياه فيه قريبة من سطح الأرض ، دع القسم
الذي تجري فيه العيون ، في الواحات كواحة القطيف وواحة الأحساء وواحة الجوف
وواحة وادي المياه ولكن يُسْتَأْنَسُ بما ذكره بعض المتقدمين من أن القرامطة خربوا
(هجر) مدينة البحرين ، وبنوا الأحساء أن هذه تقع في وسط الواحة حيث توجد
قرية البطاينة وما حولها ، وصاحب كتاب « بلاد العرب » قال : إن الإحساء على
ميلين من هَجَرَ .

وذكر ابن خلدون في تاريخه (٢) أن أبا طاهرٍ القرمطي في سنة ٤٣١٤ هـ بني مدينة
الأحساء ، وسماها المُؤْمِنِيَّة ، فلم تُعْرَفْ إلا به ، وبني قصره وأصحابه حوله .
وقال أيضاً : البحرين إقليم يسمى باسم مدينته ويقال هجر - باسم مدينة أخرى
منه ، كانت حاضرة ، فخرَّبها القرامطة ، وبنو الأحساء وصارت حاضرة .

(١) انظر كتاب « شمال المملكة » رسم (حى) .
(٢) « العرب » : ٤ - ٨٩ - ٩٢ (الطبعة الأولى) .

وقال : الأحساء بناها أبو طاهر القرمطي في المئة الثالثة ، وسميت بذلك لما فيها من أحساء المياه في الرمال ومراعي الإبل . انتهى .

ومنذ القرن الرابع أصبح اسم الأحساء يطلق على قاعدة هذه البلاد - وكانت القاعدة قبلها (هَجْر) كما سيأتي .

وَيَحْسُنُ أَنْ نَعْرُضَ بَعْضَ النُّصُوصِ الْقَدِيمَةِ فِي وَصْفِهَا .

وصفها الهمداني في القرن الرابع فقال ^(١) : (فالأحساء منازل ودور لبني تميم ،

ثم لسعد من بني تميم ، وكان سوقها على كثيب ، يسمى الجرعاء ، تتباع عليه العرب) .

وهذا النصُّ ونصُّ صاحب كتاب « بلاد العرب » قبله يفهم منهما أن أحساء

بني سعد هي أحساء القرامطة ولكن يلاحظ على هذا :

١ - كانت الأحساء في عهد الهمداني قاعدة حكم القرامطة ، وليس لبني تميم

في ذلك العهد من النفوذ ما يمكن القول معه أن الأحساء منازلهم ودورهم ، فكونها قاعدة الإقليم أبلغ في الوصف والشهرة من أن تضاف إلى هؤلاء .

٢ - كانت السيطرة والنفوذ في الأحساء وقراها للقرامطة ، وقبلهم كانت لعبد

القيس ، أما بنو تميم فكانوا في الضواحي والأمكنة الواقعة خارج المدينة وقراها في جهات يبرين ووادي السنار (وادي المياه الآن) .

وهذا لا يمنع من أن الأحساء هذه كانت تضاف إلى بني سعد التميميين ولكنهم

بعد استيلاء القرامطة على البلاد ضعف نفوذهم أعشي بني سعد ، وأصبحت تضاف إلى القرامطة ، كما في كلام الأزهرى المتقدم المعاصر للهمداني ، ولكنه أعلم منه بهذه البلاد .

ولا شكَّ أن كلام الهمداني ينطبق على الأحساء قبل عهد القرامطة ويؤيد هذا

(١) « صفة جزيرة العرب » ٢٨١ .

أنه ذكر أن مدينة (هجر) هي مدينة البحرين العظمى ^(١) - كما سيأتي - وهذا قبل سنة ٣١٤ بل إن كلام الهمداني بنصه ورد في كتاب « بلاد العرب » المؤلف في القرن الثالث - كما سيأتي في الكلام على أحساء بني سعد ، وهو نص صريح في أنها كانت تضاف إلى بني سعد قبل عهد القرامطة . ويؤيد هذا قوله ^(٢) : منبر الأحساء أحساء هجر يدعى عليه لصاحب اليمامة ، وواليتها من قبل عامل اليمامة . انتهى ولا شك أن هذا قبل استيلاء القرامطة عليها .

وقال المقدسي ^(٣) في « أحسن التقاسيم » ^(٤) : الأحساء قصبه هجر ، وتسمى البحرين . كبيرة . كثيرة النخيل ، عامرة أهلة ، معدن الحرّ والفحط ، على مرحلة من البحر ، ولحم شبه نبع متجر ^(٥) ، وثم جزائر وبها مستقرّ القرامطة ، من آل أبي سعد ثم نظر وعدل . غير أن الجامع معطل .

وقال ناصر خسرو ما تعريبه ^(٥) : (وكانت الأحساء سوادها وقرائها محاطة بأربعة أسوار ، بين كل سورين فرسخ ، وفيها ينابيع المياه العظيمة ، يدير كل نهر منها خمسة طواحين ، ويوجد فيها كل ما يوجد في البلاد المتمدنة ، وليس فيها مسجد تقام فيه الصلاة حتى مرّ بها رجل أعجمي يسمى أحمد على ، يحمل الحجاج إلى مكة ، فبنى مسجداً . وتصنع بها القراطيس الخيطة ، وتحمل إلى البصرة والبلاد الأخرى ، وتباع فيها جميع لحوم الحيوانات حتى الحدير والكلاب ويوضع رأس الحيوان عند لحمه ، وكانت العملة التي يتعاملون بها من الخزف) انتهى والظاهر أن المسجد الذي أشار إليه هو الذي لا يزال موجوداً في قرية (البطّالية) قرب آثار القصر المعروف بقصر قريمط .

وقال الإدريسي ^(٦) : فأما الأحساء فهي مدينة على البحر الفارسي تقابل أوال ،

(١) « صفة جزيرة العرب » : ٢٧٩ .

(٢) « بلاد العرب » : ٣٢٦ .

(٣) ص ٩٣ ط ليدن سنة ١٩٠٦ م .

(٤) كذا ولعله (نبع متجر) أي قد يكون بحيرة من الماء .

(٥) « سفر نامه » ؟ .

(٦) « نزهة المشتاق » - مجلة « العرب » ص ٥١٨ .

وهي بلاد القرامطة ، وهي مدينة حصينة لأنها صغيرة ، وبها أسواق تقوم بها في تصرفاتها . انتهى .

وقوله : على البحر . ليس صحيحاً : بل بينها وبين البحر يومان لسير الإبل .
وقال ياقوت في « معجم البلدان » والاحساء : مدينة بالبحرين ، معروفة مشهورة كان أول من عمرها وحصنها وجعلها قصبة هجر أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنائبي وهي إلى الآن مدينة مشهورة عامرة . انتهى .

وقال أبو الفداء (المتوفى سنة ٧٣٢) : الأحساء بَلَدٌ ذات نخيل كثير ، ومياه جارية ومنابعها حارة شديدة الحرارة ، والأحساء في البرية وهي عن القطيف في الغرب بحيلة إلى الجنوب على نحو مرحلتين ، ونخلها بقدر غوطة دمشق مستدير عليها .

وليس للأحساء سُوْرٌ ، وبين الأحساء واليمامة نحو مسيرة أربعة أيام .
وأهل الأحساء والقطيف يجلبون التَّمْرَ إلى الخَرْج ، وادي اليمامة ، ويشترون بكل رحلتين من التَّمْرَ راحلةً من الخنطة . انتهى (١) .

وذكر في « نخبة الدهر » (٢) : من أمصار البحرين الأحساء وهي القصبة وتعرف بأحساء بني سعد .

وفي « صبح الأعشى » (٣) : ومن بلدان البحرين الأحساء — قال في « تقويم البلدان » بفتح الهزرة وسكون الحاء وفتح السين المهملتين وألف في الآخر — وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة قال في « الأطوال » : حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض اثنان وعشرون درجة قال في « تقويم البلدان » : ذات نخيل كثيرة ومياه جارية ومنابعها حارة شديدة الحرارة ، ونخلها بقدر غوطة دمشق ،

(١) : « تقويم البلدان » : ٩٩ الطبعة الأوربية .

(٢) ص ٢٢٠ .

(٣) ج ٥ ص ٥٥ .

وهو مستدير عليها . وهي في البرية في الغرب عن القطيف . بميلة إلى الجنوب ، على مرحلتين منها .

وتعرف بأحساء بني سعد . انتهى .

هذه بعض النصوص الواردة عن المؤرخين منذ القرن الرابع الهجري إلى القرن التاسع فهل بقيت الأحساء قاعدة لهذه البلاد كل ذلك العهد ؟

هذا ما يفزح من كلامهم . فقد كانت قاعدة القرامطة ثم العيونيين الذين حلوا محلهم إلى الثلث الأول من القرن السابع ، وبعد ذلك كان المتغلبون على حكم البلاد جُلُّهُمْ إن لم يكن كلهم من البدو ، وهؤلاء لا يستقرون في السُدُن إلا فيما قَرُب من منازل قومهم في الصحارى ، ولهذا يمكن القول بأن شأن هذه المدينة بدأ يضعف منذ زوال حكم القرامطة ، واستيلاء العيونيين حين كان بعض حكامهم يستقرون في القطيف حيناً وفي البحرين حيناً آخر (أي جزيرة أوال) (١) .

ويرى بعض الباحثين أن دولة آل أجود كانت قاعدتها في قرية (المنيزلة) وهناك آثار قصر يدعى (قصر أجود) وليس بمستبعد هذا القول . فموقع مدينة الأحساء في مكان منخفض . تحيط به النخيل والمياه . مما يجعله غير ملائم من الناحية الصحية . هذا بصفة عامة . ولوقوع المدينة بين القُرَى بعيدة عن الرِّيف الذي يألف البدو سكناه يُصبح الاستقرار فيها غير مرغوب فيه من قبل هؤلاء .

وفي القرن العاشر - حين امتد النفوذ التركي على هذه البلاد - أصبح مقر الحكم قصر (الكوت) الواقع غرب موقع مدينة الأحساء بنحو مسيرة ساعة ونصف على التقدم (٢) - أو ما يقارب عشرة أكيال - وهو قصر أنشأه مُنْفَصِلاً عن بلدة المفوف التي نشأت في مكان مرتفع عن مجاري العيون وحدائق النخيل . وقد أقاموا في (الكوت) كثيراً من القصور والمساجد المقتة البناء . وأحيط بسور محكم ، وبخندق يحيط بالسور .

(١) وهم أصلاً من قرية (العيون) الواقعة في شمال الأحساء .

(٢) تطلعت المسافة سيراً في يوم الجمعة ١٩ ذي القعدة سنة ١٣٥٨ هـ من محلة الكوت إلى قصر قريمط في ساعة وخمسين دقيقة .

ومنذ منتصف القرن العاشر أصبح (الكوت) الواقع في بلدة الهفوف هو مقرّ الحكم .

إلاّ أن آل عرّير - من بني خالد من البدو^(١) - لما استولوا على البلاد ، بعد زوال الحكم الأول للأتراك عنها سنة ١٠٨١ اتخذوا بلدة (المبرز) قاعدة لهم في عهد مقدمهم براك بن غرير ، الذي بنى قصرأ في تلك البلدة وأنشأ مسجداً لا يزال يُعرّف به ويزوال آل عرير وعودة الأتراك ثم استيلاء آل سعود على حكم البلاد عاد مقر الحكم إلى الكوت في بلدة الهفوف التي أصبحت القاعدة حتى سنة ١٣٧٠ هـ .

أين موقع مدينة الأحساء ؟ : كانت تقع في وسط حدائق النخيل التي تحيط بها من جميع الجهات ، شرق جنوب مدينة المبرز ، وفي الشمال الشرقي من مدينة الهفوف الآن ، وعين الجوهريّة التي تعدّ من أقوى العيون وأصفاها ماء ، تقع وسط مدينة^(٢) الأحساء ، ومكان المدينة تقع في جزء منه قرية البطالية ، وكانت آثار تلك المدينة قائمة ومشاهدة إلى ما قبل ثلاثين عاماً ، شاهدت منها مسجداً واسعاً ، وجدران قصير يدعى قصر (قريمط) وكثيراً من آثار المدينة ، وأشرّت إلى ذلك في الكلام على (البطالية) .

وقد ذكر الشيخ محمد بن عبد القادر في كتاب « تحفة المستفيد »^(٣) أن الأحساء بقرب قرية البطالية ، وهناك قصر يعرف بقصر قريمط - بالتصغير للتخفيف - وقال عن القرمطي لما أنشأ الأحساء - : إنه جعل للبناء موضعاً خاصاً . يعرف حتى الآن

(١) « تحفة المستفيد » : ١ - ١٢٣ .

(٢) وجاء في شرح قول ابن مقرب :

فخير لعمرى من باتين مرغم على ذي الجباري طلع نجد وشوعها مرغم : محلة من مدينة الأحساء ، ما يحيط به الحصن ، كثير المياه والباتين .

ومن ماء نهر الجوهريّة لوصفا ذبابة حسي لا يرجي نبوعها الجوهريّة : عين جارية ، في وسط مدينة الأحساء . وذبابة الشيء بقيته . انتهى .

« ديوان ابن مقرب » : ٨٥ - الطبعة الهندية سنة ١٣٠٩ هـ .

(٣) : ١ - ٩٠ .

بالقحيات . كذا قال الشيخ - رحمه الله - وأراه من قبيل التشيع من العامة الذين يفسرون الأسماء حسب ما يحلو لهم . والقُحَيَاتُ اسم عَيْنٍ بقرب القصر . وليس موضعاً .

وقول الشيخ : إن مدينة الأحساء بقرب قرية البطالية . والذي يظهر لي أن كل القرية وما حولها وما غربها حتى عين الجوهريّة كان موقع المدينة ، فلما بدأ الحراب أطرافها صارت تنكمش شيئاً فشيئاً حتى درست ولم يبق منها سوى الحارات الثلاث التي أطلق عليها اسم البطالية ، وما حولها . ثم غرست حدائق النخيل على أنقاض المدينة الدارسة واستمر ذلك إلى عصرنا ، كل ما درس جانب أحيي بالفراس .

إطلاق الاسم على المنطقة :

ثم أطلق هذا الاسم - بعد اشتهار المدينة التي بلغت أوج مجدها في القرنين الرابع والخامس الهجريين فشمّل الواحة ، وذلك من آخر القرن الخامس كما يفهم عن عبارات المؤرخين القدماء إلى القرن العاشر ، وبعد استيلاء الأتراك توسّع في إطلاق الاسم فأصبح يشمل منطقة القطيف أيضاً . واستمرّ هذا إلى سنة ١٣٧٠هـ حيث أصبحت مدينة الدمام قاعدة هذه المنطقة ، التي سُميت (المنطقة الشرقية) بعد أن كانت تعرف باسم (إمارة الأحساء) .

وفي عهد الأتراك (ولاية الأحساء) أو (سنجق الأحساء) .

ولكن الإمارة تلك كانت أضيق مما هي عليه الآن . قال الشيخ محمد ابن عبدالقادر في كتاب « تحفة المستفيد » ^(١) ويطلق الأحساء على المقاطعة الشرقية ، يحدها غرباً عقبة الفروق ، وشمالاً القطيف وجودة ، وشرقاً رمال العقير ، وجنوباً رمال بّبرين - انتهى .

(١) : ١ - ٣ .

وما أرى هذا التحديد دقيقاً ، فقد كانت الإمارة تمتدُّ إلى حدود الكويت شمالاً وإلى الدهناء غرباً ، وتتجاوز شبه جزيرة قطر جنوباً .

ولعل الشيخ ابن عبد القادر يقصد مُسَمَّى (الأحساء) .

أحساء بني سَعْدِ :

يفهم من نصوص متقدمي العلماء التي تقدم بعضها أن الأحساء التي أصبحت مدينة ، وقاعدة لهذه البلاد كانت تعرف باسم أحساء بني سعد ، ولأنَّ هؤلاء من بني تميم ، ففي كتاب « صفة جزيرة العرب »^(١) للغة الأصبهاني - وهو من أهل القرن الثالث - مانصه : (ثم ترجع إلى البحرين ، فالأحساء منازل ودور لبني تميم ثم لبني سعد من بني تميم ، وكان سوقها على كنيب يُسَمَّى الجرعاء ، تتبايع عليه العرب) وذكر قبل ذلك أن مدينة البحرين العظمى هجر ، وأَنَّها سوق بني محارب من عبد القيس وتقدم قول الأزهري أن أحساء بني سعد هي دار القرامطة - في عهده - فهل بنو سَعْد كانوا مخالطين لقبيلة بني عبد القيس المنتشرة في هذه البلاد ، في جانبها القريب من البحر من القطيف إلى العُفَيْر ؟ مفهوم كلام المتقدمين يدلُّ على هذا ، ولكنني لا أكاد أطمئن إليه ، وإن كُنْتُ أعلم أن بني تميم - وخاصة بني سعد - تحل جوانب كثيرة وواسعة بقرب الأحساء ، مثل يبرين والحن والستار (وادي المياه) وغيرها ، ولكن كيف تتوسط في بلاد عبد القيس فتتزل (الأحساء) المجاورة . لقاعدة تلك البلاد (هجر) ؟ .

لاشكَّ أن بني سعد كانوا أثري عدداً وأقوى من بني عبد القيس الذين كانوا عند ظهور الإسلام قد تحضَّروا وسكنوا القرى ، بخلاف بني سعد الذين لا يزال أكثرهم على بدواته ، وكانت لهم السيطرة على أوسع منطقة في هذه البلاد كما تقدم في قول صاحب « بلاد العرب »^(٢) عن هذه القبيلة : أقصاها يبرين ، ثم هم متصلون إلى

(١) : ٢٨١ .

(٢) : ٢٤٢ .

الأحساء . والأحساء من هجر على ميلين - ثم وصف بلادهم وعدد أسماءها إلى
كاظمة (شمال الكويت) وقال : وهم متّصلون إلى ستمّوان ، من يَبْرين .
وعرّضهم من البحرين إلى الدهناء . انتهى .

وإذن : فأحساء بني سعد هي التي عرفت فيما بعد بأحساء القرامطة .

أحساء خير شاف :

قال في « المشترك » : أحساء خرشاف بالبيضاء من بلاد جذيمة . على سيف
البحرين .

وسياقي زيادة إيضاح في الكلام على خرشاف وبنو جذيمة هؤلاء من عبد القيس ،
وليهم تضاف البيضاء - كما سياتي - وهي الأرض الممتدة بامتداد الساحل فيما بين
الجيل والعقير : غرب واحة القطيف ، وشرق واحة الحساء وشمالها .

أحساء هجر :

بالإضافة إلى هجر البلدة التي كانت قاعدة بلاد البحرين . قبل القرامطة . وهذه
الأحساء هي أحساء بني سعد ، ثم أحساء القرامطة - كما جاء في صاحب « بلاد
العرب » : منبر الأحساء أحساء هجر يدعى عليه لصاحب اليمامة ووالها من قبل
عامل اليمامة . وذكر قبل هذا أن جابي اليمامة يجي بالبحرين .



أجواهر المعدة

- ٤ -

ومنها : أن الله تعالى جعل أكثر رِزْقِ أهل الحَرَمِ من جِهَتَيْهَا ، فتراهم ينظرون^(١) وينظرون ما يقبل من جهتها .

ومنها : أن الله تعالى جعل سُقِيًّا أهلها من ماء السماء وبركاتها وليس بها بئثر ولا نهر عَذْبٌ غير المطر ، ولهذا تراهم غالبا في ضيق من الماء حتى أن بعض الفضلاء هَجَا أهلها نظرا لبعض الميل ، وبعض المنكرات للاتعاظ والاستيقاظ فقال :

يَمْرُ السَّحَابُ عَلَى جُدَّةٍ بِمَاءٍ مَعِينٍ مِنَ الْمُعْصِرَاتِ
يُرِيدُ الْهَبُوطَ فَلَا يَسْتَطِيعُ^(١) لِمَا حَلَّ فِيهَا مِنَ الْمُنْكَرَاتِ

ولقد شَطَّرْتُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مَعَ تَدْوِيلِ زَائِدٍ :

يَمْرُ السَّحَابِ عَلَى جُدَّةٍ لَعَلَّ يَكُونُ بِهَا الْاِقْتِنَاتِ
فَلَا يَمْطُرُنْ وَلَا يَسْمَحُنْ وَمَاءٌ مَعِينٌ مِنَ الْمُعْصِرَاتِ
يُرِيدُ الْهَبُوطَ فَلَا يَسْتَطِيعُ^(٢) لِقَوْلِ الْهَنْسَا فِي الْمَحْكَمَاتِ
وَلَوْ أَنَّ هَلَّ الْقُرَى انْتَقَوْا لِمَا حَلَّ فِيهَا مِنَ الْمُنْكَرَاتِ
فَلَا تَعْبَأْنَ بِأَحْوَالِهِمْ وَلَا تَأْمَنْنَ لِئَلَيْكَ الْجِهَاتِ
فَيَا أَهْلَ جُدَّةَ تَوَبُّوا قَرِيبًا لَعَلَّ يُصِيبُهَا مَاءُ الْفُرَاتِ

(١) في الأصل (ينظرون) .

(٢) الصواب (يستطيع) ولكن المؤلف لا يتقيد بالقواعد النحوية ، لضعفه فيها .

وقد قلت في ذلك مادحا لماء المطر وما هنالك فقلت أيضاً :

إِنْ رُمْتُ إِدْرَاكَ السَّعَادَةِ وَالْمُنَا وَأَرَدْتُ إِقْيَاءَ الْقِسَاوَةِ ... (١)
فَعَلَيْكَ بِالمَاءِ القِرَاحِ بِجِدَّةٍ مَاءِ السَّمَاءِ وَأَنْسَهُ المِسْتَوْطِنَا
وَاشْرَبْ هَنِيئًا سَيِّدِي لَكَ بِالشِّفَا مَعَ صَحِّ عَافِيَةٍ تَقِيلُكَ مِنْ ...
وَاطْرِبْ عَلَى شَجْنِ البَحَارِ بِحَيْثِمَا تَلْقَى سُرُورًا فِي حَبُورِ ...

وأما أسواقها فأولها وأعلاها سوق النَّدَا وُسُمِّيَ به لندأوة ما يراد منه ، ووجوده فيه وتطريته وفيه يقول الفاضل الأريب ، والجهد الكامل الكاتب الأديب الشيخ محمد القفطنجي حفظه الله :

سُوقُ النَّدَا مَا أَلْطَفَهُ يَا حُسْنَهُ زَايِدُ كَمَا
رُمْتُ الذَّهَابَ فَجَزَّتْهُ فَوَقَعْتُ فِي شَرَكِ الْجَمَالِ
وَلَقَدْ شَطَّرْتُ هَدْيَيْنِ البَيْتَيْنِ قَلْتُ أَيْضًا :

سُوقُ النَّدَا مَا أَلْطَفَهُ يُشْفَى بِهِ الدَّاءُ العُضَالِ
إِنْ رُمْتُ قَطْفَ غُصُونِهِ يَا حُسْنَهُ زَايِدُ كَمَا
رُمْتُ الذَّهَابَ فَجَزَّتْهُ مِنْ أَجْلِ خَشْفِ كَالهِلَالِ
وَوَقَفْتُ أَنْظُرُ بَدْرَهُ فَوَقَعْتُ فِي شَرَكِ الْجَمَالِ

أقول : وهو سوق مستطيل ، في غاية اللطافة ، وبه بعض أحوشة التجار وغيرهم وأنواع الأقمشة والأطعمة .

وكذا سوق الجامع وسمى باسم الجامع المعروف بمسجد الشافعي وهو من المساجد

(٣) لم تظهر قوافي الأبيات الثلاثة في النسخة المصورة ، وليت كل المهذبان الذي سماه المؤلف شراً اختفى أيضاً . ولولا المحافظة على الأصل بمقتضى الأمانة العلمية لكان حذفه أولى ، ولكنه يصور مظهرأ من مظاهر ضعف اللغة لدى بعض أدباء هذه البلاد في ذلك العصر .

الشهيرة القديمة ، وهذا السوق تقابله وأنت داخل من باب مكة ، على جهة اليمين يسرا ، مستطيل أيضاً وفيه يقول الشاعر :

وَبِسُوقِ جَامِعِنَا اللَّطِيفِ تَزَخَّرَفَتْ أَرْجَاؤُهُ بِحِمَامَةٍ وَقَمَارِيسَا
مِنْ كُلِّ غَانِيَةِ حَوْرَاءَ قَاتَلَهُ بِالْأُنْسِ فَاتَكَّةَ تَشِيرُ لِثَالِيَا
الدر منحدر والبحر منسرق في وسطه زهج في عرفه عليه كماليا
وقلت فيه أيضاً :

عجبا لسوق الجامع ولأنس المتجامع
يحويسه كل لطيفة مع كل حلو خالع
الله معلم انتي اهوى لقاء الجامع

ومنها سوق البُنْط ، وهو سوق ظريف مجمع الصيارف ، وفيه يباع السمك الطري والتمر الصفري المُكَلِّفَ وأنواع سُبْحِ البُسْرِ والنُّقْلِ وغير ذلك ، وبهذاته خان صغير بسقيفة ، يوصل لسوق الحَرَاج ، وفيه قال الشاعر :

الْبُنْطُ سَوْقٌ لَطِيفٌ مُحَرَّكٌ لِلِسَوَاكِينِ
الْأَصْلُ فِيهِ ظَرِيفٌ وَالْأُنْسُ فِيهِ مَسَاكِينِ
عند العوام خريف والحوت فيه رواكن
والتمر فيه منيف نحو الصيارف ساكن
يفديك منه رغيف بلين البطن لكن
يكون معك حريف يأخذ ويعطى بواطن ؟ !

والحاصل أن هذا السوق في أيام الموسم يكون في الازدحام الغاية مع كثرة الحجاج ومنها سوق بَرَّة - أي خارج البلد - وهو خارج باب مكة ، وهو سوق ظريف محتوى على أبشية ودكاكين ، وسمى بذلك لكرنه خارج البلد وفيه يقول الشاعر :

ولسوق (بَرًّا) أرجو بَرًّا دائما يزكو وينمو بَرُّه المتواتر

لله در السوق في غسق الضحى (؟) دوما دوما نشره المتكائر
من نحو مكة سوق جدة قد غدى يا حسنه يا أنسه المتناثر
ومنها سوق الخاسكية ، وهي شقايق نفيسة ، وأحوال زكية ، مينة ، قد تحلى
عليها القبول . وتداومت (١) الوصول والفصول وفيها يقول الشاعر :

(خاسكية) بجدة منعمة جلاستها كروضها فأنعم
وسوقها مزخرف منبسط ارجاؤه مزخرف بالنعيم
كيف لا ولأجل مكة شرفت جدة ، والفرع تابع لأصله ، وقد تشرفت مجامع
جدة لمكة . ولا زالت مواسم المجد لذكرها متجملة ، ومباسيم البلاغة بشفاه فرائدها
مقبلة . وقبل الفصاحة بوجوه قلائدها مستقبلة ، لا يعرف لها مقتضيا ،
ولا يعلم لها مستوجبا ، الا ما اشتهر بين الحاضر والبادي ، حتى أذاعها الولي وأذن
لها المعادى ، من اثارها الخير بعد اختيارها ، وإبلاء الصنائع إلى مستحقها ، ولا
زالت نسيم بوارق مآثرها التي راقت ، وبرود حدائق مفاخرها التي فاقت ، شمول
إحسانها المسفر عن فلق الصبح ، ما استفد شكرها واستغرق وسعها . وفي فلك
بدرها أقول :

يا شمسُ جدة حدِثْني تَرى عجب ؟ مما جناني وناجى البحر من فلقه .
وأما أحوالها المحتوية على قصور عوالي ، ومرافق ومراجع ومجالس ، وغير
ذلك فهي لا تحصر ، وتكاد مع عظمتها بمصر (٢) .

فمن أكبرها وأعظمها الحوش المعروف بحوش الشريف وهو قريب من البُنْطَ
بناه مولانا الشريف عبد الله بن المرحوم مولانا الشريف محمد بن عون أمير مكة
والحجاز ، وهو معد للحمجج والتجار ، مشتمل على محلات على نفيسة ،
وقصور عوالي ، رئيسة .

(١) لطلها : (وتداومت) .

(٢) كذا ولعل الصواب (تشبه بمصر) .

وقال الأديبُ محمد افندي الساعاتي مؤرخا هذا الحوش .

خَيْرُ الْبِنَاءِ الَّذِي عَمَّتْ مَنَافِعُهُ كَلَّ الْبَرِيَّةَ مِنْ نَأَاهِ وَمِنْ دَانِي
كَالرَوْضِ قَدْ سَجَعَتْ وَرُقُ الْوَفُودِ بِهِ كَأَنَّهَا طَرَبًا تُثْنِي عَلَى الْبَانِي
الْعَبْدَ لِي الَّذِي (١)

بتاجِ دَوْلَتِهِ الْإِقْبَالُ أَرْخَهُ : (أَقَامَ هَذَا ابْنُ عَوْنٍ مَلْجَأَ الْعَانِي)

ومنها حوش مثقال وهو لأحد خواص الشريف غالب أمير الحجاز سابقاً .

ومنها حوش الدولة ، ومنها حوش أبو اليُسْر ، وحوش الصالحه وحوش عكاش
وحوش النخلة .

وجملة أحواشها تنوف على مئة حوش مشتملة على قصور وبيوت مروقة
وأكشاك على البحر من أنفسها كشك حوش الشرايبي ، فهي نفيسة أنيسة ، وفيها
يقول الشاعر :

احسواش جسدة زخرفت لَمَارَاتُ جُلَاسِهَا
قَسَدَ رَقَّتْ أَذْمَانَا (٢) لَمَاصِفَتْ أَنْفَاسِهَا

وأماً المساجد فأشهرها مسجد الشافعي ذكرنا بن جبير في رحلته أنه رأى بجدة
مسجلين ينسبان إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه احدهما يقال له مسجد الأبنوس
وهو معروف والأخر غير معروف أقول ولعله الذي يقال له الآن مسجد الشافعي
انتهى .

ومنها مسجد عكاش وهو من مساجد جدة القديمة وهذا المسجد هو الشهير بقول
الغزالي في « الإحياء » في (باب السماع) والامام عز الدين بن عبد السلام في
كتابه « حل الرموز ومفاتيح الكنوز » عن طاهر بن بلبل الهمداني رحمه الله قال :

(١) البيت غير واضح في النسخة المصورة .

(٢) أصعب المنصور غطت بقية الكلمة ولعلها (أذمانها) .

وكان من أهل العلم والفضل أنه قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرأيت طائفة تقول في جانبي قولاً ويستمعون فأنكرت عليهم بقلي وقلت : في بيت من بيوت الله يقولون الشعر ؟ ! قال : فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية أي ناحية المسجد المذكور بجدة ، وإلى جانبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وإذا أبو بكر يقول شيئاً من السماع ، والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع منه ويصغى ويضع يده على صدره كالمترجم فقلت في نفسي : ما كان ينبغي لي أن أنكر على هؤلاء القوم الذين كانوا يسمعون فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : هذا حقٌ بيحَقُّ أو قال : حقاً من حقِّ شكِّ من الراوي انتهى .

ومنها مسجد الحنفي وهو قريب من قصبة المنود ، وهو مسجد عظيم الفضل من المساجد القديمة أيضاً تقام فيه الجمعة والجماعة .

ومنها مسجد سيدنا عثمان بن عفان جهة القلعة أقول : ولعله المذكور في قول ابن جبير بمسجد الابنوس .

وكذا مسجد الباشا ، ومسجد المغربي جهة باب مكة ، ومسجد المعمار وهو مسجد لطيف تقام فيه الجمعة أيضاً ، ومسجد الخضارم وهو جهة سوق التداً وغير ذلك .

وأما الزوايا^(١) فهي تنوف عن المثة منها زاوية السادة الشاذلية نفعنا الله بهم . بحارة اليمن ، بناها العارف بالله تعالى شيخنا السيد محمد بن محمد الفاسي الشاذلي

(١) معروف موقف علماء المسلمين المحققين من الزوايا ومن أصحاب الزوايا ، فقد ابتلي المسلمون بطائفة من هؤلاء انتسبوا للتصوف وهم على جانب عظيم من جهل أصول الإسلام ، وعن طريق هؤلاء وأمثالهم انتشرت البدع والخرافات .

وقد طهر الله - وله الحمد - بلادنا - من هذه الزوايا ، ومن جميع ما ابتدعه أهلها في الدين .
والنابة من دراسة التاريخ العظة والاعتبار ، وهذا مما يدفع إلى نشر أمثال هذه الكتب على ما فيها للامتنان والعبارة ، وإدراك ما أنعم الله به علينا من نعمة أعظمها السلامة من البدع والخرافات .

المغربي ، في سنة تسع وسبعين تَمَّ بناؤها وهي وراء القشلة من جهة البحر يذكر فيه الله تعالى وهو مجمع للفقراء الصادقين ، والاولياء العارفين ، نفعنا الله بهم اجمعين .

وفي سنة ثمانين زيد فيها البناء والاتقان فأرسل إليها شمس الاقران العالم العامل الأرخ في الله سيدي محمد بن الفاضل العلامة سيدي الشيخ محمد العزب الشافعي المدني عالم المدينة المنورة تاريخاً يقول فيه :

إن جنَّ ليلُ الحادثات وعسما
وعجزت عن إصلاحه وعلاجه
فانهض إلى غوث الانام المتسفي
هو شيخنا الفاسي محمد من سما
قطب الوري للشاذلي خليفة
لاغرّو جمع الجمع بعض صفاته
شمس العوارف والحقيقة والهدى
وبه زوايا العارفين تعمرت
فلقد كستها حُلَّةً أسراره
فأمم ربّاهما والتميس لي دعوة
وعبيدكم نجلُ الملقب بالعزب
أنى له أن يستطيع مؤرخاً :

والقلب من ربّين المعاصي قد قسا
وتزايد الوجد الشديد مع الأسا
فببرشده صبح الفلاح تنفّسا
طوبى لمن يسني سيرته انسا
يحكى الدور إذا الدجما قد اغلّسا
فمقامه في الحضرتين تقدسا
قد شاد ربّنا بالمعارف أنفسا
يكفيك زاوية بها قد غرسا
فكاملت أنعم بذلك من كسا
فعبسى بها يحيى الفواد عبسى !
يرجو يكون بذكرها متأنسا
(وعلى التقى بنيسانها تأسسا)

$$1280 = 522 + 119 + 532 + 107 =$$



شاج

إحدى المدن الأثرية

شاج - بالفتح فاليف فنجيم - : وقد تُهَمَزُ الأَلفُ ، وهذا ناشيء عن اختلاف اللغويين في مصدره . فبعضهم أوردته في (شاج) وبعضهم في (شوج) ويظهر أن الكلمة قد بنيت مثل (فيند) و (فندك) ومحاولة ربطها بأصول الكلمات العربية المعروفة لا توصل إلى رأي قاطع .

ويلاحظ أن بعض سكان تلك الجهة يبدلون الاء فاء في كثير من الكلمات ولهذا فمنهم من يقول : (فاج) .

جاء في كتاب « المُفضَّليات » من قصيدة لراشد بن شهاب اليشكري :

بَنَيْتُ بِشَاجٍ مَجْدَلًا مِنْ حِجَارَةٍ لَا أَجْعَلُهُ عِزًّا عَلَى رَغْمٍ مَنْ رَغِمَ
أَسْمًا طَوَّالًا يَدْحَضُ الطَّيْرُ دُونَهُ لَهُ جَنْدَلٌ مِمَّا أَعَدَّتْ لَهُ إِرَمَ
وَيَأْوِي إِلَيْهِ الْمُسْتَجِيرُ مِنَ الرَّدَى وَيَأْوِي إِلَيْهِ الْمُسْتَعِينُ مِنَ الْعَدَمِ
والمجدل - على ما في كتب اللغة - : القصر المشرف المحكم البناء .
قال الأعشى :

فِي مِجْدَلٍ شَيْدٌ بِنِيَانِهِ يَزِلُّ عَنْهُ ظَفَرُ الطَّائِرِ
وَجَمْعُهُ مِجَادِلٌ قَالَ الْكُمَيْتُ
كَسَوَتْ الْعُلَاقِيَّاتِ هُوجًا كَأَنَّهَا
مِجَادِلٌ شَدَّ الرَّاصِفُونَ اجْتِدَالَهَا^(١)

(١) « لسان العرب » - جدل -

فالشاعر الشكري يصف قصره في ثاج بالطول والقوة والامتاع ، ، وأنه
بني من صخرٍ قد هبى وأصلح من عهد إرم - وهي قبيلة من عاد - والعرب
ينسبون كل قديم إلى عاد . فهو على زعم الشاعر قد شيد من حجارة كانت قد
أعدت للبناء في عصور أقدم من عصر إنشائه ، مما يدل على أن هذا الحصن
شيد على آثار عمران قديم وفي « النقااض ^(١) » في شرح قول الفرزدق :

وَلَوْلَا حَبَاءَ زِدْتُ رَأْسَكَ هَزْمَةً إِذَا سُبِرَتْ ظَلَمْتُ جَوَانِبَهَا تَغْلِي
بَعِيدَةَ أَطْرَافِ الصَّدُوعِ كَأَنَّهَا رَكِيَّةٌ لِقُصْمَانَ الشَّيْبِيهَةَ بِالذَّحْلِ
رَكِيَّةٌ لِقُصْمَانَ بَتَّاجٍ ، وهي مطوية بحجارة ، الحجر أكثر من ذراعين .

وثاج أطراف البحرين ، وأخرأجها إلى اليمامة . كانت لبني قيس بن ثعلبة ،
ولعنة فكانوا متعادين فيها : بائنين بعضهم من بعض ، لهاؤلاء مسجد يجتمعون
فيه ، ولهاؤلاء مسجد يجتمعون فيه .

والدحلان : خرووق في روض وغيطان من البلاد ، يذهب فيها الرجل عامّة
يومه ، وقد يوجد في الدحل الواسع الشجر والغضا . انتهى .

وفي « معجم البلدان » : ركيّة لقُصمان - هو لقُصمان بن عاد ، وهي ركيّة
بتاج ، قريب من البحرين ، بين البحرين واليمامة ، كانت لبني قيس
بن ثعلبة ، ولعنة فغلبت عليها بنو سعد - ثم أورد الوصف والشعر - وقال
ذو الرمة : - في وصف حمير وحشية ^(٢) : -

عَلَى ذُرْوَةِ الصُّلْبِ الَّذِي وَاجَهَ الْمَعَا سَوَاطِطَ مِنْ بَعْدِ الرُّضَا لِلْمَرَاتِعِ
فَلَمَّا رَأَيْنَ اللَّيْلَ وَالشَّمْسُ حَبَّةً حَيَاةَ الَّذِي يَقْضِي حُشَّاشَةَ نَازِعِ
نَحَاهَا لِثَاجٍ نَحْوَةٌ ثُمَّ إِنَّهُ نَوَّخَى بِهَا الْعَيْنَيْنِ عَيْنِي مُتَالِعِ

نحاهما : انصرف بها : نحوة : أي صرفها صرفة

(١) ص : ١٢٠ .
(٢) ديوان ذي الرمة : ٨٠٢ .

وفي ثاج مات مالك بن ميسمع سنة ٩٣ وهو من اشراف أهل البصرة ورؤساء ربعة ورتاه جرير وغيره . وكان التجأ إلى نجدة بن عامر الحنفي اليمامي الذي كان مسيطرا على الأحساء واليمامة في ذلك العهد ، فأكرمه ووهب له مئة من الإبل ، وكان التجاؤه سنة سبعين بعد هزيمته في وقعة الجفرة . من قبل جيش مصعب بن الزبير ، وكان مالك من شيعة عبد الملك بن مروان (١) .

وفي كتاب « المناسك » (٢) : فإذا خرّجت من البصرة تريد البحرين فأول مدينة تدخلها منبّر بثاج ، على أربعة عشر مرحلة ، ساكنها بنو سعد بن زيد مناة بن تميم . انتهى .

وفي كتاب « بلاد العرب » (٣) : — السّتار ، وفيه أكثر من مئة قرية ، لأفناء سعد . والقيس بن زيد . ومن قراها ثاج ، وبها سوق . قال ذو الرمة :

نحاهما لثاج ناحية (٤) ثم إنّه توخى بها العيسين عيني متالع
وفي « صفة جزيرة العرب » (٥) : وثاج ومتالع ماءان ، كمل هذه لتميم . انتهى .

وقال الأزهرى في « التهذيب » (٦) : وثاج قرية في أعراض البحرين ، فيها نخل زين ، انتهى .

وفي « معجم البلدان » : ثاج : بالخير ، قال الثغوري يهمز ولا يهمز : عين من البحرين على ليال ، وقال محمد بن ادريس اليمامي : ثاج قرية بالبحرين .

(١) انظر « ديوان جرير » : ٤٩٩ و « النقاظ » ٧٤٩ ١٠٩١ و « معجم البلدان » رسم (الجفرة) .

(٢) ص ٦٢٠ .

(٣) : ٣٤٥ .

(٤) في ديوانه و « معجم البلدان » و « معجم ما استعجم » : نحوه .

(٥) : ٣٣٣ .

(٦) : ١٧٠ / ١١ .

قال : وَمَرُّ تَدْيِيمٍ بِنُ أَبِي بَنِي مِقْبِلِ الْعَجَلَانِي بِنِجَاجٍ عَلَى أَمْرَاتَيْنِ فَاسْتَسْقَاهُمَا
فَأَخْرَجْتَا إِلَيْهِ لَبَنًا ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَعْوَرُ أَبْتَا أَنْ تَسْقِيَاهُ ، فَقَالَ :

يَا جَارَتِيَّ . عَلَى نِجَاجٍ سَبِيلِكُمَا سَيْرًا شَدِيدًا ، أَلَمَّا تَعَلَّمَا خَبْرِي؟
إِنِّي أَقْبِيدُ بِالْمَأْثُورِ رَاحِلَتِي وَلَا أَبَالِي وَلَوْ كُنَّا عَلَى سَفَرٍ^(١)

فلما سمع أبوهما قوله قال : ارجع معي إليهما ، فرجع معه ، فأخرجهما إليه
وقال : خُذْ بِيَدِ ابْنَتَيْهِمَا شَيْئًا ، فَاخْتَارَ إِحْدَاهُمَا ، فَزَوْجَهُ مِنْهَا ثُمَّ قَالَ لَهُ :
أَقِيمْ عِنْدِي إِلَى الْعَشِيِّ ، فَلَمَّا وَرَدَتْ إِبِلُهُ قَسَمَهَا نِصْفَيْنِ فَقَالَ لَهُ :

خُذْ أَيَّ النِّصْفَيْنِ شِئْتَ ، فَاخْتَارَ ابْنُ مُقْبِلٍ أَحَدَ النِّصْفَيْنِ فَذَهَبَ إِلَى
أَهْلِهِ ، وَقَالَ شَاعِرٌ آخِرٌ :

دَعَاهُنَّ مِنْ نِجَاجٍ فَأَزْمَعْنِ رِحْلَةً وَيُرْوَى : وَرِدَّةٌ ، وَقَالَ آخِرٌ :

وَأَنْتَ بِنِجَاجٍ مَاتْمِيرٌ وَمَا تُحْلِي

وفي « معجم ما استعجم » : نِجَاجٌ - بِالْجِيمِ عَلَى تَمَثَالِ تَاجٍ - قَالَ أَبُو عَبِيدَةَ :
هُوَ مَاءٌ لَبْنِي الْفَرْعِ مِنْ خَشَعَمٍ مِنْ مِيَاهِ بَيْشْتَةٍ . قَالَ تَمِيمٌ - وَأُورِدَ شِعْرُهُ -

وأورد بيت ذبي الرُّمَّةِ وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : نِجَاجٌ بِنَاحِيَةِ الْيَمَامَةِ ، وَأَنْشَدَ الرَّاشِدُ
بِنَ شِهَابِ الْيَشْكُرِيِّ^(٢) : - أَلَيْتَ الْمُتَقَدِّمِ .

زقال كراع : نِجَاجٌ قَرْيَةٌ بِالْبَحْرَيْنِ . انْتَهَى .

(١) أوردتها الصغاني في « التكلية » : ١ / ٤٠٦ - بعد قوله : نِجَاجٌ - بالفتح قرية بالبحرين ، فيها
نخل قال ابن مقبل ثم أوردتها . وهما في ديوانه ص : ٧٧ .

(٢) يشكر بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أنص بن دحيم بن جديلة بن أسد بن ربيعة .

من النصوص القديمة بتّضح :

١ - أن ثاجاً من المواضع الموغلة في القدم ، فاسمه - مع قدمه وذكر اللغويين له غريب كأسماء كثير من المواضع القديمة ، وكذا نسبة إحدى آباره إلى لقمان بن عاد ، وقول راشد بن شهاب عن حجارة قصره أنها من آثار إرم .

وقد أثبتت الآثار التي وجدت في عصرنا صحة قدم ثاج - كما سيأتي تفصيل هذا فيما بعد .

٢ - كانت ثاج لإبّانَ ظهور الإسلام ، وما حولها من منازل فروع من قبيلة ربيعة من عترة ومن بني بكر بن وائل ، ومن غيرهم من فروع ربيعة .

كما يفهم من تصيدة راشد وهو من بني يشكر بن علي بن بكر بن وائل ، وكما في كلام صاحب « النقاظ » أن من أهلها بني قيس بن ثعلبة - بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

وهذا يُفسّر لنا التجاء مالك بن مسمع إلى هذه البلاد في القرن الأول الهجري ، فبالك هذا من بكر بن وائل ، كما أن تجدة من بني حنيفة وهم من بكر أيضاً .

٣ - ثم بدأت المناوشات بين بني تميم وبين سكان هذه الجهات من ربيعة منذ ذلك العهد حتى انتهت بتغلّب بني تميم على البلاد ونزوح بطون ربيعة إلى أرياف العراق ، فانتشرت بطون تميم مكانها في وادي السّتار (وادي المياه الآن) الذي تقع فيه بلدة ثاج وفيما حوله من المواضع إلى فلكج (وادي الباطن) شمالاً حيث حلت في الوادي بطون من بني تميم في صدر الإسلام ، مع احتمال بقاء أناس من ربيعة متحضرين في القرى كثاج وغيره ممن لا ترهب سطوتهم .

٤ - ونجد بلدة ثاج في منتصف القرن الثالث الهجري تُعدّ من مُدُن البسجّرين كما في كلام صاحب « المناسك » فذكر أنها منبّر^(١) ، والمتقدمون يعنون بهذا القول

(١) وعده رابع بلدة في هذه المنطقة - فيها منبر : ثاج وهجر وجلة والمقير (ص ٦٢٠) .

أنها بلدة تُصَلِّي فيها الجمعة ، وليست بلدة صغيرة كما أن صاحب « بلاد العرب » وقد ذكر أن في السِّتَار أكثر من مئة قرية بدأ بثناج ، باعتبارها أهم تلك القرى ، ويلاحظ أن كلمة قرية تطلق على المدينة كما في القرآن الكريم حيث سُمِّيَتْ مكة (قرية) .

٥ - ولوقوع ثاج في وادي السِّتَار وُصِفَ الموضعُ بجودة النخل . فالأرض صالحة ، والمياه غزيرة ، وهي عيون سائحة على وجه الأرض .

٦ - وقول الأصمعي - فيما نقله عنه البكري - عن ثاج أنه بناحية اليمامة ، يُفَسِّرُهُ ما جاء في « النفاض » أن خَرَّاجَهَا إلى اليمامة ، وليس المقصود قربها من اليمامة .

٧ - أما القصة التي أوردها البكري وياقوت عن الشاعر تميم بن أبي بن مُقْبِلِ العامري ، فأكد أجزم بأنها لا تتعلق بثناج الواقع في البحرين ، لأمر : منها أن الرجل من بني عامر ، وهاؤلاء كانوا في ذلك العهد من أعداء بني تميم ، الذين أصبح ثاج من بلادهم .

ومنها : أن القصة تذكر أن تميم استسقى الجاريتين ماء . وموقع ثاج هذا بينَ عيُونٍ جارية لا يحتاج أحدٌ معها أن يستقي الماء ، فليس في صحراء ومنها : أن أبنا الجاريتين صاحب إبلٍ وردت عليه في ذلك الموضع ، وثناج في ذلك العهد بلدةٌ معمورة ، وليس منتهلاً لورود الأبل .

ولهذا فينبغي أن يكون المقصود بثناج في خبر الشاعر الموضع الذي ذكر البكري أنه في بلاد القُرْعَ من خثعم ، وهاؤلاء لا يزالون معروفين ، في بلادهم القديمة الواقعة جنوب المملكة فيما بين بيشة وبلاد عسيير ، وتلك البلاد هي المجاورة لبلاد بني عامر من الجنوب ، حيث تجاور بطون منهم بطونا من خثعم وجيرانهم في وادي بيشة .

٨- ولشهرة ثاج القديمة نجد ياقوتاً في « معجم البلدان » يورب تحديداً لبعض المواضع بالنسبة لصلحها بثاج ، مثل : البيضاء والنقيرة . ولا شك أنه نقل ذلك عن مصادر سابقة لعهد .

٩- ويلاحظ أن جميع النصوص المتقدمة ترجع إلى أول القرن الرابع فما قبله وليس للبكري ولا لياقوت - وهما متأخران عن ذلك العهد - إلا مجرد النقل .

ومنذ القرن الرابع الهجري إلى منتصف القرن الثاني عشر الهجري يكاد الباحث يئأس من العثور على مصادر تضيف جديداً في ميدان البحث الجغرافي المتعلق بأي موضع من المواضع المشهورة في قلب جزيرة العرب ، فضلاً عن غير المشهورة .

وجاء في « شرح ديوان ابن مقرب » :

مِينَا الَّذِي حَازَ مِنْ ثَاجٍ إِلَى قَطْرِ وَصَيَّرَ الرَّمْلَ مِنْ مَالِ الْعَدُوِّ حِمَى
ثَاجٌ وَقَطْرٌ وَالرَّمْلُ أَمَكْنَةُ مَعْرُوفَةٌ ، وَكَانَ الْأَمِيرُ فَضَلَ قَدْحَمَاهَا مِنْ أَنْ تُرْعَى .
انتهى .

وفي القرن الثالث عشر الهجري كانت قبيلة بني خالد - التي هي خليط من القبائل العربية التي تحل هذه الجهات منذ العهد القديم - قد بدأها الضعف فهاجرت فروع منها إلى العراق ، وتحضرت فروع أخرى ، فانتقلت قبائل أخرى إلى هذه الجهات ، وحلت في بلاد بني خالد ، ومن تلك القبائل العجمان ، والعوازم وهاؤلاء جاؤروا العجمان ، وعاشوا في كنفهم .

وعند بدء تأسيس الهجر في أول عهد الملك عبد العزيز - رحمه الله - اتخذت العوازم منهل ثاج هجرة لهم ، سنة ١٣٣٦ هي والحياة (الحناء) وعنتيق (عتيد قديماً) والحسي ، ولكن الدوافع للاستقرار في الهجر لدى البادية - بصفة عامة - ما كان قوياً ، كما أن تلك الدوافع بدأت تضعف بعد

استقرار الحكم للملك عبد العزيز بانتصاره في وقعة (السبلة) سنة ١٣٤٧ فبدأ كثير من أصحاب الهجر يعودون إلى حياة البادية ، ومنهم العوازم ، أهل هجرة ثاج .

ولكن منذ نحو عشر سنوات عادت الحياة إلى الهجر ، وتماقت البادية إلى مياهها القديمة ، توجد حولها من وسائل الاستقرار ما يجعلها تُعدُّ بين القرى التي توكيها الدولة صنوفاً من الرعاية ، ممثلة في انشاء المرافق العامة وبناء المدارس والمساجد والمستوصفات ، وتسجيل السكان المحتاجين ليشملهم (الضمان الجماعي) .

فكان أهل ثاج ممن عاد إلى هجرتهم ، وهي الآن - كما شاهدتها في شهر رجب سنة ١٣٩٨ قرية فيها بيوت قليلة ، ومسجد بناؤه قديم ، وبستان فيه نخيلات وأشجار غير معتنى بها .

وقيل لي إن السكان يقاربون ٣٠٠ نسمة وأن المنازل نحو ٧٥ وبناؤها قديم وقد أملى عليّ أحدهم أثناء القيلولة في تلك القرية ، في ظلال أشجار ذلك البستان :

يَا الرَّبِّعَ أَنَا فَآكِرٌ فِي نَخْلٍ ثَاجٍ حَمَلِيهِ كَثِيرٌ وَجَارُهُمْ مَا يَدُوقُهُ (١)
عَلَهُ ثَمَانِ سَنِينَ مَا فِيهِ دَوَاجٍ كُودَ الْغَرَابِ يَسْوِي الْعِشَ فَوْقَهُ (٢)

ولقد قسنا هذا الشاعر ، والله أرحم من أن يستجيب دعوته ، ولقد عرض علينا بعض أهل القرية الضيافة ، ودعونا لتناول القهوة ، فاعتذرنا .

آثار ثاج : وجد بعض الغربيين أحجاراً فوقها كتابات قديمة بالخط المسند (الحروف الحميرية) وثاج - كان يقع على طريق الممتد من اليمن إلى مملكة الحيرة - في العراق .

(١) الربيع : الرفقة . فاكر : متفكر .

(٢) عله : لعله . دواج : ماش و متحرك .

كود : سوى . يسوي : يصلح . أي يدعو عليه بالخراب وبخلائه من كل ماش وأن يعيش فيه الغراب ، والغراب مأواه الخراب .

وقد جاء في كتاب « مقدمة عن الآثار »^(١) ما نصه : وتقع ثاج حوالي ٨٠ ك غربي مدينة الجبيل ، وهي اليوم عبارة عن قرية صغيرة . على طرف السبخة المعروفة بسبخة ثاج . وقد أشارت البحوث التي قامت بها البعثة الدانمركية عام ١٣٨٨ إلى أن حضارة إنسانية عريقة ، لا تزال رابضة ، تحت خرائب تلك السبخة . تنتظر مكانها في دُنْيَا الدراسات والبحث العلمي ، فيوجد بثاج مدينة متكاملة ، يحيط بها سور خارجي ضخم يبلغ طوله حوالي ٩٠٠ متر . ويرجع عصر بناء المدينة إلى الفترة الاغريقية المعروفة بالعصر السلوقي -- حاضرتها سلوقيا في جنوب بغداد في العراق ويبدأ تاريخ هذا العصر عقب فتوحات الاسكندر المقدوني سنة ٣٣٠ قبل الميلاد .

وفي متحف إدارة الآثار توجد تسعة نقوش ضخمة عُثِرَ عليها بين خرائب ثاج . وقد كتبت بالمسند القديم ، ويعود تاريخها إلى أواسط الألف الأول قبل الميلاد .

وعندما جاء الإسلام كانت ثاج مُجَرَّدَ قريةٍ بعد أن انتقلت الحضارة والتجارة منها إلى هَجْرَ في الأحساء .

وقد نشر جيمس مانديفيل بحثاً عن (ثاج) من الناحية الأثرية جاء فيه (٥) : -

ومن الأماكن المهمة في المنطقة الشرقية الحالية من المملكة العربية السعودية (ثاج) وهي قرية تكاد تكون دارة تقع على بعد ٩٥ كيلاً من الجبيل إلى الداخل .

إن وجود آثار مهمة في ثاج صار متوقفاً منذ سنة ١٩٠٨ على الأقل عندما قدم أحد البدو العائدين للسلطات البريطانية في الكويت تقارير عن هذه الأرض Ainter Land التي لم تكنشف آثارها والكابتن (دبليو . إيج . آي . شكسبير) وهو معتمد سيامي بريطاني من سنة ١٩٠٩ إلى سنة ١٩١٥ أكد تلك التقارير عندما مر بثاج والحفاة في

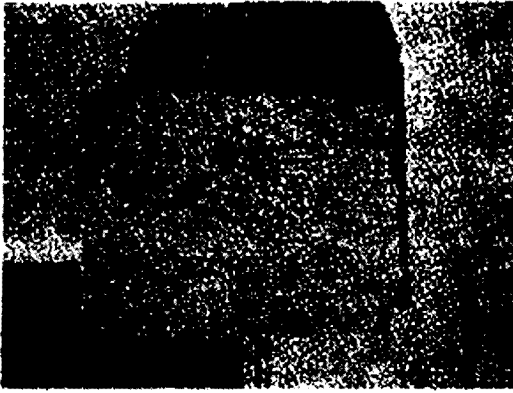
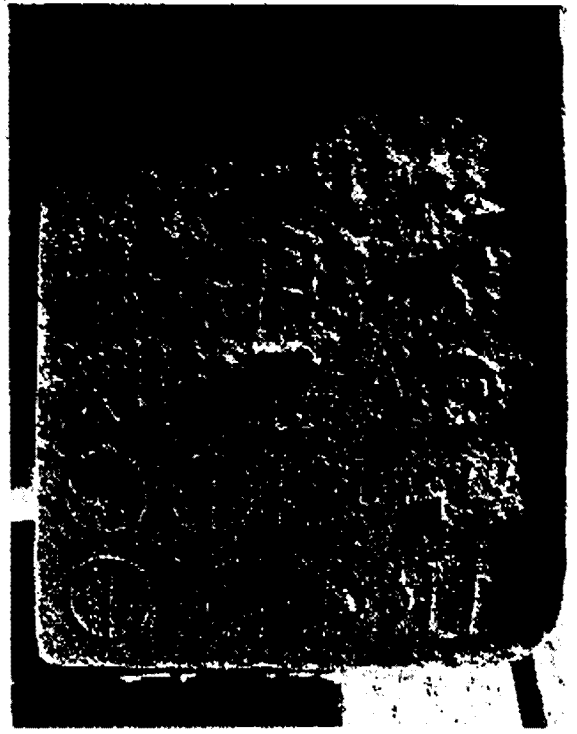
(١) ص : ٢٧ .

(٥) عن مجلة Bulletin of the American Schools Research No. 172. De. 1963.

ونشرته مجلة « العرب » ٢٢٩/٢ وقد عربه الاستاذ عبد الرزاق الريس .

من آثار تاج

حجر كان موضوعا على ضريح
وفيه كتابة سبئية (حميرية)
يتضح منها اسم صاحب
القبر « عواد هنأت بنت
يفمان » يعود تاريخها للقرن
الخامس قبل الميلاد .



حجر فوفه كتابات بالسُّبئية (الخط الحميري) عثر عليه
في قرية تاج (H. R. P. DICKSON) ويقع الحجر على
مسافة تقرب من عشرة أميال في الجنوب الشرقي من « الحيشة »
في « وادي المباء » المعروف قديماً بوادي السُّبئية .

⊙ Π Λ Ι
⊙ Π Ι Ζ Φ Λ Ι ζ
Ν Χ Ι Ζ Φ Λ Ι ⊙ ρ
⊙ ρ Ι Π Ν Ι Ν Φ
Φ Λ Χ Ι Π Ν Ι Φ
ϸ Ι Φ ⊙ Φ Λ Ν
⊙ Λ ϸ Ι ⊙ ⊙ Π

صورة منقولة بالفلم للكتابة التي عثر عليها
(H. R. P. DICKSON) في « تاج » ونشر عنها دراسة
في كتابه : (the Arab of the Desert) .

(صور لآثار تاج)

سنة ١٩١١ في إحدى رحلاته الاستكشافية المبكرة . وجد شكسبير نصبين حجريين من نصب المقابر في ثاج (أو في ثاج والحناة) محفور عليهما كتابة من كتابات سكان الجنوب من الجزيرة العربية وكان هذان النصبان أول ما وجد من نوعهما في شمال شرقي بلاد العرب . هاتان الكتابتان اللتان درسهما (إس . دي مارغوليوت) قدما دليلاً مادياً على صلة حضارية طالما اعتقد بوجودها بين الجنوب الذي كان متطوراً في حضارته وبين الشمال الشرقي في بلاد العرب .

وحجر ثالث محفور عليه كتابة جنوبية أحضره بدوي إلى (لاج . آر . بي . ديكسون) وهو معتمد سيامي بريطاني ساق في الكويت قال البدوي عنه إنه وجدته في ثاج . هذا الحجر الذي كان نصب قبر . مثل الحجرين اللذين اكتشفهما شكسبير قام (جي . ريكمانز) بنشر ما كتب عليه في سنة ١٩٣٧ .

ومر (الجنرال ديكسون وزوجته فايولت) بثاج والحناة في ربيع سنة ١٩٤٢ : ومع أنهما رأيا خرائب ثاج في مدة أقل من ساعة إلا أنهما تمكنا من تكوين ملاحظات قيمة عن المكان ، نشرت في سنة ١٩٤٨ مع خريطة إجمالية للخرائب . ولم ينشر لثاج وصف أفضل منذ ذلك الحين مع أن جيولوجيي شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) كانوا يعرفون المنطقة منذ سنة ١٩٣٦ تقريباً .

وتقع قرية ثاج على بعد ١٥٠ كيلاً من الظهران مقر (أرامكو) وهي على خطوط عرض ٢٦ و ٢٥,٥ درجة شمالاً ، وخطوط طول ٤٨ و ٤٢,٩ درجة شرقاً على بعد خمسة أكيال من طريق جمال مشهور يعرف بدرب الكنهري ، وهو طريق هام وربما كان قديماً طريقاً لتجارة الشرق والغرب بين الخليج العربي ونجد قبل مجيء السيارات .

وتقع ثاج على ملتقي ثلاث بقاع هامة من شرقي بلاد العرب . ولدى البدو في هذه المنطقة أسماء خاصة يطلقونها على كل بقعة ، حسبما يسودها من خصائص

طبيعية . فالمنطقة الواقعة في جنوب ثاج تعرف بالحبل ، وفي الشمال والشمال الشرقي الرّدايف . وفي الشمال الغربي وادي المياه (وهو ليس واديا في الحقيقة ولكنه حوض منخفض لمجرى ممتد من الجنوب إلى الشمال) وهو نسبيا متوفر الماء وتقوم على آباره الضحلة عدة مجموعات سكنية صغيرة ، يمر بها طريق تجاري من الشمال إلى الجنوب ويظهر أنه كان يستعمل في العصور الإسلامية الأولى وربما قبل ذلك .

وثاج اليوم قرية صغيرة تضم بيوتا متواضعة مبنية من الحجر والطين بعض هاهـ البيوت مقرات صفية لحوالي ٢٥٠ شخصا نصف رحل من أفراد الملاعبة والمساحمة التي تنتمي إلى قبيلة العوازم . ومعظم هؤلاء الأفراد يقضون الفصل الممطر (٣ بوصات سنويا) في رعي قطعانهم في بقاع تسمى الصعدة وراء الراديف في الشمال الشرقي تجاه الكويت ، ويعودون للمياه الموجودة في ثاج في أول الصيف ، حيث يقيمون في البيوت المهدامة جزئياً . وعندما تغادر المجموعة بيوتها في الشتاء تترك وراءها في هذه البيوت ما يصعب حمله من ممتلكات ومحرقات ، كأكياس الحبوب والتمر المكبوس ويوجد في ثاج بعض بساتين صغيرة وأشجار نخل ضعيفة .

وتقع ثاج جنوبي سبخة تسمى سبخة ثاج . والسبخة من الصفات البارزة في أرض المنطقة وتختلف أحجام هذه السبخات من الأحواض الملحية حيث يبلغ قطرها بضعة أمتار ، في بعض المناطق ، وعدة أكيال في مناطق أخرى . والسبخة أرض تُغَطِّي سطحها قشرة ملحية تكون صلبة في فصول الجفاف ، بحيث تتحمل مرور السيارات فوقها ، ومع ذلك فهي تنكسر في بعض الأحيان في بعض المناطق ذات القشرة الرفيعة ويظهر تحتها طين مشبع بالماء المالح ، وسائقوا السيارات ذوو الخبرة يفضلون السير في طرق رملية شاقة على السير فوق سبخة غير معروفة .

ويوجد في ثاج ووادي المياه مياه صالحة للشرب ولو أنها ليست عذبة في حواشي الأحواض المالحة حيث يكون الماء قريباً من سطح الأرض ، وتكون الآبار الضحلة قريبة من السبخات .

وثاج من الناحية الجيولوجية مبنية على موقع تُغَطِّيهِ طبقة خفيفة من الرمال التي تأتي من نوع ما يسميه الجيولوجيون (قاعدة الحَبْس) وهذا التشكيل الرسوبي ثلاثي الصفات (ماوسيني) يتكون من طين خزفي وصلصال (طين جيرى) وحجر صَدْفَى ويكثر فيه الحجر الكلسي الصدفي والطباشيري وهذا الحجر استعمله أهل تاج قديماً وحديثاً .

وتحتل خرائب تاج القديمة مساحة يبلغ مجموعها مائتي كيل مربعاً بما في ذلك المجموعتان الكبيرتان من الأكمات اللاتي تقع في الشمال الشرقي وفي الغرب من تاج الحالية . وأرض الموقع القديم التي عليها أدلة أكيدة للسكن (أسس بناء . . الخ) هي على شكل مستطيل يبلغ طوله ١١٠٠ متر ويبلغ عرضه حوالي ٦٠٠ متر وتمتد أضلاعه الطويلة في الشمال والشمال الغربي وفي الجنوب والجنوب الشرقي ويحد هذا الموقع القديم من الشمال قرية تاج الحالية وربما امتدت حدودها إلى السبخة وراء تاج الحالية . ويحده من الجنوب منطقة مرتفعة قاحلة مكونة من حجر الكلس . ويحده من الشرق جُرُفٌ تقوم على طول حافته آثار واضحة للجدار يظهر أنه كان يحيط بالقرية القديمة من جهتها الشرقية . وأرض المستطيل القديم ليست مستوية وإنما يرتفع مستواها ارتفاعاً تدريجياً عاماً يبدأ في الشمال الغربي متجهاً نحو الزاوية الجنوبية الشرقية . وتظهر في الجزء الشمالي الغربي من الموقع آثار واضحة لثلاثة جدران تلتقي في زاويتين ربما كان داخلها محصناً .

وتتناثر على سطح أرض المنطقة قطع الجرار المكسورة ولكنها ليست من النوع المصقول الذي يوجد بكثرة في معظم أراضي المنطقة الشرقية والذي يرجع إلى العهد الاسلامي الأول وإنما من نوع القطع السوداء والحمراء غير المصقولة . وأسس الجدران ظاهرة في كثير من الأماكن ويبدو أنها غالباً كانت تبنى من قوالب جيدة من حجر الكلس ، وكثير من هذه الجدران تبدو عليها آثار المعدات المستعملة . وقد انتفع سكان تاج الحاليون من هذه القوالب (البلوكات) في بناء بيوتهم وفي أحد الأماكن عملوا مقطعاً جيداً للقوالب . ويوجد هناك حوالي ٢٠ بئراً جيدة البناء ولكن

حوالي ١٢ فقط منها يوجد فيها ماء . ويستخرج الماء من كل هذه الآبار بواسطة الحمير التي تزعبه وهي طريقة شائعة في الواحات العربية . ومعظم هذه الآبار يلاحظ عليها مرحلتان من البناء إحداهما ما يرى في أسفل البئر وهو مبني من قوالب الكلس الناعمة الحسنة القطع والأخرى في أعلى البئر وهي ما جُدِّدَ إصلاحه بقوالب خشنة . ويبلغ عمق هذه الآبار من ٥ إلى ٦ أمتار كما يبلغ قطر فتحتها ٤ أمتار ومع أنها تحوى قليلاً من الماء إلا أنها يمكن أن تكون أعمق مما هي عليه فيما لو نُظِّفَت .

ومن بين ما وجد على سطح الأرض في ثاج أشكالٌ مختلفة من الفخار يمثل أكثرها الجمل العربي ويبلغ معدل ارتفاعها ٢٠ سم وهي مختلفة بأشكالها ولو أن بعضها مكسور رأسه ، وبعضها مكسور فيه يد أو رجل . وقد وجد ريع أمامي مع رأس لشكل بقرة جميل الصنع ، وأشكال كاملة لمباخر . بل توجد أشكال لأجسام بشرية كثير منها يظهر نساءً في أوضاع يكن فيه راكعات .

وهناك في ثاج أكماتٌ كثيرة من صنع الانسان مغطاة بالتراب لبعضها قمم مستديرة وبعضها قمم منضغطة إلى الداخل مما قد يوحي بوجود أنهار داخلي في بنائها . ولا يمكن معرفة ما إذا كانت هذه الأكمات قصوراً أو بنايات أخرى إلا بالتنقيب .

أما ارتفاعها فيبلغ خمسة أو ستة أمتار . وتوجد أكماتٌ مماثلة في البحرين وعدة أماكن في المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية . وبعض أكمات ثاج المستديرة القمة لونٌ غامق خاصٌ يمكن لمن ينظر إلى صورة مأخوذة لها من الجو أن يعد ٦٥ منها . وتوجد الأكمات في مجموعتين كبيرتين إحداهما في الشمال الشرقي والأخرى في الغرب من الموقع .

اثنا عشر مخطوطاً عربياً جنوبياً سجلت حتى الآن وكلها وجدت في ثاج أو بالحنة القريبة منها . تسعة منها منذ اكتشافات شكسير والبدوي الذي حمل حجراً للكوبت وكلها ما عدا واحداً أو اثنين محفوظ على قوالب من حجر الكلس المحلي ، وعلى

كتابخانه و مرکز اطلاع رسانی
فبا و اداره المعارف اسلامی

الأقل سبعة منها نصب قبور معموله حسب قاعدة ثابتة مع اختلاف أسماء الأشخاص في كل منها .

أول هذه المخطوطات التسعة كان مكتشفا منذ ١٩٣٧ ووجده السيد جون مرلر (أحد موظفي ارامكو) ١٩٥٨ ولم يعرف الموقع الحقيقي لهذا المخطوط وإنما هو نصب قبر تظهر على كتابته القاعدة المعتادة في ناج التي تعتبر عن « حجارة وقبر . . » وهذا المخطوط معروض الآن في مكتبة ارامكو للأبحاث في مقر ارامكو في الظهران

والسيدة (فايوليت ديكسن) التي رأت ناجاً لأول مرة ١٩٤٢ مع زوجها زارت المنطقة الشرقية ١٩٦١ واكتشفت جزءا من مخطوط على حجر مبني في أحد جدران القرية الحديثة وقالت : إن قطعة الحجر التي اكتشفتها لونها غامق ومائل إلى الخضرة وذلك على غير شاكلة حجر الكلس الملي . وقد أعطت السيدة ديكسون نسخة من هذا المخطوط كتبها بخط يدها للمتحف البريطاني . والأحرف القليلة التي يمكن قراءتها من هذا المخطوط تبين أنها جزء مما يكتب على حجارة القبور .

وكاتب هذا المقال (السيد ما ندفيل) وزوجته وجدا نصبين في الجزء الشرقي من ناج سنة ١٩٦٢ واحد من هذين النصبين وربما الآخر أيضاً (لأن الآخر غير كامل) بتدبير الكتابة عليه بعبارة ناج التقليدية المستعملة على النصب . واحدى هاتين الحجارتين تخلد ذكر دفن مشترك لأختين ويبدو أن اسمي الأختين عربيان شماليان وقد وجد السيد (توماس سي . بارقر) رئيس شركة ارامكو جزءاً علويًا من حجارة قبر من نفس المنطقة في ٨ فبراير ١٩٦٢ ومع أن السطر فقط مما خط على الحجر كان جليا إلا أنه يظهر القاعدة المعتادة .

وقد وجد الكاتب أول مخطوط لم يكن محفورا على حجر وإنما على قطعة من النحاس ولم يكن المخطوط كاملا وكان عليه حرفان من حروف الجنوب . وتوجد قطع مشابهة لهذا النوع في الجزء الجنوبي من البلاد العربية . وقد زار السيد (سي . دبليو . هارينغتون) موقع ناج مع الكاتب في ١٠ مارس ١٩٦٢ ووجد مخطوطا على

حجر كلسي مبنياً في تعبير احدى الآبار الحفافة . وهذه القطعة قد تكون كاملة أو قد تكون مقطعة من حجر أكبر عندما أعيد طي البئر .

وقد اكتشف السيد (شارلز كين) أحد موظفي (ارامكو) في ٩ مارس سنة ١٩٦٢ مخطوطا ربما يكون أهم مخطوط تسم اكتشافه . هذا المخطوط في أربعة سطور ومحفور على حجر كلسي محلي ولا يبدو أنه نصب لأحد القبور وإنما تكريس من نوع آخر ومع أن كتابة هذا المخطوط رديئة إلا أنه يمكن للخبير الذي يدرسها بعناية فائقة أن يقرأها .

وقد وجد الكاتب في الحفنة في سبتمبر سنة ١٩٦٢ جزءاً سفلياً مما يحتمل أن يكون حجارة قبر . لم يكن على المخطوط سوى جزء من الأسطر الأخيرة ولكن آخر كلمة في المخطوط هي (WD'B) مطابقة لما كتب على المخطوط الذي وجد في جدار بشر تاج . وهذه العبارة هي قاعدة دينية تعبر عن الصفة الأبوية للمعبود القمري « ود » وتكتب عادة على الجدران والتعاويذ في الجنوب العربي . وعلى الحجارة التي وجدت في الحفنة يأتي بعد التعبير (WD'B) فاصل وسطور عمودية وهذه قد ترمز لأعداد أو قد تكون مجرد ملء فراغ .

وقد أرسل الكاتب صوراً فوتوغرافية ونسخاً من هذه المخطوطات إلى الأب (أى . جام) الأستاذ في جامعة أمريكا الكاثوليكية بواشنطن ومنتظر ببالغ الاهتمام ملاحظاته على مخطوطات شرق بلاد العرب ، كما أرسلت نماذج من كسر الجرار المتناثرة على سطح أرض تاج إلى الدكتور (جس . فان بيك) في مؤسسة (سمشونيان) في واشنطن وهو عالم له خبرة بالآثار العربية لعله يستطيع أن يصل إلى بعض الاستنتاجات حول تاريخ تاج .



مع القراء في أسلئهم وعللقانهم

قرى بيشة

كتب الأستاذ يحيى بن علي عكور - إدارة التعليم في بيشة - يصحح أسماء قرى وردت في الجزئين الخامس والسادس من « العرب » لهذا العام - و « العرب » تقدم للأخ الكريم شكرها ، وتنشر ملخص ما بعث به إليها :

(أ) فمن أسماء القرى :

- ١ - الغالية - بالمشاة التحتىة - ص ٤٥٦ .
- ٢ - الوهسة - بالسین المهمله - ص ٤٥٦ .
- ٣ - قُرَيْظَة - بالقاف - لا بالفاء - ص ٤٥٦ .
- ٤ - عَتَامُ - بضم العين المهمله والتاء المشاة الفوقية بعدها ألف فميم .
- ٥ - المقلَعُ - اللام مشددة مفتوحة .
- ٦ - المَلَد - بفتح الميم واللام .
- ٧ - عَوِيَّأ - بضم العين المهمله وفتح الواو والمشاة التحتىة المشددة بعدها الف .

(ب) وأورد الأخ يحيى أسماء قرى لم يرد لها ذكر ، وهي من قرى بني مالك :

- ١ - الأشرق - بالقاف - مفتوحة .
- ٢ - الصَّفَق - بالصاء المهمله والفاء مفتوحة والقاف .
- ٣ - مَهْوَر - بفتح الميم وإسكان الهاء وفتح الواو وآخره راء - قرية السُّوق .

٤ - العُشُو - بالعين المهملة والشين المعجمة ، وهي قرية آل بلال .

(ج) وقال الأخ : أما قرى بني مالك فيحدُّها من الجنوب قرية حريق - بالحاء والراء المكسورتين المهملتين ، وهي الحدُّ بين بني مالك من الجنوب وزهران من الشمال .

قرية الحِنُو - بكسر الحاء المهملة وسكون النون وهي من قرى بني حرب .

وبنو حرب بطن من بطون بني مالك ، وتلك البطون هي : بنو علي وبنو حرب وأبنا النعيم ، وبني عمرو .

وتمنى الشيخ يحيى لو أن أحد أبناء القبيلة أمداً « العرب » بأسماء القرى التي لم تذكر .

و « العرب » تمنى مثل ذلك .

وهي تفتح صفحاتها لنشر كل ما يصل إليها صالحاً للنشر ، من أسماء القرى ، وأسماء الأودية والجبال المشهورة ، وخاصة ما ورد في الأشعار أو الأخبار القديمة .

وكذا أنساب القبائل وفروعها وتحديد منازلها . وما يتعلق بتاريخها قديماً أو حديثاً .

ومجلة « العرب » لم تنشأ إلا لخدمة تاريخ العرب وثقافتهم وجغرافية بلادهم ، وكل ما يتصل بتراتهم الفكري .

وشكراً للأخ يحيى ولكل من عني بما نشره المجلة تصحيحاً أو استدراكاً ، أو إيضاحاً . وكما قيل : (المرء قليلٌ بنفسه ، كثيرٌ بإخوانه) .

والله الموفق

الفقراء من (عنزة) وأفخاذهم

كنت تحدثت في كلمة نشرتها في مجلة « العرب » في جزء رمضان وشوال سنة ١٣٩٧ - عن (الفقراء) الساكنين في (العُلا) بمناسبة رحلتي إلى تلك البلاد .

فبعث الأخ شالح بن محمد بكلمة في الموضوع ، نشرت في جزء رجب وشعبان سنة ١٣٩٨ من المجلة .

ويظهر أن كلمة الأخ شالح لم تفهم على وجهها الصحيح ولهذا كثرت التعليقات عليها .

وكان من بين الكتابات التي وردت إلى المجلة .

١ - رسالة من كاتب بن علي الفقير - وعنوانه (إمارة تبوك) .

٢ - رسالة من عبد الهادي بن التيهي الفقير - سلاح الحدود في القرينات .

٣ - رسالة من فارس بن حاكم بن شهاب الفقير .

وصفحات المجلة لا تتسع لنشر الكتابات الكثيرة المتعلقة في موضوع كهذا ، ولهذا نكتفي بتلخيص الرسائل الثلاث ، ونُقل باب الأخذ والرّد .

ومجلة « العرب » يسرّها أن تنشر كل نافع مفيد ، مما يتعلق بالأنساب أو تحديد المواضع ، وغير ذلك مما يفيد القراء عامة .

وهي لا تتعرض لما يتخصّص الأفراد ، وتحسن الظنّ بكل أحدٍ .

١ - ملخص رسالة الشيخ كاتب :

لقد اطلعت على مجلة العرب الصادرة بالعدد (ج ١ و ٢ س ١٣) رجب / شعبان سنة ١٣٩٨ هـ - فقرأت مقالا من أحد القراء الكرام حول قبيلة الجماعلة وصلتهم بقبيلة الفقراء من عنزة - والساكنين (مدائن صالح والحجر والعُدَيب)

وما تفضل به المذكور : من أن قبيلة الفقراء ينقسمون إلى خمسة أقسام رئيسية لا ستة أقسام على ما سبق نشره في المجلة .

١ - الشفقة .

٢ - الجمعات .

٣ - المغاصيب .

٤ - الزوارة .

٥ - الحجور .

وقد تحدث عن الجماعة وعدم ارتباطهم بالفقراء .

وبصفتي أعرف فخذ هذه القبيلة معرفة تامة أحب أن أوضح ثلاثة جوانب :

الجانب الأول : أن كلمة الفقير تطلق على فخذ المبارك فقط رأس قبيلة المناهبة -

في الماضي والحاضر ، ولا يُلقَّب بـ (الفقير) إلا من كان من فخذ المبارك .

ثانياً : صحة الفخذ ثمانية ليست خمسة وهي :

١ - فخذ المبارك الذي يرأس قبيلة المناهبة .

٢ - الشفقة .

٣ - الجمعات .

٤ - الزوارة .

٥ - المغاصيب .

٦ - المصاليخ .

٧ - الحجور .

٨ - الصقرة .

وصحة فخذ الجماعة هي : -

١ - الشهاب .

٢ - الذبابه .

٣ - الفضيل .

٤ - اليزيد .

وتتصل هذه القبيلة بقبيلة الفقراء في جدهم (مُنَبَّه) ويطلق على هذه القبيلة (المناهبة) وشيخ الشمل في الماضي والحاضر هو (الفقير) هذا ماجرى ايضاحه .
أرجو نشر هذا في مجلة العرب .

٢ - رسالة الشيخ فارس :

اطلعنا على الرسالة المنشورة في مجلة العرب ج ١ و ٢ س ١٣ رجب / شعبان سنة ١٣٩٨ هـ . بعنوان (الجماعة وصلتهم بالفقراء) وصاحب الرسالة شايع بن محمد وقد لفت نظرنا ما كتبه المذكور عن تلك القبيلة وللإيضاح ونفياً للإلتباس نبين لفضيلتكم بهذه الرسالة راجين نشرها استجابة لرغبة مشايخ قبيلة المناهبة وأعيانهم وهم يناشدون فضيلتكم التكرم بسرعة نشرها في أول عدد لمجلة العرب لإيضاح الحقيقة للقراء كما نرجو تلخيصها بالطريقة المناسبة .

أولاً : أن ما سمي بقبيلة الفقراء هي قبيلة (المناهبة) من عترة المتكونة من الأفضاخ التالية :

(أ) المبارك . مشايخ قبيلة المناهبة المكونة من الأفضاخ الآتية .

(ب) الشفقه - (ج) الجمعات - (د) الزوارعه - (هـ) المغاصيب -

(و) الحجور - (ز) الحسنة - (ح) المصاليخ - (ط) الجماعه - (ك) الصقرة .

أما لقب الفقير فهذا يخص المبارك مشائخ قبيلة المناهبة فقط أما الأفخاذ من فقرة (ب) وحتى فقرة (و) (فلقبهم الفقيري) نسبة إلى شيخهم الفقير (فخذ المبارك) .

ثانياً : الخماعة سابقاً رئيسهم (الشن) فخذ (الشنون) تحت لواء الفقير . وعلى عهد حكومتنا الرشيدة اعزها الله رئيسهم صياح بن نابت .

ثالثاً : جميع افخاذ هذه القبيلة رئيسها الفقير (فخذ المبارك) أما في الشمال فرئيسها ابن ملح (فخذ الملح) .

رابعاً : إن الأخ صاحب الرسالة ليس لديه الدراية أو المعلومات التاريخية عن تلك القبيلة .

خامساً : اقترح على فضيلتكم الرجوع إلى الشيخ / صياح بن رحيل الفقير والشيخ / هجر بن سلطان بن دوشان والشيخ / كريم بن جبل والشيخ دالش بن حمدان ابوقرينات والشيخ حامد بن حمير ليؤكدوا لفضيلتكم المعلومات الصحيحة عن القبيلة .

٣ - رسالة الشيخ عبد الهادي :

يسرني أن ابعث هذه الرسالة وأن اعرفكم أولاً عن نفسي أنا عبد الهادي بن التيهي الفقير العنزري من الفقراء فخذ المبارك الساكنين في مداين صالح : الحجر والعذيب الذين ورد ذكرهم في مجلة العرب بعددها الصادر ج ١ و ٢ س ١٣ رجب / شعبان سنة ١٣٩٨ هـ . .

أحب أن اوضح بعد ماتين لي او بعد قراءة صفحات مجلة العرب وجدت على احدى صفحاتها ١٥٠ و ١٥١ بعض الاخطاء بالنسبة للخماعة وصلتهم بالفقراء .

أولاً : اسم الفقراء ليس اصلاً بل اطلق على شيخ القبيلة الجدد الأول لآل مبارك

الذين هم شيوخ الشمل من قديم الزمان حتى هذا التاريخ وهو الجحد صالح بن حمدان الذي كان فيه (زار) وأطلق عليه اسم (الفقير) وقيل : (عرب الفقير) حتى اطلق على بعض هذه القبيلة اسم الفقراء اما الاسم الجامع لهذه القبيلة فهو المناجبة وإليكم أسماء افخاذ هذه القبيلة :

١ - الحسنة وينقسمون إلى عدة افخاذ ساكنين بالشمال « سورية » .

٢ - عتب راشد وينقسمون إلى الأسماء الآتية :

(أ) التفقه الذي منهم شيوخ الشمل (المبارك) .

(ب) الجمعات وينقسمون إلى عدة افخاذ .

(ج) المغاصيب وينقسمون إلى عدة أقسام .

(د) الزوارعه وينقسمون إلى عدة أقسام .

٣ - المصاليخ وينقسمون إلى عدة افخاذ .

٤ - الصقرة وينقسمون إلى عدة افخاذ .

٥ - الجماعلة وينقسمون إلى أربعة افخاذ .

٦ - الحجور وينقسمون إلى عدة أقسام .

أما شيوخ المشايخ في نجد الحجر مدائن صالح والعذيب الشيخ دبشبي الفقير لعموم هذه القبيلة وفي الشمال (سوريا) الشيخ ثامر بن طرار الملحم .

أما صلتهم ببعضهم فهم المناجبة جدهم منبّه ، وهم تحت لواء واحد من قديم الزمان وان ملكهم واحد في مدائن صالح والعذيب ووادي خيبر لا يفرقهم نسب ولا حسب .

حول مقال :

عُتَيْبَة : فروعها ومنازلها

اطلعت في مجلة العرب ج ١ و ٢ و ٣ ج (رجب / وشعبان سنة ١٣٩٨ هـ)
صفحة ٦٢ على ما كتب عن قبيلة عُتَيْبَةَ : فروعها ومنازلها بقلم الأخ العقيد حمود
بن ضاوي القثامي وبصفتي أحد أفراد قبيلة الشيايين الذين أورد الأخ العقيد ذكرهم قد
تبين لي أن معلومات العقيد عن الشيايين ناقصة وهناك في بعض منازل فخذ عتيبة
ملاحظات .

أولاً : قبيلة الشيايين ينقسمون إلى قسمين كبيرين وهم ذوي صالح وذوي خليفه
وكل قسم ينقسم إلى أفخاذ والفخذ الواحد ينقسم إلى خوامس أما ما اورد العقيد مثل
ذوي مَرَشُد / ودموخ / وذوي نجم / فهؤلاء ثلاثة خوامس من فخذ ذوي عبد الله
من ذوي صالح .

أما منازلهم فأقدم هجرة هي الروضة في العرُض غرب القويبيه وليست الرويضه
أو الرواضه حسب ماورد في المجلة وهي هجرة قديمة على وقت الاخوان ويسكنها ابن
فهد شيخ شمل الشيايين كافة وهي عامرة حتى الآن وحلَبَانُ والحاصرة كذلك من
قرى الشيايين .

٢ - ملاحظة عن الدعاجين : لقد ذكر العقيد أن مُغْبِرَاءَ والحُفَيْرَةَ للخيوطية
وهذا خطأ بل الحُقيرة هجرة الهيظل شيخ شمل الدعاجين ومُغْبِرَاءَ هجرة محسن
الهيظل وهجرة الخيوطية ماسل الجمع والعقيد لم يذكر شيخ شمل الشيايين ولا شيخ
شمل الدعاجين بل اقتصر على ذكر شيخ القشمة . والعصمة فقط مع العلم أن الشيخ
ابن فهد والشيخ الهيظل معروفان عند الجميع ولهم مواقف محمودة منذ زمن المغفور
له الملك عبد العزيز .

٣- وذكر العقيد أن العلجة من العصمة قربتهم أم سُرَيْحَة وهذا خطأ ، إذ
أم سُرَيْحَة هجرة ناصر العقيلي وجماعته العمرية من العصمة .

سلطان بن ماجد بن فهيد

العرب : شكراً للأخ الكريم والأخ حمود أورد ما يعرف استجابة لطلب من
المجلة ، وياليت كل عارف بشيء من أنساب قبيلته يكتب للمجلة بما يعرف إذ
كما قيل في المثل (أهل شُعْبَا أَدْرَى بِشِعَابِهَا) .

فَدَكَ : أَيْنَ مَوْقَعُهُ ؟ !

... أشرت أثناء حديثكم في (المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول) إلى ما ورد من
الأخبار عن فَدَكَ . ولكنكم لم تُحَدِّدُوا مَوْقِعَهُ . فأين يقع ؟ ! فقد حدث نقاش
بيني وبين أحد الإخوة ممن يرى أنه من قرى المدينة .

الرياض : عثمان السعيد - جامعة الإمام محمد بن سعود .

العرب : قد تكون تلك الإشارة شفويةً ، أما فَدَكَ فَيُعْرَفُ الْآنَ بِاسْمِ
(الحائط) بلدة معمورة ، فيها مركز إمارة يتبعه عدد من القرى مثل النُحُوبِطِ
وضَرْغَدِ ، و الروض ، وهي تابعة لإمارة منطقة حائل .

وتجد تفصيلاً وافياً عن فَدَكَ (الحائط) في كتابي « في شمال غرب الجزيرة »
و « شمال المملكة » من مؤلفات صاب هذه المجلة .

وموقع فَدَكَ (الحائط) في شرقي حَرَّةِ خَيْبَرَ ، وبلاد خَيْبَرَ الْآنَ تابعة
من حيث الشؤون الإدارية لإمارة المدينة المنورة ، بخلاف فدك الحائط وما يتبعه من
القرى الواقعة شرقي الحرة وللسائل الكريم تحية طيبة .

مكتبة العرب

● معجم اليمامة :

وصدر الجزء الأول من كتاب « معجم اليمامة » أحد أقسام « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » تأليف الأستاذ الجليل الشيخ عبد الله بن محمد بن خميس . يحوي من المواد ما بُدِيَء بحرف الألف إلى نهاية حرف الزّاي ، ويقع في ٦٦١ صفحة . مطبوعاً بمطبعة الفرزدق - وهي المطبعة التي أنشأها الأستاذ عبد الله حديثاً في مدينة الرياض ، طباعة جيّدة .

هذا الجزء مفصل الفهارس الوافية ، بحيث استغرقت نحو ١٢٠ صفحة .

● الإمام الشافعي :

أُسْتَأذِنَا العالم الجليل السيد أحمد العربي ، من علماء المملكة البارزين في حقل التّربية والتعليم ، بل من خيرة العلماء فَضْلاً وَخُلُقاً وَأَدَباً ، ومؤلفه « الامام الشافعي الفقيه » هو الحلقة السابعة والعشرون من سلسلة كتب (المكتبة الصغيرة) التي يتولى إصدارها معالي الأستاذ الجليل عبد العزيز الرفاعي . هو خلاصة مُصَنَّفَاتٍ من ترجمة ذلك الإمام الذي أَلْفَتْ في ترجمته المؤلفات .

ويقع في نحو تسعين صفحة من القطع الصغير . وقد طبع في عام ١٣٩٨ (١٩٧٨ م) بمطبعة الروضة في جدة .

● أطلال :

هو اسم المجلة التي أصدرتها (إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف) صدر عددها الأول في شهر ربيع الأول ١٣٩٩ - مؤرخاً في ١٣٩٧ (١٩٧٧) . ويقع في قسمين قسم باللغة العربية صفحاته ٧٤ وآخر باللغة الانجليزية صفحاته ٧٠ - عدا اللوحات التي تبلغ خمسين لوحة من القطع الكامل .

ويحوي هذا الجزء فاتحته كتبها صاحب المعالي الدكتور عبدالعزيز الخويطر وزير المعارف ورئيس المجلس الأعلى للآثار - في صفحة - .

ثم مقدمة عن آثار الاستيطان البشري في المملكة : للدكتور عبد الله حسن المصري في اثني عشرة صفحة .

فكلمة بعنوان (تمهيد) عما يتضمنه هذا الجزء الذي هو باكورة الحولية - في صفحة أيضاً -

أمّا الاستكشاف الأثري للمملكة سنة ١٩٧٦ - الذي قام بإعداده أربعة من (١) علماء الآثار فهو - على ما جاء في عنوانه (تقرير مبدئي عن المرحلة الأولى من برنامج المسح الشامل) ويقع في ٢٦ صفحة ، ويتحدث عن مسح المنطقتين الشرقية والشمالية .

ثمّ (تقرير مبدئي عن المرحلة الأولى لمسح درب زبيدة) كتبه جيمس كوندستاد ، في ٣٦ صفحة .

أمّا (النقوش الإسلامية بدرب زبيدة ، فقد قام بدراستها الأستاذ أحمد حسين شرف الدين ، وهي نحو ٢٧ نقشا عثر عليها في مسافة من ذلك الدرب تبلغ ١٥٠

(١) م : روبرت آدمز ، ومحمد الإبراهيم ، وبيتر بار ، وعلي المنعم .

كَيْبَلًا من مكة المكرمة - حتى غار زُبَيْدة . ولعله بقرب وادي نخلة الشامية . وهذا البحث يقع في صفحتين .

يُلحق بهما صُورَتَا نقشين مؤرخين في سنة أربعين . وسنة ست وخمسين من الهجرة .

ثم اللوحات والصور . فالقسم الإنجليزي فترجمة للأبحاث العربية .

ويتولى تحرير المجلة : الدكتور عبد الله حسن مصري والأستاذ أحمد شرف الدين والسيدان محمود محمد الصفاطي وستيفن . ك . كاتون . وطباعتها بلغت الغاية - بالنسبة للطباعة العربية - جودة ورق ووضوح حروف . وإتقان تصوير . والطباعة في لندن .

ومن فضول القول شدة احتياج دارسي تاريخ هذه البلاد إلى إصدار هذه المجلة التي يتمنى لها كل مُثَقِّف أن تكمل نقصاً يُحس به كل معني بدراسة تاريخنا . ويرجو لها الاستمرار والقوة والازدهار : لثمر الثمرة النافعة .

● الأمير عبد العزيز بن مساعد :

سمو الأمير عبد العزيز بن مُسَاعِد بن جَلْتَوِي بن تُرْكِي آل سعود رحمه الله من الرجال الذين ساعدوا الإمام عبد العزيز آل سعود في إنشاء هذه الدولة . وفي توحيد أجزاء هذه المملكة ، منذ سنة ١٣١٩ إلى قبيل وفاته سنة ١٣٩٧ .

وقد عهد ابنه سمو الأمير عبد الله إلى السيد حسن سليمان بتأليف كتاب يتضمن جوانب من تاريخ حياة الأمير عبد العزيز ، بعد إمداده بكثير من الوثائق والمعلومات التي تضمنها كتاب « الأمير عبد العزيز بن مساعد - حياته ومآثره » يقع في ٢٩٣ صفحة وفيه صور ووثائق ، ومعلومات لا توجد في غيره .

وتاريخ الأمير ابن مساعد جزء من تاريخ هذه البلاد خلال الفترة التي كان أحد السواعد القوية للملك عبدالعزيز - رحمهما الله - في تصريف شؤون قسم كبير من أقسامها . فضلاً عن مشاركته في كثير من أحداث المملكة ، بحكم صلته القوية . ووفاته ، وإخلاصه .

● مارأيت وما سمعت :

رحلة أستاذنا خير الدين الزركلي الأولى إلى الحجاز ، التي دونها في كتاب « مارأيت وما سمعت » من أمتع الرحلات ، فمع ما حوته من مباحث تاريخية واسعة وابحاث جغرافية ، إلا أن قلم الخبير الزركلي السيال ، وأسلوبه السهل أضفيًا على تلك الأبحاث ما جعل القارئ يتنقل بين صفحات الكتاب مدفوعاً بلذة الاسترسال في القراءة .

وقد أصبح ذلك الكتاب نادراً في طبعة الأولى ، فقامت (مكتبة المعارف) لصديقنا الأستاذ الشيخ محمد سعيد كمال بإعادة نشره ، وتصدى الأستاذ عبدالرازق بن الأستاذ سعيد للتعليق على هذه الطبعة الجديدة ، بما أضفى على الكتاب من الامتاع والفائدة مافاق به طبعته الأولى .

وجاء في ٢٦٠ صفحة . من مطبوعات الشعب في القاهرة . سنة ١٣٩٨ (١٩٧٨ م)
مصدراً بترجمة مؤلفه الأستاذ الزركلي رحمه الله .

● الأمن في المملكة :

صدر اللواء يحيى بن عبدالله المُعلِّمي - مساعد مدير الأمن العام لشؤون العمليات - كتاب « الأمن في المملكة العربية السعودية » مقدِّماً بكلمة لصاحب السمو الملكي الأمير أحمد بن عبد العزيز . نائب وزير الداخلية تضمنت وصف الكتاب بأنه : (يضم صورة صادقة لأوضاع الأمن في الجزيرة قبل استقرارها . . . وتصويراً لا يجاوز الحقيقة لأوضاع الأمن في البلاد منذ بداية العهد السعودي إلى الوقت الحاضر) .

ويحوي الكتاب من الفصول أربعة^١ أولها وصف مجمل للمملكة . والثاني عن حالة الأمن قبل العهد السعودي . والثالث : عن استتباب الأمن في العهد السعودي . والرابع - وهو أوفى الفصول عن الأجهزة المشرفة على الأمن . وفيه تفصيل عن وزارة الداخلية والإمارات التي تتكون منها الأقسام الإدارية في المملكة ، ثم الأمن العام وما يتبعه من أقسام وفروع . فكلية قوات الأمن . فالجوازات والأحوال المدنية ، فالدفاع المدني فسلح الحدرد ، فإدارة المجاهدين .

ومؤلف الكتاب اللواء المعلمي تخرج في (كلية قوى الأمن الداخلي) في سنة ١٣٦٧ وله سجل حافل عن أعماله خلال أربعين عاماً في المجال الأمني الواسع . ولهذا جاء مؤلفه الجديد من خير ما أُلّف في موضوعه . مما اطلعت عليه .

وقد طبع سنة ١٣٩٨ (١٩٧٨) بمطبعة (الشركة المصرية لنفن الطباعة) طباعة حسنة . ووقع في ١٤٣ صفحة على ورق صقيل ، مزدان بالصوّر .

● مطبوعات النادي الأدبي في الطائف :

هذا النادي من أنشط النوادي الأدبية في المملكة من حيث نشر . المؤلفات المتنوعة موضوعاتها . وقد تقدم الحديث عن بعضها . ومما اطلعتُ عليه مما نُشر حديثاً^(١) .

١ - المُختصر من كتاب « نشر النور والزهرة في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر » وهو كتاب ألفه الشيخ عبد الله ميردآد أبو الخير (١٢٨٥/١٣٤٣هـ) واختصره ورتبته الأستاذان الفاضلان الشيخ محمد سعيد العامودي والسيد أحمد علي . ويحوي من التراجم (٦٠٥) ست مئة وخمسة . منها ما لا تتجاوز بضعة أسطر . ومنها ما تقع في صفحات .

(١) لرئيس التحرير كلمة حول ما تنشره النوادي الأدبية في بلادنا نشرت في مجلة « العرب » بعنوان رابطة الأدباء في ص: ٨٠١ / ٨٠٣ من السنة الثانية عشرة (جزء جماديين سنة ١٣٩٨) .

وقد طبع في جزئين صفحاتها (٢٥٦ ÷ ٢٤٢ = ٤٩٨ مع مقدمتين للأستاذين عبد القدوس الأنصاري ومحمد سعيد العمودي في ٢٨ صفحة . والكتاب يترجم رجالا عاشوا في أحلك فترات التاريخ وهي فترة مهتما كانت يجب أن يُعْرَف تاريخها الذي هو جزء من تاريخ هذه البلاد .

● كتاب القصة :

وهذا من منشورات (نادي الطائف الأدبي) يحوي بعد مقدمة في تعريف القصة لرئيس النادي الأستاذ علي حسن العبادي - نحوًا من إحدى وعشرين قصة لكتاب مختلفين أعددها الأستاذ محمد المنصور الشقحا وهاؤلاء الكتاب هم : خليل إبراهيم الفزيع . وحمد الزيد ، وناصر العديلي ، وفهد الخليوي ومحمد علي علوان لكل واحد قصتان . وشارك بقصة واحدة : حسين علي حسين وعبد الله بن صديق القرشي ونصيب الذي تولى الإعداد للنشر خمس قصص .

وللفتيات : رقية الشبيب وابتسام العباسي وحصة التويجري نصيبهن في الكتاب الواقع في ١٥٥ - وهو كأكثر مطبوعات النادي - مطبوع في مطبعة الزايد في الطائف عام ١٣٩٨ (١٩٧٨ م) .

● عنراء المنقهي :

وهي - علي ما في طرّتها - رواية . كتبها الأستاذ إبراهيم الناصر . ونشرها (النادي الأدبي في الطائف) وتقع في ١٣٠ صفحة . والطباعة حسنة . وتاريخ الصدور غير مذكور . وقد طبعت في مطابع الزايد في الطائف .

● نافذة على الحائط المهدوم :

سبع عشرة رسالة عاطفية مؤثرة كتبت بقلم هند صالح باغفقار . وهي من منشورات (نادي الطائف الأدبي) الذي تجاوزت منشوراته الثلاثين إلى تاريخ

صدر هذا المنشور سنة ١٣٩٨ وتلك الرسائل تقع في ٥٥ صفحة برسوم فنية . على ورق أخضر ، بطباعة مؤسسة مكة للطباعة والاعلام .

● أهاريغُ :

وهذا هو الديوان الثالث من شعر الأستاذ محمد إبراهيم جدع . وهو من منشورات (نادي الطائف الأدبي) يحوي ثمانيا وثلاثين قصيدة ومقطوعة . في موضوعات متنوعة ، تطفئ عليها العاطفة الدينية . والطباعة حسنة في ورق أخضر من القطع الصغير في ١٤٠ من الصفحات ، بمطبعة الزابدي في الطائف سنة ١٣٩٨ .

● عاد في التاريخ :

عُنِيَ الأستاذ الفاضل هادُون^(١) أحمد العطّاس ، بدراسة جنوب الجزيرة منذ زمن ، ومن آثار تلك الدراسة كتاب « عاد في التاريخ » الذي يدل على سعة اطلاع ، ودقّة نظر ، وإعمال فكّرٍ .

ويقع في نحو ٩٥ صفحة . مقدا بكلمة لرئيس تحرير هذه المجلة .

وقد طبع في مطبعة حسّان بمصر سنة ١٣٩٨ (١٩٧٨م) .

● معجم معالم الحجاز :

وقام (نادي الطائف الأدبي) بنشر كتاب « معجم معالم الحجاز » تأليف الأستاذ عاتق بن غيث البلاّدي . فصدر الجزء الأول في ٢٨٠ صفحة ، وهو معجم جغرافي مرتب على حروف الهجاء ، يحوي الأسماء المُبتدأة بحرفي الألف والباء . مما تحدّث عنه المؤلف . فيحدد بعض المواضع . وقد يكتفي بنصوص المتقدمين في تحديد بعضها . وقد يتوسّع في الحديث آونة بحيث يستغرق صفحاتٍ . ويؤجيزُ فلا يتعدّى ما يكتب بضعة سطور .

(١) هادون - بالدال لا بالراء -

وقد طبع الكتاب بمطبعة (مؤسسة مكة للطباعة والإعلام) وصدر عام ١٣٩٨
(١٩٧٨ م) .

● نسب حرب :

وصدر كتاب « نسب حرب » تأليف الأستاذ عاتق بن غيث البلادي ، حاوياً
لفصول ثمانية :

- ١ - أصل حرب ونسبهم .
- ٢ - ديار حرب .
- ٣ - فروع حرب قبيلة حرب .
- ٤ - تاريخها .
- ٥ - الأدب الشعبي عند القبيلة .
- ٦ - القضاء .
- ٧ - تراجم الأعلام .
- ٨ - معجم جغرافي لبلاد حرب .

ويقع الكتاب في ٣٩٣ صفحة عدا الفهارس المفصلة التي تقع في ٥٤ صفحة .
وقد طبع في دمشق بمطبعة (دار المعارف للطباعة) بإشراف (مكتبة دار البيان)
وتاريخ الطبع ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) .

● الرحلة النجدية :

قام الأستاذ عاتق بن غيث البلادي برحلة من مكة المكرمة إلى الرياض في شهر
المحرم من سنة ١٣٩٦ هـ فسَجَّلَ مُشَاهِدَاتِهِ وَأَثَارَهَا فِي كِتَابِ دَعَاةِ « الرَّحْلَةِ
النَّجْدِيَّةِ » وَرَجَعَ إِلَى بَعْضِ الْمَوْلَفَاتِ فَاسْتَعَانَ بِهَا فِي تَسْجِيلِ بَعْضِ أَوْصَافِ الْمَوَاضِعِ
أَوْ تَحْدِيدِهَا .

وقد نشر تلك الرحلة في كتاب بلغت صفحاته ١٥٨ . وهو من منشورات
(دار المجمع العلمي) في جدة بدون ذكر المطبعة ولا تاريخ الطبع .

فهارس السنة الثالثة عشرة

٢ - الموضوعات العامة	١ - الكتاب والمعلقون والمؤلفون
٤ - الاسر والقبائل والجماعات	٣ - الأعلام
٦ - المواضيع	٥ - الكتب والصحف والمجلات

٧ - الشعر

أولاً: الكتاب والمعلقون والمؤلفون

٥٤٢	عبداللطيف بن دهرش (٥)	٣٢٠	د. إبراهيم مذكور
١٤٩	عبداللطيف بن صالح التميمي	٣٥٢	إسماعيل الحامدي
٣٥	د. عبدالله العثيمين	٩٢٧/٦٨٤/٥٦١/٤١٨	أحمد الحضراوي
٩٥٠	عبدالهادي بن التيهي الفقير	٦٦٥	التامسراوي
٩٤٩	فارس بن حاكم الفقير	٣١٩	د. جابر بن الطيب علي
٩٤٨	كاتب بن علي الفقير	٤٨٠/٣٣٦/٧٢/١٢/٢	حمد الجاسر
٦٨٧	الكميت بن زهد الأسدي	٦٤٧/٦٢٦/٦٠٠/٥٠٣/	
٢٤٧	د. محمد ضيف الله البطانية	٨١٩/٨٠٢/٧٩١/٧٦٦/	
٤٠٣/٣٥١/٢١٣/٤٧	محمد بن ناصر المبودي	٧١	حمود القشاشي
٦٦٣/٦٤٠/٥٣		٨٠٠/٧٩٧/٥٧٤/٣٨٩/١٢٣/٢٩	سعد بن جندل
٤٦٨	محمد الهاللي	٢٥٠	السنوسي التونسي
١٣١	ناصر العمري	٥٣٦	سنوك هور غرونيه
٩٤٥	يحيى بن علي عكور	٢٢٤	عبدالمعز الرفاعي
		٤٧٤/٣١٦	عبدالفتاح مقلد الغنيمي



ثانياً: الموضوعات العامة

٣	الحجر ليس مدائن صالح	١٥١	أبودلف الينبجي
٤٧٧/٧٢	ديوان حاتم	١٦١	بلاد القصيم
٣٩٠/٣٦٩	الرهدة ليست الحناكية	٥٣١	التعليم في مكة المكرمة في مطلع هذا القرن
٨٠٢/٦٤١/٤٨١/٣٢١	رحلات	٩٢١/٦٧١/٥٤٣/٤٠٤	الحوار المعقدة في فضائل جدة (كتاب)

٣٣٧	لهجة أهل القصيم
٣	ليس الحجر مدائن صالح
٣٥	محمد بن عبد الوهاب (الشيخ)
٩٥٧	مطبوعات النادي الأدبي بالطائف
٩٤٤/١٤٣	مع القراء في أسلحتهم وتعليقاتهم
٩٥٣/١٥٣	مكتبة العرب
٨٠٢/٦٤١/٤٨١/٣٢١	من ذكريات الرحلات
٦٤٨	منازل القبائل العربية القديمة في منطقة القصيم ..
٥٦٢	مواضع تاريخية في عالية نجد
٥١٦	التخيل في القصيم
٦٨٧	نونية الكميث

رئيس مجمع اللغة يشيد	
بالمعجم الجغرافي	٣٢٠
زيد الخير	٢١٤
الصقعي لا القرزعي	٧٩١
عتيبة: فروعها ومنازلها	٩٥١/٦٢
العرب في عامها الثالث عشر	١
الفتح والكمأة	١٤٤
الفتح الإسلامي	٢٢٥
في رحاب الحرمين	٦٦٥/٥٠٤/٣٥٢/٢٥٠/٤٨
القبائل العربية حول بحيرة (تشاد)	٤٦٩/٣٧
كتابة التاريخ	١٢٤

ثالثاً: الأعلام

٧٩١	الصقعي
٥٩	عبدالله بن سالم البصري
٩٥٧	عبدالله مراد أبو الخير
٢١٨	عروة بن زيد الخيل
٨٧٥	العلاء بن الحضرمي
٢٧١	علي بن عبدالله الرئيس
٢٧٢	عون الرفيق
٨٣٢	محمد بن أحمد بن طلحة
٨٤١	محمد بن إدريس بن أبي حفصة
٦٠	محمد أكرم بن الشيخ عبدالرحمن الهندي
٥٨	محمد بن سليمان الرداني (الرداني)
٥٠٤	محمد بن الطوب بن كبران
٢	محمد عبده يمانني وزير الإعلام
٢٥٠	محمد بن عثمان بن محمد السنوسي
٨	محمد بن علي بن طولون
٦٦٥	محمد بن محمد المزوري التامراوي
٢٢٣	مهلهل بن زيد الخيل

إبراهيم بن شجاع الخنفي	٧٠٠
أحمد بن محمد بن أحمد الحضراوي	٤٠٥
أحمد بن محمد الهشكي	٤٨
أحمد المشاط	٢٥٧
أحمد النخيلي	٦٠
الأزمري	٨٣٢
إسماعيل الحامدي المالكي	٣٥٢
الحبيب الفلالي	٦٦٨
حريث بن زيد	٢١٧
الحسن بن عمر بن حبيب الدمشقي	٧
حسن وفا	٢٧٥/٢٦٨
حمد بن ناصر بن معمر	٦٧٧
حنظلة بن زيد الخيل	٢٢٢
خالد بن عيسى البلوي الأندلسي	٥
أبو دلف الينعسي	١٥١
زيد الخير	٢١٤
النبسي الصالح	٤

رابعًا: الأسر والقبائل والجماعات

٩٥١/٦٦	الدعاجين
٧١	الدماسين
٧١	الدلاجنة
٨٦٨	الدواسر
٦٤	الدوانية
٨٩٣	الدولة العثمانية
٦٢	الدهسة
٧٠	الذبيحة
٤٣٦	الردادين
٦٩	الروسان
٧٠	الروقة
٧١	زوارق
٧١	الزرقان
٨٦٣	السرط
٨٦٧	زعب
٤٣٦	الزواير
٦٣	الزوران
٤٣١	زند
٤٢٥	ساعد
٤٢٣	سالم
٨٦٣	السمسباجة
٨٦٧	سبيع
٨٦٨	سليط
٧٠	السمرة
٤٣٠	السوالمه
٩٥١/٦٦	الشيابين
٢٧٧	شمية
١٥٢	صخر
٨٦١/٦٥٧	خبيسة
٦٧	طنبع
٤٢٦	الطلحات
٧٠	طلحة

٧١	الأعانة
٦٥٤	أمسد
٥٠٨	الأغوات
٨٥٩	إباد
٦٥٦	باهلة
٧١	البراقين
٦٢	برقاء
٨٦١/٦٥٦/١٤٧	تميم
٨٥٨	تنوخ
٤٣١	التيبة المروحة
٦٩	التيبة
٢٣	تمالة
٨٩١	جبر
٦٣	الجبرة
٧١	الجدعان
٨٦٤	الجرامقة
٨٦٨	الجلاهمة
٧١	الخبردية
٤٢٦/٤٢٤	حجة
٤٢٦	حرجل
٤٢٥	حسن
٧١	الحفاعة
٨٢١	حفصة
٧١	الحميران
٤٣٦	الحميسة
٤٢٩	الحميسدي
٧١	الحرمان
٤٢٧	الخلد
٦٥	الخماش
١٥٠	الخماعلة
٨٨٢	الخوارج
٦٣	درويش

٣١٨	بالقرب
٦٥٩/٤٢٠	قريش
٤٢١	قريش الهياض
٧١	القاسمة
٧١	الكراشمة
٦٦٠	كسلا ب
٨٥٩/٦٦١	كنسدة
٧١	محيسا
٧٠	المراشدة
٤٣١	المراوحة
٨٦٦	مسرة
٦٦١	مزينة
٤٣٦	المساعدة
٤٣٦	المصالحة
٨٦٧	مطير
٢٦٥	المطوفون
٤٣٦	المعاقل
٧١	المنارة
٨٩١	مغامس
٤٣٢	المقافضة
٦٨	المقطعة
٤٣٦	المناصير
٣١٨	منبه
٤٢٥	منصور
٨٦٤/٥٢	النبط
٦٧	النفعة
٤٢٢	النمور
٣١٧	واهب
٧٠	وقدان
٨٧٩	ولاية البحرين

٤٣٦	ظفر
٧١	عالي
٤٢٦	عائشة
٨٦٠	عبد القيس
٦٥٨	عبس
٩٥٢/٦٢	عنية
٨٦٦	العجمان
٤٦٩/٣٠٧	العرب في تشاد
٥١٢	عرب العرب
٤٢١	عرضة قريش
٦٥	العصاة
٧٠	العضيان
٧٠	عطيسة
٨٩١/١٦١	عقل
٨٦٨	الممسور
٧١	العوازم
٩٤٦	عنترة
٤٢٥	عسيده
٨٩٠	العيونيون
٧٠	الغبيات
٦٤	الفضائمة
٦٥٨	غطفان
٧١	الغنائيم
٧١	الفراحدة
٨٦٤	الفرس
٦٥٩	فزارة
٩٤٦/١٥٠	الفقراء
٤٦٩/٣٠٧	القبائل العربية في تشاد
٦٢	القشمة
٨٨٨	الغرامطة

خامساً: الكتب والصحف والمجلات

٩٥٣	الإمام الشافعي	٩٥٤	أطلال
-----	----------------	-----	-------

١٦٠	السراج المنير في سيرة أمراء عسير	١٦٠	أمراء عسير
٤٠٤	السلاح والعدة في تاريخ بندر جدة	٩٥٦	الأمن في المملكة
٩٥٩	عاد في التاريخ	٩٥٥	الأمير عبدالعزيز بن مساعد
٩٧	عالية نجد (مقدمة كتاب)	٩٥٩	أهازيج
٩٥٨	عذراء المنفى	٨	البرق السامي في تعداد منازل الحج الشامي
١	المسرب	١٥٩	بلاد رجال الحجر
١٥٥	علماء نجد خلال ستة قرون	١٤٣	تاج العروس في جواهر القاموس
١٥٣	عن هذا وذاك	٥٧٥	تاريخ الإسلام للذهبي
١٥٨	غناء وشجن	٤٠٤	تنسم الزهر المأنوس عن ثغر جدة المحروس ..
١٥٧	قاطع الطريق		الجواهر المعدة في فضائل جدة
٩٥٨	القصص	٩٢١/٦٧١/٥٤٣/٤٠٤	
٣٠	كيف كان ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب ..	٤٦٤	حسن القرى في أودية أم القرى
٩٥٦	ما رأيت وما سمعت	١٥٣	حطب الليل
٩٥٧	المختصر من كتاب نشر النور والزهر	١٥٨	حمزة شحاته
١٦٠	المعجم الجغرافي المختصر	٨	دليل المجتاز بأرض الحجاز
١٦٠	المعجم الجغرافي عن شمال المملكة	٦٠١/٤٧٧/٧٢	ديوان حاتم الطائي
٩٥٩	معجم معالم الحجاز	١٥٨	ذكريات لا تنسى
٩٥٣	معجم اليمامة	٥٠٤	الرحلة الفاسية الممزوجة بالمناسك المالكية ..
١٥٧	المكتبة الصغيرة	٩٦٠	الرحلة النجدية
١٥٥	من أحاديث السمر	٥	رحلة البلوى
٨٢٠	المنطقة الشرقية	٦٦٥	رحلة التامراوي
٩٥٨	ناقذة على الحائط المهذوم	٣٥٢	رحلة الحامدي
٦٧١	نزهة الفكر في الحوادث والعبير	٢٥٠	رحلة السنوسي التونسي
٩٦٠	نوب حرب	٥٠٤	رحلة ابن كيران
		٤٨	رحلة الهشتكي

سادساً: المواضيع

٢٩٨	الأعضر	٢٩١	آبار تصيف
٥٠	الأزلام: (الصواب: الأزلم)	٧٩	أباير
٢٩١	اصطبل عتير	٨٠	أبادين
٦٢٧	أضغاخ	٨١	أبضة
٨٤	أظايف	٣٦٤	أبيار عباس
٥١	الأكراه: (الصواب: أكره)	٧٩	أباير
٦٦٩	ألمح: (الصواب: المويلح)	٩١١/٧٧١	الأحساء

٦٦٨	الجديسة
٨٧١	جزيرة تاروت
٢٦	الجلية
٢٩٧	جنابن القاضي
٣٠٥	حالات عمار (حالة عمار)
٦٠٢	الحالة
٩٥٢	الحايط
٩٥	حيران
٧٩٣	الحجر
٣٥٣	حدة
١٦	حذنة
٦٠١	حقيل
٣٦٤	الحمرء
٣٦٩	الحناكية
٧٩٨	الحواب: أين تقع؟
٦٦٨	الحوراء
٩٥	حيران
٦٠٣	حمية
٣٩	خزاز
٤١	خزازة
٤٥	خزازي
٤٧	خزة
٥٣	الخضيرة
٦٠٤	خلاد
٣٦١	خليص
٥٠	دار أم السلطان
٥٤	دار الشعلة
٥٤	دار الغرباء
٢٩٩	دار المغير
٦٠٦/٦٠١	دياب
٥٧٥	دبر
٤١	دخنة
٥١٣	الدرب الفرعي
٥١	الدركان
٣١٨	دنن
٧٩٤	الديدان

٧٦٩/٣٥٣	بحرة
٨٩٦	البحرين
٦٦٧/٣٦٣/٥٤	بدر
٢٩٢	براقه
٤٣٦	البرامين
٢٩٦	بركة المعظم
٣٦٢	البزواء
٨٥	بسطة
٣٠٦	بطن الغول
٨٧	بلطية
٩٠	بواعنة
٢٩٢	البر الجديد
٥٠٨	بئر نيرك: (ميريك)
٢٨١	بئر بلحمن(?)
٢٨١	بئر خراص
٥٠٨/٥٠٧	بئر رضوان
٦٦٩	بئر السلطان
٣٦٧	بئر عباس
٢٨٤	بئر عثمان
٥٠٨	بئر الماشي
٣٦٠	بئر محسن
٩٤٤/٣١٧	بيشة
٨٧١	تاروت (جزيرة)
٢٩٩	تبوك
٣٥٧	التنعيم
٩١	تنفة
٩٦/٩٤/٩٣	تسوارن
١٧	تيمن
٩٢٨	ثاج
٦٠٣	جبة
٦٣٥	جيلة
٢٩٤	جبل الطاقة
٥٥	الجحفة
٩٢١/٦٧١/٦٦٦/٥٤٣/٥١٥/٤١١/٢٥٥	جدة

١٨٩	عجلز	٣٠٥	ذات الحج
٥	عبدال	٣٦٥	ذو الحليفة
٣٦٠/٢٧٨/٥٧	عسفان	٦٦٧/٣٥٣	ذو طوى
١١/٣	العطاس	٥١٤/٣٦٢/٢٨٠/٥٥	رابغ
٦٧٠	العقبة	٣٦٩	الربذة
٥٢	العقبة السوداء	٦٣٦	الرجام
١١/١٠/٩/٧/٥	العلا	١٨٩	رحب
٩٦	عوارض	٣	الرحبة
٦١٥	عوالص	٦٠٧	رغفة
٢٦	العويند	٦٠٧	المرادة
٦٧٠	عين القصب	٢٢	الرشاء
٦٧٠	غار شعيب	٢٢	الركاء
٦١٦	الغممر	٦٠٨/٥٠٨	الريمان
٢٩١	الفحلتين	٢٩٢	الزمردة
٩٥٢	فدك	٣١٩	سابة
٢٩٦	فروش رز	٥٥	سبل البيزوة
٣٦٧	الفريش	٦١٠	ستار
٣٦٤	الفريشية	٦١٠	سثيرة
٣٠٤	قاع الصغير	٥٨	مسرف
٩	قبر أمير الحاج الشامي شاذ بك الأشرفي	٦١١	سقف
٣٦٨	قبر عبيدة بن الحارث	٦١٢	مسلامان
٣٥٨	قبر الشيخ محمود	٦١٣	سمراء
٥٤	قبور الشهداء	٦١٣	شوط
٢٥	قحح	٢٧٨	الشهداء
٢٥	قدة	٦٣٣	صفا أضاح
٦١٦	قراقر	٣٦٤	الصفراء
٩٤٤	قرى ييشة	٥٠٨	الصمد الأبيض
٤٤٣	قرى ثقيف ترعة	٦١٤	الصهو
٤٥٠/٤٤٥	قرى بني الحارث	٩٥٢	الطائف
٤٢٧	قرى الخلد من هذيل	٩	طويل دغيم
٤٢٣	قرى بلاد بني سالم	٢٩٦	ظهر الحمراء
٤٢٧	قرى قبيلة بني سعد	٦٧٠	ظهر الحميرة
٤٣٠	قرى السوالم من هذيل	٣٠٦	ظهر العقبة
٤١٩	قرى الطائف	٩٧	عالية نجد

٥٦٣ الكبيدي
 ٥٦٤ كبشات
 ٥٦٥ كيشان
 ٥٦٦ كنفة
 ٥٦٧ كنفان
 ٥٦٦ كنفة
 ٥٦ الكديد
 ٥٦٧ كرش
 ٥٦٨ الكشاشية
 ٥٦٨ الكشيمية
 ٥٦٨ كمب
 ٥٦٩ كف
 ٥٦٩ الكفل
 ٥٧٠ الكففة
 ٥٦٩ كفوفة
 ١٤ الكلاب
 ٥٧٠ كلاوات
 ٥٧١ كلاوان
 ٥٧٠ كلية
 ٥٧١ كمدة
 ٥٧١ الكودة
 ٥٧٢ كويكب
 ٥٧٣ الكهفة
 ١١/٣ المايات
 ٢٦ المالة
 ١١ ميرك ناقة صالح
 ٦١٨/٤١ متالع
 ١٧ محيرات
 ٦١٨ محجر
 ٥٠٥/٣٥٧ المحصب
 ٢٩٣ المدالكين
 ٩/٦/٣ مدائن صالح
 ٧ مدينة صالح
 ٧٩٢ ميران
 ٢٩٣ المريع

٤٢٦ قرى الطلحات من قبيلة هذيل
 ٤٢٠ قرى قبيلة عدوان
 ٤٢٠ قرى قبيلة فريش
 ٤٥١ قرى قبيلة بني مالك
 ٤٢٨ قرى آل مناع والحميدي والبقلة من هذيل
 ٤٣٠ قرى هذيل: آل زهد
 ٣٣ قرى وادي ثمالة
 ٤٣١ قرى وادي السلامة ووادي المعدن
 ٤٣٥ قرى وادي شقصان: وادي شقصان
 ٤٢٤ قرى وادي الصخيرة
 ٤٣٦ قرى وادي كلاخ
 ٤١٩ قرى قبيلة وقدان
 ٦١٦/٩٤ الفريسة
 ٣١٩ قرية آل بانسي
 ٣١٩ قرية آل حاصلة
 ٤٢٤ قرية آل حجة من بني سفيان
 ٣١٩ قرية حرقان بن عبدالله
 ٣١٩ قرية الحلبة
 ٣١٩ قرية آل ردعان
 ٤٢٥ قرية آل ساعد وآل منصور
 ٣١٩ قرية ابن سبعان
 ٣١٩ قرية آل سفران
 ٣١٩ قرية آل شجعان
 ٣١٩ قرية علي بن حويلة
 ٣١٩ قرية آل غانم
 ٣١٩ قرية محجم
 ٣١٩ قرية ابن هشال
 ٣١٩ قرية آل هندي
 ٦٤٨/١٦٦ القصيم (قرى)
 ٣٦١ القصيمة
 ٢٨٠ قطيفة
 ٣٠٥ قلعة المدورة
 ٦٣٦ القمرا
 ٥٦٢ الكاهلة
 ٥٦٢ كبد

١٣٩ نظفه
 ٦٢٤ نقيب
 ٤٥٠ وادي أبو راحة
 ٢٦ وادي الجلدة
 ١٦ وادي الشعراء
 ٥٠٧ وادي فاطمة
 ٢٤ وادي قحطح
 ٦٢٥ وادي القرى
 ١٤ وادي الكلاب
 ٤٣٦ وادي كلاخ
 ١٦ وادي الكلبة
 ٥٣ وادي النار
 ٦٦٩/١٣٢ الوجه
 ١٣٩ الوش (الوجه)
 ٦٢٥ وقران
 ٢٩١/١١/٦ هديفة
 ٣١٨ هرجاب
 ٤٣٦ الهضاب
 ٦٦٨/٣٦٨/٥٣ ينوع

٣٥٩/٥٨ مر الظهران
 ٦١٩ المزاج
 ٣٦٢ مستورة
 ٦٢٠ مطح
 ٦٢٠ مشار
 ٧٩٨ مشقوق الخلف
 ٥٧ المشلل
 ٦٢١ معاخر
 ٤٣٦ المعاينة
 ٢٥٩ مكة المكرمة
 ٤١ ملمع (منعج)
 ٤٩ المليح
 ٦٣٦/٤١ منعج
 ٦٢١/٩٣ مواسل
 ٦٦٩ المويصلح
 ٦٢٤ نيتبل
 ١٣٩ نبط
 ٩٧ نجد
 ٣٦٩ نخل
 ٣٦٩ النخيل

سابقاً: الشعر

٦٨٧ فونية الكميث بن زيد

٤٧٧/ ٧٢ ديوان حاتم
 ٧٠٠ قصيدة للهمداني

كتابخانه و مرکز اطلاع رسائی
 بنیاد و ایرة المعارف اسلامی

شماره ثبت ٩٨٣٢٠
 تاریخ ١٣٦١/١٣/١٠



قطر العزقة و التجرارة - الرياض

تلفون : ٤٢٤٤٩٨٣ - ٤٢٤٤٩٨٦